

الجزء الأول

لماذا لا يكذبون على الوزير أعزه الله

حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف، المعروف بابن المنجم النديم، وهو أحد بني يحيى بن أبي منصور المنجم، صاحب المأمون، ومحل أهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور، وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والأدب وقول الشعر وتصنيف الكتب في أنواع ذلك المعروف، ومكانهم من المنزلة في خدمة السلطان وعظم النعمة والحال متعالم، ومحل أبي العباس في نفسه أشهر من أن يجهل في العلم والأدب وقول الشعر والمعرفة بالجدل والفقه، وغير ذلك مما يقوم به، وقد نادى أبا محمد المهلب رحمة الله، واختص به ونفق عليه سنين كثيرة، ومن بعده من الوزراء، وغيرهم من الرؤساء، وهو أحد بقايا رجال أهل بيته، قال: كنت بحضرة أبي محمد عبد الله بن يحيى الطبري صاحب معز الدولة فجرى ذكر الكرم والكرام، والجود والأجود، وما كانت البرامكة وغيرها تأتيه من الأفضال على الناس، فأخذ أبو محمد يدفع هذا ويطلبه، حتى قال: هذه حيل نصبها الشحاذون على دراهم الناس، لا أصل لها. فقلت له: أيها الشيخ إن قلت ذلك، فقد قال صاعد مثله، فأجيب. فقال: ما قال؟ فقلت له: حكى له جود البرامكة، فقال: هذا من موضوعات الوراقين وكذبهم، وكان أبو العيينة حاضراً، فقال له: فلم لا يكذب على الوزير أعزه الله مثل هذا وهو حي يرجى ويخاف، وأولئك موتى مأبوس من خيرهم وشرهم مثل هذا الكذاب؟ قال: فحجل أبو محمد.

الوزير ابن الزيات يذكر البرامكة وهو في التنوير

وفي معنى هذا ما أذكره، وإن كان موجوداً في الكتب، ولكنه على سبيل الإستعادة، وهو حسن. حدثني أبو محمد يحيى بن محمد الأزدي، قال: بلغني أن ابن الزيات لما حصل في التنوير قال له بعض خدمه: لهذا وشبهه كنا نشير عليك بفعل الإحسان، وتقليد رقاب الرجال بالأمتنان، واتخاذ الصنائع في حال القدرة لتجازي بما الآن عند الحاجة.

فقال: لو كنت فعلت هذا، ما حصلت منه على طائل، لما في نفوس الناس من ضعف الإخاء، وكثرة الغدر، وقلة الوفاء، وتراخي كنت أفعل أكثر من أفعال البرامكة؟ ما نفعهم لما حصلوا في مثل حالي من إسلام الزمان وجور السلطان؟ فقال له الخادم: لو لم ينفعهم إلا ذكرك لهم في مثل هذه الحال التي أنت فيها لكان ذلك أكبر نفع.

أبو الشبل يقارن في الكرم بين البرامكة

وبين عبيد الله بن يحيى بن خاقان: وحدثني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد المعروف بالأصبهاني الكاتب، قال: حدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهيويه، قال: أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي، قال: حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إلى محسناً، وعلي مفضلاً، فجرى ذكر البرامكة، ووصف الناس لهم بالجود، وما قالوا في كرمهم وجوائزهم، فأكثرنا. فقامت في وسط المجلس، وقلت: أيها الوزير، قد حكمت في هذا الخطب حكماً نظمت في بيتي شعر، لا يقدر أحد أن يرده علي، وإنما جعلته شعراً ليبقى ويدور، أفيأذن الوزير في إنشادهما؟ فقال: قل، فرب صواب قلت، فقلت:

رأيت عبيد الله أندى أناملاً ... وأكرم من فضل ويحيى وخالد
ورواه لنا مرة أخرى فقال فيه:
رأيت عبيد الله أفضل سؤددا ... وأكرم من فضل ويحيى وخالد
أولئك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

الحسن المنجم عامل معز الدولة

على الأهواز وحبه للعمارة: حضرت مجلس الحسن بن علي بن زيد المنجم، غلام أبي نافع، وهو إذ ذاك عامل معز الدولة رحمه الله على الأهواز وقطعة من كروها، ومحله عنده كمحل وزرائه، وكان قد خدم أبي رحمه الله قديماً، بعد مفارقتة خدمة القاسم بن دينار عامل الأهواز، وتوكل له في داره وضيعة، وخلفه على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز، ثم خلطه بخدمة أبي عبد الله البريدي، فعلت منزلته، ثم بلغت به الحال ما ذكرته، فكنت إذا جئت، وهو إذ ذاك على غاية الجلالة، وأنا في حد الأحداث، اختصني. وكان يعجبه أن يقرظ في وجهه، فأفاض قوم في مدحه، وذكر عمارته للوقوف، والسقايات، وإداره الماء في ذبابة المسرقان وتفريقه مال الصدقات على أهلها، وذنبت معهم في ذلك.

فقال لي هو: يا بني، أرباب هذه الدولة إذا حدثوا عني بهذا وشبهه، قالوا: المنجم إنما يفعل هذا رياء، وما أفعله إلا لله تعالى، وإن كان رياء فهو حسن أيضاً، فلم لا يراؤون هم بمثل هذا الرياء؟ ولكن الطباع خست، حتى في الحسد أيضاً، كان الناس قديماً إذا حسدوا رجلاً على يساره، حرصوا على كسب المال حتى يصيروا مثله، وإذا حسدوا على علمه، تعلموا حتى يضاهوه، وإذا حسدوا على جوده، بذلوا حتى يقال إنهم أكرم منه، وإذا وعدوا أشياء كثيرة، فالآن لما ضعفت الطباع، وصغرت النفوس، وعجزوا أن يجعلوا أنفسهم مثل من حسدوه، في المعنى الذي حسدوه عليه، عدلوا إلى تنقص المبرز، فإن كان فقيراً شعوراً على فقره، وإن كان عالماً خطأوه، وإن كان جواداً قالوا هذا متاجر بجوده وبخلوه، وإن كان فعالاً للخير، قالوا هذا مراء.

الوزير حامد بن العباس يرى قشر باقلاء

في دهليز داره: حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي رحمه الله، قال: كان حامد بن العباس من أوسع من رأيتاه نفساً، وأحسنهم مروءة، وأكثرهم نعمة، وأشدّهم سخاء، وتفقداً لمروءته. وكان ينصب في داره كل يوم عدة موائد، ولا يخرج من الدار أحد من الجلة والعامة والحاشية وغيرهم إذا حضر الطعام، أو يأكل، حتى غلمان الناس، فربما نصب في داره في يوم واحد أربعين مائدة. وكان يجري على كل من يجري عليه الخبز لحمًا، وكانت جراياته كلها الحواري. فدخل يوماً إلى دهليز داره، فرأى قشر باقلا، وأحضر وكيله، وقال: ويلك يؤكل في داري الباقلا؟ قال: هذا من فعل البوابين.

قال: أوليست لهم جرايات لحم؟ قال: بلى. قال: فسلبهم عن السبب، فسألهم، فقالوا: لا نتهنأ بأكل اللحم دون عيالنا، فنحن ننفذه إليهم لنأكله معهم ليلاً، ونجوع بالغدوات فنأكل الباقلاً، فأمر حامد أن يجري عليهم جراية لعيالاتهم، تحمل إلى منازلهم، وأن يأكلوا جراياتهم في الدهليز، ففعل ذلك. فلما كان بعد أيام، رأى باقلا في الدهليز أيضاً، فاستشاط، وكان حديداً، سفيه اللسان، فشتم وكيله، وقال: ألم أضعف الجرايات، فلم في دهليزي قشور الباقلا؟ فقال: إن الجرايات لما تضاعفت، جعلوا الأول لعيالاتهم في كل يوم، وصاروا يجمعون الثانية عند القصاب، فإذا خرجوا من النوبة ومضوا نهاراً إلى منازلهم، في نوبة استراجاتهم فيها، أخذوا ذلك مجتمعاً من القصاب فتوسعوا به. فقال: فلتكن الجرايات بحالها، ولتتخذ مائدة في كل يوم، تنصب غدوة قبل نصب موائدنا، يطعم عليها هؤلاء، ووالله، لئن وجدت بعدما في دهليزي قشر باقلا، لأضربنك وجميعهم بالمقارع. ففعل ذلك، وكان ما زاد من نفقة الأموال، وأمرًا عظيمًا.

الوزير حامد بن العباس ينجى

أربعمائة ألف دينار في بئر مسراح: حدثني القاضي أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث ابن عيش الجوهري البغدادي، وأبو الحسن بن المأمون الهاشمي: أنه وجد لحامد في نكبته التي قتل فيها، في بئر لمستراح له، أربعمائة ألف دينار عيناً، دل عليها لما اشتدت به المطالبة. وأخبرني غيرهما: أن حامداً كان عمل حجرة، وجعل فيها مستراحاً، وكان يتقدم إلى وكيله أن يتناع له الدنانير، ويجيء بها، فكلما حصل له كيس، أخذه تحت ثيابه، وقام كأنه يول، فدخل ذلك المستراح، فألقى الكيس في البئر، وخرج من غير أن يصب فيها ماء ولا يول، ويوهم الفراش أنه فعل ذلك، فإذا خرج أقفل المستراح، ولم يدخله غيره، على رسم مستراحات السراة التي يختصونها، وإذا أراد الدخول، فتحة له الخادم الموسوم بالوضوء، وذلك الخادم أيضاً لا يعلم السر في ذلك، فلما تكامل ذلك المال، قال: هذا المستراح ضيق البناء، قبيح، فسدوه لأغيره، فسد البئر، وعطل المستراح، فحصل ذلك المال مصوناً في الموضع، لا يعرف خبره غيره.

فلما اشتدت به المطالبة، دل عليه، فأخرج وما ذهب منه شيء ولا عرف خبره إلا من جهته.

مصادرة التاجر ابن الجصاص

في زمن المقتدر زادت على ستة ملايين دينار: وحدثني أبو الحسين بن عياش: أنه سمع جماعة من ثقات الكتاب يقولون: إنهم حصلوا ما ارتفعت به مصادرة أبي عبد الله بن الجصاص في أيام المقتدر، فكانت ستة آلاف ألف دينار، سوى ما قبض من داره، وبعد الذي بقي له من ظاهره.

ابن الجصاص التاجر

يبقى له من بعد المصادرة مليون دينار: سمعت الأمير أبا محمد، جعفر بن ورقاء، بن محمد بن ورقاء الشيباني، يحدث في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، قال: اجتزت بابن الجصاص، بعد إطلاقه إلى داره من المصادرة بأيام، وكانت بيننا مودة ومصاهرة، فرأيتني على روشن داره، على دجلة، في وقت حار، من يوم شديد الحر، وهو حاف حاسر، يعدو من أول الروسن إلى آخره، كالجنون.

فطرح طياري إليه، وصعدت بغير إذن، فلما رأي استحياء، وعدا إلى مجلس له. فقلت له: ويحك ما لك، ما الذي قد أصابك؟.

فدعا بطست وماء، فغسل وجهه ورجليه، ووقع ساعة كالمغشي عليه، ثم قال: أولاً يحق لي أ، أن يذهب عقلي، وقد خرج من يدي كذا، وأخذ مني كذا، وجعل يعدد أمراً عظيماً مما خرج منه، فمتى أطمع في خلفه، ولم لا يذهب عقلي أسفاً عليه؟.

فقلت له: يا هذا إن نهايات الأموال غير مدركة، وإنما يجب أن تعلم أن الفوس لا عوض لها، والعقوا والأديان، فما سلم لك ذلك، فالفضل معك، وإنما يقلق هذا القلق، من يخاف الفقر، والحاجة إلى الناس، أو فقد العادة في مأكول ومشروب وملبوس، وما جرى مجرى ذلك، أو النقصان في جاه، فاصبر، حتى أوافقك أنه ليس ببغداد اليوم، بعد ما خرج منك، أيسر منك من أصحاب الطيالس. فقال: هات.

فقلت: أليس دارك هذه، هي التي كانت قبل مصادرتك، ولك فيها من الفرش والأثاث ما فيه جمال لك، وإن لم تكن في ذلك الكبر المفرط؟.

فقال: بلى.

فقلت: وقد بقي لك عقارك بالكرخ، وقيمتها خمسون ألف دينار.

فقال: بلى.

فقلت: ودار الحرير وقيمتها عشرة آلاف دينار.

قال: بلى.

فقلت: وعقارك باب الطاق، وقيمتها ثلاثون ألف دينار.

فقال: بلى.

قلت: وبستانك الفلاني، وضيعتك الفلانية، وقيمتها كذا وكذا.

فقال: بلى.

فقلت: وما لك بالبصرة وقيمته مائة ألف دينار.

فقال: بلى.

فجعلت أعدد عليه، من عقاراته، وضياعه، إلى أن بلغت قيمة سبعمائة ألف دينار.

فقلت: وأصدقني عما سلك لك من الجوهر والأثاث والقماش والطيب والجواري والعبيد والدواب، وعن قيمة ذلك، وقيمة دارك؟ فأخذ يصدقني، ويقوم، وأحصي، إلى أن بلغت القيمة لذلك، ثلثمائة ألف دينار. فقلت له: يا هذا، من ببغداد اليوم من يحتوي ملكه على ألف ألف دينار؟ وجاهك عند الناس الجاه الأول، وهم يظنون أن الذي بقي لك ضعف هذا، فلم تغنم؟.

قال: فسجد لله، وحمد، وبكى، ثم قال: والله، لقد غلب الفكر علي حتى نسيت جميع هذا أنه لي، وقل في عيني، لإضافتي إياه إلى ما أخذ مني، ولو لم تخبني الساعة، لزاد الفكر علي حتى يطل عقلي، ولكن الله تعالى أنقذني بك، وما عزاني أحد، بأنفع من تعزيتك، وما أكلت منذ ثلاث شيئاً، فأحب أن تقيم عندي، لنأكل ونتحدث ونتفرج.

فقلت: أفعل، فأقمت يومي عنده وأكلنا، وتحدثنا بقية يومنا.

حكاية تدل على دهاء التاجر أبي عبد الله بن الجصاص: وكنت أنا، اجتمعت ببغداد، في سنة نيف وخمسين وثلثمائة، مع أبي علي بن أبي عبد الله بن الجصاص، فرأيت شيخاً طيباً، حسن الخاضرة، فسألته عن الحكايات التي تنتسب إلى أبيه، مثل قوله خلف إمام قد قرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " صدق الله العظيم " ، فقال: إي لعمرى، بدلاً من آمين. ومثل قوله للخاقاني الوزير: أسهرني البارحة صوت الكلاب في الحارة على بابي، كل كلب مثلي ومثل الوزير.

وقوله له، وأراد تقبيل رأسه، فقال: إن فيه دهناً فلا تفعل، فقال: لو كان في رأس الوزير خرا لقبنته. ومثل قوله: قمت البارحة في الظلمة إلى الخلاء فما زلت اتلحظ المقعدة حتى وقعت عليها. ومثل قوله وقد وصف مصفحاً بالعتق، فقال: هو كسروي، وأمثال هذا على كثرتة، وتواتر الرواية له. فقال لي: أما أمر المقعدة، وإي لعمرى، وما كان من هذا الجنس، فكذب، وما كانت فيه سلامة تخرجه إلى هذا، وما كان إلا من أدهى الناس وأخبثهم، ولكنه كان يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما حكي عنه، بسلامة طبع كانت فيه، ولأنه كان يجب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله، ليأمنه الوزراء، لكثرة خلواته بالخلفاء، فيسلم عليهم، وأنا أحدثك عنه بحديث حدثنا به، لتعلم معه إنه كان في غاية الحزم، وإن فاعله لا يجوز عليه مثل ما حكي عنه. فقلت: أحب أن تفعل.

قال: حدثنا أبي قال: إن أبا الحسن بن الفرات، لما ولي بعض وزاراته قصديني قصداً قبيحاً، لشيء كان في نفسه علي، فأنفذ العمال إلى ضياعي، وأمر بقصص معاملاتي، وبسط لسانه بشلي وتنقصي في مجالسه، وأدام

الغض مني إذا دخلت إليه.

فوسطت بيني وبينه جماعة، وبذلت له أشياء توجب صلاح ما بيننا، فما نجعت، وأقام على قصدي، وأنا محتمل، طامع في رجوعه.

فدخلت يوماً داره، فسمعت حاجبه يقول وقد وليت عنه: أي بيت مال يمشي على وجه الأرض؟ ألفا ألف دينار تمشي وليس لها من يأخذها؟ فعلمت أن هذا من كلام صاحبه، وأني منكوب، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار، عيناً وجوهرًا، سوى غيرها مما يحتوي عليه ملكي. فضاقت علي الدنيا، وسهرت ليلتي بأسرها أفكر في أمري معه، فوقع لي الرأي في الثلث الأخير، فركبت في الحال إلى داره، فوجدت الأبواب مغلقة، فطرقتها.

فقال البوابون: من هذا؟.

فقلت: ابن الجصاص.

فقالوا: ليس هذا وقت وصول، والوزير نائم.

فقلت: عرفوا الحجاب أي حضرت لمهم، فعرفوهم، فخرج إلى أحدهم فقال: إنه إلى ساعة ينتبه، فتجلس وتنتظر.

فقلت: الأمر أهم من ذلك، فأنبهه وعرفه عني هذا.

فدخل، فأبطأ ساعة، ثم خرج، فأدخلني من دار إلى أخرى، حتى انتهيت إلى مرقده، وهو على سرير وحواليه نحو خمسين فراشاً لغللمان له، كأنه حفظه وقد قاموا، وبعض الفرش تنقل، وهو جالس في فراشه، مرتاعاً، قد ظن أن حادثة حدثت، أو أي جئته برسالة الخليفة، وهو متوقع لما أورده.

فرفعني، وقال: ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ فقلت: خير، ما حدثت حادثة، ولا معي رسالة، وما جئت إلا في أمر يخص الوزير ويخصني، لم تصلح مفاوضته فيه إلا على خلوة شديدة فسكن، ثم قال لمن حوله: انصرفوا، فمضوا.

وقال: هات.

فقلت: أيها الوزير إنك قد قصدتني أقبح قصد، وشرعت في هلاكي، وإزالة نعمتي، وفي إزالتها خروج نفسي، وليس من النعمة والنفس عوض، ولعمري أي قد أسأت في خدمتك، وقد كان في بعض هذا التقويم بلاغ عندي، وقد جهدت في استصلاحك بكل ما قدرت عليه، ووسطت بيني وبينك فلاناً، وبذلت كذا، قلت كذا، فأبيت إلا الإقامة أذاي، وليس شيء أضعف من السنور، وإذا عاثت في دكان يقال فظفر بها، ولزها إلى الزاوية ليخنقها، وثبت عليه، فخدشت وجهه وبدنه، ومزقت ثيابه، وطلبت الحياة بكل ما يمكنها، وقد وجدت نفسي معك في مثل هذه الصورة، ولست أضعف بطشاً من السنور، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيننا، فإن نزلت تحت حكمي في الصلح، وإلا فعلي وعلي، وحلفت له بأيمان عظيمة، لأقصدن الخليفة الساعة، ولأحولن إليه من خزانتي ألفي ألف دينار عيناً وورقاً، ولا أصبح إلا وهي عنده، وانت تعلم قدرتي عليها، وأقول له: خذ هذا المال، وسلم ابن الفرات إلى فلان، واستوزره، وأذكر له أقرب من يقع في نفسي أنه يجب إلى تقليده، ممن له وجه مقبول، ولسان عذب، وخط حسن، ومخرقة حادة، ولا أعتمد إلا بعض

كتابك، فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً، فيسلمك في الحال لهم، ويراني المتقلد بعين من أخذه وهو صغير، فجعله وزيراً، وغرم عنه هذا المال الكثير، ويعتقد أنني ربه وولي نعمته، فيخدمني، ويتدبر بتديري، في جميع أمره، فأسلمك إليه، فيفرغ عليك العذاب، حتى يأخذ منك الألف دينار بأسرها، وأنت تعلم أن حالك تفي بها، ولكنك نفتقر بعدها، ويرجع إلى المال، ولا يذهب علي منه دائق، وأكون قد أهلكت عدوي، وشفيت غيظي، واسترجعت مالي، وصنت نعمتي، وازداد محلي عظماً بصرف وزير، وتقليد وزير.

فلما سمع هذا أسقط في يده، وقال: يا عدو الله أو تستحل هذا؟
فقلت: لست عدو الله، بل عدو الله من استحل مني ما أحوجني إلى الفكر في مثل هذا، ولم لا أستحل مكروه من يريد هلاكي وزوال نعمتي؟
فقال: أو أيش؟

قلت: أو أن تحلف الساعة بما أستحلفك به من الإيمان المغلظة، أنك تكون لي لا علي، في صغير أمري وكبيره، ولا تنقص لي رسماً، ولا تغير معاملته، ولا تضع مني، وتريد في رفعتي، وذكرني بالجميل، ولا تبغي لي الغوائل، ولا تدسس علي المكاره، ولا تشرع لي في سوء ولا نكبة أبداً، ظاهراً ولا باطناً، وتفعل وتفعل، فاشترطت عليه الأمن من كل ما كنت أخافه منه.

فقال: وتحلف أنت أيضاً بمثل هذه اليمين على جميل النية، وحسن الطاعة والمؤازرة.
فقلت: أفعل.

فقال: لعنك الله فما أنت إلا إبليس، سحرتني والله.
واستدعى دواة، وعملنا نسخة اليمين، فأحلفته بها أولاً، ثم حلفت له.
فلما أردت القيام، قال: يا أبا عبد الله لقد عظمت في نفسي وخففت ثقلاً عني، فو الله ما كان المقتدر يفرق بيني مع كفايتي وغنائتي وموقعي، وبين أحسن كتابي - كما ذكرت - مع المال الحاضر، فليكن ما جرى مطوراً.

فقلت: سبحان الله.
فقال: وإذا كان غداً، فصر إلى المجلس العامي لترى ما أعاملك به.
فنهضت، فقال: يا غلمان، بأسركم بين يدي أبي عبد الله، فخرج بين يدي مائتا غلام، فعدت إلى داري وما طلع الفجر، فاسترحت.

وجئته في وقت المجلس، فرفعتني فوق جميع من كان بحضرته، وقرظني التفريط التام، وعاملني بما علم منه الحاضرون، رجوعه لي، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمال النواحي، بإعزاز وكلائي، وصيانة أسبائي وضياعي وتقديم إلى كتاب الدواوين بإخراج كل ما كانوا أدخلوه إليها من تغيير رسومي، والزيادة علي، وأن أجرى على الرسوم القديمة.

فشكرته، وقمت، فقال: يا غلمان بين يديه، فخرج الحجاب يجرون سيوفهم بين يدي، والناس يشاهدون

ذلك، ويعجبون منه، وقد رجع جاهي، ولم يعلم أحد سبب صلاح بيننا، فما حدثت بذلك إلا بعد القبض عليه.

ثم قال لي أبو علي ابنه: فهل كان هذا فعل ورأي من يليق به ما حكى من تلك الحكايات عنه؟ فقلت: لا.

حكاية تدل على ذكاء التاجر

أبي عبد الله بن الجصاص: حدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بكر داسة، قال: حدثني بعض شيوخنا قال: كنا بحضرة أبي عمر القاضي، فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته، فقال أبو عمر: معاذ الله ما هو كذلك، ولقد كنت عنده أيام مسلماً، وفي صحنه سرادق مضروب، فجلسنا بالقرب منه نتحدث، فإذا بصرير نعل من خلف السرادق فصاح: يا غلام جني بمن مشيت خلف السرادق الساعة، فأخرجت إليه جارية سوداء. فقال: ما كنت تعلمين هاهنا.

قالت: جئت إلى الخادم أعرفه أي قد فرغت من الطبخ، وأستأذن في تقديمه. فقال: انصرفي لشأنك.

فعلمت أنه أراد أن يعرفني أن ذلك الوطاء وطء سوداء مبذلة، وأنها ليست من حرمة ولا ممن يصونه، فيزيل عني أن أظن به مثل ذلك في حرمة، فكيف يكون هذا مغفلاً؟. مروءة التاجر ابن الجصاص واتساع حاله: حدثني أبو العباس هبة الله بن المنجم، أن جده حدثه: أنه لما قبض المقتدر على ابن الجصاص، أنفذ إلى داره من يحصي ما فيها ويحمله. فقال لي الذي كتب الإحصاء: إن وجدنا له في جملة قماشه سبعمائة مزملة خيازر، فما ظنك بمروءة وقماش يكون هذا في جملة؟.

ثلاثون جاماً في تركة يأنس الموقفي ثمنها ثلاثة ملايين دينار: كنت بحضرة الوزير أبي الحسن بن محمد بن هارون المهلب رحمه الله ببغداد وقد دخل إليه أبو إسحق القراريطي بعد وروده من مصر وأبو القاسم الجهني حاضر.

فقال له: يا سيدي تسل أبا إسحق عن الحكاية التي كتبت حكيته لك في أمر الجاهات البجاذي؟ فإني كنت ذكرت لك أنه كان حاضراً لأمرها وما علمت أنه قدم من مصر فأواطئه. فقال له أبو محمد: ما بك إلى هذا حاجة.

فقال: بلى يا سيدي، ثم التفت إلى القراريطي، فقال: إني حكيت لسيدنا الوزير أن المقتدر أنفذني أيام تغلدي له الموارث لقبض تركه فلان، فذكر أميراً جليلاً، قد أنسيت اسمه على الحقيقة، وأظنه قال: يأنس الموقفي، وأنفذك مستظهِراً بك لتحصي التركة، وإنما كانت هائلة عظيمة، وإنا وجدنا فيها ثلاثين جامة بجاذي، كل جامة فتحتها شبر وكسر، في غلف من لب الخيازر، مبطنة بالحرير والديباج، مضربة بالنبات، محلاة بالذهب، فأثبتناها، وحملناها إلى المقتدر، فهاهنا حسنها، وأحضر ابن الجصاص، وأمره بتقويمها، فقال: ما أعرف لها قيمة، ولا رأيت مثلاً قط، ولولا أنني شاهدتها، لكذبت بوجود مثلها، ولو قلت إن قيمة كل واحدة مائة ألف دينار، ما خشيت البعد.

وإني لما حدثت سيدنا الوزير أيده الله، بهذا الحديث، كذبتني جماعة من ندمائه، وكنت أنت يا سيدي بمصر، فإن رأيت أن تقيم الآن لي الشهادة.
فقال القراريطي: قد صدق - أيد الله الوزير - أبو القاسم، أنا رأيت هذه الجامات، وقبضتها للمقتدر من هذه التركة وسمعت ابن الجصاص يقول هذا، وقد نشي أبو القاسم شيئاً جرى لم يذكره.
فقال أبو محمد: ما هو؟.

فقال: سألنا خازن الرجل عن هذه الجامات وسببها، فقال: لا أعلم من أين وصلت إليه، ولكن كان عنده منها، ثمانون جامة، فأهدى إلى جماعة من الملوك منها وبقي هذه البقية.
فاستطرف أبو محمد المهلب الحكاية واستحسنها.

مروءة الوزير حامد بن العباس

ومكارم أخلاقه: حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن علي بن يحيى ابن أبي منصور المنجم، قال: حدثني جدي، قال: وقعت امرأة لحامد بن العباس على الطريق، فشكت إليه الفقر، وطلبت منه البر، ورفعت إليه قصة كانت معها، فلما جلس، وقع لها بمائتي دينار.
فأنكر الجهمذ دفع هذا القدر إلى مثلها، فراجع.
فقال لحامد: والله ما كان في نفسي أن أهب لها إلا مائتي درهم، ولكن الله أجرى لها على يدي مائتي دينار، فلا أرجع في ذلك، أعطتها، فدفع إليها.
فلما كان بعد أيام رفع إليه رجل قصة يذكر فيها: إن امرأتي وإياي كنا فقيرين، فرفعت امرأتي قصة إلى الوزير، فذهب لها مائتي دينار، فاستطالت بها علي، وتريد الآن إعنائي لأطلقها، فإن رأى الوزير أن يوقع لي إلى من يكفها عني، فعل.
قال: فضحك حامد، ووقع له بمائتي دينار، وقال: أعطوه إياها، وقولوا له: قد صار الآن مالك مثل ماها، فهي لا تطالبك بالطلاق فقبضها الرجل وانصرف غنياً.

الوزير علي بن عيسى

وصاحب ديوان السواد: حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباري التنوخي المعروف والله بأبي بكر الأزرق، قال: كان أبو عيسى أخو أبي صخرة جارنا ببغداد، وكان عظيم الحال، كثير المال، تام الجاه، شيخاً من شيوخ الكتاب، قد تقلد كبار الأعمال، وخلف إسماعيل بن بلبل قديماً على الوزارة، فلما ولي محمد بن عبيد الله الخاقاني الوزارة قلد ديوان السواد، فلما صرف بأبي الحسن علي ابن عيسى وورد أبو الحسن من اليمن والشام، لما كان نفي إليه عقيب قصة ابن المعتز، وتقلد الوزارة، لم يره أهلاً لديوان السواد، ولأن صنعته لم تكن بالتامة التي تفي بهذا الديون، ولم يمكنه صرفه لمكانه كانت له في الدار، فكان يقصده بالغض في المجالس، ولا يرفعه الرفة التي يستحقها صاحب ديوان السواد، وإذا أراد

عمالاً من الديوان أو خراجاً أو حساباً وقع إلى كتاب الديوان، استدعاهم، وخاطبهم وهو حاضر، لا يكلمه في ذلك، فيغض منه بهذا، الغض الشديد، فإذا أراد عملاً يعلم أن صناعة أبي عيسى لا تقى به وأنه لا يمكنه الكلام عليه، خاطبه فيه على رؤوس الأشهاد، لبيان نقصة ويفتضح، وإذا أراد مهماً أحضر كتاب الديوان فخاطبهم فيه، ليكون ذلك نهاية الغض منه.

فلما طال ذلك على أبي عيسى، جلس عنده يوماً حتى لم يبق في مجلسه غيره، وغير إبراهيم بن عيسى أخي الوزير.

فقال له علي بن عيسى: هل من حاجة؟ فقال: نعم، إذا خلا مجلس الوزير.

قال: فأخبرت عن إبراهيم إنه قال: لما سمعت هذا قمت وانصرفت فلما كان من الغد جئت إلى أخي، فوجدت أبا عيسى في صدر المجلس، حيث يستحق الديوان أن يكون وهو يأمر، وينهي، وينبسط، ويتكلم، والخطاب معه في الأعمال دون الكتاب، وقد صار في السماء.

فدعني نفسي إلى مسألة الوزير عن ذلك، فجلست إلى أن لم يبق في مجلسه غيري، فقال: شيء تقوله يا بني؟ فقلت: شيء من الفضول أريد أن أسأل الوزير عنه.

فقال: إن كان فضولاً فلا تسأل عنه.

قال: قلت لا بد.

فقال: هات.

قلت: استخلاك أمس أبو عيسى فأخلىته، ثم رأيت اليوم تعامله بضد ما كنت تعمله قبل هذا، فما سبب ذلك؟

فقال: نعم، إنه خاطبني بخطاب عظم به في عيني، وكبر به في نفسي، وعلمت صدقه فيه، فرجعت له، قال لي، وقد خلا بي: أيها الوزير، أنا رجل شيخ من شيوخ الكتاب، عارف بمقدار ما أحسنه من صناعة الكتابة، وتقصيري فيها عن الغاية، وليس يخفي علي ما يعاملني به الوزير من الغض والهتك والتعريض للفضيحة في الصناعة، ومحاطبة الكتاب في الديوان إذا أراد مهماً، ومحاطبي إذا نزل معضل، ويجب أن يعلم الوزير أيده الله، أن حالي، ومالي، وباطني، أكثر مما يقع له، ويعرفه من ظاهري على كثرته، وأني ما أتصرف طلباً للفائدة، ولا خوفاً من الفقر، وإنما أريد الزيادة في الجاه، واتصال نفوذ الأمر والنهي، وقد عشت طول هذه السنين، أمراً، ناهياً، مستوراً في صناعتي، ما تعرض لي أحد من الوزراء، ولا تعرضت لهم، وسلمت عليهم، وسلموا علي، ومهما عمله الوزير في من الغض فليس يمكنه أن يزيل من نفوس الخاصة والعامة، أني خلفت إسماعيل بن بلبل على الوزارة، وتقلدت كذا وكذا، وأخذ يعدد كبار الأعمال التي وليها، وأن مثل هذا لا يناط بعاجز، ولا أن يستخرج من النفوس عظم محلي فيها، مع سعة الحال، وكثرة الضياع والمال، ولا يمكنه في طمس محلي أكثر مما قد عمله، وأنا بين أمور، إما توصلت إلى إزالة ذلك عني بما لعله يتقبل على الوزير، وآثرت صفاء نيته فاستعفيت من العمل، ولزمت بيتي، فلم أكن فيه خاملاً ولا ساقطاً ثم حصلت حيث اختار، من الكون في جملة أولياء الوزير أو أعدائه، فإما أعفاني مما يستعمله معي، وردني الخبر إلى العادة التي

يستحقها من نصب في مثل منصبي، أو أعفاني من العمل لألزم بيتي.
فقلت له: يا أبا عيسى، لن ترى بعد هذا شيئاً تنكره، ولن أكون لك إلا على أفضل محبتك، فبكر إلى ليين
لك مصداق ذلك.
فلما جاءني اليوم، عاملته بما رأيته.

حكايات عن وقار الوزير علي بن عيسى وزماته

ويشبه قول علي بن عيسى لأخيه: إن كان فضولاً فلا تسل عنه، ما كان يبلغنا عنه من الزماتة الشديدة،
والوقار العظيم، ومطالبة نفسه باحتشام الخلق، واستعمال ذلك مع أهله وولده.
حدثني أبو الحسن بن الأزرق، قال: بلغني عن بعض أكابر ولده أنه دخل إليه في آخر عمره، وهو متسلق،
فلما رأى ابنه جلس منتصباً.
وأخبرني أبي رحمه الله، وأبو الحسين بن عياش: أنهما كانا يشاهدان كانا أبا الحسن في آخر الأوقات في
الجالس الحافلة، يجلس عند باب مفتوح، وبين البابين مسورة يستند إليها، وعلى الباب ستر قد أرخي حتى
بلغ الأرض وغطى المسورة، وصار حجاباً بين الناس وبينها، وهو ملتزم بالستر احتشاماً للناس أن يستند
بمحضرهم، وما زال الناس على هذا.

حكاية عن ترمت القاضي

أبي جعفر بن البهلول: حدثني أبو الحسن بن أبي طالب بن أبي جعفر بن البهلول، قال: كنت وأنا صبي،
أجيء، وألعب، بمحضرة جدي، فيصبح علي.
قال: ما دخلت إليه قط، وهو مكشوف الرأس، إلا أخذ القلنسوة من خلف مسورته، ولبسها، وجلس
متزماً علي وسني إذ ذاك عشر سنين، أو حوالها، إلى أن أنصرف، فأراه إذا بعدت، وقد وضعها عن رأسه.

بين الوزير علي بن عيسى

والوزير أبي علي بن مقله: ويشبه فعل أبي الحسين علي بن عيسى بأبي عيسى أخي صخرة، ما أخبرني به
الثقة، قال: أخبرني جماعة من الكتاب، أنه بلغه أن المقتدر قد عمد على صرفه بأبي علي بن مقله، وكان
يخلفه إذ ذاك على عدة دواوين، فاستدعاه، وطالبه بأعمال يعملها له من الدواوين، فوعده بإحضارها.
فلما كان بعد أيام، خاطبه بمحضرة الناس يريد الغض منه، فقال له: طلبت منك أعمالاً فما أحضرتها، وأنا
أعلم تعنرها عليك، فإن كان الأمر كذلك، فأفصح عن نفسك.
فقال ابن مقله: قد أحضرتها، ووضعها بين يديه.

فأخذ يقرؤه، ويعجب مشايخ الكتاب الحضور من خطائه فيها، ويوافق على ضعف صناعته، ويفضحه في
موضع يخرج به، ويقول له في عرض الخطاب: هذه حياكة: ليست كتابة، ويضرب على عمل عمل، ويرسم

في أضعافه، كيف يجب أن يعمل، والكتاب الحاضرون يعجبون من حسن ما يورده أبو الحسن، وضعف ما أورده أبو علي، إلى أن ضرب على جميع أعمال، ثم قال له: قم فاعملها على هذا، وحررها، وجني بها، فقام أبو علي يجر رجله.

فلما ولي عن حضرة أبي الحسن، قال: إن أمراً عجز عنه علي بن محمد بن الفرات، ونحن فيه مرتكبون، تقوم به أنت؟ لشيء عجيب.

قال: فلما كان في اليوم الرابع أو الخامس من هذا الحديث، قبض على علي بن عيسى، وسلم إلى أبي علي، وقلد الوزارة، فاعتمد الغض من أبي الحسن، فما قدر على ذلك بأكثر من المكاره، والمخاطبة له في وجهه بما يرتفع عنه أرباب المروءات.

فمن ذلك، إن هذا المخبر أخبرني، قال: حدثني أبو أحمد الشيرازي الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر قال: كنت بحضرة أبي علي بن مقله يوماً في وزارته وقد دخل عليه علي بن عيسى فجلس بين يديه، وكان أبو عبد الله العلوي الموسوي حاضراً، وأبو علي الحسن بن هارون.

فقال أبو علي بن مقله للحسن بن هارون: اكتب رقعة عن أبي عبد الله يصف فيها اختلال ضيعته، ويسأل فيها الاحتساب له بمظلمة، وإطلاق معونة له.

ففعل الحسن بن هارون ذلك في الحال، وعرض الرقعة، فوقع بإخراج الحال، وأنفذ إلى الكاتب بأن أخرج الحال مصداقاً لما في الرقعة.

ففعل ذلك .

فوقع تحت إخراج الحال بإطلاق عشرين كراً حطة وعشرين كراً شعيراً معونة له، والاحتساب بما ذكر مبلغه في المظلمة، وقال لأبي علي الحسن ابن هارون: سلمه إلى أبي عبد الله.

قال، فاستحسن الحاضرون كرمه في ذلك على رجل علوي، وأخذ أبو الحسن علي بن عيسى يشكر له ذلك ويصوبه له.

فقال له مجيباً: فلم تفعل مثل هذا يا أبا الحسن في وزارتك؟.

قال، فنهض أبو الحسن، وقال: ستودع الله الوزير، ولم يجب بحرف واحد.

ترمت الوزير علي بن عيسى وتحشنه

ومن زماته أبي الحسن علي بن عيسى وتحشنه، أنه كان يجب أن يبين فضله في هذا على كل أحد، أخبرني به غير واحد: إن أبا عمر القاضي دخل يوماً في بعض وزاراته، وعلى أبي عمر قميص ديبقي سشتري فاخر، فأراد الحسن أن يخلجه فقال له: يا أبا عمر بكم اشتريت شقة هذا القميص؟.

فقال: بمائتي دينار.

فقال أبو الحسن: ولكني اشتريت لي هذه الشقة التي قطعت منها هذه الدراعة وهذا القميص الذي تحتها بعشرين ديناراً.

فقال له أبو عمر مسرعاً كأنه قد أعد له الجواب: الوزير أعزه الله يجمل الثياب، ولا يحتاج إلى المبالغة فيها، ونحن نتجمل بالثياب، فنحتاج إلى المبالغة فيها لأننا نلبس العوام، ومن نحتاج إلى التفخيم عليه، وإقامة الهيبة في نفسه بها، والوزير أيده الله يخدمه الخواص، أكثر من خدمة العوام، ونعلم أنه يدع هذا عن قدرة. قال: فكأنما ألقم أبا الحسن حجراً، وسكت عنه.

الوزير علي بن عيسى يفرض

على ملك الروم أن يحسن معاملة الأسارى المسلمين: حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، قال حدثني مكرم ابن بكران، عن أبي يحيى بن مكرم القاضي، قال: كنت خصيصاً بأبي الحسن علي بن عيسى، وربما شاورني في شيء من أمره، قال: دخلت عليه يوماً وهو مغموماً جداً، فقلدت أنه بلغه عن المقتدر أمر كرهه، فقلت هل حدث شيء؟ وأومأ مات إلى الخليفة.

فقال: ليس غمي من هذا الجنس، ولكن مما هو أشد منه.

فقلت: إن جاز أن أقف عليه فلعلي أقول فيه شيئاً.

فقال: نعم، كتب إلى عاملنا بالثغر، أن أسارى المسلمين في بلد الروم، كانوا على رفق وصيانة إلى أن ولي آنفاً، ملك الروم، حدثان، فعسفا الأسارى، وأجاعهم، وأعرباهم، وعاقبهم، وطالباهم بالتنصر، وأنهم في جهد جهيد، وبلاء شديد، وليس هذا مما لي فيه حيلة، لأنه أمر لا يبلغه سلطاننا، والخليفة لا يطاوعني، فكنت أنفق الأموال، وأجتهد، وأجهز الجيوش حتى تطرق القسطنطينية.

فقلت أيها الوزير، هاهنا رأي أسهل مما وقع لك، يزول به هذا.

فقال: قل يا مبارك.

فقلت: إن بانطاكية عظيماً للنصارى يقال له البطرك، وبيت المقدس آخر يقال له القاثليق، وأمرهما ينفذ على ملك الروم، حتى أنهما ربما حرما الملك فيحرم عندهم، ويحلاونه فيحل.

وعند الروم أنه من خالف منهم هذين فقد كفر، وأنه لا يتم جلوس الملك ببلد الروم إلا برأي هذين، وأن يكون الملك قد دخل إلى بيعتهما، وتقرب بهما، والبلدان في سلطاننا، والرجلان في ذمتنا، فيأمر الوزير بأن يكتب إلى عاملي البلدين بإحضارهما، وتعريفهما ما يجري على الأسارى، وإن هذا خارج الملك، وإنهما إن لم يزيلا هذا، لم يطالب بجريته غيرهما، وينظر ما يكون من الجواب.

قال: فاستدعي كاتباً، وأملى عليه كتابين في ذلك، وأنفذهما في الحال، وقال: سرى عني قليلاً، وافترقنا.

فلما كان بعد شهرين وأيام، وقد أنسيت الحديث، جاءني فراق من جهته يطلبني، فركبت وأنا مشغول القلب بمعرفة السبب في ذلك، حتى وصلت إليه، فوجدته مسروراً، فحين رأيته قال: يا هذا، أحسن الله جزاءك عن نفسك ودينك وعني.

فقلت: ما الخبر؟

قال: كان رأيك في أمر الأسارى أبرك رأي وأصح، وهذا رسول العامل قد ورد بالخبر، وأومأ إلى رجل

كان بحضرته، وقال له: خبرنا بما جرى.

فقال الرجل: أنفذي العامل مع رسول البطرك والقائليق، برسالتهم إلى قسطنطينية وكتبنا إلى ملكيهما: إنكما قد خرجتما عن ملة المسيح بما فعلتماه بالأسارى وليس لكما ذلك، فإنه حرام عليكما، ومخالف لما أمرنا به المسيح من كذا وكذا، وعددا أشياء في دينهما، فإما زلتما عن هذا واستأنفتما الإحسان إلى الأسارى، وتركتما مطالبتهما بالتصبر، وإلا لعناكما على هذين الكرسيين وحرمناكما. قال: فمضيت مع الرسول، فلما صرنا بقسطنطينية، حجيت عن الملكين أياماً، وخلياً بالرسول، ثم استدعيتني إليهما، فسلمت عليهما، فقال لي ترجماهما: يقول لك الملكان، إن الذي بلغ ملك العرب من فعلنا بالأسارى، كذب وتشنيع، وقد أذنا في إدخالك دار البلاط لتشهد أساراكم، فترى أحوالهم بخلاف ما بلغكم، وتسمع من شكرهم لنا، ضد ما اتصل بكم. قال: ثم حملت إلى دار البلاط فرأيت الأسارى، وكأن وجوههم قد أخرجت من القبور، تشهد بالضر الشديد والجهد الجهد وما كانوا فيه من العذاب إلى حين قدومنا إلا أنهم مرفهون في ذلك الوقت، وتأملت ثيابهم، فإذا جميعها جدد، فعلمت أنني منعت من الوصول تلك الأيام حتى غير زي الأسارى وأصلح أمرهم. وقال لي الأسرى: نحن للملكين شاكرين، فعل الله بهما صنع، وأومأوا إلي: إن الأمر كان كما بلغكم، ولكنه خفف عنا، وأحسن إلينا، بعد حصولك هاهنا. وقالوا لي كيف عرفت حالنا؟ ومن تنبه علينا، وأنفذك بسببنا؟.

فقلت لهم: ولي الوزارة علي بن عيسى فبلغه ذلك، فأنفذ من بغداد، وفعل كذا وكذا. قال: فضجوا بالدعاء إلى الله تعالى للوزير، وسمعت امرأة منهم تقول: مر يا علي بن عيسى لا نسي الله لك هذا الفعل.

قال: فلما سمع ذلك علي بن عيسى أجهش بالبكاء، وسجد حمداً لله سبحانه وتعالى، وتر الرسول، وصرفه. فقلت له: أيها الوزير، أسمعك دائماً تبرم بالوزارة، وتتمنى الإنصراف عنها في خلوتك خوفاً من آثامها، فلو كنت في بيتك، هل كنت تقدر أن تحصل هذا الثواب ولو أنفقت فيه أكثر مالك؟ فلا تفعل، ولا تبرم بهذا الأمر فلعل يمكنك ويجري على يدك أمثال هذا الفعل، فتفوز بثوابه في الآخرة، كما تفردت بشرف الوزارة في الدنيا.

ابن الرزق الله، التاجر البغدادي

يوقف في بلاد الروم أكسية لتدفئة أسارى المسلمين: حدثني أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن داسه البصري، قال: حدثني علي بن إبراهيم بن حمادى القاضي: إن بعض مشايخ العرب أخبره عن رجل المسلمين، أسر، ثم رجع إلى دار الإسلام، قال: لما حملنا إلى بلد الروم مرت بنا شدائد، فحصلنا عدة ليال لا ننام من البرد، وكدنا نتلف، ثم دخلنا قرية، فجاءنا راهب فيها بأكسية وقطف ثقيلة دفية، فغطى جميع الأسارى، كل واحد بواحدة، فعشنا تلك الليلة، فأقمونا في تلك القرية أياماً، فكانت سبيلنا هذه، ثم نقلونا إلى أخرى، فعادت حالنا في العري والبرد إلى الأولى.

فسألنا عن السبب في ذلك، فقالوا: إن رجلاً ببغداد من التجار يقال له ابن رزق الله، صهر ابن أبي عوف، توصل إلى أن حصلت له هذه الأكسية والقطف عند الراهب، بغرامات مال جليل، وسأله أن يعطي بها من يحصل في قريته من أسارى المسلمين، وضمن له أن ينفق على بيعة في بلد الإسلام يزاء هذا في كل سنة شيئاً ما دامت الأكسية محفوظة للأسارى، فالراهب يفعل ذلك في هذه القرية، وما قبلها وما بعدها ليس فيها شيء من هذا.

فأقبلنا ندعو لابن رزق الله كما نفحننا البرد، ولحقنا الشدة، ونحن لا نعرفه.

شخص متعطل زور كتاباً عن لسان

الوزير ابن الفرات، إلى عامل مصر: حدثني أبو الحسين، عبد الله بن أحمد بن عياش القاضي: إن رجلاً دامت عطلته، فرور كتباً عن علي بن محمد بن الفرات، وهو وزير، إلى أبي زنبور عامل مصر، وخرج إليه ولقيه بها.

فأنكرها أبو زنبور، لإفراط التأكيد فيها، وكثرة الدعاء للرجل، وأن محله عنده لم يكن يقتضي ذلك الترتيب، واستراب بالخطاب أيضاً.

فوصل الرجل بصلة يسيرة، وأمر له بجراية، وقال: تأخذها إلى أن أنظر في أمرك.

وأفخذ الكتب في خاص كتبه إلى ابن الفرات، وشرح له الصورة، وكان فيها: إن للرجل حرمة وكيدة بالوزير، وخدمة قديمة.

قال: فوصلت الكتب إلى أبي الحسن بن الفرات، وأصحابه بين يديه فعرفهم الصورة، وعجبهم منها، وقال: ما الرأي في أمر الرجل؟ فقال: بعضهم: تقطع يده لتزويره على الوزير.

وقال بعضهم: يقطع إمامه.

وقال بعضهم: يضرب ويحبس.

وقال بعضهم: يكشف لأبي زنبور أمره، ويتقدم بطرده، ويقتصر به على الحرمان مع بعد الشقة.

فقال ابن الفرات: ما أبعد طباعكم عن الجميل، وأنفرها من الحرية، رجل توسل بنا، وتحمل المشقة إلى مصر، وأمل بجاهنا الغنى، ولعله كان لا يصل إلينا، ولا حرمة له بنا فيأخذ كتبنا، فخفف عنا بأن كتب لنفسه ما قدر أن به صلاحه، ورحل ملتصقاً للرزق، وجعلنا سببه، يكون أحسن أحواله عند أجلكم محضراً الخيبة؟.

ثم ضرب بيده إلى الدواة، وقلب الكتاب المورور، ووقع عليه بخطه: هذا كتابي ولا أعلم لأي سبب أنكرته.

ولا كيف استربت به، كأنك عارف بجميع من خدمنا في النكبة، وأوقات الاستتار، وقديم الأيام، وقد أحطت علماً بجميعهم، فأنكرت أبا فلان هذا - أعزه الله - من بينهم، وحرمة بي أوكد مما في هذا الكتاب، وسببه عندي أقوى مما تظن، فأجزل عطيته، وتابع بره ووفر حظه من التصرف فيما يصلح له، وافعل به واصنع، وأصدر الكتاب في الحال.

فلما كان بعد مدة طويلة، دخل عليه رجل جميل الهيئة، حسن الزي والغلمان، فأقبل يدعوه له، ويبيكي،

ويقبل الأرض بين يديه، وابن الفرات لا يعرفه، ويقول: يا بارك الله عليك - وكانت هذه كلمته - ما لك؟.

فقال له: أنا صاحب الكتاب المروى إلى أبي زبور، الذي حققه تفضل الوزير، فعل الله به وصنع.

قال: فضحك ابن الفرات، وقال: فيكم وصلك؟.

قال: وصل إلي من ماله، قسطه لي، ويتصرف صرفي فيه، عشرون ألف دينار.

قال ابن الفرات: الحمد لله، الزمنا، فإننا ننفعل بأضعافها.

قال: فلزمه وفاتشه، فوجده كاتباً، فاستخدمه، وأكسبه مالاً عظيماً، وصار ذلك سبباً لحرمة الرجل به.

أبو عمر القاضي يعامل بالجميل

رجلاً زور عنه رقعة بطلب التصرف: حدثني أبو أحمد بن أبي الورد شيخ من أبناء القضاة لقيته سنة تسع

وأربعين وثلاثمائة ببغداد، قال حدثني أبي وكان خصيصاً بأبي عمر القاضي.

إن رجلاً زور عنه رقعة إلى أبي القاسم ابن الحواري، يسأله تصريفه وكانت بينهما مودة.

وصار الرجل بالرقعة إلى أبي القاسم، فأخذت منه وحجب، فجلس يتوقع الجواب.

فاتفق أن جاء القاضي أبو عمر وأنا معه ليسلم على ابن الحواري، ودخلنا، فوجد القاضي الرقعة بحضرته

مشبهة بخطه، فوجم لذلك، وتشوف لمعرفة الخبر، وكان فيه من الوقار والرصانة والفضل المشهور الذي

ضرب به المثل، ما لم يتبين لابن الحواري معه ذلك عليه، وفطنت أنا للربي بأخلاقه.

وحانت لابن الحواري التفاتة، فرأى الرقعة في يده، فقال: أيها القاضي الساعة وصلت، وأنا أفعل ما التمسه

في معنى الرجل.

فشكره أبو عمر، وخاطبه بما أوهمه فيه إنها رقعته، من غير أن يطلق ذلك، وكان أفعل الناس لهذا، وأقدرهم

على أن يتكلم دائماً في الأمور بما يحتمل معنيين، ويحتاج إلى تفسير للمقصد، توقيهاً منه، ودهاء.

وقال أبو عمر: فليطلب الرجل، إن كان حاضراً ويدخل، فطلبوه وأدخلوه، وقد امتنع لونه.

فقال له ابن الحواري: أنت الموصل لرقعة القاضي أعزه الله؟.

فقال: نعم.

فقال له أبو عمر: إنه أعزه الله قد وعد بتصريفك والإحسان إليك فالزمه.

قال: وتحدثنا ساعة، ونهض أبو عمر، وقال لي سرّاً: جنني به.

فتأخرت وونسته، وحملته إليه، فدخلت عليه به وهو خال ينتظرنا وحده.

فقال له: ويلك، أتور على خطي، وأنا حاكم، وخطي ينفذ في الأموال والفروج والدماء؟ ما كان يؤمنك

أن أعرفاً بالقاسم أمرك فتصير نكالا.

فبكى الرجل وقال: والله، أيها القاضي، ما حملني على ذلك إلا عدم القوت، وشدة الفقر، وأني وثقت

بكرمك ففعلت ذلك، إذ كان غير متصل بحكم ولا شهادة، وقدرت أيضاً أن ذلك ينستر عنك، وأنفع أنا

من حيث لا يضرك.

فقال له أبو عمر: الله إن الفقر حملك على هذا؟ فقال: إي والله، فبكى أبو عمر، وسار خادماً له، فغاب الخادم قليلاً، ثم جاء بصرة فيها مائة دينار، ومنديل فيه دست ثياب، فسلمه إلى الرجل. فقال له أبو عمر: اتسع بهذا، والبس هذا، والزم أبا القاسم فإني أؤكد عليه أمرك، واحلف لي أن لا تزور على خطي أبداً.

فحلف له الرجل على ذلك وانصرف. فلما كان بعد شهور جاءنا مسلماً على أبي عمر بمركوب حسن وثياب فاخرة، فأخذ يشكر أبا عمر ويدعو له، وهو لا يعرفه، وقد ذكرته أنا.

فقال له أبو عمر: يا هذا على أي شيء تشكرني؟ فقال: أنا صاحب الرقعة إلى أبي القاسم ابن الحواري، الذي وصلني القاضي بماله، وأحياني بجاهه، وقد صرفني أبو القاسم طول هذه المدة، فبلغت حالي إلى هذا، وأنا أدعو الله للقاضي أبداً. فقال أبو عمر: الحمد لله على حسن التوفيق.

أراد أن يزور على رجل مرتعش اليد

حدثني أبو الحسين بن عيش القاضي، قال: رأيت صديقاً لي على بعض زواريق الجسر ببغداد، جالساً في يوم ريح شديد، وهو يكتب. فقلت ويحك في مثل هذا الموضع، ومثل هذا الوقت؟ فقال: أريد أن أزور على رجل مرتعش، ويدي لا تساعدني، فتعمدت الجلوس ها هنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح، فيجيء خطي مرتعشاً، فيشبه خطه.

الوزير ابن مقلة يزور عليه أخوه

حدثني أبو الحسين، قال: حضرت أبا علي بن مقلة، وقد عرضت عليه، وهو وزير، عدة تسبيبات، وتوقيعات، قد زورها عليه أخوه أبو عبد الله، وارتفق عليها، وكان أبو عبد الله حاضراً، فاستقبح أن يفضحه فيها. فلما كثرت عليه، التفت إليه، فقال: يا أبا عبد الله، قد خففت عنا، حتى ثقلت، وخشيناً أن نثقل عليك، فأحب أن تخفف عن نفسك هذا العب. قال: فضحك أبو عبد الله، وقال السمع والطاعة للوزير.

عمران المملكة أسس صلاح الرعية

حدثني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي قال: استتر في دورنا عند أبي، أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، المعروف بابن حنزاية، وكنت حدثاً، فكان يستدعيني دائماً،

ونتحدث، وألعب معه الشطرنج.

فقال لي يوماً، وقد جرى حديث نقصان دخل المقتدر عن خرجه: نظرت، فإذا دخل المملكة كذا وكذا، وخرجها كذا وكذا، وإذا دخل ضياع عمي أبي الحسن، وما قبض معها من ضياعنا، كان في وقت قبضها، كذا وكذا، وهو اليوم الثالث ذلك، ولو مكنت من ضياعها وحدها، لعمرتها، فعاد ارتفاعها إلى ما كان عليه، فوفر ما بين الإرتفاعين يعمر الدنيا كلها، وإنما أملاكنا شقص يسير من الأرض، فكيف لو كان للدنيا من يهتم بعمارة جميعها؟.

قال القاضي أبو الحسن: وما سمعت أعظم من هذا، وذلك قبل تقلد أبي الفتح الوزارة. وكان أبو الحسن، يحفظ مبلغ المال، وأخبرني به، فذهب عني.

الوزير ابن الفرات يحسن خياط

حدثني أبي رضي الله عنه، قال: بلغني أن أبا الحسن بن الفرات، اجتاز وهو متوسط الحال، في بعض الدروب الضيقة راكباً، وبين يديه غلامان، فسأل عليه ميزاب من دار فصيحه آية ونكالاً. فقال لأحد غلماناه: اطلب لي موضعاً أدخله.

فدق على قوم باهم، وكان صاحب الدار خياطاً، فلما رأى شارة أبي الحسن، وهيأته، أعظمه وخدمه، وأدخله وأجلسه، وأخذ ثيابه فدفعها إلى زوجته لتغسلها، وجلس يحادثه، وبادر الغلام الآخر إلى دار أبي الحسن فجاءه بخلعه ثياب قبل أن يفرغ من غسل ذلك القماش، فلبسها، وأمر بترك تلك الثياب على القوم، وانصرف.

وضرب الدهر ضربه، وولي الوزارة الأولية. فاجتاز يوماً راكباً في موكب عظيم، فقام الناس ينظرونه، وقام الخياط، فلما رآه عرفه، فقال لأهل سوقه: إن لي مع هذا الرجل قصة طريفة، وأخبرهم بها. فقالوا له: إنه كريم، ولو قصدته لانتفعت. فلما كان من غد قصده الخياط، فصادف مصيره إلى بابه ركوب ابن الفرات، فدعا له، وقال: لي بالوزير حرمة.

فتأمله ابن الفرات، فعرفه، وتذكر قصته، فأمر بإجلاسها. فلما عاد استحضره وسأله عن خبره، وخبر زوجته، وأولاده. فأخبره ووصف خلة.

فقال له: أيما أحب إليك الجائزة أو الخدمة لنا؟ فقال: بل خدمة الوزير. فأمر بألف دينار، وأن يجعل رئيساً على الخياطين في داره، ففعل به ذلك. فما مضت عليه مديدة حتى صار صاحب عشرات ألوف.

الوزير المهلب يحسن إلى كواز

وقد شاهدت أنا، قريباً من هذا، من الوزير أبي محمد، الحسن بن محمد المهلبى رحمه الله، وذلك: إن أبا محمد عبد الرحمن بن نصر السكري البصري، صاحب البريديين، وتقلد شرطة البصرة دفعات، دعاة في وزارته، فجاء إليه إلى داره في شارع المريد.

فلما أراد الرجوع من داره إلى مسماران - وكان أبو محمد المهلبى رحمه الله، قد نزلها - استقبح الإجتياز بالجامع مع أنه شارب، فعدل في الأزقة إلى سيحان، ليركب منها طيارة.

فلما بلغ حيث تعمل الكيزان، حقنه بوله، فدخل دار قوم صنعاء، فبال، فدعا له صاحب الدار.

فقال له: هذه الدار لك؟ قال: لا، هي بأجرة معي.

قال: كم أجرهما؟ قال: خمسة دراهم في الشهر.

قال: وكم تساوي؟ قال خمسمائة درهم.

قال: وكم رأس مالك في عمل الكيزان؟ قال: مائة درهم.

فدفع إليه في الحال ألف درهم، وقال: اشتر منها الدار، ورد الباقي في رأس مالك، وركب.

من مكارم أخلاق الوزير أبي محمد المهلبى

وكان رحمه الله، من بقايا الكرام، ولقد شاهدت له مجلساً في شهر رمضان، سنة إحدى وخمسين وثلثمائة، كأنه من المجالس البرامكة، ما شهدت مثله قط قبله ولا بعده، وذلك: إن كاتبه على ديوان السواد، أبو الحسن عبد العزيز بن إبراهيم، المعروف بابن حاجب النعمان، سقط من روشن في دار أبي محمد على دجلة، فمات في اليوم الثامن من السقطة.

فجزع عليه أبو محمد، وجاء من غد إلى أولاده، لأفهم كانوا دفنوه عشياً، وكنت معه وحضر، وقد أعدوا له دستاً يجلس فيه، فلما دخل عدل عنه ولم يجلس فيه، فعزاهم بأعذب لسان، وأحسن بيان، ووعدهم الإحسان، وقال: أنا أبوكم، وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه.

ثم قال لابنه الأكبر أبي عبد الله: قد وليتك موضع أهلك، ووردت إليك عمله، ووليت أحمك الحسين، وكان هذا صبيّاً سنه إذ ذاك عشر سنين أو نحوها كنية حضرة ابني أبي الغنائم، وأجريت عليه كذا وكذا - رزقاً كثيراً، وقد ذهب عني - فليلزمه، فإن سنيهما متقاربة، ليعلم بعلمه، وينشأ بنشأته، فيجب حقه عليه.

ثم قال لأبي العلاء صاعد بن ثابت، خليفته على الوزارة: اكتب عهداً لأبي عبد الله، واستدع كل من كان أبو الحسين رحمه الله، مستأجراً منه شيئاً، فخاطبه في تجديد الإجارة للورثة، فإن أكثر نعمته، إنما كانت دخالات وإجازات ومزارعات، وقد انحلت الآن بموته، ومن امتنع فزده من مالي، واسأله، ولا تقنع إلا

بتجديد العقد كيفما جرت الحال.

ثم قال لأبي المكارم بن ورقاء، وكان سلف الميت: إن ذيل أبي الحسن طويل، وقد كنت أعلم إنه يجري على أخواته وأولادهن وأقاربه شيئاً كثيراً في كل شهر، وهؤلاء الآن يهلكون بموته، ولا حصة لهم في إرثه، فقم

إلى ابنه أبي محمد المادرائي - يعني زوجة المتوفى - فعزها عني، واكتب عنها جريدة بأسماء جميع النساء

اللواتي كان أبو الحسن يجري عليهم وعلى غيرهن، من الرجال وضعفاء حاشيته.

وقال لأبي العلاء: إذا جاءك بالجريدة، فأطلقها عاجلاً لشهر، وتقدم بإطلاقها على الإدرار، فبلغت الجريدة ثلاثة آلاف وكسراً في الشهر، وعملت في المجلس وأطلق ما لها وامتل جميع ما رسم به أبو محمد. فلم يبق أحد إلا بكى رقة واستحساناً لذلك.

ولقد رأيت أبا عبد الله محمد بن الحسن الداعي العلوي رحمه الله، ذلك اليوم، وكان حاضراً المجلس، وقد أجهش بالبكاء، وأسرف في شكر أبي محمد، وتفريطه، على قلة كلامه إلا فيما يعنيه، وعلى سوء رأيه - كان - في أبي محمد، ولكن الفضل بمره، فلم يمنعه ما بينهما، أن نطق بالحق.

وقلت أنا، لأبي محمد في ذلك اليوم: لو كان الموت يستطاب في وقت من الأوقات، لطاب لكل ذي ذيل طويل، في أيام سيدنا الوزير أطل الله بقاءه، فإن هذا الفعل، تاريخ الكرم، وغاية تسامي الهمم وبه يتحقق ما يروى عن الأسلاف من الأجواد، والماضين من الكرماء الأفراد، وغير ذلك، مما حضرني في الحال.

ثم نهض أبو محمد رحمه الله، فارتفعت الضجة من النساء، والرجال، وأهل الدار، والشارع، بالدعاء له، والشكر.

الوزير المهلي وأبو عبد الله الأزدي الموصللي

حدثني أبو محمد، يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصللي: إن أبا عبد الله، والده، رحمه الله، توسط بين أبي محمد المهلي، وناصر الدولة، في مال يحمله إلى معز الدولة، من صلح الموصل، فأنفق من المال أربعين ألف درهم، لإضافة لحقته.

وسبب عليه المهلي بالمال كاملاً، وهو لا يعرف الخبر، وكانت بينهما مودة وأنس، فصحح أبو عبد الله الموجود، ودافع بما أنفق.

وجلس يوماً في داره ليحتال العوض ويرده، فجاءته رقعة أبي محمد يدعوه للشرب، فدافع، فركب، فأكلا، وجلسا للشراب.

فقال له أبو علي الأنباري: أرى فيك يا سيدي أبا عبد الله فنوراً، وكانت بينهما مودة، وأبو علي - إذ ذاك - يخلف الوزير أبا محمد على الوزارة وعنده ابنته، فحدثه أبو عبد الله بالحديث، وإن قلبه مشغول، إلى أن يتم له العوض ويرده، وسأله كتمان ذلك.

وتبين المهلي في أبي عبد الله ذلك الفتور، فسأله عنه فوراً عن الصدق وكبرت نفسه عن إخباره بذلك، فأمسك عنه، وقام أبو عبد الله إلى البول، فقال أبو محمد لأبي علي الأنباري: أما ترى فتور أبي عبد الله وهو صديقك، وقد رأيت يسارك، وأطنه قد خرج إليك بسبب كسله، فما هو؟

فحدثه أبو علي بالحديث.

فلما عاد قال أبو محمد: يا أبا عبد الله، أيدك الله، ما أنصفتني في المودة، ولا أنصفت نفسك في السياسة، تهتم بسبب أربعين ألف درهم، أملك إسقاطها عنك، فتكاتني ذلك، حتى كأنها عليك لغريب، أو بحق واجب.

وأخذ أبو عبد الله محمد، ويقطب في وجه أبي علي، ثم أخرج سره.
فقال المهلي، لأبي علي يجب الساعة أن ينفذ إلى الجهذ، أن يكتب له - أيده الله - روزاً بها، وأن تجعل أنت لها وجوهاً في الخرج، وتولد بها نفقات واجبات - كما تعلم - على الأمير معز الدولة، لتسقط عن أبي عبد الله - أيده الله - ولا نغرها نحن.

قال: فاستدعي الجهذ وأخذ روزه، وسلمه إليه.
ثم قال له المهلي: أي شيء ضرك أو ضرني من هذا، سقط عنك هم وثقل، وعني بقضائي بعض حقك، وخرج المال من مال الأمير، عد الآن إلى شربنا.
فما برح ليلته تلك من عنده، وسقط المال عنه.

عطايا الوزير المهلي متواصلة

وقد أخبرني جماعة من ندماء أبي محمد: إنه فرق في ليلة من الليالي عليهم، وعلى جماعة كانوا حضوراً معهم، من مغنين وملهين وغير ذلك، من الدراهم والثياب، ما يبلغ قيمة الجميع خمسة آلاف دينار.
ورأيت أنا، غير مرة، قد وهب للجهمي ولأبي الفرج الأصبهاني خمسة آلاف درهم وأربعة آلاف درهم، ولغيرهما دائماً.

الوزير القاسم بن عبيد الله

يأمر أستاذه بالارتفاق: حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: حدثني أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج، قال: كنت أؤدب القاسم بن عبيد الله، وأقول له: إن بلغك الله مبلغ أهلك، ووليت الوزارة، ماذا تصنع بي؟ فيقول: ما أحببت.

فأقول له: تعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غاية أمنيته، فيقول: نعم.
فما مضت إلا سنون، حتى ولي القاسم الوزارة، وأنا على ملازمتي له، وقد صرت نديمه، فدعني نفسي إلى إذكراره بالوعد، ثم هبته.

فلما كان في اليوم الثالث من وزارته، قال لي: يا أبا إسحق، لم أرك أذكرتني بالنذر؟
فقلت: عولت على رعاية الوزير أيده الله، وأنه لا يحتاج إلى إذكرار لنذر عليه، في أمر خادم واجب الحق.
فقال لي: إنه المعتضد، ولولاه ما تعاظمي دفع ذلك إليك في مكان واحد، ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث، فاسمح لي بأخذه متفرقاً.

فقلت: يا سيدي، أفعل.

فقال: اجلس للناس، وخذ رقاعهم، للحوائج الكبار، واستجعل عليها، ولا تمتنع عن مسألتي شيئاً تخاطب فيه، صحيحاً كان أو محالاً، إلى أن يحصل لك مال النذر.

قال: ففعلت ذلك، وكنت أعرض عليه، كل يوم، رقاعاً، فيوقع فيها لي، وربما قال: كم ضمن لك علي

هذا؟ فأقول: كذا وكذا، فيقول: غبت، هذا يساوي كذا وكذا، ارجع فاستزد، فأرجع القوم، ولا أزال أماكنهم، ويزيدوني حتى أبلغ الحد الذي رسمه لي.
قال: وعرضت عليه شيئاً عظيماً، فحصلت عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها، في مديدة.
فقال لي بعد شهر: يا أبا إسحق، حصل مال النذر؟
فقلت: لا، فسكت.
وظللت أعرض، فيسألني في كل شهر أو نحوه، هل حصل المال؟ فأقول: لا، خوفاً من انقطاع الكسب، إلى أن حصل عندي ضعف ذلك المال.
وسألني يوماً، فاستحييت من الكذب المتصل، فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير.
فقال: فرجت والله عني، فقد كنت مشغول القلب، إلى أن يحصل لك.
قال: ثم أخذ الدواة، فوقع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً، ولم أدر كيف يقع منه.

فلما كان من غد جنته، وجلست على رسمي، فأومأ إلي، أن هات ما معك، يستدعي مني الرقاع على الرسم.

فقلت: ما أخذت رقعة من أحد، لأن النذر قد وقع الوفاء به، ولم أدر كيف أقع من الوزير.
فقال: سبحان الله، أتراني كنت أقطع شيئاً قد صار لك عادة، وعلم به الناس، وصارت لك بمنزلة عندهم وجاه، وغدو ورواح إلى بابك، ولا يعلم سبب إقطاعه، فيظن ذلك لضعف جاهك عندي، أو تغير رتبك؟
أعرض علي على رسمك، وخذ بلا حساب.
فقبلت يده، وباكرته من غد بالرقاع، وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات، وقد تأثلت حالي وكبرت.

الوزير عبيد الله بن سليمان

يبيح جزءاً من مال الدولة لأحد صنائعه: حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: حدثني شيخ من شيوخنا، ذكره هو، وقد غاب عني اسمه، قال: حدثني أبو عبد الله بن أبي عوف، قال: استتر عندي، عبيد الله بن سليمان، فدخلت إليه يوماً، في حجرة كنت أفردتها له من داري، فقام إلي، فقلت له ممزحاً كما جرى علي لساني: يا سيدي اجباً لي هذا، إلى وقت انتفع به فيه.

قال: فلما كان بعد مدة، انتقل من عندي، فما مضت أيام حتى ولي الوزارة.
فقال لي أهلي: لو قصدته، وكانت حالي إذ ذاك صغيرة.
فقلت لهم: لا أفعل، أنا في ستر، وقصدي له الآن كأنه اقتضاء لثمن معروف أسديته إليه، وما أرضى لنفسي بهذا، ولو كان لي عنده خير لا ابتدأني به، فبت ليلتي تلك مفكراً، وكان هذا يوم الخلع.
فلما كان في السحر جاءني فرانقه برقعة بخطه، يعاتبني على تأخري عنه، ويستدعيني.

فصرت إليه، فإذا هو جالس، والخلق عنده، فلما صرت مع دسته، قام إلي قياماً تاماً، وعانقني، وقال لي في أذني: هذا وقت تنتفع فيه بقيامي لك، وجلس، وأجلسني معه على طرف الدست، فقبلت يده، وهنأته ودعوت له.

ومضت ساعة، فإذا قد استدعاه المعتضد، فقام، وأمرني أن لا أبرح. فجلست، وامتدت العيون إلي، وخوطبت في الوقت، بأجل خطاب، وعظمت. ثم عاد عبيد الله ضاحكاً، وأخذ بيدي إلى دار الخلوة، فقال: وبك إن الخليفة الساعة استدعاني بسبيك، وذلك أنه كوتب بخبر قيامي لك في مجلس الوزارة، فلما استدعاني الآن بدأ لينكر علي وقال: تبتذل مجلس الوزارة بالقيام لتاجر؟ ولو كان هذا لصاحب طرف كان محظوراً، أو ولي عهد كان كثيراً، وأخذ يتحاور في ذلك.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لم يذهب عني حق المجلس، وتوفية الرتبة حقها، ولكن لي عنراً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسمعه، ثم ينفذ حكمه في، وأخبرته بخبري معك وقت استتاري عندك، فقال: أما الآن، فقد عذرتك فلا تعاود، فانصرف.

ثم قال لي عبيد الله: يا أبا عبد الله إني قد شهرتك شهرة، إن لم تكن معك مائة ألف دينار معدة للنكبة، هلك، فيجب أن نحصلها لك لهذه الحال فقط، ثم نحصل لك نعمة بعدها، تسعك وعقبك. فقلت: أنا عبد الوزير، وخادمه، ومؤمله.

فقال: هاتم فلاناً الكاتب، فجاء.

فقال: أحضر النجار الساعة، وتقص عليهم في تسعير مائة ألف كر من غلات السلطان بالسواد بما يساوي وعرفني.

فخرج، وعاد بعد ساعة، وقال: قد قررت ذلك معهم.

فقال له: بع على أبي عبد الله، هذه المائة ألف كر، بنقصان دينار واحد مما قررت به السعر مع التجار، وبعه له عليهم بالسعر المقرر معهم، وطالبهم بأن يعجلوا له فضل ما بين السعيرين اليوم، وأخرهم بالثمن إلى أن يتسلموا الغلات، واكتب إلى النواحي بتقبضهم إياها.

قال: ففعل ذلك، قمت عن المجلس، وقد وصل إلى مائة ألف دينار في بعض يوم، وما عملت شيئاً.

ثم قال: اجعل هذه أصلاً لنعمتك، ومعدة للنكبة، ولا يسألك أحد من الخلق شيئاً إلا أخذت رقعته، وواقفته على أجرة لك عليها، وخاطبني.

قال: فكنت أعرض عليه في كل يوم ما يصل إلي فيه ألوف دنانير، وأتوسط الأمور الكبار، وأدأخل في المكاسب الجلييلة، حتى بلغت النعمة إلى هذا الحد.

وكت ربما عرضت عليه رقعة، فيقول لي: كم ضمن لك على هذه؟ فأقول: كذا وكذا.

فيقول: هذا غلط، هذا يساوي كذا وكذا، ارجع فاستزد.

فأقول له: إني أستحي.

فيقول: عرفهم أني لا أقضي لك ذلك إلا بهذا القدر، وأني رسمت لك هذا.
قال: فأرجع، فأستريد ما يقوله، فأزاد.

الوزير عبيد الله بن سليمان

ورقاع إسماعيل القاضي: حدثني أبي رضي الله عنه، قال: سمعت القاضي أبا عمر، يقول: عرض إسماعيل القاضي، وأنا معه، على عبيد الله بن سليمان، رقاعاً في حوائج الناس، فوقع فيها.
فعرض أخرى، وخشي أن يكون قد ثقل عليه، فقال له: إن جاز أن يتطول الوزير أعزه الله بهذا، فوقع له.
فعرض أخرى، وقال: إن أمكن الوزير أن يجيب إلى هذا، فوقع، ثم عرض أخرى، وقال: إن سهل على الوزير أن يفعل ذلك، فوقع له، فعرض أخرى، وقال شيئاً من هذا الجنس.
فقال: له عبيد الله: يا أبا إسحق، كم تقول إن أمكن؟ وإن جاز؟ وإن سهل؟ من قال لك إنه يجلس هذا المجلس، ثم يتعذر عليه فعل شيء على وجه الأرض من الأمور، فقد كذبك، هات رقاعك كلها، في موضع واحد.
قال: فأخرجها إسماعيل من كمه، وطرحها بحضرته، فوقع فيها، وكانت مع ما وقع فيه قبل الكلام نحو ثمانين رقعة.

الوزير ابن مقلة

يتبرم برقاع ذوي الحاجات: حدثني الحسين بن الحسن الوائقي، قال: كنت أرى دائماً، أبا محمد جعفر بن ورقاء، يعرض على أبي علي ابن مقلة، في وزارته، الرقاع الكثيرة، في حوائج الناس، في مجالس حفلة وخلوته، فرجما تجاوز ما يعرضه في يوم، مائة رقعة.
فعرض عليه يوماً، في مجلس خال، شيئاً كثيراً، فضجر أبو علي، وقال له: إلى كم يا أبا محمد؟ فغضب جعفر، وقال: أيد الله الوزير، إن كان فيها شيء لي فخرقه، إنما أنت الدنيا ونحن طرق إليك، وعلى بابك الأرملة، والضعيف، وابن السبيل، والفقير، ومن لا يصل إليك، فإذا سألونا سألناك، فإن صعب هذا عليك، أمرنا الوزير - أيد الله - أن لا يعرض عليه شيئاً، ونعرف الناس ثقل حوائجهم عليه، وضعف جاهنا عنده، ليعذرونا.
فقال له أبو علي: لم أذهب حيث ذهبت يا أبا محمد، وإنما أردت أن تكون هذه الرقاع الكثيرة في مجلسين، أو مجلس يحضر فيه الكتاب فيخففون عني بالتوقيعات فيها، ولو كانت كلها حوائج تخصك لقضيتها، وكان سروري بذلك أعظم، هاها.
قال: فأخذها جميعها، ووقع له فيها بما التمس أرباب الرقاع.
فشكره جعفر، وقبل يده، وانصرف.

الوزير علي بن عيسى

ورقاع أبي بكر الشافعي: حدثني الفضل بن أحمد الحياتي، قال: قال لي أبو بكر الشافعي صاحب علي بن عيسى: لما أفلتتا من مصادرة الحسن بن الفرات، بعد ما جرى علي من مكروهه، ومصادرته، وإيقاعه بي بسبب صحبتي لعلي بن عيسى، وأفضى الأمر إلى أبي الحسن علي بن عيسى، أردت الانتفاع بأمور أتكلم فيها، أخلف بما أخذه منها، بعض ما صودرت عليه، فأخذت رقاعاً كثيرة للناس، وكنت أعرضها على أبي الحسين فيوقع فيها.

فعرضت عليه يوماً شيئاً كثيراً، فضجر مني، فقلت: أيها الوزير، إذا كان حظنا من أعدائك، في أيام نكبتك الصفع، ومنك، في أيام ولايتك، المنع، فمتى - ليت شعري - وقت النفع؟ قال: فضحك، ورقع لي في جميعها، وما تضجر من شيء أعرضه عليه بعد ذلك.

الوزير علي بن عيسى

ومحمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي: حدثني أبو السري، عمر بن محمد القاري، قال: حدثني أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى، قال: قال لي أبي: عرض علي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي، في بعض وزاراتي، رقعة التمس فيها محالاً، وقبل يدي، فعملت على إجابته إليه، وترك الرقعة بحضرتي، أتفكر كيف أعمل ذلك من غير عتب. وعرض لي رأي الركوب، فنهضت. فقبض محمد بن الحسن على يدي، وقال: أنا نفي من العباس إن تركت الوزير يركب، إلا بعد أن يوقع لي في رقعتي، أو يقبل يدي كما قبلت يده. قال: فوقعت له قائماً، وعجبت من سوء أدبه، وعظم وقاحته.

الوزير أبو محمد المهلي

ومحمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي: ولقد شاهدت أبا بكر محمد بن الحسن، هذا، في سنة خمسين وثلاثمائة، وقد تقلبت الأيام به، وبأهل بيته، بحضرة أبي محمد المهلي، وقد كان العيارون ثاروا ببغداد، وأوقعوا فتناً عظيمة، كان أصلها بنو هاشم، وغلقوا الجامع بالمدينة فلم تصل فيه تلك الجمعة. وكان سبب ذلك، عربية وقعت بين رجل عباسي وبين رجل علوي، على نبذ، في خندق طاهر، فقتل العلوي، وثار أهله به، وثار الفتنة ودخلت العامة فيها، وعظم الأمر، حتى أجلس الديلم في الأربع، وكان شيئاً هائلاً.

ولم تسكن الفتنة، فقبض أبو محمد، على أكثر بني العباس، الوجوه والمستورين، والعيارين منهم والذعار، حتى قبض في جملتهم على عدة قضاة وشهود هاشميين وصلحاء، وكان ممن قبض عليه محمد بن الحسن ابن عبد العزيز.

وجلس لهم الوزير أبو محمد، يوماً، لينظرهم، وسامهم أن يسموا له العيارين منهم، والأحداث وحلة

السكاكين، ليقبض عليهم، ويفرج عن الباقيين، وأن يكفل منه أهل الصلاح، ولأهل الطلاح، يأخذون على أيديهم، لتطفأ نائرة الفتنة.

وكان القاضي أبو الحسن، محمد بن صالح الهاشمي، حاضراً، فأخذ يتكلم بكلام سديد، في دفع هذا، وترقيق المهلي، ويرفق به.

فاعترض ابن عبد العزيز الخطاب، وتكلم بكلام فيه حراشة وجفاء وخشونة. فسمعت أبو محمد يقول له: يا ماص كذا وكذا، ما تدع جهلك، والخيوط التي في رأسك، كأني لا أعرفك قديماً وحديثاً، وأعرف حمقك، وحمق أهلك، وتشجيعك لمجلس الوزراء، وشهوتك أن تقول: قال الوزير، فقلت له، وما تظن إلا أن المقتدر على السرير، وأنا أحد وزرائه، ولا تعلم أن صاحب السرير اليوم، هو الأمير معز الدولة الديلمي، يرى أن في سفك دمك قربة إلى الله تعالى، وأن وزنك عنده كوزن الكلب، يا غلمان جروا برجله.

فجرت رجله ونحن حاضرون، فرأيت قلنسوة كانت على رأسه، وقد سقطت. ثم قال: طبقوا عليه زورقاً، وانفوه إلى عمان، فأجلس في الزورق، وحذر. فقبلت الجماعة يده، وراسله الخليفة المطيع لله في أمره، ولم تزل المراسلات، إلى أن عفا عنه، وألزمه بيته، وأخذ خط أهله بجميع ما كانوا امتنعوا منه، مما سامهم إياه، وتلقط خلقاً من أحداث الهاشمين، وغيرهم من العامة، وأهل الذعارة والعصية، فجعلهم في زواريق، وطبقها عليهم، وسمرها، وأنفذها إلى بصنى وبيرود، فحبسهم في حبوس ضيقة هناك، ودور تجري مجرى القلاع، فكانوا فيها إلى أن مات أبو محمد، ومات منهم خلق في الحبس، ثم أطلق بقيتهم، على قتلها، بعد موته بسنين، وزالت الفتنة إلى الآن.

لو سلم من العشق أحد

لسلم منه أبو خازم القاضي: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، كاتب القضاة من بني عبد الواحد بالبصرة، وله شعر جيد حسن، واتساع تام في الأدب، رواية له وحفظ، وكتب مصنفة فيه، قال: حدثني أبو إسحاق الزجاج، قال: كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله يشرب، وهو وزير، فغنت بدعة جارية عريب.

أدل فأكرم به من مدل ... ومن ظالم لدمي مستحل

إذا ما تعزز قابله ... بذل وذلك جهد المقل

فأدت فيه صنعة حسنة، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً، واستحسن الصنعة والشعر، وأفرط في وصف الشعر.

فقال بدعة: يا مولاي، إن لهذا الشعر خبراً أحسن منه.

قال: ما هو؟ قالت: هو لأبي خازم القاضي.

قال: فعجبنا من ذلك، مع شدة تقشف أبي خازم، وبغضه وورعه، وتقبضه.

فقال لي الوزير: يا الله يا أبا إسحاق، بكر إلى أبي خازم، وسله عن هذا الشعر وسببه.

فباكرته، وجلست حتى خلا وجهه، ولم يبق إلا رجل بزي القضاة عليه قلنسوة، فقلت له: شيء أقوله على

خلوة.

فقال: قل، فليس هذا ممن أكنتم.

فقصصت عليه الخبر، وسألته عن الشعر والسبب.

فتبسّم، وقال: هذا شيء كان في الحادثة، قلته في والدته هذا - وأوماً إلى القاضي الجالس، فإذا هو ابنه - وكنت إليها مائلاً، وكانت لي مملوكة، ولقلمي مالكة، أما الآن فلا عهد لي بمثله منذ سنين، وما عملت شعراً منذ دهر طويل، وأنا أستغفر الله مما مضى.

قام: فوجم الفتى، وخجل، حتى ارفض عرقاً.

وعدت إلى القاسم فأخبرته، فضحك من خجل الابن، وقال: لو سلم من العشق أحد، لكان أبو خازم مع بغضه.

وكنا نتعاود ذلك زماناً.

علوي يفتخر بنفسه

أنشدني أبو إسحاق، إبراهيم بن علي النصيبي المتكلم، وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر البيغاء وغيرهما، قالوا: أنشدنا أبو عبد الله ابن الأبيض العلوي بالشام، لنفسه:
وانا ابن معتلج البطاح تضميني ... كالدر في أصداف بحر زاخر
ينشق عني ركنها وحطيمها ... كالجفن يفتح عن سواد الناظر
كجبالها شرفي ومثل سهولها ... خلفي ومثل طبائهن مجاوري
وذكر أبو الحسن السلامي: إن أبا الحسن الرامي مر على علي بن خلف القطان البغدادي، وأنشده هذه الأبيات لنفسه.

ابن قناش الجوهرى يصف دجلة

أنشدني أبو جعفر بن عبيد الله الطائي البغدادي، المعروف بابن قناش الجوهرى لنفسه:
أنا ظام فاسقنيها ... إنني حلف اختيال
ما ترى دجلة كالس ... احب أذيال الدلال
وهي تتهي بقصور ... عن يمين وشمال
وبماء قد حكى المد ... به ظهر غزال

في هجاء مغن طنبوري

أنشدني أبو الحسن، محمد بن عبد الواحد، في ابن طرخان المغنى الطنبوري، لنفسه، وله اتساع في الأدب تام:

قل لابن طرخان أما تستحي ... تقرن تطفيلك بالبس
يا أخرج الناس من إيقاعه ... وأدخل الناس إلى الناس
وقال:

يا من يصيح بحلق ما له طبقه ... ولا يوافق زيراً لأن أو خرقة
فارقت بينك والإيقاع في قرن ... فأنت أطفل من كلب على مرقة
فإن دعيت ففي الأحيان عن غلط ... وإن حظيت بشيء فهو من صدقه.

للكاتب بشر بن هارون

في هجاء أحد خلفاء القضاة ببغداد: أنشدني أبو نصر بشر بن هارون، الكاتب النصراني البغدادي، لنفسه،
في أبي رفاعه بن كامل، أحد خلفاء القضاة ببغداد، على بعض سوادها:
قضى شعري على القاضي بحكم ... أجب إليه مصفوعاً مذالاً
ولو لم يستجب لنتفت منه ... سبالاً إن وجدت له سبالاً
ونف سباله شيء محال ... لأن الحلق صيره محالاً.

بشر بن هارون الكاتب

يشكو من رئيسين صرف أحدهما بالآخر: وأنشدني لنفسه في شعبان سنة تسع وخمسين وثلثمائة، في رئيسين
سرف أحدهما بالآخر، وإنما كتبتهما إذ ذاك، لأنهما كانا حينئذ قد روهما في أبي الفضل الشيرازي لما صرف
عن الوزارة بأبي الفرج بن فسانجس:
مضى من كان يعطينا قليلاً ... ووافى من يشح على القليل
وأحسب أن سيملكنا مكد ... متى اطرء القياس على الدليل
فقل للفاطمي لقد تمادت ... أناتك في الحلول وفي الرحيل
فحث السير عل الله يهدي ... شفاء منك للبلد العليل.

أبو نصر البنص

في مجلس سيف الدولة، يعلل سبب تسميته بالبنص: أخبرني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش، إنه كان
بحضرة سيف الدولة، وقد كان من ندمائه، قال: كان يحضر معنا أبو نصر البنص، وكان هذا رجلاً من أهل
نيسابور، أقام ببغداد قطعة من أيام المقتدر، وبعدها إلى أيام الراضي، وكان من أصحابنا في المذهبين، يعني في
الفقه مذهب أبي حنيفة، وفي الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد، وكان مشهوراً بالطيبة، والخلاعة، وخفة
الروح، وحسن المحاضرة، مع عفة وستر، وتقلد الحكم في علة نواح بالشام.
فقل له يوماً بحضرة سيف الدولة، لم لقت بالبنص؟ قال: ما هذا لقب، إنما هو اشتقاق من كني، كما إنما

لو أردنا أن نشق من أبي علي مثل هذا، وأوماً إلى ابن البازيار، لقلنا ألبعل، ولو اشتقنا من أبي الحسن مثل هذا، وأوماً إلى سيف الدولة، لقلنا ألبحسن. فضحك منه، ولم ينكر عليه.

أبو نصر البص

في مجلس أبي بكر بن دريد: وخبرني ببغداد مجلس أبي بكر بن دريد، وأبو نصر هذا يقرأ عليه قصيدته التي أولها:

أماطت لثاماً عن أفاحي الدماث ... بمثل أساريع الحقوف العناث
إلى أن بلغ إلى قوله:

أنسوا ضباً بجانب كدية ... أحاطو على حافتها بالرباث

فقطع القراءة، وقال: يا أبا بكر، أعزك الله، ما الرباث؟ قال ابن دريد: العرب تسمي الحراب العراض الحدائد، رباث.

فقال له البص: أخطأت يا أبا بكر أعزك الله.

فعجبنا من جزأته على تخطئة أبي بكر في العلم، وتشوفنا إلى ما يجري.

فقال له أبو بكر، وكان وطيء الخلق: فما هي يا أبا نصر، أعزك الله؟ قال: جمع ربيثاء، هذه التي تقدم في السكرجات.

وعاد يقرئنا في القصيد، محتدداً، فضحكنا منه.

أبو نصر البص

وصاحب الشرطة: حدثني أبو حامد أحمد بن بشر بن عامر الخراساني، القاضي الفقيه، قال: قال لي أبو نصر البص هذا: كنت في بعض المدن، وأنا غريب، فنزلت في خان، فكان يختلف إلي أحداث ورجال، أقرئهم الفقه في غرفتي، وإذا انقضى الدرس، لعبنا ومزحنا.

فظن أهل الخان، أن اجتماعهم عندي، مع ما يسمعون من المزح، لفساد، فاستعدوا علي إلى صاحب الشرطة، وقالوا إنني قواد.

فأحضرت، فلما وقفت بين يديه، رأيت على رأسه غلاماً أمرد حسن الوجه قائماً، فأنعظت من شهوته، فقال لي الوالي: أنت قواد؟ قال: وكنت بلا سراويل، فكشفت عن أيري، وقلت: هذا، أصلحك الله، أبو قواد؟ فضحك، وقال: لا، وفرق القوم عني، وأخذني لعشرته، فكنت أختلف إليه، مدة كوني في البلد، وأعاشره.

بين الأمير معز الدولة

وزيره أبي جعفر الصيمري: حدثني أبو حامد القاضي، قال: كنت قائماً بين يدي معز الدولة، فقال لأبي جعفر الصيمري وزيره، بالفارسية: يا أبا جعفر، أريد الساعة خمسمائة ألف دينار، لمهم لا يجوز تأخير. فقال له الصيمري: أيها الأمير، رد ذلك، فإني أيضاً أريد مثله فقال له: فإذا كنت أنت وزيري، فممن أريد هذا إلا منك؟ فقال له الصيمري: فإذا لم يكن في الدخل فضل لذلك عن الخرج، فمن أين أجيبك به؟ قال: فحرد عليه معز الدولة وقال: الساعة والله أحبسك في الكنيف، حتى تحيء بذلك. فقال: إذا حبستني في الكنيف، خريت لك نقرة بهذا المال؟ فضحك منه، وأمسك عنه.

المدائني يتماجن على شيخ صوفي

حدثني أحمد بن محمد المدائني، قال: وقفت في جامع المدينة ببغداد على حلقة صوفية، يتجاورون على الخطرات والهواجس، ومسائل تشبه الوسواس، لم أفهمها. وخطر لي أن أجن بهم، فقلت: أيها الشيخ المصدر، مسألة. فقال: هات. فقلت: أخبرني إذا كنت شيخاً في معنك، حلساً في ذات نفسك، فأصاب يافوخك تقطيع بعصب خزري على سبيل العلم، وكنت تحت الإرادة، هل يضر أوصافك شيء، مع تعلقك بخيل القدرة، يا بطل؟ قال: فوقع لمن حوله إنها مسألة، وأخذوا يتعاطون الجواب. وفطن الشيخ، فخفت أن يأمرهم بي، فانسللت.

أبو أحمد الحارثي

وصوفي يترنم بالرباعيات: حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي، وعندي صوفي يترنم بشيء من الرباعيات، فلم يستطبه أبو أحمد. فقال له على البديهة: يا أخي لا أقطع حديثك إلا بخير.

الشافعي و غلام الهراس

حدثني الفضل بن أحمد الحياي، قال: قال لي الشافعي، صاحب علي ابن عيسى: علق مرة بلجام مركوبي، غلام هراس، بيده غضارة هريسة ينادي عليها، وشاها إلى أنفي، وقال: جمع اللوز والغنم، ثم نادى يمينه. فقلت أعزك الله، هذا وجهي إلى الوزير، أخبره بهذا الخبر، فإن رأيت أن تطلقني، فعلت.

أبو محمد الواسطي

والمغنية التي يهواها: حدثني أبو أحمد الحارثي، قال: كان عندنا بواسط، رجل متخلف موسر، يقال له: أبو محمد بن أبي أيوب، وكان يعاشرنا بمغنية يهواها، وكان من غنائها، صوت أوله:

إن الخليط أجد منتقله ... ولو شك بين حملت إبله.
وكانت تغني فيه لحناً صعباً حسناً، لا يفهمه أبو محمد لتخلفه، فاقتصره يوماً عليها، فقال: بالله يا ستي غني لي: إني خريت فجئت أنتقله.
فقالت: ويل لي، أنا أغني شيء من هذا؟ ففطنت لما يزيد، فقالت لها: إنه يريد أن تغني له: إن الخليط أجد منتقله.
فقالت له: قطع الله ظهرك، أين ذا من هذا؟ وغنت الصوت.
وكان غنائها: خليلي هيا نصطح بسواد.
فقال لها يوماً: بالله يا ستي، غني: خليلي هيا نصطح بسماد.
فقالت له: إذا عزمت على هذا، فوحذك.
قال: ودخلت إلينا يوماً على غفلة، ونحن نصافعه ويصافعنا بالمخاد، فاستحيا، وسألنا أن ندعه، فتركناه.
فلما، جلسا على الشرب، طلب منها صوتاً له عليها، وهو:
أبني سلاحي لا أبا لك إني ... أرى الحرب لا ترداد إلا تمادياً.
فأعطته مخدة.

أبو الفرج البغاء يمدح سيف الدولة

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخرومي النصيبني الكاتب المعروف بالبغاء، قصيدة له في سيف الدولة، يذكر وقعة كانت له مع بني كلاب، وعفوه عنهم:
إذا استلك الجانون أغمذك الحلم ... وإن كهك الإبقاء أهضك العزم.
وهي حقيقة بأن تورد كلها، ولكني اخترت من شعره، ما يصلح للمكاتبة في الحوادث، أو الأمتثال، أو معنى لم يسبق إليه، فتركت أكثر محاسن شعره، وحسن نظمه، وبلاغته، وعذوبة كلامه، وأكثر إحسانه، موكولاً إلى من ينظر في ديوانه.
ومن هذه القصيدة، مثل:

ومن لم يؤدبه لفرط عتوه ... إذا ما جنى الإنصاف أدهه الظلم.
ومنها:

إذا العرب لم تجز اصطناع ملوكها ... بشكر تعاوت في سياستها العجم
أعدها إلى عادات عفوك محسناً ... كما عودتها قبل آباؤك الشم
فإن ضاق عنها العذر عندك في الذي ... جنته فما ضاق التفضل والحلم.

القاضي أبو بكر بن سيار

وحساب الأصابع: حدثني القاضي أبو بكر بن سيار، قال: ضربوا مثلاً للأنسان فقالوا: ابن عشر سنين، قد دار في أهله، كما دارت هذه على هذه، وأوماً إلى إبهامه وسبابته، وعقد عشرًا. وابن عشرين، قد النصب بين أمري الكسب والعيال، كما انتصبت هذه بين هاتين، وعقد بأصابعه عشرين. وابن ثلاثين، قد استوى، كما استوت هذه على هذه، وعقد ثلاثين بأصابعه. وابن الأربعين، قد قام كما قامت هذه، وعقد بأصابعه. وابن خمسين قد انحنى، كما انحنت هذه، وعقد خمسين بأصابعه. وابن ستين، وعقد هما بأصابعه، قد انحط في عمره وقوته، كما انحطت هذه على هذه. وابن سبعين، قد اضطجع، كما اضطجعت هذه على هذه. وابن ثمانين، وعقد هما، قد احتاج إلى ما يتوكأ عليه، كما توكأت هذه على هذه. وابن تسعين، قد ضاق عمره وأمعأزه، كما ضاقت هذه. وابن مائة، قد انتقل عن الدنيا إلى الأخرى، كما انتقل العقد من اليمين إلى الشمال.

هندي يقتل فيل بجملته من غير سلاح

وحدثني القاضي أبو بكر بن سيار، قال: حدثني شيخ من أهل اليمن، وذكر أن اسمه نعمان، وجدتهم يذكرون ثقته، ومعرفته بأمر البحر، وأنه دخل الهند والصين، قال: كنت ببعض بلدان الهند، وقد خرج على ملكها خارجي، فأنفذ إليه الجيوش، فطلب الأمان، فأمنه، فسار ليدخل، من موضعه، إلى بلد الملك، فلما قرب، أخرج الملك الجيش ليلتقيه، والآلات، وخرجت العامة، تنتظر دخوله، فخرجت معهم. فلما بعدنا في الصحراء، وقف الناس ينتظرون طلوع الرجل، وهو راجل، في عدة الرجال، وعليه ثوب ديباج، ومئزر في وسطه، جرياً على زي القوم، فلقوه بالإكرام، ومشوا به، حتى انتهى إلى أفيلة عظيمة، قد أخرجت للزينة، وعليها الفيلون، وفيها فيل عظيم يختصه الملك لنفسه، ويركبه في بعض الأوقات. فقال له الفيل، لما قرب منه: تنح عن طريق الفيل، فسكت، فأعاد إليه، فسكت. فقال له: يا هذا، احذر على نفسك، وتنح عن طريق فيل الملك. فقال له الخارجي: قل للفيل الملك يتنحى عن طريقي. فغضب الفيل، وأغرى الفيل به، بكلام كلمه، فغضب الفيل وعدا إلى الخارجي، ولف خرطوم، وشاله الفيل شيئاً عظيماً، والناس يرونه، وأنا فيهم، ثم حبط به الأرض، فإذا هو انصب على قدميه فوق الأرض، ولم ينح يده على الخرطوم. فراد غضب الفيل، وشاله أعظم من ذلك، وعدا، ثم رمى به الأرض، فإذا هو قد حصل عليها مستوياً على قدميه، منتصباً، قابضاً على الخرطوم. قال: فشاله الفيل الثالثة، وفعل به مثل ذلك، فحصل على الأرض منتصباً، قابضاً على الخرطوم، وسقط الفيل ميتاً، لأن قبضه على الخرطوم تلك المدة، منعه من النفس، فقتله. قال: فوكل به، وحمل إلى الملك، وحدث بالصورة، فأمر بقتله.

فاجتمع القحاب - بهذا اللفظ - وهم النساء الفواجر، يفعلن ذلك بالهند ظاهراً، عند البد، تقرباً إليه عندهم، بلا اجتماع، وهم العدول هناك، يشهدون في الحقوق، ويقمن الشهادة، فيقطع بها حاكمهم. ويشاورون في الأمور، وفي الآراء، وعندهن، إهن ببنهن نفوسهن عند البد، بغير اجتماع، قد صرن في حكم الزهاد، والعباد.

قال: فقالت القحاب للملك، يجب أن تستبقي مثل هذا، لا تقتله فإن فيه جمالاً للمملكة، ويقال: إن للملك خادماً، قتل فيلاً بقوة وحيلته، ومن غير سلاح. فعفا عنه الملك واستبقاه.

ملك الهند

يحاور الحكماء من رعيته: حدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار، قال: حدثني شيخ من أهل التيز ومكران، لقيته بعمان، ووجدتهم يذكرون ثقته، ومعرفته بأمر البحر، وحدثني القاضي، قال: حدثني هذا الشيخ: إن رجلاً بالهند من أهلها حدثه: أن خارجياً، خرج في بعض السنين، على ملك من ملوكهم، فأحسن التدبير، وكان الملك معجباً برأيه، مستبدّاً به فأنفذ إليه جيشاً، فكسره الخارجي، فزحف إليه بنفسه.

فقال له وزراؤه: لا تفعل، فإن الخوارج تضعف بتكرير الجيوش عليها، والملك لا يجب أن يغرر بنفسه، بل يطاول الخارجي، فإنه لا مادة له يقاوم بها جيشاً بعد جيش، إذا توالى عليه جيوش الملك. فلم يقبل، وخرج بنفسه، فواقعه، فقتله الخارجي، وملك داره ومملكته، فأحسن السيرة، وسلك سبيل الملوك.

فلما طال أمره، وعز ذكره، وقوي سلطانه، جمع حكماء الهند، من سائر أعماله، وأطراف بلدانه، وكتب إلى عماله أن يجتاز أهل كل بلد، مائة منهم، من عقلائهم وحكمائهم، فينفذوهم إليه، ففعلوا. فلما حصلوا ببابه، أمرهم باختيار عشرة منهم، فاختاروا، فأوصل العشرة، وأوصل من أهل دار المملكة عشرة، وقال لهم: يجب على العاقل، أن ينظر عيوب نفسه فيزيلها، فهل ترون في عيباً، أو في سلطاني نقصاً؟ فقالوا: لا، إلا شيئاً واحداً، إن أمنتنا قلناه.

قال: أنتم آمنون.

قالوا: نرى كل شيء لك جديداً، يعرضون إنه لا عرق له في الملك.

فقال: فما حال ملككم الذي كان قبلي؟ قالوا: كان ابن ملك.

قال: فأبوه؟ قالوا: ابن ملك.

قال: فأبوه؟ إلى أن عدد عشرة أو أكثر، وهم يقولون، ابن ملك، فانتهى إلى الأخير.

فقالوا: كان متغلباً.

قال: فأنا ذلك الملك الأخير، وإن طالت أيامي، مع إحساني السيرة، بقي هذا الملك بعدي، في ولدي وولد ولدي، فصار لأولاد أولادهم من العرق في الملك، مثل ما كان لملككم الذي كان من قبلي.

فسجدوا له، وكذا عادتهم إذا استحسنوا شيئاً، ولزمتهم حجة، وانصرفوا، فإزداد بذلك الملك توطداً له. قلت أنا للقاضي: هذا شيء قد سبقت العرب إليه في كلمتين، استغني بهما عن هذا المثل الطويل العجبي. فقال: ما هما؟ قلت: روت العرب أن رجلين تفاخرا، فقال أحدهما لصاحبه: نسبي مني ابتداءً، ونسبك إليك انتهى.

الصيمري وزير معز الدولة

يرفق بأحد المصادرين: حدثني أبو القاسم أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الأصبهاني، قال: حضرت الصيمري، في وزارته لمعز الدولة، وقد أحضر رجلاً مصادراً، وقد قرر أمره على مال. فقال له: أعطني كفيلاً، وأخرج فصيح المال. فقال: لا كفيل لي أوثق من إحسانك إلي أيها الأستاذ. فرق له، وخفف مصادرته، وأحسن إليه.

مهاترة بين بصري وسيرافي

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن بكر، قال: حدثني أبو بكر سعيد بن هارون الطيب، وكان أبوه سيرافياً وجيهاً في بلده وغيرهما، موسراً، قال: خاصم أبي رجل من أهل البصرة، فقال له الرجل: تكلمني وأنت قطعة سيرافي؟ فقال له سعيد: أنا نجار في بلدي، وأنت عار في بلدك.

الوزير أبو محمد المهلي

وحد الإقبال والإدبار: حدثني أبو الحسن بن يوسف، قال: حدثني قاضي القضاة أبو محمد عبيد الله بن أحمد، قال: تجارينا بمحضرة أبي محمد المهلي، ذكر الأقبال والإدبار، فقال: ليس الإقبال أكثر من الحركة والتواضع، ولا الإدبار أكثر من الكسل والتكبر.

من شعر أبي الفرج البغاء

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد النصيبني المخزومي الكاتب، المعروف بالبغاء لنفسه قصيدة منها:

جاورت بالحب قلباً لم تذر فكري ... للحب مستمتعاً فيه ولم تدع
يصبو ولكن يكف الحلم صبوته ... وأشرف الحب أدناه من الورع
وبي أمس غرام لو أنست إلى ال ... شكوى ولكن أعد الصبر للجزع
ما بال أهل زمني من تجاهلهم ... بموضعي بين مغبون ومختدع

من لم تزد قومه أفعاله شرفاً ... بالفضل فهو لمعنى غير مخترع
عفت الموارد لما لم أجد ظماً ... في كثرة الماء ما يغني عن الجرع.

لأبي الفرج البغاء

في الأمير سيف الدولة: وأنشدني لنفسه في سيف الدولة رحمه الله أولها:
أفادت بك الأيام فرط تجارب ... كأنك في فرق الزمان مشيب
وكل بعد قرب الحين نحوه ... سلاهبك الجرد الجياد قريب
تباشر أقطار البلاد كأنها ... رياح لها في الخافقين هبوب
وتملاً ما بين عنيراً ... مثاراً بوجه الشمس منه شحوب
وما يدرك العليا إلا مهذب ... يصاب على مقداره ويصيب
فلا تصطف الإخوان قبل اختبارهم ... فما كل خل تصطفيه نجيب.

من مكارم أخلاق

أبي المنذر النعمان بن عبد الله: حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثني وكيل كان لأبي
المنذر النعمان بن عبد الله، قال: كان من عادة النعمان، إذا كان في انسلاخ كل شتوة، أن يعمد إلى جميع ما
استعمله من خز وصوف وفرش وكوانين وآلة الشتاء، فيبيعه في النداء.
ثم ينفذ إلى حبس القاضي، فينظر من حبس بإقراره، دون قيام البينة عليه، ولا حال له، فيؤدي ما عليه من
ثمن تلك الآلات، أو يصالح عنه ويخرجه، إن كان المال ثقيلاً.
ثم يعمد إلى من يبيع ببعاً يسيراً، مثل بقلي ورهراي، ومن رأس ماله دينار، وديناران، وثلاثة، فيعطيه من
عشرة دنابر إلى مائة درهم، وأقل وأكثر، ليزيد في رأس ماله.
ويعمد إلى من يبيع في الأسواق مثل طنجير، وقدر، وقميص خلق، وما يغلب على الظن أن مثله لا يباع إلا
من ضر شديد، وإلى امرأة تبيع غزلها عجوز، فيعطيهما أضعاف ثمنه، ويدعه عليهما.
ويعمل ألواناً من هذا الجنس كثيرة، يأمرني بفعلها، وصرف ثمن تلك الآلات إليها.
فإذا انقضى الصيف عمد إلى ما عنده من دقيقي، وقصب، وحصر، ومزملات، وآلة الصيف، فيفعل به مثل
ذلك.

فإذا جاء الشتاء والصيف ثانية، استجد جميع ما يحتاج إليه.
فلما كثر ذلك علي من فعله، قلت له: يا سيدي، إنك، هوذا، تفقر نفسك، من حيث لا تنفع غيرك، لأنك
تشتري هذه الثياب، والآلات، والفرش، في وقت الحاجة إليها بضعف قيمتها، وتبيعها وقت استغناء كافة
الناس عنها، فتشتري منك بنصف قيمتها، فيخرج منك في ذلك، مال عظيم، فإن أذنت لي، ناديت على
كل ما يباع، فإذا استقرت العطية، وأخذت الدراهم، أخذته لك بزيادة، وعزلته إلى الصيف أو الشتاء،

ودفعت مثل ثمنه، من مالك، إلى هذه الوجوه.

فقال لي: ما أحب هذا، تلك الآلات قد متعني الله بها طول شتائي أو صيفي، وبلغني وقت الغناء عنها، وما أنا على ثقة من أني أعيش إلى وقت الحاجة إليها ثانياً، ولعلي قد عصيت الله عليها، وفيها، فأنا أحب بيع أعيانها؛ وصرف الثمن بعينه، في هذه الوجوه، شكراً لله على تبليغي وقت الاستغناء عنها، وكفارة لما عصيته فيها، ثم إن أحياني الله إلى وقت الحاجة إليها، فليس ذلك بغال، ولا يتعذر شراء مثله، واستجداد خلفه، والتمتع بالجديد.

وفي بيعي إياه رخيصاً، وشراي له غالياً، فائدة أخرى، وهي أن ينتفع الضعفاء من التجار الذين أبتاع ذلك منهم، وأبيعه عليهم، بما فيه من الأرباح علي، ولا يؤثر ذلك في حالي.

من مكارم أخلاق

أبي المنذر النعمان بن عبد الله: أخبرني القاضي، وقال: أخبرني الوكيل: إن النعمان كان يعجبه، إذا قدم إليه لون من طعام طيب، أو حلو عجيب، أن لا يمعن في أكله، ويأمر بدفعه بعينه إلى السؤال. وكان رسمه، أن يفرق في كل يوم، جميع ما يشال من مائدته، ويفضل في مطبخه، عن وظائف غلمانته، فكان يجتمع على بابه، كل يوم، منهم جمع عظيم.

قال: فأكل يوماً عنده صديق له هاشمي، فقدم إليه لون طيب، فما استتم أكله حتى أمر به للسؤال، فشيل. وقدام جدي سمين، فما تهنأوا بأكله حتى أمر به فرفع إلى السؤال، وقدام جام لوزينج معمول بالفسق، وكان يعجب النعمان، ويلزمه على كل جام خمسون درهماً، وخمسة دنانير، واكل، وأكثر، على قدر كبر الجام، فما أكلوا منه إلا يسيراً، حتى قال: ارفعوه إلى السؤال: فقبض الهاشمي على الجام، وقال: يا هذا، أحسب أننا نحن السؤال، ودعنا نتهنأ بأكله، لم تدفع كل ما تشتهييه للسؤال؟ وما للسؤال وهذا؟ لهم في لحم البقر، وعصيدة التمر كفاية، والله لا شلته. فقال: يا سيدي، إن عادي ما تراه.

قال: بنست العادة، لا نصبر لك عليها، تقدم أن يعمل للسؤال إذا كان لا بد لك من ذلك، مثل هذا، ودعنا نحن نتمتع بأكله، أو ادفع إليهم مثل ثمنه.

فقال: أفعل مستأنفاً، وأتقدم بأن يصنع لهم مثله، فأما ثمنه، فإن السائل لا تسمو نفسه، ولا يتسع صدره لعمل مثل هذا، ولو دفع إليه أضعاف ثمنه مراراً، لأنه إذا حصلت عنده الدراهم، وصرفها إلى غير هذا، في أمره المختل الذي هو إلى إصلاحه أحوج، ولا يحسن أيضاً، عمل مثل هذا، وأنا أحب أن يشاركوني في الإلتذاذ بما آكل، يا غلام، تقدم الساعة بعمل جامعة مثل هذه، وتفريقها على السؤال، ففعل ذلك.

وكان بعدها إذا حضر من يحتشمه، أمر بعمل مثل ما يقدم إليه، والصدقة به، ولم يأمر برفع ذلك من حضرته، إلا إذا بشمه الحاضرون.

أبو القاسم بن الحواري

وعظيم بره بأمه: حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: كان يألف أبا القاسم بن الحواري، رجل من أهل عكبرا يخطب بأهلها، وكان ماجناً، خفيف الروح، مليح الحديث والكلام، طيب النشوار والأدب، يكنى بأبي عصمة، وكان يؤاكلة دائماً، ويخص به، وينفق عليه. وكان أبو القاسم، شديد البر بأمه، فكان يتنصص لها بالماء فضلاً عما سواه، ولا يتهنأ بأكل شيء، إلا إذا أكلت منه، وكان من عادته إذا استطاب لونا، أن ينفذه من مائدته إليها. فأكل عنده أبو عصمة هذا، أول يوم، وهو لا يعرف رسمه، فقدم لوزينج طيب، فما شبع منه أبو عصمة حتى أمر به أبو القاسم فرفع إلى والدته. وقلمت مضيرة جيدة، بفراخ مسمنة، ودجاج هندي، ودهن الجوز والخردل، فما أكلوا منها حسباً حتى أمر ابن الحواري، برفعها إلى والدته، فأخذ أبو عصمة رغيفاً، وقام يمشي مع الغضارة. فقال له ابن الحواري: إلى أين يا أبا عصمة؟ قال: إلى الوالدة يا سيدي، آكل معها هذه المضيرة، فإن هذه المائدة خراب، والخصب عندها. فضحك ابن الحواري، وتقدم برد اللون إليه.

أبو عصمة الخطيب وأهل عكبرا

قال، وكان عصمة هذا لي صديقاً، وبني أنساً، فقال لي يوماً: إن أهل عكبرا سفل، وأنا مبتلى بالخطبة بهم، فإذا سعدت المنبر، أومأت إليهم بيدي، إيماء السلام، فيؤذن المؤذن، ويحبسون أي قد سلمت عليهم، وإنما أقول: لحاكم كلكم في استي.

أصل نعمة سليمان الثلاج في بغداد

حدثنا أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب، قال: حدثني ابن سليمان الثلاج قال: قال لي أبي: كان أصل نعمتي من ثمن خمسة أرتال ثلجاً، وذلك أنه عز الثلج في بعض السنين ببغداد، وقل، وكان عندي منه شيء بعته، وبقي منه خمسة أرتال. فاعتلت شاجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وهو إذ ذاك أمير بغداد، فطلبت منه ثلجاً، فلم يوجد إلا عندي.

فجاؤوني، فقالت: ما عندي إلا رطل واحد، ولا أبيعها إلا بخمسة آلاف درهم، وكنت قد عرفت الصورة. فلم يجسر الوكيل على شراء ذلك، ورجع يستأذن عبيد الله، وكانت شاجي بمتزلة روحه، وهي تتصور على الثلج، وتلح في طلبه.

فشتمه عبيد الله، وقال: امض واشتره بأي ثمن كان ولا تراجعني.

فجاءني، فقال: خذ خمسة آلاف درهم، وهات الرطل.

فقلت: لا أبيعك إياه إلا بعشرة آلاف درهم، فلم يجسر على الرجوع للاستئذان، فأعطيني عشرة آلاف درهم، وأخذ الرطل.

وشقت العليلة منه، فتقويت نفسها، وقالت: أريد رطلاً آخر.

فجاءني الوكيل بعشرة آلاف درهم، وقال: هات رطلاً آخر، إن كان عندك، فبعت ذلك عليه.

فلما شربته العليلة، تماثلت، وجلست، وطلبت زيادة، فجأؤوني يلتمسون ذلك.

فقلت: ما بقي عندي إلا رطل واحد، ولا أبيعُه إلا بزيادة، فداراني، وأعطيني عشرة آلاف درهم، وأخذ رطلاً.

وداخلتني رغبة في أن أشرب أنا شيئاً من الثلج، لأقول إني شربت ثلجاً سعر الرطل منه عشرة آلاف درهم. قال: فشربت منه رطلاً.

وجاءني الوكيل قرب السحر، وقال: الله، الله، قد والله صلحت العليلة، وإن شربت شربة أخرى برأت، فإن كان عندك منه شيء، فاحتكم في سعره.

فقلت له: والله، ما عندي إلا رطل واحد، ولا أبيعُه إلا بثلاثين ألفاً. فقال: خذ.

فاستحييت من الله أن أبيع رطل ثلج بثلاثين ألفاً، فقلت: هات عشرين ألفاً، واعلم أنك إن جئتني بعدها بملء الأرض ذهباً، لم نجد عندي شيئاً، فقد فني.

فأعطيني العشرين ألف، وأخذ الرطل.

فلما شربته شاجي، أفاقت، واستدعت الطعام، فأكلت، وتصدق عبيد الله بمال.

ودعاني من غد، فقال: أنت - بعد الله - رددت حياتي بحياة جاريتي، فاحتكم. فقلت: أنا خادم الأمير وعبد.

قال: فاستخدمني في ثلجه وشرابه، وكثير من أمر داره.

فكانت تلك الدراهم التي جاءني جملة، أصل نعمتي، وقويت بما انضاف إليها من الكسب مع عبيد الله، طول أيامي معه.

بغداد في أيام المقتدر

تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد بن صالح بن علي الهاشمي ابن أم شيبان في سنة ستين وثلاثمائة، عظم بغداد، وكثرة أهلها، في أيام المقتدر، وما كان فيها من الأبنية، والشوارع، والدروب، وكبر البلد، وكثرة أهلها، في سائر أنواع الناس.

وذكرت أنا كتاباً رأيته، لرجل يعرف ببزدرج بن مهبندان الكسروي، كان على عهد المقتدر، بحضرة أبي محمد المهلب، كان سلم إلي وإلى جماعة ممن حضر، كراريس منه، لنسخه، ونفذه إلى الأمير ركن الدولة، لأنه التمس كتاباً في وصف بغداد، وإحصاء ما فيها من الحمامات، وإنما كانت عشرة آلاف، ذكر في الكتاب مبلغها وعد من يحتوي عليه من البلد من الناس، والسفن، والملاحين، وما يحتاج إليه في كل يوم

من الحنطة، والشعير، والأقوات، وإنه حصل ما يصل إلى أصحاب المعابر من الملاحين فكان في كل يوم، أربعين ألفاً، أو ثلاثين ألفاً.

وذكر غيري كتاباً ألفه أحمد ابن الطيب، في مثل هذا.

فقال لي القاضي أبو الحسن: أما ذاك، فعظيم لا نعمله، وقد شاهدنا منه ما لا يستعبد معه أن يكون كما أخبر يزدجرد، وأحمد بن الطيب، إلا إننا لن نحصه فنقطع العلم به، ولكن بالأمس، في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، لما ضمن محمد بن أحمد المعروف بترّة، بادوريا، عمرها، وتناهى في ذلك، فأحصينا وحصلنا ما زرع فيها من جربان الخس، في هذه السنة، وقدرنا بكلوذاي وقطربل وقرب بغداد، ما يحمل إليها من الخس على تقريب، فكان الجميع ألفي جريب، ووجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة أبواب، يقلع من كل باب من الأصول، كذا وكذا، ولم أحفظه، يكون للجريب كذا وكذا أصلاً، وسعر الخس إذ ذاك، على أوسط الأسعار كل عشرين خسة بدرهم واحد، فحصل لنا أن ارتفاع الجريب، على أوسط الريع والسعر، ثلاثمائة وخمسون درهماً، قيمتها خمسة وعشرون ديناراً، يكون لألفي جريب، خمسون ألف دينار، وكل ذلك يؤكل ببغداد، فما ظنك ببلد يؤكل فيه في فصل من فصول السنة، صنف واحد من صنوف البقل، بخمسين ألف دينار.

ثم قال لنا القاضي، ولقد أخبرني رجل يبيع سويق الحمص، دون غيره من الأسواق، أسماء وأنسيته، إنه أحصى ما يتخذ في سوقه من سويق الحمص في كل سنة، فكان مبلغه مائة وأربعون كراً، وأنه يخرج في كل سنة منه، حتى لا يبقى منه شيء، فإذا حال الحول، طحنوا مثل ذلك.

هذا وسويق الحمص، غير طيب، وإنما يأكله الضعفاء والمتجملون، شهرين أو ثلاثة من السنة، عند علم الفواكه، وأضعافهم مراراً من الناس، من لا يأكل ذلك أصلاً.

ثم قال: قال لي بعض مشايخ الحضرة: عمارة بغداد، في سنة خمس وأربعين، عشر ما كانت عليه أيام المقتدر، على تحصيل وضبط، يعني في الأبنية والناس.

أحاديث في احتباس الحمل

جرى بحضرة القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي احتباس الحمل، وقول الشافعي ومالك فيه ما قالاه. فحكيت أنا فيه، ما روي من أن محمد بن عجلان، ولد لأربع سنين، وأن أسنانه كانت تطحن.

فقال لي القاضي أبو الحسن: كان لأبي، زوجة من ولد الأشعث بن قيس، كوفيه، فحملت منه أحد عشر شهراً بحساب صحيح ضبطناه وأعلمناه، مع شدة الإستظهار والتحصيل، فيما يجب تحصيله والاستظهار به في مثل ذلك، فولدت بعد أحد عشر شهراً بنتاً، فعاشت البنت سنين، ولها أولاد.

قال: وحدثني أبي عن جدي: إنه شاهد بالكوفة، أربعة إخوة ولدوا في بطن واحد، وعاشوا كلهم، وأسنوا، ومنهم من أعقب.

قال لنا القاضي: إن إسماعيل بن أبي خالد احدث، له ثلاثة إخوة ولدوا في بطن واحد، وكلهم عاشوا وأسنوا.

قد ينال الإنسان باللين

ما لا ينال بالشدة: حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن المنجم، عن أسلافه: إن المأمون نكب عاملاً له، يقال: عمرو بن هنيوي، صهر موسى بن أبي الفرج بن الضحاك، من أهل السواد، موسراً، فأمر محمد ابن يزداد أن يتسلمه إليه، ويعذبه، ويعاقبه، حتى يأخذ خطه بعشرة آلاف ألف درهم، ويستخرجها منه. فسلم عمرو إلى محمد، فأكرمه، وألطفه، وأمر بخدمته وترفيهه، وأفرده في حجرة سرية من داره، وأخدمه فيها من الفرش والعلمان بما يليق به، ولم يكلمه ثلاثة أيام، والمأمون يسأل عن الخبر، فيبلغه ترفيهه له، فيغتاز، ويسأله، فيقول: هو مطالب.

فلما كان في اليوم الرابع، استدعى عمرو محمداً، فدخل إليه.

قال محمد بن يزداد: فقال لي: يا هذا، قد عرفت ما تقدم به إليك الخليفة في أمري، ووالله ما رأيت هذا المال، ولا نصفه، ولا ثلثه قط، ولا يحتوي عليه ملكي، ولعل الخليفة يريد دمي، وقد جعل هذا إليه طريقاً، وقد تفضلت علي لا يسعني معه أن أدخر جهداً في تجميلك عند صاحبك، وقد كتبت تذكرة بجميع ما يحتويه ملكي، ظاهراً وباطناً، وهي هذه، وسلمها إلي، وإذا هي تشتمل على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعلي، وعلي، وحلف بالطلاق والعناق، والإيمان المغلظة، ما تركت لنفسي بعد ذلك، إلا ما علي من كسوة تستر عورتي، وهذا وسعي، وجهدي، فإن رأيت أن تأخذه، وتسأل الخليفة الرضا به مني، فإن فعل فقد خلصني الله بك، ونجاني من القتل على يدك، وإن أبي، فإنه يسلمني إلى عدوي الفضل بن مروان، وهو القتل، ووالله، لا أعطيت على هذا الوجه، درهماً واحداً، ولا كتبت ممن يجيء على الهوان، دون الإكرام، وسألتك، ولا يصل الخليفة إلى حبة من مالي، ولكن المنة لك علي حاصلة، فإن عشت شكرتها، وإن مت فالله مجازيك عني. قال: فأخذت التذكرة، ورحت إلى المأمون.

فقال: ما عملت في أمر عمرو بن هنيوي؟ فقلت: إنه قد بذل ألفي ألف درهم، وليس عنده أكثر من ذلك. فاستشاط، وقال: لا، وكرامة له، ولا أربعة آلاف ألف، ولا ثمانية آلاف ألف.

وقال لي الفضل: ما دمت ترفيهه، وتكرمه، وتجلسه على الدسوت، وتخدمه بنفسك وغلماذك، كيف لا يتقاعد؟ فقلت له: فتسلمه أنت إن شئت.

فقال الخليفة: خذه إليك.

فأخذه، وأرهقه، وطالبه بعشرة آلاف ألف، ودهقه، وضربه، وهو لا ينحل بشيء.

فنزل معه إلى خمسة آلاف ألف، فلم يستجب.

فقنع منه بثلاثة آلاف ألف، فلم يجب.

فلما زاد عليه المكروه، وخاف الفضل أن يتلف في العذاب، فيجب المال عليه في نفسه بإتلافه إياه، رفق به، وداراه، وخلع عليه، ورفهه أياماً.

وقال له: كان محمد بن يزداد بذل عنك ألفي ألف درهم، وقد قنعت بما منك، فهاهما.

فقال: ما ملكتها قط، ولا بذلتها لحمد.

فجاء الفضل إلى المأمون، فاقتص عليه خبره معه، في معاقبته، ومطالبته أولاً، بالكل، واقتصاره ثانياً، وترفيهه له، وإكرامه، وقناعته منه بألفي ألف درهم، وإقامته على الله لا مال له، وإنكاره أن يكون بذل ذلك، وكنت حاضراً.

فانقطع الحبل في يد المأمون، وكاد يهيم بالفضل.

فقلت: يا أمير المؤمنين الرجال لا يكالون، وليس كل أحد يجيء على الهوان، وإن الفضل استخبط رأبي فيما عاملت عمرواً به، فصار إليه، وعامله بمثله حيث لم ينفع ذلك، ولو تركني معه في الأول، لا ستخرجت منه ثلاثة آلاف ألف عفواً، وهذه تذكرة بخط عمرو تحوي على ثلاثة آلاف ألف فأخرجها، وطرحتها بين يديه. وقلت: لو كنت علمت أن أمير المؤمنين يجيئني في ذلك الوقت، إلى ثلاثة آلاف ألف، عنه، لبذلتها، فبذلت ألفي ألف، حتى إن لم يقنع، زدت ألف ألف، والآن فقد فسد هذا، ووالله، لا أعطى عمرو، مع ما جرى عليه، حبة، فإن استحل أمير المؤمنين دمه، فذاك إليه، وإلا فليس إلى استخراج شيء منه سبيل. قال: فاستحيا المأمون، وأطرق مفكراً ملياً، ثم رفع رأسه، وقال: والله لا كان كاتب من كتابي، ولا نبطي من عمالي، أكرم، وأوفى، وأصح تدبيراً مني، قد وهبت لك يا محمد، عمرواً وما عليه، فخذ، واصنع به ما شئت.

فتسلمته من الفضل بن مروان، وأطلقت مكرماً إلى بيته.

الحجاج بن يوسف الثقفي

يأمر بتعذيب آزادمرد: ويشبه هذا الحديث، حديثاً، وجدته بخط القاضي أبي جعفر بن البهلول، ذكر أن محمد بن أحمد الحشمي، أخبر، قال: قال الحجاج بن يوسف، لحمد بن المنتشر: خذ إليك آزادمرد ابن الفرند، فدق يده على رجله، حتى تستخرج منه المال الذي عليه. قال محمد: فاستخرجت منه بالرفق، ثلاثمائة ألف درهم، في جمعة، فلم يرض ذلك الحجاج، فأخذه مني، ودفعه إلى معد، صاحب عذابه، فدق يده، ودهقه، ودق ساقه. فمر به علي، وأنا في السوق، معترضاً على بغل، فقال: يا محمد ادن، فدنوت منه. فقال: إنك وليت مني مثل هذا، فأحسنيت إلي، فأديت ما أديت عفواً، والله لا يؤخذ مني درهم واحداً كرهاً، ولي عند فلان ثلاثون ألفاً، فخذها جزاء لما صنعت. فقلت: وال، لا أخذت منك، وأنت على هذه الحال، شيئاً. قال: أتلري ما سمعت من أهل دينكم، يحكون عن نبيكم؟ قلت: لا.

قال: سمعته يقولون ويحكون عنه، إنه قال: إذا أراد الله بقوم خيراً ولى عليهم خيارهم، وأمطرهم المطر في أوانه، وإذا أراد بقوم سوءاً، ولى عليهم شرارهم، وأمطرهم المطر في غير أوانه، ثم أمر قائد البغل، أن يقوده. فلم أر من مكاني، حتى جاءني رسول الحجاج، وقال: أجب، فمضيت إليه، فوجدته متممراً، والسيف منتضى في حجره.

فقال: ادن.

فقلت: لا والله، لا أدنو وهذا في حرك.

فأضحكه الله، وأغمد السيف، وقال: ما خاطبك به الجوسي؟ قلت: والله، ما غششتك منذ ائتمنتني، ولا كذبتك منذ صدقتني، فقصصت عليه القصة.

فلما أردت أن أذكر الرجل الذي عنده الثلاثون ألف، أعرض، وقال: لا تذكره، أما إن الكافر عالم بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأمير معز الدولة البويهبي

ووزيره أبو محمد المهلبى: كان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه، لما ابتنى قصره بباب الشماسية، والإصطبلات المتصلة بآخره من أحد جرائبه، التي لم يسبق إلى حسننها، وعمل الميدان على دجلة متصلاً بين القصر والبستان الشارع على دجلة، الذي يلازق دار صاعد بن مخلد، الذي كان منزلاً لأبي جعفر محمد بن يحيى بن شیرزاد ثم صيره أبو جعفر الصيمري بستاناً، والجميع الآن داخل في جملة قصر معز الدولة. أول ما بدأ بأن السور المحيط بالقصر والميدان، والمسناة العظيمة التي من حد رقة الشماسية إلى بعض الميدان، وطول ما بناه منها ألف وخمسمائة ذراع، وعرضها نيف وسبعون آجرة كباراً، سوى الدستاهيجات التي تخرج منها إلى داخلها لضبطها.

وكان العمل في ذلك متصلاً، والصناع فيه متفرقين.

وهذا بعد أن كان عمل على بناء مدينة لنفسه، وخرج إلى كلواذى ليتخذها هناك، ثم أراد اتخاذها حيال كلواذى، ثم رحل إلى قطرب، فأراد أن يبنيتها عندها، ثم تقرر رأيه على بناء دار بباب الشماسية، حصينة، يستغني بها عن المدينة، وتخف عليه نفقتها.

وقدر لذلك ألوف ألوف الدراهم، وزادت النفقة على التقدير أضعافاً.

وكان يطالب وزيره أبا محمد المهلبى بتوجيه وجوه الأموال لذلك، مع قصور الدخل عن الخرج، فيلقى منه عنتاً.

ثم كلفه تولي البناء بنفسه وكتابة، فكان، وهم يتولون ذلك.

فسعى بعض أصحاب معز الدولة إليه، أنهم بسنفون البناء في السور، ليتعجل بنفقة خفيفة، ويسرقون الباقي. وأوقفه على موضع منه، كان فيه ساف لبن لم يحكمه الصناع، ومشى عليه بحضرة معز الدولة - لأنه ركب إليه - فانقلعت منه لبنة.

فحمي طبعه، وكان حديداً جداً، سليم الباطن مع ذلك، وإذا أخرج حديثه، وانقضت سورة غضبه، يندم على فعله، ولكن من يقوم على تلك الحدة.

فأحضر المهلبى، وواقفه على ما رآه، فأخذ يحتج عليه.

فحمي، وأمر به، فبطح، وضرب مقارع كثيرة.

ثم قال: اخفوه، فجعل في عنقه حبل، وأمسكه ركايون فوق السور، ليشيلوه، فيخنق.

وبلغ خبره القواد، والأتراك، وخواصه، فبادروا إلى تقبيل الأرض بين يديه، ومسألته الصبح عنه، فأنزله، وأطلقه.

فمضى إلى داره كالميت، وأظهر قلة حفل بذلك، لئلا يشمت أعداؤه، ويطمعوا في صرفه، ويقولون عليه بانكسار إن بان منه، ولئلا يبلغ صاحبه أنه مستوحش من ذلك، فيستوحش منه. وكانت عادته أن يشرب في تلك الليلة النبيذ، ويدعو الغناء، فجمع الندماء، ليري قلة الإكتراث بما جرى عليه.

وعاد إلى داره وقد قرب المساء، فدعا بما يأكله، فأكل، وندماؤه معه، وليس فيه فضل لشدة الألم، وهو يتجلد، ويتحدث.

ثم دعا بنبيذ، فقالوا له: أيها الوزير، لو استرحت، وطرحت نفسك، كان أولى من النبيذ، فليس هذا وقته، وذنبا له في هذا.

فأخذ هو يعزيهم عما جرى عليه، ويسلبهم، وتمثل في كلامه بهذا البيت:

فإن أمير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما صنع الدهر.

ثم شرب أقداحاً، وقام.

أخبرني، من حدثه به، من ندماء أبي محمد، عن مشاهدة.

الأمير معز الدولة وحدة طبعه

وكانت عادة الأمير معز الدولة، إذا حمي جداً، أن يأمر بالقتل، ويكره أن يتم ذلك، ويعجبه أن يسأل العفو. وقد فعل هذا، كثيراً جداً، بخلق من جملة أصحابه.

وأول ما عرف ذلك منه، وأقدم لأجله على مساءلته العفو، إذا أمر بقتل صاحب له، أنه أنكر على رجل بالأهواز، وهو إذ ذاك مقيم بها، وكان الرجل ضراباً يعرف بابن كردم، أهوازي، ضمن منه عمالة دار الضرب بسوق الأهواز، فضرب دنائير رديئة، ولم يعلم بها الأمير بها، فأنفذها إلى البصرة ليشتري بها الدواب، والبريديون إذ ذاك بها، فلم تؤخذ لشدة فسادها، فردت، وعاد الرضاة الذين كان أنفذهم لذلك، فعرفوه الخبر، فحمي، وأحضر ابن كردم هذا، وخاطبه، وازداد طبعه حمياً، إلى أن أمر بأن يخنق على قطرة الهندوان، بالأهواز.

فأخرج من بين يديه، وخنق، ومات، وعاد من كان أمره بذلك، فوقف بحضرته.

فقال له: ما فعل الرجل؟ قال: خنقناه ومات.

فكاد أن يطير غضباً، وشتمه، وشم الحاضرين، وقال: ما كان فيكم من يسألني أن لا أقتله؟ وأخذ ييكي، وكان فيه تخرج من القتل.

فقالوا: ما عملنا، وخنقناك.

فكان بعد ذلك إذا أمر بقتل إنسان، سئل، وروجع، فيعفو.

من مكارم أخلاق الأمير سيف الدولة

أخبرني طلحة بن عبيد الله بن قناش، قال: كنت يوماً في مجلس حديث وأنس، بحضرة سيف الدولة، أنا وجماعة من ندمائه، فأدخل إليه رجل، وخاطبه، ثم أمر بقتله، فقتل في الحال. فالتفت إلينا، وقال: ما هذا الأدب الشيء، وما هذه المعاشرة القبيحة التي نعاشر ونجالس بها؟ كأنكم ما رأيتم الناس، ولا سمعتم أخبار الملوك، ولا عشتهم في الدنيا، ولا تأدبتم بأدب دين ولا مروءة. قال: فتوهمنا أنه قد شاهد من بعضنا حالاً يوجب هذا، فقلنا: كل الأدب إنما يستفاد من مولانا أطل الله بقاءه - وهكذا كان يخاطب في وجهه - وما عملنا ما يوجب هذا، فإن رأى أن ينعم بتوبيهنا، فعل. فقال: أما رأيتموني، وقد أمرت بقتل رجل مسلم لا يجب عليه القتل، وإنما حملتني السطوة والسياسة لهذه الدنيا النكدة، على الأمر به، طمعاً في أن يكون فيكم رجل رشيد فيسألني العفو عنه، فأعفو، وتقوم الهيبة عنده وعند غيره، فأمسكتم حتى أريق دم الرجل، وذهب هدراً. قال: فأخذنا نعتذر إليه، وقلنا: لم نتجاسر على ذلك. فقال: ولا في الدماء؟ ليس هذا بعذر. فقلنا: لا نعاود. واعتذرنا حتى أمسك.

الخليفة المعتضد يعذب شخصاً

حاول الخروج عليه: حدثني أبو الحسن، أحمد بن يوسف الأزرق، قال: حدثني أبي قال: كنت أكتب ليدر اللاتي في أيام الموفق، والمعتضد، وأدخل الدار معه، إليه، فرأيت محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة، وقد جعله كرنادكاً. قال: قتلته له: كيف يفعل ذلك؟ وما كان سببه؟ فقال: إن رجلاً من أولاد الوثاق، كان يسكن مدينة المنصور، سعى في طلب الخلافة، واستوزر شيلمة، فأخذ له البيعة على أكثر أهل الحضرة، من الهاشميين، والقضاة، والقواد، والجيش، وأهل بغداد الأحداث، وأهل العصبية، وقوي أمره، وانتشر خبره، وهم بالظهور في المدينة، والإعتصام بها، والتحصن، حتى إذا أخذ المعتضد، صار إلى دار الخلافة. فبلغ المعتضد الخبر على شرحه، إلا اسم المستخلف. فكبس شيلمة وأخذه، فوجد في داره جرائد بأسماء من بايع، وبلغ الهاشمي الخبر، فهرب. وأمر المعتضد بالجرائد، فأحرقت ظاهراً، لئلا يعلم الجيش بوقوفه عليها فتفسد نياهم له، بما يعتقدون من فساد نيته عليهم. وأخذ يسأل شيلمة عن الخبر، فصدقه عن جميع ما جرى، إلا اسم الرجل الذي يستخلف، فرفق به ليصدقه عنه، فلم يفعل.

وطال الكلام بينهما فتوعده، فقال له: والله، لو جعلتني كردناكاً، ما أخبرتك باسمه.
فقال المعتضد للفراشيين: هاتم أعمده الخيم الكبار الثقال، فجاءوه بها وأمر أن يشد عليها شداً وثيقاً فشده،
وأحضروا فحماً عظيماً، وفرش على الطوابيق بحضرته، وأحجبوا ناراً، وجعل الفراشون يقلبون شيلمة على
تلك النار، وهو مشدود على الأعمدة، إلى أن مات وانشوى.
وأخرج من بين يديه ليدفن، فرأيته على هذه الصورة.
قال: وأمر المعتضد بهدم السور المحيط بالمدينة، فهدم منه شيء يسير، فاجتمع إليه الهاشيون، فقالوا: يا أمير
المؤمنين، فخرنا، وذكرنا، ومأثرنا فأمر بقطع الهدم، وصرف حفظة كانوا عليه متوكلين برعيه، ورخص فيه،
وتركه وأهمله، وخلي بينه وبين الناس.

فمل مضت إلا سنات، حتى هدم الناس أكثره، أولاً فأولاً، ووسعوا به ما يجاروهم من دورهم، واستضافوا
مكانه إليها، حتى إن ذلك اتسع، فجعل وزير المقتدر، على كل دار هذا حكمها، أجرة العرصة بحسب
ذلك، وكان لها ارتفاع كثير.
ثم تبع ذلك بسنين، خراب المدينة، أولاً فأولاً، حتى بلغت إلى ما هي عليه.

بابك الخرمي

وجلده وصبره على العذاب: ومن عجيب أخبار قوة النفس: إن أخل بابك الخرمي، المازيار، قال له لما
أدخل على المعتصم: يا بابك إنك قد عملت ما لم يعمله أحد، فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد.
فقال له: سترى صبري.
فلما صار بحضرة المعتصم، أمر بقطع أيديهما وأرجلهما بحضرته.
فبدىء بابك، فقطعت يمناه، فلما جرى دمها، مسح به وجهه كله، حتى لم يبق من حلية وجهه، وصورة
سحنته، شيء.
فقال المعتصم: سلوه لم فعل هذا؟ فسئل، فقال: قولوا للخليفة، إنك أمرت بقطع أربعتي، وفي نفسك قتلي،
فلا شك أنك لا تكوينها، وتدع دمي ينزف إلى أن تضرب عنقي، فخشيت أن يخرج الدم مني، فتبين في
وجهي صفرة يقدر لأجلها من حضر، أي قد فرغت من الموت، وإنما لذلك، لا من خروج الدم، فغطيت
وجهي بما مسحته عليه من الدم حتى لا تبين الصفرة.
فقال المعتصم: لولا أن أفعاله لا توجب العفو عنه، لكان حقيقاً بالاستبقاء لهذا الفضل، وأمر يامضاء أمره
فيه.

فقطعت أربعته، ثم ضرب عنقه، وجعل لجميع على بطنه، وصب عليه النفط، وضرب بالنار.
وفعل مثل ذلك بأخيه، فما كان فيهما من صاح وتأوه.

عافية الباقلاني وخالد الحذاء

يسيران حافيين على باب حديد محمي: وقد حكى: أن عافية الباقلائي، وخالد الحذاء، رئيسي أصحاب العصبية في زمانهما، بايعا على أن يحمي لهما باب حديد، ويمشيان عليه، ففعلا ذلك. فلما حصلا فوقه، حل أحدهما مئزره، ثم ضرب يده إلى الآخر، وضبطه، وقال: انظري أتوزرهما عطفين، أي انتظر حتى أتزر.

قال: فما فارقه، حتى شد مئزره، وهما فوق الباب المحمي، ثم تم مشيه، حتى خرج منه، وقد غلب بتلك الساعة، وإن لم يكن في الباب الحديد حيلة، أو عادة، مثلما يكون أسفل القدر، كالنار إذا دام الوقود عليها، فيأخذها الإنسان لساعته على راحته، لأن البخار يتصاعد، ثم يدعها قبل أن ينعكس البخار إلى أسفلها.

وقد شاهدت أنا، أبا الأغر بن أبي شهاب التيمي بالبصرة، فعل ذلك، وإلا، فلا أدري ما هو. وقد أخبرني غير واحد، أن القطعة الحديد، إذا أدخلت الكور، وأحميت حتى تبيض بياضاً شديداً، فأخذها الإنسان، فطعها مرتين، أو ثلاثة، قبل أن يرجع فيها الحمي، لم تضر لسانه. وقد شاهدت أنا، أبا الحسن علي بن محمد بن أحمد التوخي، وقد أدخل إلى فيه، غير مرة، شمعة مشعلة فيها رطل، وعض عليها، وكشر شفثيه لي، حتى تبينت اتقاد الشمعة في فيه، ساعة، ثم أخرجها غير مطفئة. وسألته عن علة ذلك، فقال: يحتاج إلى حلق في سرعة الإدخال، حتى لا تحرق الشفتين، فإذا حصلت في داخل الفم، لم تضر، لأن ما يتصاعد من حمي الجوف، يغلب على حماها، فلا تضر.

كيف قتل الخليفة المعتضد

وزيره إسماعيل بن بلبل: ومن طريف عقوبات المعتضد، قنله إسماعيل بن بلبل، حدثني أبي، قال: أخبرني جماعة من أهل الحضرة، يعرفون ويحصلون: إن المعتضد أمر بإسماعيل بن بلبل، فأتخذ له تغار كبير، وملئ إسفيداجاً حياً، وبله، ثم جعل العجل رأس إسماعيل فيه، إلى آخر عنقه، وشيء من صدره، وأمسك حتى جمد الإسفيداج، فلم تزل روحه تخرج بالضراط، إلى أن مات.

الخليفة المعتضد يقتل آخر بسد جميع منافذه

وأخبرني أيضاً رحمه الله: إن المعتضد، أمر برجل فسد بالقطن أنفه، سداً شديداً، وفمه، وعيناه، وأذناه، ومنخراه، وذكره، وسوءته، ثم كفف وترك، فلم يزل ينتفخ، ويزيد، إلى أن طار قحف رأسه ومات.

قرطاس الرومي وكيف عاقبه المعتضد

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب التوخي، قال: قال أبي: كنت مع صاحبي الذي كنت أكتب له، بدر اللاني، في عسكر الموفق، وهو يقاتل صاحب الزنج. فرمى زنجي من أصحاب الخائن، يقال له: قرطاس، الموفق، بسهم، فأصاب ثدوءته، وصاح: خذها مني وأنا

قرطاس، فصارت مثلاً للرماة إلى الآن.

فحمل الموفق صريعاً في حد التلف، ونزع السهم وكان مقطناً، فبقي الزج مكانه، وجمع، وانفخ، وأمد، وأشرف على الموت.

واستخبر بذلك أهل عسكر الخائن، وكانوا يصيحون بنا كل يوم: ملحوه، أي: قد مات الموفق، فاجعلوه مكسوداً.

فأجمع رأي الطب على بطله، فلم يمكنهم الموفق من ذلك.

فقالوا للمعتضد: إنه إن لم يبط، عمل إلى داخل، فأثلفه.

فقال: احتالوا عليه وبطوه، وأنا أمنعكم منه.

فطول أحد الطب، ظفر إبهامه اليمين، وجعل تحته حديدة مبضع، وجاء إلى الموفق، فقال: أيها الأمير، دعني أحبسه، وأنظر كيف هو.

فقال: لعلك تبطله؟ فأراه يده، وقال: كيف أبطله، وليس في يدي حديد، فمكنه منه، فجسه وخرقه بالمبضع من أوله إلى آخره مستعجلاً، فنز الزج وخرج، وتبعته مدة عظيمة وقيح.

ففزع الموفق في حال البط، لحينه على غفلة، فلکم الطيب، فقبله عن مكانه، فلما استراح بما خرج من الموضع، ووجد خفه، خلع على الطيب، وأجازه، وعولج إلى أن برىء.

وجعل أبو العباس وكده طلب قرطاس، وكان إذا رآه في الحرب، طرح نفسه لأخذه، فيحاربه قرطاس أشد حرب، ويقول له بعجمته: يا بلنباس، يريد يا أبا العباس، إن وقعت في يدك، قد مني أوتاراً. قال: فلم يزل المعتضد يجهد نفسه في أمره، حتى أخذه أسيراً، وقد وقعت به جراحات، فجاء به إلى الموفق، فأمر بضرب عنقه.

فقال له المعتضد: قُب لي قتله، حتى أعمل به ما أريد.

فقال: أنت أحق به، فخذ، فأخذه، فقد من أصابعه الخمس أوتاراً.

قال: قُلت لأبي: كيف فعل ذلك؟ فقال: قلع أظفاره، وسلخ جلد أصابع كفه من رؤوسها، إلى أكتافه،

وعبر بها صلبه وكفيه إلى آخر أصابعه الأخرى، وجلد بني آدم غليظ، فخرج له ذلك، فأمر أن تفتل له أوتاراً، ففعل، وصلب بها قرطاس.

من طريف حيل اللصوص - ١

ومن طريف حيل اللصوص، الواقعة في عهدنا، أن أبا القاسم عبيد الله بن محمد الخفاف، حدثني: إنه شاهد لصاً قد أخذ، وتشاهدوا عليه، إنه يفش الأقفال في الدور اللطاف التي يحمن على أنها لعرب. فإذا دخل، حفر في الدار حفرة لطيفة، كأنها بئر النرد، وطرح فيها جوزات، كأن إنساناً كان يلعبه، وأخرج منديلاً فيه مقدار مائتي جوزة، فتركه إلى جانبها، ثم دار فكور كل ما في الدار، مما يطبق حمله. فإن لم يفطن به أحد، خرج من الدار، وحمل ذلك كله.

وإن جاء صاحب الدار، ترك عليه قماشه، وطلب المفاlette والخروج.
فإن كان صاحب الدار جلدًا، فوائبه ومنعه، وهم بأخذه وصاح: اللصوص، واجتمع الجيران، أقبل عليه، وقال: ما أبرذك، أنا أقامرك بالجوز منذ شهور وقد أفقرتني، وأخذت مني كل ما أملكه، وأهلكني ما صحت، ولا فضحتك بين جيرانك، أنت لما قمرتك الآن قماشك، أخذت تدعي علي اللصوصية؟ يا غث، يا بارد، بيني وبينك دار القمر، الموضع الذي تعارفنا فيه، قل بحذائهم، وبحذاء هؤلاء الحاضرين، قد ضعيت حتى أدع عليك قماشك.
فكلما قال الرجل: هذا لص، فيقول الجيران: إنما يريد أن لا يفضح نفسه بالقمار، فقد ادعى عليه اللصوصية، ولا يشكون أنه مقامر، وأن الرجل صادق، ويخلصون بينهما، ثم يأخذ الجوز وينصرف، ويفتضح الرجل بين جيرانه.

من طريف حيل اللصوص - ٢

وأخبرني أيضاً: إنه شاهد آخر، كان يدخل الدار الآهلة نهاراً، ويعتمد التي فيها النساء، ورجالهم خارجون. فإن تمت له الحيلة، وأخذ منها شيئاً، انصرف.
وإن فطن له، وجاء صاحب الدار، أوهمه أنه صديق زوجته، وإنه بعض من غلمان القواد، ويقول له: استر علي هذا عند صاحبي، وعلى نفسك، ويتزيا بالأقبية، يوهم الرجل أنه لا يمكنه رفعه إلى السلطان في الزنا، إن اختار فضيحة نفسه.
وكلما ادعى عليه اللصوصية، صاح بهذا الحديث، فيجتمع الجيران، فيشيرون على الرجل بالستر على نفسه.

وكلما أنكر ذلك، قالوا: هذا محبة بزوجه، ويخلصون اللص من يده، حتى ربما أجبروه على صرفه.
وكلما جمحت المرأة، وحلفت، وبكت، وأقسمت إنه لص، كان ذلك ادعى لهم إلى تخليته.
فيتخلص، ويعود الرجل، ويطلق زوجته، ويفارق أم ولده، فأخرب غير منزل، وأفقر آخرين، بهذا.
إلى أن دخل داراً فيها عجوز، لها أكثر من تسعين سنة، ولم يعلم، وأدركه رب البيت، فأخذ يوهمه ذلك، فقال: يا كشيخان ليس في الدار إلا أمي، ولها تسعون سنة، وهي منذ أكثر من خمسين سنة، قائمة الليل، سائمة النهار، طول الدهر، أفترأها هي عشقتك، أم أنت عشقتها؟ وضرب فكيه.

واجتمع الجيران، فقال اللص ذلك، فكذبوه، لما يعرفون به المرأة من الدين والصلاح، فضرب، وأقر الصورة فحمل إلى السلطان.

القصري غلام الحلاج

كان يصبر على الجوع خمسة عشر يوماً: حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: بلغني أن الحسين بن منصور الحلاج كان لا يأكل شيئاً شهراً أو نحو شهر، على تحصيل ورصد.

قال: فهالني هذا، وكانت بيني وبين أبي الفرج بن روحان الصوفي مودة، وكان صالحاً من أصحاب الحديث، ديناً، وكان القصري، غلام الحلاج، زوج أخته، فسألته عن ذلك.
فقال: أما ما كان الحلاج يفعله، فلا أعلم كيف كان يتم له، ولكن صهري القصري غلامه، قد أخذ نفسه سنين، بقلّة الزاد، ودرجها على ذلك، حتى تمكن بعد مدة، أن يصبر عن الأكل خمسة عشر يوماً، ونحو ذلك، أقل أو أكثر.

وكان يتم له ذلك بحيلة كانت تخفي علي، فلما حبس في جملة الحلاجية، كشفها لي، وقال: إن الرصد، إذا وقع بالإنسان شديداً، وطال فلم تنكشف معه حيلة، ضعف عنه الرصد ثم لا يزال يضعف، كلما لم تنكشف حيلته، حتى يبطل أصلاً، فيتمكن حينئذ، من فعل ما يريد.
وقد رصدني هؤلاء منذ خمسة عشر يوماً، فما رأوني أكل شيئاً بته، وهذا نهاية صبري عن فقد الغذاء، وإن لم أكل بعده يوم، تلفت، فخذ رطلاً من الزبيب الخراساني، ورطلاً من اللوز السمين.
ودقهما، واجعلهما مثل الكسب وأصلحهما صفيحة رقيقة، فإذا جتني غداً، فاجعلها بين ورقتين من دفتر، وخذ الدفتر في يدك مكشوفاً، مطوياً في كهك طياً مدوراً من غير انتشار، ليخفى ما فيه، فإذا خلوت بي، ولم تر من يلاحظني، فاجعل ذلك تحت ذيلي، وانصرف، فإني أكله سراً، وأشرب الماء إذا تضرعت للظهور، فيكفيني خمسة عشر يوماً أخرى، إلى أن تجيئني ثانياً، على هذا السبيل.
ومتى رصدني هؤلاء في هذه الخمسة عشر يوماً الثانية، لم يجدوني أكل شيئاً على الحقيقة، إلى أن تعود أنت بعد هذه المدة بالقوت، فأغفلهم في أكله أيضاً، فيقوم بي.
قال: فكنت أعمل ذلك معه، طول حبسه.

ما اشترطه أبو سهل بن نوبخت

لكي يؤمن بدعوة الحلاج: حدثني أبو الحسن بن الأزرق، قال: لما قدم الحلاج بغداد يدعو، استغوى كثيراً من الناس، والرؤساء، وكان طمعه في الرافضة أقوى، لدخوله من طريقهم.
فراسل أبا سهل بن نوبخت، ليستغويه، وكان أبو سهل من بينهم مثقفاً، فهماً، فطناً.
فقال أبو سهل لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها، قد تأتي فيها الحيل، ولكن أنا رجل غزل، ولا لذة لي أكثر من النساء وخلوتي بهن، وأنا مبتلي بالصلع، حتى إنني أطول شعر قحفي، وأجذبه إلى جيني، وأشده بالعمامة، وأحتاله فيه بحيل، ومبتلي بالخصاب، لستر المشيب.
فإن جعل لي شعراً، ورد لحيتي سوداء بلا خضاب، أمنت بما يدعوني إليه، كائناً ما كان، إن شاء قلت إنه باب الإمام، وإن شاء الإمام، وإن شاء قلت إنه النبي، وإن شاء قلت إنه الله تعالى.
قال: فلما سمع الحلاج جوابه أيس منه، وكف عنه.
وقال لي أبو الحسن: وكان الحلاج، يدعو كل قوم إلى شيء من هذه الأشياء التي ذكرها أبو سهل، على حسب ما يستبيله طائفة طائفة.

الحلاج في مجلس الوزير حامد بن العباس

أخبرني أبو الحسين بن عياش القاضي، عمن أخبره: إنه كان بحضرة حامد بن العباس، لما قبض على الحلاج، وقد جيء بكتب وجدت في داره، من قوم تدل مخاطبتهم، إنهم دعائه في الأطراف، يقولون فيها: وقد بذرنا لك في كل أرض ما يركو فيها، وأجاب قوم إلى أنك الباب - يعنون الإمام - وآخرون أنك صاحب الزمان - يعنون الإمام الذي تنتظره الأمامية - وقوم إلى أنك صاحب الناموس الأكبر - يعنون النبي صلى الله عليه وسلم - وقوم إلى أنك أنت هو هو - يعنون الله عز وجل - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. قال: فسئل الحلاج عن تفسير هذا الرمز، فأخذ يدفعه، ويقول: لا أعرف هذه الكتب، هذه ملسوسة علي، لا أعلم ما فيها، ولا معنى لهذا الكلام.

وحدثني أبو الحسين بن عياش، عمن حضر مجلس حامد ابن العباس الوزير، وقد جاءوا بدفاتر وجدت للحلاج، فيها: إن الإنسان إذا أراد الحج فإنه يستغني عنه، بأن يعمد إلى بيت داره، فيعمل فيه محرماً ذكره، ويغتسل، ويحرم، ويقول كذا، ويفعل كذا، ويصلي كذا، ويطوف بهذا البيت كذا، ويسبح كذا، ويصنع كذا، أشياء قد رتبها وذكرها من كلام نفسه، قال: فإذا فرغ من ذلك، فقد سقط عنه الحج إلى بيت الله الحرام.

وهذا شيء معروف عند الحلاجية، وقد اعترف لي رجل منهم، يقال إنه عالم لهم، ولكن ذكر أن هذا رواه الحلاج عن أهل البيت صلوات الله عليهم، وقال ليس عندنا إنه يستغني به عن الحج، ولكنه يقوم مقامه، إن لم يقدر على الخروج، بإضافة، أو منع، أو علة، فأعطاني المعنى، وخالف في العبارة. قال لي أبو الحسين: فسئل الحلاج عن هذا، وكان عنده إنه لا يوجب عليه شيئاً، فأقر به، وقال: هذا شيء رويته كما سمعته، فعلق بذلك عليه.

واستفتى حامد، القاضيين أبا جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري، وأبا عمر محمد بن يوسف، وهما إذ ذاك، قاضياً ببغداد.

فقال أبو عمر: هذه زندقة، يجب عليه القتل بها، لأن الزنديق لا يستتاب.

وقال أبو جعفر: لا يجب عليه القتل، إلا أن يقر بأنه يعتقد هذا، لأن الناس قد يروون الكفر ولا يعتقدونه، فإن أخبر أن هذا شيء رواه وهو يكذب به، فلا شيء عليه، وإن أخبر إنه يعتقد، استتيب منه، فإن تاب، فلا شيء عليه، وإن لم يتب، وجب عليه القتل.

قال: فعمل في أمره على فتوى أبي عمر، وعلى ما شاع وذاع من أمره، وظهر من إلحاده وكفره، واستغوائه الناس، وإفساده أديانهم، فاستؤذن المقتدر في قتله، وكان قد استغوى نصراً القشوري، من طريق الصلاح والدين، لا مما كان يدعو إليه، فخوف نصر السيلة أم المقتدر.

من قتله، وقال: لا آمن أن يلحق ابنك - يعني المقتدر - عقوبة هذا الشيخ الصالح، فمعت المقتدر من قتله، فلم يقبل، وأمر حامداً بأن يقتله، فحم المقتدر يومه ذاك، فازداد نصر والسيدرة افتتاناً، وتشكك المقتدر فيه، فأنفذ إلى حامد من بادره بمنعه من قتله، فتأخر ذلك أياماً، إلى أن زال عن المقتدر ما كان يجد

من العلة، فاستأذن حامد في قتله، فضعف الكلام فيه، فقال له حامد: يا أمير المؤمنين، إن بقي، قلب الشريعة، وارتد خلق على يده، وأدى ذلك إلى زوال سلطانك، فدعني أقتله، وإن أصابك شيء، فاقتلني، فأذن له في قتله، فعاد، فقتله من يومه، لئلا يتلون المقتدر.

فلما قتل، قال أصحابه: ما قتل هو، وإنما قتل بردون كان لفلان الكاتب، اتفق إنه نفق ذلك اليوم.

وهو يعود إلينا بعد مدة، فصارت هذه الجهالة، مقالاً لطائفة منهم.

طرائف من مخاريق الحلاج

وكانت أكثر مخاريق الحسين بن منصور الحلاج، هذا، التي يظهرها كالمعجزات، ويستغوي بها جهلة الناس، إظهار المآكل في غير أوانها، بحيل بقيمها، فمن لا تنكشف له، يتهوس بها، ومن كان فطناً، لم تخف عليه.

فمن طريف ذلك، ما أخبرني به أبو بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم الشاهد الأهوازي، قال: أخبرني فلان المنجم، وأسماء، ووصفه بالحدق والفراهة، قال: بلغني خبر الحلاج، وما كان يفعله من إظهار تلك العجائب والمخرقات التي يدعي أنها معجزات، فقلت أمضي وانظر من أي جنس هي من المخاريق.

فجئته، كأني مسترشد في الدين، فخاطبني وخاطبته، ثم قال: تشه الساعة ما شئت، حتى أجيئك به.

وكنا في بعض بلدان الجبل التي لا تكون فيها الأنهار، فقلت له: أريد سمكاً طرياً في الحياة الساعة.

فقال: أفعل، اجلس مكانك.

فجلست، وقام، وقال: أدخل البيت، وأدعو الله تعالى أن يبعث لك به.

قال: فدخل بيتاً حيالي وأغلق بابه، وأبطأ ساعة طويلة، ثم جاءني وقد خاض وحلاً إلى ركبته، وماء، ومعه سمكة تضرب كبيرة.

فقلت له: ما هذا؟ فقال: دعوت الله تعالى، فأمرني أن أقصد البطائح فأجيتك بهذه، فمضيت إلى البطائح فحضت الأهوار، وهذا الطين منها، حتى أخذت هذه.

فعلمت أن هذه حيلة، فقلت له: تدعني أدخل البيت، فإن لم تنكشف لي حيلة فيه آمنت بك.

فقال: شأنك.

ودخلت البيت، وأغلقت على نفسي، فلم أجد فيه طريقاً ولا حيلة.

فدمت، وقلت: إن أنا وجدت فيه حيلة وكشفتها له، لم آمن أن يقتلني في الدار، وإن لم أجد، طالبني بتصديقه، فكيف أعمل؟ قال: وفكرت في البيت، فدققت تأزيره، وكان مؤزرراً يازار ساج، فإذا بعض التأزير فارغ، فحركت منه جسمية حننت عليها، فإذا هي قد انقلعت، فدخلت فيها، فإذا ثم باب مسمر، فولجت منه إلى دار كبيرة، فيها بستان عظيم، فيه صنوف الأشجار، والثمار، والنوار، والريحان، التي هي في وقتها، وما ليس هو في وقته، مما قد عتق، وغطى، واحتيل في بقاءه، وإذا بخزائن مليحة، فيها أنواع الأطعمة المفروغ منها، والحوائج لما يعمل في الحال، إذ طلب، وإذا بركة كبيرة في الدار، فحضتها، فإذا هي مملوءة سمكاً، كباراً وصغاراً، فاصطدمت واحدة كبيرة، وخرجت، فإذا رجلي قد صارت بالوحد والماء إلى حد ما

رأيت رجله.

فقلت: الآن إن خرجت، ورأى هذا معي، فقتلني، فقلت: أحيال عليه في الخروج.

فلما رجعت إلى البيت، أقبلت أقول: آمنت، وصدقت.

فقال لي: ما لك؟ قلت: ما هاهنا حيلة، وليس إلا التصديق بك.

قال: فاخرج.

فخرجت، وقد بعد عن الباب، وتموه عليه قولي، فحين خرجت، أقبلت أعدو إلى باب الدار، ورأى السمكة

معي، فقصدني، وعلم أنني قد عرفت حيلته، فأقبل يعدو خلفي، فلحقني، فضربت بالسمكة صدره ووجهه،

وقلت له: أتعبتني، حتى مضيت إلى اليم، فاستخرجت لك هذه منه.

قال: فاشتغل عني بصدره وبعينيه، وما أصابه من السمكة، وخرجت.

فلما صرت خارج الدار، طرحت نفسي مستلقياً، لما لحقني من الجزع والفرع.

فخرج إلي، وصاح بي، وقال: ادخل.

فقلت: هيهات، والله لئن دخلت، لا تركتني أخرج أبداً.

فقال: اسمع، والله لئن شئت قتلك على فراشك، لأفعلن، ولئن سمعت بهذه الحكاية لأقتلك، ولو كنت في

تحوم الأرض، وما دام خبرها مستوراً، فأنت آمن على نفسك، امض الآن حيث شئت، وتركني، ودخل.

فعلمت أنه يقدر على ذلك، بأن يلس أحد من يطيعه ويعتقد فيه ما يعتقد، فيقتلني.

فما حكيت الحكاية، إلى أن قتل.

؟من أقوال الحلاج وتواقيعه وكان الحلاج، له الكتب المصنفة في مذهب، يسلك في كلامه فيها، مذاهب

الصوفية، في الهوس، ويكثر من ذكر النور الشعشعاني، وإذا أفصح بكلام مفهوم، كان ترسله حسناً، وتلفظه

به مليحاً.

أخبرني بعض أصحابه من الكتاب، قال: خرج له توقيع إلى بعض دعائه، تلاه علي، فحفظت منه قوله فيه:

وقد الآن أوانك، للدولة الغراء، الفاطمية الزهراء، الخفوفة بأهل الأرض والسماء، وأذن للفتنة الظاهرة، مع

قوة ضعفها في الخروج إلى خراسان، ليكشف الحق قناعه، ويبسط العدل باعه.

وأخبرني هذا الرجل، عمن حدثه من أصحابه، قال: كنا معه في بعض طرقات بغداد، فسمعنا زمراً طيباً

شجياً.

فقال بعضنا: ما هذا؟ فقال لنا هو: هذا نوح إبليس على الدنيا.

؟؟؟؟؟؟؟؟

ضرب العود

يمثل صوت الهيب في أصول النخل: حدثني أبو محمد بن محمد اليومني البصري، وكان علامة لهم حسن

النشوار، رواية للأخبار، ثقة، قال: اجتاز بعض البصريين، ومعه ابن له حدث، في طريق، فسمعا صوت

ضرب عود، فاستطابه الفتى.

فقال لأبيه: يا أبت ما هذا؟ قال: يا بني، هذا صوت الهيب في أصول النخل.
والهيب: حديدة عظيمة كالبرم يقلع بها أصول النخل، لا تنقلع إلا بها وهي تسمى ببغداد العتلة فمنها
منبسط كالأسطام محدد، وتكون ثقيلة، لعل فيها نحو العشرة أمناء.

أبو جعفر الصيمري

وزيره معز الدولة يسخف في مجلس العمل: وكان هذا البومني حسن البلاغة، طويل اللسان، يتكلم في أمور
الكافة بالبصرة، إذا عرضت المهمات العظام، وينظر السلطان.
فلما جاء أبو جعفر الصيمري إلى هناك، وطالب الناس بالمعطل - وهذه المطالبة شرح طويل - ناظره
البومني في أنما غير واجبة، فلم ينزل تحت الحجة، وأخلد إلى القدرة.
فوعظه البومني، وقال: أيها الأستاذ، إن بلدنا، بلد كثير الصالحين، ضعيف الأهل، ما خير قط لمن ظلمهم،
وإن أهله يكلونك إلى الله تعالى، ويومنونك بسهام الأسحار، يعني الدعاء.
فقلب الصيمري الكلام إلى السخف، وكان شديد الإستعمال له ظاهراً في مجلس الحفل والعمل، فقال: يا
شيخ، سهام الأسحار لحيتك، يعني الضراط.

أبو علي الجبائي والحلاج

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التوخي، قال: أخبرني جماعة من أصحابنا: إنه لما افتتن الناس بالأهواز
وكورها بالحلاج، وما يخرجهم لهم من الأطعمة والأشربة، في غير حينه، والدراهم التي سماها دراهم القدرة،
حدث أبو علي الجبائي بذلك، فقال: إن هذه الأشياء محفوظة في منازل يمكن الحيل فيها، ولكن أدخلوه بيتاً
من بيوتكم، لا منزله هو، وكلفوه أن يخرج منه خرزتين سوداء وحمراء، فإن فعل فصدقوه.
فبلغ الحلاج قوله، وإن قوماً قد عملوا على ذلك، فخرج عن الأهواز.

بعض اعتقادات أصحاب الحلاج

وأهل مقالته الآن، يعتقدون أن اللاهوت الذي كان حالاً فيه، حل في ابن له بتستر: وأن رجلاً بها هاشمياً
ربعياً، يقال له: محمد بن عبد الله، ويكنى بأبي عمارة، قد حلت فيه روح محمد بن عبد الله النبي صلوات الله
عليه، وهو يخاطب فيهم بسيدنا، وهي من أعلى المنازل عندهم.
وأخبرني، من استدعاه بعض الحلاجية، إلى أبي عمارة هذا، بالبصرة، وله مجلس يتكلم فيه على مذاهب
الحلاج، ويدعو إليه.
قال: فدخلته، وظنوا أنني مسترشد، فتكلم بحضرتي، والرجل أحول، فكان يقلب عينيه في سقف البيت،
فيجيش خاطره بذلك الهوس.

فلما خرجنا، قال لي الرجل: آمنت؟ فقلت: أشد ما كنت تكذيباً بقولكم الآن. هذا عندكم الآن بمنزلة النبي، لم لا يجعل نفسه غير أحول؟ فقال: يا أبله، كأنه أحول؟ إنما هو يقلب عينيه في الملكوت.

خال المؤمنين عند الحلاجية - ١

وأبو عمارة هذا، متزوج بامرأة من الأهوازيين، يقال لها بنت ابن جان بخش، ولها أخ فاجر يغني بالطنبور، وكان أبوه شاهداً جليلاً تائناً موسراً، والحلاجية تعتقد أنه بمنزلة محمد بن أبي بكر، خال المؤمنين. فحدثني عبيد الله بن محمد، قال: كنا نسير بالأهواز يوماً، ومعنا كاتب ظريف من أهل سيراف يقال له المبارك بن أحمد، فاجتزنا بالرجل، فقام، وسلم علينا. فقال لي الكاتب: من هذا؟ فقصصت عليه قصته بأشرح من هذا، فقلب رأس بغله ورجع. فقلت له: إلى أين يا أبا سعيد؟ قال: ألحقه، فأسأله عما سارته به أخته عائشة أم المؤمنين، يوم الجمل، لما أفضى إليها بيده ليخرجها من الهودج. فضحكت من ذلك، ورددته.

خال المؤمنين عند الحلاجية - ٢

وكان هذا القتي، ابن جان بخش، قد ورث مالاً جليلاً، ودخل الديلم الأهواز عقيب ذلك، فتقايين بالمال، وعاشر الديلم، فأنفق أكثره عليهم، فتعلم الكلام بالديلمية، حتى صار إذا تكلم بها، كأنه من بلد الديلم، وهو أسماء قراهم، وعلامات بلدانهم. فلما خف ماله، اشترى بغلين، ودابتين، وزوبينات، وسلاحاً وآلة الجند، وجعل لرأسه شعراً مثل شعور الجيل والديلم، وسمى نفسه حلوز بن يا علي، وكان أبوه في الأصل يكنى بأبي علي، وهذا الاسم من أسماء الجيل. وجاء إلى أبي القاسم البريدي، وهو بالبصرة يحارب الأمير أحمد ابن بويه، فاستأمن إليه ومن الديلم والجيل خمسمائة، وقصته مشهورة. قال: فأخبرني هو، قال: كنت، أداخل وأدعوهم، ولا يشكونني ديليمي، وأعطيهم علامات بلدانهم، فإذا وقع من يفتن بي، أعطيته شطر الرزق. قال: وكنت أكل الثوم، ولا أتعالج للصنان، وأصبر جيفة على مذاهب الديلم، وأجيء، فأرتفع في القيام، حتى ألزق بأبي القاسم، مما يلي رأسه، فموت من بغض رائحتي. قال: وعلت حالي عنده، فكان يطرح لي كرسيّاً برسم الخاصة، فإذا جلست، اصطدمت الذباب، وقتلته بحضرته، كأني ديلمي فج، فكان يضج مني، ويقول: يا قوم، أعفوني من هذا الديلمي الفج، البغيض، المتن، وخذوا مني أضعاف رزقه.

فأقمت عنده سنين، إلى أن انكشف خبري، فهربت من يده.
وهذا من طيب أخبار المورثين المتخلفين، فأفردته.

من أخبار متخلفي المورثين - ١

ومن طيب أخبار متخلفي المورثين، ما أخبرت به: من أن أحدهم ورث مالاً جليلاً جسيماً، فتقايين، وعمل كل ما انتهى، فبلغني إنه قال: أريد أن تفتحوا لي صناعة لا تعود علي بشيء، أتلف بها هذا المال.
فقال له أحد جلسائه: اشتر التمر من الموصل واحمله إلى البصرة، فإنك تملك المال.
فقال: هذا إذا فعل، عاد منه، ولو اثنان في العشرة، تبقى من أصل المال.
فقال له آخر: اشتر هذه الإبر الخياطية، التي تكون ثلاثاً بدرهم، وأربعاً، وتتبعها، فإذا اجتمع لك عشرة آلاف إبرة بجملة الدراهم، فاسبكها نقرة، وبعها بدرهمين.

فقال: أليس يرجع من ثمنها درهمان؟ فقال له أحدهم: كأنك تريد ما لا يرجع شيء منه البتة؟ فقال: نعم.
فقال: تشتري ما شئت من الأمتعة، وتخرج به إلى الأعراب، فتبيعه عليهم، وتأخذ سفاتهم إلى الأكراد، وتأخذ سفاتهم إلى الأعراب.
قال: وكان يعمل هذا، حتى فني ماله.

من أخبار متخلفي المورثين - ٢

وبلغني أن آخر، أسرع في ماله، فبقيت منه نحو خمسة آلاف دينار، فقال: أريد أن تفنى بسرعة، حتى انظر أي شيء أعمل بعدها.
فعرضت عليه أشياء من هذا الجنس، فلم يردّها.
فقال له بعض أصحابه: تبتاع زجاجاً مخروطاً بالمال كله، إلا خمسمائة دينار، وتعيه، ويكون في نهاية الحسن، وتنفق الخمسمائة دينار في يوم واحد، في جذور المغنيات، والفاكهة، والطيب، والشراب، والثلج، والطعام، فإذا قارب الشراب أن يفنى، أطلقت فارتين في الزجاج، وأطلقت خلفهما سنوراً، فيتعدى الفار والسنور في الزجاج، فيتكسر جميعه، وتنهب الباقي.
فقال: هذا طيب.

فعمل ذلك، وجلس يشرب، فحين سكر، قال: هي، وأطلق الرجل الفارتين والسنور، وتكسر الزجاج، وهو يضحك، ونام.
وقام الرجل ورفقاؤه، فجمعوا ذلك الزجاج، وعملوا من قنينة قد تشعثت قدحاً، ومن قدح قد تكسر برنية غالية، ولزقوا ما تصدع، وباعوه بينهم، فرجع عليهم منه دراهم صالحة اقتسموها، وانصرفوا عن الرجل، فلم يعرفوا خبره.

فلما كان بعد سنة، قال صاحب المشورة، بالزجاج والفار والسنور، لو مضيت إلى ذلك المدبر، فعرفت

خبره.

فجاء، فإذا هو قد باع قماش بيته، وأنفق، ونقص داره، وباعها، وسقوفها، حتى لم يبق إلا الدهليز، وهو نائم فيه، على قطن، متغط بقطن قد فتق من لحف وفرش، بيعت وبقي القطن، فهو يتوطأ، ويتغطى به من البرد.

قال: فرأيت، وكأنه سفرجل بين القطنين.

فقلت: يا ميشوم، ما هذا؟ قال: ما تراه.

فقلت: في نفسك حسرة؟ قال: نعم.

قلت: ما هي؟ قال: أشتهي أن أرى فلانة، مغنية كان يعشقها، واتلف أكثر المال عليها.

قال: وبكى، فرقت له، وأعطيته من منزلي ثياباً، فلبسها، وجئنا إلى بيت المغنية، فقدرت أن حاله قد ثابت، فدخلنا إليها، فحين رآته، أكرمته، وبشت به، وسألته عن خبره، فصدقها عن الصورة.

فقلت له في الحال: قم، قم.

قال: لم؟ قالت: لئلا تجيء ستي وتراك وليس معك شيء فحرد علي لم أدخلتك، فاخرج إلى برا حتى أصعد أكلمك من فوق.

فخرج، وجلس ينتظر أن تخاطبه من روضة في الدار إلى الشارع، وهو جالس.

فقلبت عليه مرقعة من قدر سكباج، وصيرته آية ونكالا، وضحكت.

فبكى، وقال: يا أبا فلان، بلغ أمري إلى هذا؟ أشهد الله، وأشهدك أي تائب.

قال: فأخذت أطنز به، وقلت: أيش تنفعك التوبة الآن؟ قال: ورددته إلى بيته، ونزعت ثيابي عنه، وتركته

بين القطن، كما كان أولاً، وحملت ثيابي، فغسلتها، وأيسست منه، فما عرفت له خبراً، نحو ثلاث سنين.

فأنا ذات يوم، في باب الطاق فإذا بغلام يطرق لرجل راكب، فرفعت رأسي إليه، فإذا به على برذون فار،

بمركب خفيف مليح فضة، وثياب حسنة، ودراريع فاخرة، وطيب طيب، وكان من أولاد الكتاب، وكان

قديماً أيام يساره يركب الدواب من الدواب أفرها، ومن المراكب أفرها، وآلته وثيابه، وقماشه أفر

شيء مما كان يقدر عليه، أو ورثه عن والديه.

فحين رأيته، قال: فلان، فعلمت أن حاله قد صلحت، فقبلت فخذته، وقلت: يا سيدي أبو فلان.

فقال: نعم.

قلت: إيش هذا؟ قال: صنع الله، والحمد له، البيت، البيت، فتبعته، حتى انتهى إلى بابه، فإذا بالدار الأولية،

قد رمها، وجعلها صحناً واحداً، فيه بستان، وجصصها من غير بياض وطبقها، وترك فيها مجلساً واحداً،

حسناً، عامراً، وجعل باقي المجالس صحناً، وقد صارت طيبة، إلا أنها ليست بذلك السرو الأول.

وأدخلني إلى حجرة كانت له قديماً، يخلو فيها، وقد أعادها إلى أحسن ما كانت عليه، وفيها فرش حسن

ليس من ذلك الجنس، وفي داره أربعة غلمان، قد جعل كل خدمتين إلى واحد منهم، وخدام شيخ، كنت

أعرفه له، قد رده، وجعله بواباً، وشاكري، وهو سائسه.

وجلس، فجاءوه بآلة مقتصدّة نظيفة، فخدم بها، وبفاكهة مختصرة متوسطة، وطعام نظيف كاف، إلا أنه

قليل، فأكلنا، وبنبيذ تمر جيد، فجعلوه بين يدي، ومطبوخ جيد بين يديه.
ومدت ستارة، فإذا بغناء طيب، وبخر يعود طري وند جميعاً، وأنا متشوف إلى علم السبب.

فلما طابت نفسه، قال: يا فلان، تذكر أيامنا الأولى؟ قلت: نعم.
قال: أنا الآن في نعمة متوسطة، وما قد أفدته من العقل، والعلم بالزمان، أحب إلي من تلك النعمة، هو ذا ترى فرشي؟ قلت: نعم.
قال: إن لم تكن بذلك العظم، فهو مما يحتمل به أوساط الناس.
قلت: نعم.

قال: وكذلك آلتى، وثيابى، ومركوبى، وطعامى، وفاكهتى، وشرابى، فأخذ يعدد ويقول في كل فصل: إن لم يكن ذلك المفرط، ففيه جمال، وبلاغ، وكفاية.

إلى أن ذكر كل ما عنده، ويضيف ذلك أمره الأول، ويقول: هذا يغني عن ذلك، قد تخلصت من تلك الشدة الشديدة، تذكر يوم عاملتني المغنية لعنها الله بما عاملتني به؟ وما عاملتني به أنت ذلك اليوم، وقلته في كل يوم، وفي يوم الزجاج؟ فقلت: هذا قد مضى، والحمد لله الذي أحلف عليك، وخلصك مما كنت فيه، فمن أين لك هذه النعمة، والجارية التي نغينا الآن؟ فقال: اشتريها بألف دينار، وربحت جذور القيان، وآمرى الآن على غاية الإنتظام والإستقامة.

فقلت: من أين هذا؟ قال: مات خدام لأبي، وابن عم لنا بمصر، في يوم واحد، فخلعنا ثلاثين ألف دينار، فحملت إلي بأسرها، فوصلت في وقت واحد، وأنا بين القطن، كما رأيت، فحمدت الله، وأعتقدت أن لا أبذر، وأن أدبر، وأعيش بها إلى أن أموت، وأنفقها على اقتصاد.

فعمرت هذا الدار، واشترت جميع ما فيها من فرش وآلة وثياب ومركوب وجواري وغللمان، بخمسة آلاف دينار، وجعلت تحت الأرض خمسة آلاف دينار، عدة للحوادث، وابتعت ضياعاً ومستغلات بعشرة آلاف دينار، تغل لي في كل سنة، مقدار نفقي، على هذا المقدار الذي تراه من النفقة، ويفضل لي في كل سنة إلى وقت ورود الغلات، شيء آخر، حتى لا أحتاج أن أقترض ولا أن أستدين، وأمرى يمشي على هذا. وأنا في طلبك منذ سنة، ما عرفت لك خبراً، فإني أحيت أن ترى رجوع حالي، ومن دوام صلاحها، واستقامتها، أن لا أعاشرك، يا عاض بظر أمه، أبداً، خذوا يا غلمان برجله. فجروا والله برجلي، وأخرجوني، ولم يدعوني أتم شربي عنده ذلك اليوم. وكنت ألقاه بعد ذلك على الطريق راكباً.

فيضحك إذا رأيته، ولا يعاشريني، ولا أحداً من تلك الطبقة. ويبعد في نفسي، ما حكى من أمر سفاتج الأعراب والأكراد، والزجاج، فإن هذا عندي، لا تسمح به نفس مجنون.

ابن الدكيني يرث عن والده

خمسمائة ألف دينار: ولكن قد حكى: أن رجلاً من أولاد التجار ببغداد، يقال له: ابن الديكبي، وخبره مشهور ببغداد، مات أبوه، فخلف عليه خمسمائة ألف دينار، فلعب بها لعباً لم يسمع قط بأعظم منه. وكان يضاهي المقتدر، وإذا بلغه أنه عمل شيئاً من ألوان اللذة والطيب واللعب، عمل ما يقاربه من جنسه. وإنه كان يجذر دائماً بمائتي دينار في يوم، وينثر على المغنيات خمسة آلاف درهم، وعشرة آلاف درهم، غير دفعة، ويهب لهم الخلع، كل خلعة بثلاثة آلاف درهم، وألفي درهم، ومائة دينار. ويهب منها في مجلس، عشر خلع، وخمس عشرة خلعة، يخرجها من دكان أبيه من التخت، فيهبها. وأنه كان إذا أصبح مخموراً، أحضر الثياب الدقيقي، فتخرق بحضرته باليد، عصائب للفصد، ويقول: لا يزيل حماري غير سماع أصواتها. وإنه أنفق في فساد فصدته عشيقته، ثلاث آلاف دينار. وأشياء من هذا السرف. وإنه لما لم يبق إلا نحو خمسين ألف دينار من ماله، تاب من هذا كله، ولزم يده، وتجهز للحج. فأنفق فيه، وفي أبواب الثواب عشرة آلاف دينار. فلما قضى حجه، وعاد يريد بغداد، مات في طريقه وهو شاب، فورث ورثته باقي ذلك المال.

وآخر في بالبصرة ورث عن والده

مائة ألف دينار: وسمعت بعض الطيِّاب، يقول، وقد جرى ذكر رجل عندنا بالبصرة، ورث مقدار مائة ألف دينار، فبقاين بها في سنين قريبة، وعاد فقيراً. فقال له ذلك الرجل: يا أخي فرسخ قراصنة في هذا العمل بضاعة.

تاجر من العسكر يحاسب ولده

على ما أتلّف من المال: حدثني أبو الحسن، أحمد بن يوسف الأزرق، قال: كان بالعسكر رجل تاجر، موسر من التجار، يقال له أحمد بن عمر بن حفص، فخرج إلى أصفهان، فأنفق ابن له من ماله في القيان، ثلاثة آلاف دينار، وكوتب بذلك، فعاد. فلما اجتماعاً، طالبه بالحساب، فدافع.

فقال له أبوه يوماً: إلى كم تدافع بالحساب، وقد بلغني خبر ما أتلّفت فيه المال؟ فإن كنت استفدت بذلك عقلاً، وعلماً بالزمان، وحنكك الشدائد والأمور، وأدبتك، فليس هذا بغال، بهذا القدر من مالي، فإنه مالك، وإن لم تكن أفدت ذلك، فإن المصيبة فيك عندي، أعظم من المصيبة بذهاب المال.

أحمد الخراساني صاحب ابن ياقوت

وحدثني أبو الحسن بن الأزرق، قال: كان أحمد بن محمد الخراساني، الذي صار بعد ذلك، صاحباً لابن ياقوت، جاءني وقد ورث خمسين ألف درهم، في أول عمره، فدخل دار الزكروية المغنية، وتعشق جارية لها، كانت مشهورة ببغداد، بالحسن والظرف، وطيب الغناء، يقال لها زهرة، كان الأحداث ببغداد قد استهتروا بها.

فقلت الزكروية: أراك قد عشقت جاريتي هذه، فكم هذه؟ قال: خمسين ألف درهم. قالت: هذه دور بلا نحة. فما مضت إلا أيام، حتى أتلفها، فرأيت بجة لا قميص تحتها ولا فوقها، يمشي حافياً، ثم صنع الله له بعد ذلك، وخدم ابن ياقوت، فأثرى وعقل.

أبو وسنا الخراعي

والكلام الذي يطر الآجر: وحدثني قال: كان رجل من الرجال، يقال له ابن وسنا الخراعي، يتعشق حدثاً ببغداد، يقال له الحسين بن غريب البقال، حسن الوجه، رائعاً، خفيف الروح حسن الالتقاء، فأنفق عليه مالا، وباع عقاراً كان له، ثم خف ماله، فأمسك يده عنه، وقطعه. فقبل له بعد ذلك: لم تركت ابن غريب، وحلفت أن لا تكلمه؟ فقال: كلا حسين بن غريب يطير الآجر.

درة الرقاص الصوفي وأبو غالب بن الآجري

سمعت درة، الرقاص الصوفي، يقول: استترت مع أبي غالب بن الآجري، كاتب صافي، أحد الساجية، شهراً، فضاف صلري، فتركته وهرت منه، وغبت أياماً عند أخواني، ثم جتته، فعاقبني. فقلت: يا هذا ضاق صلري.

فقال لي: استر معي أيام استتاري، فإذا خلصني الله، دوعتك أياماً متتابعة، بعدد أيام استتارك عندي، أجذر لك في كل يوم غناء بمائة دينار.

فاستترت معه بعد هذا نحو شهر، ثم فرج الله عنه، وظهر، وعادت حاله.

فلما التقينا، قلت: النذر.

قال: نعم، إجلس، لنجعل اليوم أوله، فجذر ذلك اليوم، وتلك الليلة، قياناً بمائة دينار، وأنفق قريباً منها، ثم لم يدع القيان يخرجن، إلا أن يملهن، فيحضر بلهن.

وجلسنا على تلك الحال، يجذر في كل يوم وليلة بمائة دينار قياناً، وينفق في طعام وشراب وفاكهة وطيب، مثلها.

وكان ربما احتاج إلى لقاء صاحبه، والتصرف في شغله، فيخرج، ويركب، ويتصرف، ويعود ليلاً، أو عشياً، وكما يستوي له، والغناء جالس، والمطبخ قائم، ونحن نأكل ونسمع، وهو غائب عن داره، حتى وفي لي أياماً بعدد أيام استتاري معه، وكانت أكثر من ثلاثين يوماً.

آخر أبي غالب بن الآجري

ولقد رأينا أنا، أبا غالب الآجري هذا، وقد ورد البصرة في أيام أبي القاسم البريدي، فاستشفع على أبي بعلامه مبشر، لأنه كان قد ملكه في أيام نعمته.

وكتت أرى مبشراً غلامنا، يبره في الأوقات، من ماله، بعشرين درهماً، وثلاثين درهماً، ويأخذ له من أبي سبعين درهماً، ومائة درهم، في أوقات، وهو يجيء إلى مبشر، فيواكله، ويشاربه، ويعاشره، وكأنه نديم له، بدالة ملكه إياه، ورأى عليه قميصاً مخرقاً، ودراعة مرقوعة، ونعلين كنباتي في رجله يمشي بهما في الطرق، وغلامه خلفه، ومعه خف منعل، فإذا حصل في دهليزنا لبسه، ودخل إلى أبي. ولزمنا مدة، إلى أن خاطب أبي بعض العمال في تصريفه بعشرة دنانير في الشهر، فصرف فيما هذا مقدار.

درة الصوفي يتحدث عن المورثين

وقال لي درة الصوفي: كان المورث، إذا اجتذبتنا إلى اللعب معه، ومعه عشرة آلاف دينار، أو مائتا ألف درهم، سميناه: المعجل. فقلت له: ما معنى هذا؟ فقال: النساء، إذا مات هن ابن له شهور دون السنة، أو سنة إلى حد الفطام، سمينه المعجل.

وكنا نحن نسمي هذا بالمعجل، بمعنى أن ماله، لا يبلغ به في هذا العمل، إلا إلى حد الطفل الذي يموت في شهور، أو سنة وأشهر للنساء، فيسمونه المعجل. ونعوذ بالله من الإدمار، وتغير النعم، وإحاشها بقلة الشكر.

فصل من كتاب كتبه القاضي التنوخي

إلى رئيس: ولقد كتبت، في محنة لحقتني، إلى رئيس، كتاباً فيه فصل يتعلق بما ذكرته، من منادمة أبي غالب الكاتب، لمبشر مولانا، بدالة ملكه له، وقبوله بره بتلك الحجة، استحسنته، فأوردته هاهنا وهو: لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته، ولا أجاك إلى قبض عوض عن جهيل أوليته، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا، وأعاذك من عز مفقود، وعيش مجهود، وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد، وسمو بعيد، وختم بالحسنى عملك، وبلغك في الأولى أملك، وسدد فيها مضطربك، وأحسن في الأخرى منقلبك، إنه سميع مجيب، جواد قريب.

أبو الحسن الموصلي كاتب أبي تغلب

والسيلة جميلة ابنة ناصر الدولة: حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد، قال: رأيت أبا الحسن علي بن عمرو الموصلي يكتب إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة، وكتب في موضع من الكتاب أمور حميدة.

فقلت له: هذا الموضع يصلح أن يكون فيه أمور جميلة فأما حميدة، فهي لحظة مستكرهة.
فقال: صدقت، ولكني كتبت، وأنا الموصل، رقعة إلى أبي تغلب، فيها أمور جميلة فوصلت إليه، وهو عند
أخته جميلة، وهي غالبية عليه، محتوية على أمره، لا يقطع شيئاً من دونها، ولا يفصل رأياً إلا عن مشورتها،
وكانت الرقعة مما احتاج إلى مطالعتها بما فيها فقرأها عليها فأنكرت علي قولي جميلة، لأنه اسمها، إنكاراً
شديداً، احتجت معه إلى الاعتذار مما كتبت، فما كتبت بعدها الآن، جميلة في شيء من مكاتباتي إلى أحد،
وصار تركها لي طبعاً.

علية بنت المهدي تتحامي اسم طل

ويشبه هذا، قول علية بنت المهدي، لما قرأت القرآن فبلغت إلى قوله عز وجل: " بسم الله الرحمن الرحيم "
فإن لم يصبها وابل فطل " صدق الله العظيم " ، فقالت: فإن لم يصبها وابل فما نهي أمير المؤمنين عن ذكره،
ولم تقل طل، لأنه كان اسم خادم تعشقت، فبلغ الرشيد أخاها خبرها معه، فجرى عليها منه مكروه غليظ،
وأحلفها على أشياء منها أنها لا تذكره.

امرأة بغدادية تتظرف فتحرف القرآن

وقد حكى: أن بعض النساء الظراف، قرأت: تعلم ما في روعي ولا أعلم ما في روحك، ولم تقل نفسي لأن
الظراف، لا يقولون ذلك فقال لها بعض من سمعها: ويحك، فأنت أظرف من الله؟ قولي كما قال.

بحكم أمير الأمراء

وفوة جارية الهاشمية: أخبرني غير واحد: إن بحكم الماكاكي أمير الأمراء ببغداد، عشق جارية من القيان بها،
يقال لها فوة جارية الهاشمية، وكان يتكبر عن شرائها، ويرفع نفسه أن يزوج بمحببتها، ويحضرها، فيعطيه كل
شيء.

وكان قد استعمل لها عوداً، من عود هندي، قام عليه بمال، وكانت تغني به.
فسكر يوماً، فحسف وجه العود، وقلعه، وملاه لها دراهم، فوسع نيفاً وعشرين ألف درهم.

أبو العباس البغدادي

وإنفاقه ماله في الفساد: وكان عندنا بالبصرة، دلال من أهلها يعرف بأبي العباس البغدادي ورث في حديثه
مالاً جليلاً، فتقايين جميعه، فلما افتقر، صار دلالاً، فكسب أيضاً كسباً ثانياً كبيراً، فما كان يبقى منه شيئاً،
بل ينفقه كله في الفساد.

فأخبرني بعض الشيوخ البصرة، قال: رأيته، وهو حدث، في ليلة شهر رمضان، مملوء الكم، يريد دار بدعة
الدرونية، وكانت إذ ذاك مغنية البلد، المشهورة فيه، بالنبل، والحداقة، والطيب، والحسن، ولها أخبار كثيرة

طريفة .

فقلت: إيش في كملك يا أبا العباس.

فقال: مخلط خراسان أتصدق به على بدعة، صدقة شهر رمضان.

فلم أشك في أنه كذلك.

فقلت: فأطعمني منه، فطرح في كمي منه شيئاً ثقل به كمي، وافترقنا.

فلما بلغت بيتي أردت أن أطعم عيالي منه، فنظرت فإذا هو لوز ذهب، وسكر فضة، وفستق وبنديق عنبر، وزبيب ند، فخبيته.

فلما كان من غد، نظرت فإذا قيمته مال، فجئت إليه، ورددته عليه.

فقال: يا بارد، أيش هذا حتى ترده؟ جميع ما كان في كمي البارحة، كذا، فرقته على بدعة وجواربها.

فقلت: لو عملت هذا ما طلبته منك.

قال: فظننت أبي على الحقيقة أحمل لوزاً وسكراً وزيبياً وفستقاً؟

كل نفس آتيناها هداها

حدثني أحمد بن عبد الله بن بكر البصري، قال: حدثني عروة الزبيري: إنه حج في سنة الهبير، فاشترى من مكة قرداً، وكان مع عديله كلب، فألف القرد الكلب، فكانا يأكلان في موضع واحد.

قال: فقطع علينا القرمطي، وأخذنا السيف، وتفرق الناس، وحيل بينهم، وبين أمتعتهم ورحالهم، ومشيت أنا، فألفت فيمن ألفت، وجئت إلى الكوفة، وما أملك درهماً واحداً.

فبينما أنا جالس يوماً أفكر، لمن أسأل، وكيف أعمل، إذ سمعت جلبة وضوضاء.

فخرجت أبصر ما هي؟ فإذا القرد قد ركب الكلب، وجاءا كذلك، فدخلوا الكوفة، والناس يضحكون منهما.

وإذا القرد كان يطعم الكلب، ويريد منه الركوب، واحتال لنفسه بذلك، طول الطريق.

فلما رأيت القرد والكلب استدعيتهما فجاءا إلي.

فقال الناس: ما هذا؟ قلت: هما لي، فأخذتهما.

وبلغ أمير الكوفة الخبر، فراسلني في بيعتهما عليه.

فبعتهما عليه بثلاثمائة درهم، فكانت سبب صلاح حالي في الوقت، وخرجت البلد.

ما للماء للماء وما للخمر للخمر

وروي عن وهب بن منبه: أنه كان في عهد بن بني إسرائيل، حمار، فسافر بخمر له ومعه قرد، وكان يمزح

الخمر بالماء نصفين، ويبيعه بسعر الخمر، والقرد يشير إليه أن لا تفعل، فيضربه.

فلما فرغ من بيع الخمر، وأراد الرجوع إلى بلده، ركب البحر، وقرده معه، وخرج فيه ثيابه، والكيس

الذي جمعه من ثمن الخمر.

فلما سار في البحر، استخرج القرد الكيس من موضعه، ورقى الدقل وهو معه، حتى صار في أعلاه، ورمى إلى المركب بدرهم، وإلى البحر بدرهم.

فلم يزل ذلك دأبه، حتى قسم الدراهم نصفين، فما كان بحصة الخمر، رمى به إلى المركب، فجمعه صاحبه، وما كان بحصة الماء رمى به إلى البحر فهلك، ثم نزل عن الدقل حتى حصل في المركب.

قروود اليمن ترجم الزاني والزانية

حدثني أبو عمر أحمد بن عبد الله أحمد بن بكر البصري، قال: حدثني النعمان الواسطي الحدّث إنه كان باليمن، فحدثه بعض من يتق به من الرعاة هناك، قال: كنت أرى غنماً لي في بعض الأودية، فرأيت قردين، ذكراً وأنثى، وهما نائمان في مكان من الجبل.

فجاء قرد ذكر، يخفي مشيه، حتى حرك الأنثى، وهي إلى جنب الذكر، فانتبهت، ومضت معه، وافترشها، وأنا أراهما.

فانتبه ذكرها، فرآها، فزعى زعقة عظيمة، فاجتمع إليه من القروود عدد كثير، هالني.

فصاح بين أيديهم، فأقبلوا يتشممون الأنثى، حتى فرغوا كلهم من تشمّمها.

ثم نزلوا بها، وبالذكر الذي وطنها، تخفياً من ذكرها، إلى وهلة بعيدة، فدحرجوها فيها قهراً، ثم رجوهما بالحجارة، حتى ماتا.

دب في شيراز ينفخ في زق حداد

قال: حدثني أبو الحسن الزجاج، صديق - كان لي - ثقة: إنه شاهد بشيراز، دباً، ينفخ في زق حداد، كأنه إقامة مقام الأجير.

دب يضرب بمطرقة حداد

قال: شاهدت أيضاً دباً يضرب بالمطرقة، على حداد، فغلط يوماً، فضرب دماغ الحداد فقتله.

خاقان المفلحي يستطيب لحم الدب والضبع

حدثني أبو محمد الصلحي الكاتب، قال: حدثني أبي، وكان يكتب لخاقان المفلحي، قال: شربت معه يوماً، فنقلني بقديد، فلم حصل في فمي، لم أستطبه.

فقلت: أيها الأمير، ما هذا؟ فقال: هذا قديد الدب.

فرميت به، وقذفت، وثارت بي أخلاط، وصارت علة، فأقمت أربعة أشهر عليلًا في بيتي.

قال: وكان خاقان، يأكل لحم السباع، والضباع، ويستطيبها، ولحم كل شيء له لحم.

وصف له الطيب فروجاً، فأكل مهراً
وأخبرني وهب بن يوسف، اليهودي، الطيب، عن داود اليهودي، الشامي، قال: كنت أخدم خاقان،
فاعتل، فحميته، فاحتمى، وصلح، وأقبلت العافية.
فقال لي: لا أقدر أحتمي أكثر من هذا.
فقلت له: كل فروجاً.
فلما كان من غد، جئته، فوجدت الحمى، قد عادت أعظم مما كانت، وهي في طريق البرسام.
فقلت له: ما عمل الأمير أمس؟ فقال: أكلت فروجاً.
فقلت: ليس هذا من فعل الفروج، أي فروج هذا، حتى فعل هذا؟ فقال لي بعض غلمانه: إنه ذبح مهراً،
وأكل منه أطايبه.
فقلت: أيها الأمير، أصف لك فروجاً، فتأكل لحم دابة؟ فقال: بابا، إنما أكلت فروج الدابة.
فقلت في نفسي: خذ الآن فروج الموت.
ومازلت أعاجله شهوراً كثيرة، حتى برىء.

وظيفة خاقان المفلحي في كل يوم

من اللحم ألف مائتا رطل: قال أبو محمد الصلحي، عن أبيه: كانت وظيفة خاقان المفلحي، في كل يوم، ألف
رطل ومائتي رطل لحماً، له، ولغلمانه، وخدمه، وكل ما يتخذ في داره، إذا كان في أعماله.
فإذا كان ببغداد، اقتصر على النصف من ذلك، وهو ستمائة رطل لحماً، سوى الحيوان الذي يذبح في
المطبخ.

وظيفة الوزير أبي الفرج بن فسانجس

من اللحم في كل يوم: وأخبرني بعض وكلائه وزراء هذا الزمان، وهو أبي الفرج بن فسانجس: إن وظيفة
كانت، في أيام وزارته، في كل يوم، نيف وستين رطلاً لحماً، له، ولنسائه وغلمانه، وجميع ما يتخذ في دوره،
وثلاثة جدي، وعشر دجاجات، وأربعة أو خمسة أفرخ، وثلاث جامات حلوى من السوق، وليست من
فاخره، وإنما هي زلاية دقيقة، أو فالودج، أو ما يجري مجرى ذلك.

كفى بالأجل حارساً

سمعت قاضي القضاة، أبا السائب، يحكي: إن رجلاً كان له على رجل دين، فهرب منه، فلقيه صاحب الدين
في صحراء فقبض عليه، وأخرج قيلاً كان معه، فقيدته ونفسه به، وجعل إحدى الحلقتين في رجل غريمه،
والأخرى في رجل نفسه، ومشيا إلى قرية تقرب من الموضع، فجاءها، وقد أدركهما المساء، وأغلق أهل

القرية باب سورها، فاجتهدا في فتحها لهما، فأبى أهل القرية، فباتا في مسجد خراب على باب القرية، فجاء السبع وهما نائمان، فقبض على صاحب الدين فافترسه، وجره، فانجر الغريم معه، فلم تنزل تلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين، وشيع، وانصرف، وترك المديون وقد تجرح من جره وسحبه عليه، وبقيت ركبة الغريم في القيد، فحملها الرجل مع قيده، وجاء إلى القرية، فأخبرهم الخبر، حتى حلوا قيده، وسار لوجهه ذلك.

عريان أعزل يصيد الأسد

حدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار: إن رجلاً أجنة الليل في بعض أسفاره، فبات في خان خراب، بقرب أجنة، وماء مستنقع، وكانت ليلة قمراء، وكان الموضع مسبعاً، والرجل عارف بذلك، فرقي سطح الخان، وطلب لبناً فشرجه على باب الدرجة، وجلس يتربق، فإذا رجل عريان، قد جاء حتى جلس على الماء. قال: قتلته له: ما تصنع؟ قال: جئت لأصطاد السباع. فقالت: يا هذا اتق الله في نفسك. فقال: الساعة ترى.

فلم يلبث هنيهة، أن طلع سبع، فترأى له الرجل، فصاح به، فقصده: فلما قرب منه، طرح الرجل نفسه في الماء، فرمى السبع بنفسه خلفه في الماء، فغاص، فإذا الرجل قد خرج من وراء السبع، وعلق خصيه بيده، ثم أخرج من مندبل على رأسه، قصبة مقدار ذراع، مخوفة، فارسية، وثيقة، نافذة، فدسها في جاعرة السبع، وأقبل يدخل فيها الماء بإحدى يديه، وكلما دخل جوف الأسد الماء ثقل، وضعف بطشه، وهو يمرس مع ذلك خصاه، إلى أن غرقه، وقتله.

ثم جره في الماء فأخرجه إلى الشط، وسلخ جلده، وأخذ جبهته، وكفه، وشحمه، ومواضع يعرفها منه لها ثمن.

ثم صاح بي: يا شيخ، كذا أصطاد السباع.

وتركني ومضى.

لنيم يفخر بلؤمه

حدثني أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه، بن أبي علان الأهوازي الكاتب، خال والدي، قال: كانت بيني وبين أبي جعفر بن قديدة، عداوة، وكنت قد تبت من التصرف مع السلطان. فقتل ضياع السيدة أم المقتدر، وفيها ما يجاوز ضيعتي، فأذاني أذى شديداً، في الشرب، والأكرة، وقصد إخراج ضيعتي، وإبطال جاهي فصبرت عليه. فقبض يوماً على أكار لي، فصفعه صفعاً عظيماً، فأنفذت إليه كاتباً كان يكتب لي على ضيعتي، يعرف بأبي القاسم على بن محمد بن خربان، ليعاتبه، ويستكفه، ويأخذ الأكار، فتلقى الرجل بكلام غليظ.

فعاد إلي، فقال: إن هذا قد جذبك، فخذ حذرک، ودبر أمرک بغير ما أنت فيه.

فقلت: ما الخبر؟ فعرفني ما جرى عليه.

ففكرت، فلم أر لحسم مادته، وأذيته في نفسه، غير ضمان ضياع السيدة، وتسلمه، ومطالبته بالحساب، وإيقاعه في المكاره.

فكتبت إلى كاتب السيدة، وخطبت ضمان النواحي، بزيادة ثلاثين ألف دينار في ثلاث سنين، عما رفعها ابن قديدة، على أن تسلم إلي، لأحاسبه وأطالبه، بما يخرج الحساب عليه، وأوفره، مضافاً إلى هذه الزيادة. وأنفذت الكتاب مع فيج قاصد.

فحين نفذ، اغتممت، وقلت: ضياع لا أعرف حاصلها على الحقيقة، لم حملت نفسي على هذا؟ وكان احتمال عداوة الرجل، أيسر من هذا.

وطرحت نفسي مفكراً، وأنا بين النائم واليقظان، حتى رأيت، كأن رجلاً شيخاً، أبيض الرأس واللحية، يزي القضاة، قد دخل إلي وعليه طيلسان أزرق، وقلنسوة، وخف أحمر.

فقال: ما الذي يغمك من هذا الأمر؟ ستريح في أول سنة من هذا الضمان، على ما زدته، عشرة آلاف دينار، وتخسر في الثانية، عشرة، وتخرج في الثالثة بغير ربح ولا خسران، ويكون تعبك يزاء اشتغالك من عدوك.

فانتبهت متعجباً، وسألت: هل دخل إلي أحد؟ فقالوا: لا، فقويت نفسي قليلاً.

فلما كان في اليوم الثاني والعشرين، ورد رسول من بغداد، بكتب إلي قد أجت فيها إلى ملتسمي، وكوتب في طيها، عامل كان لهم بالطيب مقيماً، يشرف على جميع عمالهم بكور الأهواز يؤمر بقدومها وتسليم ابن قديدة إلي، وعقد الضمان علي.

فأنفذت إلى العامل سفتجة بألف دينار مرفقاً، وكتبت إليه، وسألته الحضور، وأنفذت إليه الكتب الواردة. فلما كان بعد أيام، كت جالساً مع عامل الأهواز، على داره بشاطيء دجيل فإذا عسكر عظيم قد طلع من جانب المأمونية.

فارتاع، وظن أن صارفاً قد ورد، وأنفذ من سأل عن الخبر، فعاد، وقال: فلان، عامل السيدة، فعبر في طياره، وأنا معه، لتلقيه.

فحين اجتمعا، قال له: يا سيدي، أريد ابن أبي علان.

فقلت: أنا هو يا سيدي.

قال: ولم يكن يعرفني، ولا أعرفه إلا بالوجه فأقامني من موضعي، ورفعني فوق الجماعة، وتحير العامل، ومن حضر.

وقال له: أريد ابن قديدة، فأنفذ إليه، فاستدعاه.

فحين حضر قيده، وقال لي: يا أبا القاسم تسلمه.

فقال العامل: أيش هذا التعب؟ وأقبلت الجماعة تمازحني.

فقلت: هو أحوجني إلى هذا.
قال: فتسلمه، وقمت إلى داري.
وعبر عامل السيدة، فحملت إليه من الألفاظ، والأنزال، والهدايا، ما صلح، وعقد علي الضمان من غد،
وانصرف في اليوم الثالث.
وحملت إليه ألف دينار أخرى مرفقاً.
وحصلت ابن قديدة معي في المكاره متردداً، ووفرت من جهته مالاً على السيدة، وكاتبها، وكذا العامل،
وارتفعت ما لزمني على مؤونة العامل ومرفقة.
وأطلقته بعد شهور إلى داره، وقد ركه دين ثقيل، وباع شيئاً من ضيعته، وانكسر جাহه، وانخرلت نفسه.
ونظرت في الضمان، وتصرفت السنة، فربحت عشرة آلاف دينار.
فقلت: قد جاء ما قال الشيخ في المنام، فأثبتها عند الصارف، ولم أدخلها في دخلي، ولا في خرجي.
فلما كانت السنة الثانية، قعدت بي الأسعار، فخسرت ذلك القدر، فأدبته بعينه في الخسران.
فلما كانت السنة الثالثة، خرجت رأساً برأس، ما خسرت ولا ربحت شيئاً.
فصححت مال الضمان، وكتبت أستعفي، وقد علمت أن النكبة قد بلغت بابن قديدة إلى حد لا يجسر أن
يتقلد معها، ولا أن يقلد أيضاً.
فلم يعني كاتب السيدة، وطالبي بتجديد الضمان على الزيادة، وعمل على التأول عليها من ابن قديدة.
وأنفذ في إشخاصي، خادماً من كبار خدم السيدة، فجاء في طيار، وأمر هائل، فتخوفت من الشخوص معه،
فأحصل في الحبس، وتستمر علي المكاره، وأقطع عن الشروع في الخلاص.
فأنزلت الخادم، وهاديته، ولاطفته، وحملت إليه خمسة آلاف درهم فاستعظمها، وعبدني.
فقلت له: إن ذيلي طويل، وأريد أن أصلح أمري، ثم أخرج، فتمهلني أسبوعاً، وتدعني أخلو في منزلي،
وأصلح ما أحتاج إليه، ثم أخرج معك، فمكنني من ذلك.
فقلت لإخوتي، وأصهار، وكتابي: ليدعه كل واحد منكم يوماً، له، ولغلمان، وأسبابه، وامنعوهم من
معرفة خبري، وشاغلوهم بالنبيذ، والشطرنج، والمغنيات، ففعلوا ذلك.
وخرجت أنا تحت الليل بمرقعة، راكباً حمراً، ومعني غلامان من غلماني، ودليل، وليس معي شيء من الدنيا،
إلا سفاتج بخمسة آلاف دينار.
وسرت واشتغل الخادم بالدعوات، فما عرف خبري إلا وأنا بواسط، فقامت قيامته، وانحدر في طريق الماء،
فوصل إلى الأبله، وقد قاربت أنا بغداد، ثم دخلتها متخفياً، وطرحت نفسي على أبي المنذر النعمان ابن عبد
الله، وكانت لي به حرمة وصحبة، أيام تقلده الأهواز، وتصرفي معه، فلقي بي أبا الحسن، علي بن عيسى،
وهو إذا ذاك الوزير، وعرفه محلي.
فقال لي: قد كنت أحب أن أراك، لما يبلغني من حسن صناعتك، وطرح إلي أعمالاً، فعملتها بحضرته،
وأعجبته صناعتك، وقرظني.
ولزمته أياماً، وخبرني منستر عن كاتب السيدة، ثم خاطب الوزير في أمري، وخوطبت السيدة.

فقلت: لا أقرر أمره، أو يصير إلى ديواني.

فقال لي: امض وأنا من ورائك، ولا تخف.

فمضيت، فاغتفلوني، فراسلتهم في أمري.

وحضر أبو المنذر، ديوان السيدة، فتوسط ما بيني وبينهم، وقرر الأمر على صلح ثلاثة آلاف دينار، أو نحوها - الشك مني - وضمنها عني، وأخذني إلى داره، فأديتها إليه من جملة السفاتج.

وطالبني علي بن عيسى، بالتصرف معه، فعرفته توبتي منه، وإني إنما ضمنت هذا الضمان، لضرورة، وشرحت له الخبر، فأعفاني.

فرجعت إلى الأهواز، وقد مضت السنون على العداوة بيني وبين ابن قديدة، إلا أنه منهزم.

وكتب السلطان بيع ضياعه بالأهواز، وكان الناس يشترون ما يغل في سنة وأكثر، بنصف ثمنه، فاشترت ما كان فيه غناي، وخرقت فيه الحكم.

واشترى أبو عبد الله البريدي لنفسه، بأسماء قوم، أمراً عظيماً، برأيي واختياري له، وكان سره عندي، وكان في ذلك الوقت لا يتقاضى علي.

واشترى ابن قديدة، فيمن اشترى، وتصرفنا في الضياع.

فكتب السلطان بالزمانا زيادة عظيمة، أظنه قال: مائة ألف دينار.

فقال لي البريدي: كيف أعمل في الزيادة؟ قلت: لا يلزمها الناس لك، وواضعت أهل البلد على الإمتناع، فجمعهم، وخاطبهم، فامتنعوا، واحتاج إلى أن خبطهم.

فخلاي، فقال: ما أعرف في هذا غيرك، فدبره لي، وألزمي ذلك، فقلت: مكني من العمل بما أريد، وعلي المال.

فقال: أنت ممكن.

فجلست أنا و غلام جوداب، فقسطنا المال على أهل البلد، وأخرجنا أنفسنا، فما ألزمناها شيئاً، ونقصنا من عنيينا به، وزدنا بإزاء ذلك على غيره.

قال: واعتمدت أن قسّطت على ابن قديدة ضعف ما يلزمه، وعملنا بذلك جرائد.

وناظرنا الناس على الإلتزام بما قسّطنا، فامتنعوا، وقالوا: على أي حساب هذا؟ وحاسبونا، وناظرونا.

فقلت للجماعة: من صلح له أن يلتزم هذا التقسيط، وإلا فليحاسبنا على ما قبضه من غلات الضياع التي اشتراها، وأنا أرد عليه ما يبقى له من الثمن بعد ذلك، وآخذ ما اشتراه، وألتزم هذه الزيادة.

وكان كل إنسان قد اشترى ما في شركته، وما في جواره، مما كان يتأذى به هو وأسلافه، منذ مائة سنة، وما كان يتمناه ويشتهي منذ ذلك العهد، وما قد ارتخصه، واستصلحه.

فقامت قيامة أهل البلد، والتزموا عن آخرهم التقسيط، على ما فصلته عليهم، من غير محاسبة.

ووركت على ابن قديدة مالا عظيماً، فلم يكن له فيه وجه.

فأنا جالس في بيتي ليلة، إذ جاعني فدخل إلي.

فقلت: ما هذا يا أبا جعفر؟ وقمت إليه، وسلمت عليه، فعاتبني، وخضع لي.
فقلت: ما تريد؟ فقال: تخفف عني من التقسيط، وتعاونني بمالك، فوالله، ما معي ما أؤديه.
فخففت عنه منه شيئاً يسيراً، وأقرضته ثلاثين ألف درهم، وكتبت بما عليه قبالة، وأشهدت فيها جماعة
عدول البلد، وتركها في بيتي، فلم أفكر في المال سنين.
ورجعت أدس المكاره، والمغارم، واخن عليه، وهو يذوب، ويقص في كل يوم.
فلما علمت أنه قد بلغ آخر أمره، طالبته بالدين، فاستتر عني في منزله.
فاستعدت عليه إلى القاضي أبي القاسم علي بن محمد التوخي، فكتب لي عدوى إلى صاحب المعونة.
فهرب من داره، فنادى القاضي على بابه بالحضور، فلم ينجع ذلك.
فسألت البريدي إخراج، فكبس عليه وأخرج، وأحضره معي إلى القاضي، فقامت البينة عليه بالمال.
فسألت القاضي حيسه.
فقال لي القاضي علي بن محمد: الحبس في الأصل غير واجب، وذوو المروءات لا يحبسون مع أصاغر
الناسفي حبس واحد، ولكن أمكنك من أن تلازمه بنفسك أو أصحابك، كيف شئت.
فلازمته في مسجد على باب القاضي بأصحابي ومضيت إلى البريدي، فقلت: قد لحقت خصمي عناية
القاضي، فالله الله في، فإني لا آمن أن يدس ابن قديلة إلى أكرته، أو إلى قوم من الجيش، فيؤخذ من يدي،
ويخرج إلى بغداد، فيطيل المال علي، ويحصل هناك يسعى بي، ويعرض نعمتي للزوال.
قال: فخاطب البريدي القاضي في ذلك، فتقرر الأمر بينهما على أني اكترت داراً قريبة من حبس القاضي،
أؤدي أنا أجرهما، وأجلس ابن قديلة فيها، وألزمه بأصحابي، وأوكل بما رجالة أعطاهم من مالي أجرهم
يحفظونه.
فنقلته إليها، فأقام فيها سنة وكسراً، وهو لا يؤدي المال، ويكايدني عند نفسه، وأنا قد رضيت أنا يتأخر
المال، ويبقى هو محبوساً.
واعتل علة صعبة، فجاءتني أمه، وكانت بيني وبينها قرابة، فسألني إطلاقه، وبكت، فلم أفعل.
إلى أن بلغني أنه في النزاع، وجاءتني تبكي، فرحمتها، فأطلقته لها، بعد أن كفله منها.
فمات بعد ثلاثة أيام، وابتعت بالمال ضياعاً من ضياعه.

كيف تاب بن أبي علان من التصرف

قلت لأبي القاسم ابن أبي علان: كيف كانت توبتك من التصرف؟ وما سببها؟ قال: كان سبب ذلك، أن أبا
علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي رحمه الله، كان يحجيء إلى الأهواز فينزل علي، لأني كنت كاتب ديوان
الأهواز، وخليفة أبي أحمد بن الحسين بن يوسف على العمالة، والأمر كله إلى أدبره.
وكان أبو علي يقدم الأهواز في كل سنة دفعة، وقت افتتاح الخراج، ويستضيف إلى خراج ضيعته بجي،
خراج قوم كان رسمهم أن يكونوا في أثره على مرور السنين.
فإذا قدم البلد، أعظمه الناس وأكرموا، ولا ينزل إلا علي في أكثر الأوقات، فأقرر أمره مع العامل.

وربما كان العامل غير صاحبي، أو من لا يعرف محل أبي علي، فيكون ما يقرر عليه أمره أقل من ذلك، إلا أنه كان لا يخلو من أن يسقط عنه نصف الخراج أو ثلثه.

فإذا عاد جبي، لم يلزم نفسه من خراج ضيعته شيئاً البتة، ونظر إلى ما بقي، بعد إسقاط خراجيه من النظر، ففضه على القوم الذي في أثره، وألزمهم بإزاء ذلك، أن يضيف كل واحد منهم، رجلاً من الفقراء الذين يتعلمون منه العلم طول السنة، فيكون ما يلزم الواحد، على الواحد منهم، شيئاً يسيراً لا يبلغ خمس ما أسقطه عنه من الخراج بجاهه.

ويعود هو فيخرج من ضيعته العشر الصحيح، فيتصدق به على الفقراء من أهل الحوز، قريته التي هو مقيم فيها، وعلى أهل محلته، وكان هذا دأبه في كل سنة.

فنزل علي في بعض قدماته، فبلغت له مراده في أمر الخراج، وجلسنا ليلة نتحدث. فقلت له: يا أبا علي أتخاف مما أنا فيه شيئاً؟ فقال: يا أبا القاسم، وكيف لا أخاف عليك، والله، لئن مت على هذه الحال، لا رحت رائحة الجنة.

فقلت: ولم؟ ولأي شيء؟ وإنما أنا أعمل الحساب، وأجري مجرى ناسخ، وأخذ أجري من بيت المال، أو يجيئي رجل مظلوم، قد لزمته زيادة باطلة في خراجيه، فأسقطها عنه، وأصلحها له في الحساب، فيهدي إلي بطيب قلبه، أو أرتفق من مال السلطان بشيء، ولي في فيء المسلمين قسط يكون هذا بإزائه.

فقال: يا أبا القاسم، إن الله لا يخادع، أخبرني، ألسن أنت تختار المساح، وتنفذهم إلى المساحة، وتوصيهم بالتقصي، فيخرجون، فيزيدون بالقلم واحداً أو اثنين في العشرة، ويجونك بالتراوير، فتسقطها أنت، وتعمل الجرائد، وتسلمها إلى المستخرج، وتقول له: أريد أن يصح المال في كذا وكذا يوماً عند الجهيد، وإلا دقت يديك على رجليك؟ قلت: نعم.

قال: فيخرج المستخرج فيبث الفرسان، والرجالة، والرسل، والمستحنيين، ويضرب، ويصفع، ويقيد، وأنت تأمره وتنهاه، وإذا قلت له: أطلق رجلاً، أو أخره بما عليه قبل أمرك، وإذا لم تأذن له طالبه حتى يؤدي؟ قلت: نعم.

قال: فيحصل المال عند الجهيد، فنخرج إليه الصكاك من يدوانك وبعلاماتك؟ فقلت: نعم. قال: فأني شيء بقي من العمل لم تتول وزره، وتضمن غرمه، وتحمل إثمه؟ تب إلى الله، وإلا فأنت هالك، ودع التصرف، وأصلح أمر آخرتك.

قال: وأخذ يغطني، ويخطب علي، حتى بكيت. ثم قال لي: لست بأعظم نعمة ولا أكبر منزلة من جعفر بن حرب، فإنه كان يتقلد كبار أعمال السلطان، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزراء، وكان يعتقد الحق ومنزلته في العلم المنزلة المشهورة، وصنف غير كتاب من كتبه الباقية إلى الآن في أيدي الناس، وهو يتصرف مع السلطان.

فاجتاز يوماً ركباً في موكب له عظيم، ونعمته على غاية الوفور، ومنزلته بحالها من الجلالة، فسمع رجلاً يقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما أنزل من الحق " صدق الله العظيم " فقال: اللهم بلى، وكررها دفعات، وبكى، ثم نزل عن دابته، ونزع ثيابه، ودخل إلى دجلة، فاستتر

بالماء إلى حلقه، ولم يخرج حتى فرق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه ، وردّها، ووصى فيها، وتصدق بالباقي، وعمل ما اقتضاه مذهبه، ووجب عليه عنده.
فاجتاز رجل، فراه في الماء قائماً، وسمع بخبره، فوهب له قميصاً ومئزرًا فاستتر بهما، وخرج فلبسهما، واقطع إلى العلم والعبادة، حتى مات.
ثم قال لي أبو علي: فافعل أنت أبا القاسم مثل هذا، فإن لم تطب نفسك به كله، فتب.
قال: فآثر كلامه في، وعملت على التوبة، وترك التصرف، ولم أزل أصلح أمري لذلك مدة، حتى استوى لي التخلص من السلطان، فتبت، وتركت معاودة التصرف.

أبو فراس الحمداني

من مناجيب بني حمدان: من مناجيب أبو حمدان، أبو فراس، الحارث بن أبي العلاء بن حمدان، فإنه برع في كل فضل، على ما أخبرني جماعة شهدوه، وأوثق بهم، حسن خلق لم ير في عصره - بالشام أحسن منه، مع خلق طاهر، وحسن باطن وظاهر، وفروسية تامة، وشجاعة كاملة، وكرم مستفيض، لأنه نشأ في تربية سيف الدولة رضي الله عنه، وحجره، وأخذ أخلاقه، وتأدب بآدابه، مع ملاحاة خط، وترسل، وشعر في غاية الجودة، وديوانه كبير، إلا أنه كان قليل موته اختاره، على ما أخبرني به أبو الفرج البغاء، فنفى منه شيئاً كثيراً.

قال: واقبني على نفيه، لأنه عرضه علي، فكل ما استضعفناه نفاه، وما اجتمعنا على استجداته آقره، وحرره في نسخة تداولها الناس ومات وما بلغ الأربعين، مقتولاً.

قال: وأظن مبلغ سنه كانت سبعة وثلاثين سنة، أو نحوها، لما قتل.
وكان قرغويه غلام أبي الهيجاء الذي كان أحد قواد سيف الدولة، وحاجبه، احتال عليه، حتى قتله في سنة سبع وخمسين وثلثمائة.

قال: وذلك أن الجيوش السيفية افتقرت بعد وفاة صاحبها، فكل قطعة حوت بلداً، وصار معظمهم مع قرغويه بلحب، واحتوى عليها وانضمت قطعة إلى أبي فراس، فغلب بها على حمص.

فلما استقام الأمر لقرغويه، رحل بالأمير أبي المعالي شريف بن سيف الدولة، وهو ذاك صبي، وأبو فراس خاله، لقتال أبي فراس، ثم جرت بينهما مراسلة، واصطلحوا.

وجاء أبو فراس، وهو لا تحدّثه نفسه أن قرغويه يجسر عليه، ولا أنه يخاف أبا المعالي وهو ابن أخته، فدخل إلى أبي المعالي وخرج، وما أحب الأمير أبو المعالي به سوءاً.

إلا أن قرغويه خاف أن يتمكن من ابن أخته، فيحمله على قتله، فصب له قوماً اغتالوه في العسكر، وهم عقيب حرب لم تهدأ، وتخليط لم يسكن.

وأراد الأمير أبو المعالي إنكار ذلك، فمنعه قرغويه، وطاح دم الرجل، رحمه الله.
وحدثني أبو الحسن، أن أبا محمد الصلحي، وكان أبوه يكتب لأبي فراس أيام ملكه، حدثه بمثله، على غير

هذا، وجهلته: أنه أسر، فجاء وهو أسير، راكباً، فما شاهدته طائفة من غلمان سيف الدولة، إلا ترجلت له، وقبلت فخذه، فلما رأى ذلك قرغويه قتله في الحال.

كيف أسر أبو فراس الحمداني

قال: وكان سيف الدولة، قلده منيج وحران وأعمالهما، فجاءه خلق من الروم، فخرج إليهم في سبعين نفساً من غلمانه وأصحابه، يقاتلهم، فنكأ فيهم، وقتل، وقدر أن الناس يلحقونه، فما اتبعوه، وحملت الروم بعددها عليه، فأسر.

فأقام في أيديهم أسيراً سنين، يكتب سيف الدولة أن يفتديه بقوم كانوا عنده من عظماء الروم، منهم البطريق المعروف بأغورج، وابن أخت الملك، وغيرهما، فيأبى سيف الدولة ذلك، مع وجده عليه، ومكانه من قلبه، ويقول: لا أفدي ابن عمي خصوصاً، وأدع باقي المسلمين، ولا يكون الفداء إلا عاماً للكافة، والأيام تتدافع.

إلى أن وقع الفداء قبيل موت سيف الدولة، في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، فخرج فيه أبو فراس، ومحمد بن ناصر الدولة، لأنه كان أسيراً في أيديهم، والقاضي أبو الهيثم عبد الرحمن بن القاضي أبي الحصين علي بن عبد الملك، لأنهم كانوا أسروه أيضاً في حران، قبل ذلك بسنين، وخرج من المسلمين عدد عظيم.

قال: ولأبي فراس كل شيء حسن من الشعر، في معنى أسره. فمن ذلك، أن كتب سيف الدولة تأخرت عنه، وبلغه إن بعض الأسراء قال: إن ثقل هذا المال على الأمير سيف الدولة، كاتبنا فيه صاحب خراسان، فاتهم أبا فراس بهذا القول، لأنه كان ضمن للروم وقوع الفداء، وأداء ذلك المال العظيم، فقال سيف الدولة: ومن أين يعرفه أهل خراسان؟ فكتب إليه قصيدة أولها:

أسيف الهدى وقريع العرب ... إلى م الجفاء وفيهم الغضب

وما بال كتبك قد أصبحت ... تنكبي مع هذي النكب

وإنك للجبل المشمخر ... لي ولقومك بل للعرب

علي تستفاد وعاف يفاد ... وعز يشاد ونعمي ترب

وما غص مني هذا الأسار ... ولكن خلصت خلوص الذهب

ففيهم يقرعني بالحمول ... مولى به نلت أعلى الرتب

أتنكر أني شكوت الزمان ... وأني عتبتك فيمن عتب

فالأ رجعت فأعتبني ... وصيرت لي ولقولي الغلب

ولا تنسين إلي الحمول ... عليك أقمت فلم أغرب

وأصحت منك فإن كان فضل ... وإن كان نقص فأنت السبب

وإن خراسان إن أنكرت ... علاهي فقد عرفتها حلب

ومن أين ينكرني الأبعدون ... أمن قصص جد أمن نقص أب

ألست وإياك من أسرة ... وبينك فوق النسب
وداد تناسب فيه الكرام ... وتربية ومحل أشب
فلا تعدلن فداك ابن عمك ... لا بل غلامك عما يجب
أكنت الحبيب وكنت القريب ... ليالي أدعوك من عن كذب
فلما بعدت بدت جفوة ... ولاح من الأمر ما لا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرة ... لقلت صديقك من لم يغب
وما شككتني فيك الخطوب ... ولا غيرتني عليك النوب
وأشكر ما كنت في صحبتي ... وأحلم ما كنت عند الغضب.
قال الببغاء: وله في صفة أسره، وعلل لحقته هناك، ومراث لنفسه في الأسر، وتعطف لسيف الدولة، وصفة
الأسر، وما لحقه فيه، شعر كثير، حسن أكثره، بمعان مخترعة، لم يسبق إليها.
ونحن نوردها ما نختاره من ذلك، بعد هذا إن شاء الله تعالى.

إذا اختل أمر القضاء بالدولة

اختل حالها: حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: كان أول ما انحل من نظام سياسة الملك، فيما شاهدناه من
أيام بني العباس، القضاء، فإن ابن الفرات، وضع منه، وأدخل فيه قومًا بالذمامات، لا علم لهم، ولا أبوة
فيهم، فما مضت إلا سنوات، حتى ابتدأت الوزارة تتضع، ويتقلدها كل من ليس لها بأهل، حتى بلغت في
سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، أن تقلد وزارة المتقي أبو العباس الأصهباني الكاتب، وكان غاية في سقوط
المروءة، والرفاعة.

ولقد استأذنت عليه يوماً، فجاء البواب، فقال: ابن عياش بالباب، فسمعتة يقول له من وراء الستر: يدخل.
فقلت في نفسي: لا إله إلا الله، تبلغ الوزارة إلى هذا الحد في السقوط؟ وحتى كان يركب وليس بين يديه إلا
ابن حدينا صاحب الربع، وحتى رأيت في شارع الخلد قرداً معلماً، يجتمع الناس عليه.

فيقول له القرد: تشتهي أن تكون بزازاً؟ فيقول: نعم، ويومئ برأسه.

فيقول: تشتهي تكون عطاراً؟ فيقول: نعم برأسه.

فيعدد الصنائع عليه، فيومئ برأسه.

فيقول له في آخرها: تشتهي تكون وزيراً؟ فيومئ برأسه: لا، ويصيح، ويعدو من بين يدي القرد، فيضحك
الناس.

قال: وتلى سقوط الوزارة، اتضاع الخلافة، وبلغ صيورها إلى ما نشاهد، فانحلت دولة بني العباس، بالتحلل
أمر القضاء.

وكان أول وضع الفرات من القضاء، تقليده إياه، أبا أمية الأحوص الغلابي البصري، فإنه كان بزازاً، فاستتر
عنده ابن الفرات، وخرج من داره إلى الوزارة.

فقال له في حال الاستتار: إن وليت الوزارة، فأني شيء أحب أن أعمل بك؟ قال: تقلدني شيئاً من أعمال

السلطان.

قال: ويحك، لا يجيء منك عامل، ولا أمير، ولا صاحب شرطة، ولا كاتب، ولا قائد، فأني شيء أقلدك؟
قال: لا أدري، ما شئت.

قال: أقلدك القضاء.

قال: قد رضيت.

فلما خرج، وولي الوزارة، وهب له، وأحسن إليه، وقلده قضاء البصرة، وواسط، وسيع كور الأهواز.
وكان يداعبه، ويتلهى به، ويسخر منه أوقات استتاره عنده، وقبلها، ويمد يده إليه، فلما ولاه القضاء، وقره
عن ذلك.

ثم انحدر أبو أمية إلى أعماله، فأراد أن يغطي نقصه في نفسه، وقلة عمله، ويصل ذلك بشيء يتجمل به،
فغف عن الأموال، فما أخذ شيئاً، وتصون وتوقر، واقتصر على الأرزاق، وصلات ابن الفرات الدارة،
فستر ذلك جميع عيوبه.

وتناول الشعراء، فقال فيه القطراني البصري:

عبث الدهر بنا وال ... دهر بالأحرار يعبث

من عذيري من زمان ... كل يوم هو أنكث

ما ظننا أننا نبقي ... وأن نحيا ونلبث

فترى الأحوص يقضي ... وأبا عيسى يحدث.

من محاسن الأحوص الغلابي القاضي بالبصرة

حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الله بن محمد القاضي، المعروف بابن نصرويه، قال: كنت أيام أبي أمية
الغلابي، وتقلده القضاء بالبصرة، حدثاً، وكنت أجيبه مع خالي، وكان الحر عندنا بالبصرة إذ ذاك، شديداً
مفرطاً، أكثر من شدته الآن.

وكان أبو أمية يخرج في كل عشية من داره في مربعة الأحنف، وعليه مئزر، وعلى ظهره رداء خفيف، وفي
رجليه نعلان كنباتي ثخان، ويده مروحة، وهو قاضي البصرة، والأبلة، وكور دجلة، وكور الأهواز،
وواسط، وأعمال ذلك، فيمشي حوله من يتفق أن يكون في الوقت من غير تعمل، حتى ينتهي إلى موضع
حلقة أبي يحيى زكريا الساجي، فيجلس إليه، وربما سبقه، وجاء أبو يحيى، وجلسا يتحدثان، ويجتمع إليهما
أترابهما، وإخوانهما القدماء، فيستعملون من التخالع والانبساط في الحديث، والمرح، وما ليس بقليل.
ويجيء سعيد الصفار، وكان يخلف أبا أمية على البصرة، بقلنسوة عظيمة، وقميص، وخف، وطيلسان،
فيسلم عليه بالقضاء، ويشاوره في الأمور، فيقول له: قم عني، لا يجتمع علي الناس، لا تقطعني عن لذتي
بمحادثة إخواني القدماء، قم إلى مجلسك.

فيقوم سعيد، فيجلس بالبعد منه في الجامع، في موضع برسمه، ينظر بين الناس.

وما كان ذاك يغض من قدره عند الناس، وكانت سيرته أحسن سيرة، واستعمل من العفة عن الأموال، ما لم يعهد مثله.

وكان ديوان وقوف البصرة إذ ذاك ببغداد، فإذا أراد أحد أربابها شيئاً، خرجوا إلى بغداد حتى يوردوا الأمر فيه من الحضرة، فلحق الناس مشقة، فنقل أبو أمية ديوانها إلى البصرة، فكثر الدعاء له، وصارت سنة، وبقي الديوان بالبصرة.

وكان - مع هذا - يتيه على ابن كنداج، وهو أمير البصرة، ولا يركب إليه مرة، إلا إذا جاء ابن كنداج مرة، ويعترض على ابن كنداج.

في الأمور، ويسمع الظلامات فيه، وينفذ إليه في إنصاف المتظلم، فيضج ابن كنداج من يده، ويكتب إلى ابن الفرات في أمره، فتد عليه الأجوبة بالصواعق، ويأمره بالسمع والطاعة، فيضطر إلى مداراته، والركوب إليه، وتلافيه.

فقبض على ابن الفرات، وأبو أمية لا يعلم، وورد كتاب على الطائر - بذلك - إلى ابن كنداج، فركب بنفسه في عسكره إلى أبي أمية، فقدر أنه قد جاء مسلماً، فخرج إليه، فقبض عليه، ومشاه بين يديه، طول الطريق، إلى داره بني نمير، حتى أدخله السجن، من تحت الحشبة فأقام فيه مدة، ثم مات.

ولم يسمع بقاض أدخل السجن من تحت الحشبة غيره، ولا بقاض مات في السجن سواه. ثم ولي ابن الفرات الوزارة أيضاً، فحين جلس، سأل عن أصحابه، وصنائعه، وسأل عن أبي أمية، فعرف ما جرى عليه، ووفاته، فاغتم لذلك.

وقال: فإني بنفسه، فهل له ولد أقضي فيه حقه؟ فقالوا: ابن رجل.

فكتب بمحمله إليه مكرماً، فحمل.

فلما دخل عليه، وجد سلامه سلام متخلف، فقال له: ما اسمك؟ قال أبو غشان، وكانت لثغته كذا، ولم يفرق لتخلفه بين الاسم والكنية.

فقال ابن الفرات: عزيز علي أن لا أقضي حق أبي أمية، في نفسه، ولا في ولده، وكيف أقلد هذا القضاء؟ فوصله بمال جزيل، وأمر بإجراء أرزاق عظيمة عليه، وصرفه إلى بلده، وكان يأخذها إلى أن زال أمر ابن الفرات.

أبو عمر القاضي يقلد ابناً لأحمد بن حنبل

القضاء ثم يصرفه: حدثني أبو نصر أحمد بن عمرو البخاري القاضي، قال: حدثني جماعة من ثقات أهل بغداد.

إن أبا عمر القاضي قلد ابناً لأحمد بن حنبل القضاء.

فتظلم إليه منه، وذكر عنده بشناعات لا يليق مثلها بالقضاة، فأراد صرفه.

فعوتب على ذلك، وقيل: إن مثل هذا الرجل لا يجوز أن يكون ما رمي به صحيحاً، فإن كان صح عندك، وإلا فلا تصرفه.

فقال: ما صح عندي، ولا بد من صرفه.

فقيل: ولم؟ قال: أليس قد احتمل عرضه، أن يقال فيه مثل هذا، وتشبهت صورته بصورة من إذا رمي بهذا جاز أن يتشكك فيه؟ والقضاء أرق من هذا فصرفه.

أبو خازم القاضي يغضب

إذا سمع مدحاً للقاضي بأنه عفيف حدثني أبو الحسين بن عياش القاضي، عمن حدثه: إنه كان يساير أبا خازم القاضي في طريق، فقام إليه رجل، فقال: أحسن الله جزاءك أيها القاضي، في تقليدك فلاناً القضاء ببلدنا، فإنه عفيف.

فصاح عليه أبو خازم، وقال: اسكت عافاك الله، وتقول في قاض إنه عفيف، هذه من صفات أصحاب الشرط، والقضاة فوقها.

قال: ثم سرنا، وهو واجم ساعة.

فقلت: ما لك أيها القاضي؟ قال: ما ظننت أنني أعيش حتى اسمع هذا، ولكن فسد الزمان، وبطلت هذه الصناعة، ولعمري إنه قد دخل فيها من يحتاج القاضي معه إلى التقریط، وما كان الناس يحتاجون أن يقولوا: فلان القاضي عفيف، حتى تقلد فلان، وذكر رجلاً لا أحب أن أسميه. فقلت: من الرجل؟ فامتنع.

فألححت عليه، فأومأ إلى أبي عمر.

إسراع الناس إلى العجب مما لم يألفوه

وحدثني أبو الحسين، قال: لما قلد المقتدر أبا الحسين بن أبي عمر القاضي، المدينة رئاسة، في حياة أبيه أبي عمر، خلع عليه، واجتمع الخلق من الأشراف، والقضاة، والشهود، والجند، والتجار، وغيرهم على باب الخليفة، حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع، فساروا معه.

قال: وكنت فيهم مع عمي، للصهر الذي كان بينه وبينهم، ولأنه كان أحد شهودهم. فسار عمي، وأنا معه، في أخريات الموكب، خوفاً من الزحام، ومعنا شيخ من الشهود كبير السن، أسماء أبو الحسين وأنسيته أنا.

فكنا لا نجتاز بموضع، إلا سمعنا ثلب الناس لأبي الحسين، وتعجبهم من تقلده رئاسة. فقال عمي الشيخ: يا أبا فلان ما ترى ازورار الناس من تقلد هذا القتي، مع فضله، ونفاسته، وعلمه، وجمالة سلفه؟ فقال له الشيخ: يا أبا محمد، لا تعجب من هذا، فلعهدي، وقد ركب مع أبي عمر يوم خلع عليه بالحضرة، وقد اجتزنا بالناس، وهم يعجبون من تقلده، أضعاف هذا العجب، حتى خفت أن يشوا بنا، وهذا أبو عمر الآن قدوة في الفضل، ومثال في العقل والنبيل، ولكن الناس يسرعون إلى العجب مما لم يألفوه.

من قدم أمر الله على أمر المخلوقين

كفاه الله شرهم: حدثني أبو الحسن علي بن القاضي أبي طالب محمد بن القاضي أبي جعفر ابن البهلول، قال: طلبت السيدة أم المقتدر، من جدي، كتاب وقف لصيغة كانت ابتاعتها، وكان الكتاب في ديوان القضاء، فأرادت أخذه لتخرقه، وتبطل الوقف، ولم يعلم جدي بذلك.

فحمله إلى الدار، وقال للقهرمانة: قد أحضرت الكتاب كما رسمت فأيش تريد؟ فقالوا: نريد أن يكون عندنا.

فأحس بالأمر، فقال لأم موسي القهرمانة: تقولين للسيدة أعزها الله، هذا والله ما لا طريق إليه أبداً، أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم فيما مكنتموني من خزنة كما يجب، وإلا فاصرفوني وتسلموا الديوان دفعة، فاعملوا به ما شئتم، وخذوا منه ما أردتم، ودعوا ما أردتم، أما أن يفعل شيء منه على يدي، فوالله لا كان هذا ولو عرضت على السيف.

ونفض والكتاب معه، وجاء إلى طياره، وهو لا يشك في الصرف، فصعد إلى ابن الفرات، فحدثه بالحديث، وهو وزير.

فقال: ألا دافعت عن الجواب، وعرفتني حتى كنت أتلافى ذلك، الآن أنت مصروف، ولا حيلة لي مع السيدة في أمرك.

قال: أودت القهرمانة الرسالة إلى السيدة، فشكته إلى المقتدر.

فلما كان في يوم الموكب، خاطبه المقتدر شفاهاً في ذلك، فكشف له الصورة، وقال مثل ذلك القول في الإستغفاء.

فقال له المقتدر: مثلك يا أحمد يقلد القضاء، أقم على ما أنت عليه، بارك الله فيك، ولا تخف أن يثلم ذلك عرضك عندنا.

قال: فلما عاودته السيدة، بلغنا أنه قال لها: الأحكام ما لا طريق إلى اللعب به، وابن البهلول مأمون علينا، محب لدولتنا، وهو شيخ دين، مستجاب الدعوة، ولو كان هذا شيء يجوز، ما منعك إياه. فسألت السيدة كاتبها ابن عبد الحميد عن ذلك، وشرحت له الأمر.

فلما سمع ما قاله جدي، بكى بكاء شديداً - وكان شيخاً صالحاً من شيوخ الكتاب - وقال: الآن علمت أن دولة السيدة وأمير المؤمنين تبقى، وتثبت أركانها، إذ كان فيها مثل هذا الشيخ الصالح الذي يقيم الحق على السيدة، ولا يخاف في الله لومة لائم.

فأي شيء يساوي شراؤكم لوقف؟ وإن أخذتم كتابه خرقتموه، فأمره شائع ذائع، والله فوق كل شيء، وبه عالم.

فقالت السيدة: وكأن هذا لا يجوز؟ فقال لها: لا، هذه حيلة من أرباب الوقف على مال الله، واعلمها أن الشراء لا يصح بتخريق كتاب الوقف، وهذا لا يحل.

فارتفعت المال، وفسخت الشراء، وعادت تشكر جدي، وانقلب ذلك أثراً جميلاً عندهم.

فقال لنا جدي بعد ذلك: من قدم أمر الله تعالى على أمر المخلوقين كفاه الله شرهم.

القاضي أبو محمد البصري والد القاضي أبي عمر

يؤدب مملوكاً من وجوه ممالك الخليفة المعتضد: حدثني أبي رضي الله عنه، قال: سمعت القاضي أبا عمر يقول: قدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله، إلى أبي في حكم، فجاء فارتفع في المجلس. فأمره الحاجب بموازاة خصمه، فلم يفعل إدلالاً بعظم محله في الدولة. فصاح أبي عليه، وقال: هاه، تؤمر بموازاة خصمك، فتمتنع؟ يا غلام، عمرو بن أبي عمرو النخلس الساعة، لأتقدم إليه ببيع هذا العبد، وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين.

ثم قال لحاجبه: خذ بيده، وسار بينه وبين خصمه.

فأخذ كرهاً وأجلس مع خصمه.

فلما انقضى الحكم، انصرف الخادم، فحدث المعتضد بالحديث، وبكى بين يديه.

فصاح عليه المعتضد، وقال: لو باعك لأجرت بيعه، ولما رددتك إلى ملكي أبداً، وليس خصوصك بي، يزيل مرتبة الحكم، فإنه عمود السلطان، وقوام الأديان.

قاضي همدان

يمنتع عن قبول شهادة رجل مستور: سمعت قاضي القضاة، أبا السائب عتبة بن عبيد الله، يقول: كان في بلدنا، يعني همدان، رجل مستور، فأحب القاضي قبوله فسأل عنه، فركي له سرّاً وجهراً. فراسله في حضور المجلس، ليقبله، وأمر فأخذ في كتب ليحضر فيقيم الشهادة فيهم. وجلس القاضي، وحضر الرجل مع الشهود، ونودي به، فجاء مع شاهد آخر، فلما جلسا ليشهدا، أمرهما القاضي بالقيام، فقاما، ونظر بين الخصوم، وتقوض المجلس، ولم يقبله. فورد على الرجل أمر عظيم، ودس إلى القاضي من يسأله عن سبب ذلك. فقال القاضي: إني أردت قبوله لستره ودينه، ثم انكشف لي أنه مرء، فلم يسعني قبوله. فقيل له: كيف انكشف هذا القاضي، بعد أن دعاه للقبول؟ قال: كان يدخل إلي في كل يوم، فأعد خطاه، من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي، فلما دعوته اليوم للشهادة، جاء، فعددت خطاه من ذلك المكان، فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاث، فعلمت أنه متصنع لهذا الأمر، مرء، فلم أقبله.

الصفح الجميل عفو بلا تقرير

حدثني أبو منصور عبد العزيز بن محمد بن عثمان، المعروف بابن أبي عمرو الشراي حاجب أمير المؤمنين المطيع لله قال: دخلت في حديثي يوماً على أبي السائب القاضي، فقصر في القيام، وأظهر ضعفاً عنه للسن، والعلل المتصلة به، وتناول لي، فجذبت يديه بيدي، حتى أقمته القيام التام. وقلت له: أعين قاضي القضاة - أيده الله - على إكمال البر، وتوفيه الإخوان الحق.

قال: وقد كنت عاتباً عليه في أشياء عاملني بها، وإنما جئته للخصومة، فبدأت لأصل الكلام. فحين رأى الشر في وجهي، قال: تتفضل باستماع كلمتين ثم تقول ما شئت. فقلت له: قل.

فقال: رويانا عن ابن عباس في قوله تعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم" فاصفح الصفح الجميل "صدق الله العظيم" قال: غفو بلا تقريع، فإن رأيت أن تفعل ذلك، فعلت. فاستحيت من الاستقصاء عليه.

بين الأصبهاني الكاتب

والخوميني عامل سوق الأهواز: حضرت أبا عبد الله الخوميني عامل سوق الأهواز، وقد جعل إليه أبو بكر أحمد بن عبد الله، المعروف بأبي بكر بن عبد الله أبي سعيد الأصبهاني الكاتب. فأخذ يريه أنه يريد القيام، ويتناقل فيه، حتى يسبقه أبو بكر ابن أبي سعيد بالجلوس، إلى قيامه له. ففطن أبو بكر، فوقف من بعيد، وقال: هي، قم قائماً حتى أجيء، وإلا انصرف من موضعي. فضحك الخوميني، وقال: والله يا سيدي، ما أردت هذا. وقام له القيام التام.

شيخ من الكتاب

ينصح أبا الحسين بن عياش: حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: تقلد سليمان بن الحسن الوزارة الأولى عقيب به وأنسي، فكنت أجيئه على ذلك الأنس، ما تغير علي، ولا أنكرت منه شيئاً. وكنت شاباً، ولم تكن لي مداخله بالملوك، وكنت أجيئه والناس محبوبون فأدخل على الرسم، وهو خال. فاتفق أُنِي بت ليلة موكب عند أبيه، أبي محمد، فبكرت من غد لأراه، ثم أنصرف. فجئت، والقاضي أبو عمر، وابنه أبو الحسين، والقاضي ابن أبي الشوارب، وابنه، والقاضي ابن البهلول، والناس من الأشراف، والكتاب، ووجوه القواد، وأهل الحضرة، محبوبون، وهم جلوس في الرواق، والحاجب واقف على باب السلم، وكان ينفذ إلى حجرة خلوة له، هو فيها. فلما رأني الحاجب، أمر فرفع لي الستر، فدخلت إليه، وهو يتبخر وعليه سواده، يريد الركوب إلى المقتدر، وليس بين يديه أحد. فطاولني في الحديث، إلى أن فرغ، وشد سيفه ومنطقته، وخرج، وأنا خلفه. فلتقاه الناس بالسلام، وتقيل اليد، فخرجوا خلفه، فاختلطت بهم. فإذا يانسان يجذب طيلسان، فالتفت، فإذا هو فلان، شيخ من شيوخ الكتاب، أسماء أبو الحسين وأنسيته أنا، وذكر أنه كان صديقاً لأبي، ولأبيه من قبله.

فقال لي: يا أبا الحسين، فذاك عمك، في بيتك خمسون ألف دينار؟ فقلت: لا والله.
قال: فتقوى الله على خمسين ألف مفرعة وصفعة؟ قلت: لا والله.

قال: فلم تدخل إلى الوزير، وفلان، وفلان - وعدد من حضر - محبوبون، يتمنون الوصول، ولا يقدر،ون،
ثم لا ترضى، حتى تطيل عنده، وتخرج في يوم موكب، وراءه، وليس معه غيرك، ولا خمسون ألف دينار
معدة عنده، تؤديها إذا نكب هذا، فأخذت بتبعة الإختصاص به، وأنت لا تقوى على ما يولد هذا.
فقلت: يا عم لم أعلم، وأنا رجل فقيه، ومن أولاد التجار، ولا عادة لي بخدمة هؤلاء.
فقال: يا بني لا تعاود، فإن هذا يولد لك اسماً، ويجر عليك تبعة.
قال: فتجنب بعد ذلك الدخول إلى سليمان في أوقات مجالسه العامة، وأيام الموابك خاصة.

أبو يوسف القاضي واللوزنج بالفسق المقشور

حدثني أبي، قال: بلغني من غير واحد: إن أبا يوسف صحب أبا حنيفة، لتعلم العلم، على فقر شديد، فكان
ينقطع بملازمته عن طلب المعاش، فيعود إلى منزل محتل، وأمر قل.
فطال ذلك، وكانت امرأته تحتال له ما يقتاته يوماً بيوم.
فلما طال ذلك عليهما، خرج إلى المجلس، وأقام فيه يومه، وعاد ليلاً فطلب ما يأكل، فجاءته بغضارة
مغطاة، فكشفها، فإذا فيها دفاقر.
فقال: ما هذا؟ قالت: هذا ما أنت مشغول به فشارك أجمع، فكل منه ليلاً، قال: فبكي، وبات جائعاً، وتأخر
من غد عن المجلس، حتى احتال ما أكلوه.
فلما جاء إلى أبي حنيفة، سأله عن سبب تأخره، فصدقه.
فقال: ألا عرفني، فكنت أمدك؟ ولا يجب أن تغم، فإنه إن طال عمرك فسأكل بالفقه، واللوزنج بالفسق
المقشور.

قال أبو يوسف: فلما خلعت الرشيد، واختصت به، قدمت بحضرته يوماً جامعة لوزنج بفسق، فحين
أكلت منها، بكيت، وذكرت أبا حنيفة.
فسألني الرشيد عن السبب في ذلك، فأخبرته.

سبب اتصال أبي يوسف القاضي بالرشيد

وحدثني أبي، قال: كان سبب اتصاله بالرشيد إنه قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة، فحث بعض القواد في
يمين، فطلب فقيهاً يستفتيه فيها، فجاء بأبي يوسف، فأفناه أنه لم يحنث، فوهب له دنانير، وأخذ له داراً
بالقرب منه، واتصل به.
فدخل القائد يوماً إلى الرشيد، فوجده مغموماً، فسأله عن سبب غمه، فقال: شيء من أمر الدين قد حزني،
فاطلب لي فقيهاً أستفتيه، فجاءه بأبي يوسف.

قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور، رأيت فتى حسناً، أثر الملك عليه، وهو في حجرة في الممر محبوس، فأومأ إلي بإصبعه مستغيثاً، فلم أفهم عنه أرادته، وأدخلت إلى الرشيد، فلما مثلت بين يديه، سلمت، ووقفت.

فقال لي: ما اسمك؟ قلت: يعقوب.

أصلح الله أمير المؤمنين.

قال: ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني، هل يجده؟ قلت: لا يجب ذلك.

قال: فحين قبلها سجد الرشيد، فوقع لي إنه قد رأى بعض أولاده الذكور على ذلك، وإن الذي أشار إلي بالاستغاثة، هو الابن الزاني.

قال: ثم رفع رأسه، فقال: ومن أين قلت هذا؟ قلت: لأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ادروا الحدود بالشبهات، وهذه شبهة يسقط الحد معها.

فقال: وأي شبهة مع المعاينة؟ قلت ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى، والحكم في الحدود لا يكون بالعلم.

قال: ولم؟ قلت: لأن الحد حق الله تعالى، والإمام مأمور بإقامة الحد، فكأنه قد صار حقاً له، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه، ولا تناوله بيده، وقد أجمع المسلمون على وقوع الحد بالإقرار والبيينة، ولم يجمعوا على إيقاعه بالعلم.

قال: فسجد مرة أخرى، وأمر لي بمال جليل، ورزق في الفقهاء في كل شهر، وأن ألزم الدار.

قال: فما خرجت، حتى جاءني هدية الفتى، وهدية أمه، وأسبابه، فحصل لي من ذلك، ما صار أصلاً للنعمة، وانضاف رزق الخليفة، إلى ما كان يجريه علي ذلك القائد.

ولزمت الدار، فكان هذا الخادم يستفتيني، وهذا يشاورني، فأفتي وأشير، فصارت لي مكنة فيهم، وحرمة بهم، وصلاقم تصل إلي، وحالتي تقوى.

ثم استدعاني الخليفة، وطاولني، واستفتاني في خواص أمره وأنس بي.

فلم تنزل حالي تقوى معه، حتى قلدي قضاء القضاة.

أنس الرشيد بأبي يوسف القاضي

قال لي أبي: بلغني أن أبا يوسف، لما مات، خلف في جملة، كسوته، مائتي سراويل خز، دون غيرها من أصناف السراويلات.

وأن جميع سراويلاته كانت مختصة كل سراويل بتكة أرمني نسائي ديناراً، وبلغ من محله عنده، أن طلبه الرشيد يوماً، فجاء وعليه بردة، أنساً به، فحين رآه الرشيد، قال لمن بحضرته:

جاءت به متعجراً ببردة ... سفواء ترمي بنسيج وحده.

كيف نصب أبو جعفر بن البهلول قاضيا

حدثني القاضي أبو الحسن علي بن أبي طالب بن القاضي أبي جعفر بن البهلول قال: حدثني أبي، عن أبيه، وحدثني أيضاً، أبو الحسن أحمد ابن يوسف الأزرق عن أبي جعفر بن البهلول القاضي، قال: لما استقرت الأمور للناصر لدين الله، بعد فراغه من أمر الزنج، نظر في البلدان ومصالحها، وأمر بارتياح قضاة من أهل البلدان لها.

فسأل عن الأنبار، ومن فيها يصلح لتقلد القضاء، فأسميت له. وكان عارفاً بأبي، إسحاق بن البهلول، حين استقدمه المتوكل إلى سر من رأى حتى حدثه، ولم أكن تقلدت شيئاً من ذلك.

قال: فأمر بإحضاري وتقليدي.

فقدم إسماعيل بن بلبل، إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي في ذلك، وكاتبني بالحضور، فحضرت، فعرفني الصورة، وحملني إلى إسماعيل.

فقلت لهما: أنا في كفاية وغناء، ولا حاجة بي إلى تقلد القضاء.

فأمسكا عني، فعدت إلى منزلي ببغداد لأصلح أمري وأرجع.

فجاءني جعفر بن إبراهيم الحصيني الأنباري، وكان من عقلاء العجم بالأنبار، ولي صديقاً، فقال لي: لأي شيء استدعيت؟ فحدثته.

فقال: اتق الله في نفسك، إن الذي جرى بينك وبينهما خاف عن الناس، وإنك تعود إلى بلدك، فيقول أعداؤك: طلب القضاء، فلما شوهد، وجد لا يصلح، فرد.

فقلت: ما أصنع، وقد قلت ما قلت؟ قال: ترجع إلى إسماعيل فتصدقه عما جرى بيننا.

قال: فباكرت إسماعيل، فحين رأيته، قال: هذا وجه غير وجه الأمسي.

قلت: هو كذلك.

قال: هي.

قلت: كان كذا وكذا، فأخبرته بما جرى بيني وبين جعفر بن إبراهيم.

فقال: نصحك والله هذا الصديق، والأمر على ما قاله، قم بنا إلى الوزير.

قال: فحملني إليه، فلما رأنا إسماعيل تبسم، وقال: كيف عاد أبو جعفر؟ قال: فقص عليه إسماعيل القاضي الخبر.

فقال: جزى الله هذا الصديق عنك خيراً، فقد أشار عليك بالرأي الصحيح، اكتبوا عهده.

قال: فكتب عهدي عن الناصر، على الأنبار، وهيت وعانات، والرحبة، وقرقيسيا، وأعمال ذلك، وعدت إلى بلدي.

قلت أنا: ولم يزل محل أبي جعفر ينمى ويزيد، حتى قلد مدينة أبي جعفر المنصور عند صرف أبي عمر في قصة ابن المعتز، فظهر من فضله ما اشتهر.

ارتفاع محل القاضي ابن البهلول

في دولة المقتدر: وكان عند المقتدر ووزرائه، بصورة الناسك الزاهد، من ذلك ما حدثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول، قال: حدثني أبو علي أحمد بن جعفر بن إبراهيم الحصري الأنباري الكاتب، قال: مات واثق مولى المعتضد، فأوصى أن يصلي عليه أبو الحسن علي بن عيسى، فحضر الحق وجوه الدولة، من القواد، والكتاب، والأشراف، والقضاة، وغيرهم.

فكان فيمن حضر، القاضي أبو جعفر، وأبو عمر، وكنت حاضراً. قال: فوضعت الجنازة، وقيل لأبي الحسين علي بن عيسى تقدم، فجاء ليتقدم، فوَقَّعت عينه على أبي جعفر، فجذبه، وقدمه، وتأخر هو.

قال: فلما انقضت الصلاة، طلبت أبا عمر، لأنظر كيف هو، فوجدته قد اسود وجهه غماً، بتقديعهم أبا جعفر عليه.

فجئت إلى أبي جعفر، وهنأته بذلك، وأخبرته بخبر أبي عمر، فاستسر بذلك، وسر بعلمي أنا بالأمر، ومشاهدتي له، لأجل البلدية.

قال لي أبو الحسن: هذا، مع نفرة كانت بينهما، ولكن أبا الحسن لفضله، لم يكن يدفع أهل الفضل عنه، وإن لم يكن ما بينه وبينهم مستقيماً.

الحسين بن القاسم بن عبيد الله

يتصرف تصرفاً يكون أوكد الأسباب في عزله عن الوزارة: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول، قال: كان قد ارتكب الحسين بن القاسم بن عبيد الله دين عظيم، عشرات ألوف دنانير، فدعاه غرماؤه إلى القاضي، فخافهم، واستتر.

وجاء إلى جدي فشاوره في أمره، وقال: إن بعث ملكي، كان يازاء ديني، وحصلت هجيراً، وقد رضيت أن أجوع، وأعطي غلتي بأسرها الغرماء، وليس يقنعون بذلك، فكيف أعمل؟ يحتال لي القاضي في ذلك! وكان منزل الحسين في الجانب الشرقي، والحكم فيه إلى أبي عمر.

فقال له جدي: إن من مذهب مالك، الحجر على الرجال إذا بان سفههم في الأموال، وإن عني بك أبو عمر، جعل استدانتك من غير حاجة كانت بها إليها، وإنما بذرت المال، وتخرقت في النفقة، دليلاً على سفهك في مالك.

ولو صار أن يسمع في ذلك شهادة من يعرفه عن حالك، فيثبت حينئذ السفه عنده، فيحجر عليك، ويمنعك من التصرف في مالك، ويدخل فيه أيدي أمنائه، ويحول بينك وبينه.

فإذا أثبت عنده الغرماء عليك الدين، أمرهم، يعني أمناءه، بأن يصرفوا الغلات إليهم، قضاء للدين، وبقيت عليك الأصول.

قال: فطرح الحسين نفسه على أبي عمر، ففعل به ذلك، فظهر وصلحت حاله، وجرى أمره مع الغرماء. على ذلك.

قال: ولما ولي الحسين الوزارة، وفسد عليه مؤنس، فسعى في صرفه، وقال للمقتدر: يا أمير المؤمنين، هذا لم يكن موضعاً لحفظ ماله، حتى حجر عليه القضاة لسفهه وتبذيره فيه، كيف يحمد حتى يرد إليه مال الدنيا وتبذيرها، وسياسة العالم، وهو عجز عن تدبير داره ونفقته؟ وكان ذلك أوكد الأسباب في صرفه.

عدد الشهود الذي قبلهم القاضي التيمي بالبصرة

حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الله المعروف بابن نصرويه، قال: قبل التيمي، القاضي كان قديماً عندنا بالبصرة، ستة وثلاثين ألف شاهد، في مدة ولايته. فقلت له: هذا عظيم، فكيف كان ذلك؟ فقال لي: كان القضاة على مذهب أبي حنيفة، وغيره من الفقهاء، في أن الناس كلهم عدول، على الشرائط التي تعرفها، وكان يشهد الناس عند التيمي بأسرهم، فإذا سمع شهادتهم، سأل عنهم، فيزكون، فيقبلهم، وكان الناس يشهد بعضهم لبعض، من الجيران، وأهل السوق، ولا نعرف ترتيب قوم مخصوصين للشهادة، إلى أن ولي إسماعيل. قال: وكان مبلغ من قبله التيمي، ستة وثلاثون ألف شاهد، منهم عشرون ألفاً لم يشهدوا عنده إلا شهادة واحدة.

أسد بن جهور وما فيه من سوداء ونسيان

أخبرني أبو القاسم الجهني، قال: كانت في أسد بن جهور سوداء ونسيان. فحضرته يوماً، وهو في دار بعض الوزراء، وقد جلس يتحدث، ومعنا بعض القضاة، وكان اليوم حاراً، فوضعنا عمامتنا، ووضع القاضي قلنسوته. فطلب الوزير أسداً، فقام مستعجلاً، فأخذ قلنسوة القاضي، فلبسها ودخل على الوزير. فصاح القاضي به، وجماعتنا، فما سمع، حتى دخل كذلك على الوزير، فضحك منه. وخجل أسد وعاد إلينا راجعاً عنه.

الموكل يختار فتى لمادته

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان، قال: حدثني أبو جعفر بن حمدون، قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون، قال: كنت مع أبي، وأنا صبي، بسر من رأى، وهو ينادم الموكل على الله، فخرج إلى الصيد، وهو معه، وأنا مع أبي.

فانفرد أبي في يوم من الأيام، وأنا معه، فأعطاني دابته، فأمسكتها وحولت وجهي عنه، وجلس يول، إذ جاء المتوكل يحرك وحده، ويقصده، وقد انفرد عن الجيش، ليولع به.
فلما قرب منه، قال له: من هذا الصبي الذي يمسك دابتك؟ قال: عبد أمير المؤمنين، ابني.
قال: فلم قد حول وجهه عنك؟ قال: فعن لأبي أن يتنادر، ولم يراع كون النادرة علي وعلى أُمي، فقال: حول وجهه عني استحياء من كبر أبي.
قال: قُلت أنا للخليفة: والله يا أمير المؤمنين، لو رأيت أير جدي، لعلمت أن أيره عنده زر.
فضحك المتوكل، وقال: يا أحمد، ابنك والله أطيب منك، فأحضره معك للندام.
فحضرت منذ ذلك اليوم، وصرت من الندماء.

المعتضد يلاعب ابن حمدون بالنرد

وحدثني، وقال: حدثني أبو جعفر، قال: حدثني أبو محمد، قال: كنت قد حلفت، وعاهدت الله تعالى، ان لا أعتقد مالا من القمار، وأنه لا يقع في يدي شيء منه، إلا صرفته في ثمن شمع يحرق، أو نبيذ يشرب، أو جذر مغنية تسمع.

قال: فجلست يوماً لألاعب المعتضد بالنرد، فقمرته سبعين ألف درهم.
فنهض المعتضد يصلي العصر، من قبل أن يأمر لي بها، وكان له ركوع طويل قبلها، فتشاغل به.
وصليت أنا العصر فقط، فجلست أفكر، وأندم على ما حلفت عليه، وقلت: كم عساي أشتري من هذه السبعين ألفاً، شمعاً، وشراباً، وكم أجذر؟ وما كنت هذه العجلة في اليمن، ولو لم أكن حلفت، كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة.

قال: وكانت اليمن بالطلاق، والعناق، وصدقة الملك، والضيعة.
وأغرقت في الفكر، والمعتضد يراني، وأنا لا أعلم.
فلما سلم من الركوع، سبح، وقال لي: يا أبا عبد الله في أي شيء فكرت؟ فقلت: خيراً يا مولاي.
فقال: بحياتي أصدقني، فصدقته.

فقال: وعندك أي أريد أعطيك سبعين ألفاً من القمار؟ قُلت له: أفتضغو؟ قال: نعم، صغوت، قم ولا تفكر في هذا.

قال: ودخل في صلاة العصر الفرض.

قال: فلحقني غم أعظم من الأول، وفكر أشد منه، وندم على فوت المال، وقلت لم صدقته، وأخذت ألوم نفسي.

قال: فلما فرغ من صلاته، وجلس، قال لي: يا أبا عبد الله، بحياتي أصدقني عن هذا الفكر الثاني.
فلم أجد بداً، فصدقته.

فقال: أما القمار فقد فاتك، لأني قد صغوت بك، ولكني أهب لك سبعين ألف درهم غير تلك، من مالي،

فلا يكون علي إثم في دفعها، ولا عليك إثم في أخذها، وتخرج من يمينك، فتأخذها وتشترى بها ضيعة حالاً.
فقبلت يده، فأحضر المال، وأعطانيه، فأخذته، واعتقدت به ضيعة.

المعتضد يسلد دين نديمه مرتين

وحدثني أبو محمد قال: حدثني أبو جعفر، قال: حدثني أبو محمد ابن حمدون، قال: كان علي دين ثقیل، مبلغه خمسة آلاف دينار، ولم يكن لي وجه قضائه، ولك تكن القضاة تعدي علي، لملازمي المعتضد. فجلس المعتضد للمظالم بنفسه مجالس عدة، فتظلم إليه مني غرمائي. فأحضرني، وسألني عن الدين، فأقررت به عنده للقوم. ففكر المعتضد في حبسي به لهم، فيطّل أنسه بي، ويتحدث عنه إنه بخل بقضاء دين نديم له، ورأى أن يلتزم المال.

ثم قال للغرماء: المال علي، ووقع لهم به في الحال.

فأخذوه، وانصرفوا.

فلما خلونا، قال: يا عاض كذا، أي شيء كانت هذه المبادرة إلى الإقرار، ما قدرت أن تجحد، ولا أغرم أنا المال، ولا تجس أنت؟ فقلت: لم أستحل ذلك، وكيف أجد قوماً في وجوههم، وقد أعطوني أموالهم؟ قال: ومضت على هذه مديدة، فأضقت، فاستدنت ألوفاً أخرى دنانير، أقل من تلك، وطولبت بها، فدافعت، لأن دخلي لم يكن يفي بنفقتي، وما أقيم من المروءة، أكثر من قدر حالي، فما كان لي وجه أقضى منه الدين.

وجلس المعتضد للمظالم، فرفع إليه القوم، فأحضرني، وسألني، فأقررت، فوزن المال عني.

ثم قال للقاضي الذي يلي حضرته: خذ هذا، فناد عليه في البلد بسففه في ماله، وعدمه، وإنه لا يملك ما يباع عليه فيقضي به دينه، وإن من عامله بعد هذا فقد طوح بماله.

فاضطربت من ذلك.

فقال: لا والله، لا جعلت أنت غرماءك كل يوم، حيلة على مالي.

قال: فما نفعتني معه شيء، حتى مضيت إلى دار القاضي وجلست معه في مجلسه، وهو يشيع في الناس ذلك، ويجريه في وجهي، ولم يناد علي.

بين ابن المدير وعريب

حدثني أبو محمد، قال: حدثني أبو احمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي الكاتب، قال: أخبرني من أتق به، أن إبراهيم بن المدير قال: كنت أتعشق عريب، دهرًا طويلاً، وأنفقت عليها مالا جليلاً. فلما قصدي الزمان، وتركت التصرف، ولزمت البيت، كانت هي أيضاً، قد أسنت، وتابت من الغناء، وزمنت.

فكنت جالسا يوماً، إذ جاءني بوابي، وقال: طيار عريب بالباب، وهي فيه تستأذن.

فعجبت من ذلك، وارتاح قلبي إليها، فقممت حتى نزلت إلى الشط، فإذا هي جالسة في طيارها.
فقلت: يا ستي، كيف كان هذا.

قالت: اشتقت إليك، وطال العهد، فأحببت أن أجده، وأشرب عندك اليوم.
قلت: فاصعدي.

قالت: حتى تحيء محفتي.

قال: فإذا بطيار لطيف، قد جاء وفيه الخفة، فأجلست فيها، وأصعد بها الخدم.
وتحدثنا ساعة، ثم قدم الطعام، فأكلنا، وأحضر النبيذ، فشربت وسقيتها فشربت، وأمرت جواريتها بالغناء،
وكان ومعها منهن عدة، وحسنات، طياب، حذاق، فتغنين أحسن غناء وأطيبه، فطربت وسررت.
وقد كنت، قبل ذلك بأيام، عملت شعراً، وأنا مولع في أكثر الأوقات بترديده، وإنشاده، وهو:

إن كان ليلك نوماً لا انقضاء له ... فإن جفني لا يثنى لتغميض

كأن جنبي في الظلماء تقرضه ... على الحشية أطراف المقاريص

أستودع الله من لا أستطيع له ... شكوى المحبة إلا بالمعاريض.

فقلت لها: يا ستي، إني قد عملت أبياتاً، أشتهي أن تصنعي فيها لحناً.

فقالت: يا أبا إسحاق مع التوبة؟ قلت لها: فاحتالي في ذلك كيف شئت.

فقالت: رو هاتين الصبيتين الشعر، وأومأت إلى بدعة وتحفة جاريتها.

فحفظتهما الشعر، وفكرت ساعة، ووقعت بالمروحة على الأرض، وزمزمت مع نفسها، ثم قالت لهما:
أصلحا الوتر الفلاني على الطريقة الفلانية، وأضربا بالإصبع الفلانية، وافعلنا كذا وكذا، إلى أن فتح لهما
الضرب، ثم قالت غنياء على الطريقة الفلانية، وأجعلنا في الموضوع الفلاني كذا.

فغناه، كأنهما قد سمعناه قبل ذلك دفعات، وما خرج الغناء من بين شفثيها.

فطربت وقلت في نفسي: عريب ترورني وتلحن شعري، وهي على كل حال مغنية، وتنصرف من عندي
صفراً؟ والله، لا كان هذا، ولو أي مت ضرراً وجوعاً وفقراً.

فقممت إلى جواربي، وشرحت الحال لهن، وقلت: عاونني بما يحضركن، فدفعت إلى هذه خلخالاً، وهذه

سواراً، وهذه عقد حب، وهذه جان، إلى أن اجتمع لي من حيلهن ما قيمته ألف دينار.

قال: واستدعيت زنبيلاً مشبكاً ذهباً كان عندي، فيه مائة مثقال، فجعلت ذلك فيه، وخرجت به إليها،

وقلت: يا سيدتي، هذه طرف، أحببت إتحاف هاتين الصبيتين بها، فأحب أن تأمريهما بأخذها.

فامتنت امتناعاً ضعيفاً، وقالت: يا أبا إسحاق، بيننا اليوم هذا، أو فضل فضل له؟ فقلت: لا بد.

فقالت لهما: خذاه، فأخذتاه، وجلست إلى وقت المغرب.

ثم قامت لتصرف، فشيعتها إلى دجلة.

فلما أرادت الجلوس في طيارها، قالت: يا أبا إسحاق لي حاجة.

قلت: مري بأمرك.

قالت: قد ابتاعت فلانة، أم ولدك، ضيعة يقال لها كذا، وهي تحاورني، وأنا شفيعتها، وأريد أن تأمرها بأخذ المال مني والتزول عنها لي.
فعلمت أنها إنما جاءت لهذا السبب.
فقلت: مكانك، فترققت في الطيار.
فدخلت إلى أم ولدي وضمنت لها المال، وأخذت العهدة بالضيعة، فجئت بها إليها.
وقلت: قد وهبتها لك، وضمنت المال لها، وفي غد أتقدم بالإشهاد لك في ظهر الكتاب.
فخذيه معك عاجلاً.
فشكرتني ومضت.
وكان شراء الضيعة ألف دينار.
فقام علي يومها، وتلحينها هذا الشعر بألفي دينار ومائة دينار.

الزجاج يدرس النحو على المبرد

حدثني أبو الحسن بن الأزرق قال: حدثني أبو محمد بن درستويه النحوي قال: حدثني الزجاج، قال: كنت أخطر الزجاج، فاشتيت النحو، فلزمت المبرد لتعلمه، وكان لا يعلم مجاناً، ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها.
فقال لي: أي شيء صناعتك؟ قلت: أخطر الزجاج، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان، أو درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي، وأنا أعطيك في كل يوم درهماً، وأشرط لك أني أعطيك إياه أبداً، إلى أن يفرق الموت بيننا، استغيت عن التعليم أو احتجت إليه.

قال: فلزمته، وكنت أخدمه في أموره، ومع ذاك أعطيه الدرهم، فنصحتني في التعليم، حتى استقلت.
فجاءه كتاب من بني مارية، من الصراة، يلتمسون معلماً نحويّاً لأولادهم، فقلت له: أسمني لهم، فأسماني، فخرجت إليهم، فكنت أعلمهم، وانفذ إليهم في كل شهر ثلاثين درهماً، وأتفقده بعد ذلك بما أقدر عليه.
ومضت على ذلك مدة، فطلب منه عبيد الله بن سليمان، مؤدباً لابنه القاسم.

فقال له: لا أعرف لك إلا رجلاً زجاجاً بالصراة مع بني مارية.

قال: فكتب إليهم عبيد الله فاستنزلهم عني، فترلوا له.

فأحضرني وأسلم القاسم إلي، فكان ذلك، سبب غناي.

وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كل يوم، إلى أن مات، ولا أخليه من التفقد معه بحسب طاقتي.

بيتان من نظم أبي محمد الشامي

كاتب الأمير سيف الدولة: حدثني أبو محمد يحيى بن محمد، وأبو الفرج البغواء، قالوا: أنشدنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشامي، كاتب سيف الدولة لنفسه.

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما ... عفت منه آثار وسدت مشارع
فقلت إلى أن يرجع جارياً ... ويعشب جنباه تموت الصفادع.

ليحيى بن محمد في مواهب المغنية

وأنشديني أبو محمد لنفسه في قنية بغداد، مشهورة بالإحسان، تسمى مواهب، كانت جارية لأبي الحسن بن
هارون الكاتب، باعها، فاشتراها أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير الآن فلما تزوج ابنة الوزير أبي محمد
المهلي، زينة بني الحسن، دفعها إلى أبي محمد، فأعتقها، وزوجها غلاماً من غلمانته يسمى غالب، ويعرف
بالشار زادي، وهي الآن تخدم الأمير عز الدولة بصناعتها:
تمام الحج أن تقف الركائب ... على دار تحل بها مواهب
ولولا أن يقال صبا لقلنا ... عجائب دون أيسرها عجائب.

لأبي الفرج البغاء

في الأمير سيف الدولة: أنشديني أبو الفرج البغاء لنفسه، قصيدة له في سيف الدولة: أولها:
سقت العهد خليط ذلك المعهد ... رياً وحياً البرق برقة تمهد.
في جحفل كالسيل أو كالليل أو ... كالقطر صافح موج بحر مزبد

فكأنما نقش حوافر خيله ... للناظرين أهلة في الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد ... جعل الغبار له مكان الأثمد
ووصف فيها اللواء فقال:

ومملك رق القنا مستخرج ... باللطف أسرار الرياح الركد
خرس ينجيها فتفهم نطقه ... وتجيئه أنفاسها بتصعد
قلق كأن الجو ضاق به فما ... ينفك بين توثب وتهدد
وفيها يقول:

إن الحامد رتبة لا يبلغ ال ... إنسان راحتها إذا لم يجهد
من لم تبلغه السيادة نفسه ... دون الأبوة لم يكن بمسود
يقول في آخرها يصف القصيدة:
حلل من المدح ارتضى لك لبسها ... شكري فأغرب مفرد في مفرد
لما نشرب عليك فاخر وشيها ... قالت لك العليا أبل وجدد.

لأبي الفرج البغاء يعزي الأمير سيف الدولة

بولده أبي مكارم: وأنشدني لنفسه يعزي سيف الدولة بابنه أبي مكارم من قصيدة أولها:
سرورنا بك فوق الهم بالتوب ... فما يغالبنا حزن على طرب
إذا تجاوزت الأقدار عنك فهل ... من واجب الشكر أن يرتاع من سبب
حتام تحدعنا الدنيا بزخرفها ... ولا تحصلنا منه على أرب
نسر منها بما تحني عواقبه ... هماً ونهرب والآجال في الطلب.

سيف الدولة يقيم الفداء مع الروم

على شاطئ الفرات: قال: وكان سيف الدولة أقام الفداء بشاطئ الفرات في سنة خمس وخمسين وثلثمائة،
فأنفق عليه خمسمائة ألف دينار، وأخرج كل من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم،
واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث رومية، من ضعاف الناس، فأما الجلة ممن كان أسيراً، ففادى
بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم.
وكانت الحال هائلة فيما أخبرني جماعة حضروا، يبقى فخرها وثوابها له.
فقال أبو الفرج قصيدة في ذلك، أنشدنيها، أولها:
ما المال إلا ما أفاد ثناء ... ما العز إلا ما حمى الأعداء
فقال فيها، في ذكر الفداء
وفديت من أسر العدو معاشراً ... لولاك ما عرفوا الزمان فداء
كانوا عبيد نذاك ثم شريتهم ... فغدوا عبيدك نعمة وشراء
والأسر إحدى الميتين وطالما ... خلدوا به فأعدتهم أحياء
وضمنت نفس أبي فراس للعلا ... إذ منه أصبحت النفوس براء
ما كان إلا البدر طال سراه ... ثم انجلي وقد استتم بهاء
يوم غدا فيه سماحك يعتق ... أسراء منك ويأسر الأمراء.

رأي أحد القضاة في الخليفة المقتدر

جرى في مجلس أبي يوماً ذكر المقتدر بالله وأفعاله، فقال بعض الحضار: كان جاهلاً.
فقال أبي: فإنه لم يكن كذلك، وما كان إلا جيد العقل، صحيح الرأي، لكنه كان مؤثراً للشهوات.
ولقد سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يقول، وقد جرى ذكره بحضرته في خلوة: ما هو إلا أن يترك هذا
الرجل النبيذ خمسة أيام متتابة، حتى يصح ذهنه، فأحاطب منه رجلاً ما خاطبت أفضل منه، ولا أبصر
بالرأي، وأعرف بالأمور، وأسد في التدبير، ولو قلت إنه إذا ترك النبيذ هذه المدة، في أصالة الرأي، وصحة
العقل كالمعتضد والمأمون، ومن أشبههما من الخلفاء، ما خشيت أن أقع بعيداً، وما يفسده غير متابعة
الشرب، ولا يخله سواها.

المؤمن أبو القاسم سلامة

يتحدث عن صحة تفكير الخليفة المقتدر: حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: سمعت المؤمن أبا القاسم سلامة، أخا نوح الطولوني، يقول: اجتمع علي بن عيسى وعلي بن محمد الحواري، ونصر القشوري، وأنا معهم، على رأي عقدناه في بعض الأمور الكبار، التي حدثت في أيام المقتدر. فلما صح الرأي عندنا، وتقرر في أنفسنا دخلنا على المقتدر فعرضناه عليه، واستأذناه في إمضائه. فقال لنا: هذا خطأ في الرأي، والصواب كيت وكيت. ففكرنا فيما قال، فوجدنا الصواب معه، وقد خفي علينا، فرجعنا عن رأينا لرأيه، وعملنا عليه.

حديث القاضي أبي طالب ابن البهلول

مع الخليفة المقتدر: حدثني أبو الحسن، قال حدثني القاضي أبو طالب ابن البهلول، قال: حضرت في بعض أيام المواكب، باب دار الخلافة، فوقفت في طياري، والقضاة في طياراتهم، والقواد، والكتاب، تتوقع الإذن. فاستدعيت وحدي من بين القضاة، فدخلت على المقتدر، فوجدت أبا علي بن مقله، قائماً بين يديه، وهو الوزير إذ ذاك.

فقال لي المقتدر بهذا اللفظ والإعراب: قد كان أبوك عضداً، وأنت بحمد الله، خلف منه، وقد ترى كلب غلماني هؤلاء علي، ومطالبهم إياي بالأموال، ولو قد فقدوني لتمنوا أيامي، وقد عزمتم على بيع ضياعي النمروديات بالأهواز، فتكتب إلى خليفتك على القضاء بها، في الاجتماع مع أحمد بن محمد البريدي على بيع ذلك، والمعاونة فيه.

فقلت: إذا كان الأمر من أمير المؤمنين أطال بقاءه، بهذا الموضع من العناية، خرجت أنا فيه.

فقال: لسننا نكلفك ذلك، ولكن اكتب إلى خليفتك فيه.

قال: فخرجت، وامثلت أمره، وكاتبته أبا القاسم علي بن محمد التوخي، وكان يخلفني إذ ذاك، على كور الأهواز، وقصصت عليه ما جرى.

ومضت الأيام، وصرف ابن مقله، بأبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد فأنفذ أبا الحسن بن الحرث

صاحبه إلى الأهواز، صارفاً للبريدي، فزاد على من كان اشترى الضياع مالا عظيماً.

وكتب إلي أبو القاسم التوخي، إنه قد استثنى من المال بجملة عظيمة لنفسه، وخنسها.

وكانت في نفسي على ابن الحرث موجدة، فأسررت ذلك في نفسي.

وانحدرت في يوم موكب على رسمي، وكنا في طيارتنا، إذ خرج خلفاء الحجاب يطلبوني وحدي.

فصعدت، والقضاة كلهم محبوبون، فدخلت على المقتدر، وبخبرته سليمان، وعلي بن عيسى، وكان

يسدده، ويصل معه، ويخاطب ويتخاطب على الأمور.

فقال لي المقتدر: قد أهدنا ما كان من خليفتك على القضاء بالأهواز، فيما كنا تقدمنا به من أمر

النيرمذيات، وقد كاتب ابن الحرث إنه قد زاد على المبتاعين زيادة قبلوها، وامتنعوا عن أدائها إلا بعد أن

أقول بلساني إني قد أمضيت البيع، وإني لا أقبل بعدها زيادة، ولا أفعل هذا، فاكتب إلى خليفتك بأني قد قلت ذلك، وأن يسجل لهم بما ابتاعوه.

فأردت أذية ابن الحرث فقلت يحتاج في المكاتب إلى ذكر مبلغ الزيادة.

فالتفت، فظفر إلى علي بن عيسى نظر منكراً، فرأيت أنه يرتعد، وقال له: مبلغ الزيادة كذا وكذا.

فقال لي: اكتب إلى خليفتك، بأنها كذا وكذا.

فدعوت له، وانصرف.

فلما وليت، ثقلت في مشيتي لأسمع ما يجري، فسمعت أنه يقول لعلي بن عيسى: أي شيء أقبح من هذا؟ كأنه أنكر لم لم يعرف مبلغ الزيادة أولاً، فيذكرها لي من غير أن أحتاج إلى استدعاء علمها منه.

قال: وكرر الإنكار، قال: أي شيء أقبح من هذا؟ وأخرج عن الأدب فيه؟ تحقّقاً برسم الملوك في أن يتكلموا هم بجميع ما يحتاجه إليه، في جميع الأمور، من غير تقصير يحوج المخاطب إلى مطالبتهم بالزيادة في البيان.

وأوماً في آخر كلامه، إلى أني إن ذكرت ذلك عنه للناس، غض منه، ومن الملك.

فسمعت علي بن عيسى، يقول له: يا أمير المؤمنين، هذا خادمك، وابن خادمك، وغذي نعمتك، ونشو دولتك، ليس مثله من ظن به هذا.

الخليفة المعتضد يتنبأ بأن ضياع الدولة

يجري على يد ولده المقتدر: حدثني أبو علي الحسين بن محمد الأنباري الكاتب قال: سمعت ذلوية الكاتب، يحكي عن صافي الحرمي الخادم، مولى المعتضد، إنه قال: مشيت يوماً بين يدي المعتضد، وهو يريد دور الحرم، فلما بلغ إلى باب دار شعب أم المقتدر، وقف يتسمع ويطلع من خلل الستر، فإذا هو بالمقتدر، وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها، وهو جالس وحواليه مقدار عشر وصائف من أقرانه في السن، وبين يديه طبق فضة، فيه عنقود عنب، في وقت فيه العنب عزيز جداً، والصبي يأكل عنبه واحدة، ثم يطعم الجماعة عنبه عنبه، على الدور إليه أكل واحدة مثلما أكلوا، حتى فني العنقود، والمعتضد يتمزق غيظاً.

قال: فرجع، ولم يدخل الدار، ورأيت أنه مهموماً.

فقلت: يا مولاي، ما سبب ما فعلته؟ وما قد بان عليك؟ فقال: يا صافي، والله لولا النار والعار، لقتلت هذا الصبي اليوم، فإن في قلبه صلاحاً للأمة.

فقلت: يا مولاي، حاشاه، أي شيء عمل؟ أعينك بالله يا مولاي، إلعن إبليس.

فقال: ويحك، أنا أبصر بما أقوله، أنا رجل قد سست الأمور، وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد، ولا بد من موتي، وأعلم أن الناس بعد موتي لا يختارون إلا ولدي، وأنهم سيجلسون ابن علياً - يعني المكتفي - وما أظن عمره يطول، للعلّة التي به، قال صافي: يعني الخنازير التي كانت في حلقة، فيتلف عن قريب، ولا يرى الناس إخراجها عن ولدي، ولا يجدون بعده منهم أكبر من جعفر، فيجلسونه وهو صبي، وله من الطبع في

السخاء، هذا الذي قد رأيت من أنه أطعم الصبيان مثلما أكل، وسأوى بينه وبينهم، في شيء عزيز في العالم، والشح على مثله في طباع الصبيان، فتحتوي عليه النساء، لقرب عهده بهن، فيقسم ما جمعه من الأموال، كما قسم العنب، ويذر ارتفاع الدنيا ويجربها، فتضيع الثغور، وتنتشر الأمور وتخرج الخوارج، وتحدث الأسباب التي يكون فيها زوال الملك عن بني العباس أصلاً.

فقلت: يا مولاي بل يقيقك الله، حتى ينشأ في حياتك، ويصير كهلاً في أيامك، ويتأدب بآدابك، ويتخلق بخلقك، ولا يكون هذا الذي ظننت.

فقال: احفظ عني ما أقوله، فإنه كما قلت.

قال: ومكث يومه مهموماً.

وضرب الدهر ضربه، ومات المعتضد، وولي المكتفي، فلم يطل عمره، ومات، وولي المقتدر، فكانت الصورة كما قال المعتضد بعينها.

فكنت كلما وقفت على رأس المقتدر وهو يشرب، ورأيت قد سكر ودعا بالأموال، فأخرجت إليه، وحلت البدر، وجعل يفرقها على الجوارى والنساء، ويلعب بهما، ويمحقها، ويهبها، ذكرت مولاي المعتضد، وبكيت. قال: وقال صافي: كنت يوماً واقفاً على رأس المعتضد، فأراد أن يتطيب، فقال: هاتم فلاناً الطيب، - خادم يلي خزانة الطيب - فأحضر.

فقال له: كم عندك من الغالية؟ فقال: نيف وثلاثون حبةً صينيّاً، مما عمله عدة من الخلفاء.

فقال: فأيتها الطيب؟ قال: ما عمله الواصل.

قال: أحضرنيه.

فأحضره حبةً عظيماً، يحمله خدم عدة، بدهق ومصقلة، ففتح، فإذا الغالية قد ابيضت من التعشيب، وجهدت من العتق، في نهاية الذكاء.

فأعجبت المعتضد، وأهوى بيده إلى حوالي عنق الحب، فأخذ من لطافته شيئاً يسيراً، من غير أن يشعث رأس الحب، وجعله في لحيته، وقال: ما تسمح نفسي بتطريق التشعيث على هذا الحب، شيلوه، فرفع.

ومضت الأيام، فجلس المكتفي للشرب يوماً، وهو خليفة، وأنا قائم على رأسه، فطلب غالية، فاستدعى الخادم، وسأله عن الغوالي، فأخبره بمثل ما كان أخبر به أباه.

فاستدعى غالية الواصل، فجاءه بالحب بعينه، ففتح، فاستطابه، وقال: أخرجوا منه قليلاً، فأخرج منه مقدار ثلاثين أو أربعين مثقالاً، فاستعمل منه في الحال ما أراد، ودعا بعتيمة له، فجعل الباقي فيها، ليستعمله على الأيام.

وولي المقتدر الخلافة، وجلس مع الجوارى يشرب يوماً وكنت على رأسه، فأراد أن يتطيب، فاستدعى الخادم، وسأله، فأخبره بمثل ما أخبر به أباه وأخاه.

فقال: هات الغوالي كلها، فأحضرت الحباب كلها، فجعل يخرج من كل حب، مائة مثقال، وخمسين وأقل، وأكثر، فيشمه ويفرقه على من بحضرته، حتى انتهى إلى حب الواصل، فاستطابه.

فقال: هاتم عتيمة.

فجاءوه بعقيدة، وكانت عقيدة المكتفي بعينها، ورأى الحب ناقصاً، والعقيدة فيها قدح الغالية، ما استعمل منه كثير شيء.

فقال: ما السبب في هذا؟ فأخبرته بالخبر على شرحه، فأخذ يعجب من بخل الرجلين، ويضع منهما بذلك. ثم قال: فرقوا الحب بأسره على الجواري، فما زال يخرج منها أرتالاً، وأنا أتمزق غيظاً، وأذكر حديث العنب، وكلام مولاي المعتضد، إلى أن مضى قريب من نصف الحب. فقلت له: يا مولاي، إن الغالية أطيب الغوالي وأعقها، ولا يعتاض منها، فلو تركت منها لنفسك، وفرقت الباقي من غيرها كان أولى.

قال: وجرت دموعي لما ذكرته من كلام المعتضد، فاستحي مني، ورفع الحب. فما مضت إلا سنتين من خلافته، حتى فنيت تلك الغوالي، واحتاج إلى أن عجن غالية بمال عظيم.

يقال إن جميع الغوالي استعملت في الوحل

الذي عملته السيدة أم المقتدر: أخبرني غير أبي علي: إن تلك الغوالي كلها، وما كان في الخزائن من المسوك والعنابر، استعمل كله في الوحل الذي كانت السيدة عملته. وخبر الوحل مستفيض على السنة العوام، فلا وجه للإطالة بذكره. ورأيت، أهل العلم والخبرة بأمور الخلافة وأخبارها، يكذبون بذلك تكديماً شديداً، فلم أورده لهذا السبب.

أموذج من إسراف السيدة أم المقتدر

حدثني أبو الحسن البرسي، العامل بالبصرة، إن بعض بني إسحاق الشيرازي المعروف بالخرقي، ممن كان يعامل أم المقتدر، أسماه هو وأنسيته أنا، حدثه: إنها طلبت منه في يوم يقرب من نيروز المعتضد، ألف شقة زهرية خففاً جداً. قال: فبعثت في جمعها، الرسل تكديني بالاستعجال، والقهارمة يستبطؤونني، حتى تكاملت، وصرت بها إلى الدار.

فخرجت القهرمانة، فقالت: اجلس في الحجرة التي برسمك، واستدع الخياطين، وتقدم أن يقطعوا ذلك أزراراً على قدر حب القطن، ويحشونها من الخرق، ويحيطونها، ليجعل بدل الحب القطن ويشرب دهن البلسان، وغيره من الأدهان الطيبة الفاخرة، وتوقد في المجامر البرام على رؤوس الحيطان ليلة النيروز بدلاً من حب القطن والقط والمجامر الطين.

فقلت ذلك، ومضت تلك الثياب الكثيرة الأثمان في هذا.

قال، وقال لي: كنت أشتري لها ثياباً ديبقية، يسمونها ثياب النعال.

وذلك إنما كانت صفاً، تقطع على مقدار النعال المخدوة، وتطلي بالمسك والعنبر المذاب، وتجمد، ويجعل بين كل طبقتين من الثياب، من ذلك الطيب ما له قوام، ونحن نفعل بطاقات كثيرة كذا، وتلف بعضها على

بعض، ثم تصمغ حواليتها بشيء من العنبر، وتلرز حتى تصير كأنها قطعة واحدة، وتجعل الطبقة الأولى بيضاء مصقولة، وتخز حواليتها بالإبريسم، ونجعل لها شركاً، من إبريسم كلها، كالشرك المصفورة من الجلود، وتلبس.

قال: وكانت نعال السيدة من هذا المتاع، لا تلبس النعل إلا عشرة أيام، أو حواليتها، حتى تخلق، وتنفتت، وتذهب جملة دنانير في ثمنها، وترمى. فيأخذون الخزان، أو غيرهم، فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه. وهو يساوي جملة الدنانير.

أَمْوُذَج من إِسْراف الخليفة المقتدر

أخبرني أبو القاسم الجهني: إن المقتدر أراد الشرب على نرجس في بستان لطيف، في صحن دار من صغار صحونه.

فقال بعض من يلي أمر البستان: سبيل هذا النرجس أن يسمد قبل شرب الخليفة عليه بأيام، فيحسن ويقوى.

فقال هو، وبلك، يستعمل الخمر في شيء بحضرتي وأريد أن أشمه؟ قال: بهذا جرت العادة في كل ما يراد تقويته من الزروع.

فقال: وما العلة في ذلك؟ قال: لأن السماد يحميه، فيعنيه على النبات والخروج.

قال: فنحن نحمله بغير السماد، وتقدم، فسحق من المسك بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد، وسمد به.

وجلس يشرب عليه يومه وليلته، واصطبح من غده عليه، فلما قام، أمر بنهيه.

فانتهب البستانيون والخدم، ذلك المسك كله من أصول النرجس، واقتلعوه مع طينة، حتى خلصوا المسك، فصار البستان قاعاً صفصفاً.

وخرج من المال شيء عظيم في ثمن ذلك المسك.

أَمْوُذَج من إِسْراف الخليفة الراضي

حدثني أبو إسحاق الطبري، غلام أبي عمر الزاهد، غلام ثعلب، وكان منقطعاً إلى بني حمدون، قال: حدثني

أبو جعفر بن حمدون، قال: كنا نشرب مع الراضي بالله يوماً، في مجلس مغمى بالفاكهة الحسنة الفاخرة.

فغرض من الجلوس فيه، فقال: افرشوا لنا المجلس القلاني، واطرحوا فيه ريحاناً ونيلوفر فقط، طرْحاً فوق

الحصر، بلا أطباق، ولا تعبئة في مشام، كما تفعل العامة، وعجلوا ذلك الساعة، لننتقل إليه.

قال: فلم تكن إلا لحظة، حتى قالوا له: قد فرغنا من ذلك.

فقال لنا: قوموا، فقمنا معه.

فلما رأى المجلس، قال للشراعية: غيروا لون هذا الريحان بشيء من الكافور يسحق ويطرح فوقه، فليس هو مليح هكذا.

قال: فأقبلوا يميئون بصواني الذهب، وفيها الكافور الرباعي المسحوق أرتالاً، ويطرح فوق الريحان، وهو يستزيدهم، إلى إن صار الريحان كالمغطى ببياض الكافور، وكأنه ثوب أخضر، قد ندف عليه قطن رقيق، أو روضة عليها ضرائب الثلج.
فقال حينئذ: حسبكم.

قال: فقدرت ما استعمل من الكافور، كان أكثر من ألف مثقال بشيء كثير.
فشربنا عليه معه، فلما قام، أمر بنهيه.
فأخذ غلماناً منه مثاقيل كثيرة، لأنهم كانوا في جملة الخدم والفراشين الغلمان الذي تمبوا ذلك.

الراضي يأمر لكل واحد من ندمائه

بوزن الآجرة دراهم: سمعت أبا بكر محمد بن يحيى الصولي، وأنا إذ ذاك في حد الصبيان، يحكي لأبي، حكاية طويلة عن الراضي، فيها شعر له، وقصة، لم تعلق بذهني كلها في الحال، لصغري عن ذلك.

فسأله أبي أن يملئها، فأملأها على صاحب لأبي كان جالساً بمحضرتها، وكتبها على ظهر جزء كان قد قرأه عليه، فيه أشعار وأخبار غير ذلك.

هو باق عندي، وحصلت منها ما بقي في حفظي: إنه دخل إلى الراضي، وهو يني شيئاً، أو يهدم شيئاً - أنا الشاك - فأنشده أبياتاً، وكان الراضي جالساً على آجرة حبال الصنائع.

قال: كنت أنا وجماعة من الندماء قيام، فأمر بالجلوس بمحضرتها، فأخذ كل واحد منا آجرة، فجلس عليها. واتفق أني أخذت آجرتين ملتزقتين بشيء من اسفيداج، فجلست عليهما فلما قمنا، أمر بأن توزن جرة كل واحد منا، ويدفع إليه بوزنها دراهم، أو دنانير - الشك مني - .

قال: فتضاعفت جائرتي على جوائز الحاضرين، بتضاعف وزن آجرتي على آجرهم.
حدثني علي بن الحسن الحاجي، قال: حدثنا أبو الحسن العروضي، معلم الراضي ونديمه بهذا الحديث، فذكر مثله، ولم يذكر تضاعف جائزة الصولي، إلا أنه قال: كنت أنا وجماعة من الندماء.

ختم الراضي الخلفاء في أمور عدة

وللراضي فضائل كثيرة، وقد ختم الخلفاء في أمور عدة، منها: إنه آخر خليفة له شعر.
وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، والأموال.

وآخر خليفة بني.

وآخر خليفة خطب على منبر في يوم الجمعة.

وآخر خليفة جالس المجلساء، ووصل إليه الندماء.

وآخر خليفة كانت نفقته، وجوائزه، وعطاياه، وخدمته، وجراياته، وخزائنه، ومطابخه، وشرابه، ومجالسه، وخدمه، وحجابه، وأموره، جارية على ترتيب الخلافة الأولى.
وآخر خليفة سافر بزي الخلفاء القدماء.
وآخر خليفة بعده المتقي، وسافر المطيع غير سفر، ولكن ليس كذلك.

أموذج من إسراف المتوكل

حدثني أبو القاسم الجهنّي، قال: حدثني أبو محمد بن حمدون، عن أبيه: إن المتوكل اشتهى أن يجعل كل ما تقع عليه عينه، في يوم من أسام شربه، أصفر.
فنصبت له قبة صندل مذهبة، مجللة بديباج أصفر، مفروشة بديباج أصفر.
وجعل بين يديه الدستنبو والأترج الأصفر، وشراب أصفر في صواني ذهب.
ولم يحضر من جواريه إلا الصفر، عليهن ثياب قصب صفر.
وكانت القبة منصوبة على بركة مرصصة يجري فيها الماء، فأمر أن يجعل في مجاري الماء إليها الزعفران على قدر ليصفر الماء ويجري من البركة، ففعل ذلك.
وطال جلوسه وشربه، فنفد ما كان عندهم من الزعفران، فاستعملوا العصفر، ولم يقدرُوا أنه ينفذ قبل سكره، فيشترون منه، فنفد.
فلما لم يبق إلا قليل، عرفوه، وخافوا أن يغضب إن انقطع، ولا يمكنهم قصر الوقت من شري ذلك من السوق.
فلما أخبروه أنكروا لم يشتروا أمراً عظيماً، وقال: الآن إن انقطع هذا تغص يومي فخذوا الثياب المصفرة المصفرة القصب، فانقعوها في مجرى الماء ليصبغ لونه بما فيها من الصبغ، ففعل ذلك.
ووافق سكره مع نفاد كل ما كان في الخزائن من هذه الثياب.
فحسب ما لزم على ذلك الزعفران والعصفر، وثمن الثياب التي هلكت، فكان قدر جميعه خمسين ألف دينار.
ويشبه هذا ما أخبرنا به الجهم الغفير: إن الحسن بن سهل، لما زف ابنته بوران إلى المأمون، بفم الصلح، انقطع بهم الخطب في المطبخ يوم العرس، أحوج ما كانوا إليه، فعرفوه ذلك.
فأمر الجيش، فصب عليها الزيت وغيره من الأدهان حتى تشرّبها وأمر بإيقاده تحت القدور، وبث الرسل في طلب الخطب.
فاستعمل من ذلك الجيش شيء كثير إلى أن حمل الخطب.

الوزير المهلبى يشتري مجلس شرايه

ورداً بألف دينار: وشاهدنا نحن، أبا محمد المهلبى في وزارته، وقد اشترى في ثلاثة أيام متتابعة، ورداً بألف دينار، فطرح في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة، تعرف بدار البركة، وشرب عليه، ونهب.

وكان في البركة فواره حسنة، فطرح الورد فيها، وفرشه في مجالسه.
وكان لذلك شرح طويل.

أبو القاسم البريدي يشرب على ورد

بعشرين ألف درهم: وشرب أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي، بالبصرة، على ورد بعشرين ألف درهم، في يوم واحد، على رخصه هناك، واسترخاص السلطان لما يشتهي، وطرح فيه عشرين ألف درهم خفافاً، وزنها عشرة آلاف درهم، وشيئاً كثيراً من قطع الند المثاقيل اللطاف، وقطع الكافور اللطاف، والتمثيل، ولعب به شاذكلي، وانتهب الفراشون الورد، مع ما فيه من الدراهم والطيب.

وقيل إن ذلك المجلس قام عليه بثلاثة آلاف دينار مع جذور المغنيات، وثن الطيب، وما أنفق على المائدة، والشراب، والثلج، ذلك اليوم.
أخبر بهذا أبو العباس النخاس المعروف بالشامي، في الوقت، وأنا أسمع، وأرانا من الدراهم شيئاً، وذكر إنه انتهبها مع الغلمان.

كان أبو العباس الشامي نخاساً

فأصبح قواداً: وكان هذا الشامي أمة وحدة في مذهبه، فإنه كان يصحب أبا عبد الله البريدي، على طريق التنخس، ويشترى الجواري السوداج والمغنيات فيبيعهن عليه.
فرما كره جارية فردها عليه، وما دار بينهما ميزان.
ثم اتسع ذلك الباب لأبي العباس، فصار يستعمله مع الكافة، ثم تجاوزه إلى بذل قيان له، وإخراجهن بحضرته، وأن يمازجهن، ويلاعبهن الرجال، ولا ينكر ذلك.
وربما تجاوزا هذا إلى غيره، ولا ينكر، ويحتفل عليه - فيما بلغني - من وجوه كثيرة.

أبو العباس الشامي النخاس

كان صفعاناً طيباً: وكان، مع هذا، صفعاناً طيباً.
فمن ذلك: إنه دخل يوماً على أبي يوسف البريدي، فصفعه بمخله ديباج حسنة مثملة.
فأخذها الشامي، وعدا، ليسلمها إلى غلامه، فيحملها إلى بيته.
فقال له أبو يوسف: قد أخذتها! وملك.
قال: فأراد أطل الله بقاء سيدنا من حيث جاءت، ولا آخذها؟ فقال: لا يا ماص كذا، خذها، لا بورك لك

فيها.

فدفعها إلى غلامه.

أبو العباس الشامي النخلس

يطلب من القاضي قبوله للشهادة: ومنها: إنه كان مشهوراً بالقيادة، وكان يعادي بزازاً بالبصرة، يعرف بالآدمي.

فبلغه أن القاضي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، عمل على قبوله، وما كان لذلك أصل، وإنما كان إرجافاً. فجاء إليه، وكان منبسطاً عليه بالمزاح، لمعرفته به.

فقال له: أيها القاضي، إن رأيت أن تقبل شهادتي.

فقال له القاضي: ما بلغ الأمر إلى قبول مثلك، فأني شيء دعاك إلى هذا، يا أبا العباس؟ وما زح.

قال: بلغني أنك تريد أن تقبل الآدمي، وأنا وهو جميعاً: كنا نقود على البريدي، فاقبلني أنا أيضاً. فضحك وقال: لا لك أقبل، ولا له.

الوزير المهلي والشامي النخلس

وجاء إلى الأهواز، بجارية له مغنية، إلى أبي محمد المهلي، وكنت بالأهواز.

وحدثني بهذا الخبر جماعة مما شاهدوه من ندمائه.

فغنت له، وكانت تجلس عنده للغناء، وهو غير حاضر، دفعات كثيرة.

فقال له المهلي يوماً، وقد جرى بحضرته ذكر الجماع، فأخذ الشامي يخبر عن نفسه، بالعجز عنه، لأنه كان قد نيف على الثمانين.

فقال له المهلي: فجاريك يا أبا العباس حبل، فمن أين هذا الحبل؟ فقال: يا سيدي إذا ولدت، سميت ابنتها العباس بن الحسن، يعرض بأنه ابن الوزير، يصلح للوزارة، وإنه ابنك. فضحك والجماعة منه.

أبو مخلص يستولي على دست

مجلس معز الدولة: أخبرنا أبو علي أحمد بن موسى حموي، صاحب معز الدولة، قال: كنا يوماً قياماً، بحضرة مولانا الأمير - يعني معز الدولة - فدخل إليه أبو مخلص، فرأى تحتة دست ديباج جديد، حسن جداً، قد استعمله بتستر، وقام عليه بألفي دينار.

فقال له: أيها الأمير، تنح عن اللست، فإن عليه شيئاً.

فلم يفهم الأمير مراده، وتترجح عن دسته، فجذبته، وحمل جزءاً منه على كتفه، وقام.

فقال له الأمير: يا بغاء - بكلام الديلم - إلى أين؟ قال: إلى طياري أنقل هذا اللست إليه أولاً أولاً كما

تري، ومن يعارضني؟ أو يجسر على ذلك؟ قال: فضحك الأمير، وقال: ما يعارضك أحد.
قال: فنقل، يشهد الله، اللست بآلته كاملاً، على ظهره، إلى طياره وأنا أراه، حتى أخذه جميعه.

أبو مخلص يستولي على طنفسة

رآها في مجلس الخليفة المطيع: وكانت لأبي مخلص، مروءة عظيمة، وشهود للفرش خاصة.
فدخل يوماً إلى أمير المؤمنين، المطيع لله، فرأى في المجلس طنفسة عظيمة خليفية من ورقم أصفر، فلما رآها
تخير.

فقال لأبي أحمد الشيرازي، كاتبه: أريد أن أعمل بهذه، كما عملت بلبست معز الدولة، وكان قد اشتهر
خبره في نقل اللست على ظهره.

فقال له أبو أحمد: مثل هذا لا يجوز أن يفعل بحضرة الخليفة، لأن الهزل لا يستعمل مع هؤلاء، وخاصة هذا
مجلس عام، ولكن أنا أعيد استحسانك لها، وأستوهبها لك منه.
فلما تفوض الموكب، خرج أبو أحمد، فوجده جالساً في الدهليز.

فقال: ما هذا أيها الشيخ؟ قال: ترجع، وتعرف مولانا، أني لا أبرح، والله، إلا بالطنفسة، وإنما قبلت رأيك
فوقرتة، وإلا كنت قد أخذتها كما أخذت اللست.
فرجع أبو أحمد، وأخبره، الخبر على شرحه، فأمر بحملها إلى طياره فحملت معه، ثم انصرف.
أخبرني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي بذلك.

ابن دية الأنماطي يقوم ثمن قسم من فرش

أبي مخلص بمائتي ألف دينار: وسمعت ابن دية الأنماطي، وهو رئيس هذه الصناعة ببغداد، ومن لم يشاهد أحد
بها من المتاع ما شاهده، يخبر في مجلس حافل، إنه شاهد لأبي مخلص فرشاً أخرجته إليه ليقومه له.
قال: فقومه له، قيماً استرخصتها جداً، فبلغت القيمة مائتي ألف دينار، ولا أدري ذلك فرشه كله، أو له
شيء آخر من الفرش سواه.

الشيخ الخياط وأذانه في غير وقت الأذان

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي القاضي: إن شيخاً من التجار، كان له على بعض
القواد مال جليل، يماطله به.

قال: فعلمت على الظلامة إلى المعتضد، لأني كنت إذا جئت إلى القائد حجبني، واستخف بي غلماناه.
و كنت إذا تحملت عليه، فاستشفعت، لم ينجع فيه.
وتظلمت إلى عبيد الله بن سليمان منه، فما نفعتني.

فقال لي بعض إخواني: علي أن آخذ لك المال، ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الخليفة ولا إلى غيره، فقم معي الساعة.

قال: قمت معه، فجاء بي إلى خياط في سوق الثلاثاء، شيخ، وهو جالس يخيط، ويقريء في المسجد، قصص عليه قصتي، وسأله أن يقصد القائد فيسأله إزاحة علي، وكانت داره قريبة من موضع الخياط، فقام معنا. فلما مشينا تأخرت، وقلت لصديقي: إنك قد عرضت هذا الشيخ، ونفسك، وإياي، إلى مكروه غليظ، هذا إذا حصل على باب الرجل، صفع، وصفعنا معه، فإنه لم يلتفت لشفاعة فلان وفلان، ولم يفكر في الوزير، يفكر في هذا؟ فضحك الرجل، وقال: لا عليك، امش واسكت.

فجئنا إلى باب القائد، فحين رأى غلمان الخياط أعظموه، وأهروا ليقبلوا يده، فمنعهم. وقالوا: ما جاء بك يا شيخ؟ فإن صاحبنا راكب، فإن كان أمر نعمله نحن بادرنا إليه، وإلا فادخل واجلس حتى يجيء.

فقويت نفسي، فدخلنا، وجلسنا.

وجاء الرجل، فلما رأى الخياط، أعظمه إعظاماً تاماً، وقال: لست أنزع ثيابي، أو تأمر بأمرك. فخاطبه في أمري.

فقال: والله، ما عندي إلا خمسة آلاف درهم، فسله أن يأخذها، ورهناً من مراكي الفضة والذهب، إلى شهر، لأعطيه.

فبادرت أنا إلى الأجابة، فأحضر الدراهم، والمراكب بقيمة الباقي، فقبضت ذلك.

وأشهدت الخياط وصديقي عليه، بأن الرهن عندي، إلى شهر على البقية، فإن جاز الأجل، فأنا وكيل بيعه، وأخذ مالي من ثمنه، فأشهدتهما على ذلك، وخرجنا.

فلما بلغنا إلى موضع الخياط، طرحت المال بين يديه، وقلت: يا شيخ، إن الله قد رد علي هذا بك، فأحب أن تأخذ ربه، أو ثلثه، أو نصفه، بطيب من قلبي.

فقال: يا هذا، ما أسرع ما كافأتني على فعل الجميل بالقبيح، انصرف بمالك، بارك الله لك فيه. فقلت: قد بقيت لي حاجة.

فقال: قل.

قلت: تخبرني عن سبب طاعة هذا لك، مع قماونه بأكابر أهل الدولة.

فقال: يا هذا قد بلغت مرادك، وأخذت مالك فلا تقطعني عن شغلي، وما أعيش منه.

فألححت عليه.

فقال: أنا رجل أؤم، وأقريء في هذا المسجد، منذ أربعين سنة، ومعاشي من هذه الخياطة، لا أعرف غير هذا.

وكنت منذ دهر، قد صليت المغرب، فأخرجت أريد منزلي، فاجتزت بتركي كان في هذه الدار، فإذا قد اجتازت امرأة جميلة الوجه عليه، فتعلق بها وهو سكران، ليدخلها داره، وهي ممتنعة تستغيث، وليس أحد يغيثها، وتصيح، ولا يمنعها منه أحد، وتقول في جملة كلامها: إن زوجي قد حلف بطلاقي أن لا أبيت عنه،

فإن بيتي هذا، أخرب بي، مع ما يرتكبه مني من المعصية، ويلحقه بي من العار.
قال: فجئت إلى التركي، ورفقت به، وسألته تركها، فضرب رأسي بدبوس كان في يده.
فشجني، وآلني، وأدخل المرأة.

فصرت إلى منزلي فغسلت الدم، وشددت الشجة، واسترحت.
وخرجت أصلي العشاء، فلما فرغنا منها، قلت لمن حضر: قوموا معي إلى عدو الله، هذا التركي، ننكر
عليه، ولا نبرح، حتى نخرج المرأة.

فقاموا، وجئنا، فضججنا على بابه، فخرج إلينا في عدة من غلمان، فأوقع بنا الضرب، وقصدي من بين
الجماعة، فضربني ضرباً عظيماً، كدت أتلّف منه، فشالني الجيران إلى منزلي كالتالف.
فعالجني أهلي، ونمت نوماً قليلاً للوجع، وأهّمت نصف الليل، فما حملني النوم فكراً في القصة.
فقلت: هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الأوقات، فلو أذنت، وقع له إن الفجر قد طلع، فأطلق المرأة،
فلحقت بيتها قبل الفجر، فتسلم من أحد المكروهين، ولا يخرب بيتها، مع ما قد جرى عليها.
فخرجت إلى المسجد متحاملاً، وصعدت المنارة، فأذنت، وجلست أطلع منها على الطريق، أترقب منها
خروج المرأة، فإن خرجت، وإلا أقمت الصلاة، لتلا يشك في الصباح، فيخرجها.
فما مضت إلا ساعة، والمرأة عنده، فإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجلاً ومشاعل، وهم يقولون: من هذا
الذي أذن الساعة؟ أين هو؟ ففرغت وسكت، ثم قلت مخاطبهم، لعلي أستعين بهم على إخراج المرأة.
فصحت من المنارة: أنا أذنت.

فقالوا لي: انزل، فأجب أمير المؤمنين.
فقلت: دنا الفرج، ونزلت، فمضيت معهم، فإذا هم غلمان مع بدر.
فأدخلني على المعتضد، فلما رأيته هبته، وارتعدت، فسكن مني.
وقال: ما حملك على أن تغر المسلمين بأذانك في غير وقته، فيخرج ذو الحاجة في غير حينها، ويمسك المريد
للصوم، في وقت أبيح له فيه الإفطار؟ فقلت: يؤمني أمير المؤمنين، لأصدق؟ فقال: أنت آمن على نفسك.
فقصصت عليه قصة التركي، وأريته الآثار التي بي.
فقال: يا بدر، علي بالغلام والمرأة، الساعة، وعزلت في موضع.
فلما كان بعد ساعة قليلة، أحضر الغلام والمرأة، فسألها المعتضد عن الصورة، فأخبرته بمثل ما قلته.
فقال لبدر: بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها، ويشرح له خبرها، ويأمره عني بالتمسك بها،
والإحسان إليها.

ثم استدعاني، فوقعت، فجعل يخاطب الغلام، وأنا قائم أسمع.
فقال له: يا فلان، كم رزقك؟ قال: كذا وكذا.
قال: وكم أعطاك؟ قال: كذا وكذا.
قال: وكم وظائفك؟ قال: كذا وكذا.

قال: وجعل يعدد عليه ما يصل إليه، والتركي يقر بشيء عظيم.
قال: فقال له: كم لك جارية؟ قال: كذا وكذا.
قال: فما كان لك فيهن، وفي هذه النعمة العريضة، كفاية عن ارتكاب معاصي الله عز وجل، وخرق هيبة السلطان؟ حتى استعملت ذلك، وتجاوزته إلى الوثوب بمن أمرك بالمعروف؟ فأسقط الغلام في يده، ولم يجر جواباً.

فقال: هاتم جوالق، ومداق الجص، وقوداً، وغلاً، فأحضر ذلك.
فقيده، وغله، وأدخله الجوالق، وأمر الفراشين، فدقوه بمداق الجص.
وأنا أرى ذلك، وهو يصيح، ثم انقطع صوته، ومات.
فأمر به، فغرق في دجلة، وتقدم إلى بدر بحمل ما في داره.
ثم قال لي: يا شيخ أي شيء رأيت من أجناس المنكر، كبيراً كان أو صغيراً، أو أي أمر، صغيراً كان أو كبيراً، فمر به وأنكره، ولو على هذا، وأوماً بيده إلى بدر.
فإن جرى عليك شيء، أو لم يقبل منك، فالعلامة بيننا أن تؤذن في مثل هذا الوقت، فإني أسمع صوتك فأستدعيك، وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك، أو بمن يؤذيك.
قال: فدعوت له وانصرف.
وانتشر الخبر في الأولياء والعلماء، فما سألت أحداً منهم بعدها إنصافاً لأحد، أو كفاً عن قبيح إلا أطاعني، كما رأيت، خوفاً من المعتضد.
وما حسبت أن أؤذن إلى الآن، في غير وقت الآذان.

مثل على تيقظ المعتضد وعلو عزمه

حدثني أبي، عن أبي محمد ابن حمدون، قال: كنت بحضرة المعتضد ليلة شرب، إذ جاءه كتاب، فقرأه وقطع الشرب، وتنغص به.
واستدعى عبيد الله بن سليمان، فأحضر للوقت، وقد كاد يتلف، وظن أنه قد قبض عليه.
فرمى بالكتاب إليه، فإذا هو كتاب صاحب خبر السر بقزوين إليه، يقول: إن رجلاً من الديلم، وجد بقزوين، وقد دخلها متنكراً.
فقال لعبيد الله: اكتب الساعة، إلى صاحبي الحرب والخراج، وأقم قيامتهما، وهددهما عني بالقتل، لم تم هذا، وتشدد في الإنكار، وطالبهما بتحصيل الرجل، ولو من تخوم الديلم، وأعلمهما إن دمهما مرتقن به، حتى يحضرانه.
وأرسم لهما أن لا يدخل البلد مستأنفاً أحد، ولا يخرج إلا بجواز، حتى لا تتم حيلة لأحد من الديلم في الدخول سرّاً، وأن يزيدا في الحذر واليقظ، ونفذنا الناس إليهم، وأفرط في التأكيد.
فقال عبيد الله: السمع والطاعة، أمضي إلى داري، فأكتب.

فقال: لا، إجلس بمكانك، واكتب بخطك، واعرض علي.
قال: فأجلسه، وعقله ذاهل، فكتب ذلك، وعرضه عليه، فلما ارتضاه، دعا بخريطة إلى حضرته، فجعلت
الكتب فيها، وأنفذها.
وقال لعبيد الله: أنفذ معها من يأتيك بخبر وصولها النهران، وسيرها عن، وانصرف.
فنهض عبيد الله، وعاد المعتضد إلى مجلس شربه، وكان قد لحقه تعب عظيم، فاستلقى ساعة، ثم عاد يشرب.
فقلت له: يا أمير المؤمنين، تأذن في الكلام؟ فقال: نعم.
فقلت: كنت على سرور، وطيب نفس، فورد خبر قد كان يجوز أن تأمر فيه غداً بما أمرت به الساعة،
فضيقت صدرك، وقطعت شربك، وتغصت على نفسك، وروعت وزيرك، وأطرت عقول عياله وأصحابه،
باستدعائه في هذا الوقت المنكر، حتى أمرته بهذا الذي لو أخرته إلى غد، لكن جائزاً.
فقال: ابن حمدون، ليست هذه من مسائلك، ولكننا أذنا لك في الكلام.
إن الديلم شر أمة في الدنيا، وأتهمهم مكرًا، وأشدهم بأسًا، وأقواهم قلوبًا، ووالله، لقد طار عقلي فرعاً على
الدولة من أن تطرق إليهم دخول قزوين سرًا، فيجتمع فيها منهم عدة، يوقعون بمن فيها ويملكونها، وهي
الثغر بيننا وبينهم، فيطول أمد ارتجاعها منهم، ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم، يكون
سبباً لبطلان الدولة، وتخيلت أي إن أمسكت عن التدبير ساعة، إنه يفوت، وإنهم يحتنون على قزوين، ووالله
لو ملكوها، لنبعوا علي من تحت سريري هذا، واحتنوا على دار المملكة، فما هنأني الشرب، ولا طابت
نفسي بمضي ساعة من زماني فارغة من تدبير عليهم.
فعملت ما رأيت.

التفريط في حفظ حدود أذربيجان

أدى إلى فساد المملكة: وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: كنت حدثًا في الديوان في سنة
سبع عشرة وثلاثمائة، والوزير إذ ذاك أحمد بن عبيد الله الخصيي.
فأنشأنا من الديوان، كتباً إلى ابن أبي الساج، عن السلطان، يأمره فيها بالسير إلى الحضرة، لقتال القرمطي.
فوردت الأجوبة للخليفة، لا للديوان.
فسمعت مشايخ الكتاب، يتحدثون عنه، إنه كتب يقول: أنا في ثغر الروم، ويازاء سد أحصن من سد
يأجوج ومأجوج، وإن أخللت به، انفتح منه أعظم من أمر القرمطي، ولم يؤمن أن يكون سبباً لزوال المملكة
في سائر النواحي.
قال: فأخذ الكتاب يتطأون بذلك، وقالوا: في أي ثغر هو؟ ومن يآزاه إلا الديلم، وإنما هم أكرة، ولكنه
يريد ترفيه نفسه، والخلاف على السلطان.
قال: وأنشئت كتب آخر، يؤمر فيها بترك ما هو بسيله، والقدم، فقدم وخرج إلى القرمطي، فقتله
القرمطي.
فما مضت إلا مديدة يسيرة، على قتله، حتى سار القاسم بن الحسن الداعي العلوي، وما كان الديلمي

صاحب جيشه، من طبرستان إلى الري، فأخذها من يد أصحاب السلطان.
وخرج أسفار بن شيرويه الديلمي فصار إلى طبرستان، فأخذها منهما.
فرجع الداعي إليه، فقاتله، فقتله أسفار، وتوطأ له الأمر، وسار إلى الري، فقاتله ما كان.
وثار مرداويج، وكان أحد أصحاب أسفار، به، فقتله، واحتوى على عسكره، وتملك أعماله، وأخذ الري،
والجل، والأعمال.
وتفرقت أعمال ابن أبي الساج على جماعة أهملوا سياستها.
واستفحل أمر الديلم، وتزايد على الأوقات، وضعف السلطان، وانفتحت الفتوق عليه، وكثرت القتل، وقتل
المقتدر.
وجاء مرداويج إلى أصبهان ليسيير إلى بغداد.
وقدم شيرج بن ليلي إلى الأهواز، فتملكها.
وكان الأمير عماد الدولة علي بن بويه يخلفه على الكرج حينئذ، فاستغوى من معه، وسار بهم فملك أرجان
لنفسه.
وهده مرداويج بالمسير إليه، فداراه، ووعد أنه يكون من قبله، وأنفذ الأمير ركن للدولة، أخاه، رهينة
إليه.
وسار فأوقع بياقوت، وهو في سبعمائة نفر من الديلم، وياقوت في الطم والرم، وملك فارس، وظفر بأمواله،
وكوزها، فقوي، وعمل مرداويج على إنفاذ عسكر إليه، ليأخذه، ثم يسيير إلى بغداد، فوثب غلمانه الأتراك
به، فقتلوه، وجاء رجاله إلى الأمير عماد الدولة، وقد كان ملك فارس، وطرد بياقوت عنها، فقوي أمره،
وعظم شأنه.
ومرت على ذلك سنيت، فأنفذ أخاه الأمير معز الدولة إلى الأهواز، ولم يزل أمره يقوى، حتى ملك بغداد.
وحصل الأمر على ما قاله المعتضد، وابن أبي الساج، وصاروا ملوك الأرض.

وحصلت للديلم ممالك، غير ممالك الأمراء من بني بويه، كثيرة، بعد أن كان الناس يتمثلون إذا ظلموا، فيقولون: أي شيء خبرنا؟ في يد الديلم نحن أم في يد الأتراك؟ فصاروا في ممالكهما وأيديهما. ونسأل الله السلامة.

مثل آخر على تيقظ المعتضد وعلو همته

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، قال: حدثني أبو علي الحسن بن إسماعيل بن إسحاق القاضي، وكان ينادم المعتضد، ويتجاسر عليه، قال: كنا نشرب يوماً مع المعتضد، حتى دخل عليه بدر، فقال: يا مولاي، قد أحضر القطان الذي من بركة زلزل. قال: فترك مجلس النبيذ، وقام إلى مجلس في آخر ذلك المجلس، ودونه، ونحن نراه ونسمع كلامه، ومدت بيننا وبينه ستارة، ولبس قباء، وأخذ بيده حربه، وجلس كالمغضب المهول، حتى فرغنا نحن منه، مع أنسنا به.

وأدخل إليه شيخ ضعيف، فقال له بصياح شديد: أنت القطان الذي قلت أمس ما قلت؟ فغشي على القطان، فأمر به فعزل ناحية.

فلما سكن جاءوه به، فقال: ويلك، مثلك يقول ليس للمسلمين ناظر في أمورهم، فأين أنا؟ وأي شغل شغلي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل سوقي، لا أعرف غير الغزل والقطن ومخاطبة النساء والعامّة، وإنما اجتاز بنا رجل بايعنا شيئاً كان معه، فوجدنا ميزانه ناقصاً، فقلت هذا الكلام، وعنيت به المحتسب لا غيره. فقال له المعتضد: الله، إنك أردت به المحتسب؟ فقال: والله ما عنيت غيره، وأنا تائب أن أتكلم بما يشبه هذا. فقال: يحضر المحتسب، ويبالغ في الإنكار عليه لم غفل عن إنكار مثل هذا، ويؤمر بتعييره، وتتبع الطوافين وأهل الأسواق، والتعير عليهم.

وقال للشيخ: انصرف، لا بأس عليك، ودخل، فضحك، وانبط، وعاد يشرب.

فلما حمل علي النبيذ، قلت له: يا مولاي، تعرف فضولي، فتأذن لي في أن أقول؟ فقال: قل. قلت: كان مولانا في أطيب شرب، وأتم سرور، فتركه، وتشاغل عنه بخطاب كلب من السوق، كان يكفيه أن يصيح عليه راجل من رجالة صاحب الربع صيحة، ولم يقنع مولانا في أمره بالوصول إلى حضرته، حتى غير له لبسته، وشهر سلاحه، واستقصى خطابه بنفسه، لأجل كلمة تقول العامة مثلها دائماً، ولا يميزون معناها.

فقال: يا حسن، أنت لا تعلم ما يجز هذا الكلام، إن مثل هذا إذا انتشر على السنة العوام، تلقفه بعضهم من بعض، وتجروا عليه، وربوا على قوله، حتى يصير منهم كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يبعد أن يولد ذلك لهم امتعاضاً عند أنفسهم للسياسة والدين، فتثور الفتن على السلاطين.

وليس شيء أبلغ في حسم ذلك، من قطع مادته من الأصل في أوله.
فإن هذا، مما جرى عليه، قد طارت روحه، فهو يخرج، ويحدث بأضعاف ما لحقه من الإنكار، وأكثر مما
شاهده من المهية والفخامة، وفوق ما سمعه من المطالبة بموجبات السياسة، وممر الحقيقة، فينتشر عند العوام
ما نحن عليه من التيقظ، وإن كلمة تكلم بها الرجل منهم لم تخف علي، وما غفلت عن مناظرة صاحبها،
وعقابه فيعرفوني بذلك، فيعيني ذلك عن أفعال كثيرة، ويجنر جميعهم، ويضبط نفسه، وتنحسم مادة شر.
لو جرى، لأحتجج إلى ضروب من الكلف غليظة في صلاحه، قد انحسمت بيسير من القول والفعل.
فأقبلنا ندعو له ونطريه أنا والجماعة.

مثل علي ضبط المعتضد أمر جنده

وتشده في منعهم من التعدي: حدثني وكيل كان لأبي القاسم ابن أبي علان، سلمه إلي بتوكيل في ضيعتي
بالأهواز، وكان ابن أبي علان يقول إنه أسن منه، وكان ثقة، ما علمت، يقال له: ذو النون بن موسى، قال:
كنت غلاماً، والمعتضد إذ ذاك بكور الأهواز، فخرجت يوماً من قرية بمناذر يقال لها شانطف، أريد عسكر
مكرم، ومعني حمار أنا راكبه، وهو موقر بطيخاً، قد حملته من القرية لأبيعه في البلد، يعني العسكر.
فلقيني جيش عظيم لم أعلم ما هو، وتسرع إلي منهم جماعة، وأخذ واحد منهم ثلاث بطيخات أو أربعاً،
وحرك.

فخفت أن يقص عدده، فأقم به، فبكيت، وصحت، والحمار يسير بي على الخجة، والعسكر يجتاز عليها.
فإذا بكوبكة عظيمة يقدمها رجل منفرد، فوقف، وقال: ما لك يا غلام تبكي وتصيح؟ فعرفته حالي، فوقف
بي، ثم التفت إلى القوم، فقال: هي، علي بالرجل الساعة.
قال: فكأنه كان وراءه، حتى ورد في سرعة الطرف.
فقال: هذا هو يا غلام؟ فقلت: نعم.
فأمر به فبطح وضرب المقارع، وهو واقف، وأنا على حماري، والعسكر واقف.

وجعل يقول، وهو يضرب: يا كلب، يا كذا وكذا، ما كان معك ثمن هذا البطيخ؟ ما كان في حالك فضل
لشرائه؟ ما قدرت تمنع نفسك منه؟ هو مالك؟ مال أهلك؟ أليس هو الرجل الذي قد تعب بنفسه في زرع،
وسقيه، وماله، وأداء خراج؟ أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ يعدد عليه أشياء من هذا الجنس، والمقارع
تأخذه، إلى أن ضربه نحو مائة مقرة.

ثم أمره برفعه، ورفع، وسار، وسار الناس.
فأخذ الجيش يشتموني، ويقولون، يضرب فلان بسبب هذا الأكار الخوزي، لعنه الله، مائة مقرة.
فسألت بعضهم عن الخبر، فقال: هذا الأمير أبو العباس.

شدة ضبط المعتضد عسكره

حدثني عبد الله بن عمر الحارثي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن حمدون، قال: كان المعتضد، في بعض متصيداته، مجتازاً بعسكره، وأنا معه، فصاح ناطور في قراح قشاء، فاستدعاه، وسأله عن سبب صياحه.

فقال: أخذ بعض الجيش من القشاء شيئاً.

فقال: أطلبوهم، فجاءوا بثلاثة أنفس.

فقال: هؤلاء الذين أخذوا القشاء؟ فقال الناطور: نعم.

فقيدهم في الحال، وأمر بحبسهم.

فلما كان من الغد، أنفذهم إلى القراح، فضرب أعناقهم فيه، وسار.

فأنكر الناس ذلك، وتحدثوا به، ونفرت قلوبهم منه.

ومضت على ذلك مدة طويلة، فجلست أحادثه ليلة، فقال لي: يا أبا عبد الله هل يعيب الناس علي شيئاً؟ عرفني حتى أزيله.

قلت: كلا، يا أمير المؤمنين.

فقال: أقسمت عليك بحياتي، إلا ما صدقني.

قلت: وأنا آمن؟ قال: نعم.

قلت: إسراعك إلى سفك الدماء.

قال: والله، ما هرقت دمًا منذ وليت هذا الأمر، إلا بحقه.

قال: فأمسكت إمساك من يتبين عليه الكلام.

فقال: بحياتي ما يقولون؟ قلت: يقولون إنك قتلت أحمد بن الطيب، وكان خادمك، ولم تكن له جناية ظاهرة.

قال: دعاني إلى الإلحاد، فقلت له: يا هذا أنا ابن عم صاحب الشريعة، وأنا الآن منتصب منصبه، فألحد حتى أكون من؟ وكان قال لي: إن الخلفاء لا تغضب، فإذا غضبت لم ترض، فلم يصح إطلاقه.

فسكت، سكوت من يريد الكلام.

فقال لي: في وجهك كلام.

فقلت: الناس ينقمون عليك أمر الثلاثة أنفس، الذين قتلتهم في قراح القشاء.

فقال: والله، ما كان أولئك المقتولين هم الذين أخذوا القشاء، وإنما كانوا لصوصاً حملوا من موضع كذا وكذا، ووافق ذلك أمر أصحاب القشاء، فأردت أن أهول على الجيش، بأن من عاث من عسكري، وأفسد بها القدر، كانت هذه عقوبتي له: القتل، ليكفوا عما فوقه، ولو أردت قتلهم لقتلتهم في الحال، وإني حبستهم، وأمرت بإخراج اللصوص في غد مغطيين الوجوه، ليقال إنهم أصحاب القشاء، ويقتلون بفعل ذلك. فقلت: كيف تعلم العامة هذا؟ قال: بإخراجي القوم الذين أخذوا القشاء، أحياء، وإطلاقي لهم في هذه الساعة.

ثم قال: هاتم القوم، فجاءوا بهم، وقد تغيرت حالهم من الحبس والضرب.

فقال لهم: ما قصتكم؟ فاقصصوا عليه قصة القثاء.
فقال لهم: أفتسبون من مثل هذا الفعل، حتى أطلقكم؟ فقالوا: نعم.
فأخذ عليهم التوبة، وخلع عليهم، ووصلهم، وأمر بإطلاقهم، ورد أرزاقهم عليهم.
فانتشرت الحكاية، وزالت عنه التهمة.

بين المعتضد ونديمه ووزيره

حدثني أبي، عن أبي محمد، عبد الله بن حمدون، قال: قال لي المعتضد، يوماً، وقد قدم إليه عشاء على النبيذ:
لقمني.

قال: وكان الذي قدم إليه فراريج، ودراريج، فلقمه من صدر فروج.
فقال: لا، لقمني من فخذ.
فلقمته لقمًا.

ثم قال: هات من الدراج، فلقمته من أفخاذها.
فقال: ويلك، هو ذا تتنادر علي؟ هات من صدورها.
فقلت: يا مولاي، ركبت القياس، فضحك.
فقلت له: إلى كم أضحكك، ولا تضحكني؟ قال: شل المطرح، وخذ ما تحته.
قال: فشلت، فإذا بدينار واحد.

فقلت: آخذه هذا؟ فقلت له: بالله، هو ذا تتنادر أنت الساعة علي؟ خليفة يجيز نديمه بدينار واحد؟ فقال:
ويلك، لا أجد لك في بيت المال حقاً أكثر من هذا، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئاً، ولكن
هوذا، أحتال لك بحيلة، تأخذ فيها خمسة آلاف دينار.
فقبلت يده.

فقال: إذا كان غداً، وجاء القاسم فهو ذا أسارك حين تقع عيني عليه، سراراً طويلاً، ثم ألفت إليه
كالغضب، وانظر أنت إليه من خلال ذلك، كالخالس لي، نظر المترثي.
فإذا انقطع السرار، فستخرج، ولا تبرح من الدهليز.

فإذا خرجت، خاطبك بجميل، وأخذك إلى دعوته، وسألك عن حالك، فاشك الفقر والخلة، وقلة حظك
مني، وتقل ظهرك بالدين والعيال، وخذ ما يعطيك، واطلب كل ما تقع عينك عليه، فإنه لا يمتعك، حتى
تستوفي الخمسة آلاف دينار.

فإذا أخذتها فسيألك عما جرى بيننا، فاصدقه، وإياك أن تكذبه، وعرفه أن ذلك، حيلة مني عليه، حتى
وصل إليك هذا، وحدثه بالحديث على شرحه، وليكن إخبارك إياه، بعد امتناع شديد، وإحلاف منه
بالطلاق والعتاق أن تصدقه، وبعد أن تخرج من داره، كل ما يعطيك إياه.
فلما كان من غد، حضر القاسم، فحين رآه، بدأ يسارني، وجرت القصة، على ما واضعني عليه، فخرجت،

فإذا القاسم في الدهليز يتظرنى.

فقال لي: يا أبا محمد، ما هذا الجفاء؟ لا تحبني، ولا تزورني، ولا تسألني حاجة، فأقضيها لك، فدعوت له.

فقال: ما يقنعني إلا أن تزورني اليوم، ونفترج.

فقلت: أنا خادم الوزير.

فأخذني إلى طياره، وجعل يسألني عن حالي، وأخباري، فاشكو إليه الخلة، والإضافة، والدين، وجفاء الخليفة،

وإمساك يده، فيتوجع، ويقول: يا هذا، مالي مالك، ولن يضيق عليك، ما اتسع علي ولا تتجاوزك نعمة

تخلصت إلي، أو يتخطاك خط نازل بفنائي، ولو عرفتني لعاونتك، وأزلت هذا عنك.

فشكرته وبلغنا إلى داره، فصعد، ولم ينظر في شيء، وقال: هذا يوم أحتاج أن اخنص فيه بالسروور بأبي

محمد، فلا يقطعني عنه أحد.

فأمر كتابه بالتشاغل بالأعمال، وخلا بي في دار الخلوة، وجعل يحدثني ويسطني، وقدمت الفاكهة، فجعل

يلقمني بيده، وجاء الطعام، فكانت فكانت هذه سبيله، وهو يستزيدني.

فلما جلس للشرب، وقع لي بثلاثة آلاف دينار مالا، فأخذتها في الوقت.

وأحضرتي ثياباً، وطيباً، ومركوباً، فأخذت ذلك.

وكانت بين يدي صينية فضة، فيها مغسل فضة، وخرداذي بلور، وكوز وقدر بلور، فأمر بحمله إلى طياري.

وأقبلت كلما رأيت شيئاً حسناً، له قيمة وافرة، طلبته منه.

وحمل إلي فرشاً نفيساً، وقال: هذا للبنات.

فلما تفوض المجلس، خلا بي، وقال: يا أبا محمد، أنت عالم بحقوقى عليك، مودتي لك.

فقلت: أنا خادم الوزير.

فقال أريد أن أسألك عن شيء، وتحلف لي أنك تصدقني عنه.

فقلت: السمع والطاعة، فأحلفني بالله، وبالطلاق، والعتاق، على الصدق.

ثم قال لي: بأي شيء سارك الخليفة اليوم في أمري؟ فصدقته عن كل ما جرى، حرفاً بحرف.

فقال: فرجت عني، وأن يكون هذا كهذا، مع سلامة نيته لي، أسهل علي.

فشكرته، وودعته، وانصرف إلى بيتي.

فلما كان من الغد، باكرت المعتضد، فقال: هات حديثك.

فسقته إلى آخره.

فقال: احتفظ بالدنانير، ولا يقع لك، أنك تعامل بمثل هذا بسرعة.

وحدثني أبو السري، محمد بن عمر التازي البغدادي، ويعرف بابن عتاب السقطي، قال: حدثني أبو الطيب

واثق بن رافع، مولى ابن أبي الشوارب، قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن حمدون، بهذا الحديث، فأورده بغير

هذه الألفاظ، والمعنى واحد.

إلا أنه ليس في حكاية واثق، العشاء بالفرايح والدرايح، ولا أن المعتضد وهب له ديناراً.

وأول حكاية واثق عن ابن حمدون، قال: شكوت إلى المعتضد، ديني وإصاقتي، فقال: أما مالي فلا أطمع لك

فيه، ولكن أعمل لك حيلة، وذكر الحكاية.

عاشق تسبب في قتل حبيبته وزوجها ومن الأخبار المفردات، والإتفاقات التي سمعناها، وشاهدنا بعضها، ما أخبرني به أبو القاسم الجهني قال: كان في جوارى ببغداد، امرأة جميلة مستورة، ولها ابن عم يهاوها، كان ربي معها، فعدل بها أبوها عنه، إلى رجل غريب، زوجه بها، فكان ابن العم، يلزم بابها، طمعاً فيها، وأحس الزوج بذلك، فكان يتحرز، وكان خبيثاً.

فخرج يوماً في بعض شأنه، وأرادت المرأة أن تتبرد، فنزعت ثيابها، وجلست عند البئر تغتسل، وتركت خواتيم الذهب، كانت في يدها، عند ثيابها في الدار، وكانت لطيفة، وفيها عقق مخلى في الدار، فأخذ الخواتيم، وخرج وهي في منقاره، إلى الباب، على عادة العقاق، في أخذ كلما يجدونه وخبته. فوافق خروجه، اجتياز ابن عمها، ورأى الخواتيم، فسعى خلف العقق، وأخذها منه، ولبسها، وقعد بالباب، ليراه زوج المرأة، فيظن أنه كان عندها، فيطلقها، فيتمكن هو من تروجها.

فجاء الزوج، فقام ابن العم مسلماً عليه، وتعهد أن يرى الخواتيم في يده وانصرف، فعرفها الزوج، ودخل، فرأى امرأته تغتسل، فلم يشك إنه غسل جنبه، وأن ابن العم قد، قد وطئها. فقال لجارية كانت معهم: اذهبي في حاجة كذا، فمضت فيها، وغلق الباب، وأضجع المرأة، ولم يسلمها عن شيء، وقتلها.

وعادت الجارية، فرأت سرتها مقتولة، فريعت، وخرجت، وصاحت، فبدر الجيران به، وأهلها، فقبضوا عليه، وحمل إلى السلطان، فقتل بها.

فأخرج ابن العم الحديث، وكان ذلك سبب توبته، ولزم العبادة، وترك الدنيا إلى أن مات.

كلب يكشف عن قاتل سيده

ومنها: إن مبشر الرومي، مولى أبي، حدثني: إنه سمع مولى كان له قبل أبي، يعرف بأبي عثمان، زكريا المدني، ويقال له: ابن فلانة، وكان هو تاجراً جليلاً، عظيماً، كثير المال، مشهوراً بالجلالة، ولاتقة، والأمانة، يحدث: إنه كان في جواره ببغداد، رجل من أصحاب العvisية، يلعب بالكلاب.

فأسحر يوماً في حاجة، وتبعه كلب كان يختصه من كلابه، فردّه، فلم يرجع، فتركه.

ومشى، حتى انتهى إلى قوم كانت بينه وبينهم عداوة، فصادفوه بغير حديد، فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فأدخلوه، فدخل معهم، فقتلوه، ودفنوه في بئر في الدار، وضربوا الكلب، فسعى، وخرج وقد لحقته جراحة، فجاء إلى بيت صاحبه يعوي، فلم يعبأوا به.

وافقدت أم الرجل، ابنها، يومه وليلته، فتبينت الجراحة بالكلب، وأنها من فعل من قتل ابنها، وأنه قد تلف، فأقامت عليه المأتم، وطردت الكلاب عن بابها.

فلزم ذلك الكلب الباب، ولم ينطرد، فكانوا يتفقدونه في بعض الأوقات.

فاجتاز يوماً، بعض قتلة صاحبه بالباب، وهو رابض، فعرفه الكلب، فخمش ساقه، ونمشه، وعلق به.

واجتهد المجتازون في تخليصه منه، فلم يمكنهم.
وارتفعت ضجة، وجاء حارس الدرب، فقال: لم يتعلق هذا الكلب بالرجل، إلا وله معه قصة، ولعله هو
الذي جرحه.

وخرجت أم القتيل، فحين رأت الرجل، والكلب متعلقاً به، وسمعت كلام الحارس، تأملت الرجل، فذكرت
أنه كان أحد من يعادي ابنها ويطلبه، فوقع في نفسها إنه قاتل ابنها، فتعلقت به، وادعت عليه القتل،
وارتفعاً إلى صاحب الشرطة، فحبسه، بعد أن ضرب، ولم يقر، ولزم الكلب باب الحبس.
فلما كان بعد أيام، أطلق الرجل، فحين أخرج من باب الحبس، علق به الكلب، كما فعل أولاً، فعجب
الناس من ذلك.

وأسر صاحب الشرطة، إلى بعض رجائه، أن يفرق بين الكلب والرجل، ويتبع الرجل ويعرف موضعه،
ويترصده، ففعل ذلك.

فما زال الكلب، يسعى خلف الأول، والراجل يتبعه، إلى أن صار في بيته.
وأقبل الكلب يصيح، ويبحث في موضع البئر التي طرح فيها القتيل.
فقال الشرطي: انبشوا موضع نبش الكلب، فنبش، فوجد الرجل قتيلاً.
فأخذ الرجل، وضرب، وأقر على نفسه، وعلى جماعة بالقتل، فقتل هو، وطلب الباقيون، فهربوا.

خبأ ماله في برنية

فعجل ذلك في سرقته: ومنها، إن أبا الحسن، أحمد بن يوسف الأزرق، حدثني، قال: كان لنا صديق،
مستظهر على الزمان، قد سلم على الحوادث، عمره كله.
فلما تواترت الكيسات ليلاً ببغداد، خاف على مال عنده عتيد، فجعل ثلاثة آلاف دينار عيناً، في برنية،
وحفر لها في عرض حائط، كان بين بيتين من داره، وكانت الحفيرة قريبة من زاوية الحائط، والزاوية على
الطريق، ومضى على هذا مدة.
فجاء اللصوص، ينقبون على داره، فوقع نقيبهم على زاوية، ففقدوا أن الحائط عرضاً، فنقبوا في طوله من
حيث الزاوية، فوصلوا إلى البرنية، فأخذوها.
فلما شاهدوا ما فيها اكتفوا به، وانصرفوا، ولم يدخلوا الدار.
وتضعفت حال الرجل.

الأمير عماد الدولة بن بويه

تقع عليه حية فيجد كثيراً: ومنها: ما حدثني به أبو الحسن بن مهذب القزويني، كاتب سوريل أحد قواد
الدليم، قال: لما ملك الأمير عماد الدولة، أحمد بن بويه، شيراز، ظهر له من الكنوز القديمة، والقريبة، أمر
عظيم، على أوصاف طريفة.

فكان منها: إنه دخل مستراح دار الإمارة، التي يسكنها، فسقطت عليه حية من سقف المستراح، وكان أزجاً عتيقاً، فارتاع لذلك، وأمر بنقضه، فوجد خمسين ألف دينار عيناً.

الأمير عماد الدولة يجد كنزاً

في خان مهجور: قال: وكنت قائماً بحضرته يوماً، فسعي إليه بيت في خان في السوق، وأن فيه ودائع عظيمة القدر، لبعض أصحاب ياقوت. فقال لي: امض فخذها.

فجئت، وفتحت الباب، وإذا بشيء كثير، فاستدعيت كاتباً آخر، وجلسنا نحصي. فوقعت عيني على بيت في آخر الخان، مقفل بعدة أقفال، قد رثت، لعتقها، ووقع في نفسي أن فيه وديعة أخرى لبعض أصحاب السلطان. فقلت للخاني: لمن هذا البيت، وأي شيء فيه؟ فقال: لا أدري، إلا أنه مقفل منذ أكثر من ثلاثين سنة. فقوي طمعي فيه، فقلت: افتحوه، ففتحوه، فلم يجدوا فيه شيئاً. فاستربت بالأمر، وقلت: بيت عليه عدة أقفال، طول هذه السنين، فارغ؟ هذا محال، فتشوه. وفش بدن الحائط، فلم يجدوا شيئاً. فقلعت بارية فيه، وأمرت بالحفر، فحفر، ولم نر شيئاً. وعزمتنا على الإنصراف، فوجدنا خمس قماقم مملوءة دنائير، فحملناها إلى الأمير، وحدثته بالحديث، فوهب لي منها، ألف دينار.

الأمير معز الدولة يستخرج كنزاً من المدائن ومن ذلك: ما أخبرني به الحسن بن محمد الحسين الجبائي، قال: حدثني أبو الحسن الدامغاني، صاحب معز الدولة: إنه كان جالساً في الدهليز، في يوم نوبة، فجاء رجل يصيح: نصيحة. فقلت له: ما هي؟ قال: لا أخبر بما إلا الأمير. فدخلت، فعرفته، فقال: هاته، فأدخلته إليه. فقال: أنا رجل صياد بناحية المدائن، وكنت أصيد، فعلفت شبكي في أسفل جرف بشيء، ولم أدر ما هو، فخلصتها، فتعذرت، ففصت في الماء، فوجدتها متعلقة بعروة حديد، فحفرت، فإذا بقمقم مملوء، فرددته إلى مكانه، وجئت أعرف الأمير.

فقال لي: انحدر الساعة معه، وأحضرنى المال، ورد الرجل إلي على حاله. فانحدرت، وجئت إلى المدائن العتيقة، والجرف، ووجدنا القمقم بحاله، كما قال الرجل. فستبعت نفسي الطلب، وأمرت بأن يحفروا، ويطلبوا. فحفروا، وأطالوا الحفر كثيراً، فوجدنا ثمانية قماقم آخر، مالا.

فحملت الجميع، والرجل، إلى الأمير، وحدثته بالحديث، ففرح بذلك، وقال: أعطوا الرجل من المال عشرة آلاف درهم، واصرفوه.

فقال الرجل: لا أريد ذلك، ولا حاجة لي إليه.

فقال له الأمير: ولم؟ قال: أريد أن تهب لي الصيد في تلك الناحية، وتأمر بأن يمنع كل أحد من أن يصطاد فيها غيري.

فضحك الأمير، وجعل يعجب من حماقته، وقال: اكتبوا له بما سأل. فكتب له بذلك.

كردك النقيب الديلمي

يغتال مستأمنًا طمعاً في ماله: ومنها: ما جرى في عصرنا، وأخبرت به، من أمر كردك النقيب: وذلك، إن معز الدولة، أنفذه إلى رجل بعمان، يقال له النوكاني، كان قد ملكها عقيب انقراض بني وجيه، ملوكها، فراسله في تسليمها إليه، وقدمه بالجيش.

وكان الرجل تاجراً موسراً، إلا أن أهل البلد ملكوه، فملك.

فلما جاءت الرسالة، النحل، وأجاب إلى تسليم البلد.

وخلع على كردك ورده.

فاضطرب أهل البلد عليه، وجيشه، وثاروا به، وقبضوا عليه، وخبروه موضعاً ينفي إليه، فاختار البصرة. وجمع متاعه، وأمواله، وصكاك ضياعه وعقاره، بعمان، والبصرة، وحسابه، وثبت ودائعه، وذخائره، وكل ما يملكه، قليل، وكثير، وعتيد.

قال: وجعله في مركب، وخطف يريد البصرة، وقد احتوى مركبه على مال كثير.

فلقيه كردك في الطريق يريد، وعنده أنه بعمان، بجواب الرسالة.

فلما رآه طرح إليه، فعرفوه خبره، فوجده في نفر يسير، فطمع فيه، وبات معه في مركبه، ونقل إليه من غلمانته قطعة.

فلما كان الليل، قيده، وطرحه في البحر، واحتوى على جميع ما في المركب، ونقل، إلى مركبه، من الجواهر، والطيب، وفاخر المتاع، والجواري، وما أراد، وترك الباقي في المركب.

وسار حتى أتى معز الدولة، فعرفه ما عمل، وسلم إليه عقود الضياع، وثبت الودائع، واستوهب منه من بقي من الجواري، وأشياء أرادها أيضاً من المتاع، فوهبها له.

وطاح دم الرجل.

وقبض الأمير الضياع، وأمر ببيعها، فبيعت، وقد شاهدت بيعها.

وبلغني، أن المشتريين، كانوا يستلمون كتب الرجل بشرائها، فتسلم إليهم.

ابن الحراصة يضمن القمار والفجور ببغداد

وحماية اللصوص بألفي درهم في كل شهر: ومن ذلك: ما كان يجري ببغداد من رجل يعرف بابن الحراصة، نفاط، مع قائد من قواد الديلم، يقال له أبو الحسن شيرمردي بن بلعباس قاضي الديلم. وكان هذا النفاط، مظهرًا للقمار، والعيارة، والفجور، وبيع الخمر، وتأوي إليه اللصوص، فلا ينكر أحد ذلك عليه، لأجن شيرمردي، وضمانه ذلك منه، بألفي درهم، في كل شهر.

وبلغني: أنه كان إذا عجز عليه مال الضمان، قبض على من يجتاز ببابه، ويدخلهم فيها، ويقال لهم: إما وطئتم ما تريدون، وزنتم كذا وكذا، أو لا، فزنوه وانصرفوا، ولا يخرجون إلا بذلك. وكان ينزل الجانب الشرقي، بقرب الجسر، وباب الطاق، في الموضع المعروف بين القصرين، بدار الجاشياري، على دجلة.

ابن الحراصة تركب الفاحشة في داره علانية

فحدثني أبو الحسن، أحمد بن يوسف الأزرق، قال: اجتريت بداره من الشط، فرأيت في صحنها، ظاهراً بغير استتار، نفسين يتجامعان.

فقلت لمن كان معي في السمارية، اعدلوا بنا ننكر هذا.

فطرحنا إليهما، وأخذت الجماعة ترجمهما من الشط، وتستنفر الناس.

فقال بعض من معنا: لعنكما الله، ما كان في الدار بيت تدخلون فيه؟ فذكرت في الحال ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: عند ظهور المنكر، أشد الناس أمراً بالمعروف، من يقول ألا تواريتما، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ونزل إلينا أصحاب ابن الحراصة، فخفنا منهم على نفوسنا، وجلسنا في السمارية، وانصرفنا.

فلم يزل كذلك، إلى أن زاد، وأكثر على معز الدولة في استقباح ذلك، فأمر بكبسه، فهرب، وتفرقت جموعه.

إمرأة تشوي ولدها وتأكله

ومنها: إن أحمد بن إبراهيم الجعفي، أحد شهودي - كان - بقصر ابن هبيرة، وأنا أتقلدها، إذ ذاك، أخبرني: إنه شاهد في وقت الغلاء الشديد الذي كان ببغداد، ونواحيها، في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، امرأة قد شوت ولدها، وجلست تأكله.

ففطن المسلمون بها، فأخذوها، وبقيت معها حتى حملوها إلى السلطان، فقتلها.

وقد أخبرني عدد كثير من أهل بغداد، أن هذا جرى عندهم في هذا الوقت، وأنهم شاهدوه.

واختلف علي قول بعضهم، لأن فيهم من قال: شوت ابناً لجارة كانت لها، ومنهم من قال: ابناً لها، ومنهم من قال: ابنة جارها.

وأي شيء حصل له من ذلك، فهو طريف عظيم.

عشرون ألف درهم

ثمن كر واحد من الحنطة: حدثني أبو الحسين بن عياش القاضي، قال: حدثني أبو عبد الله الموسوي العلوي، البغدادي: إنه باع في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، عند اشتداد الغلاء، على معز الدولة، وهو محاصر، مقيم بظاهر بغداد من الجانب الغربي، كراً معدلاً حنطة، بعشرين ألف درهم. قال: ولم أخرج الغلة حتى تسلمت المال، وحصل في داري، ثم أخرجت الغلة فاكلوها، وأخذوها. فنعوذ بالله من مثل هذه الأحوال.

أبو الفرج البيغاء يمتدح الأمير سيف الدولة

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المعروف بالبيغاء، لنفسه قصيدته إلى سيف الدولة، يذكر وقعة كانت له مع بعض العرب، وهي:

عدل الصوارم أعدل الأحكام ... وشبا الأسننة أكتب الأقالام
أخلق بمن كفر الغنى أن يغتدي ... كفرانه سبباً إلى الإعدام
من كان في الإكرام مفسدة له ... فهو انه أولى من الإكرام.
هذا البيتان من الأمثال الجياد، التي يجب أن تسير.
وفي هذه القصيدة أشياء حسان، منها قوله:

فتركتهم صرعى كأنك بالظبي ... عاطيتهم في الروع كأس مدام
متهاجرين على الدنو كأنما ... أفتت رؤوسهم من الأجسام.

الجزء الثاني

علو نفس أبي جعفر القاضي

حدثني أبي، رضي الله عنه، قال: حدثني سهل بن عبد الله الإيذجي، وكان أحد شهودها ووجوهها، ويخلفني على القضاء، وغيري، بما طويلاً، قال: حدثني أبي، وكان رئيس البلد، ومن وجوه شهوده: أن أبا جعفر، محمد بن منصور القاضي، لما تقلد كور الأهواز، من قبل المتوكل، أول دفعة، ووردها، أحب أن يطوف عمله.

قال: وكان شديد الشرف، عظيم النعمة والنفقة في مروءته، حتى إنه كان يستعمل في مطبخه، بدلاً من الشيرج، دهن اللوز والجلوز.

وكان في داره رحي لطيفة، يديرها حمار له، يستخرج عليها دهن اللوز دائماً.

وكان يستعمل في مطبخه، من اللحم، والدجاج، والفراخ، والحملان، والجداء، أكثر مما يتخذة الوزراء، في كثير من الأمور.

فقدم علينا، فأبعدنا في تلقيه، وسألناه النزول علينا، فامتنع.

وقال: لا يجوز للقاضي أن ينزل على أحد.

فقلنا له: فنفرغ لك أحد المنازل، فكأنه أجاب إلى هذا.

وسبقناه إلى البلد، فأخلى لنا داراً من دورنا، وجاء فيها فنزل.

فاجتهدنا في قبول غلماننا لطفاً منا، أو شيئاً قليلاً أو كثيراً، فامتنعوا، وقالوا: إنه متى علم أنكم فعلتم ذلك،

صارت عداوة، وما قبل لأحد من خلق الله شيئاً قط.

فلما كان بعد أسبوع استدعاني، فقال لي: يا أبا محمد، كيف سعر الخبز عندكم؟ فقلت: خمسون رطلاً

بدرهم.

فقال: فالدجاج؟ فقلت: ثلاث بدرهم.

فقال: فالفراخ؟ فقلت: ستة بدرهم.

قال: فالجداء؟ فقلت: أجود جدي بدرهمين.

وأخذ يسألني عن العسل، والسكر، وحوائح السقط، وغير ذلك.

من الفواكه، والثلج، وأنا أخبره بسعر البلد على الحقيقة، بالذي يشتري لنا، ولسائر الناس مثله، ويقول:

أهكذا يشتري لكم؟ فأقول: نعم.

فلما استتم الكلام، قال: يا غلام، قل للموكلين، والفراشين، أن يحملوا، ويشدوا الثقل على البغال

والجمال، وتقدم إلى الغلمان بالمسير مع السواد، وأن يتخلف معي للركوب من جرت عادته بذلك،

وأسرجوا لي الدواب والعمارية، فقلت: أحدث، أعز الله القاضي، أمر؟ .

فقال: نعم، إنني أحاسب وكيلى، في كل أسبوع يوماً، على ما ينفقه في طول الأسبوع، ولما كان البارحة،

حاسبته، فرفع إلي من أسعار ما اشتراه، مثل ما ذكرت، فكدت أن أوقع به، ولم أشك في أنكم قد دسستم

إلى الباعة، أن يبيعوه بهذا السعر، إرفاقاً لنا، لما امتنعنا من قبول هداياكم، ثم توقفت عن الإيقاع به، إلى أ،

أسألك عن الصورة، وأكشف.

فلما جئتني اليوم، وسألتك، وأنت عندي مقبول الشهادة، وقلت لك، أن تخبرني، كيف تشتري أنت وأهل

البلد، فأخبرتني أنك وهم تشترون بهذا، علمت أن هذا بلد لا تقوم فيه مروءة لشريف، وأن الضعيف

والشريف فيه يتساويان في اللذات والمروءات، فلا حاجة لي بالمقام فيه، ولا بد أن أرحل الساعة، وأجعل

مقامي بحيث تبين مروءتي، وتظهر نعمة الله عندي.

قال: ورحل عنا من يومه.

الحكم كالسهم إذا نفذ لم يمكن رده

وحدثني أبي، رضي الله عنه، إن بعض المعمرين من الشهود بالأهواز، حدثه وذكر هو الشاهد وأنسيته أنا،

عن أبيه أو بعض أهله، قال: كان محمد بن منصور، يتقلد القضاء بكور الأهواز، وعمر بن فرج الرخجي،

يتقلد الخراج بها.

وكانا يتوازيان في المرتبة السلطانية، فلا يذهب القاضي إلى الرخجي إلا بعد أن يجيئه، ويتشاحان على التعظيم. وترد كتب الخليفة إليهما، بخطاب واحد، قال: وتولدت من ذلك، عداوة بينهما، فكان الرخجي يكتب في القاضي، إلى المتوكل، فلا يلتفت إلى كتبه، لعظم محله عند المتوكل، ويبلغ ذلك القاضي، فيقل الحفل به، ويظهر الزيادة في التعاضم عليه.

فلما كان في بعض الأوقات، ورد كتاب المتوكل، على الرخجي، يأمره بأمر في معنى الخراج، وأن يجتمع مع محمد ابن منصور القاضي، ولا ينفرد عنه، وورد بالكتاب، خادماً كبير من خدم السلطان.

فأنفذ الرخجي إلى القاضي، فأعلمه، وقال: يصير إلى ديوان الخراج لنجتمع فيه على امتثال الأمر.

فقال القاضي: ولكن تصير أنت إلى الجامع، فنجتمع فيه، وتردد الكلام بينهما، إلى أن قال الرخجي للخدام: ارجع إلى حضرة أمير المؤمنين، واذكر القصة، وإن قاضيه يريد إيقاف ما أمر به.

وبلغه الخبر، فركب محمد بن منصور، إلى الديوان، ومعه شهوده، فدخله، والرخجي فيه في دست، وكتابه بين يديه، فلما بصروا به، قاموا إليه، إلا الرخجي.

فعدل القاضي عن موضعه في الديوان، فجلس في آخر البساط، بعد أن أمر غلامه، فطوى البساط، وجلس على البارية، وحف شهوده به، وجاء الخادم، فجلس عند القاضي، وأوقفه على الكتاب.

ولم يزل الرخجي، يخاطب القاضي، وبينهما مسافة، حتى فرغوا من الأمر.

فلما فرغوا، قال الرخجي، للقاضي: يا أبا جعفر، ما هذه الجبرية؟ لا تزال تتورع بي، وتتحكك بمنافرتي ومضاهاتي، وتقدر أنك عند الخليفة - أطال الله بقاءه - مثلي، ومحلك يوازي محلي.

قال: وأسرف في هذا الجنس من الفن، وحي في الخطاب، والقاضي ساكت.

إلى أن قال الرخجي، في جملة الكلام: والخليفة - أعز الله نصره - لا يضرب على يدي في أمواله التي بها قيام دولته، ولقد أخذت من ماله، ألف ألف دينار، وألف ألف دينار، فما سألتني عنها.

وإنما إليك أن تحلف منكرًا على حق، أو تفرض على امرأة على زوجها، أو تجس ممتنعاً عن أداء حق.

وأخذ يعدد هذا وشبهه، وأبو جعفر، كلما ذكر الرخجي ألف ألف دينار، وثني القول، يعدد بأصابعه، وقد كشفها ليراها الناس.

فلما أمسك عمر، لم يجب بشيء، وقال: يا فلان الوكيل.

قال: ليك أيها القاضي.

قال: سمعت ما جرى؟ قال: نعم.

قال: قد وكلتك لأمر المؤمنين والمسلمين، على هذا الرجل في المطالبة بهذا المال.

فقال له الوكيل: إن رأى القاضي أن يحكم بهذا المال للمسلمين.

قال: والرخجي ممسك، والناس حضور على بكرة أبيهم، لا يدرون ما يريد أن يفعل.

قال: فأخذ محمد بن منصور دواة، وكتب بخطه في مربعة سجلاً بذلك المال.

ورمى به إلى الشهود، وقال: اشهدوا على إنفاذ الحكم بما في هذا الكتاب، وإلزامي فلان ابن فلان، هذا، وأوماً بيده إلى الرخجي، بما أقر به عندي من المال المذكور مبلغه في هذا كتاب للمسلمين. وكتب الشهود خطوطهم بالشهادة بذلك، وختموها، وأخذها محمد ابن منصور، وجعلها في كفه، ونهض. وأخذ الرخجي يهزأ بالقاضي، ويظهر التهاون بفعله ذلك. وقال له لما أراد القيام، طانراً: يا أبا جعفر، بالغت في عقوبتي، قتلني. فقال أبو جعفر: إي والله.

فما سمعناه أجابه بغيرها، واftرقا، وكتب صاحب الخبر، للوقت إلى المتوكل. قال: فبلغنا أن كتابه لما عرض على المتوكل، أحضر وزيره، وقال له: يا فاعل يا صانع، أنا أقول لك منذ دهر، حاسب هذا الخائن المقتطع، الرخجي، على أموالنا، وأنت تدافع، حتى حفظها الله علينا، بقاضينا محمد بن منصور، ورمى إليه بكتاب صاحب الخبر. وقال له: قد ظهرت الآن أموالنا، في سقطات قوله، وفلتات لسانه، وهذه عادة الله عز وجل عند أئمة عباد، أن يأخذ لهم أعداءهم، أكتب الساعة بالقبض على الرخجي، وتقييده، وغله، وحمله. قال: فخرج الوزير، وهو على غاية القلق، لعنايته بالرخجي، واستدعى خليفته وقال له: أكتب إليه الساعة، قد تسرعت يا مشوم، وقتلت نفسك، ما كان الذي دعك إلى معاداة القضاة؟ قد جرى كيت وكيت، وأنت مقتول إن لم تتلاف أمر محمد بن منصور، فاجتهد فيه، وأعلمه، أي هو ذا، أؤخر اليوم فقط، في إنفاذ من يقبض عليه، إلى أن يحكم أمره مع القاضي، وأقول للخليفة: أي قد أنفذت إليه، وأنفذ إليه في غد، من يمثل الأمر فيه.

فلما ورد كتابه على الرخجي، قامت قيامته، وأحضر من يختص به، فشاوره. فقال له: تترك الساعة إليه وتطرح نفسك عليه. قال: فركب إليه، في موكب عظيم، فحجبه القاضي. فاجتهد في أن يوصله إليه، فما كان إلى ذلك طريق، فرجع خجلاً. وقال لأصحابه: ما ترون؟ فأبني أخاف أن يقدم العشية من يقبض علي. فقالوا له: إن للقاضي رجلاً ثانياً، من أهل البلد، يقال له: فلان، قد اصطنعه، وائتمنه، ويريد قبول شهادته، وهو غالب عليه جداً، فتستدعيه، وتكتب له روزاً بشيء من خراج، وتسأله أن يوصله إليه، ويستصلحه لك.

فأحضره الرخجي، وكتب له روزاً بألف دينار من خراج، وسأله ذلك. فقال له: أما استصلحه لك، فلا أضمنه، ولكن أوصله إليك. فقال له: قد رضيت.

فقال: إذا كان وقت المغرب، فانتظري، وخرج الرجل. فلما كان وقت المغرب، صار إلى الرخجي، فقال: تلبس عمامة، وطيلساناً، وتركب حماراً، وتجيء. قال: ففعل ذلك، وركبا بغير شمع.

وجاء الرجل، فقال للحاجب: استأذن لي على القاضي، ولصديق لي معي، فدخل إليه وخرج فقال: ادخلا.
فحين شاهد القاضي الرخجي، أقبل يصيح ويقول: هذا الحال، وأنت أمين؟ هاه.
ثم قال للرخجي: اخرج عافاك الله عن داري.
قال: فبادر الرخجي، فأكب على رأسه، فلما رآه القاضي قد فعل ذلك، قام إليه فعانقه.
وبكى الرخجي بين يديه، ودفع الكتاب إليه.
قال: فبكى القاضي، وقال: عزيز علي يا هذا، ما كان اضطررك إلى الإقرار؟ فقال: تحتال في أمري.
فقال: والله ما لي حيلة، فإن الحكم كالسهم إذا نفذ لم يمكن رده، فجهده به الرخجي، فما زاده على ذلك،
فانصرف بأقبح منصرف.
فلما كان من الغد، ورد خادم، فقبض عليه وغله، وقيده وحمله فعلته في حفظ أموال المسلمين، وقد كنا
نأمر بمحاسنته، فبتأخر ذلك لعوائق، والآن فقد أقر طائعا غير مكره، فما نؤثر معاملته، إلا بما يعمل به
الواجب، بارك الله عليك، وإن للرجل أملاكا قبلك، فتنصب من يبيعها، تتحمل ثمنها إلى بيت المال، قضاء
لما أقر به.
قال: فنصب محمد بن منصور، من باع أملاك الرخجي في كور الأهواز، على عظمها، وحمل ثمنها إلى بيت
المال، فهي الأملاك المبيعة، التي تعرف إلى اليوم بالرخجيات.
وحصل الرخجي في العذاب بسر من رأى.

شيخ أهوازي يسعى

في صرف عامل الأهواز

وحدثني خال والدي، أبو القاسم بن أبي علان، عبد الله بن محمد ابن مهرويه. قال: أخبرني شيخ من
شيوخنا، قال: كان عمر بن فرج الرخجي، يتقلدنا في الدفعة الأولى، ثم صرف عنا، وولينا عامل بعده.
فخرجنا في بعض السنين نتظلم، وكانت أملاك عمر عندنا كثيرة، وله البستان المعروف بالفرج قديماً، الذي
في وسط البلد، ويعرف الآن بالبستان الصغير.
قال: فلما حصلنا بحضرة الخليفة نتظلم، عارضنا عمر، وأخذ يكلمنا بكلام عارف بالبلد، محتج بحجاج
صحيح يطل به ظلامتنا.
وكان المتكلم عنا، فلان، رئيسا لبلد، أسماء أبو القاسم وأنسيته، فأوماً إلينا أن اسكتوا، فسكتنا.
فقال: أيد الله أمير المؤمنين، قد أضجرناه اليوم بالخطاب، فنعود في مجلس ثان.
فقال: ذاك إليكم.
فانصرفنا، فقلنا له: ما حملك على هذا؟ فقال: إنكم لا تعلمون ما علمت.
قال: فلما كان عشياً، جئنا إلى منزل عمر، ودخل إليه، ونحن معه، فاستخلاه مجلسه، فأخلاه.

فقال له: يا هذا، إنك أخذت اليوم تسعى على دماننا، وناظرنا مناظرة عارف ببلدنا، ولو رددنا عليك، لكننا إما أن نقطعك، أو تقطعنا فهلك، ولم تكن بك حاجة إلى ما عاملتنا به، ولا فائدة لك.

ولا أنت الآن عاملنا، فيخرج عن يدك ما تنظر لنا به، وإنا قد وردنا ومعنا في أنفسنا أمر، إن عدنا إلى بلدنا بغيره سقط جاهنا، وقال أكثر أهل الكور: خرجوا فما عملوا شيئاً، ولا يخلوا إما أن يكون ما التمسناه حقاً أو باطلاً، فإن كان حقاً، فقطعك لنا عنه ظلم، وإن كان باطلاً، فمنعك لنا منه ذل، وليس يجوز لنا الرجوع إلا به، لأن في رجوعنا ذهاب الجاه، وطمع العمال في نعمتنا، وأنت تعلم ما لك عندنا من الضياع والأموال، وعلي وعلي، قال: وحلف بالطلاق وأيمان البيعة، لئن لم تعاوننا غاية المعاونة، وتشهد لنا في المجلس الثاني بكل ما نريده لأخرجن الساعة، وأعملن عملاً بخراجك وضياعك، وما أسقطته عن نفسك أيام تقلدك البلد، من أصول الخراج، واقتطعه من العمالة أيضاً، ويشتمل على ألف دينار، وأقول للخليفة: إن لك عندنا مبقلة، ستون جريباً، قيمتها ستون ألف دينار - يعني البستان الذي تقدم ذكره - وهو المتوكل، وأقيم هؤلاء شهوداً كلهم، يشهدون عليك بصحة المال، ويواجهونك بما أنسبه إلى أنك أخذته منهم ومن غيرهم، ويحلفون عليه، وأواجهك بالسعاية والوقية، بحضرة المتوكل، وأدع ما قدمت له، حتى إذا وقعت في النكبة والمطالبة، رهني الوزراء أولاً، وكل من يعلم أنني كنت سبب نكبتك، من العمال، وأصحاب الدواوين، وصاروا أعواناً لي وشهوداً، فأبلغ بذلك محبتي، وأرجع إلى منزلي سالماً، وأنت منكوب.

قال: فحين سمع عمر ذلك، اسود وجهه، وقال: أو أيش؟ قال: تحلف أنك تشهد لنا، وتعاوننا.

قال: فحلف على ذلك وقمنا.

فلما كان في المجلس الثاني، حضرنا حضرة المتوكل، وأقبلنا نتظلم، وعمر يشهد لنا، ويصدق قولنا.

فما برحنا إلا بصرف عاملنا، وبالنظر لنا في معظم حوائجنا، واحتسابه لنا بمظالم التمسناها، وبلغنا ما أملناه وقلدناه، وزدنا عليه وخرجنا.

فقال لنا الشيخ: كيف رأيتم هذا الرأي؟ أيما كان أجود، هذا، أو أن نجاح عمر بن فرج في ذلك المجلس، ويحاجنا، ويضربنا بمناظرته، فيضجر الخليفة، فيأمر بإخراجنا، فلا نصل إليه أبداً، ويقول: هؤلاء طامعون بالمال، ونعود بالخبية إلى منازلنا، بعد السفر والنفقة.

فقلنا له: أحسن الله جزاءك، فأنت أبصر منا بالرأي.

من مكارم أخلاق المؤمن

من أحاديث أبي الحسن محمد بن علي بن الخلال البصري، رحمه الله، قال: حدثني أبو القاسم، علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي، رحمه الله، قال: قال محمد بن منصور القاضي: التمس أمير المؤمنين المؤمن، رجلاً يكون بصحبته في بعض أسفاره، فأشير عليه بي، وكنت حديث السن، فركبت معه في العمارية، فأجلسني عن يمينه، فلما أمسينا غلبني النوم.

فقال لي من غد: نومك يا محمد، نوم الشباب فاجعل الليل أثلاثاً، فثلث للحديث، وثلث للنوم، وثلث للذكر، ثم أدارني فأجلسني عن شماله.

ثم قال لي: أتدري لم أجلسك بالأمس عن يميني؟ قُلت: لا يا أمير المؤمنين.
فقال: إني وجدت في معدتي بله وما تنخمت قط عن يميني.

قال القاضي التنوخي: وكان محمد بن منصور هذا، نبيلًا، جليلاً، ذا مروءة تامة.
؟

مروءة القاضي محمد بن منصور

وأخبرني بعض شيوخنا: أنه لما تولى الحكم بكور الأهواز، دخل إلى جنديسابور، فظفر في حساب وكيله، فإذا هو قد اكتسب عليه بثمن جدي، درهم، وثمان عشرة أفراخ، درهم.
فقال للموكل له: ألم أتقدم إليك، ألا تتباع شيئاً، من بائع يعلم أنك وكيل؟ قال: بلى، وعلى ذلك أعمل.
قال: فلو لم يعلم البائع، أنك وكيل، لما حاباك هذه الخبابة.
فقال: هذا ما ابتعته بهذا البلد، وهكذا يباع لسائر المتباعين.
فالتفت إلى بعض شهوده، فقال: أهكذا هو؟ فقالوا: قد حيف عليه، أيها القاضي، إنا لنبتاع الجدي بأربعة دوانيق، ونحوها.
فقال: هذا بلد لا يقيم فيه ذو مروءة.
ثم أسرع بالرحيل عنه.

حرمة القضاء في العهد العباسي

قال التنوخي: وأخبرني بعض شيوخنا، عنه: أنه كان جالساً للحكم، في المسجد الجامع بسوق الأهواز، فاجتاز بباب الجامع عامل الكور، فرأى جميع الناس. فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا القاضي.
قال: هذا كله لأبي جعفر؟ فقلت الحكاية إليه، فقطع النظر، وانصرف إلى داره، وكتب إلى السلطان يومئذ، يقول: إن فلاناً العامل. اجتاز بي، وأنا أنظر في الحكم في المسجد الجامع، فذكرني بحضرة العامة، بالكنية دون اللقب، ذكر المروري علي، المانع لي من التشريف الذي ألبسنيه أمير المؤمنين، وإن الذي أنظر فيه إنما هو انتزاع أموال الناس، التي فيها يتهاكون، وعليها يتقاتلون، وأنا أنتزعها بالهبة والكرامة.
فخرج أمر السلطان، بأن يضرب ذلك العامل، على باب المسجد بالأهواز ألف سوط.
فلما وقف على ذلك، خليفة العامل بالحضرة، اجتهد في إزالته بكل حيلة، فما أمكنه.
فبذل للفيج الحامل للكتاب، مائة دينار، ليتأخر عن النفوذ، ليلة واحدة، ثم بادر برسوله إلى العامل، يصف ما جرى، وما فعله من استنظار الفيج، ليقدم الحيلة في الدفع عن نفسه.
فلما ورد الرسول إلى العامل، فمض من وقته، إلى بعض إخوان القاضي، من شهود البلد، وطرح نفسه عليه، ولم يعلم باطن أمره، وسأله إصلاح قلب القاضي له.
فصار معه إلى باب القاضي ليلاً، ولم يزل حتى وصل إليه، وأغرق في الاعتذار إليه، والخضوع له، حتى قال:

قد قبلت العذر، وصفححت عن الذنب، فانصرف.
فعاداه الفيج بما أمر به في بابه، فقال: إني قد صفحت عنه.

جزاء الوالي الظالم

قال أبو الحسين محمد بن علي بن إبراهيم بن شعيب، وحدثني القاضي أبو عبد الله الحسين بن شعيب الأرجاني، وكان من شيوخ أهل العلم والرئاسة ببلده: إن عاملاً للمكتفي رحمة الله عليه، بكورة أرجان، طالب بعض أهل الخراج بخراجه، فتغيب عنه، فأمر بإحراق بابه.
فاتصل الخبر بالمكتفي، فأنفذ من قبض على العامل، فضربه على باب المسجد بأرجان، ألف سوط.

الجدوعي القاضي يشهد على الخليفة المعتمد

قال أبو الحسين محمد بن علي، وحدثني أبي رحمه الله، وسمعت من غيره: إن القضاة والشهود، بمدينة السلام، أدخلوا على المعتمد على الله للشهادة عليه في دين كان اقترضه عند الإضاقة بالإنفاق على حرب صاحب الزنج.

فلما مثلوا بين يديه، قرأ عليهم إسماعيل بن بلبل الكتاب، ثم قال: إن أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - يأمركم أن تشهدوا عليه، بما في هذا الكتاب.

فشهد القوم، حتى بلغ الكتاب إلى الجدوعي القاضي، فأخذ بيده وتقدم إلى السرير، فقال: يا أمير المؤمنين، أشهد عليك بما في هذا الكتاب؟ فقال: اشهد.

فقال: لا يجوز، أو تقول: نعم، فأشهد عليك.

فقال: نعم، فشهد في الكتاب، ثم خرج.

فقال المعتمد: من هذا؟ فقليل له: هذا الجدوعي البصري.

فقال: وما إليه؟ فقالوا: ليس إليه شيء.

فقال: مثل هذا لا يكون مصروفاً، فقلدوه واسطاً.

فقلده إسماعيل، والمحدر.

فاحتاج يوماً إلى مشاورة الحاكم، في ما يشاور في مثله، فقال: استدعوا القاضي، فحضر، وكان قصيراً، وله دنية طويلة، فدخل في بعض الممرات ومعه غلام له، فلقيه غلام كان للموفق، وكان شديد التقدم عنده، وكان مخموراً، أو سكراناً، فصادفه في مكان كان خالياً من الممر، فوضع يده على دنيته، حتى غاص رأسه فيها، وتركه ومضى.

فجلس الجدوعي في مكانه، فأقبل غلامه، حتى فتقها، وأخرج رأسه منها، وثنى رداءه على رأسه، وعاد إلى داره، وأحضر الشهود، وأمرهم بتسليم الديوان، ورسل الموفق يترددون، وقد سترت الحال عنه. حتى قال بعض الشهود، لبعض الرسل، الخبر، فعاد إلى الموفق، فأخبره بذلك.

فأحضر صاحب الشرطة، وأمره بتجريد الغلام، وحمله إلى القاضي، وضربه هناك ألف سوط.
وكان والد هذا الغلام من جلة القواد، ومحلّه محل من لو هم بالعصيان أطاعه أكثر الجيش، فترجل القواد، وصاروا إليه، وقالوا: مرنا بأمرك، فقال: إن الأمير الموفق، أشفق عليه مني. فمشى القواد بأسرهم مع الغلام، إلى باب الجذوعي، فدخلوا عليه وضرعوا له، فأدخل صاحب الشرطة، وقال: لا تضربه.
فقال: لا أقدم على خلاف أمر الموفق.
فقال: فإني أركب إليه، وأزيل ذلك عنه. فركب فشفع له، وصفح عنه.

إيحاك فقد، وإيناسك وعد

حدثني أبي رضي الله عنه: إن صديقاً لأبي خليفة القاضي، اجتاز عليه راكباً، وهو في مسجده، فسأله أن ينزل عنده ليحدثه.
فقال: أمضي وأعود.
فقال له أبو خليفة: إيحاك فقد، وإيناسك وعد.

أبو خليفة القاضي والكلام المسجوع

قال: وكان أبو خليفة كثير الاستعمال للسجع في ألفاظه.
وكان بالبصرة رجل يتحامق، ويتشبه به، يعرف بأبي الرطل، ولا يتكلم إلا بالسجع، هنزلاً كله.
فقدمت هذا الرجل امرأته إلى أبي خليفة، وهو يلي قضاء البصرة إذ ذاك، وادعت عليه الزوجية والصدّاق، فأقر لها بهما.
فقال له أبو خليفة: أعطها مهرها.
فقال أبو الرطل: كيف أعطيها مهرها ولم تفلح مسحات فهرها؟ قال أبو خليفة: فأعطها نصف صدّاقها.
قال: لا، أو أرفع ساقها، وأضعه في طاقها.
فأمر به أبو خليفة، فصفع.
أخبرني غير واحد: إن أبا الرطل هذا، كان إذا سمع رجلاً يقول: لا تنكر الله قدرة، قال هو: ولا الهنّدا
خضرة، ولا للنخلة بسرة، ولا للعصفر حمرة، ولا للزردج صفرة، ولا للقفّا نقرة. قال: وكان إذا سمع العامة يقولون: ديوك لا تغرق، قال هو: والديك لا تسرق، وسنور لا يزلق، ونور لا يعبق، وذرة لا تسرق، حتى لا تغرق، ولا نار لا تحرق، وخليفة لا يسرق، وقاض لا يحنق.

بين علي بن عيسى وعلي بن الفرات

سمعت بعض شيوخ الكتاب يتحدثون، قالوا: كان أبو الحسن علي بن عيسى، شديد الإعظام لصناعة الكتابة، شحيحاً على محله منها، غير مسامح لشيء يعاب به، مهما صغر فيها.

وكانت المسابقة فيما بينه وبين أبي الحسن علي بن الفرات فيها، وكان كل واحد منهما، يتقلد ديواناً، في وزارة العباس بن الحسن.

وكان يتصرف في الديوان الذي يتقلده علي بن عيسى، عامل يعني به ابن الفرات، فقصدته علي بن عيسى، وعمل له مؤامرة بمائة ألف دينار في عمله، وعزم على أخذها منه، وأحضره، وسلم إليه المؤامرة. وقال له: إن كان عندك جواب لها، فأجب، وإلا فالترم المال. فقال: آخذها من بيتي، وأجيب. فقال له: خذها.

وأخذها العامل، وجاء إلى ابن الفرات، فشرح له الصورة، وسأله أن ينظر في المؤامرة ويلقنه الجواب على كل باب منها.

فقرأها ابن الفرات، وقال للعامل: لولا الاتفاق، لما انحل عنك منها درهم، ولكن الله سهل لك غلطاً غلط به علي بن عيسى على نفسه فيها، وهو رجل شديد الضن بصناعة الكتابة، غير مسامح لنفسه في العيب بها، وقد غلط غلطاً قبيحاً، لو غلط مثله صغير من الكتاب لا فتضح، وبطلت صناعته، وسقط محله، وذلك إنه قد صدر في أول المؤامرة باباً، ذكر فيه ما وصل من فضل الكيل في غلات عملك، وأنت لم تورده، وألزمك مالاً جليلاً عنه، ثم ذكر بعد ذلك، أنك اقتطعت من غلات المقاسمة، أشياء أوردتها، وذكر الحجج فيها، وألزمك مالاً جسيماً، هو شطر مال المؤامرة.

وقد كان من قانون الحساب، ورسم الصناعة في مثل هذا، أن يتدئ بما ثنى به من الاقتطاع الواقع في أصول الغلات، ثم يثني بذكر فضل الكيل.

فإذا صدر فضل الكيل، فقد صحح لك الأصول، فأيراده ما اقتطعه من الأصول، ناقض للفعل الأول، وهو خطأ قبيح في الكتبة، مسقط لحل من عمله.

وسبيلك أن تمضي إليه وتخلوا به، وتقول: يا سيدي محلك في هذه الصناعة، لا يقتضي ما قد عملته في هذه المؤامرة، وقد أخطأت خطأ قبيحاً، وهو كذا وكذا، وواقفه عليه. وقال له: لا يخلو أمري معك من حالين:

إما كشفت أمرك للناس، ففضحتك في الصناعة بما تنكبي به من مال، وألزمت بعد ذلك ما يبقى في المؤامرة، وهو يسير.

وإما تفضلت بإبطال هذه المؤامرة، وأبطلت عني مالها، وسترت على نفسك خطأك، وارتفعت مني، مع هذا، بما شئت، وابذل له مرفقاً جليلاً، فإن حذره على صناعته، وحبه للمرفق، سيحمله على إبطال المؤامرة، وتخريقها.

فإن امتنع من ذلك، واقفته على الخطأ بين الملاء، فإنه يوجب عليه أن يسقط عنك ما خرجه في أصول غلات الناحية، وهو شطر المال.

قال الرجل: فمضيت إلى علي بن عيسى سحراً، إلى منزله، فحين رأيته، قال: ما عملت في جواب المؤامرة؟

قلت: بيننا شيء أقوله سراً.

قال: أدن.

فدنوت منه، فقلت له ما قاله لي ابن الفرات بعينه، وفتحت المؤامرة، ووقفته على الموضع. فحين رآه اغتم، وقال: يا هذا، قد وفر الله عليك المرفق، فإن مرفقي في هذا الأمر التيقظ على الخطأ الواقع مني، وستره على نفسي، والخنز من مثله مستأنفاً، وقد أسقط الله عنك جميع المؤامرة، ولن تسمع بعدها لفظة في معناها، والله بيني وبين ابن الفرات، فإن هذا من تعليمه لك، وليس أنت ممن يعرف مثله. قال: فمضيت من عنده، وقد زالت المطالبة، وربحت المرفق، وعدت إلى ابن الفرات، فحدثته، فضحك.

الوزير ابن الفرات يفهم مناظريه

ويكاد يأكلهم

واخبرني بعض الكتاب، قال: كان ابن الفرات قد صودر على ألف ألف وستمائة ألف دينار، فأدى جميعها في مدة ستة عشر شهراً، من وقت القبض عليه، وكان في الحبس، يتوقع أن يطلق. فخاف علي بن عيسى، وحامد بن العباس، من إطلاقه، فتشاورا في شيء يستعملانه مع المقتدر، يمتنع معه من إطلاقه.

قال: وكان أبو زنبور، قد استقدم ليحاسب، وكان من صنائع علي بن عيسى في وزارته الأولى. فلما ولي ابن الفرات، أقره، وأحسن إليه، فكان أبو زنبور يحمل إليه في كل شهر عشرة آلاف دينار، مرفقاً عن أعماله، ويخفيها، فصل في أعدل البز، وما يشاكل ذلك. فقال علي بن عيسى، لحامد: ما أشك أن ابن الفرات، قد كان يرتفق من عامل مصر، بمرفق جليل، فنحضر أبا زنبور، ونسأله عن ذلك.

فأحضراه، وسألاه عن مرفقه، فكشف لهما عن الصورة، وصدقهما عنها، ولم يكن فيه من الفضل ما يخفي ذلك، على الرجل ونفسه.

فقال علي بن عيسى: هذا مال عظيم، فخذ خط أبي زنبور، بأنه كان يحمل إليه ذلك، واعرضه على الخليفة. ففعلاً ذلك، وعرضاه عليه، وقالوا له: يجب أن يطالب بذلك.

فقال الخليفة: أخرجوه، وطالبوه، بعد أن تناظروه.

قال: فجلس حامد بن العباس، وعلي بن عيسى، ونصر القشوري، وابن الحواري، واحضروا أبا زنبور معهم، واستدعوا ابن الفرات من محبسه لينظروه.

وكان شفيح المقتدري، يتعصب لابن الفرات، ويعني بأمره، ويقوم فيما بينه وبين الخليفة، فقال للمقتدر: يا مولاي، إن ابن الفرات منكوب، وهؤلاء أعداؤه، ولعله أن يجيبهم بجواب لك فيه فائدة، فلا يلغونك إياه، فأنفذ من يحضر المجلس، ويرقي إليك ما يجري.

فقال له: امض أنت وافعل هذا.

قال: فخرج شفيع، فوجد ابن الفرات، في الصحن، وقد أخرج من محبسه، وهو يمشي، ليخل مجلس الوزير. فقال له: اثبت فأني معك.

فقويت نفسه، ودخل المجلس، وحامد في صدر دست عظيم، برسم الوزارة، في دار الخلافة، وعلي بن عيسى عن يمينه، وبجانبه ابن الحواري، ونصر القشوري عن يساره، وبجانبه أبو زنبور. فسلم ابن الفرات، وتخطى حتى جلس بين يدي حامد، ورفع قليلاً. وخاطبه ابن الفرات بالوزارة، وسلم على علي بن عيسى، وأدار عينه في المجلس، فعرف كل من فيه، إلا أبا زنبور، فإنه كان لغيبته بمصر، لم يشاهده قط.

فقال لمن كان بجانبه: من هذا؟ فقال له: هذا أبو زنبور عامل مصر. فأحس ابن الفرات، بأنه في بلية سببها أبو زنبور، فقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. قال: وكان أبو زنبور قصيراً دميماً مقبحاً. فقال أبو زنبور في الحال: لوددت أن الأرض ابتلعتني قبل ذلك.

قال، فقال له حامد، وعلي بن عيسى: هذا فلان بن فلان، عامل مصر، قد ذكر أنه كان يرفقك في كل شهر، من مال عمله، بعشرة آلاف دينار، تكون لمدة ولايتك، كذا وكذا، وما حملت لبيت المال شيئاً منها، ويجب الآن أداءها، فما تقول؟

فقال لهما: إن هذا - وأوماً إلى أبي زنبور - إن كان قد أمر بالسعاية، بوزير عامله، فكشف ستره في أيام نكته، وسعى بمرفق أرفقه به في حال ولايته، وأبان بذلك عن قدر عقله، وأمانته، وعقل من يركن إليه مستأنفاً، فإنه قد صدق فيما أخبر به.

ولم أكن لأرتفق هذا منه، لأدع له شيئاً من مال السلطان، ولا لأمكنه من اقتطاعه، وكن لأمهله من وقت إلى آخر، وأزيد في إكرامه، ومحابته، وأرفقه عن إنفاذ المستحقين، ومن تلزمه عليهم المؤونة التي لا يجب الاحتساب بمثلها، وكلما يتفق الوزراء من العمال، قديماً، وحديثاً فهذا سبيله.

وإنما صودرت على ألف ألف وستمائة ألف دينار، أديتها صلحاً، عن هذا ومثله وشبهه، وإلا فأني شيء كان موجب مصادرتي إلا عن هذا وما يشبهه؟ فالمصادرة قد غسلت عني هذا كله. ولكن، قد وجب على أبي زنبور من هذا المرفق، باعتراؤه لمدة عطلي وحبسي، وهي ستة عشر شهراً، مائة ألف وستون ألف دينار. فإن كان أرفق الوزير أعزه الله بما، فقد سقطت عنه، والكلام فيها بين الخلفة والوزير، وإن كان لم يحملها إليه، فيجب الآن أن يحملها إلى أمير المؤمنين.

قال: فقام شفيع في الحال.

فقال له علي بن عيسى: إلى أين يا أبا اليسر؟ قال: إلى مولانا، أحكي له ما جرى، فإنه أنفذني لهذا السبب، وأمرني به ومضى.

وحمل ابن الفرات إلى حبسه.

فعاد شفيع وقال: يقول لكم مولانا، لا يبرح أحد منكم، أو تحمل إلي هذه المائة ألف وستون ألف دينار،

كيف شتم.

فقال علي بن عيسى: جئنا به لنصادره، فصادرنا.

فألزموا أبا زنبور معظم المال، وعاونوه بشيء تحمل قسطه حامد، وعلي بن عيسى.

وضمنوا المال، ثم انصرفوا.

؟

أفضل ما يخلف المرء لعقبه

صديقاً و فياً

حدثني أبو القاسم الجهني، قال: كنت بحضرة أبي الحسن بن الفرات، وابن الجصاص حاضر، فتذاكروا ما يعتقدونه الناس لأولادهم.

فقال ابن الفرات: ما أجل ما يعتقدونه الناس لأعقابهم؟ فقال بعض من حضر: الضياع.

وقال بعضهم: العقار.

وقال آخرون: المال الصامت.

وقال آخرون: الجواهر الخفيفة الثمن، فإن بني أمية سئلوا: أي الأموال كانت أنفع لكم في نكبتكم؟ فقالوا: الجواهر الخفيفة الثمن، كنا نبيعه، فلا نطالب بمعرفة، ولا يتنبه علينا به، والواحدة منه أخف محملاً من ثمنها، وابن الجصاص ساكت.

فقال له ابن الفرات، كالمستهزئ به: ما تقول أنت يا أبا عبد الله؟ فقال: أجل ما يعتقدونه الناس لأولادهم، الصنائع والإخوان، فإنهم إن اعتقدوا لهم ضياعاً، أو عقاراً، أو صامتاً، من غير إخوان، ضاع ذلك وتمحق، وأحدث الوزير أعزّه الله بحديث جرى منذ مدة، يعلم معه صدق قولي.

فقال له ابن الفرات: ما هو؟ فقال: الناس يعلمون أبي صنيعة أبي الجيش حمارويه بن أحمد بن طولون، وكان رجلاً مستهتراً بالجواهر، يعتقدونه لنفسه، وأولاده، وجواريه.

فكنت جالساً يوماً في داري، فجاءني بوابي، فقال: بالباب امرأة تستأذن، في زي رث، فأذنت لها، فدخلت، فقالت لي: تخلي لي مجلسك، فأخليته.

فقالت لي: أنا فلانة، جارية أبي الجيش.

فحين قالت ذلك، ورأيت صورتها، عرفتها، وبكيت لما شاهدتها عليه، ودعوت غلماني ليحضروني ما أغير به حالها.

فقالت: لا تدع أحداً، فإنني أظنك دعوته لتغيير حالي، وأنا في غنية وكفاية، ولم أقصداً لذلك، ولكن حاجة هي أهم من هذا.

فقلت: ما هي؟ فقالت: تعلم أن أبا الجيش، لم يكن يعتقد لنا إلا الجواهر، فلما جرى علينا بعده من طلب

السلطان، ما جرى، وتشتتنا، وزال عنا ما كنا فيه، كان عندي جوهر قد سلمه إلي، ووهبه لي، ولا بنته مني

فلانة، وهي معي هاهنا.

فخشيت أن أظهره بمصر فيؤخذ مني، فتجهزت للخروج، وخرجت على هيئة زرية، مستخفية، وابنتي معي، فسلم الله تعالى، ووصلنا هذا البلد، وجميع مالنا سالم.

فأخرجت من الجواهر شيئاً، قيمته على أبي الجيش خمسة آلاف دينار، وصرت به إلى سوق الخرازين فبلغ ألفي دينار.

فقلت: هاتم.

فلما أحضروا المال، قالوا: أين صاحب المتاع؟ قلت: أنا هي.

قالوا: ليس محلك أن يكون هذا لك، وأنت لصّة، فعلقوا بي وجذبوني، ليحملوني إلى صاحب الشرطة.

فخشيت أن أقع في يديه فأعرف، فيؤخذ الجواهر، وأطالب أنا بمال، فأخرج الباقي.

فرشوت القوم بدنابير يسيرة كانت معي، وتركت الجواهر عليهم، وأفلت.

فما نمت ليلتي غماً على ما ذهب، وخشية الفقر، لأن مالي هذا سبيله، فأنا غنية فقيرة، فلم أدر ما أفعل.

فذكرت كونك ببغداد، وما بيننا وبينك، فجتك، والذي أريده منك جاهك، تبذله لي، حتى تتخلص لي ما

أخذ مني، وتبيع الباقي، وتحصل لي ثمنه مالاً، وتشترى به لي ولابنتي عقاراً، نقنات من غلته.

قال: فقلت: من أخذ منك الجواهر؟ فقالت: فلان.

فأحضرتة، فجاءني، فاستخففت به، وقلت: هذه امرأة من داري، وأنا أنفذتها بالمتاع لأعرف قيمته، ولئلا

يراني الناس أبيع شيئاً بدون قيمته، فلم تعرضتم لها؟ فقال: ما علمنا ذلك، ورسمنا - كما تعلم - لا نبيع

شيئاً، إلا بمعرفة، ولما طالبناها بذلك اضطربت، فخشينا أن تكون لصّة.

فقلت له: أريد الجواهر الساعة، فجاءني به، فلما رأيته عرفته، وكنت أنا اشتريته لأبي الجيش بخمسة آلاف

دينار.

فأخذته منهم، وصرفتهم.

وأقمت المرأة في داري، ونقلت ابنتها إلي، وأخرجت الجواهر، فألفته عقوداً، وعرضته، وتلطف لها في بيعه

بأوفر الأثمان، فحصل لها منه أكثر من خمسين ألف دينار.

فابتعت لها بذلك ضياعاً وعقاراً ومسكناً، فهي تعيش به وولدها، إلى الآن.

فنظرت، فإذا الجواهر لما كان معها بلا صديق، كان حجراً، بل كان سبباً لمكروه يجري عليها، وقد رشت

على الخلاص منه دنابير، ولما وجدت صديقاً يعينها، حصل لها منه هذا المال الجليل.

فالصديق أفضل العقد.

فقال ابن الفرات: أجدت يا أبا عبد الله.

ثم قال لنا: الناس ينسبون هذا الرجل إلى الغفلة، وقد سمعتم ما يقول، فكيف يكون مثل هذا مغفلاً؟

المأمون ومحبه للجواهر

وقد حكى: أن المأمون كان محباً للجوهر، وكان الناس يغالون فيه، في أيامه، فأراد أن يحتال بحيلة تضع من قدره، ليرخص قيمته، فيشتريه.

فجمع أصحابه يوماً، وخاطبهم. فقال: ما أجل الذخائر؟ فتقرر رأيهم على الجوهر.

فقال: هاتم جوهره، فجاءوا بواحدة شراؤها عليه مائة دينار.

فقال للجوهريين: كم تساوي هذه؟ قالوا: مائة دينار.

فقال: يا غلام، اكسرها قطعاً، فكسرت.

فقال: كم تساوي الآن؟ فقالوا: دائق فضة.

فأخرج ديناراً، فقال: كم يساوي هذا؟ قالوا: عشرين درهماً.

فقال: كسروه قطعاً، فكسر.

فقال: كم يساوي الآن؟ قالوا: تسعة عشر درهماً صحاحاً.

فقال: أجل الذخائر هذا الذي إذا كسر، لم يذهب من قيمته شيء.

قال: فانتشرت الحكاية بين من حضر من الجوهريين، ونقص نصف ثمنه على الحقيقة، وقلت رغبة أهل الدولة في شراءه.

أموي يتحدث عما أعانهم

في نكبتهم وحكي عن بعض بني أمية: أن المنصور سأله لما نكبتهم، أي شيء كان أنفع لكم في هربكم؟ فقال: ما وجدنا شيئاً أنفع من الجوهر القليل الثمن، الذي تبلغ قيمة الحبة منه خمسة دنانير، لأننا استصحبنا الفاخر منه، والقريب الثمن، فما كنا نقدر على بيع الفاخر لشدة الطلب لنا، والخوف من أن يعرف به، فيتبه علينا، ونؤخذ، وكان هذا اليسير الثمن، يشتري منا، من غير أن يعرف، فننتفع به، ويخفا أمرنا، فكان أنفع.

قال: فأبي النساء وجدتم أفضل؟ قال: بنات العم، كن أصبر علينا، وأشفق.

قال: فأبي الرجال، وجدتم أفضل؟ قال: الموالي.

قال: فأمر المنصور المهدي، أن يتزوج ابنة عمه، واتخذ المنصور مواليه عمالاً في أعماله، وقدمهم، ورفع منهم.

لقمة بلقمة

حدثني أبو بكر البسطامي، غلام ابن دريد، قال: كان لامرأة، ابن، غاب عنها، غيبة منقطعة.

فجلست تأكل يوماً، فحين قطعت لقمة، وأهوت بها إلى فيها، تصدق منها سائل وقف بالباب، فامتنعت من أكل اللقمة، وحملت مع تمام الرغيف، فتصدقت بها، وبقيت جائعة.

وكانت شديدة الحذر على ابنها، والدعاء برده، فما مضت إلا ليل يسيرة على هذا الحديث، حتى قدم ابنها، فأخبر بشدائد مرت به عظيمة.

وقال: أعظم شيء مر على رأسي، أني كنت في وقت كذا، أسلك أجمة في البلد الفلاني، إذ خرج أسد، فقبض علي من حمار كنت فوقه، فغار الحمار فتشبكت مخالب السبع، في مرقعة كانت علي، فما وصلت إلي، وذهب عقلي، وجري فادخلني الأجمة.

فما هو إلا أن برك علي ليفترسني، حتى رأيت رجلاً عظيم الخلق، أبيض الوجه والشباب، وقد جاء حتى قبض علي قفا الأسد، وشاله حتى خبط به الأرض، وقال: قم يا كلب، لقمة بلقمة. فقام السبع مهرولاً، وثاب إلي عقلي، وطلبت الرجل، فلم أجده.

وجلست ساعات، إلى أن عادت إلي قوتي، ثم نظرت إلى نفسي، فلم أجدها بأساً، فمشيت، فلحقت القافلة، وأخبرتهم فعبجوا من خلاصي، ولم أدر ما معنى لقمة بلقمة. فنظرت المرأة إلى الوقت فإذا هو الوقت الذي أخرجت اللقمة من فيها، فتصدقت بها، فأخبرته الخبر.

كفى بالأجل حارساً

حدثني إبراهيم بن الخضر، وكان أحد أمناء القضاة ببغداد، قال: حدثني صديق لي أنق به، قال: خرجت إلى الحائر، فرأيت رجلاً، فرافقته في الطريق، ولم أكن أعرفه، وكان ذلك في أيام الحنابلة، ونحن نرور متخفين. فلما صرنا في أجمة بانقيا، قال لي رفيقي: يا فلان، إن نفسي تحدثني إن السبع يخرج الساعة فيقرصني دونك، إن كان ذلك، فخذ حماري، وقماشني، فأده إلى منزلي، في موضع كذا وكذا، وعرفهم خبري. قال: فقلت: ما يكون إلا خيراً وسلامة.

فما استتم الكلام، حتى خرج سبع، فلما رآه الرجل سقط، وأخذ يتشهد، وقصده السبع، فما كذب أن أخذه، وجره عن الحمار. فسقت أنا الحمار مع ما عليه، وأسهرت حتى خرجت، ولحقت بالقرية، وعجبت من حدسه على نفسه، وصدق ظنه، ولحقني غم لفراقه، وما جرى عليه. ورجعت إلى بغداد، فحين دخلت، لم تكن لي همة، حتى استوصفت الموضع، وقصدته، فددقت الباب، أسأل عنه، فقلت لمن فيه: خذوا قماش صاحبكم، رحمه الله.

قالوا: قد خرج الساعة في حاجة له، وهو حي والحمد لله، فلم أشك في أي غلطت، فقلت: من هو؟ قالوا: فلان، اسمه.

فراذ تعجبي، فجلست، فما أطلت، حتى طلع علي، فحين رأيته طار عقلي جزعاً، وفرحاً، وتشككاً، فقلت: حديثك.

قال: إن السبع ساعة جري، وأدخلني الأجمة، هزني، وسحني، فأنا لا أعقل.

ثم سمعت صوت شيء، فإذا بخنزير عظيم قد خرج، فحين رآه السبع، تركني، وقصد الخنزير، فدقه، وأقبل يأكله، وأنا أراه، ومعني بقية من عقلي.

فلما أن فرغ منه، خرج من الأجمة، وتركني، وقد جرح فخذي جراحة خفيفة.

فقمتم، فوجدتني أطيع المشي، فأقبلت أمشي في الأجمة، أطلب الطريق، فإذا بجيف ناس، وبقر، وغنم، وغير ذلك، منها ما قد صار عظاماً بالية، ومنها ما هو طري.

فانتهيت إلى خرق متمعطة، ومحالي للفيوج مطروحة، فسولت لي نفسي تفتيش ذلك. ثم وقفت على شيء مكور، فإذا هو هميان، ففتحته، فإذا فيه ألف دينار صفر، فأخذتها، ولم أفتش الباقي، وخرجت، فما عرجت، وعدت إلى منزلي، فسبقتك. قال: وأخرج الدنانير، فأراني إياها، وكشف عن الجراحة، فسلمت إليه، متاعه وافترقنا.

كتاب من يحيى بن فهد الأزدي للأمير

أبي تغلب بن حمدان

كتب أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي، إلى الأمير أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة، عند اعتقاله أخاه أبا القوارس محمد، لخوفه منه، وحمله إياه إلى القلعة مقيداً، وحبسه فيها، وذلك في شعبان سنة وستين وثلاثمائة، في الليلة الثامنة منه. وكتب أبو محمد ذلك، لما بلغه الخبر، بمحضر منا، كالارتجال، بغير فكر طويل، ولا تعمل شديد، نسخته: من اختاره الله تعالى لجليل الأمور، واصطفاه لحراسة الأمة وحماية الثغور، وخصه بنفاذ الرأي فيما يحله ويعقده، ونصره على كل عدو يرصده، وكفاه كيد من يبغي عليه ويحسده، وقرن عزماته بالصواب في جميع ما يمضيه، وبلغه في الدنيا ما يرتجيه، وجعل ما يبرمه مطرداً على التوفيق، وذاهباً مع السداد في أجمل طريق، معونة له على ما اسنده - جل ذكره - إليه، وحفظاً للملة، وذباً عنها على يديه، لا سيما إذا كان مقدماً لتقوى الله سبحانه، في سائر أفعاله، مؤثراً لرضاه تعالى، في جميع أحواله، غير خارج عن حدوده في تدبير، ولا ناكث عن صراطه في صغير ولا كبير. والحمد لله الذي خص مولانا الأمير السيد، أطال الله بقاءه، من هذه الأوصاف الشريفة، والأخلاق المنيفة، بما فضله به على ملوك الزمان، وأنطق بذكره وشكره كل لسان، وجعل القلوب كلها، شاهدة به، والآراء علي اختلافها، متفقة عليه.

والحمد لله الذي جعل تدبيراته جارية على الصواب، ماضية على سنن الكتاب، محروسة من عيب كل عائب، ثابتة كالنجم الثاقب، الذي لا يدفع عنه دافع، ولا ينازع في سموه منازع. وإياه نسأل، كافة أوليائه، وخدم دولته، وإليه أرغب، الرغبة التامة من بينهم، في إيزاعه الشكر على ما أولاه، وإلهامه حمده، تقدست أسماؤه، على ما خوله وأعطاه، وأن يديم له شأنه وتسديده، ويصل بالحق وعده ووعيده، ويحسن من كل نعمة وموهبة، حظه ومزيده، ويجعل قوله مبروراً، ووعدته مقهوراً، وفعله مشكوراً، وقلبه مسروراً، ولا يخليه من جد سعيد، إنه ولي حميد، فعال لما يريد.

وورد الخبر، بما جرى من الاستظهار على من شك في مناصحته ووفائه، وظهر في الدولة سوء رأيه، بعقب

تتابع الأنباء، بما كان أضمره من الغدر، وأضرب عليه من قبح الأمر، وبما نال منه من إعمال الحيلة على ثلم المملكة، والسعي في تفريق الكلمة، وإفساد البلاد، وإخافة العباد، ولم يصادف وروده، إلا مستبشراً به، مستنصباً له، عالماً بجميل صنع الله - عز وجل - في وقوعه، شاكراً له على ما أبلاه، وأولاه من المعونة عليه، عارفاً بأن مولانا الأمير - أدام الله تأييده - لم يأمر به، وما وجد سبيلاً إلى الصلاح، إلا سلكها، ولا ترك سبيلاً إلى الاستصلاح إلا ركبها، فلم يزد ذلك إلا تمادياً في العصيان وغياً، ومروراً في ميدان البغي وبغياً يحسن به العدول عن صلة الرحم، بحكم الله عز وجل، إذ جعل البغي في كتابه، محلاً للإخلال بحق النسب، حيث يقول، وهو أحسن القائلين " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون " فبين سبحانه: إن الفحشاء ضد للعدل، والمنكر مسقط للإحسان، والبغي موجب لقطع القرابة، وأوجب تبارك اسمه، لمولانا الأمير - أدام الله عزه - النصر على الباغي، بقوله عز من قائل، ومن بغي عليه لينصرنه الله.

على أن الذي أتاه مولانا، أطل الله بقاءه، في بابه، لمواصلة الرحم أقرب، ولأسبابها ألزم وأوجب، إذ حال بينه وبين ما يؤتمه ويرديه، وصرفه عما كان يفسد دينه ودنياه بالإيغال فيه، ولم ينقله بذلك، إلا إلى عيش رغد، وأمر تام، ونعمة دارة، وحال سارة.

والله يكافئ مولانا الأمير السيد أطل الله بقاءه على قدر نيته، ويجازيه بجميل طويته، ويبلغه من الدنيا بحسب حفظه فيها للدين، ويكتب أعداءه بذبه عن المسلمين، ويهنيه بنعمه عليه، ويمتعه بمواهبه لديه، ويرغم أعداءه، ويحمله بدء كل أمر وعقابه، إنه جواد كريم، سميع مجيب.

من شعر يحيى بن فهد الأزدي

أنشدني أبو محمد يحيى بن محمد لنفسه:
يا من علاقة حبه فرض ... ضاقت علي ببعذك الأرض
فالقلب يخفق وحشة لكم ... حتى كأن سواده نبض
وأنشدني لنفسه:
وصفراء من مال الكروم عتيقة ... مكرمة لم تمتهن بعصير
صبغت بها كأسي وأطلقت شمسها ... على نوره إلا بقية نور
كسائلة شقراء قد رف تحتها ... جربان وشي أبيض وحريو
كأن شعاع الكأس نار توقدت ... على كف ساق زيت بخصور
فما حضرت حتى تبدل ما جنى ... علي زماني من أسي بسرور
وأنشدني لنفسه:
لقد نفرت عيني عن النوم بعدكم ... فليس إلى طيب الرقاد تنوق
وقد ألفت طول البكاء كأنها ... لدمع عيون العالمين طريق
وأنشدني لنفسه:

يا موقد النار في فؤادي ... وأمر العين بالسهاد
حللت من ناظري وقلبي على تعديك في السواد
فليس ترقى دموع عيني ... أو يظفر القلب بالمراد
وليس يطفى لهيب قلبي ... أو تملك العين للرقاد
وأنشدني لنفسه:

أصبحت من شوقي ومن ضري ... تنم أنفاسي على سري
وكلما جئتك أشكو الهوى ... ازددت يا مولاي في هجري
فكم تراني صابراً للبلأ؟ ... ستغلب البلوى على صبري
وأنشدني لنفسه:

يغدو علي بوجه مشرق غنج ... يا طيب مبتكري فيه وإصباحي
في صورة البدر في قد القضيب على ... دعص من الرمل يخطو فوق رحراح
وأنشدني لنفسه من أبيات:

الليل يعجب مني كيف أسهره ... والشوق ينهي الكرى عني وأزجره
والصبح قد ضل عن ليلي بواده ... فما يلم بهذا الليل آخره
وأدهم الليل وقف ما يغالبه ... من الصباح على الظلماء أشقره
وأنشدني لنفسه:

إذا أتاك امرؤ يبيعك حاجته ... فقد علاك بفضل ما له ثمن
فاسمع له طائعاً وانجح مطالبه ... واعرف له حقه لا خانك الزمن
وأنشدني لنفسه:

يا هاجراً لغلامه ... ومقاطعاً لكلامه
ومواصللاً لصدوده ... وعتابه وملامه
لم قد هويت جفائه ... وتركته بغرامه
أمنن عليه بوصلة ... لخضوعه وسقامه
وأنشدني لنفسه:

يا هلالاً بدا فوافق سعداً ... وغزلاً كأنه الغصن قدأ
ومثالاً تكامل الحسن فيه ... فحكّت وجنتاه خيراً وورداً
كلما ازددت في القطيعة بعداً ... زدني جفوة وهجراً وصدأ
تتعدى وحق أن تتعدى ... كل من يملك الجمال تعدى
إنني ما اتخذت غيرك مولى ... فاتخذني لحسن وجهك عبداً
وأنشدني لنفسه:

سقى الشوق عيني ماء وجد ولوعة ... فأنساها في ذلك الماء يسبح
إذا حركته من جوى الحب زفرة ... تفرق فوق الخد منه الملوح
وأنشدني لنفسه قصيدة يفتخر فيها، أولها:

سوى حلمي يخف مع الشباب ... وغير أعنتي يثني التصابي
يقول فيها:

كأن عواقب الأيام مدت ... فقرت من فؤادي في كتاب
فلمست أدافع الجلى بشك ... ولا أشكو الحوادث بارتياب
وأنشدني أيضاً قصيدة أخرى أولها:

أبى شرف المناصب والأصول ... وفضل في القلوب وفي العقول
وقلب لا يخوف بالمايا ... ونفس لا تفر على حمول
لمتلي أن يميل إلى اكتساب ... بغير السمهرية والنصول
وأنشدني من قصيدة يفتخر فيها:

تعود كفي قائم السيف صاحباً ... يساعده في كل أمر يحاول
سريع مضاء الشفرتين كأنه ... إذا سل من ماء المنية سائل
كأن مدب النمل فوق غراره ... إذا صح منه للعقول التأمل

بين يحيى بن فهد الأزدي

وأبي الفرج البغاء

وكتب إلى أبي الفرج البغاء، إلى الموصل، يتشوقه، بعد خروجه من بغداد:
ظننت فما لأنسي من ثواء ... وبت فبان عن قلبي السرور
ولو أني قضيت حقوق نفسي ... تبعتك كيفما جرت الأمور
وودي ليس ينقصه مغيب ... كما لا يستزيد له حضور
فإن تبعد فإنك ملء صدري ... وودك جل ما تهوى الصدور
فأجابه أبو الفرج:

بقربك من بعادك أستجير ... وهل في الدهر غيرك من يجير
نأيت فما لسلواني دنو ... وغبت فما للذاتي حضور
وقد صاحبت إخواناً ولكن ... متى تغني عن الشمس البدور
فيا من رعت منه الدهر قدماً ... بمن تسمو بخدمته الأمور
ومن قدرت أن له نظيراً ... فحين طلبت أعوزني النظير
إذا كنت السرور وغبت عني ... فكيف يتم بعدك لي سرور

ولأبي محمد إلى أبي الفرج، في فصل من كتاب، وقد اعتل بعده:
فقدت السلامة لما نأي ... ت وحالقت لما بعدت الضنينا
وكان اقترابك لي صحتي ... فحين ارتحلت عدمت القرينا
وما هون السقم يا سيدي اش ... تياقي وحاشى له أن يهونا
فكتب إليه أبو الفرج، في صدر كتاب:
وعن كمد فل غرب السلو ... وشوق أعاد حراكي سكونا
وقلب يرى كل شيء يعين ... قلوب العباد عليه معينا
ولم أر بعدك شيئاً يسر ... فأفتح أنساً إليه الجفونا
وجملة أمري أني اشتكيت ... وقد كان دهري لي مستكينا
وجربت مذ غبت عني الكرام ... فكانوا الشكوك وكنت البقينا
وأنشدني لنفسه:

يدعي حبيبي إلى هجري فيعدل بي ... عن هجره مرض في القلب مكنوم
لو كان ينصفني ما كان يهجري ... لكنني الدهر في حبيه مظلوم

فقرات من رسائل

لبعض الكتاب، في وصف قاض: الحمد لله الذي ليس من دونه احتراز، ولا لذهاب عنه مجاز، هو من لا
يبهره الإطراء، ولا يحيله الإغراء.

آخر: الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، الذي لا يودى مسيله، ولا يخيب سؤوله.
آخر: إن الله علينا من النعم ما لا نحصيه، مع كثرة سخطه على ما نعصيه، فما ندري أيها نذكر، ولا على
أيها نشكر، أجهل ما نشر وأبدى، أم قبيح ما ستر وأخفى.

بين أبي عمر القاضي

وأبي عصمة الخطيب

حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش، وأبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش الطائي الجوهري
البغدادي، وجمعت خبريهما، قالوا: كان أبو عصمة العكبري الخطيب، غالباً على أبي القاسم بن الحواري،
وكانت منزلته في الطيبة مشهورة، قال، فحدثنا: أن أبا عمر خطب لابن رائق الكبير، على ابنة قيصر
الكبرى، فأطال وأبلغ، وكان يوماً حاراً. فلما انقضت الخطبة، قيل له: اخطب على البنت الأخرى، للابن
الأخر.

فكره الإطالة، لئلا يضجر الخليفة، وأراد التقرب إليه، فحمد الله سبحانه بكلمتين، ثم قرأ آية من القرآن،

وعقد النكاح.

فنهض المقتدر مبادراً لشدة الحر، ووقع ذلك عنده ألطف موقع لأبي عمر.

قال: فعاد ابن الحوارى إلى داره، وجئت، فجلست عنده أحدثه، وأتطايب له، وأغمز رجله.

فقال: جرى اليوم لأبي عمر القاضي كل جميل، ووصفه الخليفة، وقرظه، واستحسن إطالته في الخطبة الأولى

وإيجازه في الثانية، وقال: مثل هذا الرجل، وفيه هذا الفضل، لم لا نزيد في الإحسان إليه؟ فقررت مع

الخليفة، بأن يزيد في أعماله وأرزاقه، كذا وكذا، فأمرني بتنجز ذلك له من الوزير.

قال: وكان ابن الحوارى، صديقاً لأبي عمر.

فلما سمعت ذلك، دعني نفسي إلى أن أستبق بالخبر، إلى أبي عمر، لأستحق البشارة، وأتقرب إليه.

وطال علي الوقت، حتى نام أبو القاسم، فركبت دابتي، وجئت إلى أبي عمر، فأنكر مجيئي ذلك الوقت،

وعلم أنه لمهم، فأوصلني، فجلست، وهنأته، وحديثه بالحديث على شرحه.

فقال أبو عمر: أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأحسن الله جزاء أبي القاسم، ولا عذمتك. فاستقلت

شكره، وولد لي فكراً، مع ما بان لي في وجهه من التعجب مني.

فلما خرجت ندمت ندماً شديداً، وقلت: سر السلطان، أفشاه إلى رجل عنده فوق الوزير، فباح ذلك

الرجل به بحضرتي وحدي، لا يسره عني، ولعله هو، أراد أن يعتد به على أبي عمر، بادرت أنا بإخراجه، إن

راح أبو عمر فشكره على ذلك، أو ذاكره به، فعلم أن ذلك من فعلي، بأي صورة يتصورني؟ أليس يراني

بصورة من خرج بسر؟ وإخراج السر، في الخير والشر، والفرح والغم، والجيد والردىء، واحد؟ إن أداه

ذلك إلى استثنائي واحتشامي، أليس في هذا انتقاص معيشي وخيري؟ ثم إن حجبتني عنه، من يوصلني إليه؟

ومن يرغب في استخدامي بعده أو يدخلني داره؟ أو ليس ينتشر في البلد، إنه طردني، لأنني أفشيت له سراً،

لا يلري ما هو.

ليس إلا أن أرجع إلى أبي عمر، فأسأله كتمان ذلك.

قال: فرجعت من حيث قلمت لي دابتي، ولم أركب.

فحين وقع ناظر أبي عمر علي، قال لي: يا أبا عصمة، ولا حرف، ولا حرف.

قال: فكأنه حسب ما حسبه لنفسه، وعلم ما علمته، مما طرأ علي، فلما رأي قد استدركت ذلك، علم أنني

ما رجعت إلا لأسأله كتمان هذا، فبدأني بما قاله، فشكرته وانصرفت، ولم اجلس.

وقد أخبرني أبو الحسين بن عياش رحمه الله، بهذا الخبر، عن أبي عصمة، ولم يذكر فيه حديث الخطبة، ولا أي

شيء كان السر، وهذا الحديث أشرح، فأوردته هكذا.

؟

القاضي يخطب بين يدي

الخليفة في الأملاك

حدثني أبو الحسن بن الأزرق، قال: حدثني القاضي أبو طالب بن البهلول، قال: لما تأخر أبي عن حضور المواقب، وكان لا يخطب في الإملاكات غيره، عرض للمقتدر رأي، في إملاك بحضرته. فقال لي علي بن عيسى هذا شيء كان إلى إليك، وأنت أحق به. فقلت: لا أقوم به.

فقال لأبي عمر: فاطلب أنت. فاستغفاه، وسأله أن يجعل ذلك إلى ابنه، فجعله إليه. وكان يخطب بحضرة المقتدر في الإملاكات.

وصف طبق قطائف

وصف القاضي المعروف بالنقاش، طبق قطائف، قدم إليه، فقال: اقشعر جلده من كثر حمله.

النداء على الرطب الآزاد

حدثني خالي، قال: سمعت منادياً ببغداد، ينادي على الرطب الآزاد: هوذا أولاد الخلافة، في الغلائل نيام.

الوزير ابن مقلة وأبو أحمد الفضل

الشيرازي الكاتب

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي، قال: حدثني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب، قال: كنت أكتب بين يدي أبي علي بن مقلة، وهو وزير، وكانت حالي صغيرة، وكنت أستحلي قينة كنت أنفق جميع ما أكسبه عليها. وكان أبو علي يعرف ذلك من خبري، فيخصني بالأعمال التي تكسب المنافع، وإذا أراد كتب عهد لعامل، أو إجابة صاحب طرف، لم يعدل بذلك عني، فأنتفع بالمائتي دينار، والثلاثمائة، والأكثر، والأقل، ولا أبقى شيئاً.

قال: فكان من ذلك، أن كتاب ملك جرجان، ورد عليه، فرمى به إلي، وأمرني بالإجابة عنه. فجاءني موصله، يتجزر الجواب، وحمل إلي مائتي دينار، وثياب ديباج، وغير ذلك. فأجبتة جواباً جميلاً، وأخذت ذلك فأنفقته كله على المغنية. وأصبحت بعد أيام، وهي عندي، وليس معي ما أجذرها به في يومي ذلك، وأنا قلق من انصرافها، ولا حيلة لي في إسلامها، حتى جاءني غلامي، فقال لي: إن صاحب جرجان على الباب. ففتأقلت به، وقلت: لم يبق شيء أتوقعه منه، وقد كتبت كتبه، وأنا متشاغل بحيلة ما أجذر هذه اليوم، فاحجبه عني.

قال: فخرج وعاد وقال: قد أعطاني عشرة دراهم، وسألني إيصاله إليك.
قال: فطمعت فيه، وقلت: إذا أعطى غلامي عشرة دراهم، فالأمر يحتمل أن يصل إلي، هاته. قال: فدخل،
وأخرج الكتاب، وقال: يا سيدي، كانت العادة، إذا عنون الكتاب إلى صاحبي، وقيل: لأبي فلان بن فلان،
أن يقال بعد ذلك: ملك جرزان، ولم يقل هذا، وفيه عليه غض في عمله، فحلق ذلك.
قال: فقلت هذا لا يجوز إلا بأمر من الوزير، وهذا أمر عظيم، وإذا قيل ذلك فكأنما قد أزلنا ملك السلطان
عن ذلك الصقع، وأخذت أهول الأمر، وأفخمه بقدر طاقتي.
فقال: يا سيدي، لا زمان علي في مساءلة الوزير، لأني أريد الخروج اليوم مع القافلة، فخذ مني ما شئت،
واكتب لي.

قال: فراد طمعي فيه، وقلت: هذا أمر لا يمكن للوزير فعله، إلا بأمر من الخليفة.
قال: فما زلت معه في ألوان، إلى أن دفع لي في الحال، ثلثمائة دينار عينا.
فقلت: على شريطة أن لا يرى الكتاب أحد معك، ولا تقم اليوم ببغداد.
قال: فشارطني على ذلك.
فكثبت إلى جانب العنوان " ملك جرزان " فقط، وأخذت الدنانير وانصرف الرجل، ولم أدع الجارية تروح
ومعي شيء من الدنانير.

قال: ثم دخلت إلى أبي علي، بعد ذلك بأيام، فرمى إلي كتاباً وقال: اكتب إلى صاحبها عهداً على أعماله
بتستر.

قال: فجاءني الرجل، وحمل إلي مائتي دينار، وثلاثة أثواب تسترية، وعمامة منها، فكثبت عهده، وقطعت
الثياب، وكنت أنفق من تلك الدنانير.

قال: وكان بين أبي علي، وبين أبي العباس الخصبي، من العدا والمشاخة على الوزارة، ما عرفه الناس،
وكانت لأبي العباس علي، حقوق، ورياسة قديمة، فكنت أحب لقاءه، وأخاف من أجل الوزير، فكنت ربما
مضيت إليه في الأيام سرّاً، واعتذرت من تقصيري باتصالي بالوزير، فيعذرني.
فاتفق أني مضيت إليه يوماً سحرّاً، في تلك الثياب الجدد، وعدت إلى دار الوزير، فلما صرت في الحجرة التي
كان فيها، وجدته وأبا الحسين ابنه، مختليين، وفي ناحية من الدار جماعة من الكتاب جلوس، منهم أبو جعفر
بن شيرزاد، وأبو محمد المادرائي، وأبو العلي الحسن بن هارون، وغيرهم.
فعدلت لأجلس مع الجماعة، فلما رأي الوزير، صاح: تعال، بحرد.

قال: فهمت فرعاً، أن يكون الخبر بلقائي الخصبي، قد ري إليه، فجئته، فأسر إلى أبي الحسين، بشيء في
أمري، لا أدري ما هو، ثم ضحك وقال: اجلس، فلما ضحك، سكنت نفسي، وجلست.
فقال: اليوم يوم سبت، والهوا طيب فما ترى في ترك العمل والصبح؟ فقلت: هذا والله عين الرأي،
وحقيقة الصواب، ونفس لواجب، وما لا يجوز العدول عنه، ولا الخروج منه، ولا التأخر عن فعله، وأخذت
أصف طيب الصبح، وأروي ما حضرني فيه، في الحال.

قال: فقال لحاجبه: قل لأصحابنا، يمضون إلى الديوان وينظر كل واحد في أمره، وما إليه، وأخل دار العامة، ولا تستأذن علي لأحد، حتى أتشغل بالصبح.

ثم دعا الفراشين، فأمرهم بفرش حجرة كان يستطيها، وقال: أريد أن تكون في نهاية الضياء، من غير أن يسقط فيها خرم إبرة شمس.

فقام فلم تكن إلا ساعة، حتى جلس فيها، فأكلنا معه، ونفسي متطلعة إلى ما جرى. فلما قمنا لغسل أيدينا، سألت أبا الحسين عن ذلك، فقال: إن الوزير لما رآك، قال: هذا الرجل يخدمنا، ويخلص بنا، وواجب الحق علينا، وهو يعشق مغنية لعل ثمنها شيء يسير، ويتلف كل ما يكسبه عليها، ولا نشترها له؟ أي شيء أقبح من هذا؟ قال: فقلت له - وكنت أعرف في أبي الحسين شدة - فأني شيء قلت له يا سيدي؟ قال: قد قويت رأيه.

قلت لا يقنعني هذا والله، أريد أن تنجرد، وتصمم، وتذكره، ولا تدعه أو يتجز لي ثمنها اليوم. فقال: أفعل.

وقام أبو الحسين لينام، فلم يحملني أنا النوم، وقعدت، فعملت أبياتاً في الوزير، أشكره على هذا الرأي، وأتجز الوعد، وحررتما بأحسن ما قلرت عليه من خطي. فلما جلسنا للشرب، وشرب الوزير أقداً، رميت إلى أبي الحسن ابن هارون بن المنجم بالرقعة، وكانت له عادة عندي في التعصب لشعري، والمدح لي عند الوزير، لنفاقه عليه، واختصاصه به، من بين ندمائه. فأخذ أبو الحسن الرقعة، فأنشد منها الشعر، وأتبع ذلك بوصفها وتقريضها، وتبعه الجماعة، واستحسن الوزير ذلك، فأخذ الرقعة، فقطع بالسكين، سحاة عريضة منها، فكتب في رأسها شيئاً، ثم أخذها الوزير، فلفها شديداً حتى صارت كالزر، ورمى بها، فإذا هي في حجري، ففتحتها، فإذا فيها: ندى الخادم، عشرة آلاف درهم، وبخط أبي الحسين: فلان الجهبذ خمسة آلاف درهم. قال: فجئت لأفهم، فأشكره، وأقبل يده، فأومأ إلي بإصبعه، أن اسكت ووضعها على فيه، فسكت، وشربنا إلى أن حضرت المغرب، وقام الوزير ليصلي، وقمنا.

قال: فاستدعاني، فقال: أخذت المال؟ فقلت: لا.

فقال: إنا لله، ظننتك أفره من هذا، إذا قال لك السلطان، هات لأعرف لك، فابسط حجرك، ولا تنظر غصارة، أن صرفني الخليفة الليلة عن الوزارة، كيف تصل أنت إلى المال؟ إن مت؟ أن كان كذا؟ فقلت: حاشاك يا سيدي، لعن الله هذه الدراهم، مع هذا القول، يقيقك الله ألف سنة.

فقال: دع ذا عنك، ثم نادى الخادم فجاء، فقال: خذ هذه الرقعة، وأحضر المال الساعة، قبل أن أتم الصلاة.

قال: فأخذها الخادم ودخل هو في الصلاة، ودخلنا نحن، فوالله، ما تمنا صلاتنا، حتى حضر المال، ولم يكن معي غلام يحملها، إلا صبي يحمل دواتي، ولا يطيق ذلك.

قال: فالتفت إلى بدعة الصغيرة، وكانت في المجلس، وكان بيني وبينها ود، وهي تتعصب لي، فقلت: يا ستي،

أعيرني بعض خدمك، يحمل هذا المال معي، إلى داري فإن غلامي لا يطيقه. قال: وكانت بدعة الحمدونية، إذا حضرت المواضع، معها عدة جوار وخدم وفراشين.
قال: فدفعت إلي غلامها، وكان مقدماً عندها، فسلمت إليه المال، فحفظه، حتى أداه إلى منزلي. فاستدعيت مولاة الجارية، وبذلتها لها في ثمنها، فقالت: لا أبيعها إلا بثلاثين ألفاً، فاستقبحت إعلام الوزير بالصورة، وتاقت نفسي إلى نفقة المال، فأسلفتها منه للجذور، خمسة آلاف درهم، وأنفقت الباقي عليها في مدة يسيرة.

الوزير ابن مقلة يهدي لكاتبه

عطراً وشراباً ومالاً
حدثني أبو محمد أيضاً، قال: حدثني أبو أحمد أيضاً، قال: غدوت في بعض الأيام إلى حضرة الوزير أبي علي بن مقلة، وأنا في بقية خمار، وقد خلفت في داري هذه الجارية.
فلما مضى من النهار ساعتان، عن الوزير قطع العمل، والتشاغل بالشرب.
فقطعت من رأس الدرج، قطعة، وكتبت فيها إلى أخي، أمره باحتباس الجارية، وإعداد أشياء رسمتها له، وأعلمته أنني على أثر الرقعة، مع تشاغل الوزير بالأكل، وعملت على الاحتجاج للوزير بالخمار، والوزير يلحظ ما أكتبه، ويقرؤه، وأنا لا أعلم.
وسلمت الرقعة إلى غلامي ومضى بها إلى منزلي.
فلم يكن بأسرع من أن نهض الوزير، واستدعى المائدة، وأمرني بالأكل معه، فامتنعت، واحتججت بعظم الخمار، وأني لا أقدر على شم الطعام فضلاً عن أكله.
فألح علي فألححت في الامتناع.
فاستدعى عملاً كان بين يديه، وأخرج منه عدة كتب، وأمرني بالانفراد، والإجابة عنها.
فورد علي من ذلك ما أقلقني، ولم أعلم غرضه، ولا أنه يستدعيني إلى الطعام، ويشير علي بالدخول معه في ذلك الأمر، وتأخير الكتابة إلى غد، وأنا مقيم على شكوى الخمار، وتعذر الأكل علي.
إلى أن فرغت من الكتب، وقد توسط أكله، وجئت بها مقدراً أنه يأذن لي في الانصراف.
فقال: قد تبقى من مدة أكلنا، ما تبلغ به وطرك من الطعام، فاستخر الله وساعدنا.
فأقمت على الامتناع.
فاستدعى عملاً ثانياً، وأخرج منه عدة كتب آخر، وقال لي: إذا كنت غير داخل معنا في أمرنا، فأجب عن هذه أيضاً.
فورد علي أعظم من الأول، وانفردت للإجابة، إلى أن فرغت منها، مع فراغه من الأكل. وجئت بالكتب فعرضتها عليه، وأنا لا أشك في الانصراف.
فقال لي: لست أشك في تصرف خمارك، فاستدع ما تأكله، والحق بنا.
فأقمت على الامتناع.

فاستدعى عملاً ثالثاً، ليشغلني بشيء، وتبسم.
فقلت له ما هذه الحاجة الداعية إلى اتصال العمل علي في هذا اليوم.
فقال: قد قرأت رقعتك إلى أخيك، من ظهرها.
فعرفت من حيث أتيت، فضحك وضحكت.
وأمر بإحضار مائتي دينار، وعشرين دناً من الشراب العتيق، وسلم ذلك إلى غلامي، ثم أمر بإحضار صندوق صغير له، فيه طب، فقدم إلى حضرته، ومنديل ديبقي، وجعل فيه من الصندوق، من الند كفاً، ومن العود المقلي كفاً، وكذلك من الكافور والمسك، مثل ذلك، واستدعى قدحاً، فجعل فيه أوراق غالية، ووضعها في المنديل، وختمه بخاتمه.
وقال: إمض فأنفق هذه الدنانير، وشرب الشراب، وتبخر بهذا البخور.
فأخذت جميع ذلك، وانصرفت.

أنت تحركت على الصفراء

ليس الصفراء تحركت عليك وحدثني أبو محمد أيضاً، قال حدثني أبو أحمد أيضاً قال: كانت هذه الجارية صفراء، تسمى بهجة.
فشربت معها ليلة، وأصبحت مخموراً، فأثرت الجلوس معها، على لقاء الوزير أبي علي، وكان يعرف خبري معها.
فأردت الاعتذار إليه من التأخر عن الخدمة، وأخفي خبري عليه، فكتبت إليه رقعة أعتذر فيها، وأقول: إن الصفراء تحركت علي، فتأخرت.
فوقع على ظهرها بخطه: أنت تحركت على الصفراء، ليس الصفراء تحركت عليك.
قلت: وهذا التوقيع يشبه ما أنشدنا أبو الحسن علي بن هارون بن المنجم، لنفسه، في جارية صفراء، وقد شكا إلى الطبيب مرة الصفراء، ولا أدري أيهما أخذ من صاحبه:
قال الطبيب وقد تأمل سحني ... هذا الفتى أودت به الصفراء
فعجبت منه إذ أصاب وما درى ... قولاً وظاهر ما أراد خطأ

بغل لا يصلح للبيع

رأى رجل في حمام، رجلاً وافر المتاع: فقال له عابثاً: تباع هذا البغل؟ قال: لا، ولكني أحملك عليه.

القاضي أبو الحسن الهاشمي

يغسل الخليفة الراضي

وحدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي رحمه الله، قال: لما مات الراضي رضي الله عنه، أنفذ إلي فاستدعيت لغسله، فحضرت، ودخلت إلى الموضع الذي هو فيهم دار الخلافة، فإذا به مسجى، على وجهه إزار مروي غليظ.

فقلت: لا إله إلا الله، مثل هذا يطرح على وجه الخليفة؟ فقال لي بعض الخدم: إنه لما مات، أخذ كل إنسان، ما هو مثبت عليه، فردّه إلى الخزانة، حتى طرحت أنا عليه إزاري هذا.

قال: فطلبنا رجلاً أو مسينة لنغلي فيها ماء حاراً، فما وجدنا، حتى جاءوا بها بعد مدة من حجرة بعض الخدم.

فغسلته، وكفنته بأكفان جميلة من داري، وصليت أنا والخدم عليه، وحمل إلى داره بالرصافة فدفن فيها.

الخليفة الائق، يهمل بعد موته

فيأكل الخردون عينيه

حدثني الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الوائقي، قرابة أبي، قال: حدثني أبي، قال حدثني أبي أحمد، قال: كنت أخدم الوائقي، وأخدم تحته، في علته التي مات فيها.

فكنت قائماً بين يدي الوائقي، في علته، أنا وجماعة من الأولياء، والمالي، والخدم، إذ لحقته غشية، فما شككنا أنه قد مات.

فقال بعضنا لبعض: تقدموا فاعرفوا خبره، فما جسر منهم أحد يتقدم.

فتقدمت أنا، فلما صرت عند رأسه، وأردت أن أضع يدي على رأسه وأعتبر نفسه، لحقته إفاقة، ففتح عينيه، فكادت أن أموت فرعاً من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي. فتراجعت إلى خلف، فتعلقت ببيعة سيفي بعتبة المجلس، وعثرت به، فانكبت عليه، فاندق سيفي، وكاد أن يدخل في حمي، ويجرحني.

فسلمت، وخرجت، واستدعيت سيفاً ومنطقة أخرى، ولبستها وجئت حتى وقفت في مرتبتي ساعة، فلف الوائقي تلفاً لم تشك جماعتنا فيه، فتقدمت فشددت لحية، وغمضته، وسجيته، ووجهته إلى القبلة، وجاء الفراشون، وأخذوا ما تحته في المجلس، ليردوه إلى الخزانة، لأن جميعه مثبت عليهم، وترك وحده في البيت. فقال لي ابن أبي دؤاد القاضي: إنا نريد أن نتشغل بعقد البيعة، ولا بد أن يكون أحدنا يحفظ الميت إلى أن يدفن، فأحب أن تكون أنت ذلك الرجل.

وقد كنت من أخصهم به في حياته، وذلك أنه اصطنعني، واختصني، حتى لقبني الوائقي، باسمه، فحزنت عليه حزناً شديداً، وقلت: دعوني، وامضوا.

فرددت باب المجلس، وجلست في الصحن، عند الباب أحفظه، وكان المجلس في بستان عظيم، أجربة، وهو بين بساتين.

فحسست بعد ساعة، في البيت، بحركة عظيمة أفرعتني، فدخلت أنظر ما هي، فإذا بخرذون قد أقبل من

جانب البستان، وقد جاء حتى استل عيني الواصل، فأكلهما.
فقلت: لا إله إلا الله، هذه العين التي فتحتها منذ ساعة، فاندق سيفي هيبة لها، صارت طعمة لدابة ضعيفة.
قال: وجاءوا وغسلوه بعد ساعة، فسألني ابن أبي دؤاد، عن سبب عيني، فأخبرته.
قال: والحرذون، دابة أكبر من اليربوع قليلاً.
ما أرانا إلا كنا خزاناً للوليد
حكى عن هشام بن عبد الملك، إنه لما ثقل، وأخذ في النزاع، أغمي عليه، ثم أفاق، فطلب شيئاً فقيل له: إن الخزان قد أقفلوا على جميعه، وتفرقوا.
قال: فتنفس الصعداء، وقال: ما أرانا إلا كنا خزاناً للوليد بن يزيد.

الخليفة القاهر يعذب أم المقتدر

زوجة أبيه ويصلبها منكسة

وهذه شغب أم المقتدر بالأمس، تنعمت ما لم يتنعمه أحد، ولعبت من أموال الدنيا بما استفاض خبره.
فلما قتل المقتدر قبض عليها القاهر، فعذبها صنوف العذاب حتى قيل إنه علقها بشديها، يطالبها بالأموال، وحتى علقها منكسة، فبالت، فكان بولها يجري على وجهها.
فقالت له: يا هذا، لو كانت معنا أموال، ما جرى في أمرنا من الخلل، ما يؤدي إلى جلوسك، حتى تعاقبني بهذه العقوبة، وأنا أمك في كتاب الله عز وجل، وأنا خلصتك من ابني في الدفعة الأولى، حتى أجلس هذا المجلس.

الخليفة القاهر يعذب أم المقتدر

ويضطرها لبيع أملاكها

حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: حدثني عمي أبو محمد، قال: أنفذي أبو الحسين بن أبي عمر القاضي، وابن حباب الجوهري، إلى القاهر، وكان قد طلب منه شاهدين، ليشهدا على أم المقتدر، بتوكيلها، في بيع أملاكها.
قال: فصرنا إلى دار الخلافة، واستؤذن لنا، فدخلنا إلى القاهر، وهو جالس في صحن كبير، عند باب ممدود عليه ستارة ديباج، وسنية، على كرسي حديد، وفي يده حربة يقلبها، وخدمه قيام على رأسه.
فسلمنا عليه ووقفنا. ودفع إلينا أحد الخدم، كتاباً أوله: أقرت شغب، مولاة أمير المؤمنين المعتضد صلوات الله عليه، أم جعفر المقتدر رحمة الله عليه.
فوقفنا عليه، فإذا هو وكالة ببيع أملاكها، في سائر النواحي.
فقلنا للخدم: فأين هي؟ قال: وراء الباب. فاستأذنا الخليفة في خطابها، فقال: افعلا.

فقلنا: أنت عافاك الله هاهنا، حتى نقرأ عليك؟ فقالت: نعم.
فقرأ عليها الكتاب وقررتها، ثم توقفنا عن كتب الشهادة، فأومأ بعضنا إلى بعض، كيف نعمل في رؤيتها؟
وإلا لم يمكننا إقامة الشهادة، وهبنا الخليفة.

فقال: مل لكم تتآمرون.

فقلنا: يا أمير المؤمنين، هذه شهادة، نحتاج أن نقيمها عند قاض من قضاة أمير المؤمنين؟ فقال: نعم.
قلنا: فإنها لا تصح لنا دون أن نرى المرأة بأعيننا، ونعرفها بعينها واسمها، وما تنسب إليه.
فقال: افعلوا.

قال: فسمعت من وراء الستارة، بكاءً، ونحيباً، ورفعت الستارة.
فقلت لها: أنت شغب، مولاة أمير المؤمنين المعتضد بالله صلوات الله عليه، أم جعفر المقتدر رحمة الله عليه.
قال: فبكت ساعة، ثم قالت: نعم.

فقررناها على ما في الكتاب، وأسبل الستر، فتوقفنا عن الشهادة، فقال القاهر بضجر: فأني شيء بقي؟
فقلنا: يعرفنا أمير المؤمنين إنما هي.
فقال نعم، هذه شغب مولاة أبي المعتضد بالله، أمير المؤمنين، وأم أخي جعفر المقتدر بالله، ونهض.
فأوقعنا خطوطنا في الكتاب، وانصرفنا.

قال: ولما رأيتهما، وجدتهما امرأة عجوزاً، دقيقة الوجه واخاسن، سمراء اللون إلى البياض والصفرة، عليها أثر
ضر شديد، وثياب غير فاخرة.

فما انتفعنا بأنفسنا ذلك اليوم، فكراً في قلب الزمان، وتصرف الحدثان.
وجئنا، فأقمنا الشهادة، عند أبي الحسين القاضي.

يقتلون شيخاً حسن الشبهة

ثم يظهر أنه خناق

حدثني أبو جعفر، أصبغ بن أحمد الكاتب، شيخ خديم قديماً الصيمري، وحجب أبا محمد المهلب، وهو إذ ذاك
يخلف أبا جعفر الصيمري على الأمور كلها، فلما ولي أبو محمد الوزارة، صرفه عن حجبه، وصرفه فيما
يتصرف فيه المستخرجون المستحثون، قال: حدثني بعض غلمان بكم، قال: أنفذي إلى الأنبار، في جماعة
غلمان، لقتل قوم كانوا محبسين من الأعراب، وأمرنا بحمل رؤوسهم إليه، وكتب لنا في ذلك.
فجئنا إلى العامل، فأوصلنا إليه الكتاب، فسلم القوم إلينا، فضربنا أعناقهم، وقطعنا رؤوسهم. وأقمنا ليلتنا
هناك، وبكرنا، والرؤوس في محال دوابنا، مسمطة عليها، ونحن نريد بغداد.

وكنا عشرة غلمان، والمقتلين عشرة.

فلما صرنا في بعض الطريق، وحي النهار، أوينا إلى قرية خراب، وجلسنا نأكل، والمخالي بين أيدينا، فيها
الرؤوس، قد نحيناها عن الدواب، وتركنا الدواب ترعى.

فلما فرغنا من أكلنا، قمنا إلى المخالي، فافتقدنا من الرؤوس التي فيها واحداً، فقامت قيامتنا، فقلنا نحن مقتولون به، سيقول لنا بحكم: أخذتم منه مالاً وتركتموه، كيف نعمل؟ فأجمع رأينا على أن نخرج إلى تلك الصحراء، فنعرض رجلاً كائناً من كان أول ما نلقاه، فنقتله، ونجعل رأسه في المخلاة، بدلاً من الذي ضاع، ونسير.

فخرجنا على هذا، فأول من استقبلنا، رجل شيخ، حسن الشيبة والياب، له سجادة وسمت، وهو راكب حماراً، عليه خرج مثقل، وهو يسير.

فأوقعنا به وقتلناه، بعد أن تدمنا من قتله، مع ما رأيناه عليه، إلا أنا خفنا أن ينتشر الناس في الطريق، فلا يمكننا قتل أحد، ونكون نحن المقتلين.

فقتلنا الرجل، وقطعنا رأسه، وجئنا لنجعله في المخلاة، فإذا نحن برأس ملقى بين أرجل الدواب، فشككنا فيه، وعددنا الرؤوس، فإذا هي أحد عشر.

فشككنا، حتى أخذ كل واحد منا رأساً، وبقي في الأرض رأس واحد فاضلاً.

فقامت قيامتنا، ولطمنا، وقلنا: قتلنا رجلاً مسلماً بغير سبب، وشق ذلك علينا.

وكان معنا شيخ من الغلمان، جار، فقال: يا قوم، إنكم ما سلطتم على هذا الشيخ، إلا وله عند الله سريرة سوء، ففتشوا رحله، لعلمكم تستدلون على ما يزول به غمنا في قتله.

فقمنا إلى رحله فحططنا الخرج عنه، وفتحناه، فأول شيء خرج علينا، هو بكرة، ثم تلا ذلك، ثياب ملوثة بالدم وبالعائط.

وتوالت الأدلة علينا، فإذا هو خناق شداخ.

فحمدنا الله تعالى على ما سلمنا من قتل من لا يستحق القتل. وتقاسمنا قماشه، ودفنا رأسه في الطريق.

وجئنا فسلمنا العشرة الرؤوس إلى بحكم.

القاضي أبو عمر وحسن تصرفه

ووفور عقله

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، قال: ركب معم القاضي أبي عمر، في يوم موكب، في طياره، إلى دار المقتدر.

فصعد هو وابنه، وجلس أنا والجماعة، في الطيار، ننتظر رجوعه.

فرأيت جماعة من الخدم، وقد وقفوا له، يشتمونه بأقبح لفظ، ويقولون له: يا ظالم، يا مرتشي، وهو مطرق إلى الأرض، يمشي إلى أن دخل الدار.

فها لي إقدامهم عليه، وقبح الصورة، وقلت في نفسي: إن لم يكن هذا الفساد برأي الخليفة، وإلا فيجب أن يشتكي إليه منهم الساعة، حتى يؤدبوا.

فلما عاد، خاطبه أولئك الخدم بأقبح من الخطاب الأول، فعلمت أنه ما شكاهم، ولم أقدم على مخاطبته في

ذلك، لعظم هيئته، وافترقنا.

فلما كان عشي ذلك اليوم، عدت إليه، وهو متخل، وقد استدعى بعض أصحابه، ودفع إليهم ثياب فاخرة، وطيباً، وأشياء قيمتها خمسمائة دينار، وأمره بحملها إلى خادم كان رئيس أولئك الخدم الذين سيوه غدوة.

وقال له: إقره السلام، وقل له كنت راسلتي في أن أحكم لفلان بشيء، لم تجز إجابتك إليه، لأنه لم يكن مذهبي، ولا مما يجوز عندي في الحكم، ولو عرضت على السيف لم أجب إلى محال في حكم، فرددتك.

فكان منك بالأمس ما لم يرض الله به، ولا قدح في شيء من أمرنا، ولكني استدلت به على عتبك، ووقع لي أن الرجل كان وعدك بشيء ساءك فوته، وقد أنفذت إليك هذا - وضع الهدية بين يديه - وأحب أن تقبله، وتعذرني.

قال: فاغظت منه، وقلت في نفسي: يؤدي جزية، ويعطي مصانعة عن عرضه، أي رأي هذا؟ فمضى الرسول، وافترقنا، ما بدأي بشيء، ولا بدأته به.

فلما كان في الموكب الثاني، صحبته، فصعد من الطيار، وجلست على رسمي، فإذا بأولئك الخدم، وعدة أكثر منهم، وقد وقفوا له سمطين، يقولون: يا عفيف، يا نظيف، يا مأمون، يا ثقة، يا جمال الإسلام، يا تأريخ القضاة، ويدعون له، ويشكرونه، حتى صعد من الطيار، وخلموه أحسن خدمة، وهو ساكت على رسمه، إلى أن دخل الدار، ثم عند خروجه إلى أول ما نزل طياره.

فتحيرت مما رأيتهم عليه من التضاد في الدفعتين، مع قرب العهد.

فلما استقرنا في الطيار، قال لنا أبو عمر: كأني بكم أنكرتم ما جرى منهم في ذاك الموكب، قلتم: لو شكاهم إلى الخليفة، فأمر بتأديبهم، أليس كذا وقع لكم؟ قلنا: بلى.

قال: كيف رأيتم ما شاهدتم اليوم؟ قلنا: أحسن منظر.

قال: أنه لم يذهب علي ما فكرتم فيه، ولكني علمت أنه لو شكوكم، كنت بين أمور: إن لم يقع إنكار، فتتخرق هيئتي، ويبطل جاهي، ويطمع كل أحد في، ويجر علي ذلك أموراً كباراً.

أو وقع إنكار ضعيف، كان ذلك إغراء لهم.

أو وقع إنكار قوي، صاروا كلهم أعدائي، وتنقصوني، وعاداني بعداوتهم من فوقهم من الخدم، ولهم بالسلطان خلوات ليست لي، فيولدون علي عنده من الحكايات والسعايات، ما يفسد علي رأيه في مديدة. وإني علمت أنهم ما قصدوني بهذا لشيء بيني وبينهم، وإنما هي طاعة منهم للخادم الذي هو رئيس عليهم، وأن ما حملة على ذلك، ما كان طمع في أخذه على قضاء الحاجة التي سألي فيها فرددته.

وعلمت أني إذا عوضته واستصلحته، صلح لي جميع هؤلاء.

فعلمت ما رأيته، فانصح هؤلاء، وجميع الخدم، وأمنت عداوتهم، وعادوا يكذبون أنفسهم فيما رموني به ذلك اليوم، ويخاطبوني بضده، بحضرة أكثر من كانوا خاطبوني ذلك اليوم بالقبيح بحضرتهم، وصاروا لي خدماً، وزاد ذلك في محلي، أن يرى أعدائي، خدم الخليفة، يخدموني، ويدعون لي، ولم يكن الخليفة، لو بلغ

غاية الإنكار عليهم، يأمرهم بهذا من خدمتي.

وما علم الغرباء، لأي سبب رضوا عني، وفعلوا بي هذا، ويجوز أن يظن أعدائي، أو يرجف أوليائي، أن الخليفة أمرهم بهذا، وأنكر عليهم ما جرى أولاً، فتلافوني بهذا الفعل، وقد بلغت أكثر ما أردت، ولم أبلغ الغاية، ولا عادت أحداً.

واعلم يا أبا الحسن، إن أشياء قليلها كثير، منها إثارة العداوة، - وذكر أشياء لم أحفظها - فأبي الرأيين الآن عندك أصوب؟ فقلت: رأي القاضي، جهل الله الدنيا ببقائه، وفعل به وصنع.

؟

القاضي أبو عمر يستميل أحد خدم الخليفة

وقد سمعت هذا الخبر عن جماعة غير القاضي أبي الحسن، منهم أبو عمر عبيد الله بن الحسين بن أحمد السمسار البغدادي الشاهد، وكان يخلف القضاة على بعض الأعمال، ويتقلد سوق الرقيق بمدينة السلام، فذكروا: أن أبا عمر القاضي، لما جرى عليه من الخادم ما جرى، أحضر حضرياً كان يخدمه، وقال له: امض فتوصل إلى فلان الخادم وابكي بين يديه بكاء شديداً، وقل له: إن أخي مات، وخلف مالا وأطفالاً، ولم يوص.

وإن القاضي قد رد ذلك إلى بعض أسبابه، وفي هذا ذهاب جاهي، وإن كان قد فعل الحق في ذلك، فالله، الله، في ، تسأله أن يرد إلي المال والطفل، واحرص على ذلك، واحمل له هذه الدنانير - وأعطاه مائة دينار - ، وقل له: إذا فعلت ذلك، أعطيتك مائة أخرى، ولا تقنع منه أو يركب إلي ويسألني.

قال: فمضى الحضري، وتوصل إلى ذلك.

فقال له الخادم: ويحك، هذا قد عاملته بكل قبيح، فكيف أسأله حاجة؟ قال: فلم يزل الحضري يرفق به إلى أن أجاب.

فجاء فأخبر القاضي بأنه يركب إليه في يوم كذا، فانتظره.

وجاء الخادم إلى أبي عمر، وداراه، ومسحه، وأزال كل ما في نفسه، وقضى له الحاجة، ووقع له بما أراد، وسلم إلى الحضري التوقيع، فشكر ودعا.

وشكر الخادم وانصرف.

واستدعى أبو عمر الحضري، فأخذ التوقيع، وخرقه، ودفع إليه المائة الدينار الأخرى، وقال: تمضي بها إلى الخادم، فمضى بها إليه.

وصار الخادم صديقاً له. وقد أخذ مرفق أبي عمر، وهو لا يدري بذلك، واستقامت الحال.

جواب مفحم

وأخبرني غير واحد من أهل الحضرة: إن هاشمياً وقف لأبي عمر، في طريقه إلى الجامع، وكان سألته شيئاً فلم يجبه إليه، فقال له: يا بارقي، يعرض به، وما كان عليه من مبايعة ابن المعتز، ليكتب أصحاب الأخبار بذلك، فيجده له سوءاً عند الخليفة. فوقف أبو عمر، وقال للرجل: يا هذا إن أمير المؤمنين أعزه الله قد عفا عن هذا الذنب، فإن رأيت أن تعفو، فعلت.

قال: فحجل الهاشمي، وعجب الناس من ثبات أبي عمر، وحسن جوابه، وسرعة فطنته، وتلففه.

رقية تحبس السم

حضرت أبا الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، وقد رقى ملسوعاً من عقرب، فقال الملسوع: قد زال الوجع، وقام وهو كالمتعافى، بعد أن دخل ضاجاً من الألم.

فسأله عن ذلك، فقال: هذه رقية لها خبر طريف، حدثني به، أبو أحمد الوزان، فجربتها على خلق، فأنجعت. فسأله إخباري الخبر، فقال: حدثني أبو أحمد هذا، قال: حدثني أحمد بن الطيب السرخسي، قال: كنت قائماً بين يدي المعتضد، فدخل إليه بعض الخدم فقال: بالباب رجل يصيح: نصيحة، وقد قلنا له: ما هي؟ فقال: لا أقولها إلا للخليفة.

فقال: لعل له ظلامة، أو حاجة، فراجعوه.

فكر الكلام، إلى أن أمر بإدخاله، فقال له: ما نصيحتك؟ فقال: معي رقية تحبس السم.

فقال المعتضد: هاتوا عقرباً.

قال: فكأنها كانت معدة لهم، فجاءوا بعقرب في الوقت، فطرحته على خادم، فلسعته، فصاح، فرقاه

الرجل، فسكن ما كان يجده الخادم.

فقال لأحمد بن الطيب: أكتب هذه الرقية، وأمر له بثلاثمائة دينار.

فأملاها أحمد بن الطيب علينا، وهي: أن تأخذ حديدة، وتقرها من أعلى اللسعة في البدن إلى موضع اللسعة،

كأنك ترد شيئاً، وتقول: بسم الله لומר سرلومر بهلبي تنبه تنبه كرورابا كرورابا ابهتج ابهتج بهشترم بهوداله

مهراشترم لوته قرقر سفاهه فلا ترال تكررها، وتمسح الحديدة، إلى أن يذكر الملسوع، أن السم الذي في

بدنه قد انحدر إلى الموضع الملسوع، ويسكن عنه الضربان، إلا من حيث موضع اللسعة، فيفتح الموضع

حينئذ يابرة، ويعصر، فإن السم يخرج، ويذول الألم في الحال.

قال أبو الحسن: وقد جربتها على العقرب مراراً كثيرة، فنفعت.

وسبيلها أن تجرب في غير ذلك من السموم، فإن الذي قال الرجل: إنها تحبس السم، ولم يخص شيئاً من

السموم بعينه.

أبو أحمد الوزان هذا، قد رأيته، وكان شيخاً صالحاً، يتوكل للقاضي أبي جعفر بن البهلول، وأي طالب، في

بيع الخطب، وحدثني عنهما بأشياء.

دواء لللسعة الزنبور

حدثني علي بن محمد الأنصاري، قال: قال لي المرعوس المتطبب، وكان يخدم بجكم: إن الزنبور، إذا لسع إنساناً، فإن اتفق في الحال أن يكون محاذياً له إنسان محاذاة صحيحة، فيعمد الرجل المحاذي للملسوع، إلى كوز ماء، فيصبه على جبينه وقحف رأسه، إن كانت اللسعة في بدنه، فإنه يسكن.
قال: فلسعني مرة زنبور، فقلت لرجل كان في محاذاتي، صب على جبرني ورأسي ذلك الكوز الماء، ففعل، فسكن ما بي في الحال.
طبيب يلطخ مريضاً بالعذرة
قال: وقد عالج صبيّاً في رأسه بثور، بأن نوره، ثم غسله، وطلاه بغطاء رطب، وأقامه في الشمس نحو ساعة زمانية، ثم غسله، وطلاه بدواء كان معه، فرالت البثور.

ذرق العصفور يزيل الآكلة

وقال لي هذا الطبيب: إن خرا العصافير اليبس، إذا سحق، وجمع بالزيت، وحشي به الذي قد وقعت فيه الآكلة من الأبدان، أصلحها، وأزال الآكلة.
قال: وقال لي إن الشب إذا جعل في الزيت، وأمر على الموسى، لم يخلق شيئاً.

البول المغلي يحل القولنج

قال: وقد رأيت هذا الطبيب، وقد شفى رجلاً به قولنج شديد، ببول أغلاه، وطرح فيه جندب استر، وعقاقير آخر، فانحل قولنجه، في الحال.

عجوز تدوي من البثور

قال: وكانت بي في ساقى، قد تطاولت، فخرجت إلى قرية تقارب ما براون، من أعمال الأنبار، فنزلت على مزارع فيها، يقال له إبراهيم بن شمعون، فرأى تلك البثور.
فقال لي: عندنا عجوز ترقى من هذا، فأحضرنها، فقالت: هذه علة يقال لها الدروك، وأنا أرقها.
فرقتها طويلاً، ثم ألقت على ساقى الآس، والدهن، وقالت: لا تحله ثلاثة أيام.
فلما كان بعد ثلاثة أيام حللتها، وقد عوفيت.

حفظ القاضي أبي جعفر

بن البهلول يدفع كارثة

حدثني أبو أحمد الوزان هذا، قال: كت أتوكل لأبي جعفر بن البهلول القاضي، في بيع خطبه الذي كان يتجر فيه من الحرار، وأزنه على المشترين.

فبلغني يوماً خبر طوف عظيم، قد ورد له، فخرجت إلى دما أستقبله، وكان هائلاً مهولاً.
وكانت القنطرة إذ ذاك مخوفة، على شفا الوقوع، والزواريق ممنوعة من الاجتياز بها لئلا تنكسر.
فأقمت يومي أنتظر الطوف، فإذا الجماعة قد جاءوني، وقالوا: إنه طوف عظيم، وقد حصل في جرية الماء،
وليس يطيقه من فيه، والساعة يجيء، فيقع على القنطرة ويكسرهما، فيكون فيه هلاك أبي جعفر مع السلطان.
قال: وهم في الحديث، حتى إذا رأيت الطوف، قد جاء كالجبل، وهو متصوب إلى القنطرة، لم أشك في
المكروه، ورأيت الرجال الذي فيه قد ألقوا نفوسهم في الماء، وهم لا يشكون في تصوبه إلى القنطرة.
فأقبلت أدعو الله بصرفه عنها، إلى أن قرب، فدهشت، وجرى على لساني أن صحت: يا بخت أحمد بن
إسحاق رده، ثلاث دفعات.
قال: فرأيت، والله، الطوف، وقد تعوج، ووقفت وقفة شديدة، فتقطع، فصار حطاً متفرقاً، يجيء على رأس
الماء، لا يضر القنطرة، وجنح معظمه في الموضع الذي تقطع فيه، ووقعت البشارات والضجيج.
فقلت: ما الخبر؟ قالوا: إنه لما عدل عن القنطرة، جنح على جزيرة أخرى كانت مغطاة بالماء، فلما جنح
عليها، تقطع، فكانت هذه صورته.
قال: فجمعنا الحطب من أسفل القنطرة، وما ذهب منه عود، ولا لزمنا عليه مؤنة، وجعلناه في عدة
أطواف، وجئنا به إلى بغداد.
وجئت إلى القاضي أبي جعفر، وعرفته ذلك، فحمد الله عز وجل، وتصدق بصدقة جلييلة.

الأمير معز الدولة يزداد فوق

وظيفته رغبين وباقة بصل

جرى حديث ارتفاع الناس، وتقلب الزمان بالإنسان، فحدثني أبو الحسن بن الأزرق، قال: حدثني الوزير
أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، قال: حدثني الأمير معز الدولة، رحمه الله، قال: كنت ببلد الديلم
أحتطب لأهلي، فقلت لي أختي الكبيرة، ليس يكفيننا هذا الحطب، فجئنا بكاراة أخرى حطاً لهم اليوم.
فقلت لها: لا أقدر، وقد جئتكم بما قلرت عليه.
فقلت: إن جئت بشيء، زدتك رغبين مما أخبره.
فجئتها على ظهري بكاراة أخرى، وقد تلفت.
فقلت: إن جئتني بكاراة ثالثة، أعطيتك مع الخبز الذي أزيدك إياه على وظيفتك باقة بصل. فجئتها بالكاراة
الثالثة.

فلما خبرت، أعطيتني وظيفتي، وزادني رغبين، وباقة بصل، يازاء ما حملته.
ثم صنع الله لي وتعبرت حالي إلى ما تراه.
قال: وقال لي أبو الفضل الوزير، لولا أن الأمير حدث بهذا، دفعات كثيرة، في مجالس حافلة، فأخرجه مخرج
الافتخار، لا السر، لما تحدثت به.

أبو علي حمولي القمي يرتفع من حارس

في خان إلى أعلى المراتب

وسمعت أبا علي أحمد بن موسى حمولي القمي، يحدث، في حديث له طويل، وهو إذ ذاك في السماء، رفعة، وجلالاً، ويساراً، وإليه طراز الحرم الديباج، وابتياح الثياب، ومرتبته عند معز الدولة، أجل مرتبة: أنه كان أميناً على زورق، زماناً، من سورا إلى القصر، لشدة الحاجة والفقر. وحدثني أبو الفرج الأصبهاني، قال: أعرف أبا علي حمولي، حارساً لمتاع التجار، في خان يطرح إليه متاع الموصل، في موضع داره على دجلة.

إن الفتي من يقول هأنذا

جرى في مجلس أبي رضي الله عنه، بحضرته، يوماً، ذكر رجل كان صغيراً فارتفع. فقال بعض الحاضرين: من ذاك الوضع؟ أمس كنا نراه بمرقعة يشحذ. فقال أبي: وما يضعه أن الزمان عضه، ثم ساعده، كل كبير إنما كان صغيراً أولاً، والفقر ليس بعار، إذا كان الإنسان فاضلاً في نفسه، وأهل العلم خاصة لا يعيهم ذلك. وأنا أعتقد أن من كان صغيراً فارتفع، أو فقيراً فاستغنى، أفضل ممن ولد في الغنى، أو في الجلالة، لأن من ولد في ذلك، إنما عمل له غيره، فلا حمد له هو خاصة فيه، ومن لم يكن له فكان، فإمّا بجده أو كده، وصل إلى ذلك، فهو أفضل من أن يصل إليه ميراثاً، أو بجده غيره، وكده سواء.

حريق الجمل ببغداد

حدثني أبو الحسين بن عيش رحمه الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، قال: لما وقع ببغداد، حريق الجمل، اختل دكاني فيما اختل، وذهب مني مال عظيم. فقلت له: كيف كان حريق الجمل؟

قال: اجتاز في سوق الخرازين، جمل عليه قصب، وكان رجل يثقب لؤلؤاً، وبين يديه نار، فوقع طرف القصب على النار، فاشتعلت وبلغت إلى الجمل في لحظة. فكان الجمل، كلما أحس بوقع النار عدا، وتنافض الشرار منه، في جانبي الطريق، فحرق كل ما يجتاز به. فلم يزل على ذلك، إلى أن تلف الجمل، وتشاغل الناس بطفي الحريق الواقع في الدور والعقار. فكان حد ما احترق، من أول سوق الخرازين إلى طاق الحراني، ووسط قطيعة الربيع. وتلف ناس كثير، وزالت نعم عظيمة، بذهاب الأموال، ورؤوس أموال التجار، وانهدام العقارات. قال: وكان هذا عقيب انتقال المعتصم إلى سر من رأى، فهم الناس بالانتقال عن بغداد، وإن تحرب، فبلغ ذلك المعتصم.

قال: فخاطبه أبو عبد الله أحمد بن أبي داؤد، في إطلاق مال للناس.
فقال المعتصم: خذ خمسة آلاف ألف درهم، وأخلف بها جميع ما ذهب من الناس.
فأخذ ابن أبي داؤد المال، وجاء فجلس في مجلس الشرقية، واجتمع إليه الناس، فعرفهم علم الخليفة بأمرهم،
وما كان منه في خطابه، وما أنفذ معه من المال، فقال: ولم يذكر مبلغه، إلا أنه قال: قد حملت من المال ما
أخلف به، جميع ما ذهب من جميعهم.
قال: وكنت حاضراً المجلس، أسمع الكلام.
فقام إليه شيخ كان حاضراً، فقال: أيها القاضي، إن هذا مال عظيم، فكم أنفذ إلينا أمير المؤمنين معك؟
فقال: خمسة آلاف ألف درهم.
فالتفت الشيخ إلى نفسيين في المجلس، فقال: قوما، فقاما.
فقال أيها القاضي هذان، قد ذهب منهما، في أثمان عقاريهما، ورؤوس أموالهما، خمسة آلاف ألف درهم،
أليس هكذا يا معشر المسلمين؟ واستشهد الحاضرين، فقالوا: نعم.
فقال: أيها القاضي، إذا كان هذان، وهما نفسان، من جميع من قد حضر، قد ذهب منهما قدر ما حمله أمير
المؤمنين، فالباقيون من أين يأخذون؟ قال: فتحير ابن أبي داؤد، وقال: ما ترون في هذا؟ فقالوا: الرأي لك.
قال: فقال أولئك النفسان: أما نحن، فما نريد شيئاً، ولا نسأل الخلف، إلا من الله عز وجل، ولا نطلبه إلا
مكن فضله، ولكننا نشير عليك أيها القاضي، فقال: افعلوا.
قالا: تجعل هذا المال، مقسوماً بين أهل البضائع اليسيرة، وصغار الناس، فإن رغب أحد من الأكابر، في أن
يشارك الأصاغر فيه، فإن ذلك إليه وإليك.
قال: فقام خلق كثير، فقالوا: أما نحن، فما نريد شيئاً، اجعله للأصاغر، وانصرفوا.
ففض المال، على أرباب البضائع اليسيرة، ثم لم يكف، واحتيج لهذا إلى أضعاف ما حمل من المال.
فلما نفذ المال، خرج ابن أبي داؤد ليلاً، لكثرة الازدحام عليه، والطلب منه، ونفذ ما عنده.

إبراهيم بن الحسن البراز يخسر

في حريق واحد ما يزيد على أربعمئة ألف درهم

سمعت إبراهيم بن حسن البراز، يقول: خلف الحريق سريع، كان حريق بالكرخ في سنة نيف وأربعين
وثلاثمئة فتلف لي متاع في دكاني وداري بمائتي ألف درهم، سوى أثمان العقار.
فقلت: كم كان أثمان العقار؟ فقال: أكثر من هذا.
قال: فسمى الله، عز وجل، ما بقي، وأعدت منه عقاري، ورأس مالي في دكاني، فما أفرق اليوم بين أمري،
وبين ما كان قبل الحريق.
قلت له: ففي دكانك اليوم متاع بمائتي ألف درهم؟ فضحك، وقال: هذا لا يسأل عنه التجار، ولا يصدقون
أيضاً إذا سئلوا، ولكن ما أفرق بين حالي الساعة، وذلك الوقت، وأنا من الله عز وجل في خير.

أبو القاسم الجهني يفخر بأنه قد أجهد نفسه

فيما لا يليق بالرجل الحر

حدثني أبو القاسم الجهني، قال: جرى بيني وبين محمد بن خلف، القاضي وكيع، ملاحاة في شيء، بمحضرة أبي الحسن بن الفرات، فولدت بيننا عداوة، فبحثت عن عيوبه. فبلغني أن له أبا ساقطاً في أصحاب الصناديق باب الطاق، فركبت حتى جئت إليه، فرأيت أنه يعمل الصناديق بيده، وفاتشته، فإذا هو أسقط رجل، وأجهله. وانصرفت فكاكت جماعة من وجوه الشهود بالجانيين، وأشرفهم من البطين، وأكابر التجار والكتاب والتناء، وواعدتهم بحضور مسجد هناك كبير، فحضر خلق كثير. وركبت، فحين حصلت هناك، قلت: علي بخلف الصناديقي، فجاءوا بالشيخ كما أقيم من العمل، وآلته معه، ويده ملوثة، كما كنت وصيتهم. فقلت لهم: أعزكم الله، إني كنت سألتكم الحضور لأخاطب هذا الشيخ بحضرتكم بشيء آخذ خطوطكم به، فاحفظوا ما يجري. ثم قلت: يا شيخ، من أنت؟ قال: أنا خلف بن فلان.

قلت: وكيع قاضي، من هو منك؟ قال: ابني. فقلت لمن حضر من شيوخ الحلة: هو كما قال؟ فقالوا: نعم. قلت: أنت بهذه الصورة مع اتساع حال ابنك؟ قال: لأنه عاق بي، فعل الله به وصنع، ودعا عليه. فقلت له: يا شيخ، تحفظ القرآن؟ قال: أحفظ منه ما أصلي به. فقلت: تحسن شيئاً من القراءات؟ قال: لا. قلت: وكتب الحديث قط؟ قال: لا. قلت: رويت من الأخبار، والآثار، والآداب، والأشعار شيئاً؟ قال: لا. فلم أزل أعدد عليه العلوم وأصنافها، وهو يقول لا، لا. قلت: فتحسن شيئاً من النحو أو العروض أو المنطق؟ قال: لا. فقلت: أعزكم الله، إن وكيعاً رجل كذاب، متعاط العلم والأدب، ولم آمنه في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكذب في العلوم، وأن يجعل ذلك طريقاً متى مات هذا الشيخ، فيقول: حدثني أبي، وأخبرني أبي، ويضع على لسانه كل كذب.

فأردت أن تحفظوا على هذا الشيخ ما ذكره من أنه ليس من هذا الأمر، ولا إليه، حتى لا يمكنه ادعاء ذلك عليه بعد موته، وأن تعرفوا أيضاً فسقه بعقوبة والده، وسقوط مروءته، بتركه أباه على هذه الحال. قال: فما فارقتهم حتى أخذت خطوطهم بما جرى، على أشنع شرح قلرت عليه، وأجابوا هم إليه. وصرت بالخصر معي إلى مجلس الوزير، وتركته في خفي، وأجريت الحديث مع وكيع، إلى أن شاغبته في

الكلام، وقلت: لا تسكت يا ابن الصناديقي الجاهل، فامتنع.
وأخرجت الخضر، وعرضته على الوزير، وسألته أن ينفذ ويستدعي أباه ويشاهده.
فضحك الوزير، وسقط وكيع من عينه.
وقامت قيامته من يدي.

أبو القاسم الجهني يتولى

الحسبة بالبصرة

وولي أبو القاسم الجهني، عندنا بالبصرة، الحسبة، من قبل أبي جعفر الصيمري، فسمعت إذ ذاك، شيوخنا، يقولون: إنهم ما شاهدوا ولا سمعوا، من بلغ مبلغه، في ضبط العامة، ورفع العشوش، ومن عرف من أسرار الصنائع، والأمتعة، ما عرفه، حتى كأنه لا يحسن شيئاً غيرهما، مثله.
وطالب الناس بمطالبات صعبة، فانتشر له حديث عظيم جميل، في البلد بذلك، وهيبة في نفوس الأكابر، فضلاً عن الأصاغر.
فاجتاز يوماً وبين يديه رجالته، بمؤذن يؤذن لبعض الصلوات، فقالوا: الجهني، الجهني.
فطلع المؤذن، فرآه، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل لك علي طريقاً، فقالوا للرجالة: خذوه إلى الدار.
فضج من ذلك، وقام معه الجيران، وجاءوا، ونزل الجهني في داره، فدخلهم.
فقالوا له: أمرت بإحضار هذا الرجل المؤذن، فأبي طريق لك عليه؟ فقال: تحتاج أن تحلف لي أن لا تدخل المسجد بالنعل الذي تدخل به الكنيف، فإن هذا يفسد صلاة الناس، ولا يحل، ولا تؤذن وأنت جنب.
فسألوه أن يعفيه، فأبى وقال: إما أن يحلف أو لا يدخل المسجد، فما زال به حتى أحلفه على ذلك.
فلما أراد الانصراف، قال له: يا شيخ، الآن علمت أن لي عليك طريقاً، وإن بيننا معاملة، أم لا؟ فقال: أيلك الله، أخطأت ولم أعلم.
فقال: لا تعاود الكلام فيما لا تحتاج إليه، فإن الفضول ضار.

الكوكبي محتسب الأهواز

والقاضي ابن السراج

حدثني أبو العباس نصر بن محمد الشاهد رحمه الله خليفة أبي رضي الله عنه على فريضة الأهواز، قال: كان الكوكبي محتسباً عندنا من قبل أخي أم موسى القهرمانة، وكان خشناً منبسط اليد، جلدًا. ف وقعت بينه وبين أبي الحسن بن علي السراج القاضي نفرة، فأمسك عنه أياماً، ثم صار إلى بابه على غفلة، وقد كان أخل بالجلوس في الجامع مجلسين.
فوقف في رجالته على الباب، وقالوا: قولوا للقاضي، ليس لك أن تواصل الجلوس في منزلك، أبرز إلى

الجامع يملك القوي والضعيف، كما أمرت في عهدك.
فدخل إليه الغلمان، فأخبروه، فقامت قيامته، فأخرج من بحضرته من الشهود يداورونه.
فقال: لا أدخل، ولا أنصرف، أو يركب إلى الجامع.
فما زالوا به حتى أصلحوا بينهما.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

حدثني القاضي أبو عمر عبيد الله بن الحسين المعروف بابن السمسار، قال: حدثني أبو علي بن ادريس
الجمال الشاهد، قال: حدثني أبو عبد الله بن أبي عوف، قال:

كان سبب اختصاصي بعبيد الله بن سليمان، أني جرت يوماً في الجامع بالمدينة، فوجدته وهو ملازم في يد
غريم له، في عقب النكبة، بثلاثمائة دينار، وكنت أعرف محله من غير مودة بيننا. فقلت له: لأي شيء أنت
ها هنا أعزك الله جالس وما مضيت إلى الصلاة؟ فقال: ملازم في يد هذا بثلاثمائة دينار علي.
فسألت الغريم إنظاره، فقال: لا أفعل.

قلت: فالمال لك علي، تصير إلي بعد أسبوع حتى أعطيك إياه.

فقال: تعطيني خطك بذلك.

فاستدعيت دواة ورقعة، وكتبت له ضماناً بالمال إلى شهر، فرضي وانصرف.

وقام عبيد الله فأخذ يشكرني.

فقلت: تم أيدك الله سروري، بأن تصير معي إلى منزلي.

فحملته وأركبته حماري، ومشيت خلفه، إلى أن دخل داري، فأكلنا ما كان أصلح لي في يوم الجمعة، كما
يفعل التجار، ونام.

فلما انتبه، أحضرته كيساً، وقلت: لعلك على إضاقة، فأسألك بالله، إلا أخذت منه ما شئت.

قال: فأخذ منه دنائير، قام فخرج.

فأقبلت امرأتي تلومني وتوبخني، وقالت: ضمنت عنه ما لا يكفي به حالك، ولم تقنع إلا بأن أعطيته شيئاً
آخر.

فقلت: جليلاً أسديته، ويدا جليلاً، وهو رجل حر كريم، كبير جليل، من بيت وأصل، فإن نفعتني الله به
فذاك، وإن تكن الأخرى فلن يضيع عند الله.

ومضى على الحديث مدة، وحل الدين، وجاء الغريم يطالبني، فأشرفت على بيع عقاري، ودفع ثمنه إليه، ولم
استحسن مطالبة عبيد الله، ودفعت الرجل بوعده وعدته إلى أيام.

فلما كان بعد يومين من هذا الحديث، جاءتني رقعة عبيد الله يستدعيني، فجيئته.

فقال: قد وردت علي غليظة من ضيعة لي، أفلتت من البيع في النكبة، ومقدار ثمنها مقدار ما ضمنت عني،
فتأخذها، وتبيعها، وتصحح ذلك للغريم. فقلت: أفعل ذلك.

فحمل الغلة إلي، فبعته، وحملت الثمن بأسره إليه، وقلت له: آنت مضيق، وأنا أدفع الغريم، وأعطيته البعض من عندي فأتسع أنت بهذا.

فجهد أن آخذ منه شيئاً، فحلفت أن لا أفعل، ووفرت الثمن عليه.

وجاء الغريم، فألح علي، فأعطيته من عندي البعض. ودفعت به مديدة.

فلم يمض على ذلك إلا شيء يسير حتى ولي عبيد الله الوزارة، فأحضرني من يومه، فجعلني في السماء، وقام لي في مجلسه، وكسبت به الأموال، وقر هذه النعمة التي أنا فيها.

حكاية تدل على مقدار عناية الوزير

عبيد الله ابن سليمان بابن أبي عوف

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول، قال: حدثني أبي، قال: خرجت من حضرة عبيد الله بن سليمان في وزارته، أريد الدهليز، فخرج ابن أبي عوف فصاح البوابون، والحجاب، والخلق، هاتم دابة أبي عبد الله.

فحين قدمت دابته ليركب، خرج الوزير ليركب، فرآه، فتنحى أبو عبد الله بن أبي عوف، وأمر بإبعاد دابته لتقدم دابة الوزير، فحلف الوزير إنه لا يركب، ولأتقدم دابته، حتى يركب ابن أبي عوف. قال: فرأيت قائماً، والناس قيام بقيامته، حتى قدمت دابة ابن أبي عوف فركبها، ثم قدمت دابة الوزير، فركبها، وسارا جميعاً.

ابن أبي عوف يحتال في

إيصال كتبه إلى الوزير

وحدثني أبو الحسن، قال: حدثني أبي، قال: لما خرج عبيد الله إلى الجبل، واستحلف القاسم، لم يكن يعامل ابن أبي عوف، مثلما كان أبوه يعامله.

فشق ذلك عليه، وخاف أن ينفذ كتبه بشكايته إلى أبيه، فتقع في يد القاسم.

فجاءني دفعات، يسلم علي، ولا يسألني حاجة، حتى جعلني صديقاً، ثم سألني أن أجعل كتبه إلى الوزير في طي كتب حرم صاحبي إليه، وكان في جملة القواد المجردين من عبيد الله، فكنت أفعل ذلك دائماً، فيوصل صاحبي الكتب إلى الوزير سرّاً، وتنفذ الأجوبة، فتزد كتب عبيد الله على القاسم، في الخاص، بالصواعق في أمر ابن أبي عوف.

ويوكل القاسم بالطرق، وتؤخذ له كتب أكثر الناس، فيقف عليها، ولا يجد لابن أبي عوف كتاباً، فيتميز غيظاً، ولا يدري من أين يؤتى، إلى أن قدم عبيد الله.

تصرف من ابن أبي عوف

يدل على نفس صغيرة قال: وسألني في تلك الأيام رجل من أهل النغر، أن أشفع له إلى ابن أبي عوف، في معاونته على أسرى له في بلاد الروم، فامتنعت عن ذلك، لعلمي أنه تاجر على كل حال. فألح علي، فكتبت له رقعة إليه، فجاءني الرجل فشكرني، وذكر أنه أعطاه أربعين ديناراً.

ومضت السنون، فسألني ابن أبي عوف أن أؤجره رقعة من ضياعي بالأنبار، يعمل فيها البطيخ الذي نسب فيما بعد إلى العبدلوي، وإنما هو مضاف إلى أبي عبد الله بن أبي عوف، فأجرته إياها بمال جليل. وعمل البطيخ فأعجب، فلما طالبتة بالأجرة، احتسب علي الأربعين ديناراً التي بر بها النغري، بشفاعتي.

سبب سقوط محل ابن أبي عوف

وكان سبب سقوط محله، على ما أخبرني به أبو الحسين بن عياش القاضي رحمه الله، قصة ابنته، فإنه ذكر أن الخبر استفاض ببغداد: أنه دخل داره، فوجد مع ابنته رجلاً ليس لها بمحرم، فقبض عليه، وعمل على ضربه بالسياط، فأشهر عليه أن لا يفعل، وقيل له أن في ذلك هتكاً لابتك ولك، فأطلق الرجل وقيد المرأة واحفظها، فلم يقبل، واستدعى صاحب الشرطة، فضرب الرجل بالسياط على باب داره، وكان الرجل أديباً ظريفاً، فأنشأ يقول متمثلاً وهو يضرب:

لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنباً ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب
يا قوم، أئحد أحد الزانين، دون الآخر، أخرجوا صاحبي، وإلا فافرجوا عني.
قال: فاتضح ذلك، وانتهك، وتناوله الشعراء والخطباء والناس بألسنتهم حتى سقط محله.
وكان من ذلك ما قاله ابن بسام، في قصيدة أولها:
يا قومنا إن القيامة دانيه ... زان يحذ ولا تحد زانيه
ويكمل البيت الأول بيت تمام له، وهو:
فيا بعل ليلى، ليس يجمع سلمها ... وحربي وفيما بيننا شبت الحرب

الموفق طلحة يرأس أخاه المعتمد

في خلع المفوض وتقليد العهد لغيره

حدثني أبو أحمد عبد الله بن عمر السراج الواسطي، المعروف بالحرثي، قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثني يوسف بن يعقوب المقرئ الواسطي، قال: لما دخل الناصر لدين الله الموفق، مدينة واسط بعد صاحب الزنج، وأقام بها، والمعتمد بفم الصلح، ووقعت الرسالة بينهما في خلع المفوض وتقليد العهد من يختاره الموفق، استدعاني الموفق، وجماعة من شهود واسط، وخاطبنا في النفوذ إلى المعتمد، لنشهد عليه بذلك.

فقلت الجماعة: السمع والطاعة، ونهضت، غيرى، فإني سكت، وجلست.

فقال الموفق: شيء تقوله؟ فقلت: إن إذن الأمير الناصر اعزه الله، قلت.

قال: قل.

قلت: أيها الأمير إنك تنفذنا إلى إمام، ولسنا نأمن أن يشهدنا على غير ما تريد أن يشهدنا عليه، وإذا وقفنا بحضرته، فأشهدنا، لم يجوز أن نشهد على غير ما يشهدنا عليه، فما تأمر؟ قال: فكأنني أيقظته من رقدة، وأعلمته أنه إن أشهدنا على تثبيت أمر المفوض، وخلعه هو، وتفسيقه، وقع الأمر موقعه.

فقال: أحسن الله جزاءك، وأضرب على إنفاذنا.

قال: ثم كان يخصني بعد ذلك، ويستدعيني في أوقات، وكان ذلك أول ما بان من محلي عند أهل بلدي، وتقدمت به عليهم. ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

؟؟؟

متى حدثت ابن مقلة نفسه بالوزارة

حدثني أبو الحسن الأزرق التنوخي، قال: حدثني بعض أصحابنا، قال: حدثني أبو علي بن مقلة، قال: كنت خصيصاً بأبي الحسن بن الفرات قبل وزارته الأولى، وكتاباً له.

فلما تقلد الوزارة، استدعاني بعد جلوسه، وقال: أحضر ابن الأخرس التاجر، وجماعة من التجار غيره، وبائعهم ثلاثين ألف كر من غلات السواد، واستقص السعر منهم، واستثن في كل كر بدينارين، وطلبهم بحصول الاستثناء اليوم، وحصله، وعرفني.

قال: فأحضرهم، وقررت السعر معهم، وطلبتهم بالاستثناء عاجلاً، فقالوا: نصححه في مدة ثلاثة أيام، فعرفته، فأجاب.

فقال: إذا حصل الاستثناء فاكتب لهم إلى العمال، بتسليم الغلات، وقبض الأثمان.

فلما كان في اليوم الثالث، حملوا مال الاستثناء، وكتبت لهم بالتسليم، وقطعني شغل عرض عن مطالعة الوزير بذلك.

فلما كان بعد يومين، قلت له: ذلك المال الذي أستثني به من غلات السواد حاصل منذ أيام عندي، فما الذي يأمر الوزير فيه؟ فقال: يا سبحان الله، كأنك قدرت أي استثنيت به لنفسي؟ لقد قبحت في الظن، وإنما أردت بذلك الإصلاح لحالك، وأن أعتمد لك نعمة يبين بها أثر صحتي عليك، فأصلح به أمرك.

قال: فقبلت يده، وشكرته، وعدت إلى منزلي، وما أتمالك فرحاً. فحين علمت حصول المال لي، حدثني نفسي بالوزارة، ودعيت نفسي إلى تأهيل نفسي لها، والسعي في طلبها.

فما زلت من ذلك الوقت أشرع فيها، حتى تمت لي.

؟

شيخ من الدينارين يثني ابن مقلة

عن طلب الوزارة

حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: كنت بحضرة أبي علي بن مقله، وقد أرجف له بالوزارة الأولى. فدخل عليه شيخ من الدينارين، كان يكرمه أبو علي، فأعظمه، وجلسا يتشاوران طويلاً. ثم زاد الكلام بينهما حتى سمعت بعض كلام الشيخ، وهو يعاتبه على طلب الوزارة، ويثنيه عنها، ويشير عليه أن لا يدخل فيها، وأبو علي ساكت. فلما انقضى كلامه، قال له أبو علي: بلغني عن معاوية وهو ممن لا يدفع من علم بالدنيا، أنه قال: من طلب عظيماً خاطر بعظيم. قال: فقال له الشيخ: أستودع الله الوزير، وقام. فما كان إلا بعد أسبوع أو أقل، حتى خلع على أبي علي، وقلد الوزارة. من طلب عظيماً خاطر بعظيم. حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان، قال: كنت بسيراف، وقت أن اجتاز بها أبو عبد الله البريدي، يقصد علي بن بويه، فأعظمه الليث، وحمله، ولقيه وجوه سيراف في الجيش والناس كلهم، وكنت فيهم.

فسمعت، وهو على دابته، وهو يقول: من طلب عظيماً خاطر بعظيم. وما أحسن ما أنشدنا المتبي لنفسه، من قصيدة مشهورة له: غريب من الخلان في كل بلدة ... إذا المطلوب قل المساعد

وجزاء سيئة سيئة مثلها

حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش، قال: لما ولي أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد الوزارة، صار فألاًبي علي بن مقله، وتضمنه هو وأبو عباس الخصبي بالمال الذي ضمنه به، وتسلمناه، كت أختلف إلى أبي القاسم، على رسمي في ملازمته، فأرى أبا العباس بحضرته يخاطبه في معنى أبي علي، والتشديد في مطالبته، وربما أحضراه ليوقعاً به، فأقوم لتلا يراني قد رأيت منه ذلك. فكنت أجلي بحيث أرى وأسمع ولا يراني، فيطالب، ويضرب. فإذا أوجعه المكروه، قال: لي في موضع كذا، كذا وكذا. فيرفع المكروه عنه، ويحسون إلى الموضع، فلا يجدون لما ذكره حقيقة. فإذا سأله قال: ما لي حال، ولا مال، وإنما بردت عن نفسي في الحال، ودفعت الموت، ولا يمكن أبو القاسم سليمان، من رد المكروه عليه أياماً.

فطالت قصته، ولم يستخرج منه شيء، فجرت بينه وبين أبي العباس محاصمة بهذا السبب، وقال: لا بد من بسط العذاب عليه، حتى يروج بعض المال من جهته، وكان سليمان يستحي. فتقرر الرأي على أن نقل إلى دار ابن الحرث، وكان الخصبي يجيء إليها، فيعاقبه، ويستخرج المال منه.

قال: فاتفق أنني دخلت يوماً مسلماً على ابن الحرث، وعزمنا على الجلوس للأنس، فدخل الخصيبي، فدخلت بيتاً من الدار لنلا يراني. وخلياً، وأخرجنا ابن مقله، فأخذ الخصيبي يوبخه، ويستخف به، على ما ارتكبه منه، ومن سليمان، ويشتهي منه بالخطاب بكل لون قبيح، وقد أقامه بين غلامين، وأقام خلفه آخر. إلى أن قال له في جملة كلامه: أقرأني يعقوب البريدي جوابك إليه، لما عدت من البحر، في ظهر كتابه إليك، يقول إنه قد امتثل أمرك في نفسي وحلي إلى البحر، فوقعت بخط يدك قطعها الله: يا عاجز، ألا سملت، ثم حملته، يا عاص كذا وكذا، أردت أن ينطبق لفظك بانطباع ناظري؟ يا غلام اصفع. قال: فصفع، وأخذ خطه بالمال.

مشعوز يدعي الولاية

ومن الأخبار المفردات، ما أخبرني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق، قال: قدم علينا بالأنبار رجل من أهل القصر، يقال له عمر، يعظ العامة، ويرى نسكاً، ويقول: من أطاع الله، أطاعه كل شيء، وإنه يغمس يده في الزيت الحار المغلي الشديد الحرارة، فلا يضره. فافتتن أهل البلد به، واجتمعوا إلى الجامع، ليشاهدوا ذلك، وسألوني الحضور، فحضرت، وإخوتي، وسلطان البلد، وقد نصب ديكدان في صحن الجامع على دكة، ووضع فوقه طنجير، والرجل قائم يصلي. فلما جئنا طلبوا زيتاً، فأنفذت على يد غلامي، فجاءوا بخماسية، فصببت في الطنجير، وأوقد عليها وقود جيد شديد. فلما أغلي الزيت ونش، أقبل على أخي، وقال: يا أبا أحمد، الله الله، لا يكون ما أحضرته غير الزيت، فأهلك. فحين قال هذا، انكشف لي أنها حيلة، فقلت له: ما هو إلا الزيت. فنزع ثيابه، وعمد إلى بقية كانت في الخماسية من الزيت لم تغل، مقدارها نصف رطل، فصبها في الطنجير، ودعا شارباً، فغسل يده غسلاً شديداً، وذراعيه، و صدره، ثم أخذ كفاً من الماء البارد، فرشه على الزيت، فزاد نشيشه.

ثم صعد على الدكة، وفي يده صنجات، فرمى بها في الطنجير، ثم أدخل يده بسرعة شديدة، وصاح بأعلى صوته: لا إله إلا الله، وغرف بكفه الصنجات، فأخرجها، ورمى بها بجدة، وهو يصيح: يا الله، بأعلى صوته. ثم تقدم إلى الزيت، فاغترف بكفه منه، فغسل به صدره، وذراعيه، وهو يصيح صياحاً شديداً، يوهم به من حضر أنه يريد الدعاء، وكان عندي، أنه تألم وتوجع وتأوه. ثم نزل، فأقبل يدعو، ويقول للعامة: أنا أرجو أن أجيئكم بعد أيام، بسباع الأجمة، أقودها بأذاها. فحملناه معنا إلى منزلنا، واغتسل بماء حار، وتذلك، وبخرناه، وأقام عندنا يومه. فسألناه عن سبب ذلك.

فقال: من أطاع الله، أطاعه كل شيء، فأمسكنا عنه.
فلما كان بعد أيام، جاء جماعة من أهل الأنبار، فقالوا: نحن نغلي الزيت، ونعمل كما عمل، ونغلي القار،
ونأخذ من القدر بأيدينا حاراً.
قال فجمعناهم بحضرته، فعملوا ذلك، فأبلس، وقال: هذا، إنما لحقتكم بركتي.
وهرب من البلد غد.
فسألنا الذين عملوا ذلك، فقالوا جربنا على أنفسنا، وتصبرنا كما يصبر الواحد منا على الماء الحار الشديد
الحرارة في الحمام، ولا يصبر عليه آخرون.
ويشبه هذا، ما أخبرني به أبو أحمد بن أبي سلمة العسكري، أحد الشهود بها، إنه شاهد رجلاً، يدخل يده في
قدر السكر الحار، ويخرج منه ما طرحه في الظروف.
وأخبرني أبو الطيب، إنه رأى الشبلي الصوفي، يدخل يده في طنجر حار، فيه فالودج حار مغلي، فيأخذ منه
اللقم، فيأكلها.
قال: وهذا أشد ما شاهدته، وفعل ذلك مراراً.
فقال له في بعضها، صوفي كان حاضراً: ويحك اعمل أن في يدك كشتبان، حلقك مصهرج؟

الشبل يتواجد

قال: وكان الشبلي ينتف شعر رأسه، وكانت لهذا الشبلي، عجائب وحكايات، منها، ما من الوزير أبي محمد
المهلي، قال: اجترت بغداد. في بعض طرقها، فرأيت الناس مجتمعين على رجل طريح.
فقلت: ما هذا؟ فقالوا: الشبلي جاز الساعة على هذا الهراس، ومناديه يقول: إلى كم تغلط؟ فتواجد،
وصاح حتى أغمي عليه.
قال: فمضيت، وعجبت من جهله.
فرأيت بعض الصوفي، فأخبرته الخبر، وقلت له: ويحك، أيش في هذا، حتى يصيح الشبلي منه، ويتواجد؟
فقال: يعتقد أن الله تعالى كلمه على لسان المنادي.
فقلت: هذا أظرف، لو كان بخذاء المنادي مناد الهراس آخر، يصيح مثل صياحه، إلى كم تغلط، أيهما كان
كلام الله؟ فقال: الجواب عليه في هذا.

إذا عتق الشمع عشرات السنين

ثم استعمل أبطأت النار فيه

ومن الأخبار المفردات أيضاً، ما أخبرني به أبو الحسين بن عياش، قال: دعانا أبو الطيب بن أبي جعفر الطائي
مع أبي القاسم سليمان بن الحسن، وابنه أبي محمد، دعوة أنفق فيها مائتي دينار، وأظهر من الآلات، ونعم
المروءة، كل شيء حسن طريف غريب فاخر.

وكان أحسن ما شاهدنا له شمعتين موكبتين فيهما ثلاثون أو أربعون مناً، في تورين كبيرين، نصيهما في وسط المجلس، وفرق الشموع الصغار حواليهما.

فكان الفراشون إذا أرادوا قط الشمعتين، تطاولوا شديداً، حتى يقطعوهما.

وكان لون الشمعتين غير مريح يضرب إلى البياض، مما قد عشب عليهما من التراب.

وجلسنا إلى قريب من الغداة، وهما تتقدان في ليلة شتوية، ونمنا، وانتبهنا، وهما تتقدان، فظرت فإذا الذي اتقد من كل واحدة منهما، أصابع يسيرة، وهما بحالهما.

قال: فما تمالككت، أن سألته، فيما بيني وبينه، عن سبب ذلك.

فقال: هما عندي، وعند أبي من قبلي، منذ خمسين سنة، ما استعملناهما.

وعندنا شمع كثير هذا سبيله، تعمداً تعتيقه، لأنه بلغ أبي أن الشمع إذا عتق عشرات سنين، ثم استعمل، كان ما يحترق منه هذا القدر، ونحوه.

فعتق شمعاً كثيراً، ونسيه، ومات، وتشاغل بعدة عن استعماله سنين، فلما احتفلت لهذه الدعوة الآن، ذكرت الشمع العتيق الذي في خزاننا، فأخرجت هاتين منه، وكان من أمرهما ما رأيت، وصحت التجربة لنا فيهما.

حجاء يحجم بالنسيئة إلى الرجعة

أخبرنا أبو الفرج الأصهباني، قال: أخبرنا أبو بكر يموت بن المزرع، قال: سمعت أبا عثمان الجاحظ، يحدث: أنه رأى حجاجاً بالكوفة، يحجم بنسبة إلى الرجعة، لشدة إيمانه بها.

آذان رجل من القطيعة

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني. قال:

سمعت رجلاً من القطيعة، يؤذن: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمد رسول الله،
أشهد أن علياً ولي الله، محمد وعلي خير البشر، فمن أبأ فقد كفر، ومن رضي فقد شكر، ضربت هند على
ابن عمر، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.
وهذا عظيم مفرط، ونستغفر الله منه، ونستعذ به من الجهل.

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ الحنابلة يبنون مسجداً ضاراً

أخبرني جماعة من البغداديين: إن الحنابلة بنوا مسجداً ضاراً، وجعلوه سبباً للفتن والبلاء.

فتظلم منه إلى علي بن عيسى، فوقع في ظهر القصة.

أحق بناء بهدم، وتعفية رسم، بناء أسس على غير تقوى من الله، فليلحق بقواعده، إن شاء الله تعالى.

أبو عبد الله الكرخي آية

في سرعة الحفظ

حدثني أبي رضي الله عنه، قال: حدثني أبو عبد الله المفجع، قال: أنشدت أبا محمد القاسم بن محمد الكرخي، قصيدة طويلة مدحته بها، فلما استتمتها، خرج ابنه أبو عبد الله جعفر بن القاسم من خيش كان في صدر المجلس الذي كنا فيه، فقال: يا شيخ، ألا تستحي، تمدحنا بقصيدة ليست لك، تدعيها؟ قال: ولم أكن أعرف خبره في سرعة الحفظ، فقلت: أعيذك بالله يا سيدي، والله ما قالها غيري. فقال: سبحان الله، هذه علمنيها المعلم في المكتب من كذا وكذا سنة، وابتدأ حتى مضى في جميعها، ما أدخل بيت واحد، وكانت فوق الخمسين بيتاً.

فأسقط في يدي، فخرجت، واندفعت أحلف، بالطلاق والعناق، أنها لي، وأنا لا أدري من أتيت. فلما رحمني القاسم قال: يا هذا لا تقلق، فأنا أعلم أنك صادق، ولكن أبا عبد الله لا يسمع شيئاً ينشد، طويلاً ولا غيره، إلا حفظه في دفعة واحدة حين يسمعه، وإنه حفظها لما أنشدتنا إياها. وأجازني، وانصرفت.

أبو عبد الله الكرخي

يحفظ جماعة تحتوي على ارتفاع فارس حدثني أبي رضي الله عنه: أن جماعة كان عملها جعفر بن القاسم، تحتوي على ارتفاع فارس، أو ناحية من فارس، الشك مني، ومشايخ الناحية، ومعاملاتهم، وخراجها، وما أدي، وما بقي، ودخل ذلك، وخرجه، وكان يرفع حسابها إلى الوزير. فطلبت الجماعة منه، ففقدت.

فقال جعفر: لا عليكم، وأملأها من حفظه في الحال بحضرة والوزير، ورفع الحساب عليها. ثم وجدت الجماعة، فوجدت موافقة لها حرفاً بحرف، إلا في باب واحد، فإنه جاء به مقدماً ومؤخراً.

نادرة عن شخص آخر

آية في سرعة الحفظ

حدثني أبو القاسم عبد الله ابن محمد ابن عثمويه الكاتب، قال: حدثني الكرمانى كاتب كان لأبي بكر ابن الصيرفي، صاحب الجيش، قال: أنفذني صاحبي لأنفق في رجال أبي محمد جعفر ابن محمد ابن وراق، فأنفقت فيهم، واستفضلت أنا وكاتب لأبي محمد، والجهيد، والنقيب، نحو عشرة آلاف درهم. فقالوا: ندخل في موضع، ونتحاسب، ونقسم.

فدخلنا مسجداً حيال دار أبي محمد، ولم نر فيه إلا رجلاً عليلاً نائماً، كأنه سائل، فحقرناه. وأخذنا نتحاسب، ونقول: وصل إلينا من رزق فلان الساقط كذا، وفلان البديل كذا، ومن الصرف كذا، ومن فضل الوزن كذا، ومن كذا كذا، إلى أن حصلنا مبلغ الفضل، وما يخص كل واحد منا. فأقبلنا نرن، فشال العليل رأسه، وقال: يا أصحابنا، أخرجوا لي قسطاً.

فقلنا: ومن أنت؟ قال: أنا رجل من المسلمين، قد سمعت ما كنتم فيه.

فقلنا: هو ضعيف، أعطوه خمسة دراهم.

فقال: لا أريد إلا قسطاً صحيحاً بالسوية، مثلما يأخذه أحدكم.

فاستخففنا به.

فقال: لا عليكم، إما أعطيتموني ما التمس، وإلا جلست الساعة في سميرة، ومضيت إلى أبي بكر الصيرفي،

وقلت: إنكم أخذتم باسم فلان الساقط كذا، وباسم فلان البديل كذا وكذا.

قال: فأعاد جميع ما قلنا وتحاسبنا عليه، حتى ما أدخل بحرف واحد منه، فأقل ما يعمل بكم، إذا لم يصرفكم

ويؤذيكم، أن يرتجع منكم ما سرقتم.

فنظرنا إلى ما قاله فوجدناه صحيحاً، فرمنا منه أن يقتصر على بعض ما طلبه.

فقال: لا والله إلا بقسط كما يأخذ أحدكم.

فلم نجد من دفع ذلك إليه بد، فدفعنا إليه قسطاً، مثلما أخذه واحد منا. فأخذه وافترقنا.

والد المؤلف يحفظ قصيدة تشتمل

على ستمائة بيت في يوم وليلة حدثني أبي رضي الله عنه، قال:

سمعت أبي رحمه الله ينشد يوماً، وسني إذ ذاك خمس عشرة سنة، بعض قصيدة دعبل الطويلة التي يفتخر فيها

بالمين، ويعدد مناقبهم ويرد على الكميت فخره بنزار، أولها:

أفيقي من منامك يا طعينة ... كفاني اللوم مر الأربعين

وهي نحو ستمائة بيت، فاشتبهت حفظها، لما فيها من مفاخر اليمين لأنهم أهلي.

فقلت: يا سيدي، تخرجها إلي حتى أحفظها، فدافعني، فألححت عليه.

فقال: كأني بك، تأخذها، فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت، ثم ترمي بالكتاب، وتخلقه علي.

قلت: ادفعها إلي.

فأخرجها، وسلمها إلي، وقد كان كلامه أثر في، فدخلن حجرة كانت برسمي في داره، فخلوت فيها، ولم

أتشغل يومي وليلتي بشيء غير حفظها.

فلما كان في السحر، كنت قد فرغت من جميعها، وأتقنتها، فخرجت إليه غدوة على رسمي، فجلست بين

يديه.

فقال: هي، كم حفظت من القصيدة؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها.

فغضب، وقدر أني قد كذبت، وقال لي: هاهاها.

فأخرجت الدفتر من كمي، وفتحته، ونظر فيه، وأنا أشد، إلى أن مضيت في أكثر من مائة بيت.

فصفح منها علة أوراق، وقال: أنشد من ها هنا.

فأنشدت مقدار مائة بيت آخر، فصفح إلى أن قارب آخرها بمائة بيت، فقال أنشدني من ها هنا، فأنشدته

مائة بيت منها إلى آخرها.

فهاله ما رآه من حسن حفظي، فضمني إليه، وقبل وعيني، وقال: يا الله، يا بني، لا تخبر أحداً بها، فأني أخاف عليك من العين.

مقدار ما حفظه والد المؤلف من الشعر

حدثني أبي رضي الله عنه، قال: حفظني أبي، وحفظت بعده، من شعر أبي تمام الطائي والبحري، سوى ما كنت أحفظه لغيرهما من الخدين من الشعراء، مائتي قصيدة.

قال: وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون: من حفظ للطائيين أربعين قصيدة، ولم يقل الشعر، فهو حمار في مسلاخ إنسان.

فقلت الشعر وسني دون العشرين، ثم بدأت بعمل مقصوري التي أولها:

لولا التناهي لم أطغ في النهي ... أي مدى يطلب من جاز المدى

حفظ القرآن في ستة أشهر

حدثني أبو عبد الله بن هارون التستري المقرئ رحمه الله، وكان أقام بمسجدنا بالبصرة، قال: أقيمت أحفظ القرآن سنين كثيرة، كلما بلغت إلى موضع، أنسيت الذي قبله، حتى كأني ما سمعته قط، فشق ذلك علي. فحججت، وتعلقت بأستار الكعبة، ودعوت الله تعالى، وسألته أن يعينني على حفظه.

ورجعت إلى البصرة، فلزمت التلقين، فحفظت القرآن في ستة أشهر على حرف أبي عمرو، ثم تعاطيت السبعة.

فما حال الحول علي، إلا وقد أحكمت أكثرها.

من أقوال الصوفية

بلغني عن بعض الصوفية، إنه قال: الاستغفار صابون المعاصي، والشكر لله عز وجل سفتحة الرزق، والصلاة جوارشن المعدة، والصوم ريباس البدن، واليقين الرأس الأكبر.

وعن بعضهم، من أهل زماننا: المعرفة بالله، دليل لا ضيعة معه، والعمل الصالح، زاد لا يخاف معه طول السفر.

ناصر الدولة الحمداني يتبع

وصية أبيه أبي الهيجاء

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد، قال: حدثني أبو اسحاق ابن أحمد القراريطي قال: حدثني ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن همدان، قال: كان أبي أبو الهيجاء شديد الانحراف عني أول نشوي، لما يراه من الفضل في، وخوفه مني على أعماله.

فكان يغض مني، ويتجافني، ويمسك يده عني، فأتحمل ذلك، وأصبر عليه. فولي طريق خراسان، فجلس يعرض دوابه، فبقي منها خمسين دابة، ما بين زمن وأعجف، إلى غير ذلك. ثم قال: يا حسن، أريد أن أخرج بعد شهرين إلى العمل، وهذه الدواب مسلمة إليك، وقد رددت أمرها إليك، لأجربك بها في الأمور الكبار. فإن قمت بها حتى تصح وتبرأ وتسمن، وكان فيك فضل لذلك، علمت أنك تصلح لما هو فوقه، وإن لم تصلح على يدك، فهو أول عمل رددته إليك من أمري وآخره، فعجبت من أن أول عمل أهلي له، أن أكون سائس دواب، ولم أجد بداً من الصبر. فقلت: السمع والطاعة.

وأخذت الدواب، وأفردت لها اسطبلًا وجعلت لنفسي فيها دكة، واستأجرت لها سواسًا، وأدرت أرزاقهم، وطالبت بأشد الخدمة، وكنت أحضر أمر الدواب دفعات في اليوم، حتى توقع وتعالج وتسمن، وأفردت بياطرة فرهاً لذلك.

فما مضى عليها إلا شهر وأيام، حتى صحت وسمنت، وصارت على غاية الحسن. وأزف خروجه، فقال لي: يا حسن ما فعلت بتلك الدواب؟ فقلت: قم إلى الإسطل حتى تراها.

فقام، فرآها في غاية الحسن، فسر بذلك، وأعجبه، وأثنى علي، وقال: يا حسن، هوذا أعلمك بدل قيمك بهذا الأمر شيئاً تنتفع به، وفيه قضاء لحقك، بقدر ما أتعبتك فيه. فقلت: قل، يا سيدي.

قال: إذا رأيت السلطان قد رفع من أهلك رجلاً، أو الزمان قد نوه به ورأسه، فإياك أن تحسده، وتشغل نفسك بعداوتة، فإنك تتعب، ولا تصل إلى فائدة، وتسقط أنت، ولا يضر هو، وتغنم أنت، ولا يتأذى هو، وتغض من نفسك بغضك من رجل صار كبيراً من أهلك، فإنه ما ارتفع إلا بآلة فيه، يدفعك بها، أو إقبال يدفعك عنه، واجهد أن تخدمه، وتصافيه الود، ليكون ذلك الفضل الذي فيه، فضلاً لك، وذلك الفخر راجعاً إليك، وتتجمل بشنائه عليك، وإطرائه لك، وتصير أحد أعوانه، فإنه أحسن بك من أن كون من أعوان غيره ممن ليس من أهلك، ويراك الناس عنده وجيهاً، فيكرمونك له، فإن كان له منزلة من السلطان جاز أن تصل إليها باستخلافاً إياك عليها، وانتقاله إلى ما هو أكبر منها، وكذلك إن كانت منزلته من غير سلطان، فلا تقل أنا أقعد منه في النسب، وأني خير قرابته، وهذا أمس كان وضعاً، وكان دوننا، فإن الناس بأوقاتهم.

فقلت: نعم يا سيدي.

قال: ثم أقبل علي، وونسني، وولد لي في نفسه، القيام على تلك الدواب، منزلة.

فقال: أخرج معي إلى العمل.

وخرج فخرجت معه، وكنت أسايره إلى حسر النهروان وأحداثه، فولد ذلك الانبساط في نفسي طمعاً فيه، وأن أسأله شيئاً.

فذكرت بجسر النهروان، أن له ضيعة جلييلة عظيمة، بنواحي الموصل، يقال لها: النهروان، كنت أشتهيها. فقلت له: يا سيدي قد كثرت مؤونتي، وتضاعفت نفقتي، فلو وهبت لي النهروان ضيعتك، لأستعين بغلتها على خدمتك، ما كان ذلك منكراً.

قال: فحين سمع هذا، تغيظ غيظاً شديداً، وأقبل يشتمني أقبح شتيمة، وقال: يا كلب، سمت بك نفسك إلى أن تمتلك النهروان؟ وقنعني بالسوط الذي كان في يده، وهو مفتول كالمقرعة، فوقع السوط على وجهي، فشججه من أوله إلى آخره، وأحسست بالنار في وجهي، وورد ذلك على غفلة، فتدخلني ألم عظيم، وغيظ مما عاملني به الألم.

وقلت في نفسي، ما كان هذا جوابي، وقد كان يقنعه أن يردني، ولكن نيته لي فاسلة بعد. وقصرت عن مسابرتي، ولحقني غلماني، فوقفوا معي ساعة، حتى صلحت قليلاً، وسار هو، ففتلت رأس دابتي، وأنفذت من رد بغلين كانا لي في السواد، عليهما قماش وثيابي وغلماني، ورجعت أريد بغداد، وأنا وقيد من الألم والغيظ حتى وردت بغداد.

وكان الوزير إذ ذاك علي بن عيسى، وهو في غاية العناية بأبي، وهو قلده العمل، وكان يحبني، ويكرمني، ويخصني، ففكرت أن أدخل إليه، أشكو أبي، وأريه الأثر الذي بي. فقصدت دارنا، فأدخلت البغلين والقملش إلى الدار، ولم أنزل، وتوجهت إلى دار الوزير. فحين نزلت عن دابتي، وصرت في الصحن، ذكرت وصية أبي لي في أمر الأهل، وندمت على دخول دار الوزير، وقلت: لأن أقبل الوصية في أبي، أولى من قبولها في الأهل، فعملت على أن أغالط الوزير، ولا أعرفه.

وجئت فسلمت على الوزير، ووقفت بين يديه، ولم تكن عادي تجري بالجلوس بحضرته. فحين رأي أعظم الأثر الذي في وجهي، وقال: ما لحقك؟ وأنكره، لأنه كان قبيحاً جداً.

فقلت: لعبت بالصولجان والكرة، فأفلتت، فضربت وجهي.

فقال: أليس كنت قد خرجت مع أهلك، فلم رجعت.

فقلت: خرجت مشيعاً، فلما بعد، عدت لألزم خدمة الوزير.

قال: فأخذ يسألني عن مسير أبي، فإذا بأبي قد دخل، وإذا هو لما رجعت من الطريق، وبلغه خبر رجوعي قد اغتاظ، فرجع، إما ليردني، أو ليقبض علي، وجاء إلى داره، فعرف أنني لم أنزل، وأني توجهت إلى دار الوزير، فلم يشك في أنني قد مضيت أشكوه.

فجاء، فوجدني أحاطبه، فتحقق ذلك عنده، فجلس.

فقال له الوزير: ما ردك يا أبا الهيجاء؟ فقال: أيها الوزير، ما هذا حق خدمتي لك، ومنا صحي إياك، واقطاعي إليك، وأخذ يعتب على الوزير أعظم عتب، وأنا قائم، ساكت، أسمع.

فقال له الوزير: ما هذا العتب علي؟ أي شيء عملت؟ فقال: تمكن هذا الكلب من ذكري بحضرتك،

والتبسط في.

فقال: من تعني؟ فقال: الحسن، هذا القائم، فعل الله به وصنع.

فقال له الوزير: يا هذا قد وسوست، أي شيء كان أول هذا؟ والله، ما نطق هذا الفتى في أمرك بحرف، ولا سمعت قط ذكرك بما يوجب عتياً عليه، وكيف علي في تمكيني منه، ولو فعل ذلك، لغض بي عندي من نفسه.

فاستحيا أبي، وعلم أني لم أخاطب الوزير بشيء، وأمسك.

فقال له الوزير: لا بد أن تحدثني بما بينكما، فإنك ما حملت نفسك على الرجوع، إلا لأمر عظيم، وهو ذا أرى الحسن أيضاً به أثر قبيح، وقد سألته، فقال: إن كرة أفلتت من يدي غلمان ضرب معهم بالصولجان فأصابت وجهه، فوقع لي أنه صادق، فلما جئت الآن، وقدرت أنه قد شكاك، وقع لي إن هذا شيء من فعلك، ولا بد أن تصدقني.

قال: قصص عليه أبو الهيجاء القصة، كما جرت.

فأقبل عليه علي بن عيسى، وقال: أما تستحي يا أبا الهيجاء، أن يكون هذا قدر حلمك عن ابنك، وأكبر ولدك؟ فإذا كنت بهذا الطيش معه، فكيف تكون مع الغريب؟ وأي شيء كان في مسألتك لك أن تهب له ضيعة؟ ولو فعلت ذلك، ما كان ذلك بدعاً من بر الآباء بأولادهم. ولما لم تسمح له بذلك، قد كان يجب أن ترده رداً جميلاً، أو قبيحاً إذا اغتظت، وأما أن تبلغ به ضرب السياط، آه، آه.

قال: وزاد عليه في العتب والتوبيخ، وهو مطرق مستحي.

حتى قال له: وليس العجب من هذا، حتى رجعت من عملك، غيظاً عليه، وقدرت أنه قد شكاك إلي، وأني أطلق له أن ينقصك، فجئت عاتباً علي، لوهم توهمته فيه.

قال: فأخذ أبي يعتذر إليه من ذلك.

فقال: والله، ما أقبل عذرک، ولا تنغسل عن نفسي هذه الآثار، إلا بأن تشهد لحسن بالضيعة، وتهبها له، جزاء عن ظلمك إياه.

فقال: السمع والطاعة لأمر الوزير.

فقال لي علي بن عيسى: انكب على رأس أبيك ويده فقبلهما.

قال: ففعلت ذلك.

وجذب علي بن عيسى دواته ودرجاً، فأعطاهما أبا الهيجاء، وقال: اكتب له بالضيعة، إلى أن تشهد، فكتب أبي بالضيعة لي.

وقال الوزير: خذ، خذ، فإذا عاد إلى البيت، فاكتب عليه العهد بالوثيقة، وأشهد عليه جماعة من العدول، فإن امتنع عرني حتى أطالبه لك بذلك.

قال: وخرجنا ونحن مصطلحون.

فلما صرنا في الدهليز، قال أبي: يا حسن أنا علمتك على نفسي، بالوصية التي وصيتك بها، كأني بك وقد

جئت لتشكوني، فلما صرت في الدهليز ذكرت وصيتي لك، فقلت: لأن أستعملها مع أبي، أولى بي، فلما صرت في مجلس الوزير، قلت له ما قلت، ولم تشكني إليه.

قلت: والله يا سيدي كان.

فقال: إذا كان فيك من الفضل ما قد حفظت معه وصيتي، في مثل هذه الحال، فما ترى بعدها مني ما تكرهه.

فقبلت يده، وعدت معه إلى دارنا.

فسلم إلي الضيعة، وأشهد بها لي، وصلحت نيته بعد ذلك، واستقامت الحال بيننا. وكان قبول تلك الوصية أبرك شيء علي.

بين ابن أبي البغل عامل أصبهان

وأحد طلاب التصرف

حدثني أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني، كتاب الأمير أبي حرب، سند الدولة، الحبشي بن معز الدولة، ومحلّه من النبل والجلالة والثقة والأدب، والعلم، مشهور، قال: كان أبو الحسين بن أبي البغل، يتقلد بلدنا، فأخبرني من حضر مجلسه، فقد دخل إليه شيخ قدم من بغداد، بكتب من وزير الوقت، ومن جماعة رؤساء الحضرة، وإخوان أبي الحسين بها، يخاطبونه بتصريفه ونفعه.

فسلم وجلس، وأصل الكتب، وصادف منه ضجراً وضيق صدر، وكانت إضرابة عظيمة، فاستكثرها بن أبي البغل، ولم يقرأها جميعها.

فقال له الرجل: إن رأيت أن تقرأها، وتقف على جميعها.

فصخب، وتغيظ، وقال: أليس كلها في معنى واحد؟ قد والله بلينا بكم يا بطالين، كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفاً، لو كانت خزائن الأرض إلي، لكانت قد نفذت.

ثم قال للرجل: يا هذا، ما لك عندي تصرف، ولا إلي عمل شاغر أردّه إليك، ولا فضل في مالي أبرك منه فدبر أمرك بحسب هذا.

قال: والرجل ساكت جالس، إلى أن أمسك ابن أبي البغل.

فلما سكت، ومضت على ذلك ساعة قام الرجل قائماً، وقال: أحسن الله جزاءك، وتولى مكافأتك عني بالحسنى، وفعل بك وصنع.

قال: وأسرف الرجل في شكره، والدعاء له، والثناء عليه، بأحسن لفظ، وأجود كلام، وولى منصرفاً.

فقال ابن أبي البغل: ردوا من خرج.

وقال له: يا هذا، هو ذا تسخر مني؟ على أي شيء تشكركني؟ على أياسي لك من التصرف، أو على قطع

رجائك من الصلة، أو على قبيح ردي لك عن الأمرين، أو تريد خداعي بهذا الفعل؟

قال: لا، ما أردت خداعك، وما كان منك من قبيح الرد، غير منك، فإنك سلطان، ولحقك ضجر.
ولعل الأمر على ما ذكرته من كثرة الواردين عليك وقد بعثت بمن حضر، ونحوسى أن صار هذا الرد
القبيح، والأيسر الفطيع، في بابي.

ولم أشكرك إلا في موضع الشكر، لأنك صدقتني عما لي عندك في أول مجلس، فعتقت عنقي من ذل الطمع،
وأرحني من التعب بالغدو والرواح إليك، وخدمة من أستشفع بهم عليك، وكشفت لي ما أدبر به أمري،
وبقية نفقتي معي، ولعلها تقوم بتجملي، الذي أتجمل به إلى بلد آخر، فإنما شكرتك على هذا، وعذرتك فيما
عاملتني به، لما ذكرته أولاً.

قال: فأطرق ابن أبي البغل خجلاً، ومضى الرجل.
فرفع رأسه بعد ساعة، وقال: ردوا الرجل، فردوه.
فاعتذر إليه، وأمر له بصلة، وقال: تأخذها إلى أن أقفلك ما يصلح لك، فإني أرى فيك مصطنعاً.
فلما كان بعد أيام قلده عملاً جليلاً، وصلحت حال الرجل.

ابن أبي البغل يأمر بإشخاص

أحد عماله لكي يقطع سحاة كتاب

حدثني أبو القاسم، قال: كانت في أبي البغل، منافرة ومناكدة.
فورد عليه يوماً، كتاب من عامل له، من بلد بينه وبينه فراسخ كثيرة، وقد سحاه بسحاة غليظة. واجتهد
أبو الحسين في قطع السحاة بيده، وجهد جهداً شديداً، فما كان له إلى ذلك طريق، فترك الكتاب، ووقع
بإشخاص العامل، ومضى اليوم.
فلما كان بعد أيام، قدم العامل، فلما جلس بين يديه، قال لصاحب الدواة: أين ذلك الكتاب الذي ورد منه
بالأسحاة الغليظة؟ فأحضره.

فقال له: اقطع هذه الأسحاة.
فراهما العامل، فلم يكن فيها حيلة، فأخذ سكيناً من دواة بعض الكتاب بحضرته، فقطعها.
فقال له: ارجع الآن إلى عملك. فإنما دعوتك لتقطع هذه الأسحاة.
وأعلمك أنك في أي وقت سحيت كتاباً لك بمثلها، أي أستحضر لك لتقطعه.
فرده في الحال إلى عمله، وما تركه أن يقيم ولا ساعة، ولا سألته عن شيء من أمره.

لابن بشير الآمدي يهجو قاضي البصرة

كان قد ولي القضاء بالبصرة، في سنة ست وخمسين وثلثمائة، رجل لم يكن عندهم بمنزلة من صرف به، لأنه
ولي صارفاً لأبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، فقال فيه أبو القاسم الحسن بن بشير الآمدي، كتاب
القاضيين أبي القاسم جعفر، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد:

رأيت قلنسية تستغيث ... من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قلقت فهي طوراً تميل ... من عن يسار ومن عن يمين
فقلت لها أي شيء دهاك ... فردت بقول كتيب حزين
دهاني أن لست في قلبي ... وأخشى من الناس أن يبصروني
وأن يعثوا بمزاح معي ... وإن فعلوا ذاك بي قطعوني
فقلت لها مر من تعرفين ... من المنكرين لهذا الشأن
ومن كان يشهق أما رآك ... ويخرج من جوفه كالرنين
ومن كان يصفع في الله لا ... يمل ويشتد في غير لين
ويسلح ملاك كيلا التمام ... إما على صحة أو جنون
ففارقتها ذلك الانزعاج ... وعادت إلى حالها في السكون

أبو ريش الشاعر يعاتب الوزير المهلي

أنشدني أبو ريش أحمد بن أبي هاشم القيسي - ومحلّه من علم اللغة والشعر، الخلل المعروف - لنفسه في أبي
محمد المهلي، وكان امتدحه، فتأخرت عنه صلته، وطال إليه ترده، على ما أخبرني به أبو ريش.
قال: فقلت:

وقائلة قد مدحت الوزير ... وهو المؤمل والمستماح
فماذا أفادك ذاك المديح ... وهذا الغدو معاً والروح
فقلت لها ليس يدري امرؤ ... بأي الأمر يكون الصلاح
علي التقلب والاضطراب ... جهدي وليس علي النجاح

بين أبي العباس بن دينار

وأبي يحيى الرامهرمي

سمعت أبا يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الرامهرمي، يحدث أبي، قال: كان أبو العباس عبيد الله، صديقي،
كما علم القاضي وكان مقيماً عندنا برامهرم.
فلحقته إضاقه، فضيق على عياله، فأنفذوا إلى أساورة ودماج وخلاخل ذهب، واقترضوا عليها ثلثمائة
دينار، فأقرضتهم.

ومضت شهور، وجاء الديلم يريدون البلد، وخرج بجكم إليهم، فتهارب الناس منهم، وعملنا على الهرب
مضى أنهم بجكم، فما كان بأسرع من أن جاءنا منهزماً، فطار الناس على وجوههم.
وقال أبو العباس لخرمه: اخرجوا، فتباطؤوا بسبب حليهن.

فلما زاد عيه الأمر، دخل، فقال: ما لكم؟ إن كنتم قد صادقتم صديقا، فأقيموا، وعرفوني لأهرب وحدي، وإن كنتم اتخذتم حبة فاحملوها معنا، وإلا فالسيف قد لحق بنا، فما هذا التباطؤ عن الهرب، لندرك. فحدثوه بحديث الحلبي ورهنه، فكتب إلي: " بسم الله الرحمن الرحيم " يا أبا يحيى، جعلت فداك، سللت الجواري حليهن فلم تدع ... سواراً ولا طوقاً على النحر مذهباً فاستحييت منه، وبعثت بالحلي، فأخذه، ورحل بجواريه، ورحلنا. ودخل الديلم البلد.

حجر خاصيته طرد الذباب

حدثني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي، قال: حدثني رجل خراساني من بعض أصحاب الصنعة، ممن كان يعرف الأحجار الخواصية، قال: اجتزت برهداري بمصر، فرأيت عنده حجراً أعرفه، يكون وزنه خمسة دراهم، مليح المنظر، وقد جعله بين يديه في جملة قماشه. وكنت أعرف أن خاصيته في طرد الذباب، وكنت في طلبه منذ سنين كثيرة. فحين رأيته ساومته فيه، فاستلم علي به خمسة دراهم، فلم أماكسه ودفعتهإ إليه صاحبا. فلما حصلت في يده، وحصل الحجر في يدي، أقبل يطنزي، ويسخر مني. ويقول: يجون هؤلاء الحمير، لا يدرون أيش يعطون، ولا أيش يأخذون، والله، إن هذه الحصاة رأيته منذ أيام مع صبي، فوهبت له دائق فضة، وأخذتها، وقد اشتراها هذا الأحقق مني بخمسة دراهم. فرجعت إليه، وقلت له: يجب أن أعرفك أنك أنت الأحقق، لا أنا. قال: كيف؟ قلت: قم معي، حتى أعرفك ذلك.

فأقمته ومضيئا حتى اجتزنا بكسار يبيع التمر في قصعة، والذباب محيط بها. فنحيت الرجل بعيداً من القصعة، وجعلت الحجر عليها، فحين استقر عليها طار جميع الذباب. وتركته ساعة، وهي خالية من ذبابة واحدة فما فوقها، ثم أخذت الحجر فرجع الذباب، ثم رددته، فطار الذباب. ففعلت ذلك ثلاث مرات، ثم خبأت الحجر. وقلت: يا أحقق، هذا حجر الذباب، وأنا قدمت في طلبه من خراساني، يجعله الملوك عندنا على موائدهم، فلا يقر بها الذباب ولا يحتاجون إلى مذبة، ولا إلى مروحة، والله، لو لم تبغني إياه إلا بخمسمائة دينار، لا شترته منك.

قال: فشقق شهقة، قدرت أن تلف، ثم أفاق منها بعد ساعة، وافترقنا. وخرجت بعد أيام إلى خراسان والحجر معي، فبعته على نصر بن أحمد أميرها بعشرة آلاف درهم.

يوسف بن وجيه صاحب عمان

يذعن لحكم مستشاريه

حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد العسكري، قال: كان عندنا بعسكر مكرم شيخ أصبهاني مشهور يعرف بالكافوري، يتجر في الجوهر، وكان حسن البصيرة بما.

فأخبرني إنه اشترى فصين، وباعهما مالكهما على أنهما بجاذيان، ولم يعرفهما، قال: فعرفتهما أنا، وعلمت أنهما بلخش، وهو جنس يشبه الياقوت الأحمر، فاشتريتهما منه بثلاثمائة درهم، وجلوتهما بالبصرة، فخرج لهما من الماء أمر عظيم.

واتفق أن خرجت إلى عمان، وهما معي، فعرضتهما على يوسف ابن وجيه، الأمير، وادعيت أنهما ياقوت أحمر، فعرضتهما لكل جوهرى، فكانوا يصدقونني.

فابتاعهما مني، بعد خطوط طويلة ومراوضات، بخمسين ألف درهم، وقبضت الثمن. ثم شك فيهما، فأحضرنى، وطالبني بالمال.

فقلت: إن كنت تريد أخذ المال باليد والقدرة، فأنت السلطان مالي بك قوة، وإن كنت تريد أخذه بحجة، فبيني وبينك أهل الصنعة.

فقال: ليس بعمان من أثق بعلمه.

فقلت له: فسرديب قريبة منك، وهي المعدن فأنفذهما إلى هناك، فإن قيل إنهما ليسا ياقوت، رددت المال. ووضعت في نفسي أن أتجر في المال، إلى أن ينكشف الأمر، فأربح فيه مالاً، ثم أرد عليه أصل ماله. قال: فضمنني المال على الشرط والمقام، وأنفذ الفصين.

فلما كان بعد سنة، أو قريباً منها، أحضرنى، وأخرج كتباً إليه من وكيله هناك، يذكر فيها أنه جمع أهل الصنعة بسرديب كلهم، وعرض عليهم الفصين، فقالوا: هما ياقوت أحمر، إلا أنه فيه رخاوة، ولو كان أصلب من هذا، ما كان له قيمة، وأن هذا ياقوت ليس هو من هذا المعدن.

فقرأت الكتب.

فقال: رد المال.

فقلت: ما يلزمي، ما بعثك على أنهما من معدن سرنديب، أو غيره من المعدن، ولا على أنهما صلبان أو رخوان، وقد شهد أهل المعدن أنهما ياقوت، وقد نعوها بالرخاوة، وقالوا إنه لولا هذا العيب، ما كان لهما قيمة.

ولولا هذا العيب، ما بعثك بخمسين ألف دينار، وأنا تاجر، قد قصدت بلدك، فلا تظلمني.

فقال لمن بحضرته، ما تقولون؟ فقالوا: نحن معه.

فأفرج عني.

سلب دنانيه ثم استعادها بدرهمين

وحدثني أيضاً الحارثي، عمن حدثته، قال: سافرت في بعض الجبال، وكان معي دنانير خفت عليها، فأخذت قناة مجوفة، وجعلت في أنبوبة منها الدنانير، حتى امتلأت بها، فلم تجلجل، ولا جاء لها صوت، ثم صببت في

رأسها الرصاص الحار، حتى خفي أمرها، والتزقت، وجعلت فيها حلقة وسيراً، وكنت أمشي وأتوكأ عليها. فخرج علنا للصوص والأكراد، في عدة مواضع، وأخذوا كل ما كان في القافلة، ولم يعرض لي أحد. إلى أن خرج علينا آخر دفع، لصوص رجالة، فشلحونا، فرأى أحدهم عكازي، فاستملحها، وأخذها. فلحقني من الجزع عليها، بسبب الدنانير، أمر عظيم. فأخذ أهل القافلة، يتلهون بي، ويقولون: معنا من ذهب منه الأموال والأمتعة، ما قلق قلقك على خشبة، وأنا ممسك، لا أصرح بما كان فيها. قال: وتمادى السفر بنا، إلى أن وصلت إلى مقصدي، فبقيت منقطعاً بي، واحتجت إلى أن تصرفت ببديني في بعض المهن نحو سنة. فلما كان بعد سنة، اجتزت برهداري على الطريق، وإذا بين يديه قناة تشبه قناتي، وتأملتها فإذا هي هي، ورطلتها فإذا ثقلها بحاله. فقويت نفسي، وقلت للرجل: تبعني إياها؟ فقلت: نعم. فقلت: بكم. فقال: بدرهمين. ولم أكن أملك غيرهما، فقلت: أعطه إياهما على الله تعالى، فإن كان مالي فيها فقد فرت، وإلا أبلني عذراً بيّنين نفسي. فأعطيته الدرهمين، وأخذت العكاز، وصعدت إلى مسجد، وطلبت أشقى من بعض الأساكفة، وأصعدت به معي إلى المسجد، وشققت العصا، فإذا بدنانيري قد خرجت علي بعينها. فأخذتها، ورميت القناة، وحمدت الله تعالى على حفظ ذلك علي. وانصرفت فتجهزت، وخرجت إلى بلدي بتجارة ومير.

امرأة تدعي أن زوجها كان

يعشق السراويلات

حدثني أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب، قال: مات عندنا بالأنبار، فلان، وأسماء، وكان عظيم النعمة، وافر المروءة، كثير الثياب، وكان لكثرتها، يحصل كل فن منها في عدة صناديق. وكانت دراريعة الديقية مفردة، والدراريع الديياج مفردة، وكذلك القمص، والسراويلات، والجباب، والطيلس، والعمام. قال: وكان له بنو عم ورثوه، وأم ولد قد تزوجها. فلما مات، أخرجت جميع آلاته، وقماشه، وثيابه، إلا اليسير، من الدار، فخباته. وذهب عليها صناديق السراويلات، فلم تخرجها، وجاء بنو العم، فختموا على الخزان. فلما انقضت المصيبة، فتحوها، فوجدوها أخلت من فؤاد أم موسى، فخاصموها إلى قاضي البلد، فلم تنقطع

الخصومة.

فدخلوا الحضرة، وتظلموا منها فأشخصت، وجملت إلى القاضي أبي جعفر بن البهلول، ووقع إليه بالنظر فيما بينهم على طريق المظالم. فحضرُوا عنده وأخذ يسألهم عن دعواهم، وهي منكورة جميعها. فقالوا له: أيها القاضي، فلان أنت أعرف الناس بعظم مروءته وثيابه، وما كنت تشاهده له، وكله كان في يدها له.

وساعة مات ختمنا خزانته، وهي كانت في الدار، ولما فتحناها لم نجد له فيها إلا عدة صناديق فيها سراويلات، وقطعاً يسيرة من ثيابه. فأين مضى هذا؟ ومن أخذه؟ وما السبب في عظم السراويلات وقلة الثياب؟ قال: فأقبلت الجارية محتدة، كأنها قد أعدت الجواب، فقالت: أعز الله القاضي، أما سمعت ما حكاه الجاحظ من أن رجلاً كان يعيش الهواوين، فجمع منها مائتي هاون، هذا كان يعيش السراويلات. قال: فضحك القاضي أبو جعفر، وانفض المجلس من غير شيء. فما انتصفوا منها بعد ذلك.

ينكر الدين، ويأبى أن يحلف اليمين

تقدم إلي رجلان، بالأهواز فادعى أحدهما على الآخر حقاً. فأنكره. فسألته، وقلت: أتخلف؟ فقال: ليس له علي شيء، فكيف أحلف؟ لو كان له علي شيء، حلفت له، وأكرمته.

بحث في الرباب بين القاضي وأحد العدول

سمعت القاضي أبا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، يقول:

كنت بحضرة القاضي أبي عمر، بعد قبوله شهادتي بمدة، على خلوة وأنس، فجرى حديث الملاهي. فقلت: فلان يضرب بالرباب. قال: فصاح علي القاضي أبو عمر، وقال: هاه، هوذا قمراً بنا، هوذا تنمس علينا؟ ما هذا الكلام؟ فقلت: ما هو أيد الله القاضي؟ فوالله، ما أدري أي قلت شيئاً يتعلق بما قاله القاضي. فقال: قولك يضرب، كأنك لا تعلم أن الرباب يمر حتى يسمع صوته، ولا يضرب به. فحلفت له بأيمان مغلظة أي ما علمت هذا، ولا رأيت الرباب قط. فقال: إن هذا أقبح، سبيل الصالح أن يعلم طرق الفساد ليجتنبها على بصيرة، لا على جهل. فعدت إلى دارِي، فقلت لسائس كان معي: ويلك اطلب لي رباباً. فطلبه، وجاء به، فجره بين يدي، فرأيتَه، فكان ما قاله أبو عمر صحيحاً.

القاضي أبو عمر يتردد في قبول

شهادة شاهد تظاهر بالانزعاج من رائحة الخمر

قال: واجتاز أبو عمر بطريق قد كسر فيه دن خمر، ومعه بعض الشهود، فقال الشاهد: شه، شه، أفيه، أفيه، فأمسك عنه.

فلما جاء في المجلس ليقيم شهادة لزمته، توقف عن استماعها، فقامت قيامة الشاهد، وطرح عليه من يسأله. فقال: هذا كذاب أو جاهل، فلا يسعني قبوله، وذكر حديث الخمر.

وقال: ليس تحريمها يقلب رائحتها من الطيب إلى النتن، حتى يقول هذا ما قاله، وما قاله إلا وهو يعلم أن رائحتها طيبة، فتمس وكذب، أو هو جاهل بهذا القدر، فلا أقبله.

قواد ابن قواد

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد، قال: حدثني بعض الكتاب، قال: سافرت وجماعة من أصدقائي، نريد مصر للتصرف.

فلما حصلنا بدمشق، كان معنا علة بغال، عليها ثقل وغللمان لنا، ونحن على دوابنا، أقبلنا نخرق الطرق لا ندري أين ننزل.

فاجتزنا برجل شاب، حسن الوجه والثياب، جالس على باب دار شاهقة، وفناء فسيح، وغللمان بين يديه وقوف.

فقام إلينا، وقال: أظنكم على سفر، ووردم الآن؟ فقلنا: نحن كذلك.

فقال: فتنزلون علي.

وألح علينا، وسألنا، فاستحيينا من محله، وحسن ظاهره، وهيبته، وحططنا على بابه، ودخلنا. وأقبل أولئك الغلمان، يحملون ثقلنا، ويدخلون الدار، ولا يدعون أحداً من غلماننا يخدمنا، حتى حملوه بأسره، في أسرع وقت.

وجاءونا بالطساس والأباريق، فغسلنا وجوهنا، وأجلسونا في مجالس حسنة، مفروشة بأنواع الفرش الذي لم نر مثله.

وإذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر، وفيها دور عدة، وبستان عظيم، وصاحب المنزل يخدمنا بنفسه. وعرض علينا الحمام، فقلنا نحن محتاجون إليه، فأدخلنا إلى حمام في الدار في نهاية السرو، ودخل إلينا غلامان أمردان وضيئان، في نهاية الحسن فخدمانا بدلاً من القيم والمزين، وأخرجنا من الحمام، إلى غير ذلك المجلس، فقدم إلينا مائدة حسنة جليلة، عليها من الحيوان، وفاخر الطيخ، والألوان، ونادر الخبز، وغريب البوارد، وكل شيء.

وإذا بغلمان مرد، في نهاية الحسن والزي، قد دخلوا إلينا، فغمزوا أرجلنا، فلاحقنا من ذلك، مع الغربة

وطول العهد بالجماع، عنت، فأمرناهم بالانصراف، وفيما من لم يستحل التعرض لهم، وتعفف عن ذلك، لنزولنا على صاحبهم.

ثم انتبهنا، فنقلنا إلى مجلس آخر على صحنين، في أحدهما بستان حسن، فأخرج إلينا من آلات النبيذ كل طريف ظريف، وأحضر من الأنبذة، كل شيء طيب حسن.

وشربنا أقداحاً يسيرة، ثم ضرب بيده إلى ستارة ممدودة، فإذا بجوار خلفها، فقال: غنوا، فغنى الجواري اللواتي كن خلفها، أحسن غناء وأطيبه.

فلما توسطنا الشرب، قال: ما هذا الاحتشام لأضيافنا أعزهم الله؟ أخرجن، وهتك الستارة.

قال: فخرج علينا جوار لم نر قط أحسن، ولا أملح، ولا أظرف منهن، من بين عوادة، وطنبورية، وكراعة، وربابية، وصناجة، ورقاصة، وزنافة، بتياب فاخرة وحلي، فغيننا، واختلطن بنا في المجلس والجلوس، وكان تجنبنا أشد، وانقباضنا أكثر، وضبطنا أنفسنا أعظم. فلما كدنا أن نسكر، ومضت قطعة من الليل، أقبل صاحب الدار علينا، وقال: يا سادة، إن تمام الضيافة، وحققها، الوفاء بشرطها، وأن يقيم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج إليه من طعام، وشراب، وجماع، وقد أنفذت إليكم نصف النهار بالغلمان، فأخبروني بعفافكم عنهم، فقلت: لعلهم أصحاب نساء، فأخرجت هؤلاء، فرأيت من انقباضكم عن مآزحتهن، ما لو خلوتم بهن، كانت الصورة واحدة، فما هذا؟

قلنا: يا سيدنا، أجللناك عن ابتدال من في دارك لهذا، وفيما من لا يستحل الدخول في الحرام. فقال: هؤلاء ممالككي، وهن أحرار لوجه الله إن كان لابد من أن يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة منهن، ويتمتع ليلته بها، فمن شاء زوجته بها، ومن شاء غير ذلك فهو أبصر، لأكون قد قضيت حق الضيافة.

فلما سمعنا هذا، وقد انتشينا، طربنا، وفرحنا، وصحنا، وأخذ كل واحد منا واحدة، فأجلسها إلى جانبه، وأقبل يقبلها، ويقرصها، ويمازحها.

فتزوجت أنا بواحدة منهن، وغيري ممن رغب في ذلك، وبعضنا لم يفعل.

وجلس معنا بعد هذا ساعة، ثم نهض.

فإذا بخدم قد جاءوا، فأدخلوا كل واحد وصاحبه، إلى بيت في نهاية الحسن والطيب، مفروش بفاخر الفرش، وفيه برذعة وطية سرية، فبخرونا عليها، ونومونا، والجواري إلى جنوبنا، وتركوا معنا شمعة في البيت، وما نحتاج إليه من آلة المبيت، وأغلقوا، وانصرفوا، فبتنا في أرغد عيش ليلتنا.

فلما كان السحر، باكرنا الخدم، فقالوا: ما رأيكم في الحمام؟ فقد أصلح، فقمنا ودخلناه، ودخل المرد معنا، فمنا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع عنه بالأمس.

وخرجنا، فبخرونا بالنند العتيق، وعطرونا بماء الورد والمسك والكافور، وقدمت إلينا المرايا المحلاة.

وأخبرنا غلماننا، إن صورهم في ليلتهم، كانت كهصورتنا، وإنهم أتوا بجواري الخدمة الروميات، فوطئوهن.

فأقبل بعضنا على بعض، نعجب من قصتنا، وبعضنا يخاف أن تكون حيلة، وبعضنا يقول: هذا في النوم نراه؟

ونحن في الحديث، إذ أقبل صاحب الدار، فقمنا إليه، وأعظمناه، فأخذ يسألنا عن ليلتنا، فوصفناها له،

وسألنا عن خدمة الجوّاري لنا، فحمدناهن عنده.

فقال: أيما أحب إليكم، الركوب إلى بعض البساتين للتفرّج إلى أن يدرك الطعام، أو اللعب بالشطرنج، والنرد، والنظر في الكتب؟ فقلنا: أما الركوب فلا نؤثره، ولكن اللعب بالشطرنج والنرد والدفاتر، فأحضرنّا ذلك، وتشاغل كل منا بما اختاره.

ولم تكن إلا ساعتين أو ثلاثة من النهار، حتى أحضرنّا مائدة كالماندة الأمسية، فأكلنا، وقمنا إلى الفرش، وجاء الغلمان المرد، فغمزونا، وغمزهم منا من كان يدخل في ذلك، وزالت المراقبة. وانتبهنا فحملنا إلى الحمام، وخرجنا فتبخرنّا، وأجلسنا في مجلسنا بالأمس.

وجاء أولئك الجوّاري، ومعهن غيرهن، ممن هن أحسن منهن، فقصدت كل واحدة، صاحبها بالأمس، بغير احتشام، وشربنا إلى نصف الليل، فحملن معنا إلى الفرش. وكانت حالنا هذه أسبوعاً.

فقلت لأصحابي: ويحكم، أرى الأمر يتصل، ومن الخال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عني، وقد استطبت أنتم مواضعكم، واقطعت عن سفركم، فما آخر هذا؟ فقالوا: ما ترى؟ قلت: أرى أن نفاتش الرجل، فننظر إيش هو؟ فإن كان ممن يقبل هدية أو برّاً، عملنا على تكريمته وارتحلنا، وإن كان بخلاف ذلك، كنا معتقدين له المكافأة في وقت ثان، وسألناه أن يحضرنّا من نكثري منه، ويبنرقنا ورحلنا. فتقرر رأينا على هذا. فلما جلسنا تلك العشيّة على الشرب قلت له: قد طال مقامنا عندك، وما أضاف أحد أحسن مما أضفتنا، ونريد الرحيل إلى مصر لما قصدناه، من طلب التصرف، وأنا فلان بن فلان، وهذا فلان، فعرفت نفسي والجماعة، وقد حملتنا من أياديك ومننك، ما لا يسعنا معه أن نجھلك، ويجب أن تعرفنا نفسك، فنبث شكرك، ونقضي حقك، ونعمل على الرحيل.

فقال: أنا فلان بن فلان، أحد أهل دمشق، فلم نعرفه، فقلنا: إن رأيت أن تزيدنا في الشرح. فقال: جعلت فداكم أنا رجل قواد.

فحين قال هذا، خجلنا، ونكسنا رؤوسنا.

فقال: جعلت فداكم مالكم؟ إن لقيادتي خبراً، أطرف مما رأيتموه.

فقلنا: إن رأيت أن تخبرنا.

فقال: نعم، أنا رجل كان آبائي تناء تجاراً، عظيمي النعمة والأموال، وانتهت النعمة إلى أبي، وكان ممسكاً، مكثراً.

ونشأت له، وكنت متخرفاً، مبذراً، محباً للفساد، والنساء، والمغنيات، والشرب، فأتلقت مالاً عظيماً من مال أبي، إلا أنه لم يؤثر في حاله، لعظمه. ثم اعتل، وأيس من نفسه، وأوصى، فدعاني، وقال:

يا بني إني قد خلقت لك نعمة قيمتها ألف دينار وأكثر، بعد أن أتلفت علي خمسين ألف دينار، وإن الإنفاق، لا آخر له إذا لم يكن بإيزائه دخل، ولو أردت تحقيق هذا المال عليك في حياتي، أو الآن، حتى لا تصل إلى شيء منه، لفعلت، ولكني أتركه عليك، فاقضي حقي بحاجة تقضيها لي، لا ضرر عليك فيها.

فقلت: أفعّل.

فقال: أنا أعلم أنك ستلّف جميع هذا المال في مدة يسيرة، فعرفني إذا افتقرت. ولم يبق معك شيء. تقتل نفسك. ولا تعيش في الدنيا؟ فقلت: لا.

قال: فتحمل على رأسك؟ فقلت: لا.

قال: فتحسن تتصرف، وتكسب المال؟.

قلت: لا.

قال: فعرفني من أين تعيش؟ قال: ففكرت ساعة، فلم يقع لي إلا أن قلت: أصير قواداً.

قال: فبكي ساعة، ثم مسح عينيه، وقال: لست أعيب عندك هذه الصناعة، فإنها ما جرت على لسانك، إلا وقد دارت في فكرك، ولا دارت في فكرك، وأنت تتصرف عنها أبداً بعدي، ولكن أخبرني كيف يتم لك المعاش فيها؟ فقلت: قد تدرب بكثرة دعواتي القحاب والمغنيات، ومعاشرتي لشراب النبيذ، فأجمعهم على الرسم، فينفقون في بيتي، ويعملون ما يريدون، وأخذ منهم الدراهم، وأعيش.

فقال: إذا يبلغ السلطان خبرك في جمعة، فيحلقون رأسك، وذقك، وينادي عليك، ويفرق جمعك، ويقتل معاشك، ويقول أهل بلدك انظروا إلى فلان. كيف ينادى عليه، وقد صار بعد موت أبيه قواداً.

ولكن إن أردت هذه الصناعة فأنا أعلمك إياها، وإن كنت لا أحسنها، فلعلك تستغني فيها، ولا تفقر، ولا يتطرق عليك السلطان بشيء.

فقلت: أفعّل.

قال: تحلف لي أنك تقبل مني.

فحلفت.

فقال: إذا مت، فاعمل على أنك أنفقت جميع مالك، وافتقرت، وابتدئ فكن قواداً ولك ضياع وعقاب، ودور وأثاث، وآلة وجواري وقماش، وخدم وجاه وتجارات، واعمد لكل ما في نفسك أن تعمله إذا

افتقرت، فاعمله وأنت مستظهر على زمانك، بما معك، وجيهاً عند إخوانك، بمالك، واعمل على أنك قد أنفقت، واجعل معيشتك مما تريد أن تحصله إذا افتقرت، فإنك تستفيد بذلك أموراً: منها: أنك تبتدئ أمرك بهذا، فلا ينكر عليك في آخره، ومنها: أنك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية، فلا يطمع فيك سلطان، وإن طمع فيك رشوت، وبذلت من قدرة وجدة، فتيخلصت.

فقلت: كيف أعمل؟ قال: تجلس، إذا مت، ثلاثة أيام للعزاء، إلى أن تنقضي المصيبة، فإذا انقضت، نفذت وصيتي وتجملت بذلك عند الناس، وقضيت حقي. ثم تظهر أنك قد تركت اللعب، وأنت تريد حفظ مالك، مع ضرب من اللذة.

ثم تبتدئ فتشتري من الجواري المغنيات والسواذج، كل لون، ومن الغلمان المرد، والخدم البيض والسود، ما تحتاج إليه وتشتهيه، ودارك، وضياعك، وآلتك، كما خلفته.

فإن احتجت إلى استزادة شيء، فاستزد، وتوق.

وعاشر من تريد أن تعاشره، من غير أن تدخل إليك مغنية قيان، ولا من تأخذ جذراً.

وداخل الأمير، والعامل، وادعهما مرة في كل شهر أو شهرين، وهما أيام الأعياد، بالألطف الحسنة، وألقهما كل أسبوع دفعة، واجتهد أن تعاشرهما على النيذ في دورهما، وألقهما بالسلام، وقضاء الحق. واتخذ في كل يوم مائدة حسنة، وادع القوم، ومن يتفق معهم، وليمن ذلك بعقل وترتيب. فإن ذلك أولاً، لا يظهر مدة طويلة، فإذا ظهر، صدق به أعدائك، وكذب به إخوانك، وقالوا: لعل هذا على سبيل الجون والشهوة، وعلى طريق التخالع، أو مسامحة الإخوان، وإلا فأني لذة له في ذلك وهو ليس مخشاً، ولا مجنوناً، ولا قهيراً فيحتاج إلى هذا، فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى، وأنت مع هذا، قد وصلت سلطانك، ولعل العشرة بينكما قد وقعت، فيستدعي مغنياتك، وتسمعهن في منزله، فيصير لك بمنادمتيه رسم، وجاهك مع إخوانك باق برك وملاقاتك لهم، فهم يحامون عليك العاقل منهم، ويحافظ لك الآخر، فتصير في مراتب ندماء الأمير، وفي جملته، وتصير قيادتك كالتشيع عليك، والغيب لك، وتخرج عن حد القواد المحض، الذين يؤذون دائماً، وتكسب منازلهم. قال: فاعتقدت في الحال، أن الصواب ما قاله. ومات في علته، فجلست ثلاثة أيام، ثم نفذت وصيته، وفرفت كما أمرني، ثم بيضت الدور، وهي هذه، وزدت فيها ما اشتيت، واستزدت من الآلات، والفرش، والآنية، كما أردت، وابتعت هؤلاء الجواري والغلمان والخدم، من بغداد، ودبرت أمري على ما قاله أبي، من غير مخالفة بشيء منه.

فأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة، ما لحقني فيه ضرر، ولا خسران، وما فيه أكثر من إسقاط المروءة، وقلة الحفل بالغيب. وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأ، وألذ أتم لذة مع هؤلاء الجواري، والغلمان، والخدم، ومن يعاشرني عليهم. ودخلي بهم، أكثر من خرجي، ونعمي الموروثة باقية بأسرها، ما بعث منها شيئاً بحجة فضة فما فوقها. وقد اشتريت من هذه الصناعة عقاراً جليلاً، وأضفته إلى ما خلف أبي علي، وأمرني يمشي كما ترون. فقلنا: يا هذا، فرجت والله عنا، واوجدتنا طريقاً إلى قضاء حقلك. وأخذنا نمازحه، ونقول: فضلك في هذه الصناعة غير مدفوع، لأنك قواد ابن قواد، وما كان الشيخ ليدير لك هذا، إلا وهو بالقيادة أحذق منك. فضحك، وضحكنا، وكان الفتي أديباً خفيف الروح. وبتنا ليلتنا على تلك الحال. فلما كان من الغد، جمعنا له بيننا، ثلثمائة دينار من نفقاتنا، وحملناها إليه. فأخذها، ورحلنا عنه.

أراد جوامرك فطلب جوانبيرة

أخبرني غير واحد: أن أسداً بن جهور العامل، كان بخيلاً، وله سؤدد، يتقلد كبار الأعمال، وهو عظيم الحال والمال. قال: وكب يوماً إلى عامل له، في رستاق: احمل إلي مائي جوانبيرة. فقال العامل: وما يصنع بهذه العجائز

كلهن، وهذه العدة كيف تجتمع لي من قرية؟ فجمع ما قدر عليه من النساء بين الشباب والعجائز، وأنفذهن طوعاً وكرهاً.

وكتب إليه: إن كتابك وصل بجمع ماء جوانبيرة، وهذا لا يوجد إلا في بلد كبير، أو عدة رساتيق، وقد جمعت لك كذا وكذا، وحملته مع موصل هذا الكتاب.

فلما قرأ كتابه، قال: ادفعوهم إلى الطباخ، وقولوا له يذبح منهم اليوم كذا وكذا، ويصلح منهم كذا وكذا. فقبل له: يذبح لك النساء؟ قال: ما طلبت نساء.

قالوا: أنت طلبت نساء.

قال: ردوا الكتاب، فردوه.

قال: إنا لله، إنما أردت جوامرك وكتبت جوانبيرة، ادفعوا إلى النساء شيئاً واصرفوهن، واكتبوا له بجميع الجوامركات.

ففعل ذلك.

أسد بن جهور وبخله على الطعام

قالوا: وكان معروفاً بالبخل على الطعام جداً، وكان ندماؤه يلقون من ذلك جهداً.

وكان يحضرهم، ويطالبهم بالجلوس، ويحضر كل شيء لذيد شهية من الطعام، فإن ذاقه منهم أحد، ولو دانقاً، استحل دمه، وعجل عقوبته.

وكانت علامته معهم إذا شيلت المائدة، أن يمسخوا لأيديهم في لحاهم ليعلم أنهم ما شعنوا شيئاً يرميها.

وكان له ابن أخت، يجترىء عليه، ولا يفكر فيه، ويهتك سترته إذا واكله.

فقدمت يوماً دجاجة هندية، فائقة سرية، فحين أهوى ابن أخته إليها، قبض على يده أشد قبض، وقال: يا غث، يا بارد، يا قبيح العشرة، يا قليل الأدب، في الدنيا أحد يستحسن إفساد مثل هذه؟

فقال ابن أخته: يا لئيم، يا بخيل، يا سيء الاختيار، فلأي شيء تصلح؟ تجعل عقدة على وجهه التركة للأعقاب؟ واسطة للمخانق، في صدور المجالس؟ سرية يتمتع بالنظر إليها؟ ما أقدر، شهد الله، أن أدعها من يدي.

فتصابرا عليها، إلى أن قال له الفتى: فافتدها من يدي.

قال بما تحب.

قال: ببغلتك الفلانية. قال. قد فعلت.

قال: بسرجهها ولجامها الحلى الفلاني.

قال: قد فعلت.

قال: ما أرفع يدي عنها، أو يحضر ذلك.

قال يا غلام أحضرها.

فأحضرت البغلة والمركب، فسلمها الفتى إلى غلامه، وأخرجها، ورفع يده عن الدجاجة. وانقضى الطعام،

وشيلت المائدة، وقام لينام.

فخرج ابن أخته، فقال للطباخ: علي بالفائقة الساعة، وبجميع ما شلتموه ن المائدة، فأضر إليه، ورد الندمان، وقعدوا، فأكلوا ذلك وانصرفوا، وقد أكل الدجاجة والطعام أجمع، وحصلت على البغلة والمركب. قال: وإنما كان لا يطيق أن يرى ذلك يؤكل، فأما إذا نحي من بين يديه، لم يسأل عنه، ولم يطالب به. أخبرني أبو الحسن بن الأزرق، قال: حدثني أبي، عن الحسن بن مخلد بهذا الحديث لأنه حصل مع ابن خالة الحسن بن مخلد، قال: رأيت الفتى، قد غدا إلينا، إلى ديوان الخراج على بغلة الحسن بن مخلد، فسألناه عن السبب، فأخبرنا بذلك.

ناصر الدولة يحاسب على بقية دجاجة

سمعت أبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي يقول: كنت بحضرة ناصر الدولة ببغداد، فاستدعى بشيء يأكله متعجلاً، ليتعجل به.

فجاءوه بدجاجة مشوية، ورغيف واحد، وسكر جتي ملح وخل، وقليل بقل.

فجعل يأكل، وأنا أحادثه، إذ دخل الحاجب فأخبره بحضور قوم لا بد من وصولهم؟، يحتشمهم. فأمر برفع

الدجاجة، فرفعت، ومسح يده، ودخل القوم، فخاطبهم بما أرادوا، وانصرفوا.

فقال: ردوا الدجاجة، فأحضر، فتأمل الدجاجة ساعة، ثم حرد.

وقال: أين تلك الدجاجة؟ فقالوا: هي هذه.

فقال: لا، وحق أبي، علي بالطباخ، فحضر.

فقال: هذه هي تلك الدجاجة؟ فسكت.

فقال: اصدقني ويلك.

قال: لا.

قال: فما عملت بتلك؟ قال: لما شيلت، لم نعلم أنها ترد إليك، فأخذها بعض الغلمان الصغار وأكلها، فلما

طلبتها، أخذنا هذه فكسرنا منها، وشعثنا، مثلما كنت كسرت وشعثت، طمعاً في أنك لا تعلم بذلك،

وقدمناها.

فقال له: يا حمار، تلك كنت قد كسرت منها الفخذ الأيمن، وأكلت جانب الصدر الأيسر، وهذه مأكولة

جانب الصدر الأيمن، مكسورة الفخذ الأيسر، لا تعاود بعدها لمثل هذا.

قال: السمع والطاعة.

وانصرف الطباخ.

فجعلت أعجب من تفقده وهو ملك لمثل هذا.

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

الحسن بن محمد وبخله على الطعام

حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: حدثني جحظة، قال: ربحت بأكلة افتديتها خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيلة طيب سرية.

قلت: كيف كان ذلك؟ قال: كان الحسن بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماءه، بغتة فيسقيهم النبيذ، ويواكلهم، فمن أكل، قتله قتلاً، ومن شرب عنده على الخسف، حظي عنده.

قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غداً على الصبح الجاشري، فبت عندي.

فقلت: لا يمكنني، ولكن أباكرك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبيح؟ فقال: أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله، فعقدنا الرأي على أن أباكره.

وقمت، وجات إلى بيتي، فدعوت طباخي، وتقدمت إليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت.

وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضى إليه، إذ طرقتني رسله، فجننته.

فقال: بحياقي، أكلت شيئاً؟ قلت: أعينك بالله، انصرفت من عنك قبيل المغرب، وهذا نصف الليل، فأني وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت شيئاً؟ سل غلمانك، على أي حال وجدوني؟ فقالوا: والله وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه، وهو ذا ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته، ليركبها.

فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان في فضل أشمه، فأمسكت عن تشعبته ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي.

قال: وكذا كانت عادته، فأقول له: هو ذا آكل يا سيدي، وفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ وانقضى الأكل، وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بأرطال، وهو يفرح، وعنده أني أشرب على الريق، أو على ذلك الأكل الذي خلست معه.

ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب وشرب أرطالاً.

فلما شربت النبيذ، قد عمل فيه، قلت: يا سيدي، أنت تطرب على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ قال: يا غلام، هات الدواة، فأحضرت، فكتب لي رقعة، ورمى بها إلي، وإذا هي إلى صيرفي يعامله بخمسمائة دينار، فأخذتها، فشكرته. ثم غنيت، فطرب، وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع علي خمسة أثواب.

ثم أمر أن يبخر من كان بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية، فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون الناس منها، فلما انتهوا، قلت: يا سيدي وأنا أَرْضَى أن أتبخر حسب؟ فقال: ما تريد؟ قلت أريد نصيبي من العتيدة.

فقال: قد وهبتها لك.

وشرب بعد ذلك رطلاً آخر، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته إذا سكر.

فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت تبكير الناس في حوائجهم. فخرجت كأني

لص قد خرج من بيت قوم، على قفا غلامي الثياب والعتيقة كارة.
فصرت إلى منزلي، ونمت نومة، ثم ركبت إلى درب عون، أريد الصيرفي، حتى دكانه، وأوصلت الرقعة إليه.
فقال: يا سيدي، أنت الرجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم.
قال: أنت تعلم، أن أمثالنا يعاملون للفائدة.
قلت: نعم.
قال: ورسنا أن نعطي في مثل هذا ما يكسر في كل دينار، درهم.
قلت له: لست أضايقك في هذا القدر.

فقال: ما قلت هذا لأريح عليك الكثير، أبما أحب إليك، تأخذ كما يأخذ الناس، وهو ما عرفتك، أو تجلس مكانك إلى الظهر حتى أفرغ من شغلي، ثم ركب معي إلى داري، فقيم عندي اليوم والليلة، ونشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعت الآن لي رخيصة، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير بما تساوي، من غير خسران.
فقلت: أقيم عندك.

فجعل الرقعة في كفه، وأقبل على شغله.
فلما دنت الظهر، جاء غلامه ببغل فار، فركب، وركبت معه، وصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والآلات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة، من غير فحل.
فتركني في مجلسه، ودخل، ثم خرج إلي بثياب أولاد الخلفاء، من حمام داره، وتبخر، وبخري بيده، بند عتيق جيد، وأكلنا أسرى طعام، وأنظف، وقمنا إلى مجلس للشرب سري، فيه فواكه وآلات بمال.
وشرينا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد.
فلما أصبحنا أخرج كيسين، في أحدهما دنانير، وفي الآخر دراهم، فوزن لي خمسمائة دينار من أحدهما، ثم فتح الآخر فإذا هو دراهم طرية، فوزن لي منها خمسمائة درهم.
وقال: يا سيدي تلك ما أمرت به، وهذه الدراهم هدية مني. فأخذتها، وانصرفت.

وصار الصيرفي صديقي، وداره لي.
إن بالحيرة قساً قد مجن

حدثني أبو الحسن بن عياش، قال: كان لحظة لما أسن، يفسو في مجالسه، فيلقى من يعاشره، ذلك جهداً.
وكنت أحب غناءه، والكتابة عنه، لما عنده من الآداب، وكان يستطيب عشري، وكنت إذا جلست، أخذت عليه الريح، وجلست فوقها.

فجئته يوماً في مجلس الأدب، والناس عنده، وهو يملئ، فلما خفوا، قال لي، ولآخر كان معي، أسماء لي، وحدثني ذلك الرجل بمثل هذا الحديث: اجلسا عندي، حتى أجلسكما على لبود، وأطعمكما طباهجة بكبود، وأسقيكما معتقة اليهود، وأبخركما بعود، وأغنيكما غناء المسدود، أطيب من الندود.

فقلنا: هذا موضع سجدة.

وجلسنا، وصديقي لا يعرف خلته في الفساء، وأنا قد أخذت الريح، فوفى لنا بجميع ما شرطه. وقال لنا، وقد غنى، وشربنا: نحن بالغداوة في صورة العلماء، وبالعشي في صورة المخنكرين. فلما أخذ البيذ منه، أقبل يفسو، وصديقي يغمزني، ويتعجب، فأغمزه، وأقول: إن ذلك عادته، وخلته، وإن سبيله أن يحتمل. إلى أن غنى جحظة، صوتاً مليحاً، الشعر والصنعة له فيه، وكان يجيده جداً، وهو: إن بالحيرة قساً قد مجن ... فتن الرهبان فيها وافتن ترك الإنجيل حباً للصبا ... ورأى الدنيا مجوناً فركن وطرب صديقي ذاك، عليه طرباً شديداً، استحساناً له، وأراد أن يقول أحسنت والله يا أبا الحسن، فقال: افس علي كيف شئت. فنجعل جحظة.

بين جحظة وأبي الحسين بن عيش

قال: وأخبرني أنه كان معه في حديدي لابن الحواري، وقد حملهم إلي بلا شكر ليتفرجوا، والحديدي يمه الملاحون بالقلوس، وجحظة بين يدي الرجل، قد صار في أعلى الريح لأنها كانت شمالاً، على سطح الحديدي. فأقبل جحظة يفسو، فأنكر الرجل ذلك، وقال: ما هذا الفساء؟ من أين هذا؟ فقال جحظة: هؤلاء المدادون سفل، فإذا مدوا فسوا، وهم أعلى منا في الريح، فهي تحمل فساهم إلينا. قال: فاشتبه ذلك على الرجل. فقلت له: يا أبا الحسن، لو أن فساء هؤلاء يريد الطراة ويحيء على حملها مستوياً إلى نفس الطراة ما وصل إلينا بهذه السرعة، والريح من جهتك لا من جهة الملاحين، وأنا أنبه عليك. قال: فأقبل يصانعي، ويفتدي من يدي، أن لا أغمز به. فقلت: على شريطة أن تقطع. قال: نعم.

أبو عيشونة الشاطر

حدثني أبو القاسم الصروي الكاتب، قال: كان بمدينة السلام، شاطر، يعرف بأبي عيشونة، فاجتاز به بعض العلماء من أهل الأدب، في هيح قد وقع، وقد خرج ليأخذ المجتازين فقبض عليه، وقال: اطرح ثيابك. فقال: أنا فلان. فاستحيا منه، فقال: خذ علي ما أنشدك. قال: هات. فقال:

خمسون ألف فتى ما منهم أحد ... إلا كألف فتى ضرغامه بطل
شدوا ثيابهم يوماً على أمل ... فأفرغوها وأدلوها على الأمل
فقال الرجل: أحسنت، فبالله، زدني من شعرك، فقال:
ولقد هيج البلاء ... حين عض السفرجلا
ولقد قام حبكم ... في فؤادي بأعلى العلا
فقال: خلطت.

قال: أنا أبو عيشونة، وحياء أصحابي، أنج بنفسك.
فمضى وتركه.

الحذاء الماكن باب الطاق

رأيت حذاء مائناً باب الطاق، يعرف بالمدلق، ويلقب بالقاضي، يسمس النعال، بأسماء من جنس الصفة،
على سبيل الهزل.
فيقول لمن يخاطبه: هذه صلكية، وهذه رأسكية، وهذه قفوية، فقال له واحد: كم أعطيت بها؟ فقال: إذا
نزلت في حلقك، عرفتك ثمنها، وأخذته منك، ومتى وقعت في عتقك وكرهتها، فأنا آخذها منك بالثمن.

طبيب يتماكن على مريض

ورأيت طبيباً يتماكن على مريض، وقد شكاه إليه شيئاً.
فقال: هذا يدل على أنك، ثارت بك الصفراء، وكان الذي شكاه المريض رطوبة.
فقال: يا هذا أنا مرطوب، فكيف تنور بي الصفراء؟ قال: فالسوداء.
قال: لا أعلم .
قال: الذي عندي، إنه ثارت بك الملمعة.
ففطن الرجل لموضع قوله: الصفراء والسوداء، ثم وصف ما يصلح له، مما شكاه إليه، من علته.
يريد نعالاً وجهه مليح وأسفله وثيق
قال لي أبو طلحة الحذاء البصري، وكان مألماً للأحداث والمتأدين، قال لي صديق لي: أريد نعالاً يكون لها
وجه مليح، وأسفل وثيق.
فقلت له: يا حبيبي، عليك بفلان العلق، إن وزنت خمسين درهماً في اليوم، ولست أجد لك بهذه الصفة إلا
هو.

كما تدين تدان

جاءنا أبو عبد الله بن وازم الكوفي المتكلم، قال: كان عندنا بالكوفة، رجل، له ابن عاق به، فلاحاه يوماً في شيء، فجر برجله حتى أخرجه من بيته، وسجبه في الطريق شيئاً كثيراً. فلما بلغ إلى موضع منه، قال له: يا بني حسبك، فإلى هاهنا جررت برجل لأبي إلى الدار، حتى جررتني منها.

طيب الطعام يستخرج لب الشكر

حدثني أبو الحسن بن سهيل الحذاء، عن بعض الصوفية، أنه قال: طيب الطعام يستخرج من لب الشكر.

سعد السعود

أنشدني إسحاق بن إبراهيم بن علي النصيبي المتكلم لنفسه، في غلامه سعد:
وفق الله من دعاك بسعد ... فلقد كان فيه عين السعيد
أبصر السعد غرة بين عينيك ... فسماك باسمه الحمود
فإذا دعاك داع لأمر ... كنت فيه يا سعد سعد السعود

من رسائل أبي محمد المهلب

وجدت في كتب أبي، كتاباً من كتب أبي محمد المهلب إليه، قبل تقلده الوزارة، بسنين، أوله: كتابي أطال الله بقاء سيدنا القاضي، عن سلامة لا زالت له إلفاءً، وعليه وقفاً.
وحمداً لمولى أستمد بحمده ... له الرتبة العليا والعز دائماً
وأن يسخط الأيام بالجمع بيننا ... ويرضي المنى حتى يرينيه سالماً
وصل كتابه، أدام الله عزه، فقمتم معظماً له وقعدت مشتتلاً على السرور به.
وفضضته فوجدته ... ليلاً على صفحات نور
مثل السوالف والحدو ... دالبيض زيت بالشعور
بنظام لفظ كالشعر ... ر أو الآلي في النحور
أنزلته في القلب من ... زلة القلوب من الصدور.
أبو طلحة يروي حديثاً غير شريف
سمعت أبا طلحة الحذاء، يقول: روى فلان، عن فلان، يأسند طويل، من أصبح في يوم سبت، وعنده طباهجة عنبرية، والقرب منه باقلائي، ولم يصطحب، فلا صبحه الله بخير ولا عافية.

واصل بن عطاء والخوارج

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول، التوخي: أن أبا حذيفة، واصل بن عطاء، خرج يريد سقراً في رهط من أصحابه، فاعترضهم جيش من الخوارج.

فقال واصل لأصحابه: لا ينطق منكم أحد، ودعوني معهم.
فقالوا: نعم.

قال: فقصدهم واصل، واتبعه أصحابه.

فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا بهم، فقال: كيف تستحلون هذا، وما تدرون ما نحن، ولأي شيء جئنا؟
قالوا: نعم، فما أنتم؟ قال: قوم من المشركين، جئناكم مستجيرين لنسمع كلام الله.
قال: فكفوا عنهم، وبدأ رجل يقرأ عليهم القرآن.
فلما أمسك، قال له واصل: قد سمعنا كلام الله، فأبلغنا مأمنا حتى ننظر في الدين.
فقالوا هذا واجب، سيروا.

قال: فسرنا، والخوارج والله معنا برماحهم، يسروننا ويحموننا، عدة فراسخ، حتى قربنا من بلد لا سلطان لهم عليه.

فقالوا: ذاك مأمناكم؟ فقال واصل: نعم، فارجعوا عنا.
فانصرفوا.

وذهب أبو حذيفة في ذلك، إلى قول الله تعالى: " وأن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " .

بين معتزلي وأشعري

حدثني أبو الحسن، قال: كان إسماعيل الصفار البصري، أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة، وكان الناس إذ ذاك يتشددون على أهل الحق، ويباينونهم في الخلاف.

قال: فوقعت ليلة في الدرب الذي كان ينزله إسماعيل في البصرة، صاعقة.

فلما أصبح، قال لغلمانه: أنسوا لي الباب، وافرشوا لي عليه، وإلا أرجف بي المخالفون.
ففعّلوا، وجلس على بابه.

فاجتاز بعض جلة شيوخ البصرة من المخالفين، فلما رآه، قال: ألم نخبر أن الله رماك بصاعقة من عنده؟ قال:
ولم؟ أنا أقول إني أرى الله جهرة؟

خلاف بين المعتزلة

وبين غوغاء من العوام

وقال رجل من أصحاب إسماعيل بالبصرة: أن القرآن مخلوق، بحضرة غوغاء من العوام، فوثبوا عليه، وحملوه
إلى نزار الضبي. وكان أميراً على البصرة، فحبسه.

فطاف إسماعيل على المعتزلة، فجمع منهم أكثر من ألف رجل، وبكر بهم إلى باب الأمير، فاستأذن عليه،

قد حطه، وعلت أن ذلك قد صدر عن الوزير، لسوء رأيه فيه، ومقته له، واستثقاله إياه.

فصرت إلى منزلي، وأخذت معي خمسمائة درهم، و؟صرت إلى الهبيري، فقلت: الوزير أعزه الله، يقرأ السلام عليك، ويقول لك: هوذا تشق علي؟؟ رؤيتك بالباب. والأشغال تقطعني عنك، ولا تصرف عندي أرتضيه لك في هذا الوقت، وقد حملت إليك خمسة آلاف درهم، فاستعن بها في نفقتك، والزم دارك، واربح العناء، فإذا سنع عندي شغل يصلح لك، استدعيتك. قال: فاستشاط الشيخ، وقال: جعلني من الشحاذين والمستمحين، ينفذ إلي برقد، والله لا قبلته.

قال: فاستجهلته، وداخلني غيظ من فعله، فقلت: يا هذا، والله، ما هذه الدراهم من مال الوزير، ولا هي إلا من مالي، ورسالته أقبح مما تذهب إليه، وإني كرهت تلقيك بها، وأنت من شيوخ هذه الصناعة، فتحملت لك هذا الغرم من مالي، من غير علم صاحبي، صيانة لك وله.

فقال: أما أنت، فأحسن الله جزاءك، ولا حاجة بي إلى مالك، ولو مصصت الثماد، ولكن أنشدك الله، إلا ما أبلغني رسالته بعينها، وحزت بذلك شكري.

قال: فأديتها إليه على حقها وصدقها.

قال: فقال: أحب أن تتحمل الجواب.

فقلت: قل.

قال: تقول له: والله، ما آتيك لك نفسك، وإنما أنت رجل قد صرت باباً لأرزاقنا، إذ كنا لا نحسن صناعة غير الكتابة، ولا تصرف فيها إلا من عندك، ومن أراد دخول الدار، يجب أن يأتيها من بابها، وعلى الإنسان أن يتعرض للرزق، ويأتي بابه، فإن قسم الله له منه شيئاً، أخذه، وإلا كان قد أدى ما عليه.

وليس يعني استثقالك لي، من قصدك، فإن قسم الله لي شيئاً من جهتك، أو على يدك، أخذته على رغمك، وإلا فلا أقل من أن أؤذيك برويتي، كما تؤذيني بعطلي.

قال: فانصرفت متعجباً منه، ولم أعد على الوزير ذلك، لئلا يغتاظ، وتغافلت يومي.

فلما كان من الغد، بكر الوزير خارجاً من داره، وأنا معه، فإذا بالشيخ، فلما رآه، التفت إلي، وقال: ألم أنفذك إليه برسالة؟ قلت: بلى.

قال: فلم عاد؟ قلت: الخطب طويل طريف، وإذا اطمأن الوزير في مجلسه أخبرته. قال: فلما نزل في طياره، قال: أخبرني بما جرى.

فقصصت عليه القصة، وحملني الدراهم من مالي، وما جرى بأسره، وأديت إليه رسالته بعينها، فكاد أن يطير غيظاً.

وانتهى الكلام، وقد قدم الطيار إلى دار الخلافة، فدخل إليه وفي نفسه حديث الهبيري، والغيظ منه، فوقف بحضرة الخليفة، وجرى الكلام.

فقال له الخليفة: قد ألت عامل مصر بالمال، وجح إلى المدافعة، فاختر رجلاً شهماً، ننفذه مشرفاً عليه، ومطالباً بما مضى.

قال: وكان ابن أبي خالد يعني برجل متصرف يقال له الزبيري، فأراد أن يسميه لذلك، فقال: الهبيري، لما كان في نفسه منه، وقرب العهد بذكره، والغيط من أمره.

فقال الخليفة: أو يعيش الهبيري؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أرد الهبيري، وإنما أرد فلان بن فلان الزبيري.

قال: يجوز أن تكون أردت الزبيري، ولكن أخبرني بخبر الهبيري، فقد كان له بي حرمة في حياة أبي، وبأ سبابنا، وهو واجب الحق علينا.

فقال: نعم، هو يعيش.

قال: فأنفذه إلى مصر.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لا يصلح.

قال: ولم؟ قال: قد اختل.

قال: أحضرني حتى أشاهده، فإن كان مختلاً، أمرت له بصلة وجار، وإن كان ينهض بالعمل أنفذه.

قال: يا أمير المؤمنين، إنه متعطل منذ سنين، وقد خمل، وذهب اسمه، وصوته، وهذا عمل يحتاج إلى من له نباهة.

قال: إذا أقبلنا عليه، وندبناه لمثل هذا الأمر العظيم، تجدد ذكره، وتطرى أمره.

قال: إنه لا حال له تنهضه.

قال: يطلق له من مالنا مائة ألف درهم، يصلح بها حاله، ويحمل إليه من البغال والدواب والخيم والآلات.

قال: فأخذ يعتل عليه.

قال: أرى فيك تحاملاً عليه، لتصدقني عن أمره معك.

فلجلج.

فقال: بحياقي أصدقني، فصدقه عن الخبر.

فقال الخليفة: قد والله أجرى الله عز وجل رزقه على يدك بالرغم منك، كما قال، ووالله لا برحت، أو

تكتب عهده، ويوصل بجميع ما أمرت به.

ثم قال: علي بالهبيري.

فأحضر، وخرج ابن أبي خالد عليه، فقال: يا هذا، قد والله جاء رزقك على يدي بالرغم مني، وجرى كذا

وكذا، وأخبره الخبر، وسلم إليه التوقيعات بما أمر له به الخليفة، والكتب إلى مصر، وواقفه على العمل،

وأخرجه إليه.

بين ابن أبي الأضخم

وابن أبي خالد الأحول

وحدثني أيضاً عن ابن أبي خالد هذا، قال: كان بغيضاً.

قال: فاتفق أن بكر إليه يوماً رجل شيخ من شيوخ الكتاب، يقال له: ابن أبي الأضخم متعطلاً، قد طالت

عطلته، يغتنم أن يراه سحراً خالياً فيشكو إليه حاله، ويسأله التصرف.

فبكر بكوراً شديداً، فتلقاه برد قبيح، وقال له: أيش هذا المهم في مثل هذا الوقت؟ قال: فاحند عليه الشيخ، وقال: ما العجب منك، العجب مني، حين ربطت أُملي بك، وأسهرت عيني توقعاً للفجر في البكور إليك، وأسهرت عيالي وغلماني وتحملت التجشم إليك، وأنزلت بك حاجتي، حتى تتلقاني بمثل هذا، وعلي، وعلي، وحلف بأيمان البيعة، لا دخلت دارك أبداً، ولا سألتك حاجة، ولا طلبت منك تصرفاً، أو تحيئني إلى داري معتذراً مما تلقيتني به، وتقضي حاجتي في منزلي، ونهض.

فلما صار الرجل إلى منزله، ندم ندماً شديداً، وقال: هذا رجل لئيم الطبع، سيء الظفر، شرس الخلق، وأنا مضطر إلى لقاءه، ومساءلته في حوائجي، فلم حلفت بهذه اليمين؟ وما أحد أسوء حلة مني، فإن هذا الوزير لا يفكر في، ولا يحيئني والله أبداً، ولا يكون لي طريق إلى قصده.

ويحس العمال بذلك، فيخربون ضيعتي، وتدوم عطلتي، ويلحقني كيت وكيت.

وأقبل يلوم نفسه ويؤنبها، ويفكر كيف يعمل، وقد أسفر النهار وتعالى، إلى أن صار نحو ساعتين.

فدخل إلي غلمانه فقالوا: يا سيدنا، الوزير مجتاز في شارعنا، فقال: وما علينا منه.

فدخل آخر وقال: يا سيدي قد والله عدل من الشارع إلى دربنا.

ودخل آخر فقال: يا سيدي، إنه يقصد دارنا.

وتبادر الغلمان، فقالوا: قد صار بالباب، يستأذن عليك.

قال: فنهض الشيخ، وخرج إليه، وقبل يده، وقال: آيت، أيدك الله، إلا الأخذ بالفضل.

قال: لا تشكرني، واشكر أمير المؤمنين أطل الله بقاءه، على ذلك.

ودخل إليه فقال: إنك انصرفت، وقد أمضيت خطابك، وقد كان ما خاطبتك به على ضجر مني، وعلى غير اعتقاد.

وركبت في الحال إلى الخليفة، فخاطبني، وأنا مشغول البال بما دار بيننا فوجد كلامي مضطرباً، وأقسم علي لأخبرنه، فأخبرته، فأخذ يعدلني ويوجني على ما لقيتك به.

وقال: لا تقف، امض إليه الساعة معتذراً، وأخرجه من يمينه، واقض حاجته، وانظر في أموره.

قال: ثم دعا بدواة، فوقع لي بما كنت سألته، وبمال وصلني به، وتصرف قلدي، ونهض. فشكرته، ودعوت للخليفة، وحمدت الله تعالى على ما وفقه لي.

إذا نزل القضاء لم ينفع الدعاء

حدثني أبو الحسن بن سهيل الحذاء، قال: حدثني أبو الحسن علي بن عبد الله الحذاء، قال: حدثني جعفر

الخلدي الصوفي، قال: كنا مع ابن واصل الصوفي في سنة إحدى عشرة بالهبير.

فلما أخذ الناس في الوقعة، وبدأ السيف في أهل القافلة، اجتمعنا إليه، فقلنا: تدعو الله لنا أن يخلصنا.

قال: ليس هذا وقت الدعاء، هذا وقت الرضا والاستسلام، إنه إذا نزل القضاء، لم ينفع الدعاء.

من شعر ابن الحجاج البغدادي

حضرت أبا عبد الله بن الحجاج الكاتب البغدادي، صاحب السفه في شعره، ينشد أبا الفضل الوزير لنفسه، يوم قبض ببغداد على حرم أبي الفرج محمد بن العباس وأسبابه وأطلق الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين، وتقلد الوزارة، وكان محبوساً في دار أبي الفرج، فجلس فيها أكثر يومه. وكان ذلك اليوم، يوم الثلاثاء، لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ستين وثلاثمائة، وخلع عليه في الغد، وهو يوم الأربعاء.

وكان القبض عليه يوم الثلاثاء، وخلع على أبي الفرج بالوزارة، صارفاً له، يوم الأربعاء، وبين الأمرين أربعمائة يوم، وجاء أبو الفرج فجلس في دار أبي الفضل، ونظر في الوزارة: يا سيداً طلعت لم ترل ... أشهى إلى عيني من النوم
لم تظلم الناس وحاشاك أ، ... تخيف بالظلم على القوم
جازيته مثل الذي أسلفوا ... في الدار والمجلس واليوم
ثم خرج عن مجلسه.

فجلس جماعة في دار الوزير أبي الفضل، فأنشدنا شيخ حضر من الكتاب لابن زريق الكاتب في مثله، وهو أبو القاسم ابن زنجي، قال أنشدني ابن زريق لنفسه في الكوفي، لما صرف: إنا لقينا حجاباً منك أرمضنا ... فلا يكن ذلنا فيه لك الغرض
فاسمع مقالتي ولا تعجل علي فما ... أبغي بنصحك لا مالاً ولا عرضاً
في هذه الدار في هذا المكان على ... هذي الوسادة كان العز فانقرضاً

عائدة الجهنية تنظم الشعر الحسن

أنشدتني عائدة بنت محمد الجهنية لنفسها، وهذه امرأة فاضلة، كاتبة كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد، وخليفته على كتابة بحكم وسبكتين في الديوان الذي كان لأبي جعفر، وجاءه ابن زريق فحجب، ثم دخل بحيلة على ما أخبرنا.

قال: فأنشدته هذه الأبيات، فلما ولي الوزارة، نفعه، واستخدمه. فلما قبض على الحسن بن علي المنجم، وحبس ابنته في دار أبي رضي الله عنه وكل هذه المرأة بها، وهي إذ ذاك عجوز، فكانت تناشدنا الأشعار، وتنشدنا لنفسها كل شيء جيد. فأخبرتني أنها قالت تهجو أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي، لما ولي الوزارة، وتعييه بقصر قامته، وهزاله: شاورني الكرخي لما دنا ال ... نيروز والسن له ضاحكه
فقال ما نهدني لسلطاننا ... من خير ما الكف له مالكة
قلت له كل الهدايا سوى ... مشورتي ضائعة هالكة

أهد له نفسك حتى إذا ... أشعل ناراً كنت دوباركه
أنشدتني ذلك في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.

الدوباركه: كلمة أعجمية، وهي اسم للعب على قدر الصبيان يخلونها أهل بغداد في سطوحهم ليالي النوروز
المعتصدي، ويلعبون بها، ويخرجونها في زي حسن، من فاخر الثياب والحلي، ويخلونها كما يفعل بالعرانس،
وتحقق بين يديها الطبول والزمور، وتشعل النيران.
فهجته هذه المرأة بما تحقق عندي أنها صادقة فيه، لأنه يليق بكلام النساء.
وقد كانت تنشدين لنفسها أفحل من هذا الكلام، وكتبت ذلك عنها، وهو ثابت في مواضع من كتبي، وما
تعلق بحفظي لها غير هذه الأبيات.
؟

لو كان هذا المخنث شاعرا

لكان أشعر الناس

حدثني أبي، قال: كنت أماشي المعوج الشامي الشاعر، ببغداد، وكان دقيقاً، دقيق الوجه، أشهل، معوج
الوجه.
فلقينا مخنث، فولع به المعوج.
فقال له المخنث: لا تسكت، يا من كأنه ديك يطلع في سطل ماء.
فأسرع المعوج من يده، وقال: لو كان هذا شاعراً كان أشعر الناس، والله ما شيهني أحد، أصح من تشبيهه.

بين مخنث وامرأة

حدثني أبو الطيب بن هرثة، قال: كنت مجتازاً ببغداد، ومخنث يمشي، فرأته امرأة، وكان حسن البدن.
فقلت: ليت على ابني شحم هذا المخنث.
قال: فقال لها المخنث: مع بغائي، فشتتمه.
فقال لها: كيف صار، تأخذن الجيد وتدعين الرديء.

بين مخنث ومغنية

حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: سمعت مخنثاً يهاتر مغنية، فقال لها: لا تسكتين، وحرك كأنه دكان حجام،
داخله دم، وخارجه شعر.

بين مخنث وامرأة تولعت به

قال: وبلغني أن مخنثاً قال لامرأة تولعت به: اشتغلي بحرك الذي قطع لسانه، وسود وجهه، وجعل إلى جانبه كنيف ينجر إليه.

فتى يهاتر مغنية

قال: وهاتر صديق لنا مغنية، فقال لها: يا من خرق حيضها حشو مسورة.

الحر العاملي ومكاشفته باللواط

حدثني أبو الطيب بن هرثة، قال: كان الحر العاملي، مكاشفاً باللواط، حتى أنه كان يقول لغلامه، بحضرة الناس: إمض إلى البيت الذي نكتك فيه البارحة، فجنني منه بكذا.
قال: فقال ليلة لغلام له: أعطني فرداً.
فقال: لا أفعل.
قال: ولم؟ قال: هي ليلة جمعة.
قال: وأي فرق بينها وبين غيرها من الليالي؟ قال: الذنب فيها يكتب ذنين.
قال: فاحسب أن ليلة السبت قد تنايكننا فردين.

أبو عيسى ابن بنت أبي نوح

ومكاشفته بالبغاء

قال: وكان أبو عيسى ابن بنت أبي نوح، مكاشفاً بالبغاء.
فقال يوماً رجل بحضرة: فلان بغاء.
فقال: لا، ولا كرامة، من ذلك العامي السفلة، حتى يكون بغاء؟ بأي أبوة؟ بأي نعمة؟ بأي كنية؟ بأي صناعة؟ بأي ملوكية؟ بأي عرق؟

الصولي والإسفيداج

بالمباعر المحشوة

قال: وأكلنا يوماً مع الصولي في داره، فقدمت إسفيداج بمباعر محشوة، فأقبل يحشنا على أكل الحشوات.
حتى قال في جملة الكلام: ومن فضلها، وطيبها، أنها تشبه زباب المراهقين.
قال: قهلت لصديق كان إلى جانبي: كاشف هذا أيضاً بما يرمي به من البغاء.

لم أمرضه فأسلو لا ولا كان مريضاً

حدثني أبي، قال: خرج إلينا يوماً، أبو الحسن الكاتب، فقال: أتعرفون ببغداد رجلاً يقال له: ابن أصدق؟ قال: فلم يعرفه من أهل المجلس غيري، فقلت: نعم، فكيف سألت عنه؟ فقال: أي شيء يعمل؟ قلت: ينوح على الحسين عليه السلام.

قال: فبكى أبو الحسن، وقال: إن عندي عجوزاً ربتني من أهل كرخ جدان عفتية اللسان، الأغلب على لسانها النبطية، لا يمكنها أن تقيم كلمة عربية صحيحة، فضلاً عن أن تروي شعراً، وهي من صالحات نساء المسلمين، كثيرة الصيام والتهجد.

وإنما انتبهت البارحة في جوف الليل، ومركدها قريب من موقعي، فصاحت بي: يا أبا الحسن. فقلت: ما لك؟ فقلت: الحقني.

فجئتها، فوجدتها ترعد، فقلت: ما أصابك؟ فقالت: إني كنت قد صليت وردي فمت، فرأيت الساعة في منامي، كأني في درب من دروب الكرخ، فإذا بحجرة نظيفة بيضاء، مليحة الساج، مفتوحة الباب، ونساء وقوف عليها.

فقلت لهم: من مات؟ وما الخبر؟ فأومأوا إلى داخل الدار.

فدخلت فإذا بحجرة لطيفة، في نهاية الحسن، وفي صحنها امرأة شابة لم أر قط أحسن منها، ولا أبهى ولا أجمل، وعليها ثياب حسنة بياض مروي لين، وهي ملتحفة فوقها يازار أبيض جداً، وفي حجرها رأس رجل يشخب دماً.

فقلت: من أنت؟

فقالت: لا عليك، أنا فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهذا رأس ابن الحسين، عليه السلام، قولي لابن أصدق عني أن ينوح:

لم أمرضه فأسلو ... لا ولا كان مريضاً
فانتبهت فرعة.

قال: وقالت العجوز: لم أمرطه، بالطاء، لأنها لا تتمكن من إقامة الضاد، فسكنت منها إلى أن نامت. ثم قال لي: يا أبا القاسم مع معرفتك الرجل، قد حملتك الأمانة، ولزمتك، إلى أن تبلغها له. فقلت: سمعاً وطاعة، لأمر سيلة نساء العالمين. قال: وكان هذا في شعبان، والناس إذ ذاك يلقون جهداً جهيداً من الحنابلة، إذا أرادوا الخروج إلى الحائر.

فلم أزل ألتطف، حتى خرجت، فكنت في الحائر، ليلة النصف من شعبان. فسألت عن ابن أصدق، حتى رأيته.

فقلت له: إن فاطمة عليها السلام، تأمر بك بأن تنوح بالقصيدة التي فيها:

لم أمرضه فأسلو ... لا ولا كان مريضاً
وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك.

قال: فانزعج من ذلك، فقصصت عليه، وعلى من حضر، الحديث، فأجهشوا بالبكاء، وما ناح تلك الليلة إلا بهذه القصيدة، وأولها:

أيها العينان فيضا ... واستهلا لا تغيضا
وهي لبعض الشعراء الكوفيين.
وعدت إلى أبي الحسن، فأخبرته بما جرى.

كان الناس لا يستطيعون النياحة

على الحسين عليه السلام خوفاً من الحنابلة
قال أبي، وابن عياش: كانت ببغداد، نائحة مجيدة حاذقة، تعرف بخلب، تنوح بهذه القصيدة.
فسمعتها في دور بعض الرؤساء، لأن الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز سلطان، أو سراً
لأجل الحنابلة.
ولم يكن النوح إلا مراثي الحسين وأهل البيت عليهم السلام فقط، من غير تعريض بالسلف. قالوا: فبلغنا أ،
البرهماري، قال: بلغني أن نائحة يقال لها: خلب، تنوح، اطلبوها فاقتلوها.

عناية رسول الله صلوات الله عليه

بأبي حسان الزياتي

حدثني أبي رضي الله عنه، بإسناد ذكره أن أبا حسان الزياتي، كان من وجوه فقهاء أصحابنا، ومن غلمان
أبي يوسف، وكان من أصحاب الحديث.
وكان تقلد القضاء قديماً، ثم تعطل، فأضاق، فلزم مسجداً حيال داره، يفتي، ويدرس الفقه، ويؤم، ويحدث،
وإضاقتة كل يوم تردد، وهو يطلب التصرف، أو الرزق، ولا يظفر به، وقد نفذ ما عنده، وباع كل ما
يملك، وركبه دين عظيم.
إذ جاءه يوماً رجل خراساني، وقد حضر وقت خروج الناس من بغداد إلى مكة.
فقال له: إني أريد الخروج إلى الحج، وهذه عشرة آلاف درهم معي، تقبلها وديعة لي، فإن رجعت من الحج
رددتها علي، وإن رجع الناس ولم أرجع، فاعلم أنني هلكت، وهي لك هبة حالاً.
قال أبو حسان: فأخذتها إلى منزلي، وقصصت على زوجتي الخبر.
فقالت: نحن في ضر شديد، فلو تصرف فيها من الآن، وقضيت دينك، واتسعت، فلعل الله يجعلها لك،
فتكون قد تعجلت العيش.
فقلت: لا أفعل.

فما زالت في يومي وليلتي، تحملي على ذلك، حتى أجبتها إليه من غد، ففضضت الختم عن الكيس،
وقضيت منه ديني، وتأثنت، وتوسعت في منزلي، واشترت ثياباً لي، ولها، ولبناتي، وأصلحت جميع أمري

بنحو خمسة آلاف درهم من ذلك.

ومضى على هذا الحديث ثلاثة أيام، أو أربعة، فانفتلت يوماً عن الصلاة، فإذا بالخراساني ورائي. فلما رأيته قمت قيامتي، وقلت: ما لك؟ فقال: قد اصرفت عن السفر إلى مكة، وأريد المقام ببغداد، فتر إلى تلك الوديعة.

فقلت له: لست أتمكن من ذلك الساعة، فتجيئي غداً غدوة. فنهض ونهضت إلى منزلي، وما بي طاقة للمشي، فيما بين المسجد وبيتي. فدخلت، وسقطت مغشياً علي، واجتمع أهلي. فلما أفتت قالوا: ما دهاك؟ قلت: أنتم حملتموني على التصرف في مال الخراساني، وقد جاءني الساعة يطلبه، فكيف أعمل؟ الآن أفتضح، ويذهب جاهي، وأهلك بين الناس، وأحبس، فأموت ضراً وغماً. فبكوا، وبكيت.

وجاءت المغرب، فلم أقدر على الخروج إلى المسجد، وكذلك العشاء، ثم قمت، فصليت في البيت. فقلت: هذا أمر لا يكشفه إلا الله، وليس لي إلا التضرع إليه، فجلدت طهوراً، وصففت قدمي في الخراب، أصلي، وأبكي، وأدعو حتى ختمت القرآن، وقد كاد أن يطلع الفجر، وما اكتحلت غمضاً. فقلت لأهلي: الساعة يجيء الرجل إلى المسجد، فكيف أعمل؟ فقالوا: لا ندري. فقلت: أسرجوا لي، وكانت لي بغلة أركبها.

وقلت لهم: أنا، هو ذا، أركب، لا أدري إلى أين أمضي، ولست أرجع إليكم وإن تلفت، ولا وجه لي يقوى على كلام الخراساني، فإن طالبكم وخرج بكم إلى مكروه، فسلموا إليه بقية المال، واصدقوه الحديث، وإن أمكنكم مدافعته، فدعوني مستوراً، فلعلي أرجع بفرج، أو رأي في أمره. وركبت، لا أدري أين أقصد، وليس معي ضياء، ولا غلام، وتركت عنان البغلة على عرفها. وجاءت إلى الجسر، وعبرته إلى الجانب الشرقي، وأنا عليها، وصارت بي إلى باب الطاق، وعطقت بي في الشارع الكبير، المنفذ إلى دار الخليفة.

فلما توسطه، إذا بموكب عظيم، وضياء، وقوم يجيئون من ناحية دار الخليفة. فقلت: أنكب الطريق، حتى لا يرحموني بدواهم. فجذبت العنان لأدخل درباً، فإذا بهم يصيحون بي، فوقفت. فقالوا: من أنت؟ ومن تكون؟ قلت: رجل من الفقهاء، فمسكوني، فجاذبتهم، وجاء رئيسهم. فقال: من أنت رحمك الله؟ لا بأس عليك إن صدقت. قلت: رجل من الفقهاء والقضاة. قال: بمن تعرف؟ قلت: بأبي حسان الزياتي.

فصاح: الله أكبر، الله أكبر، أجب أمير المؤمنين، فسرت معه، حتى أدخلت على المأمون. فقال لي: من أنت؟ قل: رجل من الفقهاء والقضاة، أعرف بالزيادي، ولست منهم، إنما سكنت في محلة لهم،

فنسبت إليهم.

فقال: بأي شيء تكني؟ قلت: بأبي حسان.

قال: ويحك ما دهاك؟ وما قصتك؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما تركني أنام البارحة بسبيك، أتاني دفعة في أول الليل، وفي وسطه، وهو يقول: أغث أبا حسان الزيادي، فأنته، ولا أعرفك، وأنسيت السؤال عنك، فلما كانت الساعة، أتاني، فقال: أغث أبا حسان الزيادي، فما تجاسرت عن النوم، وأنا ساهر من ذلك الوقت، وقد بثت الناس في جانبي البلد، أطلبك، فما قصتك؟ قال: فصدقته عن الخبر، حتى لم أكتمه منه حرفاً.

وقلت: أنا رجل كنت أتقلد للرشد من أبي يوسف القضاء بناحية، فلما مات، صرفت، واقتطعت أرزاقى، ولزمتني العطلة والإضاقة، فكان من خبري مع رجل خراساني كيت وكيت. فبكيت، وبكى وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هاتوا خمسة آلاف درهم، فجاءوا بها. فقال: خذ هذه فاردها مكان ما تصرفت به.

ثم قال: هاتم عشرة آلاف، فجاءوا بها، فقال: خذ هذه فأصلح بها أمرك. وتوسع بها في نفسك.

ثم قال: هاتم ثلاثين ألفاً، فجاءوا بها، فقال: خذ هذه، فأصلح بها أمر بناتك، وزوجهن، وإذا كان يوم الموكب، فصر إلينا بسواد لنقلدك عملاً، ونرزقك رزقاً.

فحمدت الله، وشكرته، وصليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوت لأمر المؤمنين، وانصرفت والمال معي، وصرت إلى منزلي، وما طلعت الشمس، وأهل المسجد يتوقعون خروجي للصلاة، وقد أنكروا تأخري عنهم، فنزلت، فصليت بهم، وسلمت، وإذا بالخراساني، فأدخلته منزلي، وأخرجت إليه بقية ماله، فرأى ختمه غير صحيح.

وقلت: خذ هذا، فهو بقية مالك، فقد صرفته، وأومأت إلى المال الذي كان معي، وقلت خذ تمام مالك. فقال: ما قصتك؟ فأخبرته الخبر فبكى، وحلف لا يأخذ شيئاً.

وحلفت عليه، فقال: والله، لا أخذته، ولا أدخلت في مالي شيئاً من مال هؤلاء.

وبأت بالنظر في أمر بناتي، وتزويجهن، وتجهيزهن، وتقدمت بابتياح سواد، ودابة، وغلाम. وصرت إلى المأمون يوم الموكب، فأدخلت، فسلمت، فأوقفت مع القضاة، وأخرج إلي عهداً من تحت مصلاه، وسلمه إلي. وقال: قد قللتك القضاء بالمدينة الشرقية من الجانب الغربي، وهذا عهدي إليك عليها، فائق الله، وقد أجريت إليك كذا وكذا، في كل شهر رزقاً. فما زال أبو حسان يتقلدها في أيام المأمون.

العلويون وآل طاهر

حدثني أبي، قال: حدثني الصولي، أن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حدثه، قال: لما عاد محمد بن عبد الله، أخي من مقتل يحيى بن عمر العلوي، رضي الله عنه، بعد مديدة، دخلت إليه بعد ذلك يوماً سحراً، وهو كئيب مطأطئ الرأس، في أمر عظيم، كأنه قد عرض على السيف، وبعض جواريه قيام لا يتجاسرن على

مسألته، وأخته واقفة.

فلم أقدم على خطابه، فأومأت إليها، ما له؟ قالت: رأى رؤيا هالته.
فتقدمت إليه، وقلت: أيها الأمير، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره، فليتحول من جانبه إلى الآخر، وليقل ثلاثاً استغفر الله، ويلعن إبليس، ويستعيذ بالله، ثم ينام.
فرفع رأسه وقال: يا أخي، فكيف إذا كانت الطامة من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: أعوذ بالله.

فقال لي: أأست ذاكراً رؤيا طاهر بن الحسين؟ فقلت: بلى.
قال عبيد الله: وكان طاهر، وهو صغير الحال رأى النبي صلى الله عليه في منامه، فقال له: يا طاهر، إنك ستبلغ من الدنيا أمراً عظيماً، فاتق الله، واحفظني في ولدي، فإنك لا تزال محفوظاً ما حفظني في ولدي.
فقال: ما تعرض طاهر لقتال علوي قط، وندب إلى ذلك غير دفعة فامتنع عنه.
ثم قال لي أخي محمد بن عبد الله: إني رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه في منامي، كأنه يقول لي: يا محمد، نكثتم؟ فأنتهت فرعاً، وتحولت، واستغفرت الله تعالى، وتعوذت من إبليس، ولعنته، واستغفرت الله تعالى ونمت.

فرأيتني صلى الله عليه، ثانية، وهو يقول: يا محمد، نكثتم؟ ففعلت كما فعلت في الأولى.
فرأيتني صلى الله عليه وهو يقول: نكثتم وقتلتم أولادي، لا تفعلون بعدها أبداً.
فانتهت، وأنا على هذه الحال، وهذه الصورة، منذ نصف الليل ما نمت.
قال: واندفع يكي، وبكيت معه.

فما مضت على ذلك إلا مديدة، حتى مات محمد، ونكبتنا بأسرنا أقبح نكبة، وصرفنا عن ولاياتنا، ولم يزل أمرنا يخمل، حتى لم يبق لنا اسم على منبر، ولا علم في جيش، ولا إمارة. وحصلنا إلى الآن تحت الخن.

بين الوزير علي بن عيسى

والعطار الكرخي

حدثني جماعة من أهل الحضرة: أن رجلاً عطاراً من أهل الكرخ، كان مشهوراً بالستر، ارتكبه دين، فقام من دكانه ولزم منزله وأقبل على الدعاء والصلاة ليالي كثيرة.
فلما كان ليلة جمعة، وصلى صلاته، ودعا ونام.
قال: فرأيت النبي صلى الله عليه في منامي، وهو يقول لي: اقصد علي ابن عيسى الوزير، فقد أمرته لك بأربعمائة دينار، فخذها وأصلح بها أمرك.
قال: وكان علي قيمة ستمائة دينار.
فلما كان من غد، قلت: قد قال رسول الله صلى الله عليه، من رآني في المنام، فقد رآني، لأن الشيطان لا

يتمثل بي، فلم لا أقصد الوزير؟ قال: فقصدته، فلما جئت إلى الباب، منعت من الوصول إليه، فجلست إلى أن ضاق صدري، وهممت بالانصراف، فخرج الشافعي صاحبه، وكان يعرفني معرفة ضعيفة، فأخبرته الخبر. فقال: يا هذا، إن الوزير، والله، في طلبك منذ السحر، وإلى الآن، وقد سئلت عنك، فما عرفتك، وما عرفنيك أحد، والرسول ميثوثة في طلبك، فكن مكانك.

قال: ومضى، فدخل، فما كان بأسرع من أن دعوني، فدخلت إلى أبي الحسن علي بن عيسى. فقال: ما اسمك؟ فقلت: فلان ابن فلان العطار.

قال: من أهل الكرخ؟ قلت: نعم.

قال: يا هذا أحسن الله جزاءك في قصلك إياي، فوالله ما تهنيت بعيش منذ البارحة، جاءني رسول الله صلى الله عليه، في منامي، فقال: أعط فلان بن فلان العطار في الكرخ أربعمئة دينار، يصلح بها شأنه، وكت اليوم، طول نماري، في طلبك، وما عرفنيك أحد. ثم قال: هاتم ألف دينار، فجاءوا بها عينا.

فقال: خذ منها أربعمئة دينار، امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه، وستمئة دينار، هبة مني لك. فقلت: أيها الوزير ما أحب أن أزداد على عطية رسول الله صلى الله عليه شيئاً، فإني أرجو البركة فيها، لا فيما عداها.

فبكى علي بن عيسى، وقال: هذا هو اليقين، خذ ما بدا لك.

فأخذت أربعمئة دينار وانصرفت.

فقصصت قصتي على صديق لي، وأريته الدنانير، وسألته أن يحضر غرمائي، ويتوسط بيني وبينهم، ففعل. وقالوا: نحن نؤخره ثلاث سنين بالمال، فليفتح دكانه.

فقلت: لا، بل يأخذون مني الثلث من أموالهم، وكانت ستمئة.

فأعطيت كل من له شيء، ثلث ماله، وكان الذي فرقته، مائتي دينار.

وفتحت دكاني، وأدرت المائتين الباقية في الدكان، فما حال الحول علي، إلا ومعي ألف دينار. فقضيت ديني كله، وما زال مالي يزيد، وحالي تصلح.

يحفظ شعراً في منامه

حدثني أبو أحمد الخارثي عبد الله بن عمر، قال: رأيت في منامي كأني مجتاز بالبصرة في بني نمير على مجلس الشرطة، والناس مجتمعون. فقلت: ما هذا؟ قالوا: فتى يضرب عنقه.

فاطلعن في الحلقة، فإذا بفتى حسن الوجه، قد أجلس وشد ليضرب عنقه.

فقال لهم: دعوني أتكلم بكلمتين، ثم اعملوا ما شئتم.

فقالوا له: تكلم.

فقال: هل هاهنا رجل من أهل الأدب، يحفظ عني ما أقوله.

قلت: نعم، فقال:

أيا شاهدي قتل المشوق تحملاً ... زكي سلام طبيته مقاصده
إلى الطبية اللعساء في سند الحمى ... بحيث تحدى باب عثمان قاصده
فقولا لها إن المشوق الذي اعتدت ... عليه لريب الدهر أيد تراصده
مضى وبأحناء الضلوع هواكم ... إلى أ، يرى إنشاء بعد حاصده
ثم قال لي: احفظها يا أخي علي، فإنه لا خمس لقافيتها، بشرط أن لا تغير الصاد والبدال، ثم ضربت عنقه.
وانتهيت، وأنا أنشد الأبيات في الحال، فعلقته.
وطلبت - فيما أعرفه وأذكره - قافية خامسة للأبيات، فلم أجده.
قلت أنا: وطلبت لها قافية، فوجدت ما يصلح أن يضاف إليها، أتصدده من الفصد، وعاصده، ولا أدري
كيف ذهب ذلك عن أبي أحمد.
ولعل غيري إن فش وجد قوافي آخر، إلا أنها قافية عزيزة على هذا الشرط، كيف تصرفت الحال.

المعتضد يهدم سور أنطاكية

حدثني أبي، قال: لما خرج المعتضد إلى قتال وصيف الخادم، إلى طرسوس، وأخذه، عاد إلى أنطاكية، فنزل
خارجها، وطاف بالبلد بجيشه، وكنت صبياً إذ ذاك في المكتب.
قال: فخرجت في جملة الناس، فرأيت عليه قباء أصفر بلا سواد، وسمعت رجلاً يقول: الخليفة بقاء أصفر
بلا سواد؟ قال: فقال له أحد الجيش: هذا كان عليه وهو جالس في داره في بغداد، فجاءه الخبر بعصيان
وصيف، فخرج في الحال من داره إلى باب الشماسية، فعسكر، وحلف أن لا يغير هذا القباء، أو يفرغ من
أمر وصيف، فأقام بباب الشماسية، أياماً، حتى لحقه الجيش، ثم خرج، فهو عليه إلى الآن ما غيره.
قال: فحدث أبي بعد ذلك: وأنفذ المعتضد إلى سور أنطاكية بفيلة يهدمونه، فماج الناس، ولجت العامة،
وتشاور شيوخ المدينة في هذا، فأجمع رأيهم أن كفوا العامة، ومضوا إلى مضرب الخليفة، وسألوا الوصول.
فأنفذ إليهم أن اختاروا عشرة منكم، يدخلون إلي ويخاطبوني.
فاختاروا عشرة كنت منهم.

فحدثني قال: دخلنا عليه، فسلمنا، ووقفنا، فأمر بإجلاسنا، فجلسنا.
فقالوا: يا أمير المؤمنين، نحن في وجه عدو كلب، وجهاد متصل، ونغير دائم، والعدو يطرقنا ونطرقه، فإن
هدمت هذا السور، كان ذلك أقوى عدة للعدو علينا، وكان البلد له عند أيسر ضعف يلحقنا، وحادثة
تطرقنا، فإن رأيت أن ترحم ضعفنا، وتستر ذرارينا، بهذا السور.

فقال: قد كثرت الحوادث علينا في هذه الغور، واعتصام كل مخالف، بحصن منها، وقد علمتم ما لحقنا
بالأمس من ابن الشيخ، واليوم من هذا الخادم، وقد سبق مني القول، أن لا أدع حصناً إلا هدمته، وأنا أهمل
هذا السور، وأحصنكم من العدو، بإضعاف عدد الشحنة، وإدراج الأرزاق، وإطلاق مال للمطوعة، يقوون
به على جهاد العدو، فتكون قوتهم مانعة للعدو، وكأن السور لم يزل، ولا يطمع أحد في التحصن به إلى
العصيان.

قال: فلم يكن عند أصحابي حجة، وضعف كلامهم، ورأيت المجلس كالمفض على هذا.
فقمت، واستأذنت في الكلام، فأذن لي.

فقلت: يا أمير المؤمنين، على أن أقول ما عندي، وأنا آمن؟ قال: نعم.

قلت: يا أمير المؤمنين، إن الله لو خلد أحداً في الأرض، لخلد محمداً صلى الله عليه، وإن هذه الحصون والأسوار لم توضع لسنة بعينها، ولا لأيام خليفة بعينه، وإنما جعلت لتبقى على الدهور، وتدفع عن أهلها في أيام كل ملك، سائساً كان أو متوانياً.

ولو كنا نتق بحياة أمير المؤمنين أبداً، ما سألناه خلاف ما يراه، ولو كنا نتق أن من يلي أمور المسلمين بعده يكون لهم، باهتمامه بمصالحهم، وسياسته لخاصتهم وعامتهم، مثله، لسهل ذلك علينا المصيبة بفقدان السور الذي لا عوض عنه، ولو كان من يتقلد بعده، مثله، لما كان لنا في ذلك عزاء عن السور، فإننا لا نأمن من إهمال من يجيء بعد ذلك الخليفة أيضاً، أن تشغله حادثة عنا، تمنعه من مصالحنا، فنكون نحن درية لسيوف الروم، ورماحهم.

وإنك يا أمير المؤمنين إن هدمت هذا السور، بقي بلدنا ما دمت حياً، ثم خرج عن أيدي المسلمين بعدك، وقتلنا الروم، وسيت ذرارينا، وصليت يا ثمتنا في القيامة، وعارنا في الدنيا، فالله، الله، فينا، فقد صدقتك يا أمير المؤمنين، والأمر إليك بعد ذلك.

قال: فنكس المعتضد رأسه ساعة، ثم رفعه، وقد بكى.

وقال: كيف أعمل، وقد سبق قولي بأني أهدمه؟

فقلت له: تعمل الفعلة في هذا اليوم فقط، فيكون في ذلك إبرار لقب أمير المؤمنين، ثم إذا رحل هو عنا، أذن لنا في إعادة ما هدم اليوم فقط.

فقال: أنفذوا غداً من يرد الفعلة، ويمنعهم من هدم السور بعد اليوم، وقد أذنت لكم في إعادة ما أهدم. فشكرناه، ودعونا له، وتعاليت الصيحة بالدعاء له.

وعدنا، فوجدنا الفعلة، قد هدموا ذلك اليوم قطعة منه، فأعدناها بعد خروج المعتضد، من أموالنا.

فهي معروفة إلى الآن في السور، لتغير بنائها عن البناء الأول.

بحث في شكوى الزمان

وفساد الإخوان

جرى بيني وبين أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين، الكاتب الأهوازي، وهذا الرجل من معقلي الناس وفضلائهم، عقلاً، ونبلاً، وبراعة في صناعته، وتقدماً، وقد ولي كبار الأعمال للسلطان، وخلف أبا عبد الله البريدي على الأهواز، وتولاها لمعز الدولة مكان أبي عبد الله البريدي، عقيب هربه من معز الدولة، ثم استخلفه بعد ذلك، أبو القاسم البريدي على البصرة، ثم خلف أبا علي الطبري، وأبا محمد المهلي وكان

إذ ذاك على كور الأهواز، ثم تقلد عمالة البصرة لسباشي الحاجب الخوارزمي التركي، ثم لمعز الدولة، رئاسة في أيام وزارة أبي محمد المهلب، وحلب الدهر أشرطه، وجرب الأمور، وسبر الزمان، ذكر الزمان وتصرفه، وفساد الإخوان فيه وقلة المودات، وما بلغني عهن ابن الحسن بن الفرات، أنه قال: جرى الله عنا من لا نعرفه ولا يعرفنا خيراً، وأنه قال: أحصيت ما أنا فيه من المكاره، فما وجدت منه شيئاً لحقني، إلا ممن أحسنت إليه.

فقال لي أبو الحسن: هذا صحيح، ولكن حدث عند فساد الزمان، وإلا فالأكثر من عدد الناس، كان قديماً، على تصرف زمانهم، ما يعتقدونه من مودات إخوانهم، فلما فسدت الطباع، وتسمح الناس في شروط موداتهم، صار الإنسان ساكناً ممن لا يعرفه، لا يلحق به شره، ولا يناله ضرره، وإنما يلحق الآن الضرر من المعارف، ومن يقع عليه اسم الإخوان، ذلك إنهم يطالبون في المودة بما لا يفعلون مثله، فإن أسدى إليهم إحساناً عرف طبعه فهي العداوة القليلة، وإن حفظ الإنسان ما يضيعونه أبداً حصل تحت الرق، وإن قارضهم الأفعال ثارت العداوة، وتواترت عليه المكارم، هذا إذا سلم من أن يبدأك من تظنه صديقاً بالشر والتجني، والمعاملة القبيحة بالتوهم والتظني، من غير تثبيت ولا استصلاح، فأما إذا كان ليس بينكما أكثر من المعرفة فالضرر معها بالثقة، لأن كل مكروه يلحقك، إذا حصلت، كان ممن يعرفك ويقصدك به على علم بك، فأما الضرر ممن لا تعرفه، فبعيد جداً، مثل لصوص يقطعون عليك الطريق، غرضهم أخذ المال منك، أو من غيرك، أو ما يجري هذا الجرى، وعلى أن أشد الضرر من اللصوص، ما وقع عن تعيين، وعلى معرفة بالإنسان.

فهما أمكن للعاقل أن يقل من المعارف، واجتلاب من يسمى أحياناً في هذا الزمان، فليفعّل، وليعلم أنه قد أقل من الأعداء، وكلما استكثر منهم، فقد استكثر من الأعداء.

وكان ابن الرومي جمع هذا المعنى، فقال:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثر من الصحاب

فإن الداء أقتل ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

من شعر أبي فراس الحمداني

هذا شعر أبي فراس بن أبي العلاء بن حمدان بن حمدون العدوي التغلبي

أشد عدوك الذي لا تحارب ... وخير خليليك الذي لا تناسب

لقد زدت بالأيام والناس خبرة ... وجربت حتى هذبتني التجارب

فأقصاهم أقصاهم عن إساءتي ... وأقربهم مما كرهت الأقارب

وأعظم أعداء الرجال ثقافتها ... وأهون من عاديتهم من تحارب

وما أنس دار ليس فيها مؤانس ... وما قرب أهل ليس منهم مقارب

نسبيك من ناسبت بالود قلبه ... وجارك من صافيته لا المصائب

وله:

إذا كان فضلي لا أسوغ نفعه ... فأفضل عندي أن أرى غير فاضل
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل ... يجور على حوائثها حكم جاهل
وله:

لمن أعاتب؟ مالي؟ أين يذهب بي؟ ... قد صرح الدهر لي بالمنع واليأس
أبغى الوفاء بدهر لا وفاء به ... كأني جاهل بالدهر والناس
وله:

وأخ أطعت فما رأى لي طاعتي ... حتى خرجت بأمره عن أمره

وتركت حلو العيش لم أحفل به ... لما رأيت أعزه في مره
والمرء ليس ببالغ في أهله ... كالصقر ليس بصائد في وكره
وله:

في الناس إن فتشتهم ... من لا يعزك أو تذله
فاترك مجالسة اللئيم ... فإن فيها العجز كله
وله:

غنى النفس لمن يعقل ... خير من غنى المال
وفضل الناس في الأفس ... ليس الفضل في الحال
وله:

ندل على موالينا ونحفو ... ونعتبهم وإن لنا الذنوبا
بأقوال يجانبن المعني ... وألسنة يخالفن القلوبا
وله:

ولقد علمت كما علم ... ت وإن أقمت على صدوده
إن الغزاة والغزا ... لة في ترائبه وجيده
وله:

قد كان لي فيك حسن صبر ... خلوت يوم الفراق منه
لم يبق لي في الجفون إلا ... ما استنزلتني الحدود عنه
وله:

لي صديق على الزمان صديقي ... ورفيق مع الخطوب رفيقي
لو رأني إذا استهلته دموعي ... في صبح ذكرته أو غبوقي
أسرق الدمع من نديمي بكأسي ... فأحلي عقيانها بالعقيق
وله:

هل تحسان لي صديقاً صدوقاً ... يحفظ العهد أو رفيقاً رفيقاً

لا رعى الله يا حبيبي دهرًا ... فرقتنا صروفه تفريقا
وله:

من السلوان في عينيك ... آيات وآثار
أراها منك في القلب ... وفي القلوب أبصار
إذا ما برد الحب ... فما تسخنه النار
وله:

الحزن مجتمع والصبر مفترق ... والحب مختلف عندي ومتفق
ولي إذا كل عين نام صاحبها ... عين تحالف فيها الدمع والأرق
لولاك يا ظبية الأنس التي نظرت ... لما وصلن إلى مكروهي الخدق
لكن نظرت وقد سار الخليط ضحى ... بناظر كل حسن منه مسترق
وله:

يا من يلوم على هواه جهالة ... انظر إلى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها ... مسك تساقط فوق ورد أحر
وله:

ومرتد بطرة ... مسدلة الرفارف
كأنها مسبلة ... من زرد مضاعف
وله:

يا ليلة لست أنسى طيبها أبداً ... قد كان كل سرور حاضراً فيها
باتت وبت وبات الرق ثالثنا ... حتى الصباح فتسقيني وأسقيها
كأن سود عناقيد بلمتها ... أهدت سلافتها صرفاً إلى فيها
وله:

بتنا نعلل من ساق أعد لنا ... بخمرتين من الصهباء والحد
كأنه حين أذكى نار وجنته ... سكرًا وأسيل فضل الفاحم الجعد
يعل ماء عناقيد بطرته ... بماء ما حملت خداه من ورد
وله:

وظبي غرير في فؤادي كناسه ... إذا اكتنفت غور الفلاة وقورها
فمن خلقه لباتها ونحورها ... ومن خلقه عصيانها ونفورها
وله:

وجناته تجني على عشاقه ... ببديع ما فيها من الألاء
بيض علتها حمرة فنوردت ... فعل المدام مزجتها بالماء
فكأنما برزت لنا بغلالة ... بيضاء تحت غلالة حمراء

وله:

كأنما تساقط الث ... لج لعيني من يرى
أوراق ورد أبيض ... والناس في شاذكلي

وله:

كأنما الماء عليه الجسر ... درج بياض خط فيه سطر
كأننا حين استتب العبر ... أسرة موسى حين شق البحر

نسخة من كتاب من أبي

محمد يحيى الأزدي إلى

الأمير أبي تغلب بن ناصر الدولة

كان الحسين وإبراهيم ابنا ناصر الدولة، خالفا على أخيهما أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة، عقيب قبضه على أخيه محمد بن ناصر الدولة، وإصعاده به إلى القلعة مقيدا، وقبضه نعمته، وخرجا إلى أعماله محاربين له، ومواطني حمدان بن ناصر الدولة، على محاربة أبي تغلب، واجتمعا معه، فخرج أبو تغلب بالجيش إليهم، فلقاهم، وهزم حمدان، ودخل الحسين إلى أبي تغلب، وانحدر إبراهيم إلى باب السلطان ببغداد، ليخل في الأمان، وكان ابتداء ذلك في شعبا سنة ستين، والصلح في شوال. فكتب أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد، إلى أبي تغلب بالتهنئة على ذلك كتاباً نسخته: لم تزل عادة الله عند مولانا الأمير السيد، أطل الله بقاءه، وأدام تأييده، وكبت أعداءه، جارية بالمواهب النبيلة، والنعم المصلة الجليلة، متسقة على التوفيق والسداد، مطردة بمنة الله أجمل اطراد، لما خصه الله تعالى به من حسن النية وجميل الاعتقاد، وأفرده من تغمد الحق في إصدار والإيراد، وألهمه إياه من التوفر على شكره وحمده، واجتلاب المزيد من ذلك لعنده، فابتدأته - أدام الله تأييده - دالة على حسن عواقيها، ومبشرة بنيل البغية في أوائل الأمور وأواخرها، وأفعاله مقترنة أبداً بالرشاد؟؟؟، وآراؤه بحمد الله مصاحبة للصواب والسداد، وراياته موصولة بالعز والنصر، ونعم الله عنده محفوظة بالحمد والشكر، وبحسب ذلك تكون دواعي المزيد، على قدر تضاعف التمكين والتأييد، ولهذه الشيم السنية، والفضائل الجليلة العلية، والطوية الحميدة المرضية، ما يجدد الله منحه لديه، ويدعم دفاعه عنه وإحسانه إليه، ويسبغ آلاءه ونعمه عليه، ويجعل كلمته العليا، وكلمة أعدائه بسهم الله السفلى، وينوه باسمه - ثبته الله - في سائر البلاد، ويجعل زناده - أناره الله - أضوا زناد، ويشرف الدعاء - على التناهي - بذكره، ويص ألسنة ممن قرب وبعد بشكره، والحمد لله على ما خوله وأولاه، وإليه الرغبة في زيادته في ما نوله وأعطاه، وحراسته في بدء كل أمر وعقابه، وإعلائه على كل من حسده وناواه، وقصر عن شأوه فعاده، والحمد لله الذي جعل سفرته ظاهرة البركة، سعيدة السكون والحركة، ميمونة الأحوال، محمودة الحل والترحال، مؤذنة بحسن الانقلاب، على

أحسن الوجوه وأجل الأسباب، عائدة بشكر الرعية ودعائهم، جامعة لنياهم على اختلاف آرائهم، وهو المرجو الإعانة على ما قرب إليه، والمسؤول حسن التوفيق لما يزلف لديه، إنه ولي حميد، فعال لما يريد، ولقد صدق الله، وله الحمد، في مولانا - أدام الله عزه - ظنون أوليائه وأهل طاعته، وحقق بما تفضل به من ظهوره على أعدائه، تقديرات خدمه وعديد نعمه، فشكرهم لله تعالى على ما منحه من التوفيق والنعمة في ذلك بحسب موقعها، ومقدارها وموضعها، وما يخصهم ويعم غيرهم منها، ويصل إلى القاصي والداني الحظ بها، ولن يرتفع لغادر علم إلا وضعه الله سبحانه وتعالى بمثله - أيده الله - من كرام المخلصين لديه، ولا يبسط لمبطل أمل إلا قطعه الله تعالى بأقرب الطائعين إليه، فعال الله جل ذكره في عباد، ليجعل جنده المنصورين، وأعداءه المقهورين، وليظهر حقه على يد مستحقه، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم، ورد الله الذين كفروا نعمة مولانا بغيظهم إليه أيده الله، لم ينالوا خيراً، إلا منه حرسه الله، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً، وهنأ الله مولانا الأمير نعمه عليه، وضاعف قسمه ومنحه إليه، وأصلح به وعلى يديه، وجعل الخير والسعادة واصلين إليه، وكبت عادته وحسدته، وبلغه في الدين والدنيا أمنيته، ولا ابتزه ثوب نعمته، وحرس الأمة بحراسة مهجته، وصرف عين السوء عن دولته، وشد قواها بقدرته، فالسعيد من وفق لخدمته، وحظي بجميل رأيه، والشقي من نفر عن حوزته، وخرج عن ظله وجهلته، والله وليه والدافع عنه، والذاب عن الإسلام وأهله ببقائه، والחסن إليهم بالمدافعة عن حوابعه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

رسالة إلى رجل تزوجت أمه

حدثني أبو الفرج البغاء، قال: جرى بحضرة الأمير سيف الدولة، ذكر رجل تزوجت أمه من أصحابه، وحديث الترسل والكتابة، فقال لي: اكتب الساعة على البريد، رقعة عن نفسك إلى هذا الرجل، تعزيه بتزويج أمه.

فكتب رقعة بين يديه ارتجالاً وحفظتها:

من سلك سبيل الانبساط، لم يستوعر مسلكاً في المخاطبة فيما يحسن الانقباض في ذكر مثله، واتصل بي ما كان من أمر الواجبة الحق عليك، المنسوبة بعد نسبتك إليها، إليك، ومن الله صيانتها في اختيارها ما لولا أن الأنفس تتناكره وشرع المروءة يحظره، لكنت في مثله بالرضى أولى، وبالاعتداد بما جدده الله من صيانتها أخرى.

فلا يستخطك من ذلك، ما رضىه موجب الشرع، وحسنه أدب الديانة، فمباح الله أحق أن يتبع. وإياك أن تكون ممن إذا عدم اختياره سخط اختيار القدر له، والسلام.

حديث العلوية الزمنة

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد، قال: كانت في شارع دار الرقيق، صبية علوية، زمنت نحو خمس عشرة سنة، وكان أبي يتفقدتها. وكانت مسجاة لا يمكنها أن تنقلب من جنب إلى جنب، أو يقلبها غيرها، ولا تقعد، أو تقعد، وكان لها من يخدمها في ذلك، وفي الإنجاء والأكل. وكانت فقيرة، وإنما قوتها مما يبرها الناس، فلما مات أبي اختل أمرها، فبلغ تحني، جارية أبي محمد المهلي أمرها، فكانت تقيم بأكثر أمرها. وإنما أصبحت في يوم من الأيام، وقد باتت في ليلته زمنة على تلك الصورة، فأصبحت من غد، وقد مشت، وبرئت، وقمت وقعدت.

وكنا مجاورين لها، وكنت أرى الناس ينتابون بابها، كال موسم، فأنفذت امرأة من داري صدوقة، ممن شاهدتها زمنة على طول السنين، فسألناها عن الخبر. فقالت: إني ضجرت من نفسي، فدعوت الله تعالى طويلاً بالفرج أو الموت، وبت وأنا على غاية الألم والصياح والقلق، وضجرت المرأة التي كانت تخدمني، فلما استثقلت في النوم، رأيت كأن رجلاً قد دخل علي، فارتعت منه.

فقال: لا تراعي، فأنا أبوك، فظننته علي بن أبي طالب، عليه السلام. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما ترى ما أنا فيه؟ لو دعوت الله تعالى أن يهب لي العافية. فقال لي الرجل: أنا أبوك محمد رسول الله. فقلت: يا رسول الله، ادع الله لي. قال: فحرك شفتيه، ثم قال لي: هاتي يديك، فأعطيته يدي، فأخذهما، وأجلسني. ثم قال لي: قومي على اسم الله. فقلت: يا رسول الله، كيف أقوم؟ فقال: هاتي يديك، فأخذهما، فأقامني. ثم قال: امشي على اسم الله.

فقلت: كيف امشي؟ فقال: هاتي يديك، فمشاني، ثم جلست، ففعل بي ذلك، ثلاث مرات. ثم قال لي: قد وهب الله لك العافية، فاحمديه، وتركني، ومضى. فانتبهت، وأنا لا أشك أني أراه، لسرعة انتباهي. فصحت، فظنت خادمتي أني أريد البول، أو شيئاً مما يثقل عليها، فثاقلت. فقلت لها: ويحك انتيني، فقد رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في النوم، فانتبهت، وأنا مسجاة. فاستشرحتني.

فقلت لها: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه، فدعا لي في النوم، وقال: قد وهب الله لك العافية. فقالت لي العجوز: ويحك، فإني أرجو أن تكوني قد برئت من العلة، هاتي يديك، فأقامتني، والله، كما أقامني النبي صلى الله عليه، في النوم، ولم أكن عرفتها ذلك. فأعطيتها يدي، فأجلستني، وقالت لي: قومي، فقامت، ففعلت بي ذلك ثلاث مرات. ثم قمت، فمشيت وحدي.

فصاحت الخادمة سروراً بالحال، وإعظاماً لها، فقدر الجيران أني قد مت، فجاءوا، فقامت فمشيت بحضرتهم متوكئة، فكثروا علي في الليل، وفي غد، حتى كدت أتلف، وما زالت قوتي ترجع إلي، إلى أن مشيت كما أمشي الآن، ولا قلبية بي.

قال: وقد رأيتها بعد ذلك، أنا، تمشي وتحجى إلى عيالنا ماشية، وهي الآن باقية صحيحة، وهي أصلح وأورع وأزهد امرأة سمعت بخبرها في هذا الزمان، لا تعرف غير الصلاة والصيام، وطلب الرزق على أجهل الوجوه، عاتق إلى الآن، دينة جداً. ولا تعرف إلى الآن في المشاهد، وعند أهلها، إلا بالعلوية الزمنة.

إذا لم تكن في الشاهد ثلاث خلال

من خلال أهل النار صار هو من أهل النار

سمعت قاضي القضاة أبا السائد عتبة بن عبيد الله بن موسى، يقول: الشاهد، إذا لم تكن فيه ثلاث خلال، من خلال أهل النار، صار هو من أهل النار.

فقلت له: ما هي؟ فقال: قلة الحياء، لأن الشاهد، إذا كان مستحياً، أجاب إلى كل محال يسأله، فيذهب دينه، ويصير من أهل النار، والحياء في الأصل من الإيمان، وأهل الإيمان في الجنة، كما روى في الخبر، قلة الحياء من خصال أهل النار، فهذه واحدة.

والثانية: إنه يحتاج أن يكون فيه سوء الظن، لأنه متى أحسن ظنه تمت عليه الحيلة والتزويرات، فيشهد بالمحال، فيدخل النار، وإذا كان شيء الظن سلب، وسوء الظن في الأصل إثم، كما قال الله تعالى، والإثم من خصال أهل النار.

وذكر الأخرى: وقد أنسيته أنا.

ثم قال: ما ظنكم ببلد فيه عشرات ألوف الناس، ليس فيهم شهود إلا عشرة أنفس أو أقل أو أكثر، وأهل ذلك المصر كلهم يريدون الحيلة على هؤلاء العشرة، كيف يسلمون إن لم يكونوا شياطين الإنس في التيقظ والذكاء والتحرز والفهم.

شطنجي يتحدث عن فضائل الشطنج

حدثني أبي، قال: كان لي صاحب يخدم أبي، ويخدمني بعده، من أهل أنطاكية، يقال له: أبو إبراهيم، وكان مستهتراً بلعب الشطنج، وكان له فيها عجائب، منها: إنغلماي كانوا يلاعبونه بها، وكان إذا لعب بها برك على الأرض، واتكأ على ذراعيه كالنائم، فيجيء أحدهم من وراءه، فيعبي على ظهره عدة مخاد، فلا يشعر بها، فإذا انقضى الدست، أحس بذلك، فنحاه عن ظهره، وشتهمهم.

قال: فحدثني هو، قال: دخلت ليلة إلى صديق لي مستهتر بالشطنج أيضاً، وكانت المغرب قد وجبت.

فقال: بت عندي الليلة حتى نلعب بالشطرنج، فما بت.
فقال: نصلي، ونلعب دستاً أو دسيتين إلى وقت العتمة، وتنصرف.
فصلينا، وجعل السراج عندنا، ولعبنا، وطاب لي اللعب، فواصلناه، والليل يمضي ونحن لا نشعر به، إلى أن أحسسنا في أنفسنا بنعب شديد وضجر، ووافق ذلك سماعنا الآذان.
فقلت له: قد أذن العتمة، وتعبت، ولا بد من قيامي.
فصاح بغلمانته، فلم يجيبوه، فقام معي، فأنبههم، وقال: امضوا بين يديه. فلما خرجنا نظرنا، فإذا الأذان، هو أذان الغداة، وإذا الليلة كلها قد مضت، ونحن لا نعقل.
قال أبي: وكذا كان على الاستهتار بها، فإذا ملته، قال: ليس أنا مستهتر بها، المستهتر بها هو مثل من قيل له وقد احتضر: قل لا إله إلا الله، فقال شاهك، ودع الرخ.
قال: قتلته له: لا أعرف مثلك، كأنك لست ترضى من نفسك، إلا بهذا القدر؟ قال: وكان يصف من فضائل الشطرنج أشياء، فيقول: هي تعلم الحرب وتشجذ القلب، وتلرب الإنسان على الفكر، وتعلمه شدة البصيرة.
فلو لم يكن فيها شيء من المعوز في غيرها إلا أن أهل الأرض يلعبون بها منذ ألاف السنين، ما وقع فيها دست معاد قط من أول إلى آخره لكفى.

يخاف على غلبته في الرد من العين

وبلغني عن بعض لعب الرد: إن لعباً توجه عليه لرسيله، فقال له المتوجه عليه اللعب: غلبتك، صل على النبي.
فقال: لم أفعل ذا؟ فقال: حتى لا تصيب غلبتي العين.

مقامم بالرد يكفر إذا خسر

وإن آخر منهم، كان إذا غلب، يكفر، ويعرض بأن غلبه من فعل الله عز وجل.
فامتنع رسيله عن ملاعبته، وقال: هو ذا تكفر، ولا ألب معك.
فشارطه أن يلاعبه على أن لا يكفر، فلاعب معه، فغلبه دفعات.
فقال لرسيله: يا هذا، لست أنقض الشرط بأن أكفر، ولكن قل أنت: أليس هذا قصد قبيح؟

بحث في عبارة الرؤيا

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التتوخي، قال: حدثني أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب، قال: وكان أبو هاشم إذا ذكر أبا علي، قال: قال أبو علي، وفعل أبو علي، وكان من أمر أبي علي، وما سمعناه قط قال: الشيخ، ولا شيخنا، إلا مرة واحدة، فإنه حكى شيئاً من الكلام، فقال فيه: شيخنا أبو علي،

قال: وكذا كانت عادته.

قال: قال أبو علي: رأى رجل مناماً، فجاء يفسره علي، فمجمع. فقلت له: اصدق، فإن المنام لا يكذب فيه.

قال: فقال لي: رأيت ذكرك قد طال حتى بلغ إلى عنقك، ثم تطوق عليه دفعات.

فقال له أبو علي: أنا رجل يطول ذكري على ذكر الناس مقدار ما رأيت من طول ذكري.

قال لي أبو حسن: ومضى على هذا سنون، فحدثني أبو عبد الله بن نافع البزاز جاراننا، وكان هذا موسراً، يملك نحو سبعين ألف دينار، وله أولاد ذكور وإناث.

فقال لي: رأيت في المنام ذكري قد تفرك فلم يبق منه شيء.

فذكرت في الحال، تفسير أبي علي الرؤيا في أمر ذكره، فقلت في نفسي: إن صح القيلس فهذا رجل ينقرض ذكره من الدنيا.

فما مضت إلا أيام، حتى مات أحد أولاده، ثم تتابعت في سنين يسيرة عليه المصائب، فلم يبق له ولد، ثم مات هو بعد ذلك بمدة فأنمحي ذكره على الحقيقة.

ضيق أحوال الناس أبعدهم عن

ممارسة البر والإحسان

تجارينا ذكر شدة زماننا، وفقر الناس فيه، وضيق أحوالهم، واستحبابهم البخل، حتى إن بعضهم يسميه احتياطاً، وبعضهم إصلاحاً، وتوصية الناس بعضهم بعضاً به، وتحذر التجار من معاملات الناس، ومسك الناس أيديهم عن الإحسان إلى أحد أو بره، أو إغاثة الملهوف، أو التنفيس عن مكروب، وإن ذلك في الأكثر لضيق أحوالهم.

فقال لي أبو الحسن أحمد بن يوسف: لقد كان يجيء الرجل من أهل العلم، فيجيئ له من أصحابنا الألف درهم، والأقل، والأكثر، في يوم، لا يحتاج إلى أحد يخاطبه في ذلك، مع قلة عدد أصحابنا إذ ذاك. ولقد قدم رجل أردنا أن نرتبطه ليتعلم، لجودة قريحته، وكان يحتاج إلى مائة درهم في كل شهر، فكلمت إبراهيم بن خفيف الكاتب، صاحب ديوان النفقات، وكان من أصحابنا، ورجلاً آخر من أصحابنا، فأجريا عليه مائة درهم في كل شهر، كل واحد منهما خمسين درهم، وكان الرجل يأخذها، إلى أن خرج من بغداد، سنين.

ولقد قال لي يوماً بعض من حضر إلى مجلس أبي الحسن الكرخي رضي الله عنه، من الفقهاء: يحتاج أهل المجلس إلى أكسية، فقد قرص الهواء.

فقلت أفكر في من أخاطبه في ذلك، فاجترت في طريقي لدار، فقال لي بعض من كان معي: هذه دار تاجر موسر من أهل الخير، فلو خاطبته، ولم أكن أعرفه، فدخلت إليه، فعرفني ولم لأعرفه، فقام، وأكرم. فقال: كم تريدون؟ فقلت: خمسين كساء، فحملها معي في الحال، ففرقتها فيهم.

ولقد جاءني منذ أيام رجل من أهل البيوتات فشكا من خلته ما أبكاني، وذكر أن صلاح أمره في نيف وثلاثين درهماً، فما طمعت له فيها من أحد، ولا عرفت من أعلم أنني إن خاطبته فيها أجاب. وورد لنا في هذه السنة صاحب لأبي هاشم، فخطبنا له جماعة، واجتهدنا في تحصيل شيء له، نغير به حاله، فما حصل له من ذلك قليل ولا كثير. ولقد في الدرب الذي أنزله هذا، وهو درب هرويه، خلق من أمراء، وكتاب، وتناء، وتجار، حسبت ما كانوا يملكون، فكان أربعة آلاف ألف دينار، وما في هذا الدرب اليوم من يحتوي ملكه على أربعة آلاف درهم، غير أبي العريان، أخي عمران بن شاهين.

قردة على جانب عظيم من الذكاء

حدثني لأبو الحسن بن سهيل الحذاء، قال: حدثني أبو العباس الفرغاني الصوفي، وكان من أصحاب الحديث، ومن الصوفية، ومن يعرف بصدق اللهجة والنسك، قال: رأيت بمكة قردة عند رجل يريد بيعها، خفيفة الروح، فساومت فيها، فتباعد علي في الثمن. فألححت عليه، وقلت له: يا هذا، أخبرني شرائها، وأربح ما شئت علي. قال: لا أخبرك.

فما زلت أداريه، إلى أن قال لي: شراؤها خمسة دراهم. فقال: فأومأت القردة إلي بيدها ثلاثة، أي أنه اشتراي بثلاثة دراهم. فقلت له: كذبت، شراؤها عليك ثلاثة دراهم. قال: فقام ليضرب القردة، وقال: هذا من عملها. فممنعته، وأعطيته خمسة دراهم، وأخذتها.

مخت حاض الجواب

حدثني أبو الحسن بن سهيل الحذاء، قال: حدثني أبو العباس الفرغاني الصوفي وكان ممن يحتم القرآن في ركعة، وكثير الصلاة، وأخف الناس روحاً، وأشدهم مجوناً، وأطيبهم قولاً ورقصاً، قال: اجتزت في الطريق بمخنت يتغوط، وهو جالس ويه على جبهته كأنه إنسان مغموم. فوقع لي أن أولع به، فقلت: يا אחتي، لم أنت مغمومة؟ تخافين ألا يجينك بدله؟ خلفه سريع، الله يخلص عليك. فقالت لي بالعجلة: ليس غمي هذا، ولكن غمي أنكم جماعة، وهو قليل، ولا يكفي غداكم اليوم.

الشاعر أبو نصر البص وجارية بغدادية

حدث أبو حامد القاضي الخراساني، قال: قال لي أبو نصر البص: جرت في أيام زيادة الماء على دار في دجلة، فإذا روشن حسن، وعليه جوار يلعب، فأخذون يولمن بي. فأنعظت، وكشفت أيري، ونمت فقام

منتصباً، فصحت الهليون الرطب.
فكشفت إحداهن عن حرها، وصاحت الفراني السميز. فعطط الملاحون بنا.

فص حجر خاصيته طرد الذباب

حدثني أبو الخطاب محمد بن علي بن إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التوخي، قال: كان لأبي
فص حجر حمري اللون، عليه صورة ذبابة، وقد شاهدته غير دفعة، يأخذه، فيجعله في دكان اللبان، وهو
مملوء ذباباً، فيتطاير الذباب كله عنه، فلا تبقى واحدة، فإذا نحاه رجع الذباب، فإذا عاد تنحوا.
وقد شاهدت ذلك غير دفعة.

أسد بن جهور وكثرة نسيانه

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي قال: حدثني أبي رضي الله عنه، قال: كان أسد بن جهور، كثير النسيان، فحضرته يوماً في مجلس عبيد الله ابن سليمان، وهو يخاطبه في أمر من الأمور، فيقول له أسد: سمعاً لأمر القاضي أعزه الله، وقد نسي أنه الوزير. قال: وكان إلى جانبه أبو العباس بن الفرات، فغمزه أبو العباس، وقال: قل الوزير. فقال: نعم، أعز الله القاضي. فضحك ابن الفرات وقال: لست القاضي، فارجع إلى صاحبك فقضه.

أسد بن جهور يطلب الماء

للدواة مراراً ثم يشربه
قال: وكنت يوماً عند أسد، فجفت دواته وهو يكتب منها.
فقال: يا غلام كوز ماء للدواة.
فجاء الغلام بالكوز ليصبه فيها، فأخذه وشربه، ومضى الغلام.
فقال: ويلك، هات الماء للدواة.
فجاءه به ثانية، فشربه أيضاً، ومضى الغلام، واستمد من الدواة فكانت أجف.
فقال: ويلكم، كم أطلب ماء للدواة ولا يجيئني.
فجاؤوه بكوز ثالث، فأخذه ليشربه.
فقال الغلام: يا سيدي، تصب في الدواة أولاً.
فقال: نعم، نعم، فصبه في الدواة.

بين أبي بكر الأزرق التنوخي وأسد بن جهور

قال: وأخرجني ابن الفرات في سنة تسع وتسعين، انظر في أمر إصلاح الطريق ونفقات الموصل، وسبب لذلك مالاً على الكوفة، وأسد بن جهور عاملها.
فلما جئتها، وكان لي صديقاً، تأخر عن قصدي، فتأخرت عنه أيضاً، فولد ذلك بيننا وحشة، فاستقصيت عليه في المطالبة بالمال، وتقاعد بي، فصارت مكاشفة.
فكثبت إلى الوزير أحرضه عليه، وكتب يتشكاني، فوردت الكتب إلى شاعر الإسحاق، وهو أمير الكوفة، أن يجمع بيننا في المسجد، ولا يبرح، ولا ينفصل، ولا يرضيني بالمال.
فركبت، وجمت إلى باب الإسحاق، ولم أدخل، وعرفته ما ورد، وأني متوجه إلى الجامع. فركب ولحقني،

وقال: ورد اعلي مثل هذا.

فقلت: تحضر أسد، فركب إليه، فأحضره.

فحين اجتمعنا تخارجنا في الكلام، إلى أن قلت له: أظن أني لا أعرف أباك، وأنه كان راجلاً على باب ديوان الضياع، برزق دينارين في الشهر.

قال: وكان اجتماعنا في أول يوم من شهر رمضان، فلم ينته الكلام إلى فصل، وجاءت الغرب، فقام شاكر ليركب، وأسد معه، فجلست أنا.

فقالا: لم تجلس؟ فقلت: أنا لا أخالف أمر الوزير، ولا أبرح إلا بفصل، أو بالمال.

فقال شاكر لأسد: اجلس معه ولا تبرح.

وقال لي: لولا أن قعودي معكما لا فائدة فيه، ويضربي، لقعدت، واعتذر إلى، فعدرت، وانصرف.

وقمت أنا إلى موضع من الجامع، يقال له قبة خالد، فجلست عنده أصلي، وجلس أسد مكانه، وأنفذ إلى داره يستدعي الإفطار، وأنفذت إلى داري، فجاء طعامه وطعامي معاً.

فقام إلي، وسألني أن أجعل إفطاري معه، وفرغ الجامع إلا من أصحابنا، وبسطت سفرتي، واصلحت مائدته.

واقبل أد يسألني انجيء إليه، وأنا أمتنع، إلى أن حلف، وكنت أعرف بخله.

فقلت للغلماني: أخرجوا طعامنا فصدقوا به، على من حوالي الجامع، ففعلوا.

وجئت، فأكلت معه منبسطاً، أكل الصائم، ولونه يتغير، ولا يقدر على النطق، فتقطعت نفسه، ولم نزل متلازمين في الجامع، خمسة عشر يوماً من رمضان إلى أن راج المال، وأنا أواكله هكذا.

فلما افترقنا، انعل بعد العيد بأيام، علة مات منها.

فقلت: إنا لله، ليت لا يكون ما عملته معه سبباً لموته غماً.

بين طاهر بن يحيى العلوي وأحد أصحابه

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: حدثني أبو القاسم علي بن الأخرز المشهور بعلم النحو، وكان نبيلاً، جليلاً مرتفعاً عن الكذب، قال: حججت، فدخلت إلى طاهر بن يحيى العلوي، أسلم عليه، فجاءه رجل، فقبل رأسه ويديه، وأخذ يعتذر إليه.

فقال: لا تعتذر، فقد زال ما في نفسي، وقبلت عذرك، وإن شئت أخبرتك عن قصدك إياي، وسبب عذري لك من قبل أن تخبرني.

فتعجب الرجل، وقال: افعل يا سيدي.

قال: إنك رأيت رسول الله صلى الله عليه في منامك، فعاتبك على قطع عالتك عني إذا دخلت المدينة حاجاً، وإنك طويتني عدة حجج دخلت فيها المدينة ولم تجني.

فقلت له: إن الحياء منعك من قصدي، وإنك لا تأمن أن لا أبسط عذرك.

فقال لك: إني أمر طاهر ببسط عذرك، فلا تجف ولدي، وصله، فجئت إلى، فقال الرجل: كذا والله كان، فمن أين لك يا سيدي هذا؟

قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه، في المنام وأخبرني بما جري بينكما على هذا الشبه.

يا قديم الإحسان

حدثني أبو الحسن أيضاً، قال: كان في باب الشام رجل يقال له: لبيب العابد، زاهد، ناسك، صالح، فأخبرني، قال: كنت مملوكاً رومياً، فمات مولاي، فعتقني، فحصلت لنفسي رزقاً برسم الرجالة، وتزوجت بسيتي، زوجة مولاي، وقد علم الله، أنني لم أتزوجها إلا لصيانتها، لا لغير ذلك، فأقمت معها مدة. ثم إني رأيت يوماً حية وهي داخلة إلى جحرها، فأخذتها، فمسكتها بيدي، فانتشت على، فنهشت يدي، فشلت، ثم شلت الأخرى بعد مدة، ثم زمنت رجالي، واحدة بعد أخرى، ثم عميت، ثم خرست. فمكنت على هذه الحال سنة، لم تبق في جارحة صحيحة، إلا سمعي، أسمع به ما أكره. وكنت طريحاً على ظهري، لا أقدر على إشارة، ولا إيماء، فأسقي وأنا ريان، واترك وأنا عطشان، وأطعم وأنا ممتلئ، وأفقد الطعام، وأنا جائع، لا أدفع عن نفسي، ولا أقدر على إيماء بما يفهم مرادي منه. فدخلت امرأة بعد سنة إلى زوجتي، فسألته عني، فقال: كيف لبيب؟ فقالت لها، وأنا أسمع: لا حي فيرجى، ولا ميت فينسى.

فغممني ذلك، وبكيت، وضججت إلى الله تعالى في سري. وكنت في جميع ذلك الحال، لا أجد ألماً في شيء من جسمي، فلما كان في ذلك اليوم ضرب بدني كله ضرباً شديداً لا أحسن أن أصفه، وألمت ألماً مفرطاً. فلما كان في الليل، سكن الألم، فمت، وانتبهت، ويدي على صدري، فعجبت من ذلك وكيف صارت يدي على صدري، ولم أزل مفكراً في ذلك، ثم قلت لعل الله قد وهب عافيتي، فحركتها، فإذا هي قد تحركت، ففرحت، وطمعت في العافية. وفلت: لعل الله إذن بخلاصي، فقبضت إحدى رجلي إلي، فانقبضت، وبسطتها، فانبسطت، وفعلت بالأخرى كذلك، فتحركت، فقممت قائماً، لا قلبه لي، ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحاً عليه، فخرجت إلى الدار، ورفعت طرقي، فرأيت الكواكب، فإذا أنا قد أبصرت، ثم انطلق لساني، قهلت: يا قديم الإحسان، يا حسانك القديم.

ثم صحت بزوجتي، فقالت: أبو علي.

فقلت: الساعة صرت أبو علي.

فأسرجت، وطلبت مقراضاً، وكان لي سبال كما يكون للجند، فقصصته، فضجت من ذلك، وقالت: ما هذا؟ قهلت: بعد هذا لا أحلم غير ربي، فصار هذا سبب عبادتي.

قال: وخبره مستفيض، ومنزلته في العبادة مشهورة، وصارت هذه الكلمة عادته، لا يقول في حشو كلامه، وأكثر أوقاته غيرها: يا قديم الإحسان.

قال: وكان يقال: إنه مجاب الدعوة، وكان الناس يقولون إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح يده عليه، فسألته عن ذلك، فحدثني بهذا الحديث، وقال: ما كان سبب عافيتي غيره.

قال: وقال لي: كان لي قراح على شاطئ دجلة ، بالمداين، وكان فيه تلال وأشياء ينبغي أن تستخرج، ويطم بها مواضع فيه، فحتاج إلى رجال كثيرة.
فكنت ليلة فيه، وكانت قمراء، فاجتاز بي خلق كثير من الفعلة، قد انصرفوا من عمل بئق، فأروني فعرفوني.
فقلت لهم: هل لكم أن تكسحوا هذا القراح الليلة، وتسووا تلوه بالأرض، وتأخذوا مني كذا وكذا.
فقالوا: نعم، أتحننا بالأجرة، فعملوا ذلك، فأصبحنا وقد صارت أرضاً مستوية.
فقال العامة: الملائكة أصلحوه، وكذبوا، ما كان غير هذا.

الحلاج في جامع البصرة

حدثني أبو الحسين محمد بن عبيد الله القاضي المعروف بابن نصرويه قال: حملني خالي معه إلى الحسين بن منصور الحلاج، وهو إذ ذاك في جامع البصرة، يتعبد، ويتصوف، ويقرأ، قبل أن يدعي تلك الجهالات، ويدخل في ذلك.
وكان أمره إذ ذاك مستوراً، إلا أ، الصوفية تدعي له المعجزات من طرائق التصوف، وما يسمونه معونات، لا من طرائق المذهب.
قال: فأخذ خالي يحادثه، وأنا صبي جالس معه، أسمع ما يجري.
فقال لخالي: قد عملت على الخروج من البصرة.
فقال له خالي: لم؟ قال: قد صبر لي أهل هذا البلد حديثاً، وقد ضاق صبري، وأريد أن أبعد عنهم.
فقال له: مثل ماذا؟

قال: يروني أفعل أشياء، فلا يسألوني عنها، ولا يستكشفونها فيعلمون أنها ليست كما وقع لهم، ويخرجون ويقولون: الحلاج مجاب الدعوة، وله معونات قد تمت على يده، والطف، ومن أنا حتى يكون لي هذا؟
بحسبك، إن رجلاً حمل إلي منذ أيام دراهم، وقال لي: اصرفها إلى الفقراء، فلم يكن يحضرنني في الحال أحد، فجعلتها تحت بارية من بوازي الجامع إلى جنب اسطوانة عرفتها، وجلست طويلاً فلم يجئني أحد، فانصرفت إلى منزلي، وبت ليلتي، فلما كان من غد، جئت إلى الأسطوانة، وجلست أصلي، فاحنف بي قوم من الصوفية، قطعت الصلاة، وثلت البارية، وأعطيتهم تلك الدراهم.
فشعوا علي بأن قالوا: إني إذا ضربت يدي إلى التراب صار في يدي دراهم.
قال: وأخذ يعدد مثل هذا أشياء، فقام خالي عنه، وودعه، ولم يعد إليه.
وقال: هذا منممس، وسيكون له بعد هذا شأن.
فما مضى إلا قليل، حتى خرج من البصرة، وظهر أمره وتلك الأخبار عنه.

جحظة البرمكي يغضب من

خسارته في النرد

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التوخي، قال: حدثني أبو علي بن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة، فأكلنا، وجلسنا نشرب، وهو يعني، إذ دخل رجل، فقدم إليه جحظة زلة كان زلها له من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلاً على الطعام.

قال: وكان الرجل، كان طاوي سبع، فأتى على الزلة، وشال الطيفورية فارغة، وجحظة يرمقه بغيط، ونحن نلمح جحظة، ونضحك. فلما فرغ، قال له جحظة: تلعب معي بالنرد؟ فقال: نعم. فوضعاها بينهما، ولعبا، فتوالى الغلب على جحظة من الرجل، بأن تهيء الفصوص على ما يريد الرجل من الأعداد.

فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش، إلى السماء، وقال، كأنه يخاطب الله تعالى: لعمرى، إني أستحق هذا، لأنني أشبعت من أبعته.

بين مؤذن ومحتسب

وحدثني، قال: سمعت بعض شيوخنا يحكون: إن رجلاً مؤذناً عادى محتسباً، فأحضره. فقال له: أي شيء بيننا، مما يوجب استدعائك لي. قال: أريد أن تعرفني وقت الصلاة، فإن كنت عالماً بها، وإلا لم أدعك تؤذن مع الناس بالصلاة في غير وقتها. ووجده غير قيم بذلك، فمنعه من الأذان.

أبو بكر بن دريد كان آية في الحفظ

وحدثني، قال: حدثني جماعة عن أبي بكر بن دريد، أنه قال: كان أبو عثمان الأشنانداني معلماً، وكان عمي الحسين ابن دريد يتولى تربيته، فإذا أراد الأكل، استدعى أبا عثمان، فأكل معه. فدخل عمي يوماً، وأبو عثمان المعلم يرويني قصيدة الحارث بن حلزة التي أولها: أذنتنا بيننا أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء

فقال لي عمي: إذا حفظت هذه القصيدة، وهبت لك كذا وكذا. ثم دعا بالمعلم ليأكل معه، فدخل إليه، فأكلا، وقعدا بعد الأكل ساعة، فإلى أن خرج المعلم، حفظت ديوان الحارث بن حلزة بأسره.

فخرج المعلم، فعرفته بذلك، فاستعظمه، وأخذ يعتبره علي فوجدني قد حفظته، فدخل إلى عمي، فأخبره، فأعطاني ما كان وعدني.

قال: وكان أبو بكر واسع الحفظ جداً، ما رأيت أحفظ منه، كان يقرأ عليه دواوين العرب كلها، أو أكثرها، فيسابق إلى حفظها، فيحفظها.

وما رأيته قط قرأ عليه ديوان شاعر، إلا وهو يسابق إلى قراءته لحفظه له.

البرهاري رئيس الحنابلة ببغداد

حدثني أبو الحسن، قال: سمعت أبا محمد السليماني الهاشمي، المعروف بعباد رحله، وقد جرى ذكر البرهماري بحضرته، فقال: وقف يوماً للقاهر، فقال: يا أمير المؤمنين أهلك الهاشميين. فقال القاهر: أفعل، وإنما أراد أ، يذكره بهم، ويقول: أهلك. ورأى عيناً هائجة، فقال: لو استعمل هذا الخضرط، عوفيت. ف قيل له: ليس هو الخضرط. فقال: نعم، غلطت، هو الخضخض. فسكتوا عنه، وإنما أراد الخضض.

أبو الفرج البغاء ينشي نسخة كتاب

على لسان الأمير سيف الدولة بشأن الفداء

حدثني أبو الفرج البغاء، قال: لما أقام سيف الدولة الفداء، بشاطئ الفرات في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، لزمه عليه خمسمائة ألف دينار، في شراء الأسارة، والأموال التي وصلهم بها، ورم بها أحوالهم. وأخرج جميع ذلك من ماله، صبراً واحتساباً، وطلباً للثواب والذكر، من غير أن يعاونه أحد من الملوك عليه، ولا غيرهم. وكان ذلك خاتم أعماله الحسنة، وأفعاله الشريفة، التي تجاوز الوصف، وتفوت العد.

فلما فرغ من ذلك، تقدم إلى كل من بحضرته، في الوقت، من أهل الكتابة، أن ينشي كل واحد منهم، نسخة كتاب ليكتب عنه إلى من في البلدان من الجيش والرعية، بخبر تمام الفداء، ووصف الحال فيه. فكتب عنه في ذلك: كتابنا، تولاكم الله بكفائته، وحرسنا فيكم بناظر رعايته، من معسكرنا بالبقعة المعروفة بالمعلقة من شاطئ الفرات، بعد إمضائنا أمر الفداء الذي اختصنا الله فيه بشرف ذكره، وانتخبنا للنهوض بمعظم أمره، وولينا بالمعونة في تحمل ثقله، ووقفنا للفوز بإحراز فضله، بعد أن استراحت فيه النيات إلى الغفلة، ومطاوعة الشح، ومساكنة الراحة، وتظنون بالله الظنون. فالحمد لله حمداً نستديم بالإخلاص فيه مداد عوارفه وأياديه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. ولما كانت منح الله تعالى لدينا، ونعمه المتظاهرة علينا، أعظم من أن تطاول بثناء، وأجل من أن تقابل بجزاء، رأينا الاعتراف بما أحرزناه من سالفها، والإشادة بما قابلناه من مستأنفها، أقدر على استراحتها، وأولى بحراستها. ولم نزل، والله المنة، منذ عرفنا ما ندبنا إليه، وتأملنا ما حضنا عليه، من الخفوف لجهاد الكافرين والتعبد بقتال المخالفين، بين رأي يتضمن التوفيق عواقبه، وعزم يصرع الإقبال مغالبه، وفتح يجمع الإسلام أثره، وبلاء تداول الأيام خبره.

ولا ننصرف عن غزو إلا إلى فقير، ولا نتشاغل بنظر إلا إلى تدبير، ولا نعتد بالمال إلا ما أنفقناه، ولا نسر بذخر إلا ما أنفدناه، فيما حرس الأمة، وحصن الملة، وبث العدل، وجمع الشمل.

إلى أن استعبدنا ملوكهم بالأسر، وجسنا ديارهم بكتائب النصر، وأوحشنا المراتب من أربابها، واستنزلنا عن الحصون أصحابها، وفجعنا ملكهم بصهره وابن أخته قهراً، وأنكلنا أخاه مراغمة وصغراً. فلما أدلنا الحق من الدلال، وأعاده الله تعالى بنا من العز إلى أشرف حال، عدلت السيوف عن دمائهم إلى أغمادها، واستبدلت إصدارها بإيرادها، ونصلت الرماح أسنتها، وطاوعت الخيل أعنتها، واستماحتنا الأعداء إلى المودعة، ورغبت إلينا بالتضرع في المسألة.

واستفتحوا ذلك بطلب الفداء الذي لا يسعنا الامتناع منه، ولا نجد تأولاً في الإضراب عنه. فرأينا بعد الإثخان في الأرض، فك من في أيديهم من الموحدين، ومن في رقهم من المسلمين، أفضل كاسب لعاجل الشكر، وأوفى ضامن لأجل الأجر.

فأنفذنا إلى سائر الأقطار وبثنا الأصحاب في جميع الأمصار لإحصاء السبي وانتزاعه، والتوفر على جمعه وابتياعه من خالص ملكنا وخاصة مالنا، من غير مساحة لأحد من أهل زماننا في معاونتنا، بغير الثياب التي شركناهم بها في نيل الحمد وكسب المثوبة.

وأضفناهم إلى من ملكناه بحكم الرماح، وأحرزناه بقهر الخيل والصفاح، من أكابر البطارقة، وأنجاب الزراورة، ووجوه الأعلاج، وأجاد الأنجاس.

ولم يزل من سلف قبلنا من الملوك، وتقدمنا من السلاطين، في عقد الهدن، وإقامة الأفدية، يرغب إلى سائر نظرائه، وذوي السمعة من أتباعه، والمكنة من رعيته، في معاونته بالأحوال، ومعاوضته ببذل الأموال. وأبى الله لنا إلا التفرد بأجر ذلك وشكره، وحيد أثره، وجميل ذكره.

وندبنا أكابر الغلمان، وثقاة الخدم، لتسييرهم بأعم رافة وأتم رفق، حسب ما أمرنا به من ترفيه السبي، ومراعاة الأسرى، إلى أن عبرنا بجميعهم من الفرات، بحيث سألنا صاحبهم الانجذاب إليه، ورغب إلينا في النزول عليه، تأنساً بمجاورة الدروب المستعصبة، وحذراً من مفارقة الجبال المستعصمة.

فلما اقتضى قربنا سرعة المسير، وتنجزه، دنونا لإمضاء الأمر بعد التقرير.

أقدم مرتاباً بإقدامه، وسار متهماً عواقب رأيه واعتزاه، بمجموع يفرق الجزع آراءها، وقلوب يششت الخوف أهواءها، وأفكار مكدودة بالوجل، ومنن مستعبدة لأوامر الفشل، يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فأحذرهم، إلى أن حل بفنائنا ملقياً مغاليد أمره إلى الاستسلام، وآخذاً من وفاءنا بأوكد ذمام.

وافتحنا الفداء يوم السبت غرة رجب الذي هو غرة الأشهر الحرم، وقد عرف الله تعالى المسلمين ما استودعناه من صالح الأعمال، وذكي الأفعال، وتعجل البركات، وتناصر الخيرات، فاستمر بأكمل هدي، وأنجح سعي، وأبسط قدرة، وأعم نصره، وأعز سلطان، وأوضح برهان، وكلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، والله عزيز حكيم.

ولم تزل الحال في ذلك جارية على أحكم نظام، وأحسن التثام، إلى أن استنقذ الله بنا من كاد تطاول الأسر يستغويه، والإيلاس من الخلاص أن يرديه، وهم على الإضل ما عهدتاهم عليه من حسن اليقين، والتمسك بعصم الدين.

وسار عنا من فادينه من البطارقة المذكورين، والزراورة المشهورين، بأجسام ضاعنة، وقلوب قاطنة، تلتفت إلى ما خلفته من غامر تفضلنا، وألفته من ألطاف تطولنا.

فهم بعد الفداء موثقون في أسر الإحسان، ومع الخلاص مقرونون برق التطول والامتنان. ولما أحضرونا من أسروه من الأعمال النازحة، والبلدان الشاسعة، ولم نستخر ادخار الأموال عن خلاصهم، ولا الشح بها عن تعجيل فكاهم، فابتعناهم من الأثمان بأعظمها، ومن الأموال بأجسمها، ولم نطع في ادخار الذهب والفضة، المقرون بمخاوف الوعيد، وفطيع التهديد، أمر الشك في ربح الصفقة بمناجرة الله تعالى، جل اسمه واثقين بعاجل الخلف، وآجل الجراء، وذلك القوز العظيم.

وتداركنا من عمارة أحوالهم، ما كان مختلاً بمعاناة الفقر، ومتهافناً بتناول الأسر، وانقلبنا قافلين بأسعد منقلب، وأريح مكتسب، وأتم إقبال، وأجمل حال، بعد أن أجفل العدو خذله الله، مستطيلاً مدة إقامته، وشاكاً في إحراز سلامته، متوهماً أن الخيول تطلبه، والرماح تتعقبه، لا يعرج على ضعفاء ساقته، ولا يلوي على أخص من في جملته.

وتقدمنا بمكاتبة أوليائنا، وكافة رعييتنا، بذكر ما هيأه الله عز وجل لنا من تظاهر النعم، وتواتر القسم، وليشبهوا ذلك على منابر الصلوات، ويعلموه بالرسائل والمكاتبات، إذ كان ما يتوجه لله سبحانه من تنابع النعم والمنح، وتواصل العوارف، عائداً على الملة، ومساوياً بالنفع به الأمة. فالحمد لله الذي اختصنا من اختياره، وأفردنا بإيثاره، بما رأنا له أهلاً لخلافة نبيه صلى الله عليه وسلم في حراسة أمته، وإعزاز كلمته.

وإليه نرغب في توفيقنا للاعتراف بعوارفه، لما تكون به النعم محروسة، والموهبة محفوظة، لا ينتقصها كفران، ولا يرتفعها عدوان، إن شاء الله تعالى.

الشاعر المعوج يمدح بلر الحمامي

حدثني أبي، قال: حدثني المعوج، قال: كبا الفرس ببدر الحمامي، وافتصد، فدخلت إليه، فأنشدته أبياتاً عملتها في الحال، وهي:

لا ذنب للطرف إن زلت قوائمه ... وليس يلحقه من عائد دنس
حملت بأساً وجوداً فوقه وندى ... ليس يقوى بهذا كله الفرس
قالوا افتصدت فما نفس العلى معها ... خوفاً عليك، ولا نفس لها نفس
كف الطبيب دعا كفاً يقبلها ... ويطلب الرزق منها حين يحتبس
فأمر لي بخمسة آلاف درهم، فأخذتها وانصرفت.

الشاعر الصروي يمدح صاحب النشوار

وكت سقطت من بغلة، فعمل أبو القاسم عبيد الله، قصيدة أنشدنيها، منها:
أسمت فتاة العير حمل العلى وقد ... فهيت من الإشفاق عن حملك القبا
ومشيتها تحت الشريعة والقضا ... ولو سمت رضوى حمل ذين قضى نجبا
فيا عجباً أن لم يسخ رسغها القضى ... وما هد ثقل الدين من متنها الصلبا
ومن ذا يطيق الطود حملاً إذا رسا ... ومن يحمل البحر الضم إذا عبا
فزلت بيد منك لم يخف نوره ... وغيث حياً أحيا بسقطته الترابا
وقمت سليم الجسم يدعو لك الثرى ... ويلثم منك الرجل والنعل والركبا
هني بك اخراب والآي والتقى ... ودستك والأقلام والحكم والكتبا

أبيات من نظم أبي القاسم عبيد

الله بن محمد الصروي

أنشدني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي، لنفسه، يصف زراقة النفط:
وصفراء في فيها لعب كلونها ... إذا قدفته لاعب الريح واستنا
يجلله من بطنها في خروجه ... رداء دجى حتى يصير لها حصنا
لها ذنب في رأسه ذنب له ... إذا جر منها رد في جوفها طعنا
يمج بروقاً بين ليلين من حشا ... إلى فم أفعى ما ترى بينه سنا
تخوض الوغى عريانة لتخيفه ... ولو سئلت لم تعرف الخوف والأمننا
وأنشدني لنفسه:

وناولي في أسفل الكأس فضلة ... مزعفرة صفراء والكأس أبيض
كنرجسة في الروض ترنو بمقلة ... مذهبة والجفن منها مفضض
وأنشدني لنفسه في صفة إبريق وساق
ولاح لنا الإبريق من كف شادن ... له وجنة من لحظنا أبداً تدمى
كملحوظة مدت يداً دون وجهها ... وأخرى بها ردت على رأسها الكما
على شعر في عارضيه كأنما ... زرعن المها أجفانها فيه والسقما
كأن الليالي قد عدلن سنيه ... فصيرن في خديه داراته رقما
وأنشدني لنفسه يصف مجدوراً:

بدر وغصن من فوق دعص نقا ... لم أصغي في حبه إلي لاحي
له لحاظ مرضى بلا سقم ... سكرى من الغنج تسكر الصاحي
جدر فاعتاض من تورده ... بصفرة في ملثم ضاح

كأنه فوق خده حجب ... يلعب بعد المزاج في الراح
وأنشدني لنفسه في كانون:

كأن تأجج كانوننا ... تكاثف نور من العصف
وأحدث إحماده زرقه ... تأجج في مدمج أحمر
كبركة همر بحافاتها ... بقايا تفتح نيلوفر
وأنشدني لنفسه أيضاً في كانون:
أنظر إلى كانوننا ... يضحك من غير فرح
كحمره في شفق ... دبجها قوس قزح

لأبي الفرج البغاء في وصف كانون

وحدثني أبو الفرج البغاء، قال: كنت بحضرة أبي العشائر بن حمدان، وبين يديه كانون، قد عمل النار في
باطن فحمه، فعملت في الحال، وأنشدته:

ومجلس حل من يحل به ... من المعالي في أرفع الدرج
أمسى ندام الكانون لنا ... أكثر أنس النفوس والمهج
ييدي لنا ألسناً كالسنة ال ... حيات من ثابت ومختلج
لما بدا الفحم فيه أسود كال ... ليل وبث الشرار كالسرج
ودب صيغ اللهب فيه بتض ... ريج خدود الشقائق الضرج
ظننت شمس الضحى به انكشفت ... للخلق في قبة من السبع

لأبي الفرج البغاء في صفة شمعة

أنشدني لنفسه في صفة شمعة:

وصفر كأطراف العوالي قدودها ... قيام على أعلى كراس من الصفر
تلبس من شمس الأصيل غلاملاً ... فأشرقن في الظلماء بالخلع الصفر
عرائس يجلوها الدجى لماتها ... وتحيا إذا أذرت دموعاً من التبر
إذا ضربت أعناقها في رضا الدجى ... أعارته من أنوارها خلع الفجر
تبكي على أحشائها بجسومه ... فأدمعها أجسامها أبداً تجري
علاها ضياء عامل في حياته ... كما تعمل الأيام في قصر العمر

للسري الرفاء في الغزل أنشدني غير واحد، قالوا أنشدنا سري بن أحمد الكندي

الرفاء، لنفسه

وذي عنج يرنو بمقلة جوذ ... متى يعد فيه خالع العذر يعذر
له فوق ورد الحد خال كأن ... إذا احمر ورد الحد نقطة عنبر

بين قاضي القضاة أبي السائب والشاعر ابن سكرة الهاشمي خبرني جماعة من أهل

عصرنا من المتأدين ببغداد أن أبا الحسن محمد بن عبد الله بم سكرة الهاشمي، دخل إلى قاضي القضاة أبي السائب عتبة بن عبيد الله، وهو جالس للحكم، فكتب رقعة كالكصص، ودفعها إليه، وقد كان مدحه فتأخرت صلته عنه. فلما قرأها أبو السائب، لم ين في وجهه غضب، ولا نكير، ووقع فيها شيئاً بخطه. وقال أين رافع هذه القصة؟ فقام ابن سكرة، فدفعها إلي، فأخذها مقداراً أن فيها ما يستكف لسانه عنه من صلة أو بر، فلما قرأها استحيا وانصرف.

فقرئت الرقعة، فإذا الابتداء بخط ابن سكرة شعر، والجواب بخط أبي السائب نثر، كما نسخناها هاهنا:

يا عتبة بن عبيدحوشيت من كل عيليك يا مختصر
وأبعد الله قوماً رموك عندي بريوأت فحوشيت من كل سوء

قالوا بأنك قهوى زبيقة بن شعبيكذبوا

فقلت هذا محالاً صوبة بعد شيب؟ أحسن الله جزاءك

وقلت ما يشبهك، وربما كانت

لقد هتفتم بشيخنقي ذيل وجبيئس ما فعلوا، والحمد لله على ذلك

رايتم الأير فيه؟ فلم شهدتم بغيب؟ جهلاً منهم بطرق الشهادة

طبيعة الأمير سيف الدولة في إسداء المكارم

حدثني أبو الفرج البغاء، قال: تأخر عني رسمي من الكسوة، على الأمير سيف الدولة، وكان أثر الأشياء عنه، وأنفقها عليه، وأحبها إليه، أن يسأل فيعطى، وأن يستراد فيزيد، وأن يطالب، ويناطر، حتى كان دائماً يعزل للإنسان شيئاً، يريد هبته له، خلف ظهره، ويقول: أريد أن أعطي فلاناً هذا.

فيخرج من يحضر: فيحدث الرجل، فيحضر، ولا يعطيه.

فيقول له الرجل: أيش وراء مسورة مولانا؟ فيقول: وأي شيء عليك؟ وأيش فضولك؟ فيقول: هذا والله لي عزله مولانا.

فيقول: لا .

فيقول: بلى، ويأخذه، ويجاذبه عليه، فإذا فعل ذلك، أعطاه، وزاده شيئاً آخر، يلتذ بهذا.

قال: فكتبت إليه، استحثه على رسمي من الكسوة: الرضا بالمأمول، أطل الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة، دليل على همة الآمل، ومحل المسؤول في نفسه، مترجم عن نفاسة نفس السائل، إذ كان الناس من

التخلق بالكرم، والتفاضل بالهمم، في منازل غير متقاربة، ومراتب غير متناسبة، وشرف أدبه، في شرف طلبه.

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي ... يتقاصر التفصيل عن تفصيله
ضمنت تأميلي نداء فردة ... جذلان من سفر الظنون بسوله
وغنيت حين بلغت ورد نواله ... عن ورد ممتنع النوال بخيله
فالغيث يغبطني على إنعامه ... والدهر يحسدي على تأميله
وعلمي بأن أقرب مؤمليه - أيده الله - إليه، وأوجههم حرمة عليه، أشدهم استزادة لنعمه، وأكثرهم
تسجباً على كرمه، بعثني على التقرب إلى قلبه بالسؤال، ومناجاة كرمه بلسان الآمال. فسألته متقرباً،
وطلبته مستحجاً، فإن رأى العادل إلا في ماله، والمقتصد إلا في أفضاله، سيدنا الأمير سيف الدولة أطال الله
بقاءه.

أن تعلم الأيام موضع عبده ... من عزه ومكانه من رائه
بشواهد الخلع التي يغدو بها ... متطاولاً شرفاً على نظرائه
فمن العجائب حبس توقيع له ... وموقع التوقيع من شفعاؤه
فعل إن شاء الله تعالى.

كيف تأثلت حال أبي عبد الله ابن الجصاص

حدثني أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعلان، قال: حدثني أبو علي أحمد بن الحسين بن عبد الله الجوهري،
ابن الجصاص، قال: قال لي أبي: كان بدء إكثاري، أي كنت في دهليز حرم أبي الجيش همارويه بن أحمد بن
طولون، وكنت أتوكل له ولهم في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون إليه، وما كنت أكاد أفارق الدهليز
لاختصاصي بهم.
فخرجت إلي قهرمانة لهم في بعض الأيام، ومعها عقد جوهر، فيه مائتا حبة، لم أر قبله أحسن منه، ولا أفخر،
تساوي كل حبة منه ألف دينار عندي.
فقلت: نحتاج أن نخرط هذه حتى تصغر، فنجعل لأربع عشرات اللعب.
فكدت أن أطيّر، وأخذتها، وقلت السمع والطاعة.
وخرجت في الحال مسروراً، وأنا على وجهي، فجمعت التجار، ولم أزل أشتري ما قدرت عليه، حتى
حصلت مائة حبة أشكال من النوع الذي أرادته.
وجئت بها عشياً، وقلت: إن خرط هذا يحتاج إلى زمان وإنظار، وقد خرطنا اليوم ما قدرنا عليه، وهو هذا،
ودفعت إليهم المجتمع، والباقي يخرط في أيام.
فقنعت بذلك، وارتضت الحب، وخرجت.
قامت علي بأثمان قريبة، تكون دون مائة ألف درهم، أو حواليها، وحصلت جوهرًا بمائتي ألف دينار.

ثم لزمته دهليزهم، وأخذت لنفسه غرفة كانت فيه، فجعلتها مسكني. قال: فلحقني من هذا، أكثر مما يحصى، حتى كثرت النعمة، وانتهت إلى ما استفاض خبره.

سبب اختصاص أبي عبد الله ابن الجصاص

بأبي الجيش خمارويه أمير مصر

حدثني أبو الحسين ابن عياش، قال: سمعت مشايخنا، يقولون: إن أصل اختصاص ابن الجصاص بأبي الجيش ابن طولون، أن أبا الجيش كان يشرب، إذا قعد للشرب، أربعين رطلاً من نبيذ مصر المعروف بالشيروي. قال: ومن يشرب منه رطلاً، يقدر أن يشرب من غيره أرطلاً. وكان لا يصبر معه أحد من ندماءه، ويسكرون قبله، فيصعب عليه، ويبقى وحده، فكان يتطلب المجيدين للشرب.

فوصف له ابن الجصاص، وهو إذ ذاك يتجر في الجوهر، فاستدعاه، فأدخل إليه، فحين مثل بين يديه، قبل الأرض، ولم يكن الناس يعرفون ذلك، فاستظرف خمارويه حسن أدبه. وقال: أبو من؟ قال: عبد الأمير الحسين. فقال: هذه اثنتان.

فواكله، وشاربه، قدحاً وقدحاً، حتى سكر خمارويه، ثم شرب بعده رطلاً. فبلغ ذلك خمارويه من غد، فأدخله، وأجازه جائزة عظيمة. وقال: ما صناعتك؟ فقال: الجوهر.

فقال: لا يبتاع لنا شيء إلا على يده، وكان مشغولاً به، فكسب فيه الأموال. وحصل يأكل معه، ويشاربه إذا أراد الشرب، فينام ندماءه كلهم غيره، فولد ذلك له أنساً تاماً به، فكان يخرج إليه على النبيذ بأسراره، ويحادثه، ويأنس به. ورد إليه أمر داره، والإشراف على جميع نفقاته. ولم تزل حاله تقوى وتزايد، حتى عرض له ترويح ابنته المعتضد، فأنفذه في الرسالة حتى عقد الإملاك، ثم أجرى أمر الجهاز على يده، فجرف الأموال بغير حساب. قال: فأخبرني بعض أصحابنا، أنه لحق بعض الفرش الذي كان في جهاز قطر الندى ابنة خمارويه، مطر، فيما بين دمشق والرملة، فنزلها ابن الجصاص، وكتب إليه يعرفه الخبر، ويستأذنه في تطرية ذلك، فأذن له فيه. فأقام شهرين لهذا السبب، وطرى الفرش، فاحتسب في النفقة، ثلاثين ألف دينار. قال: ولما حصلت قطر الندى ببغداد، أضاق خمارويه إضافة شديدة، لأنه افتقر بما حمله معها، وخرج من جميع نعمته، حتى طلب شمعة، فاحتسب عليه ساعة، إلى أن احتيلت. فقال: لعن الله ابن الجصاص، أفقرني في السر.

بين الخليفة المكتفي والتاجر ابن الجصاص

قال: ومن عجيب أخبار ابن الجصاص، أنه طلب منه المكتفي عقداً حسناً من فاخر الجوهر، يبتاعه منه.
فقال: كم يبلغ يا أمير المؤمنين؟ قال: ثلاثين ألف دينار.
قال: لا تصيب كما تريد، ولكن عندي عقد فيه ستون حبة، ولا أبيعك إياه بأقل من ستين ألف دينار، فإن أذنت، حملته.
فقال: افعل.
فحملة إليه والعباس بن الحسن قائم بين يديه، فعرضه عليه، فهال المكتفي أمره وحسنه، وقال: ما رأيت مثل هذا قط.

فقال: ومن أين عندك أنت مثل هذا يا أبا مشكاحل؟ فنكر المكتفي، وتنمر، وهم به.
فأوماً إليه العباس بالأمسك، فأمسك، وترك العقد الجصاص، بحضرة الخليفة، وخرج.
فقال المكتفي للعباس: بالله، وبحقي عليك، هذه الكنية تلقيني بها العامة؟ فقال: لا والله يا مولانا، ولكن هذا رجل رقيق، عامي، والعامة إذا افتخرت على إنسان، قالت له مثل هذا، وقد ربحت بهذه الكلمة العقد، بلا ثمن، فدعني وابن الجصاص، فإن جاءك فأحله علي.
فلما كان بعد أيام، جاء ابن الجصاص، فأذكر المكتفي بثمان العقد.
فقال له: إلق العباس.

فجاء إليه، فطالبه بالمال.
فقال: ويحك، تطالب بثمان العقد، بعدما لقيت الخليفة بسببه، واجترأت عليه بما لا يجوز أن تجترئ بمثله على بعض غلماننا؟ لا تتكلم بهذا فتولد لنفسك منه، ما لا تحتاج إليه.
فأمسك ابن الجصاص، وذهب منه العقد والمال بالكلمة.

إسماعيل بن بلبل والأعرابي العائف

حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: أخبرني من أثق به، إن إسماعيل بن بلبل، لما قصده صاعد، لزم داره، وكان له حمل قد قرب وضعه، فقال: اطلبوا لي منجماً يأخذ مولده، فأتي به.
فقال له بعض من حضر، ما تصنع أيلك الله بالجحوم؟ هاهنا أعرابي عائف، ليس في الدنيا أحق منه.
فقال: يحضر، فأسماء الرجل، فطلب، وجاء.
فلما دخل عليه، قال له إسماعيل: تدري لأي شيء طلبناك؟ قال: نعم.
قال: ما هو؟ فأدار عينه في الدار، فقال: لتسألني عن حمل، وقد كان إسماعيل أوصى أن لا يعرف، فتعجب من ذلك.
فقال له: فأني شيء هو؟ أذكر أم أنسى؟ فأدار عينه في الدار، فقال: ذكر.
فقال: للمنجم: ما تقول؟ قال: هذا جهل.

فبينما نحن كذلك، إذ طار زنبور على رأس إسماعيل، وغلّام يذب عنه، فضرب الزنبور، فقتله. فقام الأعراي، وقال: قتل والله المزنر، ووليت مكانه، ولي حق البشارة، وجعل يرقص، وإسماعيل يسكنه، فنحن كذلك إذ وقعت الصيحة بخر الولادة.

فقال: انظروا ما المولود؟ فقالوا: ذكر.

فسر إسماعيل بذلك سروراً شديداً، لإصابة العائف في زجره، وترجيه الوزارة، وهلاك صاعد، ووهب للأعراي شيئاً، وصرفه.

فما مضى على هذا إلا دون شهر، حتى استدعى الموفق إسماعيل، وقلده الوزارة، وسلم إليه صاعداً، فكان يعذبه، حتى قتله.

فلما سلم إليه صاعد، ذكر الحديث الأعراي، فطلبه، فجاءوا به.

فقال: خبرني كيف قلت ما قلته ذلك اليوم؟ وليس لك علم بالغيب، ولا هذا مما يخرج في نجوم. فقال: نحن إنما نتفاعل ونزجر الطير، ونعيف ما نراه، فسألني أولاً، لأي شيء طلبت؟ فتلمحت الدار، فوقعت عيني على برادة عليها كيزان معلقة في أعلاها، فقلت: حمل.

فقلت لي: أصبت، ثم قلت لي: أذكر أم أنى؟ فتلمحت، فرأيت فوق البرادة عصفوراً ذكراً، فقلت: ذكر. ثم طار الزنبور عليك، وهو مخصر، والنصارى مخضرون بالزنابير، والزنبور عدو، أراد أن يلسعك، وصاعد نصراني الأصل، وهو عدوك، فزجرت أن الزنبور عدوك صاعد وأن الغلام لما قتله، إنك ستقتله. قال: فوهب له شيئاً صالحاً، ثم صرفه.

أعراب ثلاثة يتنبأون بموت قاضي القضاة

ودفنه في داره

وحدثنا أبو الحسين، قال: اجترت أنا وأبو طاهر بن نصر القاضي، بشارع القاضي، نقصد دار قاضي القضاة أبي الحسين، في علته التي مات فيها، لعوده، فإذا بثلاثة من الأعراب ركبان. فشال أحدهم رأسه، وقد سمع غراباً ينبع على حائط دار أبي الحسين قاضي القضاة. فقال للنفسين اللذين خلفه: إن هذا الغراب ليخبرني بموت صاحب الدار. فقال له الآخر: أجل إنه ليموت بعد ثلاثة أيام.

فقال الآخر: نعم ويدفن في داره.

فقلت: أسمعت ما قالوه؟ فقال: نعم.

فقلت: هؤلاء أجهل قوم، وافترقنا.

فلما كان في ليلة اليوم الرابع سحراً، ارتفعت الصيحة بموت قاضي القضاة أبي الحسين، فذكرت قول الأعراي، وعجبت.

وحضرنا جنازته، ودفن في داره.

فقلت لأبي طاهر: رأيت أعجب من وقوع مقالة الأعرابي بعينها؟ أيش هذا؟ فقال: لا والله ما أدري، ولكن تعال حتى نسأل عنهم، ونقصدهم، ونستخبر منهم من أين لهم ذلك.

قال: فكنا أياماً نسأل عنهم، وعن حلتهم من البلد، فلا نخبر.

إلى أن أخبرونا بتزول حلة من بني أسد بباب حرب، فقصدناهم.

فقلنا: هل فيكم من يبصر الزجر؟ فقالوا: أجل، ثلاثة أخوة في آخر الحي، يعرفون ببني العائف، ودلونا على أحييتهم.

فجئنا، فصادفنا أصحابنا بأعيانهم، ولم يعرفونا، فأخبرناهم بما سمعناه منهم، وسألناهم عنه. فقالوا: إنا، وغيرنا من العرب، نعرف نعيماً للغراب بعينه، لا ينبع في موضع إلا مات ساكنه، مجرباً على قديم السنين في البوادي، لا يخطئونه، ورأينا ذلك الغراب، نعب ذلك النعيب الذي نعرفه.

فقلنا للآخر: كيف قلت إنه يموت بعد ثلاثة أيام؟ قال: كان ينبع ثلاثاً متتابعات ثم يسكت، ثم ينبع ثلاثاً على هذا، فحكمت بذلك.

فقلت للآخر: وكيف قلت أنه يدفن في داره؟ قال: رأيت الغراب يحفر الحائط بمنقاره ورجليه، ويختر على نفسه التراب، فقلت: إنه يدفن في داره.

عيافة أعرابي

حدثنا أبو الحسين بن عياش، قال: أخبرني صديق لي أنه خرج إلى الحائر على ساكنيه السلام ليزور.

فاجتاز في طريقه بموضع قريب من الأعراب، وهم نزول، فحط رحله ونزل، وجلس يأكل هو ومن معه، فوقف به بعض أولئك الأعراب يستطعم.

قال: فقلت له: اجلس حتى نأكل، ونفع إليك نصيباً.

فجلس قريباً منا، فإذا بغراب قد طار قريباً منه، وصاح صياحاً متتابعاً.

فقام الأعرابي برجه، ويقول: كذبت يا عدو الله، كذبت يا عدو الله.

قال: فقلنا له: ما الخبر يا أعرابي؟ قال: يقول الغراب إنكم ستقتلونني، وأنتم تريدون أن تطعموني، فكذبت في خبره.

قال: فاستحمقناه، وتمنا أكلنا.

وكان في السفرة سكين بزمأورد عظيمة حادة، أنسيناها في السفرة. فجمعنا السفرة بما فيها، وقلنا للأعرابي: خذها، وفرغ ما فيها، واردد السفرة.

فجمعها بما فيها، وشالها، فضرب بما ظهره بحمية، من فرحه بتمكيننا إياه من جميع ما فيها، فخرجت السكين بحدتها، فدخلت بين كفيه، فخر صريعاً يصرخ: صدق الغراب لعنه الله، مت ورب الكعبة.

فخشينا أن يصير لنا مع الأعراب قصة، فتركنا السفرة، وقمنا مبادرين، فاختلطنا بالقافلة حتى لا نعرف، وتركناه يتشحط في دمانه. ولا نعلم هل عاش أم مات.

من أحاديث الزرقين

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا سليمان بن الحسن، قال: قال لي أبو معشر المنجم، وقد جرى حديث الزرقين: رأيت أعجب شيء، وهو أن رجلاً في جوارى بسر من رأى اعتقل، فأتاني أبوه، وكان لي صديقاً، فقال: تركب معي إلى صاحب الشرطة، نسأله إطلاقه، فركبت.

فاجتزنا بزراق على الطريق. فقلت: هل لك في أن نتلهم بهذا الزراق؟ فقال: افعل. فقلت له: انظر في نجمنا، وأي شيء هو، وفي أي شيء هوذا نمضي؟ ففكر الزراق ساعة، ثم قال: تمضون في أمر محبوس.

قال: فانتقع لون أبي معشر، ودهش، وتلجلج لسانه. فقلت أنا له: فهل يطلق أم لا؟ قال: تمضون وقد أطلق. فقال لي أبو معشر: انطلق بنا، فهذا اتفاق طريف، وهوس. فسرنا وجئنا إلى صاحب الشرطة، فسألناه في أمر الرجل. فقال: الساعة - والله - وردت علي رقعة فلان، يسألني في أمره، فأطلقته. فهض أبو معشر مبادراً، وقال: إن لم أرف من أين أصاب الزراق في حكمه، ذهب عقلي، وخرقت كتي، واعتقدت بطلان النجوم، ارجع بنا إليه.

قال: فرجعنا، فوجدناه في مكانه على الطريق.

فقال له أبو معشر: قم بنا، فأخذناه، وحمله إلى داره.

وقال له: أتعرفني؟ قال: لا.

قال: أنا أبو معشر المنجم.

فقبل الزراق يده، وقال: أستاذنا، وقد سمعت باسمك.

قال: دعني من ذلك، لك خمسة دنانير عينا، وأصدقني من أين حكمت لنا بما حكمت به.

قال: أنا والله أصدقك، ولا أجسر آخذ منك شيئاً، وأنت أستاذ هذه الصناعة.

اعلم أي لا أحسن من النجوم شيئاً، وإنما أنا أزرق وأهذي على النساء، وبين يدي هذا التخت والإصطرلاب والتقويم للخلق حيلة.

ولكني قد صحبت أهل البوادي في وقت من الأوقات، وتعلمت منهم الزجر والفال والعيافة. وهم يعتقدون إذا سئلوا عن شيء أن ينظروا إلى أول ما تقع عليه عيونهم، فسيتخرجون منه معنى يجعلونه طريقاً لما يسألون عنه، وما يحكمون به.

فلما سألتني في أي شيء نمضي؟ تلجلجت، فوقع عيني على سقاء معه ماء محبوس في قربته، فقلت: محبوس.

فقلت: هل يطلق أم لا؟ فنظرت أطلب شيئاً أزجره، فرأيت السقاء قد صب الماء، وهو يخرج من قربته،

فقلت: إنكم تمضون وقد أطلق، فهل أصبت؟ فقال له أبو معشر: نعم، وفرجت عني أيضاً، أعطوه الدنانير،

واصر فوه.

فأبى أن يأخذ، فما تركه أبو معشر حتى أخذها وخرج.
فطرح نفسه كالمستريح من أمر عظيم. ووضع يده على فؤاده، وقال: فرج عني.

بين الأمير الموفق وأبي معشر المنجم

حدثني أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحارث الحارثي، قال: حدثني أبي، قال: كنت أحد من يعمل في خزانة السلاح للمعتمد وكنت قائماً بحضرة الموفق، في عسكره لقتال صاحب الزنج، وبحضرته أبو معشر، ومنجم آخر، أسماه أبي وأنسيته أنا.

فقال لهما: خذا الطالع في أضمرته منذ البارحة، أسألكما عنه، وأمتحنكما به، وأخرجاً ضميري.

فأخذا الطالع، وعملا الزايرجه، وقالوا جميعاً: تسألنا عن حمل ليس لإنسي.

فقال: هو كذلك، فما هو؟ قال: ففكرا طويلاً، ثم قالوا: عن حمل لبقرة.

قال: هو كذلك فما تلد؟ قالوا جميعاً: ثور.

قال: فما شبيهه؟ فقال أبو معشر: أسود في جبهته بياض.

وقال الآخر: أسود وفي ذنبه بياض.

قال الموفق: ترون ما أجسر هؤلاء، أحضروا البقرة، فأحضرت وهي مقرب.

فقال: اذبحوها، فذبحت، وشق بطنها، وأخرج منها ثور صغير أسود، أبيض طرف الذنب، وقد النف ذنبه، فصار على جبهته.

فتعجب الموفق، ومن حضره، من ذلك عجباً شديداً، وأسنى جائزتهما. قال: وحدثني أبي، قال: كنت أيضاً

بحضرة الموفق، وهذا المنجم، فقال لهما: معي خبيء، فما هو؟ فقال أحدهما، بعد أن أخذ الطالع، وعمل

الزايرجه، وفكر طويلاً، وقال: هو شيء من الفاكهة. وقال أبو معشر: هو شيء من الحيوان.

فقال الموفق للآخر: أحسنت، وقال لأبي معشر: أخطأت، ورمى من يده تفاحة.

وأبو معشر قائم، فتحير، وعاود النظر في الزايرجه، ساعة، ثم عدا يسعى نحو التفاحة، حتى أخذها،

فكسرها، ثم قال: الله أكبر، وقدمها إلى الموفق فإذا هي تنغش بالدود.

فقال الموفق من إصابته، وأمر له بجائزة عظيمة.

مما شاهده المؤلف من صحة أحكام النجوم

وهذا بعيد دقيق، ولكن فيما قد شاهدته من بعض صحة أحكام النجوم، كفاية.

هذا أبي حول مولد نفسه في السنة التي مات فيها، فقال لنا: هي سنة قطع على مذهب المنجمين، وكتب

بذلك إلى بغداد، إلى أبي الحسن بن البهلول القاضي ينعي نفسه إليه، ويوصيه.

فلما اعتل أدنى علة، وقبل أن تستحكم علته، أخرج التحويل، ونظر فيه طويلاً، وأنا حاضر، فبكى، وأطبقه، واستدعى كاتبه، وأملأ عليه وصيته التي مات عنها، وأشهد فيها من يومه. فجاءه أبو القاسم غلام زحل المنجم، فأخذ يطيب نفسه، ويورد عليه شكوكاً. فقال: يا أبا القاسم، لست ممن يخفى هذا عليه، فأنسبك إلى غلط، ولا أنا ممن يجوز عليه هذا فتستغفلي، وجلس فواقفه على الموضوع الذي خافه، وأنا حاضر. ثم قال له أبي: دعني من هذا، بيننا شك في أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر، لسبع بقين من الشهر، فإنه ساعة قطع عندهم؟. فأمسك أبو القاسم ولم يجبه، واستحي منه أن يقول نعم، وبكى أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادماً لأبي. وبكى أبي طويلاً، ثم قال: يا غلام الطست، فجاءه به، فغسل التحويل وقطعه، وودع أبا القاسم توديع مفارق. فلما اكن في ذلك اليوم، العصر بعينه، مات، كما قال.

الأخذ بالحزم أولى

أخبرني غير واحد من أصحابنا، أ، أبا محمد عبد الله بن العباس الرامهرمزي المتكلم، أخبره، قال: أردت الانصراف من عند أبي علي الجبائي إلى بلدي، فجئته مودعاً فقال لي: يا أبا محمد، لا تخرج اليوم، فإن المنجمين يقولون: إنه من سافر في مثله غرق، فأقم إلى يوم كذا وكذا، فإنه محمود عندهم. فقلت: أيها الشيخ مع ما تعتقده في قولهم، كيف تجيء بهذا؟ فقال: يا أبا محمد، لو أخبرنا مخبر ونحن في طريق، أن فيه سبع، أليس كان يجب في الحكمة علينا أن لا نسلك ذلك الطريق، إذا قدرنا على سلوك غيره، وإن كان ممن يجوز عليه الكذب؟ قلت: نعم. قال: فهذا مثله، وقد يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادات، بأن تكون الكواكب إذا نزلت هذه المواضع حدث كذا، والأخذ بالحزم أولى. قال: فأخبرت خروجي إلى اليوم الذي قاله.

أبو علي أحذق الناس بالنجوم

حدثني أبو الحسن بن الأزرقي، قال: حدثني أبو هاشم الجبائي، قال: كان أبو علي من أحذق الناس بالنجوم، فولد في جواره مولود، فقال أبوه: إني أحب أن تأخذ طالع. قال: وكان ليلاً، فأخذ الاضطراب وعمل مولده، وحكم له بأشياء، صحت كلها بعد ذلك.

أبو الحسن الأهوازي وسابور ذو الأكتاف

جرى الحديث يوماً بحضرة أبي، في البخل والبخلاء، واختصاص الملوك بذلك، وكان أبو الحسن مطهر بن إسحاق بن يوسف الأهوازي الشاهد حاضراً فقال: دخلت يوماً إلى أبي عبد الله البريدي، وقد نصبت مائدته، فاستدعاني إليها، وكنت جائعاً، فأقبلت أكل منبسطاً.

فقدم جدي مشوي حار، فضربت يدي إلى كتفه، فأكلتها.
ثم قدم بعده ألوان آخر، وجدي بارد، فضربت يدي إلى كتفه فأكلتها.
ثم قدم بعده ألوان، وقدم جدي مبرر، فأخذت الكتف فأكلتها.
ثم جاء جدي بماء وملح، فجئت لأخذ الكتف، فسبقني يد أبي عبد الله إليه، فكففت يدي.
فقال لي: يا أبا الحسن، أنت اليوم سابور ذو الأكتاف.

فاستحييت، وخجلت، وعلمت أنه ما قالها إلا من غيظ، فقصرت.
وتوقيت بعد ذلك مواكلته.

فقال أبي: ما كان أبو عبد الله بخيلاً على الطعام، وإنما كان همماً، شديد الجوع، وكان في أول أكله، وإلى وسطه، يلحقه هذا النهم، وربما أطلق ما يشبه هذا، فيظن من لا يعرف طبعه أنه بخيل، ويحتاج من يواكله إلى التقصير، حتى يمضي نصف أكله.

فإذا مضى نصف أكله، انبسط، وانطلق وجهه، وساء وغمه أن يقصر من يحضر في مواكلته، وقال: هوذا ينسبونني إلى البخل ثم لا يأكلون.

أبو عبد الله الكرخي يجب مؤاكلة الأكل

ولكن أبا عبد الله بن القاسم الكرخي هو الجواد على الطعام والمال، ولقد دخلت إليه يوماً في الأهواز، وهو عاملها، ألقب عليه ثياباً، ولم تكن بيننا معرفة، فأخذ منها ما أراد، ووافقني على الأثمان، وطال جلوسي عنده، فجاء غلماناً بأطباق فاكهة، فقمتم.

فقال: ما هذا الخلق النبطي يا أبا الحسن؟ اجلس، فجلست، وأخذنا في الأكل، وكنت جائعاً، فأقبلت أكل كمثراً، كمثراً، في لقمة، وخوخة خوخة، في لقمة، وتينة تينة، في لقمة، وهو ينظر إلى ذلك، ويستحسنه، ويضحك منه، ويعجبه ويستطرفه، وكان ضعيف الأكل جداً.

وكلما جئت لأقطع، حلف علي، ولقمني بيده.

ثم شيلت الفاكهة، وجاءوا بالطعام، وكانت هذه صورتي عنده، وانصرفت.

فلما كان من غد نصف النهار، وكنت جالساً في دكاني بالبرازين، فإذا بفراش ومعه غلام تحته بغل.

فقال: العامل يطلبك، فلم أدر ما هو، فركبت البغل وصرت إليه، وإذا المائة منصوبة، وهو ينتظري.

فقلت: ما يأمر الأستاذ أيداه الله؟ فقال: إني استطبت مؤاكلتك بالأمس، وأكلت فضلاً مما جرت عادتي به،

فلما قلمت اليوم المائة، لم أهنأ بالأكل، فعزلتها واستدعيتك، وأريد أن تجيني في كل يوم.

قال: فكنت أتاخر في الأيام، فيعاتبني، وينفذ إلي بغلاً أركبه.

وولد ذلك لي محلاً عظيماً في البلد، وجاهاً، وكسبت به عليه البرز وغيره، مما رد إلي شراعه من جميع ما كان يحتاج إليه في داره، مالاً جليلاً.

بين أبي جعفر بن شيرزاد

وأبي عبد الله الموسوي

حدثنا أبو العباس هبة الله بن المتجم، قال: سمعت أبا عبد الله الموسوي العلوي، يقول: قصدني أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد في أيام تدبيره الأمر، قصداً قبيحاً، وعمل لي كتابة مؤامرة في خراجاتي، بمائة ألف درهم، أكثرها واجب علي، وباقيها كالواجب. وأحضرني للمناظرة عليها، فاعتقلني في داره. فضقت ذرعاً بما نزل بي، وعلمت أن المال سيؤخذ مني إذا نوظرت، وأنه يؤثر في حالي، ويهتك جاهي، فلم أدر ما أعمل.

فشاورت بعض من يختص به، فقال: طمعه فيك - والله - قوي، وما ينفعك معه شيء غير المال. فقلت: فكر في حيلة أو مخادعة. ففكر، ثم قال: لا أعرف لك دواء إلا شيئاً واحداً، أن سمحت به نفسك، وتركت العلوية عنك، وفعلته، نجوت.

فقلت: ما هو؟ قال: هو رجل سمح على الطعام، محب لأكله على مائدته، موجب لحرمته، وأرى لك، إذا وضع طعامه، أن تخرج إليه، فإنك معه في الدار، ولا يمنعك الموكلون من ذلك، فتجيء بغير إذن، فتجلس على المائدة، وتأكل، وتنسبط، وتخطبه في أمرك عقيب الأكل، وتسأله، وترفق به، وتخضع له، فإنه يسامحك بأكثرها، ويقرب ما بينك وبينه.

فشق ذلك علي، ثم نظرت، فإذا وزن المال أشق منه.

وكان أبو جعفر، لا يأكل إلا بعد المغرب، في كل يوم مرة، فلم آكل ذلك اليوم شيئاً، وراعت مائدته؟ فلما وضعت المائدة، قمت.

فقال الموكل: إلى أين؟ قلت: إلى مائدة الوزير، فما قدر أن يمنعني، وجاء معي.

فلما رأي أبو جعفر، أكبر ذلك، وهلل وجهه، وقال: إلى عندي يا سيدي، إلى عندي، وأجلسني إلى جنبه، وأقبلت آكل، وأنسبط في الأكل والحديث، إلى أن رفعت المائدة، وقام أبو جعفر، وقمنا، وشيلت المائدة، واستدعاني إلى موضعه، فغسلت يدي بحضرته.

فلما فرغت، أردت أن أبتدأه بالخطاب، فقال لي: قد آذيتك يا سيدي أبا عبد الله بتأخيرك عن منزلك، فامض إلى بيتك، وما أحاطبك بشيء مما في نفسي، ولا فيما أردت مخاطبتك فيه، ولا مطالبة عليك من جهتي بعدما تفضلت به.

فشكرته، وقلت: إن رأى سيدنا أيده الله، أن يتمم معروفه علي بتسليم المؤامرة إلي، فعل.

فقال: هاتوها، فما برحت، إلا وهي معي في خفي، وانصرفت إلى منزلي، وسقط المال عني. ولزمته للسلام، وصرت أتعده مؤاكلته، والتخصص به، فسلمت عليه طول أيامه، وسلم مالي وجاهي عليه، إلى أن مضى.

اللص والعجوز الجلدة أم الصيرفي

حدثني أبو جعفر محمد بن الفضل بن حميد الصيمري، مؤدبي، قال: كان في بلدنا عجوز سالحة، كثيرة الصيام والقيام، وكان لها ابن صيرفي منهك على الشرب واللعب. وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره، ثم يعود عشياً إلى منزله، فيخفي كيسه عند الدتة، ويمضي، فيبيت في مواضع يشرب فيها.

فعين بعض اللصوص على كيسه ليأخذه، وتبعه في بعض العشايا، ودخل ورائه إلى الدر، وهو لا يعلم، فاختفى فيها، وسلم هو كيسه إلى أمه، وخرج، وبقيت وحدها في الدار. وكان لها في دارها، مؤزر بالساج إلى أكثر حيطانه، عليه باب حديد، تجعل قماشها وكل ما تملكه فيه، والكيس، فخبأت الكيس فيه تلك الليلة خلف الباب، وجلست فأفطرت بين يديه. فقال اللص: هذه الساعة تفطر، وتكسل، وتنام، وأنزل فأفتح الباب وأخذ الكيس والقماش. قال: فلما أفطرت، قامت إلى الصلاة، فظن اللص أنها تصلي العتمة وتنام. فانظرها، فمدت الصلاة، وتناول عليه الأمر، ومضى نصف الليل. وتحير اللص مما نزل به، وخاف أن يدركه الصبح، ولا يظفر بشيء.

فطاف بالدار، فوجد إزاراً جديداً، وطلب جمرأ فظفر به، ووقع في يده شيء كلن لهم فيه دخنة طيبة، فلبس الإزار، وأشعل ذلك البخور، وأقبل ينزل على الدرجة، ويصيح بصوت غليظ وتعمد أن يجعله جهورياً، لنفزع العجوز.

وكانت معتزلية جلدة، ففطنت لحركته، وأنه لص، فلم تره أنها فطنت.

وقالت: من هذا؟ بارتعاد وفرع شديد.

فقال لها: أنا رسول الله رب العالمين، أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق، لأعظه، وأعامله بما يمنعه من ارتكاب المعاصي.

فأظهرت أنها قد ضعفت، وغشي عليها من الجزع، وأقبلت تقول: يا جبريل، سألتك بالله، إلا رقت به، فإنه واحدي.

فقال اللص: ما أرسلت لقتله.

فقالت: فما تريد؟ وبما أرسلت؟ قال: لآخذ كيسه. وأولم قلبه بذلك، فإذا تاب رددته إليه.

فقالت: شأنك، يا جبريل، وما أمرت.

فقال: تنحي من باب البيت.

فتنحت، وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش، واشتغل في تكويره.

فمشت العجوز قليلاً قليلاً، وجذبت الباب بحمية، فردته، وجعلت الحلقة في الرزة، وجاءت بقفيل، فقفلته. فنظر اللص إلى الموت بعينه، ورام حيلة في داخل البيت، من نقب أو منفذ، فلم يجدها. فقال لها: افتحي الباب لأخرج، فقد اتعظ ابنك. فقالت: يا جبريل، أخاف أن أفتح الباب، فنذهب عيني من ملاحظتي لنورك. فقال: إني أطفئ نوري حتى لا تذهب عينك. فقالت: يا جبريل، إنك رسول رب العالمين، لا يعوزك أن تخرج من السقف أو تحرق الحائط بريشة من جناحك، وتخرج، فلا تكلفني أنا التفرير ببصري. فأحس اللص بأنها جلدة، فأخذ يرفق بها، ويداريها، ويبذل التوبة. فقالت له: دع ذا عنك، لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهار، وقامت تصلي، وهو يهذي، ويسألها، وهي لا تجيبه، حتى طلعت الشمس وجاء ابنها، فعرف خبرها، وحدثه بالحديث، فمضى وأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب، وقبض على اللص.

من بركة المعتزلة إن صبيانهم

لا يخافون الجن سمعت جماعة من أصحابنا، يقولون من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن. وقد حكى لنا: أن لصاً حصل في دار معتزلي، فأحس به، فطلبه، فنزل إلى بئر في الدار. فأخذ الرجل حجراً عظيماً ليدليه عليه، فخاف اللص التلف. فقال له: الليل لنا والنهار لكم، يوهمه أنه من الجن. فقال له المعتزلي: فرن معي نصف الأجرة، ورمى بالحجر فهمشه. فقال له: متى يأمن أهلك من الجن؟ فقال المعتزلي: دع ذا عنك واخرج. فخرج وخلاه.

محدث قارب المائة يتواجد في مجلس

خاطف المغنية

سمعت أبي، قال: جئت إلى أبي القاسم ابن بنت منيع، لأكتب عنه الحديث، فقال لي في منزله: قد توجه في حاجة له وكان سنه إذ ذاك نحو مائة سنة. فجلسنا ننظره، فإذا به قد جاء محمولاً، فألقي كالغشي عليه، واستراح. فقلنا له: يا أبا القاسم، ما كان هذا الأمر العظيم حتى خرجت فيه بنفسك، ألا كلفتنا حاجتك؟ فقال: ليس هذا مما أكلفكم إياه، مضيت إلى مجلس ستي خاطف، فسمعتها، وتواجدت من قولها. قال: فعجبنا من شيخ محدث يحضر مجلس امرأة تغني بالقضيب. وأخبرني جماعة أثق بهم، أنها تدعى إلى هذا الوقت، وتغني بالقضيب وأن لها حول السبعين سنة.

وأخبرني أبو الحسن بن الأزرق، أيضاً في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، أنها توفيت في منزلها في جواره في هذه السنة.

الباغندي المحدث يخطئ في موضعين

حدثني أبو الطيب بن هرثمة : أنه سمع الباغندي المحدث، يقول لجارية كانت تخدمه وقد حرد عليها: ذهب زمانك الذي كنت تخضبين فيه خديك بالكلكين.
يريد : تطلين إلى وجهك الكلكون.
وأنه سمعه قال، في حديث حدث به، في قوله تعالى: " وفاكهة وأبا " ، فقال: فاكهة وأنا.

حكاية تدل على ذكاء القرد

حدثني أبو الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن، أحد الصوفية الطيِّاب من أهل سر من رأى، ثم مر ببغداد، وأقام بالأهواز طويلاً، وتوكل على أبواب القضاة، وعاش نحو السبعين سنة، وكان ماجناً، خفيف الروح، قال: بت ليلة في خان، ومعنا قراد، ومعهم قرد، وكنا كلنا في بيت واحد ضيق.
ففسا بعض من كان معنا، وزاد في الفسا.
فلم يزل القرد يجيء إلى فقحة كل واحد منا فيشمها، ويقف عندها ساعة، إلى أن وقع على فقحة الرجل الذي يفسو.

قال: فرأيت، وقد جاء إلى قطن كان مع صاحبه، فاستخرج منه كبة، وأخذها بيده، ثم جاء إلى سراويل الذي يفسو، فخرقه، فلم يزل يلس القطن في حجره.

هذا من تعليم القرد

وأخبرني أن بعض الصوفية حدثه: أنه اجتمع في بيت واحد من خان، مع قراد أمرد، فراوده عن نفسه، فحين حصل فوقه، التمس منه تمكينه من إتيانه في ذاته، فامتنع.
فأومأ إلي القرد بيده، وأخرج عليها بصاقاً من فيه، ولم يزل يضعه بها هكذا إلى نفسه.
قال: فأقحمت على الغلام.
فقال: هذا والله من تعليم القرد، فضحكت.
فلما نزلت عنه، قام إلى القرد، يضربه ويقول: يا فاعل، يا صانع علمته علي.
قال: فلم أزل به حتى خلصته من يده.

القروود والقلائس

وأخبرني بعض من سافر في الآفاق، وهو أبو غانم عبد الملك بن علي السقطي البصري: أنه كان في بعض طرقات اليمن، ومعهم رجل معه قفص فيه قلائس. فأصابته سماء، فابتلت القلائس، فأخرجها الرجل، فشرها في الشمس، لما نزلوا. وإذا بقطعة عظيمة من القروء، قد أحاطوا بالقافلة، فلما رأوا القلائس، وكانت خارجة عن القافلة بالقرب منا، وقفوا ينظرون إليها. فجاء قرد كبير يقدمهم، فلبس في رأسه واحدة، وأخذ كل واحد منهم واحدة فلبسها إلى أن فنيت القلائس. فتأملت صاحبها يلطم ويقول: إن مضوا هؤلاء، وهي على رؤوسهم، افتقرت، فإني لا أملك غير هذه القلائس. فقال أهل القافلة: اجلس، واسكت، ولا تمجهم، فجلس. فلما كان بعد ساعة، وضع القرد الكبير القلائس من رأسه، فوضعوا كلهم القلائس، وانصرف، فتبعوه في الانصراف. وقام الرجل إلى قلائسه فجمعها.

القروء المستأنسة في اليمن تشتري

الحاجات من السوق

وحدثني أيضاً، قال: رأيت قروءاً عدة مستأنسة ببلدان اليمن، القرد منها يخرج بالزنبيل من منزل صاحبه، ومعه الفضة، فيقف على بائع اللحم، والخبز، وغيرها، ويومئ له بما يريد، ويعطيه ثمه، ويحمل الحاجة إلى منزل صاحبه.

أبو عبد الله المزابلي والروح الأمين

جبريل رسول رب العالمين

وحدثني أبي، قال: كان عندنا بجبل أنطاكية، المعروف بجبل اللكام، رجل يتعبد، يقال له: أبو عبد الله المزابلي. وسمي بذلك، لأنه كان بالليل يدخل إلى البلد، فيتبع المزابل، فيأخذ ما يجده فيها، فيغسله، ويقاها، به، لا يعرف قوتاً غير ذلك، وأن يتوغل في جبل اللكام، فيأكل من الأثمار المباحة فيه. وكان صالحاً مجتهداً، إلا أنه كان حشويّاً، غير وافر العقل، وكانت له سوق عظيمة في العامة بأنطاكية. وكان بها موسى بن الزكوري صاحب الخجون والسفّه في شعره والحماقات وكان له جار يغشى المزابلي. فجرى بين موسى بن الزكوري، وجاره ذاك شر، فشكاه إلى المزابلي فلعنّه المزابلي في دعائه، وكان الناس يقصدونه في كل يوم جمعة غدوة، فيتكلم عليهم ويدعو.

فلما سمعوا لعنه لابن الزكوري، جاء الناس إلى داره أرسالاً لقتله، فهرب، ونهبت داره، وطلبته العامة فاستر.

فلما طال استتاره، قال: إني سأحتال على المزابلي بحيلة أتخلص منه بها، فأعيوني، فقلت: ما تريد؟ فقال: أعطوني ثوباً جديداً، وشيئاً من الند والمسك، ومجمرة، وناراً وغلماناً يؤنسوني الليل في الطريق إلى الجبل. قال أبي: فأعطيته ذلك كله.

فلما كان في نصف الليل، مضى، وخرج الغلمان معه إلى الجبل، حتى صعد فوق الكهف الذي يأوي إليه المزابلي، فبخر بالند والمسك، فدخلت الريح إلى كهف أبي عبد الله، وصاح بحلق عظيم: يا أبا عبد الله المزابلي.

فلما شم تلك الرائحة، وسمع الصوت، أنكرهما.

فقال ما لك عافك الله، ومن أنت؟ فقال ابن الزكوري: أنا الروح الأمين جبريل، رسول رب العالمين، أرسلني إليك.

فلم يشك المزابلي في صدق القول، فأجهش بالبكاء والدعاء، وقال: يا جبريل، من أنا حتى يرسلك رب العلمين إلي.

فقال: الرحمان يقرؤك السلام، ويقول لك موسى بن الزكوري غداً رفيقك في الجنة.

فصعق أبو عبد الله، وسمع صوت الثياب، وقد كان خرج فرأى بياضها، فتركه موسى ورجع. فلما كان من الغد، كان يوم جمعة، فأقبل المزابلي يخبر الناس برسالة جبريل، ويقول: تمسحوا بابن الزكوري، واسألوه أن يجعلني في حل، واطلبوه لي.

فأقبل العامة أرسالاً إلى دار ابن الزكوري، يطلبونه ليتمسحوا به ويستحلوه للمزابلي، وأمن على نفسه.

عيار بغدادي يحتال على أهل حمص

حدثني أبو الطيب بن عبد المؤمن، قال: خرج بعض حذاق المكدين من بغداد إلى حمص، ومعه امرأته.

فلما حصل بها، قال لها: إن هذا بلد حماقة ومال، وإني أريد أن أعمل معيياً - قال: وهذه كلمة لهم إذا أرادوا أن يعملوا حيلة كبيرة - فساعديني عليها بالصبر.

قالت: شأنك.

فقال: كوني بموضعك، ولا تجتازين بي البتة، وإذا كان كل يوم خذي لي ثلثي رطل زبيباً، وثلثي رطل لوزاً نياً، فاعجنيه، واجعليه وقت الهاجرة على آجرة نظيفة، لأعرفها، في الميضة الفلانية، وكانت قرية من الجامع، ولا تزيديني على هذا شيئاً، ولا تمرين بناحيي.

فقالت: أفعل.

قال: وجاء هو، وأخرج جبة صوف كانت معه، فلبسها، وسراويل صوف، وممزراً جعله على رأسه. واعتمد اسطوانة في الجامع بحيث يجتاز عليها أكثر الناس، فلزمها يصلي فماره أجمع، وليله أجمع، ولا يستريح إلا في الأوقات المحصورة فيها الصلاة، وإذا جلس للراحة سبح، ولم ينطق بلفظة.

ولم يشعر به أياماً، ثم تنبه على مكانه.

وروعي مدة، وعرف خبره، ووضعت العيون عليه، فإذا هو لا يقطع الصلاة، ولا يذوق الطعام، فتحير أهل البلد في أمره.

وكان لا يخرج من الجامع إلا في الهاجرة، في كل يوم دفعة، حتى يمضي إلى تلك الميضاة، فيبول، ويعمد إلى تلك الآجرة، وقد عرفها، وعليها ذلك المعجون، وقد صار مستحيلاً، وصورته صورة الغائط الناشف المستحيل، فمن يدخل ويخرج، لا يشك أنه غائط، فيأكله، ويقيم أوده، ويرجع، فإذا تمسح لصلاة العتمة في الليل، شرب كفايته من الماء.

وأهل حمص يظنون أنه لا يذوق الطعام، وأنه طار طول تلك المدة.

فعظم شأنه ومحله عندهم، وقصدوه، وكلموه، فلم يجب، وأحاطوا به، فلم يلتفت، واجتهدوا في خطابه، فلزم لهم الصمت والعمل.

ففراد محله عندهم، حتى أنهم كانوا إذا خرج للطهور، جاءوا إلى موضعه فيتمسحون به، ويأخذون التراب من موضع مشيه، يحملون إليه المرضى فيمسح بيده عليهم.

فلما رأى أن منزلته قد بلغت إلى ذلك، وكان قد مضى على هذا الفعل سنة، اجتمع في الميضاة مع امرأته، وقال: إذا كان يوم الجمعة كما تصلي الناس، فتعالى، فعلقي بي، والطمي وجهي، وقولي لي: يا عدو الله يا فاسق، قتلت ابني ببغداد، وهربت إلى هاهنا، وجئت تتعبد، وعبادتك مضروب بها وجهك.

ولا تفارقيني، وأظهرني أنك تريدني قتلي بابنك، فإن الناس يجتمعون عليك، وأمنعهم أنا من أذيتك، وأعترف بأني قتلته، وتبت، وجئت إلى هاهنا، للعبادة والتوبة، والنم على ما كان مني. فاطلبي قودي بإقاراري، وحملني إلى السلطان، فسيعرضون لك الدية فلا تقبلها، أو يبذلوا لك عشر ديات، أو ما استوى لك بحسب ما تريد من زيادتهم، وحرصهم.

فإذا تناهت عطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً، فاقبلي الفداء منهم، واجمعي المال، وخذي، واخرجي من يومك عن البلد إلى طريق بغداد، فأني سأهرب، وأتبعك.

فلما كان من الغد جاءت المرأة، فلما رآته، فعلت به ما قال لها، ولطمته وقالت المقالة التي علمها. فقام أهل البلد ليقتلوها، وقالوا: يا عدوة الله، هذا من الأبدال هذا من قوام العالم، هذا قطب الوقت، هذا صاحب الزمان، هذا، هذا.

فأومأ إليهم أن أبصروا ولا تنالوها بسوء، فاصبروا، وأوجز صلاته، ثم سلم، وتمرغ في الأرض طويلاً. ثم قال للناس هل سمعتم لي كلمة منذ أمت فيكم؟ فاستبشروا لسماع كلامه، وارتفعت صيحة عظيمة، وقالوا: لا.

قال: فأني إنما أقمت عندكم تائباً لما ذكرته، وقد كنت رجلاً في زيغ وخسارة، فقتلت ابن هذه المرأة، وجئت إلى هاهنا للعبادة، وكنت محدثاً نفسي بالرجوع إليها، وطلبتها لتقيدي، خوفاً من أن لا تكون تويتي قد صحت، وما زلت أدعو الله تعالى أن يقبل تويتي، ويمكنها مني، إلى أن أجيت دعوتي، وقبل الله تويتي، لما جمعني وإياها، ومكنها من قودي، فدعوها تقتلني، وأستودعكم الله تعالى.

قال: فارتفعت الصيحة والبكاء.

وقال له هذا: يا عبد الله ادع لي .

وقال له هذا: ادع لي.

وأقبلت المرأة بين يديه، وهو مار إلى والي البلد، وهو يمشي على تأن ورفق، ليخرج من الجامع إلى دار الأمير، فيقتله بابنها.

فقال الشيوخ: يا قوم لم ضللتكم عن مداواة هذه الحنة؟ وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح؟ فارتفعوا بالمرأة، وسلوها قبول الدية، ونجعلها من أموالنا.

فأطافوا بها، وسألوها فقالت: لا أفعل.

قالوا: خذي ديتين.

فقالت: شعرة من ابني بألف دية.

فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات.

فقالت: اجمعوا المال، فإذا رأيته، إن طاب قلبي بقبوله، والعفو عن الدم، فعلت، وإلا قتلت القاتل.

فقالوا: نعم.

فقال الرجل: قومي عافاك الله، ورديني إلى موضعي من الجامع.

قالت: لا أفعل.

قال: فذاك إليك.

فما زالوا يجمعون إلى أن جمعوا مائة ألف درهم، فقالوا: خذوها.

قالت: لا أريد إلا قتل قاتل ابني، فهو أثر في نفسي.

فأقبل الناس يرمون بشياهم، وأرديتهم، وخواتيمهم، والنساء بحليهن، والرجال كل يرمي بشيء من متاعه، ومن لم يتحمل من ذلك الفداء، كان في أمر عظيم، وكأنه قد خرج من الدنيا. فأخذته، وأبرأته من الدم، وانصرفت.

فأقام الرجل في الجامع أياماً يسيرة، حتى علم أنها قد بعدت، ثم هرب في بعض الليالي، وطلب من غد فلم يوجد، ولا عرف له خبر.

حتى انكشف لهم أنها حيلة عملها، بعد مدة طويلة.

صوفي سمع، فطرب، فتواجد، فمات

رأيت ببغداد صوفياً يعرف بأبي الفتح، أعور، في مجلس أبي عبد الله ابن البهلول، يقرأ بأحان، قراءة حسنة، وصبي يقرأ " أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر " .

فرقع الصوفي: بلى، بلى، دفعات، وأغمي عليه طول المجلس، وتفرق الناس عن الموضع. وكان الاجتماع في صحن دار كنت أنزلها، فلم يكن الصوفي أفاق، فتركه مكانه، فما أفاق إلى قرب العصر، ثم قام.

فلما كان بعد أيام، سألت عنه فعرفت أنه حضر عند جارية بالكرخ تقول بالقضيب، فسمعها تقول الأبيات التي فيها:

وجهك الميمون حجتنا ... حين تأتي الناس بالحجج
فتواجد ودق صدره، إلى أن أغمي عليه، فسقط.

فلما انقضى المجلس، حركوه، فوجدوه ميتاً، فشالوه، ودفنوه، واستفاض الخبر بهذا وشاع. والأبيات لعبد الصمد بن المعدل، وهي في أمالي الصولي عنه بإسناد ثابت في أصول سماعاتي:

يا بدع الدل والغنج ... لك سلطان على المهج
إن بيتاً أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
لا أتاح الله لي فرجاً ... يوم أدعوا منك بالفرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم تأتي الناس بالحجج
والصوفية، إذا قالوا: وجهك المأمول، يقبلونه إلى ما لهم في ذلك من المعاني.

وكانت قصة هذا الرجل، وموته في سنة خمسين وثلثمائة، وأمره من مفردات الأخبار.

؟

مكديان بغداديان يحتلان على الناس

حدثني جماعة من شيوخ بغداد: إنه كان بها في طرقي الجسر سائلان أعميان، يتوسل أحدهما بأمير المؤمنين علي عليه السلام، والآخر بمعاوية، ويتعصب لهما الناس، وتجيئهما القطع دارة.

فإذا انصرفا جميعاً، اقتسما القطع، وإنهما كانا شريكين، يحتلان بذلك على الناس.

كلنا صيادون لكن الشباك تختلف

حدثني أبو أحمد عبد السلام بن عمر بن الحارث، قال: جاء رجل من الصوفية إلى بجكم وهو بواسط، فوعظه، وتكلم عليه بالفارسية والعربية، حتى أبكاه بكاء شديداً.

فلما ولى من بين يديه خارجاً، قال بجكم لبعض من بحضرته: احمل معه ألف درهم، وادفعها إليه.

قال: فحملت، فأقبل بجكم على من بين يديه، فقال: ما أظنه يقبلها وهذا محترق بالعبادة، أيش يعمل بالدرهم.

قال: فما كان بأسرع من أن رجع رسوله الذي كان أنفذه بالدرهم، فارغ اليد.

فقال له بجكم: أي شيء عملت؟ قال: أخذت إليه الدرهم، وأعطيته إياها.

قال بجكم: فأخذها؟ قال: نعم.

فعض بجكم على شفتيه، وقال: إنا لله، حيلة تمت على، كلنا صيادون لكن الشباك تختلف.

تاجر يتحدث عن صفقة عقدها

وراء باب الأبواب

وحدثني أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب، عن رجل من التجار الموغليين في الأسفار، قال: سافرت إلى وراء باب الأبواب بمسافة بعيدة ومعني متاع.

فبلغت أرضاً لها أهل بيض شقر، مرط، دقاق، قصر، عراة، قليلوا الأظفار، لغتهم لغة غير الفارسية والتركية، لا أعرفها، لا أعرفها، لا ورق، في بلادهم، ولا عين، وإنما يتعاملون بالأمثلة، والأغلب عندهم الغنم.

فحملت إلى ملكهم، فعرضت عليه ما معني، فاستحسن منه ثوب ديباج كان معني، منقط، فسألني عن ثمنه، فاستمت ما لا كثيراً.

فقال لي: لا مال عندنا، وإنما هي هذه الأمثلة، فإن صلحت لك، فخذ ما شئت.

فقلت: لا تصلح لي.

فقال: فالغنم؟ فقلت: كم عسك تعطيني؟ فقال: حكمك.

فقلت: بعدد كل نقطة في الثوب شاة.

فقال: قد أجبتك.

فأخذت أعد النقطة، فلم ينضبط لي ذلك، وجهد جميع من عنده في هذا، فتعذر عليهم.

فقال لي: ما نعمل الآن، قد تعبنا، وأتعبناك في شيء لا يصح، فهيمت بحمل الثوب والانصراف.

ففكر ساعة، ثم قال لترجمانه: قل له ييسط الثوب.

وكان له ترجمانان، يكلم أحدهما بلغته، فيكلم الترجمان، ترجماناً آخر، بلغة أخرى، فيكلمني ذاك بالفارسية، فأفهم.

قال: فبسطت الثوب، وأمر الملك، فأضر كل ما قدر عليه من حصي صغار وأحجار لطيف، فترك على كل نقطة حصاة، حتى امتلأ الثوب بالحصي والحجارة اللطاف، فوق النقطة.

ثم أمر بجمع أمر عظيم من الغنم، وأوقفت بحضرته، وأمر رجلاً أن يجلسوا، ورجلاً أن يقوموا، فجلس بعضهم على الثوب.

فكانوا يأخذون حصاة حصاة فيلقونها عن الثوب، فكلما ألقى من الجلوس رجل حصاة، أخذ رجل من القيام، شاة من الموضع الذي فيه الغنم إلى رحلي، وسلمت إلى أصحابي، حتى استوفيت على عدد الحصى الذي كان فوق الثوب، بكل نقطة شاة.

قال: فاستحسن فطنته لذلك، فقلت للترجم: قولوا له: ما أنصرف إلى بلدي بشيء أحسن من فطنة

الملك، لاستخراج هذا، فكيف وقع له هذا وهو لا يلبس مثله؟ وأنا تاجر، ما وقع لي، ولا لجميع أهل مملكته.

قال: فأعجبه قلبي، وقال: إنك لما أردت الانصراف، تأسفت على ما يفوتني من الثوب، ففكرت، والملك لا بد أن يدبرهم الملك، ويسير لهم مزية في حيل الرأي في الحوادث التي تطرقهم، ليست لغيرهم، لأن أفكارهم

صافية من الاهتمام بما يهتم به غيرهم من المعاش، موقوفة على مصالح المملك، ومدارة الخوارج، أو على الشهوات، قد ما شغلوا به فوسهم، وليس يتحصل لواحد منهم المملك، إلا لشرفه، ومعنى قد فضل به، وتقدم من أجله، إما بسعادة تخدمه، أو بفضل في نفسه، فلما رأيت أن الثوب يريد أن يفوتني، فكرت، كيف الحيلة في عد النقطة، فوقع لي ما رأيت.

فقلت له: أيها المملك، فائدي بما سمعته منك، من هذا الكلام، أحب إلي من فائدي بما ربحته عليك من ثمن الثوب.

قال: فأجازني بجائزة سنية، وأصبحني من آنسي، وخدمني في طريقي، وحمل معي تلك الغنم، إلى أن خرجت من أعماله، فبعنها بمال عظيم.

أبو علي الأنباري والطبيب الأنباري

و الطبيب يوحنا الأهوازي

حدثني أبو علي الأنباري، قال: كنت بحضرة أبي يوسف البريدي، فكتب كتباً كثيرة، وهي النهار فقامت ضجراً، أمشي في الصحن الأعظم من الدار، فلقيت يوحنا الطبيب الأهوازي النصراني، فقال: يا أبا علي افتصد الساعة، وإلا طعنت.

فقلت: أمس افتصدت.

قال: فحل إزارك، وسراويلك.

قال: فوقفت، وفعلت ذلك.

فقال لي: لو لم يتغير لونك إلى الإسفار، لفصدتك ثانية.

قال: فعجبت من فطنته واجتماع الدم في وجهي، ومعالجته بسرعة.

طبيب يتحدث عن بعض خواص النارج

وحدثني أبو علي، قال: دخل يوحنا يوماً إلى داري، وبحضرتي مطاولات كثيرة، فيها نارج، فحين رآها، قال يوحنا: منذ كم هذه الأطباق عنك؟ فقلت: منذ أيام.

فقال: إنا لله، تقدم برفعها الساعة، وإلا لم أجلس وهي أمامي.

فقلت: شيلوها.

ثم قلت: ما السبب في هذا؟ فقال: إن النارج خاصيته أن يعرف، وإنه لا يعرف أحد عقيب إدمانه شمه رعاً يكون سببه شمه أو بالاتفاق، إلا يدوم رعاؤه إلى أ، يموت، فلا حيلة فيه.

من شعر أبي القاسم الصروي

أنشدني أبو القاسم الصروي لنفسه:
ويوم كيوم البين حراً قطعته ... على سايح طاوي الأياطل سابق
أخوض عليه جمره القيط حاسراً ... كأني على المهجران في قلب عاشق

الجزء الثالث

الأمين لا يتهم

حدثني أبو العباس محمد بن نصر الشاهد، قال: كان أبو عبد الله جعفر بن قاسم الكرخي، كتب إلى أبي جعفر بن معدان، أن يختار له وكيلاً، ينظر له في ضيعته بالأهواز، فاختار له عمر بن محمد الأشجعي، صاحبه، فنظر في الضيعة سنين.
ثم ولي الكرخي الأهواز، ووردها، فطالب الأشجعي بالحساب، فرفعه، وتبعه كاتبه، فخرجوا عليه فيه ستة آلاف دينار.
فأمر الكرخي، فلوزم الأشجعي في دهليزه، وطولب بالمال، فكتب إلى ابن معدان بخبره.

قال: وكان رسم الكرخي، أن يستدعي أبا جعفر بن معدان، في كل يوم، إلى طعامه، فاستدعاه في ذلك اليوم، فتأخر، وراسله، بأنه من كان صاحبه، وثقتة، واختياره، متهماً، مسلطاً عليه محالات الكتاب، معتقلاً، لا يستدعي للمراكلة.
قال: فامتنع الكرخي من الأكل، وأنفذ إليه الأشجعي، مع كاتب له، والحساب، وقال: والله ما كنت بالذي أدع محالاً يستمر على صاحبك، وما أخرج عليه إلا شيئاً صحيحاً، وقد يجوز أن يكون ضيع ذلك، ولم يتناوله، ولعمري إن من يكون اختيارك، وثقتك، لا يخون، ولم يك ملازماً، وإنما أجلسه انتظارك لك، لتجيء فدبر أمره، وإذا كان ذلك قد شق عليك، فمالي لك، وهذا الرجل والحساب، إن شئت أن تستوفي لي ذلك، أو بعضه، أو تدعه جميعه، فافعل، ولا تتأخر عني، فلست آكل، أو تحيء.
قال: فأطلق الأشجعي إلى منزله، وركب هو إلى الكرخي، ثم لم يعاود أحدهما صاحبه في معنى الأشجعي بكلمة، وفاز بالدنانير.

ومضت القصة على ذلك.

يرى مناماً فيمزق كتاباً

حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن مروان، قال: حدثني خالي محمد بن هارون، قال: قال لي بعض أصحابنا: كنت في بعض الليالي، أنظر في كتاب التشريح لجالينوس، فغلبتني عيني، فرأيت هاتفاً، يهتف بي، ويقول: " ما أشهدكم خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم، وما كنت متخذ المضلين عضداً " .

فاستيقظت، ومزقت الكتاب.

القاضي أبو خازم يتأني في أحكامه

وحدثني القاضي أبو بكر، قال: حدثني مكرم بن بكر، قال: كنت في مجلس أبي خازم القاضي، فتقدم رجل شيخ، ومعه غلام حدث، فاستدعى الشيخ عليه ألف دينار عيناً ديناً.

فقال له: ما تقول؟ فأقر.

قال: فقال للشيخ: ما تشاء؟ قال: حبسه.

فقال للغلام: قد سمعت، فهل لك في أن تنقده البعض، وتسأله الإنظار؟ قال: لا.

فقال الشيخ: إن رأى القاضي أن يحبسه.

قال: فتفرس أبو خازم فيهما ساعة، ثم قال: تلازما، إلى أن أنظر بينكما في مجلس آخر.

قال: فقلت لأبي خازم، وكانت بيننا مودة وأنسة: لم أخرج القاضي حبسه؟ فقال: ويحك إني أعرف في أكثر الأحوال، في وجوه الخصوم، وجه الحق من المبطل، وقد صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطيء، وقد وقع لي أن سماحة هذا بالإقرار، هي عن بلية، وأمر يبعد عن الحق، وليس في ملازمتهم بطلان حق، ولعله أن ينكشف لي من أمرهما شيء، أكون معه في الحكم على ثقة، أما رأيت قلة تغاضيهما في المناظرة؟ وقلة اختلافهما؟ وسكون جأشهما، مع عظم المال، وما جرت عادة الأحداث بفرط التورع، حتى يقر مثل هذا طوعاً، عجباً، بمثل هذا المال.

قال: فبينما نحن كذلك نتحدث، إذ استؤذن على أبي خازم، لبعض وجوه تجار الكرخ، ومياسيرهم، فأذن له، فدخل، وسلم عليه، وسبب لكلامه، فأحسن، ثم قال: قد بليت بابن لي حدث، يتلف مالي في القيان والبلاء، عند مقين يعرف بفلان، - وأسماء - فإذا منعه مالي، احتال بحيل تضطريني إلى غرم له، وإن عدلته عن ذلك، وعدلت حالي معه، طال، وأقربه اليوم، إنه قد نصب المقين، ليطالبه بألف دينار عيناً، ويجعل ذلك ديناً حالاً، وبلغني أنه قد تقدم إلى القاضي، فيطالبه، فيحبس، وأقع مع أمه في بلية وتنغيص عيش، إلى أن أؤدي ذلك عنه إلى المقين، فإذا قبضه المقين، حاسبه به من الجذور.

ولما سمعت ذلك، بادرت إلى القاضي لأشرح له الأمر، فيداويه بما يشكره الله تعالى عليه، فجئت، فوجدتهما على الباب.

فحين سمع أبو خازم ذلك، تبسم، وقال لي: كيف رأيت؟ قال: فقلت: هذا، ومثله، من فضل الله عز وجل، على مولانا القاضي وجعلت أدعو له.

فقال: علي بالغلام والشيخ، فأدخلا.

فأرهب أبو خازم الشيخ، ووعظ الغلام، فأقر الشيخ أن الصورة كما بلغت القاضي، وأن لا شيء له عليه. وأخذ الرجل بيد ابنه، وانصرفا.

أبو جدي كنية التيس

قال لي القاضي: كان مكرم هذا، من فضلاء الرجال، وعلمائهم، وكنت أرى رجلاً يدعو: أبا جدي.
فقلت له: ما غرضك؟ فقال: أأست تعلم أن أبا الجدي، هو التيس.

لأبي علي الحاتمي في الأمير سيف الدولة

أنشدني أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، قصيدة له في سيف الدولة، وهي:
دنو فراق خلف الصبر نائياً ... ووجد محب غادر الدمع جارياً

وقفت بمغنى الشوق أنشد أهله ... فحاكى بلى جسمي هناك المغانيا
حكى نفسي فيها صباها وأدمعي ... حياها وأعضاي الطلول البواليا
يذكر فيها:

وكفل أرواح العداة إلى الوغى ... حساماً ملياً بالذي رام وافيا
له صفحة تنبو على أن حده ... يبيد أعاديته ويغني المواليا
كذا النار تهمدي في الضلالة سارياً ... وتحرق من عادت، وتنفع صاليا
جعلت الظبي كأساً تدير دم العدى ... ووقع الظبي الألحان والحرب ساقيا
فإن كان بيت المال أصبح عاطلاً ... لديك فقد أضحى بك المجد حالياً

ما قاله أحد ملوك الهند

أنشدني أحمد بن عبد الله المعروف بالبختري، القاضي، البغدادي، لأبي العلاء صاعد بن ثابت، قال أنشدني
لنفسه:

ثنتان من همتي ما ينقضي أسفي ... عليهما أبداً من خيفة الفوت
لم أحب منتجع الدنيا بجملتها ... ولا حميت الورى من صولة الموت
فاجتمعت مع أبي العلاء صاعد، بعد ذلك، بواسط، في جمادى الأولى سنة خمس وستين وثلثمائة، فسأله عن
البيتين، فقال: غلط علي، وما أخبرته أنهما لي.
فقلت: فلمن هما؟

فقال: كان أبو الحسن داود، كاتب الوقف بالبصرة، حدثني، بإسناد ذهب عني: إن ملكاً من ملوك الهند،
حارب ملكاً، فقتل في المعركة، فألفاه بعض أصحابه طريحاً بين القتلى، وفيه بقية من الروح، فنزل إليه،
فقال: هل لك حاجة؟ فأنشدته لنفسه شعراً، فسر، ونقل، فكان هذان البيتان، في جملة الشعر.

من شعر أحد الكتاب في يمارستان البصرة

أخبرني أبو القاسم حسين بن محمد بن نبيل، كهل كان من أولاد الجند ببغداد، فخرج إلى الأهواز، وأقام بها يكتب لعلي بن أحمد الخراساني، حاجب معز الدولة، وكان أديباً سماعة لكتب أهل الأدب، وكان إمامي المذهب، قال: رأيت في يمارستان البصرة، رجلاً من الكتاب محبوساً، يقول الشعر، فأنشدني لنفسه:

أدافع نفسي بالعلل والصبر ... وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر
وأرجو غداً حتى إذا جاءني غد ... ترايد بي همي فيسلمني صبري
فلا هم يسليني ولا الغم ينقضي ... ولا فرح يأتي سوى أدمع تجري
إلى الله أشكو ما ألقى فإنه ... عليهم بأي قد تحيرت في أمري
قال: وأنشدني لنفسه أيضاً:

أي شيء يكون أقبح منا ... إن نقضنا عهد الإخاء وخنا
إن في حرمة المودة أن نغ ... ضي جميعاً على الخيانة منا
وإذا ما أصابنا الدهر بالعي ... ن رددناه بالتغافل عنا
قال: وأنشدني لنفسه:

ما بال دمعك، أين الدمع يا عيني ... عسى أصابتك عين الدهر بالعين
إني لأجزع من فقد البكاء كما ... قد كمت أجزع قبل الين للين

مدائح قيلت في أبي القاسم التنوخي

والد الحسن

كان يلزم أبي، بالأهواز، شاعر يعرف بأبي الخير، صالح بن ليب، فدخل إليه يوماً، وأنا حاضر، فأعطاه رقعة صغيرة، فقرأها أبي، وتبسم، وأمر له في الحال بدراهم، وانصرف.
فأخذت الرقعة، فإذا هي بخطه، وفيها:
يا من أراق له السماح ندى ... أضحى به الأحرار في رق
فضلاً سبقت العالمين به ... والفضل مقصور على السبق
ألزمت نفسك غير لازمها ... وعرفت لي حقين لا حقي
ودخل إليه يوماً شاعر يعرف بالهمذاني، لا أعرف اسمه، ولا نسبه، فدفع إليه رقعة، فيها:
كفى القاضي رضاي بما ارتضاه ... ولم أذمم رضاي ولا رضاه
فأمر له في الحال، بمجازة سنية.

من نظم عضد الدولة

أنشدني غير واحد، من الشيرازيين، للأثير عضد الدولة، أبي شجاع بن ركن الدولة، أبي علي:
بمطة قصر عن وصفها ... من يدعي الأوصاف بالزور

كأنها في الجام مجلوة ... لآلىء في ماء كافور
وله أيضاً:

رأيت بساطاً للزبرجد ناضراً ... قد أبرز أطرافاً تعد قحافاً
قحافاً من البلور ملأى وفرغاً ... ومزوجة فيه رفعن سجافاً

تدير رؤوساً للندامى كؤوسها ... وتترك أحلام الحليم سخافاً
وقال أيضاً:

نحرننا بيننا دنأ ... فعاد الليل إصباحاً
وداجا نحره مثل ال ... غرايين إذا صاحاً

من رسالة لأبي القاسم التنوخي

حدثني أبو العلاء صاعد بن ثابت، قال: كتب إلي القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي، جواب كتاب كتبت إليه: وصل كتابك.
فما شككت وقد جاء الرسول به ... أن الشباب أتاني بعدما ذهباً

كان قتل أبي يوسف البريدي أبرك الأشياء

على سيف الدولة

حدثني أبو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب، قال: لما قصدت سيف الدولة أكرمني، وأنس بي، وأنعم علي، وكنت أحضر ليلاً في جملة من يحضر.
قال: فقل لي ليلة من الليالي: كان قتل أبيك، أبرك الأشياء علي.
فقلت: كيف ذاك، أطل الله بقاء مولانا؟ قال: لما رجعنا من بغداد، اقتصر بي أخي ناصر الدولة، على نصيبين، فكنت مقيماً فيها، ولم يكن ارتفاعها يكفيني، فكنت أدافع الأوقات، وأصبر على مضض من الإضاقة مدة.

ثم بلغتني أخبار الشام وخلوها إلا من يأنس المؤنسي، وكون ابن طغج بمصر بعيداً عنها، ورضاه بأن يجعل يأنس عليها، ويحمل إليه الشيء اليسير منها، ففكرت في جمع جيش، وقصدها، وأخذها، وطرده يأنس، ومدافعة ابن طغج، إن سار إلي، بجهدي، فإن قدرت على ذلك، وإلا كنت قد تعجلت من أموالها، ما تروى به إضاقتي مدة، ووجدت جمع الجيش لا يمكن إلا بالمال، وليس لي مال، فقلت: أقصد أخي، وأسأله أن يعاونني بألف رجل من جيشه، يزيح هو علتهم، ويعطيني شيئاً من المال، وأخرج بهم، فيكون عملي، زائداً في عمله، وعزه.

قال: وكانت تأخذني حمى ربع، فرحلت إلى الموصل على ما بي، ودخلت إلى أخي، وسلمت عليه.

فقال: ما أقدمك؟ فقلت: أمر أذكره بعد.

فرحب، وافترقنا.

فراسلته في هذا المعنى، وشرحته له، فأظهر من المنع القبيح، والرد الشديد، غير قليل.

ثم شافهته، فكان أشد امتناعاً.

وطرحت عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه في مثل هذا، فردهم.

قال: وكان لجوجاً، إذا منع من الأول، شيئاً يلتمس منه، أقام على المنع.

قال: ولم يبق في نفسي، من يجوز أن أطرحه عليه، وأقدر أنه يجيبه، إلا امرأته الكردية، والدلة أبي تغلب.

قال: فقصدتها، وخاطبتها في حاجتي، وسألتها مسألته.

فقلت: أنت تعلم خلقه، وقد ردك، وإن سألته عقيب ذلك، ردي أيضاً، فأحرق جاهي عنده، ولم يقض الحاجة، ولكن أقم أياماً، حتى أظفر منه، في خلال ذلك، بنشاط، أو سبب أجعله طريقاً للكلام، والمشورة عليه، والمسألة له.

قال: فعلمت صحة قولها، فأقمت.

قال: فإني جالس بحضرته يوماً، إذ جاءه براج، بكتاب طائر، عرفه سقوطه من بغداد.

فلما قرأه، اسود وجهه واسترجع، وأظهر قلقاً وغماً، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا قوم، المتعجرف،

الأحمق، الجاهل، المبذر، السخيف الرأي، الرديء التدبير، الفقير، القليل الجيش، يقتل الحازم، المرتفق،

العاقل، الوثيق الرأي، الضابط، الجيد التدبير، الغني، الكثير الجيش؟ إن هذا لأمر عجيب.

قال: فقلت له: يا سيدي ما الخبر؟ فرمى بالكتاب إلي، وقال: قف عليه.

فإذا هو كتاب خليفته ببغداد، بتاريخ يومه، يقول: في هذه الساعة، تناصرت الأخبار، وصحت بقتل أبي

عبد الله البريدي، أخاه أبا يوسف واستيلائه على البصرة.

قال: فلما قرأت ذلك، مع ما سمعته من كلامه، مت جرعاً وفعراً، ولم أشك أنه يعتقدني كأبي عبد الله

البريدي، في الأخلاق التي وصفه بها، ويعتقد في نفسه أنه كأبي يوسف، وقد جئته في أمر جيش ومال، ولم

أشك أن ذلك سيولد له أمراً في القبض علي، وحسبي، فأخذت أداريه، وأسكن منه، وأطعن على أبي عبد

الله البريدي، وأزيد في الاستقباح لفعله، وتعجيز رأيه، إلى أن انقطع الكلام.

ثم أظهرت له، إنه قد ظهرت الحمى التي تيجني، وإنه وقتها، وقد جاءت، فقلت، فقال: يا غلمان، بين يديه.

فركبت دابتي، وحركت إلى معسكري، وقد كنت منذ وردت، وعسكري ظاهر البلد، ولم أنزل داراً.

قال: فحين دخلت إلى معسكري، وكان بالدير الأعلى، لم أنزل، وقلت لغلماني: ارحلوا، الساعة، الساعة،

ولا تضربوا بوقاً، واتبعوني.

وحركت وحدي، فلحقني نفر من غلماني، وكنت أركض على وجهي، خوفاً من مبادرة ناصر الدولة إلي

بمكروه.

قال: فما عقلت، حتى وصلت إلى بلد، في نفر قليل من أهل معسكري، وتبعني الباقون.
فحين وردوا، نهضت للرحيل، ولم أدعهم أن يراحوا، وخرجنا.
فلما صرنا على فرسخ من بلد، إذا بأعلام وجيش لا حقين بنا، فلم أشك أن أخي أنفذهم للقبض علي.
فقلت لمن معي: تأهبوا للحرب، ولا تبدؤوا، وحثوا السير.
قال: فإذا بأعرابي، يركض وحده، حتى لحق بي، وقال: أيها الأمير، ما هذا السير الحث؟ خادمك دنح، قد وافى برسالة الأمير ناصر الدولة، ويسألك أن تتوقف عليه حتى يلحقك.
قال: فلما ذكر دنح، قلت: لو كان شراً، ما ورد دنح فيه.
فزلت، وقد كان السير كدني، والحمى قد أخذتني، فطرحت نفسي لما بي، ولحقني دنح، وأخذ يعاتبني على شدة السير، فصدقته عما كان في نفسي.
فقال: اعلم أن الذي ظننته انقلب، وقد تمكنت لك في نفسه هيبة، بما جرى، ويعني إليك برسالة، يقول لك: إنك قد كنت جتني تلتمس كيت وكيت، فصادفت مني ضجراً، وأجبتك بالرد، ثم علمت أن الصواب معك، فكنت منتظراً أن تعاودني في المسألة، فأجيبك، فخرجت من غير معاودة ولا توديع، والآن، إن شئت فأقم بسنجار، أو بنصيبين، فأني منفذ إليك ما التمست من المال والرجال، لتسير إلى الشام.
قال: فقلت لدنح: تشكره، وتجزيه الخير، وتقول كذا وكذا، أشياء واقفته عليها، وتقول: إني خرجت من غير وداع، لخبر بلغني في الحال، من طروق الأعراب لعملي، فركبت لأحقهم، وتركت معاودة المسألة تخفيفاً، فإذا كان قد رأى هذا، فأنا ولده، وإن تم لي شيء، فهو له، وأنا مقيم بنصيبين، لأنتظر وعده.
قال: وسرت، ورجع دنح، فما كان إلا أيام يسيرة، حتى جاءني دنح، ومعه ألف رجل، قد أزيحت عنهم، وأعطوا أرزاقهم ونفقاتهم، وعرضت دوابهم وبغالهم، ومعهم خمسون ألف دينار، وقال: هؤلاء الرجال، وهذا المال، فاستخر الله، وسر.
قال: فسرت إلى حلب، وملكتها، وكانت وقائعي مع الأخشيدية، بعد ذلك، المعروفة، ولم تزل بيني وبينهم الحرب، إلى أن استقرت الحال بيننا، على أن أفرجوا لي عن هذه الأعمال، وأفرجت لهم عن دمشق، وما وراءها، وأمنت ناصر الدولة، واستغيت عنه.
وكل ذلك، فسببه قتل عمك لأبيك.
؟

لأبي علي الخاتمي يمدح

أنشدني أبو علي الخاتمي، فصلاً من رسالة عملها إلى بعض الرؤساء في صفته:
أفكاره هم إيعاده نغم ... وعوده قسم تأميلة عصم
ألفاظه حكم أوطانه حرم ... ألحاظه نعم آلاؤه ديم
تبغي الخلائق أن يحصوا فضائله ... ودون ذلك ما تستنفذ الكلم
ولو أرادوا جميعاً كنم معجزه ... أبي له الله ما يأتون والكرم

تبغي مجاراته في فعله بشر ... قد قصرت منهم عن كعبه القمم
وكيف يسطاع فعل أو يرام علا ... ما ليس تدركه الأوهام والفهم
يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرمًا

حدثني بعض الأهوازيين، قال: رأيت أبا الحسن المبري، الشامي، الطائي، الشاعر، بالأهواز، على باب
الحسن بن علي المنجم، وهو عاملها، يتردد مدة، وكان قد امتدحه.
قال: فتذاكرنا شدة تلون أخلاق المنجم، وجنونه، ونواميسه في وقت، وعدوله عن ذلك في وقت آخر.
ثم قلت له: فأين أنت منه؟ فقال: ما آيس من رده، ولا أطمع في وعده.
قلت أنا: وهذا كأنه مأخوذ من الأبيات التي هجي بها الحسن بن رجاء، وهي مشهورة، فلذلك لم أوردتها
على جملتها.
والأخير من الأبيات هو:
لكنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرمًا

بحث في معرفة السارق

حكى لي عن بعض الصالحين، في إخراج السرقة، قال: تأخذ قدحاً فيه ماء، وتأخذ خاتماً، فتشده فيه بشعرة،
وتدليه في القدح، وتكتب خمس رقاع، فيها أسماء المتهمين بالسرقة، وتكتب: السارق، في القدح، وتضع
رقعة، تكتب فيها اسم من اتهمه، على حرف القدح، وتقرأ عليه: " وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة، وظنوا
أنه واقع بهم، خذوا ما آتيناكم بقوة، واذكروا ما فيه، لعلكم تتقون ".
فإذا ضرب الخاتم القدح، نظرت في الرقعة، فإن السارق، هو صاحب الاسم، وإن لم يضرب القدح، فتضع
أخرى، فإن السارق هو، إذا ضرب.

آيات لإعادة الآبق

وقال لي في الآبق:

تكتب فاتحة الكتاب مدورة، ويكتب في وسطها، " كظلمات في بحر لجي، يغشاه موج من فوقه موج، من
فوقه سحب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً. فما له من
نور " ، اللهم اجعل الأرض علوها، وسفلها، وسهلها، وجبلها، وبرها، وبحرها، في قلب فلان بن فلان،
أضيق من مسك شاة، حتى يرجع.

السرج واللجام في جهاز كل عروس

تذاكرنا في مجلس ببغداد، حضره أبو علي محمد بن منصور الشاهد، المعروف بابن كردي، حديث غلبة النساء على الرجال، إلا نفر من الرجال.

فقال لي أبو علي: كان لنا شيخ فاضل، من أهل القطيعة، كان يضرب لنا في هذا مثلاً، فيقول: إن في جهاز العروس إلى زوجها، سرجاً ولجماً، فإذا انقضت أيام العرس، إن سبق الرجل إلى السرج، فأسرج المرأة، ووضع اللجام في رأسها، وركبها، ملك عليها أمرها، وإن تراخى لحظة، وضعت هي السرج على قفاه، واللجام في فيه، وركبته، فلم تنزل عنه، إلا بطلاق أو موت.

الوزير عبيد الله بن سليمان واليهودي

سهل بن نظير

حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي، قال: حدثني سهل بن نظير اليهودي الجهمي، قال: حدثني جدي سهل بن نظير، وكان يتجهز للوزير على قديم السنين، منذ أيام الفتنة، وإلى أن مات، قال: لما نكب عبيد الله بن سليمان، بعد كتبه للموفق، النكبة العظيمة، كنت أتوسم فيه الرفعة، وعلو الحال، فكنت أحمل إلى عياله، في كل شهر مائة دينار، وهو في الحبس، ثم أطلق، فكنت أحملها إليه، إلى أن ولي الوزارة، فعرف لي ذلك، وبلغ بي كل مبلغ، وشكرني عليه أتم شكر. قال: ثم إن عبيد الله، نكب جرادة الكاتب، وكانت قد جرت له علي الرئاسة، وعلى الناس والرؤساء، وكان له إحسان سالف إلي كثير، فكنت أحمل إلى عياله، في كل شهر، مائة دينار، وأحذر به إلى البصرة. قال: فبلغ ذلك عبيد الله بن سليمان، وأنا لا أعلم، فدخلت إليه يوماً، فقال لي: يا سهل، بارك الله لك في عداوتنا.

قال: فقلت له: أيها الوزير، من أنا حتى أعاديك، وأنا أحس كلب ببابك؟ قال: وأكثر التصل، والتهيب، وبكيت، وقلت: يا سيدي، ما هذا الكلام؟ إن كان شيء رقي إلى الوزير أيده الله، عني، واقفني عليه، ولعل عندي فيه، حجة، أو برهاناً، على بطلانه.

قال: فقال لي: تحمل إلى عيال جرادة، في كل شهر مائة دينار.

قال: فقلت: أيها الوزير، أنا ما فعلت هذا، ولا تجاسرت عليه، إنما فعله الرجل الذي كان يحمل إلى عيال الوزير - أيده الله - مائة دينار في كل شهر رعاية لحق إحسانه إليه، فرعى جرادة أيضاً إحساناً له إليه أيضاً، فحمل إليه، مثل ما كان يحمل، إلى عيال الوزير - أيده الله - .

فأحمر وجهه خجلاً، وأطرق، وسكت ملياً، ثم تصبب وجهه بالعرق، وقلت: قبض والله علي، ونكبتني. قال: فأسقطت.

فرفع رأسه، وقال: أحسنت يا سهل، ما ترى بعد هذا مني إنكاراً، ولا بقي في نفسي عليك شيء، فأجرهم على رسمهم، ولا يوحشك ما خاطبتك به.

عاقبة الظلم

حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الله الأهوازي، قال: حدثني أبو الفضل البلخي الفقيه، قال: حدثني الخليل بن أحمد السجستاني، قاضيهما قال: قدم علينا صاحب جيش خراسان، من قبل نصر بن أحمد، ومعه خلق عظيم من الجيش، فملك سجستان، وأكثر أصحابه الفساد في البلد، وامتدت أيديهم إلى النساء في الطرقات قهراً.

قال: فاجتمع الناس إلي، وإلى فلان الفقيه، وقد ذكره البلخي وأنسيته أنا، وشكوا الحال، فمضينا معهم إلى صاحب الجيش، فدخلت إليه، أنا والفقيه، وجماعة من رؤساء البلد، وكان المبتدئ بالخطاب، الفقيه، فوعظه، وعرفه ما يجري.

قال: فقال له: يا شيخ، ما ظننتك بهذا الجهل، معي ثلاثون ألف رجل، نساؤهم ببخارى، فإذا قامت أيورهم، كيف يصعون؟ ينفذونها بسفاح إلى حرمهم؟ لا بد لهم أن يضعوها فيمن ها هنا كيف استوى لهم، هذا أمر لا يمكنني إفساد قلوب الجيش بنهيهم عنه، فأنصرف.

قال: فخرجنا.

فقلت لنا العامة: أيش قال الأمير؟ قال: وأعاد عليهم الفقيه الكلام بعينه. فقالوا: هذا القول منه فسق، وأمر بالفسق، ومكاشفة بمعصية الله تعالى، فهل يحل لنا عندك قتاله بهذا القول؟ فقال لهم الفقيه: نعم، قد حل لكم قتاله. قالوا: فتأذن؟ قال: نعم.

قال: فبادرت العامة، وانسللنا من الفتنة، فلم نصل المغرب من تلك الليلة، وفي البلد أحد من الخراسانية. قال: لأنه اجتمع من العامة، من لا يضبط عدده، فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية، واستحرقوا القتل فيهم، ونهبت دار الأمير، وطلبوه ليقتلوه، فأفلت على فرسه، ومعه كل من قدر على الهرب، ومضوا على وجوههم.

فما جاءنا بعدهم جيش من خراسان، أصلاً.

خراج الأهواز في سنة خمس وثلاثمائة

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مهرويه، المعروف بابن أبي علان، قال: حدثني أبي أبو القاسم، قال: كنت أكتب لعبيد الله بن الحسن بن يوسف على كور الأهواز، فكتب علي بن عيسى يطالبنا بالحساب، فنقدم إلى أبو أحمد عبيد الله بن الحسن، بعمله، وبالخروج للمواقفة عليه، وذلك في سنة ست وثلاثمائة. قال: فجمعت الحساب، وعملت جماعة لسنة خمس وثلاثمائة، بارتفاع مال الخراج بالأهواز، وكورها، سوى الضياع، فكان مبلغ ذلك، ستة عشر ألف ألف وثمانمائة ألف درهم وكسر، وكلها قد صح في الاستخراج.

ولم يبق للسلطان إلا نيف وأربعين ألف درهم.
قال: وكان مال الضياع، يقارب هذا، إلا أنه لم يكن في حسابنا.

خضاب يسود الشعر

حدثني عبد الله بن عمر الحارثي، قال: عجل علي المشيب، فغمني ذلك، وفكرت في أن أخضب لحيتي، فممت، فرأيت في النوم، كأني أشاور طبيباً في خضاب، فقال لي: لا تحتاج إلى خضاب، ولكن أصف لك شيئاً يسود الشعر ويحفظ لونه، ويمنع من السواد أن يبيض، خذ من دهن النارجيل العتيق، وزن خمسة دراهم، ومن الإهليلج الأصفر، وزن نصف درهم، ومن النوشادر، وزن دانق، واسحق الجميع، ودفه بالدهن حتى يختلط، واطل به الشعر، فإنه يسود.
فانتبهت، وقد حفظت ذلك، فعملته، فاسود شعري، وتأخر الشيب عني دهرًا طويلاً.

طلاء يمنع الحبل

وحدثني، قال: كنت في شبابي، أتمتع بالجواري والمماليك، فكان العزل يثقل علي جداً، فاشتريت جارية، بدنانير كثيرة، وكنت أخاف أن تحبل، فيذهب ثمنها، فممت مشغول القلب بذلك، فأريت قائلاً يقول: إذا أحببت أن لا تحمل المرأة، فخذ بنجاً، واسحقه، واعجنه بلبن فرس، وجففه، واجعله في كيمخت، وعلقه على المرأة، فإنها لا تحبل.
فقلت له: ما سمعت هذا من طيب.
فقال: إن أحببت أن تمتحن صحة ذاك، فخذ هذا الدواء، واجعله في قارورة ما، واجعلها على النار، وأوقد تحتها، فإنه لا يغلي، ولو مكث سنة.
قال: وانتبهت، وجربت ذلك، فوجدته صحيحاً.

الخليفة المعتضد يشهد على نفسه العدول

وحدثني أيضاً الحارثي، قال: حدثني أبي، وكان يخدم في دار الموفق، والمعتضد بعده: إن المعتضد أراد أن يشهد على نفسه العدول، في كتاب، صدره: هذا ما شهد عليه العدول جميعاً، أن أمير المؤمنين، عبد الله، أبا العباس المعتضد بالله، أشهدهم على نفسه، في صحة منه، وجواز أمر.
وعرضت النسخة، على عبيد الله بن سليمان، فضرب عليها، وقال: هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة، اكتبوا: في سلامة من جسمه، وإصابة من رأيه.

؟

الحارثي يستهدي النبيذ

قال لي الحارثي: استهديت من صديق لي نبيذاً، فأنفذ إلي نبيذاً حامضاً، فرددته عليه، وكتبت إليه: الجيران، أحق بهذا من الإخوان.

صفة نبيذ لا يسكر

ووصف لنا مرة، نبيذاً طرياً شربه، فقال: " هو داء الفهم، عمل من ثمر البلاء " .
أي هو لا يسكر، لضعف فعله.

الكاتب ابن جبير يفاضل بين الوزير

ابن الفرات والوزير علي بن عيسى

حدثنا أبو الفتح عبد الله بن محمد المروزي الكاتب، قال: حدثني بعض شيوخ الكتاب، قال: قال ابن الفرات، لأبي منصور بن جبير، كاتبه، أيما أكفأ، أنا، أو علي بن عيسى؟ فقال: الوزير أكفأ وأضبط. قال: دعني من هذا.
قال: تؤمنني؟ قال: قد أمتك.
قال: علي بن عيسى، إذا حضر بين يدي الخليفة، فأراد أن يكتب سراً له، لم يحتج إلى غيره، وكتب هو، وسحا، وختم، وخرط بيده وأنفذ العمل، وأنت، لا بد لك من زنجي، ولوطي صاحب دواته يقرأ، فيبطل الأمر بظهور اثنين عليه.
قال: فضلت علياً علينا.
قلت: لا والله يا سيدي، ولكن يكون علي بن عيسى كاتبك.

دناءة نديم، ولؤم أمير

حدثني عبد الله بن أحمد بن داسه:

إن أبا القاسم البريدي، أيام تقلده الأمر بالبصرة، شرب يوماً، وعنده جماعة من ندمائه، فافتقد قحف بلور، كان معجباً به، وطلبه الشراعية، فلم يعرف له خبر.
فحلف إنهم إن لم يحضروا، ضربهم بالمقارع.
فقال له أحدهم: لا تعجل، ولكن مر يا حضار كل من كان البارحة حاضراً.
فأمر بإحضارهم، فجلسوا، وأنفذ الغلام إلى منزل كل واحد منهم، برسالة منه، أن أنفذوا القحف البلور، الذي حملته إليكم البارحة.
فعاد أحد الرسل، من دار أحدهم، ومعه القحف.
فافتضح ذلك النديم، وسقط محله.

وهذا، مضاد لما حكى عن بعض الأكاسرة، إنه كان يشرب، فوقع عينه على غلام من غلمانته، وقد سرق صينية ذهب، مع ما فيها، وحملها، فأمسك الملك، وفاز بها الغلام.
فافتقدها الخزان في الغد، وجاءوا في طلبها، فدعاهم، وقال: لا تتبعوا في طلبها، فقد أخذها من لا يردها، وراه من لا ينم عليه.
قال: فأمسكوا.

فلما كان بعد سنة، كان الملك يشرب، فدخل ذلك الغلام، فرأى عليه منطقة ذهب حسنة.
فقال له الملك سرّاً: هذا من ذاك؟ فقال: نعم.
فقال: إن كان ما عندك من الدنانير التي في الصينية، قد نفذ، فعرّفني، لأدفع إليك أخرى.

ألوان من الحجاب

وحدثني، قال: وحدثنا أبو الحسين أحمد بن الحسن بن المشي، قال: لما قدم حامد بن العباس الأبله، يريد الأهواز، وهو وزير، خرجت لتلقيه، فرأيت له حراقة، ملاحوها خصيان بيض، وعلى سطحها شيخ، يقرأ القرآن، وهي مظلمة، مسترة.
فسألت عن ذلك، فقالوا: هذه حراقة الحرم، لا يحسن أن يكون ملاحوها فحولة.
قال: وقال لي أبو الحسين: دخلت إلى ابن الجصاص في داره ببغداد، فرأيت خصياناً بيضاً مزينين.

جواب لأبي العيناء

قال: حدثنا أبو الحسين، قال: رأيت لأبي العيناء، خادمين، خصيين، أسودين، يقودانه.
فقليل له: كيف اتخذت خصيين أسودين؟ فقال: حتى لا يتهماني، ولا أتهم بهما.

أبو العيناء لا ينسى ما حفظ

وحدثني، قال: حدثنا أبو الحسين، قال: قدم أبو العيناء البصرة، في سنة نيف وثمانين، بعد الغيبة الطويلة، التي غاب عنها، وخدمته للخلفاء، والوزراء، بسر من رأى.
وكان أبو خليفة، إذ ذاك، عالم البصرة، بالحديث، والأخبار، واللغة، والنحو، ومحمد بن جعفر بن بسام، قاضيه، وكان له محل من الأدب، واللغة، والشعر، كبير، وكنت منقطعاً إليه، ملازماً له، أدرس عليه الفقه، فكان أول من ائتمني، ورفع شأنه.
فقال لي: يا أبا الحسين، قد قدم أبو العيناء، وأحب أن أجمع بينه وبين أبي خليفة، ونظر أثرهما.
فقلت: علي ذلك.

قال: فمضيت، ولقيت أبا العيناء، وعقدت عليه وعداً للحضور، عند ابن بسام، وعلى أبي خليفة، فاجتمعوا.
فأخذ أبو العيناء، في الرواية عن الأصمعي، ومشاهداته مع المتوكل، وابن أبي دؤاد، وفلان، وفلان،

والشعراء.

قال: فأسكت أبو خليفة، فلم ينجر معه، ولم يلحق به.

قال: فأتينا على أبي العيناء، وقرظناه.

فقال: يا أيها القاضي، أنا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ أربعين سنة.

أبو العيناء وأحمد بن الحسن بن المثنى

وحدثنا أيضاً، قال: حدثني أبو عبيد محمد بن علي الآجري، قال: كنت عند أبي العيناء، لما قدم البصرة، سنة

نيف وثمانين، بتسبيبات له على عماله، وكان معنا أصحاب الحديث.

فقال له: قد دخل إليك ابن المثنى، فقام، وقدر، أن أبا علي الحسن بن المثنى، قصده.

فقال له بعض الحاضرين: إنه أحمد بن الحسن بن المثنى، فجلس، قبل أن يقرب منه أبو الحسين.

ثم استدنى أبا الحسين، وأكرمه، وسأله عن خبر أبيه، فأخبره بوفاته، فترحم عليه، وقال: أنا أسن منه.

فسألناه عن مقدار الريادة، فقال: لا أدري، كنت يوماً في مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالبصرة، وقد

اجتاز بنا، وكان أصحاب الحديث حضوراً، وكان موسى لا يطيق أن يدخل مجلسه غلام أمرد، لسمع

الحديث، فحين رآه موسى، صاح: يا غلام، أخرجته.

فقلنا له: أعز الله القاضي، هذا ابن أخيك، أبو علي بن المثنى.

قال: فرفعه، وقدمه.

أبو خازم القاضي يريد أن يولي أحمد

بن الحسن بن المثنى القضاء

وحدثني، قال: حدثني أبو الحسين، قال: لما نشأت، كتب أبو خازم القاضي، إلى أبي، يقول: إنه قد بلغني أنه

قد نشأ لك فتى يطلب العلم، ومن حاله، وصفته، - قال، وقرظني - فأنفذه إلي، لأقلده القضاء.

قال: فقال لي أبي: ما تقول؟ فقلت: أنفدني، فإنك، هو ذا، ترى ما نحن فيه من الإضاعة، فلعلي أتسع

بالأرزاق، فقال أبي: لا تفعل، فإن الأعمال تفتن، والصيانة تبقى.

أبو العيناء في دار الواقفي أمير البصرة

وحدثني، قال: حدثني بعض شيوخنا: إن أبا العيناء، قصد دار الواقفي، وهو الأمير بالبصرة - إذ ذاك - ،

فأجلس في الدهليز ساعة، إلى أن استؤذن له.

وجرى الحديث، فقال رجل، في حديث اقتضى ذلك، يا أبا العيناء، أنت صائم اليوم؟ فقال: أما في هذه

الدار، فنعم.

فكتب صاحب الخبر، إلى الواثقي، بذلك، فأذن له في الحال، واعتذر إليه، من إجلال البوابين له في الدهليز، وأنكر ذلك عليهم.

منافرة بين ضريرين

قال: واجتمع أبو العيناء وأبو علي البصير، يوماً في مجلس، فاستطال عليه أبو العيناء، فقال له أبو علي: نحن جميعاً ضريران، فما هذا التطاول؟ فقال: ولا سواء، أنت من عميان العصا، وأنا من عميان المواكب.

المصالحة بين تاجر أفلس وبين دائنيه

حدثني محمد بن أحمد بن عثمان بن الحارث الزيات، قال: حدثني أبي، قال: كان لي، ولجماعة من التجار ببغداد، على رجل من البرازين، أربعة آلاف دينار، فقام للناس، فاجتمعنا، ففتحنا دكانه، فوجدنا فيه متاعاً ثمنه أربعمئة دينار.

فقال: إن اخترتم أخذها وإبرائي من الباقي، فخذوا، فإني لا أرجع إلى شيء غير ذلك، وإن اخترتم أن تؤخروني بالدين، وأفتح دكاني، وأعمل بهذه الأربعمئة دينار، دفعت إليكم في كل سنة أربع مائة دينار، فيأخذ كل واحد منكم العشر من ماله، وتستوفون المال في عشر سنين.

فأجبناه، إلا رجلاً، يعيد ويقول: زيدوني على العشر، ولو ديناراً واحداً، في السنة. فقلنا للرجل: أجبه إلى هذا.

فقال: إن أعطيت هذا الدينار، زيادة، على أربعمئة الدينار، في السنة، مضت الأربع مائة دينار في التسع سنين، وبقيت، بقية دينكم، بحالها.

فعجبنا من ذلك، وقلنا: أوجدنا صحة ما قلت.

فقال: هذه الأربعمئة الدينار، إذا التجرت فيها سنة، وسلمت، فربحي أربعمئة دينار.

يخرج منها أربعمئة دينار ودينار، يبقى ثلثمائة وتسعة وتسعون ديناراً.

فأتجر فيها، في الحول الثاني، فيحصل معي سبعمائة وثمانية وتسعون ديناراً، يخرج منها أربعمئة دينار ودينار، يبقى ثلاثمائة وسبعة وتسعون ديناراً.

فيحول الحول الثالث، فيصير المال سبعمائة وأربعة وتسعون ديناراً يخرج منها أربعمئة دينار ودينار، يبقى ثلاثمائة وخمسة وخمسون ديناراً.

يحول الحول الرابع، فيصير سبعمائة وستون ديناراً، يخرج منها أربعمئة دينار ودينار، ويبقى خمسمائة وثمانون ديناراً.

ويحول الحول الخامس، سبعمائة دينار، يخرج منها أربعمئة دينار ودينار، يبقى ثلثمائة وخمسة وثمانون ديناراً.

ويحول الحول السادس، فيخرج منها أربعمئة دينار ودينار، يبقى ثلثمائة وتسعة وسبعون ديناراً.

ويحول الحول السابع، فيصير سبعمائة وأربعة وخمسين ديناراً، يبقى ثلثمائة وسبعة وخمسين ديناراً.

ثم يحول الحول الثامن، فيصير مائتين وتسعين ديناراً، يخرج منها ثلثمائة دينار، بقي منها مائتين وتسعة وستين ديناراً. والدين دين، ولا يمكن أن أدفع إليكم، إذا كان الأصل أربعمائة، أكثر من أربعمائة. فأجبناه إلى الاقتصار على الأربعمائة، وفتح دكانه، وعمل، ورزق.

إنفاق بلا دخل، يذهب بالأموال

وحدثني، قال: حدثني أبي، فقال: كل كيس يكون فيه ألف درهم، فتخرج منه درهماً واحداً، ولا يدخله درهم آخر، فإن الكيس كله يذهب، إن كان بتجارة، فبنقصان ربحها، وإن كان بنفقة، فليس يحتاج إلى دليل. وإنما يحفظ الأموال، فضولها، وينستر التاجر بربحه.

بين الجبائي والكرخي

حدثني عبد الله بن أحمد بن داسه، قال: حدثني أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن عبيد الله، الفقيه، الحنفي، الأرمي، قال: كان أبو زهير الجبائي، الفقيه، ورعاً، حاذقاً بمذهب أبي حنيفة، فدخل بغداد، فبلغته أخبار أبي الحسن الكرخي، رضي الله عنه، في ورعه. قال: فلقيه، فقال له: يا أبا الحسن، بلغني أنك تأخذ من السلطان رزقاً في الفقه. قال: نعم. قال: ومثلك في علمك، ودينك، يفعل هذا؟

فقال له أبو الحسن: أو ليس قد أخذ الحسن البصري، رضي الله عنه، في زمنه، وفلان، وفلان، فعدد خلقاً من الصالحين والفقهاء، ممن أخذ من بني أمية. فقال له أبو زهير: ذهاب هذا عليك أطرف، بنو أمية، كانت مصائبهم في أديانهم، وجبايتهم الأموال سليمة، لم يظلموا في العشر، ولا في الخراج، وكان الفقهاء يأخذون من الأموال مع سلامتها، وهؤلاء، مع سلامة أديانهم، أموالهم فاسدة، وجباياتهم بالظلم والغش. فسكت أبو الحسن، فلما كان وقت قبض جائزته، لم يطالب بها، وتركها، ولم يقبض شيئاً من الجاري، إلى أن مات.

قال لي عبد الله بن داسه: أن أبا زهير هذا، هو أستاذ أبي محمد بن عبدل، الذي علمه الفقه على مذاهب أصحابنا.

وكان أبو محمد بن عبدل، أستاذنا نحن في الفقه، وقد درست عليه، وشاهدته الطويل العريض، وما سمعت منه هذه الحكاية.

الخصال المذمومة في الشيخ

وحدثني، قال: قال لي بعض شيوخنا: إن الشيخ إذا أسن، صارت فيه ثلاث خصال منمومة: إذا قام عجن، وإذا مشى زفن، وإذا سعل قرن.

شيخ من أهل المذار يرى مناما

وحدثني، قال: حدثني عبد الله بن معاذ، قال: حدثني شيخ من أهل المذار، قال: كان لي زرع في ضيعة، وكان حسناً جيداً، وافراً، وكنت واسع الطمع فيه، فبت ليلة، فرأيت في منامي، كأني بنفسين يطوفان الصحارى المزدرعة، ويقول أحدهما للآخر: اكتب، زرع فلان كر، وفلان كرين. قال: وأنا أحفظ الأسماء، وبلغ الكيل إلى أن جاء إلى قراحي، فقال: اكتب، وزرع فلان ثلاثة أكرار. فقلت له: أعزك الله، زرعي - والله - في غاية الجودة، وأنا أوئل فيه عشرة وأكثر. فقال لصاحبه: اكتب ثلاثة أكرار.

قال: فلما كان من الغد، انتهت متعجباً، وقمت. وما مضت أيام، حتى لحقت الغلة آفة، ونجا بعض الناس، وأصيب بعضهم، وحصد جبراني، وحصدت. قال: فحصل لي، والله، ثلاثة أكرار، لا تزيد قفيزاً، ولا تقص قفيزاً. قال: وعرفت خبر القوم الذين كنت حفظت أسماءهم، ومبلغ كيلهم، فإذا كيل الجميع، قد خرج على ذلك المبلغ سواء.

من أقوال معز الدولة

بلغني من جهة وثقت بها، عن معز الدولة، إنه قال: ما نام بين طلوع الفجر، إلى طلوع الشمس، مقبل قط. وهذا منه، على أنه رجل أعجمي، حسن جداً. والأصل في ذلك، قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " بورك لأمتي في بكورها " .

القاضي أبو عمر ينقد بعمامته شخصاً من الفرق حدثنا أبو أحمد بن أبي الحسك الشاهد، قال: كان أبو عمر القاضي، يجتاز بباب دارنا، دائماً، ذاهباً إلى ضيعته المعروفة بالصالحية، وأنا صبي، وبعد ذلك، إلى أن صرت حدثاً. قال: فسمعت - إذ ذاك - أنه اجتاز، فلما صار على شاطئ نهر عيسى، رأى رجلاً في الماء، وهو يصيح: الغريق، ولم يكن بين يدي أبي عمر، إلا غلام واحد. قال: فصعد أبو عمر بحماره على تلعة، وصاح بأعلى صوته: يا ناس، يا ناس، دفعات، فلم يجبه أحد، لخلو الموضع، وانقطاع الطريق. فنزل عن حماره، وخلع عمامة كانت عليه، ورمى بها إلى الرجل، وأخذ طرفها بيده، وأمسك بيده الأخرى

شجرة كانت هناك.

وقال للرجل: لا خوف عليك، فاجذب العمامة، بكل قوة.

قال: فما زال الرجل يجذبها، ويقرب، إلى أن قرب من الشط، حتى رقى في الشط، وخر مغشياً عليه. وجازت جماعة، فرأوا القاضي على تلك الصورة، فدعوا له، وشكروه، وبادروا إلى الرجل، وعصروا جوفه من الماء، ونجا، وعاش.

الإكثار من الغالية يلقى في الجو البارد

حدثني عبد الله بن أحمد بن بكر البصري، قال: كان المهريون بالبصرة، لهم نعم ومروءات، وكانوا في جيراننا، فحدثني شيوخنا: إن فتي منهم، وكان ظريفاً، ركب في يوم شات، شديد البرد، والماء قد جمد، وليس عليه من الحشو شيء، إنما كان عليه قميصان، وعمامة، وطيلسان، وخف، فدخل إلى قوم، فعجبوا من صبره على البرد، فنزع خفه، فإذا هو قد طلا رجله بالغالية، وحشا منها شيئاً كثيراً، بين أصابعه، وفي سرتة، واستعمل منها شيئاً كثيراً في لحيته، وأخذ خرقة، وطلا عليها، ووضعها على رأسه، وتعمم عليها، فحمي حمياً، لم يحتج معه إلى أكثر من قميصين.

الإكثار من الغالية يسبب العمى

قال: وحدثني شيوخنا:

أن محمد بن سليمان بن علي الهاشمي، كان في ضيعته التي يقال لها: الخدثة، خارج البصرة، جالساً في مجلس على بستان، وفي بعض زوايا البستان، إجانة صيني كبيرة، مملوءة غالية. فدخل إليه قوم من العامة، في حاجة لهم، وكان أحدهم، خسيس الحال، فلما رأى الغالية، سرق منها شيئاً كثيراً، اغترفه ملء كفه، فوضعه على رأسه وأطبق عمامته عليه، وأطال القوم الجلوس، وهو معهم، فلما قاموا، قام معهم، فلم يبصر، فقال: خذوا يدي فقد عميت. فاعتم محمد بن سليمان، لذلك، وجاء بطبيب في الحال، وقال: ما دهاك! فلم يصدقه. فأمر الطبيب بكشف رأسه، فرأى الغالية، فصب عليها الماء البارد، حتى لم يبق لها أثر، ثم طلاه بالصندل والماورد، والكافور، وأقامه في الهواء ساعة، فعاد بصره إلى حال الصحة، وانصرف.

مثل من الأمانة

وحدثني، قال: حدثني أبو الحسن محمد بن إسحاق بن عباد النجار، وهو شيخ من وجوه التمارين بالبصرة، طال عمره، وحدث، وكتبت عنه، ولم أسمع هذه الحكاية منه، قال: كان في جوارنا فلان، فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به، وهو لا يعرفه، فأراد أن يفتح إحدى صرتين في كفه، في إحداهما دنانير، وفي الأخرى

دراهم، فيعطيه درهماً، فأعطاه ديناراً.
وانصرف الضير، وهو لا يشك أن معه درهماً.
فبكر به إلى بقال يعامله، فقال: خذ هذا الدرهم، واحسب ما لك علي، وأعطني بالباقي كذا وكذا.
فقال له البقال: يا هذا، من أين لك هذا؟ قال: أعطانيه البارحة فلان.
قال: إنه دينار، فخذ.
فأخذه الضير، وجاء به من الغد إلى الرجل، وقال: إنك تصدقت علي بهذا، وأظنك أردت أن تعطيني درهماً، وغلطت، وما أستحل أخذه مغالطة، فخذ.
فقال له الرجل: قد وهبته لك، وإذا كان في رأس كل شهر، فتعال إلي، أعطيك شيئاً آخر، مجازة لأمانتك.
وكان يجيئه في رأس كل شهر، فيعطيه خمسة دراهم.
قال: فلم أر أعجب من أمانة البقال والضير، ولو كان في هذا الوقت، جرى الأمر بضد ذلك.

لا يعرض القرآن للمسألة

قال: وقال لي ابن عباد: وكان يقرأ بالسبعة، فكنت أسمع طول الليل يقرأ، وكان فقيراً، فإذا كان النهار، خرج يتصدق، فأسمعه ينشد على الطريق، الرقائق والزهديات، لا أسمعه يتصدق بغيرها.
فقلت له يوماً: يا فلان، أنت تحفظ القرآن، وأراك تتصدق بالرقائق، فكيف لا تقرأ وتتصدق كما يفعل الأضرأء؟ فقال: والله لا أعرض القرآن للمسألة أبداً.

السورجي وزوجه

حدثني أبو محمد، قال: حدثني السورجي، شيخ كان يجاورنا، مستور، قال: كانت لي امرأة صالحة، فكنت إذا اشترت لحماً لطبخه لنا، طبخته، وغرفته جميعه، وجاءتني به، وكنت أكولاً، فكنت آكله جميعه، وتجوع هي، وأولادها.
فقلت لها: يا هذه، إذا طبخت شيئاً، فاقسميه قسمين، وجيئي بأحدهما، ودعي الآخر، لنفسك، وأولادك.
فقلت: لا والله، لا أفعل هذا، بل أقدمه إليك كله، لتأكل أجوده، فإنك أنت تسأل عنه.

يتمنى أن يمرض ليعوده حبيبته

أنشدني أبو الحسن بن أبي الليث، لنفسه:
عصيت الهوى وأطعت العذول ... وكنت كما قال في الحسود
وملكت رقك وهو المنى ... وبعثك للدين فيمن يزيد
لئن لم أكن أتمنى السقام ... لعلني ألقاك فيمن يعود

المعتضد يكتب رقعة في رفع ظلامه

حدثني محمد بن أحمد بن عثمان الزيات، قال: حدثني أبو بكر بن حوري - شيخ كان من أهل فامية، من أعمال النهروان، قد أقام ببغداد سنين، وكان مشهوراً بصحبة ابن أبي عوف - قال: كنت أكرم ابن أبي عوف، سنين، لجوار بيننا ومودة، لا أسأله حاجة، لأنها لم تكن تعرض لي، وكنت أتخفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها، وكان رسمي في كل ليلة، أجيئه بعد العتمة، وقد صلى ودخل منزله، فحين يراني، يمد رجله في حجري، فأغمزها، وأحادثه، فيسألني عن الأخبار والحوادث ببغداد، وكنت أسأل عنها، وأطلبها من كل موضع، وأجيئه بها، وأخبره بخبر من قدم البلد، ومن سافر عنه، ومن مات، ومن ولد، ومن خاصم، ومن ورث، ومن يرجف به الناس، وأخبار الجيران، وبكل غث وسمين، إلى أن ينعس، فإذا نعس، قبض رجله، فقممت إلي بيتي، وقد مضى ثلث الليل، أو بعضه، أو أقل.

وجرى الأمر على هذا سنين.

فلما كان ذات يوم، جاءني سقطي كان يعاملني، فقال: قد دفعت إلى شيء إن تم علي، افتقرت.

فقلت: ما هو؟ فقال: رجل كنت أعامله، فاجتمع لي عليه ألف دينار، فطالبته، فنهني عقد جوهر، قوم بألف دينار، إلى أن يفتكه بعد شهور، أو أبيعه، وأذن لي في ذلك.

فلما كان أمس، وجه مؤنس الفحل، صاحب الشرطة، من كبس دكاني، وفتح صندوقي، وأخذ العقد، وقد استتر الرجل.

فقلت له: لا تفكر في هذا، فإني أخاطب أبا عبد الله بن أبي عوف، فيلزمه رده صاغراً.

قال: وأنا مدل بآبن أبي عوف، لمكاني منه، ومكنته من المعتضد.

فلما كان تلك الليلة، جئته، فمد رجله في حجري، على الرسم وحادثته، وعرفته الأخبار، وقلت له في جملتها، أمر السقطي مع مؤنس.

ثم قلت: هذا الرجل جاري، ومعاملي، وأوجب الناس حقاً علي، ولا بد - والله - من تفضلك يا سيدي، واعتناك في أمره، وإلزام مؤنس، رد العقد. قال: فحين سمع هذا نحى رجله من حجري وقال: ما أنا وهذا؟ أعادي صاحب شرطة الخليفة؟ وكيف استجرت أن تعرضني لمثل هذا، وتسألني فيه؟ كأني بك، وقد قلت: ابن أبي عوف صديقي ألزمه رد هذا، ولم تشفق على جاهي، وكأن صلاح حال السقطي، أحب إليك من صيانة جاهي، ما أنا، عافاك الله، وهذا؟ ولا أليه.

قال: فورد علي من هذا، أعظم مورد، وقلت في نفسي: هذا رجل قد خدمته، كذا وكذا سنة، هذه الخدمة، التي لم تخدمها العبيد، على أي ما سألته ط حاجة، ولا احتجت إليه في شيء، ولا له علي رزق، ولا أفضال، يلقياني في حاجة قد سألته فيها، بمثل هذا؟ شهد الله، لا دخلت له داراً بعدها أبداً.

وأمسكت وجلست لا أتكلّم، ثم قمت قبل الوقت الذي كنت أقوم فيه، وعدت إلى منزلي منكسراً مغموماً.

فلما كان من الغد، بكرت، لئلا يجيئني الرجل، بسبب حاجته، فأفضح عنده، ولم أدخل بيتي إلى وقت المغرب، ثم جئت، فصليت، وطرحته، واعتقدت أنني لا أمضي إليه.

فلما صليت العتمة، جاعني خادم لابن أبي عوف، فقال: الشيخ يقرأ عليك السلام، ويقول: لم تأخرت الليلة؟ إن كنت معافى، فنعال، وإن كنت متشكياً جنناك.

فاستحييت، وقلت: أمضي الليلة، ثم أنقطع.

فحين دخلت إليه، ورآني، مد رجله في حجري، فأخذتها، وغمزتها على الرسم.

فقال: أيش عندك من الأخبار؟ فأقبلت أحدثه، بحديث غث، متكلف، متصنع، فلم يزل يصبر على ذلك ساعة، ثم قبض رجله، فقمت.

فقال: يا أبا بكر، انظر أيش تحت المصلى.

وإذا برقعة في قرطاس، فأخذتها، وتقدمت إلى الشمعة، وإذا فيها: " يا مؤنس، جسرت على قصد دكان رجل تاجر، يعرف بفلان، وفتحت صندوقه، وأخذت منه عقد جوهر قيمته ألف دينار، وأنا في الدنيا؟ والله، لولا أنما أول غلطة غلطتها، ما جرى في ذلك مناظرة، اركب بنفسك إلى دكان الرجل، حتى ترد العقد في الصندوق، بيدك ظاهراً " .

فقلت لأبي عبد الله: أيش هذا يا سيدي؟ فقال: خط المعتضد إلى مؤنس، بما أردته، مثلت بين وجدك

وعتبتك، مع بقاء الحال مع مؤنس كما هي، وبين رضاك وقضاء حقك، وإيجاش مؤنس، فاخترتك عليه، فأخذت خط أمير المؤمنين، بما تراه، فامض، وأوصله إليه، فإنه يفعل ما أمره به.

فقبلت رأسه، وشكرته، وانصرفت، وأنا من الفرح لا أعقل، وجئت إلى الرجل، وأخذت بيده، ومضينا إلى مؤنس، وسلمت التوقيع إليه، فحين قرأه اسود وجهه، وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده، ثم قال: يا هذا، الله يبني وبينك، هذا شيء ما علمت به، وتموه علي، فألا تظلمتم إلي، فإن لم أنصفكم، فإلى الوزير، ما هذا؟ بلغتم الأمر إلى أمير المؤمنين، من أول وهلة؟ قال: وانتشطت، قهلت: بعلمك جرى، والعقد معك.

قال: فأحضر العقد، وقال: خذوا الألف دينار، التي عليه الساعة، واكتبوا على الرجل، بطلان ما ادعاه. فقلت: لا نفعل.

فقال: خذوا ألفاً وخمسمائة دينار.

فقلت: والله، لو أعطيتنا ألف ألف دينار، ما رضينا، أو تركب بنفسك إلى الدكان، والعقد معك، فترده إلى الصندوق، ولا نكذب أنفسنا، أو ترد التوقيع، فقال: أسرجوا لي.

قال: فركب، والله، في موكب، حتى وقف على دكان الرجل، ورد العقد بيده إلى الصندوق.

فجاءنا صاحبه، في ذلك اليوم، ودفع الألف دينار، وارتجعه.

ابن أبي دؤاد وكرمه وعلو همته

حدثني عبد الله بن أحمد بن داسه، قال: حدثني أبو أحمد بن أبي الحسك الشاهد، قال: حدثني بمصر، أبو

طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، القاضي، وهو قاضيه يومئذ، قال: حدثني شيخ كان في جوارنا

ببغداد، بلرب الرواسين، من باب الشام، قال: كان أبو عبد الله بن أبي دؤاد، ينزل باب الشام، وهو صغير

الحال، فكنا نعرف أحواله.

فباع يوماً منديلاً كان له، بسبعة دراهم، لتعذر القوت عليه.
قال: فاجتاز في طريقه، وهو عطشان، فرأى شارباً، فعدل إلى الموضع، ودعاه، واستسقاها، فكسر الشارب
شفة كوز كان معه، وملاه ودفعه إليه.

فقال له ابن أبي دؤاد: لم فعلت ذلك؟ فقال: قد شرب في هذا الموضع قبلك من لم أرض لك، أن تجعل
شفتك في موضع شفته، فكسرت الموضع من الكوز لتشرب من موضع، ما وقعت عليه شفة غير شفتك.
قال: فشرب الماء ثم دفع إليه السبعة دراهم، التي لم يكن يملك غيرها.

دعوة الأم لأولادها مستجابة

حدثني أبو الحسين أحمد بن الحسن بن المثنى، قال: كانت أمي قد رأت ليلة القدر، فدعت الله بدعاء كثير،
فلما كان من الغد، قال لها أبي: هل دعوت الله لي؟ فقالت: شغلني الدعاء لأولادك، عن الدعاء لك.
قال: فكنا نرى أن ما أفاء الله تعالى علينا من نعمة، بعد ذلك، إنما كان بدعائها.

أبو الهيجاء بن حمدان ومثانة أعصابه

حدثني أبو الفضل الشيرازي الكاتب محمد بن عبد الله بن المرزبان، قال: حدثني شيخ من شيوخ النخاسين
الجللة ببغداد، قال: كنت أعامل أبا الهيجاء، عبد الله بن حمدان، في الرقيق، فكان يشتري مني، ولا يبيع شيئاً
يشتره بوجه، إما أن يهبه، أو يعتقه.

فجاءني يوماً، إلى حجرتي، ولم تكن عادته جرت بذلك، فوجدته، وهو مستعجل، يريد الخروج إلى القصر،
لقتال أعراب بلغه أنهم عاثوا في الطريق، وكان يليه، فقال: بعني الساعة جارية.
فعرضت عليه عدة جوار، فاختر مولدة منهن، وحملها في عماريته، على بغل.
فلما كان بعد شهر أقل من ستة، جاءني بها رجل من الجند، يريد بيعها.

فقلت لها: أليس كان الأمير أبو الهيجاء، اشتراك مني؟ فقالت: بلى، ولكنه وهبني لهذا.
قال: فلم أبعها حتى كاتبته، وعرفته خبرها، لئلا تكون قد هربت، أو وقع بها حيلة.
فلما أعلمني أنه وهبها، شرعت في بيعها في الحال، فتعذر، وأقامت عندي أياماً.
فسألته عن أخبار أبي الهيجاء، وأمره في داره، فأخبرتني بأشياء من ذلك. فكان من طريف ما أخبرني به، أن
قالت: أخرجني من عندك في العمارية، وسرنا يومنا وليلتنا، إلى قريب من انتصاف الليل، فكلفني السير
وأتلفني، ثم حط العمارية في الصحراء، ثم ضربت له خيم، ولأصحابه، فصرنا في عسكر، وأشعلت النيران،
ونصب له سرير مخلع في خيمة له، واستدعاني، فجنبت وهو على فراشه، فلا عني، ثم نزع سراويله، وجلس
مني مجلس الرجل من المرأة، فوقع صيحة عظيمة، فنهض عني، ولم يكن أوج، وضرب بيده إلى تحت
الفراش، وإذا سيف مجرد، فأخذه، وخرج بلا سراويل، وصاح أنا أبو الهيجاء، وسألهم عن سبب الصيحة،
فقالوا: سبع أطاف بالخيم.

فخرج يعدو، ومعه خلق من غلمانته وأصحابه، وأهاجوا السبع، وطلبوه، وناصبوه الحرب، وناصبهم، وأنا أسمع الصياح، وزارات الأسد، وقد تلفت فرعاً، ثم يأتيه هو، من بين الجماعة، فقتله، فحمل رأسه، وجاءني وهو في يده، فلما رأيته صحت، فرمى بالرأس، وغسل يده.
ثم جاءني، فطرحني، وإذا أيره قائم، كما كان في وقت هوضه، ما تغير، ثم جامعني، ثم نهضت.
فما رأيت قلباً أثبت من قلبه، ولا أيراً أقوى من أيره.

هجاه بالشعر فأجابه بأخذ الشعر

حدثني عبد الله بن أحمد بن داسه، قال: حدثني أبو سهل بن زياد القحطاني، قال: كان يأسكاف، شاعر له ضوبيعة، فهجا عاملها، وبلغه ذلك، فأمسك عنه، فلما كان وقت الغلة، ركب العامل إلى اليبدر، وقسمه، وحمل غلة الشاعر أصلاً.
فجاء الشاعر إليه يشكو، ويداريه.
فقال: يا هذا ليست بيننا معاملة، أنت هجوتنا بالشعر، ونحن هجوناك بالشعر، وقد استوت الحال بيننا وبينك.

خلف النار الرماد

حدثني محمد بن عدي بن حر، وجماعة من البصريين، قالوا: لما نشأ لأبي الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه، مع فضله، ورجلته، ومحله المشهور من الدهاء والفضل، والعلم والعقل، ابنه الباقي الآن، وأخبر أبو الحسين بتأخره، غمه ذلك.

قال: وكان أبو الحسين، يوماً جالساً، إذ جاء ابنه هذا يسعي إليه، كأنه في مهم، ثم نتف طاقة شعر كانت على أذن أبي الحسين، وسعى، قاله ذلك، وغمه بلوغ تخلف الصبي، إلى هذا الحد، ورثينا لما جرى.
قال لنا: خلف النار الرماد

كما تدين تدان

وحدثني الحسين بن محمد الجبائي، قال: لما سعى أبو طاهر الحسين بن الحسن، عامل البصرة، على أبي الحسين بن نصرويه، حتى نكب النكبة الثانية، التي ألزمه فيها العباس بن الحسين، ما ألزمه من المال، راسل أبا طاهر، فقال له: اعلم أن الصياد الفاره، لا يذبح شباشه، وأنا كنت لك في هذا البلد، مع التجار والناس، مثل شباش الصياد، في إنما ظن الناس أنك عادل، وكنت تأخذ من تريد من الأوساط والأصاغر، ولا يتكشف أمرك، وقد صرت بما عملتني، مثل الصياد الذي ذبح شباشه، فليس عزمه بعدها أن يصطاد، وستعلم أنك لا تنتفع بنفسك، ولا بالبلد بعدي.

ثم عدل إلى السعاية عليه مع أبي الفضل العباس بن الحسين الوزير، فما خرج من البصرة حتى قبض عليه، ونكبه، وقلد البصرة، أبا القاسم علي بن الحسين بن إبراهيم، ابن أخت أبي الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، وألزم ملاً ثقيلاً لم ينهض به، وتلف أبو طاهر في المطالبة، والضرب، ومات في الحبس، وانسحق هو وأهله، إلى آخر دهرهم، وكل ذلك بتدبير أبي الحسين، وترتيبه المكاره عليهم.

الصوفي المتوكل وجام فالودج حار

حدثني محمد بن هلال بن عبد الله، قال: حدثنا القاضي أحمد بن سيار، قال: حدثني رجل من الصوفية، قال: كنت أصحب شيخاً من الصوفية، أنا وجماعة في سفر، فحدثني حديث التوكل، والأرزاق، وضعف النفس فيهما، وقوتهما.

فقال ذلك الشيخ: علي وعلي، لا ذقت مأكولاً، أو يبعث إلي بجامة فالودج حار، ولا آكل إلا بعد أن يحلف علي.

قال: وكنا نمشي في الصحراء.

فقال له الجماعة: الآخر جاهل.

ومشي ومشينا، وانتهينا إلى قرية، ومضى عليه يومان، وليلتان، لم يطعم فيهن شيئاً.

ففارقه الجماعة، غري، فإنه طرح نفسه في مسجد القرية، مستسلماً للموت ضعفاً، فأقمت عليه.

فلما كان في ليلة اليوم الرابع، وقد انتصف الليل، وكاد أن يتلف الشيخ، فإذا بباب المسجد قد فتح، وإذا جارية سوداء، ومعها طبق مغطى.

فلما رأتنا، قالت: أنتم غرباء، أو من أهل القرية؟ فقلنا: غرباء.

فكشفت الطبق، فإذا بجام فالودج، يفور لحرارته.

فقلت: كلوا، فقلت له: كل، فقال: لا أفعل.

فقلت له: والله لتأكلن، لأبر قسمه، فقال: لا أفعل.

قال: فشالت الجارية يدها، فصفعته صفعة عظيمة، وقالت: والله، لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا، إلى أن تأكل.

قال: فقال: كل معي.

فأكلنا، حتى نظفنا الجام، وجاءت الجارية تمضي.

فقلنا لها: مكانك، أخبرينا بخبرك، وخبر هذا الجام.

فقلت: نعم، أنا جارية رجل هو رئيس هذه القرية، وهو رجل أحق حديد، فطلب منا منذ ساعة، فالودجاً،

فقمنا لصلحه، وهو شتاء وبرد، فإلى أن تخرج الحوائج من البيت، وتشعل النار، ويعقد الفالودج، تأخر عنه.

فطلبه، فقلنا: نعم، وطلبه ثانياً، ولم تكن فرغنا منه، وطلبه الثالثة، فحرد وحلف بالطلاق، لا يأكله، ولا أحد من داره، ولا أحد من أهل القرية، ولا يأكله إلا رجل غريب.

فجعلناه في الجام، وخرجنا نطلب في المساجد رجالاً غريباً، فلم نجد، إلى أن انتهينا إلى هذا المسجد، فوجدناكما، ولو لم يأكله هذا الشيخ، لقتلته ضرباً، إلى أن يأكل، لتلا تطلق ستي من زوجها. قال: فقال الشيخ: كيف ترى، إذا أراد أن يرزق؟

سائل بالأبلة، وسائل بالصين

وحدثني، قال: حدثني القاضي أحمد بن سيار، قال: حدثني شيخ من التجار بعمان، قال: كنت بالأبلة، أريد الخروج إلى البحر، فرأيت سائلاً بباب الجامع، فصيح اللسان، مليح المسألة، فرققت له، وأعطيته دراهم صالحة.

وخطفت في الوقت إلى عمان، فأقمت بها شهوراً، ثم قضيت لي أن مضيت إلى الصين، فدخلتها سالماً، فإذا أنا يوماً أطوف، فإذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق. فتأملته، فعرفته، فقلت له: ويحك، سائلاً بالأبلة، وسائلاً بالصين. فقال: قد دخلت إلى هذا البلد، ثلاث دفعات، وهذه الرابعة، لطلب المعيشة، فلا أجدها إلا من الكدية، فأرجع إلى الأبلة، ثم أرجع إلى ها هنا. قال: فعجبت من شدة حرمانه.

تاجر يتمدح بتجسسه على رسائل التجار

وحدثني، قال: حدثني قاضي القضاة أبو محمد بن معروف، رضي الله عنه، قال: حدثني بعض أهل بغداد، عن أبي عبد الله بن أبي عوف، إنه قال: ضاق صدري، في وقت من الأوقات، ضيقاً شديداً، لا أعرف سببه، فتقدمت إلى من حمل لي طعاماً كثيراً، وفاكهة، وعدة من جوارى، إلى بستان لي على نهر عيسى، وأمرت غلماني، وأصحابي، أن لا يجيئني أحد منهم بخبر يشغل قلبي، ولو ذهب مالي كله، ولا يكتابوني، وعملت على أن أقيم في البستان بقية أسبوعي، أتفرج مع أولئك الجوارى. قال: وركبت حماري، وقد تقدمني كلما أمرت بحمله. فلما قربت من البستان، استقبلني فيج، معه كلب. فقلت له: من أين وردت؟ فقال: من الرقة. فتتبع نفسي، أن أقف على كتبه، وأخبر الرقة، وأسعارها. فقلت له: تعرفني؟ فقال: نعم. فقلت: أنت قريب من بستان لي، فتعال معي، حتى أهب لك دنائير، وأغير ثيابك، وأطعمك، وتستريح الليلة في البستان، وتدخل بغداد غداً. فقال: نعم.

ومشى معي راجعاً، حتى دخل البستان، فأمرت من فيه، أن يدخله حماماً فيه، ويغير ثيابه ببعض ثيابي غلماني،

ويطعمه.

فابتدوا معه في ذلك.

وتقدمت إلى غلام لي فاره، فسرق كتبه، وجاءني بها، ففتحتها، وقرأت جميع ما فيها، وعرفت من أسرار التجار الذين يعاملوني شيئاً كثيراً، وتفرجت بذلك.

ووجدت جميع الكتب، محشوة إلى التجار، بأن يتمسكوا بما في أيديهم من الزيت، ولا يبيعوا منه شيئاً، فإنه قد غلا عندهم وعز، ويوصونهم بحفظ ما في أيديهم.

فأنفذت إلى وكلائي في الحال، فاستدعيتهم فجاءوا، فقلت لهم: خذوا من فلان الناقد، وفلان الناقد، كل ما عندهم من العين والورق الساعة، ولا ينقضي اليوم إلا وتبتاعون كلما تقدرتون عليه من الزيت، واكتبوا إلي، عند انقضاء النهار، بالصورة.

فمضوا، فلما كان العشاء، جاءني خبرهم، بأنهم قد ابتاعوا زيتاً، بثلاثة آلاف دينار، فكتبت إليهم بقبض ألوف دنانير أخرى، وبشرى كل ما يقدرتون عليه من الزيت.

وأصبحنا، فدفعنا إلى الفيج ثلاثة دنانير، وقلت له: إن أقمنا عندي، دفعت إليك ثلاثة دنانير أخرى. فقال: أفعل.

وجاءني رقعة أصحابي، بأنهم ابتاعوا زيتاً بأربعة آلاف دينار، وأنه قد تحرك سعره لطلبهم إياه، فكتبت بأن يبتاعوا كل ما يقدرتون عليه، وإن كان قد زاد.

وشاغلت الرسول، اليوم الثالث، ودفعنا إليه في اليومين، ستة دنانير، وأقام ثلاثة أيام، وابتاع أصحابي بثلاثة آلاف دينار أخرى.

وجاءوني عشياً، فقلوا: كان ما ابتعناه اليوم زائداً على ما قبله، في كل عشرة، نصف درهم، ولم يبق في السوق شيء يفكر فيه.

فصرفت الرسول، وأقمنا في بستاننا أياماً، ثم عدت إلى داري، وقد قرأ التجار الكتب، وعرفوا خبر الزيت بالركة، فجاءوني يهرعون، ويبدلون في الزيت، زيادة اثنين في العشرة، فلم أبع، فبدلوا زيادة ثلاثة في العشرة، فلم أبع.

ومضى على ذلك، نحو من شهر، فجاءوني يطلبون زيادة خمسة، وستة، فلم أفعل. فجاءوا بعد أيام، فبدلوا للواحد الواحد.

فقلت في نفسي: ترك هذا خطأ، فبعته بعشرين ألف دينار.

فنظرت، فلم يكن لضيق صدري، وانفرادي في البستان، ذلك اليوم سبب، إلا ما أحبه الله تعالى، أن يوصل إلي ربح عشرة آلاف دينار.

صانع يتمدح بأنه أوّتمن فخان

وحدثني، قال: حدثني صانع كان يخدم في خزانة الأمير معز الدولة، يعرف بطاهر، قال: كنت أشرب يوماً في منزلي، وعندي جماعة من إخواني، فانقطع بنا النبيذ، فخرجت أحتال لهم شيئاً من ذلك، فلقيني ركابي،

فقال: الأمير يطلبك.

فقلت: قل إنك لم ترني.

قال: لا أفعل.

فقلت: خذ مني ديناراً، وقل إنك لم تجديني.

قال: وأنا معه، إذ جاء ركابي آخر، فبذلت لهما دينارين، فأبيا، وجاء الثالث، فمضيت، وحمّلت معي غلاماً كان لي.

فحين دخلت إلى الأمير، قال لي: امض، فانظر ما يقول لك علي المغني، في الخزانة، فافعله.

فجئت إلى الخزانة، فقلت لعلي: أيش تريد؟ فأخرج إلي، مناطق كثيرة ذهباً، موكدة بلا سيوف، مما أخذه معز الدولة، من تركة أخته، وكانت الأخت، تشدها في أوساط الجوارى، وتلبسهن القراطق والخفّاتين، وتلك المناطق فوقها، ويجدمنها كذلك، فلما حصلت لمعز الدولة، لم يستحسنها، فأمر بكسرها، وصياغتها، مراكب، وسيوفاً، ومناطق أعجمية.

فقال لي: اجلس واقبلها، حتى ننظر كم يجتمع منها، ويصاغ.

فقلت: ليس معي آلي التي تستعمل.

فقال: أنفذ من يحضرها.

فأنفذت غلامي، فأحضر بعض الآلة، فما زلت ألقع، وأغفل المغني، وأسرق، وأجعل ذلك في كمي، وتحت عمامتي، وأرمي إلى غلامي، فإذا حصل معه شيء، قلت له: هات المبرد، هذا قد كل، فامض، وجتني بغيره، أو هات الآلة الفلانية، فيمضي، ويحصل ما قد سرقناه، ويجيء بالآلة، وأسرق، وأعطيه، وأطلب آلة أخرى، على هذا، إلى أن جاء المساء، فجمع علي المغني، تلك المناطق، وأخذ الوعد علي، في الحضور في غد، ومعني الصناع، وشريكي المرسوم معي بالخدمة في الخزانة، فانصرفت، فوزنت ما قد حصل عندي، وكان أربعمئة وثمانين مثقالاً.

فقلت لعيالي: هذا، حمّلت إليه كرهاً، حتى أخذته، بعد أن بذلت، أن أعطي دينارين جعلاً، ولا أمضي، وحدثتهم القصة.

فلما كان من الغد، حضر الصناع، وشريكي، وجلسنا نفكك الباقي، وأحضرنا شيئاً آخر، فما استوى لنا أن نسرق إلا مائة وستين مثقالاً، قاسمته عليها، وعجبت من رزقي في ذلك.

من مكارم أخلاق الأمير الموفق

حدثني أبو الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون، الحرائي، الصابي، الطبيب، قال: حدثني أبي، قال: كنت، بين يدي الموفق، يوماً، فقال لي: يا إبراهيم، أنا أشتهي شهوة منذ سنين، وهو ذا، أستقبح أن أطلبها، وقد عن لي الساعة مواضعك على طلبها.

قال: قتلّت: يأمر الأمير.

قال: ويحك، أنا والله، منذ سنين كثيرة، أشتهي كبود الدجاج، وقوانصها مطهجة، وأستقبح أن أطلبها، فيظن صاحب المائدة، أن نفسي قد تتبعته، شحاً به عليهم، لأن رسمهم جار، بأن يرتفقوا بأخذه وبيعه، وأريد إذا قدمت المائدة، وجلست معي للأكل، أن تتشهى ذلك علي، وتشير به من طريق الطب، لأتقدم إليهم باتخاذ شيء منه يسير، فيصير ذلك القدر رسماً في كل يوم، لا يؤثر عليهم قدره، وبيعون هم الباقي، فإنه كثير، وأكون قد قضيت شهوتي.

قال: فعجبت من كرمه، وفرط حياته من خدمه، حتى يلفق الحيلة في الوصول إلى شهوته، من غير إيجاشهم أو تعرض لدمهم.

وقلمت المائدة، فجلس يأكل عليها وحده، وجلست مع الندماء، أكل، على مائدة بين يديه.

فلما أكل بعض أكله، قلت: لم لا يأمر الأمير الناصر، بأن يتخذ له شيء يسير في زبديات، من كبود الدجاج المسمن، وقوانصه، بالبيض، والمري، فيطحن بعضه، فيولع منه بالشيء اليسير، فإن في ذلك كذا وكذا، وأخذت أصف ما حضرني في الوقت، ونحن أيضاً نشتهي أن نأكل منه.

فقال: يصلح لنا من غد، كذا وكذا زبدية، مطجن، وكذا وكذا زبدية، من كبود الدجاج المسمنة، وقوانصها.

فأصلحوا ذلك، وصار رسماً جارياً، ولم يفتن أحد منهم لما جرى.

بحث في الأمانة

حدثني عبيد الله بن أحمد بن بكير، قال: حدثني أبو جعفر الضبي، الفقيه الحنفي، وقد شاهده أنا، وكان من شيوخ التجار المستورين، فقيهاً، يحضر مجلس أبي للخلاف، ويناظر، ولم أسمع منه هذه الحكاية، قال: حدثني شيخ من التجار، بسيراف، قال: كان عندنا نفسان، يمشيان في طريق، فرأيا صرة دراهم ملقاة في الطريق، فقال أحدهما للآخر: خذها واحفظها لصاحبها.

فقال الرجل: لا أفعل.

فقال: لكني آخذها، وأحفظها، فإن وجدت صاحبها، رددتها عليه.

قال: فأخذها ومشى. فإذا برجل يصيح.

فقالا له: ما لك؟ فقال: صرة صفتها كذا وكذا، فيها دراهم لي، سقطت مني الساعة.

فقال الذي هي معه: خذها، فإنها هذه.

فسلمها إليه، ثم قال لصاحبه: أليس لو كان الناس كلهم على مذهبك، في أن لا يحفظوا على الناس، لضاعت أموالهم.

فقال له الآخر: أليس لو كان الناس كلهم على مذهبي، ما ضاعت الصرة، ولكانت تبقى في الطريق مكانها، حتى يرجع صاحبها، فيأخذها.

الخوارج يقطعون السارق من المرفق

حدثني أبو الحسين علي بن لطيف، المتكلم على مذهب أبي هاشم، قال: كنت مجتازاً بناحية قردار، مما يلي سجستان ومكران، وقد كان يسكنها الخليفة من الخوارج، وهي بلدهم ودارهم، فانتبهت إلى قرية لهم، وأنا عليل، فرأيت قراح بطيخ، فابتعت واحدة، فاكلتها، فحملت في الحال، ونمت يومي وبقية ليلتي، في قراح البطيخ، ما عرض لي أحد بشيء. وكنت قبل ذلك، قد دخلت القرية، فرأيت شيخاً خياطاً في مسجد، فسلمت إليه رزمة ثيابي، وقلت له: تحفظها لي. فقال: دعها في الخراب.

فتركتها، ومضيت إلى القراح، فلما أقيت من الغد، عدت إلى المسجد، فوجدته مفتوحاً، ولم أر الخياط، ووجدت الرزمة بشدها في الخراب. فقلت: ما أجمل هذا الخياط، ترك ثيابي وحدها، وخرج، ولم أشك في أنه قد حملها بالليل إلى بيته، وردّها في الغد إلى المسجد، انتظاراً لي. فجلست أفتحها، وأخرج شيئاً شيئاً، فإذا بالخياط. فقلت له: كيف خليت ثيابي؟ فقال: أفقدت منها شيئاً؟ قلت: لا. فقال: ما سؤالك؟ قلت: أحيت أن أعلم. قال: تركتها البارحة في موضعها، ومضيت إلى بيتي. فأقبلت أخاصمه، وهو يضحك.

وقال: أنتم قد تعودتم أخلاق الأرذال، ونشأتم في بلاد الكفر، التي فيها السرقة والخيانة، وهذا لا نعرفه ها هنا، لو بقيت ثيابك مكانها، إلى أن تبلى، ما أخذها أحد غيرك، ولو مضيت إلى المشرق والمغرب، ثم عدت لوجدتها مكانها، فإننا نحن، لا نعرف لصاً، ولا فساداً، ولا شيئاً مما عندهم، ولكن، ربما لحقنا في السنين الطويلة، شيء من هذا، فنعلم أنه من جهة غريب قد اجتاز بنا، فترك وراءه، ولا يفوتنا، فنذكره، فنقتله، إما نتأول عليه بكفره، وسعيه في الأرض بالفساد، أو نقطعه كما يقطع السراق عندنا من المرافق، فلا نرى شيئاً من هذا.

قال: وسألت عن سيرة أهل البلد، بعد ذلك، فإذا الأمر كما ذكره، وإذا هم لا يغلقون أبوابهم بالليل، وليس لأكثرهم أبواب، إنما هي شرائح ترد الكلاب والوحوش.

الأمير معز الدولة يطوف في قصور دار الخلافة

حدثني أبو الحسن، علي بن أحمد الحاجب، المعروف بابن الخراساني، وكان يحجب معز الدولة، قال: كنت مع معز الدولة يوماً في دار الخلافة، بحضرة المطيع لله، فلما انفض المؤكب، قال لي: قل له: إني أريد أن أطوف في الدار، فأراها وأشاهد بساتينها، وصحونها، فيأمر من يطيفني فيها. قال: قتل ذلك للخليفة، بالعربية.

فأمر الخليفة، شاهك خادمه، وابن أبي عمرو حاجبه، أن يطيفاه فيها، فلما مشيا بين يديه، وأنا وراءهما أمشي، وبعدنا عن حضرة الخليفة، وقفنا، فقالا: أيها الأمير إنه لا يصلح أن تطوف الدار، إلا ومعلك نفسان، أو ثلاثة، أو نحو هذا، فاختر لنفسك من تريد، ورد أصحابك.

قال: فأخذ الصيمري كاتبه، معه، ونحو عشرة غلمان، من حجابه، وغلمانه، وترك باقي غلمانه، وجيشه، في صحن السلام.

فتوقفت أشد منطقتي، فسبقني، ودخل مع ساهك، وابن أبي عمرو، ولم يتظروني، وأسرع في مشيه. فشددت منطقتي ولحقته، وجذبت ثيابه من ورائه، فالتفت، فقلت بالفارسية: في أي موضع أنت؟ ما لك تعدو على وجهك؟ وليس تعلم أنك في دار قد قتل ألف أمير ووزير، أيش كان غرضك في طوف هذه الدار وحلك؟ ما كان يؤمنك، لو وقف لنا عشرة من الخدم، أو عشرون نفساً، في هذا الممر الضيق، فتقتل. قال: فكنت أكلمه بالفارسية، وأصحاب الخليفة لا يفهمون.

فقال له الصيمري، بالفارسية: قد صدقك.

فقال لنا: إن أنا رجعت الساعة، علموا أنني قد فرغت، فضعفت هيتي في نفوسهم، ونظروا إلي بعين جبان، ولكن النفوا حولي، فإن مائة من هؤلاء، لا يقاومونا، ولا صاحبهم يجسر أيضاً، على الحيلة علي. وتسرع في مشيته، حتى أننا لم نثبت ما شاهدناه، حتى تشبته.

حتى انتهينا إلى دار فيها صنم من صفر، على صورة امرأة، وبين يديها أصنام صغار، على صور الوصائف، فما رأينا شيئاً قط، أحسن من ذلك، وخاصة المرأة.

قال: فتحير معز الدولة، وسأل عن ذلك، وقالوا: هذا صنم يقال له: شغل، حمل إلى المقتدر من بلد من بلدان الهند، وكان يعبد أهل ذلك البلد، ففتح صاحب عمان، وملكه، وحمل الصنم.

فقال معز الدولة: قد والله عشقت هذا الصنم، لحسنه، ولو كان جارية، مع زهدي في الجواري، لا شريتها بمائة ألف دينار، وأريد أطلبه من الخليفة، ليكون قريباً مني، فأراه في كل وقت.

فقال له الصيمري: لا تفعل، فإنك تنسب في ذلك، إلى أخلاق الصبيان.

قال: وأسرعنا الطوف، والخروج، فما عقلنا، ولا رجعت نفوسنا إلينا، حتى صار مع معسكره، وغلمانه.

فلما نزل إلى طباره، التفت إلى الصيمري، وقال: يا أبا جعفر، قد زادت محبتي للخليفة، لأنه لو كان يضمّر لي سوءاً، وكان فيه شر، لكان قد قتلني اليوم بأسهل حيلة.

فقال له الصيمري: الأمر كذلك، فاحمد الله.

قال: فلما رجع إلى داره، أمر أن يحمل إلى نقيب الطالبيين عشرة آلاف درهم، ليفرقها فيهم، شكراً لله عز وجل، على سلامته.

ففرقت، ولم يعرفوا سبب ذلك.

أجر الطيب عن سقي دهن الخروع

حدثني أبو محمد عبد الله بن داسه، قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن الحسن بن المثنى، قال: حدثنا أبي، قال: كان في بني منقر، بالبصرة، طبيب يختلف إلى عيسى بن أبان القاضي، أيام مقامه بالبصرة، يسقيه في كل سنة، دهن الخروع، أياماً متوالية من كل سنة، فإذا فرغ، وقع له وكيله بمائتي درهم. قال: فغلط سنة من السنين، فوقع له بمائتي دينار. فلما عرض الطبيب الرقعة على الوكيل، استراب بها، وقال: حتى أستأذنه. وجاء إليه فأراه التوقيع، فقال: ما أردت هذا، ما أردت إلا المائتي درهم التي هي رسمه، ولكن هذا شيء أجراه الله على يدي، لا أرجع عنه، أعطه إياه. فأعطاه.

ابن الوزير علي بن عيسى يمنع والديه

من الاجتماع

وحدثني أبو محمد، قال: حدثني أبو سهل بن زياد القطان، قال: كان علي بن عيسى، يدخل في كل أسبوع، يوماً، إلى زوجته، والدة أبي القاسم، ابنه. وكان أبو القاسم، قد نشأ وترجل. فلما كان يوم النوبة، أدخل أبو القاسم أمه إلى حجرة، وقلعها عليها، وأخذ المفتاح. فوافى علي بن عيسى، فأنكر قفلها. فقال له الجوارى: إن أبا القاسم ابنه، فعل ذلك. فاستحيا، وعرف غرضه، فلم يدخل إلى أمه بعد ذلك، إلا لعبادة، أو حال ظاهرة.

الوزير أبو علي بن مقلة يثني على القاضي

أبي عمر

وحدثني، قال: حدثني أبو الفرج منصور بن القاسم القنائي الكاتب، قال: دخل أبو عمر القاضي، على أبي علي بن مقلة، وهو وزير، وعلي بن عيسى عنده جالس، فرفع أبا عمر عليه، فامتنع، فرفعه ثانية، فامتنع، وجلس دون أبي الحسن. فانصرف، فراسله إلى طياره، واستدعى ابنه أبا الحسين، فجاء إليه، فقال: تقول لأبي عمر، إني ما رفعتك على علي بن عيسى، لتخالف أمري، وتمتنع من ذلك. وتجلس دونه. فعاد إليه أبو الحسين، فقال له ما جرى. فقال له: أرجع إليه، وقل له: هذا رجل رأس علي، ثم أدال الزمان منه، فكرهت أن أرتفع عليه، فيتصورني الوزير، بصورة من يرتفع على رؤسائه، وما فعلت ذلك، إلا لك، وإعظماً للرياسات.

فعاد أبو الحسين، إلى ابن مقلة، وأعاد عليه ذلك.
فقال: قل له: أحسن الله جزاءك، فمَنك يتعلم العقل.

الخليفة المعتضد يبحث عن حجة لقتل وزيره

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه، عن شيوخه.
إن المعتضد، لما قبض على إسماعيل بن بلبل، أحضر إسماعيل بن إسحاق القاضي، وقال له: بلغني أنك تعلم
أن إسماعيل بن بلبل، زنديق، فما تقول في قتله؟ فقال: ما أقول في رجل تكنى، وسمي أبوه بالطيور.
فعلم المعتضد أنه يدافع، فقال ليوسف القاضي: هل عندك من أمره شيء؟ فقال: نعم. أمرني الموفق بالنفقة
على الموسم، وتقدم إلى إسماعيل، أن يعطيني المال، فكنيت ألزم مجلسه، أطلبه بذلك.
فلزمته يوماً من الغداة إلى المغرب، ما رأيته صلى، ولا نهض من موضعه.
ثم لزمته أياماً متتابعة، وكان هذا حكمه، فقلت لعله يقضيها ليلاً.
فقال لي في آخر يوم: بت عندي الليلة لأعطيك المال، وجلس يتحدث، وأنا بين يديه، إلى أن نعس، فأراد
إكرامي، فأمرني بالنوم بحضرته، فنمت، وما رأيته خلال ذلك صلى.
فقال له المعتضد: انصرف، فقد أخبرني بما أردته منك.
وقتله.

عمرو بن الليث الصفار

يعاقب واحداً من حرسه
حدثنا أبو محمد، قال: حدثنا أبو الحسن بن أبي نصر، أن ابن أبي الوليد بن أبي عبد الله بن أبي دؤاد، قال:
حدثني أبي: أن عمرو بن الليث، كان له بيت ينام فيه، ويحرسه غلمان له ليلاً، فانتبه ليلة، فوجد بعض
الغلمان، قد استند إلى الحائط، ونام قائماً، فجعل مرفقه، على صماخه، وغمز عليه، حتى قتله.
فما رأي في داره، نائماً، ممن كان يحرسه، بعد ذلك.

حميد الطوسي يأمر بقتل الطباخ

لأنه لم ينضج دجاجة

حدثنا أبو محمد، قال: حدثني أبو الحسين أحمد بن الحسن بن المثنى، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي،
قال: قال ابن عباس:

كنت آكل مع حميد الطوسي، فضربت يدي إلى دجاجة مشوية، ثم رغبت عنها شبعاً، فلم أكسرها،
وانقضى الطعام، وغسلت يدي، وخرجت، فإذا بضوءاء في الدهليز، وإذا برجل يبكي.

فقام إلي، وقال: يا رجل، أحي نفسك، كنت أنت سبب قتلها.
فقلت: ما الخبر؟ فقال: أنا طباطبا حميد، وإنك مسست دجاجة، ثم لم تكسرهما، فقدرد حميد أنني شويتها، ولم أنضجها، فأمر بقتلي.
فعدت إلى حميد، فحين رأي، قال: والله لا شفعتك في الطباخ.
قلت: يسمع الأمير ما أقوله، ويعمل ما يراه، قال: قل.
فحلفت بالآيمان المغلظة، إن الدجاجة كانت نضيحة، وإنما رغبت عنها، لأن الشيع صدي، ثم اتبعت المسألة في أمر الطباخ.
فقال: أهب لك ذنبه، على أن لا يدخل داري، إنما قد أيسنا من الآخرة، وإنما هي الدنيا، فلا نحتمل، والله، لأحد، تنغيصها علينا.

إسحاق المصعبي تحركه رقاع

أصحاب الأربعاء في بغداد

وحدثني، قال: حدثني أبو يحيى بن مكرم، القاضي البغدادي، قال: حدثني أبي، قال: كان في جوارى شيخ يعرف بأبي عبيدة، حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، وكان ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبي.
فحدثني: إن إسحاق استدعاه ذات ليلة، في نصف الليل، بعدة رسل.
قال: فهالني ذلك، وأوحشني، لما أعرفه من زعارة أخلاقه، وشدة إسرعه إلى القتل، وخفت أن يكون قد نعم علي شيئاً في العشرة، أو بلغه عني باطل، فأحفظه، فيقتلني.
فخرجت طائر العقل، حتى أتيت داره.
فأدخلت من دار إلى أخرى، إلى أن أدخلت دار الحرم، فاشتد جزعي، ثم أدخلت إلى حجرة لطيفة، فسمعت في دهليزها، بكاء امرأة، متخافتاً، وهو جالس على كرسي، وبين يديه سيف مسلول.
فذهب علي أمري، وسلمت، ووقفت.
فقال: اجلس يا أبا عبيدة، فسكن روعي، وجلست.
فرمى إلي قصصاً، فإذا هي رقاع أصحاب الشرط في الأربعاء، يخبر كل واحد منهم، بخبر يومه، وفي أكثرها، كبسات وقعت، بنساء من بنات الوزراء، والرؤساء من الكتاب، وبنات القواد والأمراء، مع رجال على ريب، وإنهم محصلات في الحبوس، ويستأذن في أمرهن.
فقلت: قد وقفت على هذه الرقاع، فما يأمرني الأمير؟ فقال: إن هؤلاء، كلهن، أجل آباء مني، وأكثر حسباً ومالاً، وقد أفضى بهن الدهر، إلى ما قد رأيته، وقد وقع لي أن بناتي سيبلغن إلى هذا، وقد جمعتهن - وهن خمس - بالقرب من هذا الموضع، لأقتلهن كلهن الساعة، وأستريح، فماذا ترى في هذا؟
فقلت: أيها الأمير، إن آباء هؤلاء الحبسات، أخطئوا في تدبيرهن، لأنهم خلفوا عليهن النعم، ولم يحفظوهن بالأزواج، فخلون بأنفسهن، ففسدن، ولو كانوا علقوهن على الأكفاء، ما جرى هذا منهن.

والذي أراه، أن تستدعي فلاناً، القائد، فله خمسة بنين، كلهم جميل الوجه حسن النشوة، فتزوج كل واحدة منهن، بواحد، فتكفي العار، والنار.

فقال: أحسنت يا أبا عبيدة، أنفذوا الساعة إليه، وافرغ لي من هذا.

قال: فراسلت الرجل، فما طلع الفجر، حتى حضر وأولاده، وعقدت النكاح لهم، على بنات إسحاق، في خطبة واحدة، وحمل إسحاق بين يدي كل واحدة، خمسة آلاف دينار، عيناً، وشيئاً كثيراً من الطيب، والثياب، والدواب، والبغال، والغلمان.

فأعطاني كل واحد من الأزواج شيئاً مما وصل إليه، وأنفذ لي أمهات الأولاد، هدايا في الحال، وشكرني على تخليص بناقهن، وانقلبت الحال إلى السرور.

فخرجت، وقد حصل لي ثلاثة آلاف دينار عيناً، وشيء كثير، من الطيب والثياب.

شغف المتوكل بالعود الهندي

حدثني الحسين بن محمد الجبائي، قال: حدثني أبو القاسم عمرو بن زيد البراز الشيرازي، المقيم ببغداد، قال: حدثني ابن حمدون النديم، عن آبائه، أن أحدهم أخبره: إن المتوكل، كان مشغولاً بالعود الهندي، فشكا إليه ذات ليلة، إعوازه، قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين، الملوك لا تستقبح أن تستهذي من الملوك، طرائف ما في بلادها، فلو أنفذت إلى ملك الهند، هدية حسنة، واستهذيت منه عوداً هندياً، ما كان ذاك عيباً.

قال: فتكون أنت الرسول.

فأبيت.

فألزمني، إلى أن أجبت، فتمنيت أني لم أكن أشرت عليه بالرأي، وإن كان صحيحاً، لأجبر على الخطر بالنفس، وقلت في نفسي: قد كان يسعني السكوت.

وأعد المتوكل الهدايا، وتأهيت للخروج، ووصيت، لإيأسي من الرجوع.

فلما أجد بي الخروج، قلت: ليس إلا أن أحمل معي شرباً كثيراً، فإذا اشتدت الأمواج، شربت، وسكرت، ولا أعقل إن غرقت، ولا أحس بعظم الأمواج، مع السكر.

فاستكرت من الشراب القطريلي والغناء الحسن، والتفاح الشامي، وجعلت بعضه في العسل، ليبقى.

وخرجت، فأقمت بالبحر شهوراً، وعانيت أهوالاً عظيمة، إلى أن وصلت إلى الساحل من بلد الهند، فأركبت الظهر، وسرت من بلد إلى آخر، إلى أن دخلت بلهوار، دار الملك الأعظم من ملوك الهند، وهو اسم الملك الأعظم هنالك.

فوصلت إلى البلد، مع أصحابه، وقد تلقيت، وأكرمت، وخدمت، وأنزلت داراً حسنة، من دورهم.

ثم جلس مجلساً عاماً، فدخلت إليه، وهو في حفله، وتأهبه، وجيشه، ورعيته، وقد جلس على سرير ملكه، وعليه متزنان حريصيني، وقد اتشح بأحدهما، واتزر بالآخر، وفي حلقه خيط فيه صرة من ذلك الحرير، لا أدري ما فيها.

وكلمني بترجمانه، وقال: يقول لك الملك، لأي شيء قصدت؟ فقلت له: إن أمير المؤمنين أحب صلة الحال والمودة بينه وبينه، فبعثني لذلك، وحمل على يدي هداياه، وسألت أن يأمر بتسليمها. فأعاد الترجمان عنه، جواباً حسناً جميلاً، وإنه أمر بقبض الهدية، وانصرفت، ورسله معي، فتسلمها. وترددت إلى المجالس العامة، دفعات.

فلما كان بعد أيام، استدعاني في نصف نهار، وكان الزمان حاراً، فدخلت دار العامة التي كنت أصل إليه فيها، فلم أجد فيها كثير أحد، فأدخلت من موضع إلى آخر، حتى أدخلت إليه، وهو جالس في حجرة في غاية الحسن، والسرو، والظرف، والملاحة، وفاخر الآلات، كأنها من حجر دار الخلافة، ودست طبري في نهاية الحسن، والملك جالس فيه، وعليه قميص قصب في نهاية الخفة والحسن، وسراويل ديبقي، بتقطيع بغدادي، وعلى مسورته رداء قصب فاخر جداً، وبين يديه آلات ذهب، وفضة، وصياغات كثيرة عراقية، كلها حسنة، مملوكة بالكافور والماورد، والعنبر، والند، والتماثيل.

فلما دخلت، كلمني بالعربية، بلسان طلق ذلق، وقال: كيف أنت من كشف بلادنا؟ فشكرت إنعامه، وقرظت بلاده، وذكرت له أنني في ريف من تفقده، وبره.

فباسطني، وطاولني، واستطاب حديثي، وأفضت معه في فنون من الأمور، حتى تكامل انبساطه إلي. وتأملت أمره كله، فإذا رجل عراقي، متأدب.

فسقاني من شراب بين يديه، أصفر، في قدح، في صينية، وقال: اشرب هذا، وقل لي، هل عندكم مثله؟ فقبلت يده، وقبلت القدح، وشربته، وقلت: هذا، في نهاية الطيب والحسن والجودة.

فقال: أصدقني، هل عندكم مثله؟ فوصفت له الشراب القطربلي، وذكرت منافعه، وفوائده، وطيبه، وزدت في الوصف، وبسطته، فرأيت في عينه، استبعاداً لقولي.

فقلت له: إني كنت استصحبته منه شيئاً في طريقي، وقد فضل منه فضلة، لا أرضاها لحضرة الملك، ولكن إن أمر بإحضارها، ليعتبر بها صحة ما ذكرته له، أحضرها. فقال: افعل.

فقلت لغلامي: احمل كلما بقي عندنا من الشراب، فجاء الغلام بأذن يسيرة.

وقلت له: أن يحمل شيئاً من التفاح الشامي.

فحمل مما كان في العسل، عدة تفاحات، ومسحها من العسل، وكان في بعضه قد بقيت منه بقية صالحة. فلما وضعت الدنان بين يديه، أمرت غلامي، بيزلها في قدح، وشربت منه أولاً، ثم دفع إليه، فاستحسن ذلك.

ثم أخذ التفاح، فلما رأى لونه، رأى شيئاً غير ما عنده، وشمه، فكاد أن يشهق استطابة، وشربه، وتقذح بشيء من التفاح، وقد كنت كسرت واحدة، وأكلت نصفها في حال شربه، وتركت النصف الآخر بين يديه، فتنقل به، ومسح فاه.

ثم قال لي: ما ظننت أن في الدنيا مثل هذا الشراب، ولا مثل هذا النقل، ولقد بعد في نفسي ما أخبرني به، فلما شاهدته صدقتك، وعظم في نفسي بلد يكون مثل هذا فيه مبتدلاً، ولم أصدق ذلك لو لم أشاهده.

ثم قال لي: ويحك، تشربون مثل هذا، وتثقلون بمثل هذا، وتموتون؟ إن هذا لأمر عجيب.
ثم صار يستدعيني، كل يوم، إلى تلك الحجرة، فأكل معه، ونشرب، ويخرج إلي بالأحاديث.
فلما أنست به، قلت له: أيها الملك، أتأذن لي، أن أسأل عن شيء؟ قال: قل.
قلت: إن الله عز وجل، قد جمع لك من الملك العظيم، أنك جالس في هذه الحجرة في قطعة من دار الخلافة
بالعراق، بلا فرق ولا شك، وقد أعطاك من حسن الرأي والفهم، واللسان العربي، ما جعلك به، كأنتك
رجل من أهل بغداد، فمن أين لك هذا؟

فقال: ويحك، إن أبي كان من أولاد الملوك، وقتل أبوه، وانترى على ملكه بعض قواده، ثم خرج عليه، ولم
يكن من أهل بيت الملك، فهرب أبي خوفاً على دمه، إلى عمان، فدخلها مستخفياً، وتنقل في البلدان، إلى أن
وقع ببغداد، في زي التجار، ومعه من يخدمه، ويكتم أمره، وطاف بلدان العراق، وكانت المادة تحمل إليه من
ها هنا.

فأقام بالعراق سنين، حتى تفصح بالعربية، وعاشر أهل العراق، ونكح منهم، وخالطهم، وتناولت السنون
به، ومات ذلك الخارجي، الذي قتل أباه، وغصبه الملك، فأوقف أهل المملكة الملك عليه، وكتبوه بالصورة،
واستقدموه، وأمدوه بالأموال، فاستصحب قوماً من العراقيين، من أهل الأدب والعشرة، وأهل الصنائع،
فقدم، فملك الأمر، وجعل غرضه، طلب العراقيين، وأسنى لهم العطايا، فكثروا عنده، فبنوا له هذه الحجرة،
وخدموه بهذه الآلات.

فكان يجلس لأهل المملكة في زيههم، لئلا يشيع عليه مخالفتهم في الزي، ويتقص بين ملوكهم، فيهون أمره
عندهم، ويجلس في خلواته هكذا.

فلما ولدت، أسلمني إلى العراقيين، والهنديين، فكلموني باللغتين، فنشأت أتكلم بهما، ثم أدبني العراقيون،
وغلّبوا علي.

فلما مات، سلم الملك إلي، فاتبعت طرائقه في الجلوس العام لأهل المملكة بزيههم، والانفراد عنهم في الخلوة
بهذا الزي.

قال: قهلت له: فما ذلك الذي تعلقه في حلقك في الصرة؟ فقال: هذه الصرة، فيها عظم من عظام الرجل
الذي جاء بعبادة البد وأقام هذه الشريعة لهم، وله كذا وكذا ألف سنة، وذكر عشرات ألوف سنين.
وقال: إن الرجل، لما مات، وصى، بأن يجعل في تابوت، بعد تابوت، كذا وكذا ألف سنة، فما يزال، كلما
بلي شيء من عظامه، احتفظوا بالباقي، ونحوا البالي، لئلا يسرع الفساد إلى الصحيح، إلى أن لم يبق منه إلا
هذا العظم الواحد، فخافوا أن يلى أيضاً، فجعلوه في حق من ذهب، وجعلوهما في صرة، وصارت الملوك
تعلقه في حلوقها، في خيط، تعظيماً، وتبركاً به، وتشرفاً بمكانه، وصيانة له عن البلى، فقد علق في حلق كذا
وكذا ملك، مدة أيام ملكهم كذا وكذا سنة، وذكر أمراً عظيماً، وقد صار عندنا كالبردة التي لصاحبكم،
يلبسها خلفاًؤكم.

قال: فلما طال مقامي، وضجرت، سألته الإذن في تسريحي، وأعلمته إعجاب الخليفة، بالعود الهندي،

وأشرت عليه بالاستكثار منه، وقلت: هو أحب إليه من جميع ما تهديه إليه، من غيره.
فأنفذ منه شيئاً عظيماً، هائلاً، كثيراً، وفيه من الطرائف ما لم يسمع بمثله.
وأنفذ معه من الجواهر، والياقوت، والتوتيا، وطرائف بلاده، ما يكون قيمته مالاً جليلاً، وأضعاف ما حملناه
إليه.

فلما أردت توديعه، قال: اصبر، ثم دعا بصندوق، ففتحه، وأخرج منه مفتاح ذهب، وأخرج منه قطع عود
هندي لطافاً، فأعطانيها، وقد كان قد ما أعطانيه نصف رطل، ودعا بدرج، وجعله فيه، وقفله، وسلمه
ومفتاحه إلي، وقال: هذا خاصة، توصله من يدك إلى يده.

قال: فأنكرت ذلك في نفسي، وقلت: أبت الهندية فيه إلا الحمق.
قال: فبان له التكر في وجهي. فقال: أظنك احتقرته؟ فقلت: وما هذا حتى توصيني فيه بمثل هذا.
فقلت: الملك يقول.

فقال: يا غلام، هات محمرة، و ناراً.
فأتى بهما، ودعا بمنديل لطيف للكم، فأتى به، وأخرج من ذلك العود شظية، مقدار أقل من نصف دانق
فضة، فطرحها في النار، وبخر بها المنديل، ثم قال: شم.
فشممت شيئاً، لم أدر ما هو، لا يشبه الند، ولا العود، ولا شيئاً طيباً نتبخر به، ما شممت مثله قط.
فقلت: يحق لهذا أن يوصيني به الملك بما وصى.
فقال: اصبر، حتى أريك منه أعجب مما رأيت.
ودعى بطشت وماء، فأحضرهما، وأمر بغسل المنديل بالصابون، فغسل بين يديه، ثم أمر بأن يجفف في
الشمس، ويحضر.

قال: ففعل.

ثم قال: شمه.

فشممت الرائحة بعينها، لم تغير، ولا نقصت.

فأعاد الغسل بالصابون، والتجفيف، دفعات تقارب العشرة، إلى أن انقطعت الرائحة في الأخيرة.
فها لني ذلك.

فقال: اعرف الآن قدر ما معك، واعلم أنه ليس في خزان ملوك الهند كلها، من هذا، رطل واحد، غير ما
أعطيتك، وعرف صاحبك فضيلته.
قال: فودعته، وانصرفت.

ورزق الله السلامة، ودخلت على المتوكل، فسر بقدومي، وأكرمني، وسلمت إليه الهدايا، فحسن موقعها
منه، وأعدت عليه أكثر حديثي مع الملك، إلى أن بلغت خبر النصف رطل عود، وأخرجته، فسلمته إليه، ولم
أشرح له خبر الخرقه. فاستحمق الرجل، كما استحمقته، فقصصت عليه الشرح، وأخرجت الجمرة، والنار،
وخرقة، وفعلت كما فعل الملك، فها له ذلك، أمراً عظيماً، وسر به سروراً شديداً، وقال: هذا النصف رطل

بسفرتك.

قال الحسين: فقال لي عمرو بن زيد: استبعدت أمر هذا العود، إلى أن حدثني بعض التجار الثقات، المشهورين بدخول الهند دفعات، بحديث هذا العود، ووصفه لي، فخرج الحديثان واحداً على اتفاق. فقلت: هل سمعت ما سبب قلته؟ فقال: سألتهم عن سبب ذلك، فقالوا: ليس ينبت إلا في موضع واحد، في قلة جبل، بيننا وبينه مشاق، وغرر، وأخطار، ووحوش ضارية كثيرة، فالملوك تتكلف إنفاق الأموال العظيمة، على مرور الأيام، والشهور، والأعوام، حتى يصل أصحابهم إلى ذلك الجبل، ويصعدون منه إلى حيث يمكن، فيبلغون إلى حيث لا طريق فيه، ولا حيلة، ويرون تيوساً، كالتيوس الجبلية التي ها هنا، ترعى في تلك الأشجار من بعد، فرمما اتفق أن يروا الواحد، وهو في الذروة، وفي فيه قطعة من هذا العود يأكله، فيرمونه بالسهم، فإذا اتفق أن يصيبه السهم، فيسقط التيس إليهم بحمية السهم، وفي فمه ذلك العود، فيتناولوه من فيه، وإلا فلا سبيل إلى الحصول على شيء من العود البتة. ففي سنين طوال، تنفق هذه القطعة اليسيرة، بعد المشقة العظيمة، على مراصدة الرجال بذلك. فبهذا السبيل يقل.

الكاتب بشر بن هارون

النصراني يهجو وزيراً

أنشدنا أبو علي عبد الله بن الحجاج، لأبي نصر النصراني، الكاتب، يهجو أبا الفضل الشيرازي - الوزير كان - من أبيات:

ما كل من طول عشونه ... ينال فضلاً يا أبا الفضل
طولت عشونك تبغي العلى ... أي على في ذنب البغل
ولست أحصي كم رأيت امراً ... ألحى ولكن كوسج العقل

رأي الوزير ابن الفرات في سياسة المملكة

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري، الشاهد، قال: حدثنا الحسين بن فلان، الكاتب، النصراني، الملقب بيطر أم الدنيا، قال: قال لي ابن الفرات: أول أمور السلطان مخرفة، فإذا استحكمت، وتمت، صارت سياسة.

الخليفة لا يجادل

وحدثنا، قال: حدثنا قاضي القضاة أبو محمد بن معروف، قال: كنت مع المطيع لله، في طياره، وقد ركب، وأنا واقف بين يديه، مع حاجبه، وكلما دعت له طائفة، سألتني عنها، فأخبره بها، حتى دعت له طائفة من الطالبين.

فقال: من هؤلاء؟ فقلت: الطالبون.

فأعرض عنهم، وأطرق ساعة، وعبس، إلى أن جازهم.

ثم قال: يا عبيد الله.

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: العلوية أهلي، وأقرب الناس إلي، والله إني أحبهم، ولكني أعلم، أنهم يبغضوني، ومثلي لا يختل، ولا يجوز أن أعاملهم إلا بما رأيت.

علم الخرق وعلم الورق

وسمعتة يقول: سمعت جعفر الخلدي الصوفي، يقول: لو تركني الصوفية، لجئتكم بإسناد الدنيا.

مضيت إلى عباس الدوري، وأنا حدث، فكتبت عنه مجلساً واحداً، وخرجت من عنده، فلقيني بعض من

كنت أصحابه من الصوفية، فقال: أيش هذا معك؟ فأريته إياه.

فقال: ويحك، تدع علم الخرق، وتأخذ علم الورق.

قال: ثم خرق الأوراق.

ودخل كلامه في قلبي، فلم أعد عباس.

المواساة بخل، إنما هو الإيثار

وسمعتة يقول: سمعت جعفرًا يقول: سمعت جنيداً الصوفي، يقول: سمعت سري السقطي الصوفي، يقول:

أعرف قوماً يرون المواساة بخلًا، إنما هو الإيثار.

الجنيد والسائل

وسمعتة يقول: سمعت جعفر الخلدي، يقول: وقف سائل على الجنيد، ونحن في حلقتة، فسأله.

فرد عليه، فقال: يا هذا، الصناعة واحدة، ولكننا أظرف، انصرف أغناك الله.

فانصرف.

جعفر الخلدي يحج على التوكل

وسمعتة يقول: سمعت جعفرًا الخلدي يقول: حججت ستاً وخمسين حجة، منها عشرون حجة على المذهب،

يعني على التوكل بلا زاد ولا راحلة.

كتم رويم حب الدنيا أربعين سنة

وسمعه يقول: سمعت جعفر الخلدی يقول: من أراد أن يستكتم سرّاً له، فليستكتم رويم، فإنه كتم حب الدنيا أربعين سنة.
فقل له: كيف؟

قال: كان يتصوف أربعين سنة، فولي بعد ذلك، إسماعيل بن إسحاق القاضي، قضاء بغداد، وكانت بينهما مودة وكيدة، فجذبه إليه، وجعله وكيلاً على بابه، فترك الصوفية، والتصوف، والتوكل، وليس الخز، والقصب، والديقي، والمروي، وركب الحمير والبغال، وأكل الطيبات، وبنى الدور.
وإذا هو كان يكتم حب الدنيا، لما لم يجدها، فلما وجدها، أظهر ما كان يكتم من حبها.

البريء جريء والخائن خائف

وسمعه يقول: سمعت أبا القاسم البزاز الصوفي يقول: سمعت الجنيد يقول: قال لنا السري السقطي: البريء جريء، والخائن خائف، والجاني مستوحش.
ومن الشعر الجيد في هذا المعنى:
أمستوحش أنت لما أسأت ... فأحسن إذا شئت واستأنس

الجاهل ميت، والعاصي سكران

حدثنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، القاضي، قال: حدثنا أبو القاسم البزاز، قال: حدثني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري الراهد، قال: قال لنا سهل: الجاهل ميت، والعاصي سكران، والمصر هالك.
كن صحيحاً تكن فصيحاً
من أمثال العامة: كن صحيحاً، تكن فصيحاً.
ومن أمثالهم في هذا المعنى: إذا كان بولك صحيحاً، فاضرب به وجه الطبيب.
أي إذا كنت سليماً، فلا تبال ما صنعت.

حسن الأدب بين يدي الله

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري، يقول: سمعت جعفر الخلدی، يقول: سمعت جنيداً، يقول: سمعت سرياً السقطي، يقول: الناس في الأعمال يتقاربون، وإنما قارب من قارب، بحسن الأدب بين يدي الله تعالى.

ابن نصرويه يشاور شاباً

وحدثني، قال: كان أبو الحسين بن نصرويه، ربما شاورني في الشيء يجري، فأستعظم ذلك منه، وأقول: مثلك أنت والشيخ الحزب، المحك، المدرب، المهذب، تشاور مثلي، وأنا ولدك، هذا مما يوحشني منك، ويقع لي أنك تجربته مجرى الهزل.

فيقول لي: قد رفعك الله عن هذا، وإنما كان هذا يجري كما قلت، لو كنت لا أناقضك الرأي، وتناقضني، وأحاجك وتحاجني، إلى أن يتقرر الشيء بيننا، فأعمل بما يتقرر، فأما وأنت تراي أفعل هذا، فلا مظنة فيه، وأمثل ما عندك في نفسي أنك شاب، ولعمري إن علم الشباب محفور.

الوزير المهلي يعني على أبي تمام الزيني

نقص مروءته

وحدثني، قال: سمعت أبا الحسين بن نصرويه يقول: وافى أبو محمد المهلي، لما كتب لمعر الدولة، البصرة، فاعتقل القاضي أبا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، ليغض منه، ويشفي أبا تمام الزيني الهاشمي، لأجل ما كان بينهما من المصاهرة، وعداوته لابن عبد الواحد، ولم يكن بين ابن عبد الواحد، والمهلي، شيء يخص به من عداوة.

فدخل أبو تمام إلى المهلي مسلماً، فلما خرج، قال المهلي لعلمانه: انظروا إلى أين بلغ؟ .

فعادوا، وقالوا: قد خرج من الدهليز، وانصرف.

فقال: أقبض على مثل ابن عبد الواحد، لا لشيء إلا لأجله، ويدخل إلي، وهو معتقل عندي، فلا يكون فيه من المروءة، ما يدخل إليه، ويعرض نفسه عليه، ويتكفل بأمره، ويسألني فيه، ويكون سبب إطلاقه، ويسترقه بذلك؟ قم يا أبا الحسن فخذ بيد ابن عبد الواحد إلى منزله، فقد أطلقته.

قال: فمضيت إلى ابن عبد الواحد، وهو في الحبس، فحدثته بما جرى، وجئت به إلى المهلي حتى شكره، وانصرف إلى منزله.

الوزير المهلي يفاضل بين ابن عبد الواحد والزيني

وحدثني، قال: سمعت أبا الحسين نصرويه، يقول: حضرت مجلس المهلي، وقد دخل إليه جعفر بن عبد الواحد، فلقيه بوجه مقطب، وقصر به، ثم جلس، وأخرج من كفه رقعة، فتأملت التناقل والتكره في وجهه، فقرأها، ووقع فيها، ثم أخرج أخرى، وأخرى، إلى أن عرض عليه عدة رقاع، فوقع، وكلما وقع في واحدة، انبسط وجهه في وجه ابن عبد الواحد، إلى أن تكاملت الرقاع.

ثم قام ابن عبد الواحد، ودخل أبو تمام الزيني، فرفعه المهلي، أتم رفعة، واهتش له، وأقبل عليه بوجهه، فأخرج رقعة فعرضها عليه، فوقع له، وأخرج عدة رقاع، وكان كلما أخرج رقعة، ووقع فيها، ظهر في وجهه الكراهية والتناقل، إلى أن فرغ من الرقاع. فأخذها أبو تمام، وقام.

فأقبل المهلب، وقال: يا أبا الحسين، شتان بين الرجلين، دخل إلي ابن عبد الواحد فعملت على أن أقصيه، بما عاملته من قلة الرفع والتقرب، فعرض علي أول رقعة، فاعتقدت قبل قراءتها أن أردّها، فلما قرأتها، وجدتها حاجة غيره، فاستحييت أن يكون أكرم مني، وقد بذل جاهه لمن سألّه سؤالي، مع ما يعلمه بما له عندي، فما منعه ذلك أن يستميح بجاهه للسائل، وأبخل أنا بما أقدر عليه، فيكون أكرم مني، فأنت من ذلك، ووقعت له، ثم توالى رقاؤه، فوجدت جميعها في حوائج الناس، ما له ولا لأحد ممن يخصه شيء منها، فوقع في جميعها، ونفسي سمحة بذلك، وقد نبل في عيني، وتذمت من رده. وقد دخل هذا، فعاملته من الأكرام بما رأيت، لما بيني وبينه، فعرض رقاؤه، فوجدت أولها في شيء يخصه، فوقع له، وكلما عرض رقعة تطلبت أن يكون فيها شيء لغيره، فأقضيه له، وأجعل له محمداً عليه، فما وجدت الجميع إلا له، وفيما يخصه، فكرهت ذلك منه، وانحط من عيني، ولم أستحسن رده، لما بيننا، فوقع له، فكيف يمكنني أن أرفع من هذا سبيله، وأضع من ذلك سبيله.

الغيبة فاكهة القراء

سمعت أبا إسحاق، يقول: سمعت جعفر الخلدی، يقول: سمعت الجنيد، يقول: سمعت السري السقطي، يقول: فاكهة القراء الغيبة.

سري السقطي يشتهي أكلة

وسمعت يقول: سمعت جعفر الخلدی، يقول: سمعت الجنيد، يقول: سمعت السري السقطي، يقول: أشتهي منذ ثلاثين سنة، شهوة ما قدرت عليها. فقيل له: ما هي؟ قال: أشتهي آكل أكلة، لا يكون فيها لله عز وجل علي تبعه، ولا لمخلوق، فما وجدت ذلك.

من مكارم أخلاق أبي عمر القاضي

وسمعت أبا إسحاق، يقول: سمعت بعض شهود الحضرة القدماء، يقول: كنت بحضرة أبي عمر القاضي، وجماعة من شهوده، وخلفائه الذين يأنس بهم، فأحضر ثوباً يمانياً، قيل له في ثمنه خمسون ديناراً، فاستحسنه كل من حضر المجلس.

فقال: يا غلام، هات القلانسي، فجاء.

فقال: اقطع جميع هذا الثوب، قلانس، واحمل إلى كل واحد من أصحابنا قلنسوة.

ثم التفت إلينا، وقال: إنكم استحسنتموه بجمعكم، ولو استحسنه واحد، لوهبت له، فلما اشتر كنتم في استحسانه، لم أجد طريقاً، إلا أن يحصل لكل واحد منكم، واحدة منها.

تعليق المهلي على كتاب القنائي الكاتب

حدثني أبو الحسين محمد بن محمد بن إسماعيل بن شاندن الواسطي، قال: كان أبو قرّة، الحسين بن محمد القنائي الكاتب، قد كتب لأبي علي كتاب ابن العباس الديلمي، المعروف بالكوسج، ضامن واسط، برسالة الوزير أبي محمد المهلي، ومشورته عليه بذلك، ثم استوحش منه، فاستتر منه، يومين، أو ثلاثة، وراسله، فأمنه، وظهر، فكتب أبو قرّة، إلى المهلي، بخبره، بعد ظهوره، بسبب استتاره، لئلا يهجن أخباره عند أبي علي.

قال: فوق بخطه على ظهر الكتاب، توقيعاً قرأته، فكان: أحسن الله إليك، كما أحسن توفيقك، فلتسكن نفسك، فإني عونك، ومن ورائك، إن شاء الله.

الوزير المهلي يستولي على غلات بالبصرة

دون رضى أصحابها

وحدثني أيضاً، قال: كان المهلي، في بعض الخداراته إلى البصرة، وهو وزير، أضاق، فأخذ غلة عظيمة، بعشرة آلاف دينار، لأبي علي، وجدها بالبصرة، وأخذ غلات التجار الخدورة من دستميسان، وواسط، وغلات خلق كثير، وباعها، وصرفها، في دخل وخرج المملكة. فأشير على أبي علي، بالإصعاد إلى سبكتكين الحاجب، ومسألته ليخبر معز الدولة بذلك، فيأمر بارتجاعها منه.

فخالف أبو علي، وانحدر إلى المهلي، فتلقاه بالأبلة. قال: فلما صعدت إليه، هش بي، وسر سروراً عظيماً، وقال: ما جاء بك؟ فقلت: بلغني أن الوزير أيدى الله، أخذ غلة وجدها لي بالبصرة، فسررت بذلك، لتقديري أنه شرفني بهذه الحال، وبسط يده في مالي، كما يبسطها في مال نفسه، وأوليائه، إذا احتاج إلى أموالهم، وتشرفت بذلك، إلى أن بلغني أنه أخذ مع مالي، أموال التجار، وأصحاب الضياع، وأصاغر الناس، من أهل دستميسان، وواسط، فأقلقني ذلك، وعلمت أن هذا، لو كان على سبيل الأنس، لخصني به سيدنا الوزير، ولم يشرك فيه معي، هذه الطبقة، التي لا يجوز مثله أن يأنس بها في قرض ولا استعانة، وإنما هم للمصادرات فقط، فخفت أن يكون جميل رأيه في، استحال، في تخليطي بهذه الطائفة، فجئت مستصلاً لرأيه، وواقفاً تحت أمره.

قال: فأعجبه قولي جداً، فقال لي: يا أبا علي، أنت والله مقبل، - وكررها مراراً - ، قبل أن تدخل بلحظة، حضرتني من قال: إنك قد أصعدت إلى الحاجب سبكتكين، لتشاكني إليه، فاعتقدت لك كل قبيح، وعملت على نصره فعلي، إن جرى فيه كلام، بكل ما يجوز أن ينصر به مثله، فأنا أفكر في ذلك، إذ استؤذن لك علي، فدخلت، فسحرتني، ووالله، لا خرجت من هذا الموضع، أو أوصلك إلى مالك، أو أكثره، وأقيم لك بالباقي وجوهاً ناضة.

وجذب الدواة، فكتب الوجوه، بما يعجل، ويسبب، وفرغ من ذلك، وأمر بإنشاء الكتب، وسبب لي بالباقي، على سباشي الخوارزمي، مولى معز الدولة، ضامن البصرة. فأخذته في مدة قريبة، وأصعدت إلى واسط.

وشديد عادة منتزعة

حدثني أبو بكر بن جعفر السواق، أحد تجار الكرخ ببغداد، المشهورين باليسار والستر، وحفظ القرآن، ووجه من وجوههم، قال: كان علي وعد بنقدة، لابن عبدان الصيرفي، وهذا رجل باق إلى الآن، من وجوه الصيارف، بلرب عون، من المياسير، فأخرت إنجازها، لضرورة لحقتني، ولم تكن عادي جارية معه بمثل ذلك. فجاءني يقتضي، وقال في عرض الخطاب: أقول لك يا أبا بكر، كما قال الله: وشديد عادة منتزعة. فقلت: إنا لله، إنا لله، ما قال الله عز وجل هذا. قال: فاستحيا مني، وقام، فما عاد إلي أياماً. فلما حضرت الدراهم، أنفذتها إليه.

صلاة التجار

وكان عندنا بالبصرة، رجل من التجار، مستور، يعرف بأبي علي بن سعدان، أحد الباعة في دار البطيخ، موسر، يركب، وينسبط في المجالس، وفي الكلام. فأخبرني أبو طلحة الأزدي، صاحب بني المثنى، شيخ مستور، قال: رأيته مرة، ونحن جلوس في دهليز جعفر بن عبد الواحد القاضي، ننتظر الإذن عليه، وقد حضرت العصر، فقام كل واحد منا، فصلى، وقام ابن سعدان، فصلى صلاة، لم أر قط أسخف منها. فقلت له: يا أبا علي، هذه ليست صلاة، فأحسن صلاتك، فإن هذه الصلاة، كما قال ابن المعتز: صلاتك بين الملا نقرة ... كما اختلس الجرعة الوالغ فقال لي: يا أبا طلحة، أعزك الله، هذا فضول لا نعرفه، نحن نصلي صلاة التجار. فقلت له: هذا أعجب، كأن الله عز وجل، فرض على التجار صلاة غير الصلاة التي فرضها على سائر عبادته؟ وتقام الشعر، لابن المعتز، مشهور، وكان النميري، نديمه، صلى بحضرته، صلاة سخيقة، ثم سجد بعدها، سجدة طويلة. فقال ابن المعتز، ارتجالاً، البيت الأول، وتمامه: وتسجد من بعدها سجدة ... كما ختم المزود الفارغ من بز يوماً بز به

حدثني محمد بن عدي بن زحر البصري، جارنا بها، قال: رأيت أبا إسحاق ياسين، وهو رجل كان ينزل بالقرب من الجامع بالبصرة، وقد حدث في آخر عمره، يناظر رجلاً في الجامع، وهو يقول له: قال النبي

صلى الله عليه وسلم:
من بز يوماً بز به ... والدهر لا يغتر به

القاضي ابن بهلول يوصي القاضي

التنوخي لما نصبه للقضاء

حدثني أبي، قال: كان أول شيء قلدته، القضاء بعسكر مكرم، وتستر، وجنديسابور والسوس، وأعمال ذلك، من قبل القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي. وكنت في السنة الثالثة والثلاثين من عمري، وذلك في شهور إحدى عشرة وثلاثمائة، لأن مولدي في ذي الحجة من سنة ثمان وسبعين ومائتين. فلما سلم إلي أبو جعفر العهد، أوصاني بتقوى الله عز وجل، وبأشياء من أمور العمل، وسياسته في الدنيا والدين، وبأمر جاريه، أتجزه من العامل هناك، لأنه كان مسبباً عليه، فودعته، ونهضت. فقال: اجلس، فقد أنسيت مهماً.

فجلست، فقال: إنك شاب، وفضلك تام، وعملك وافر، وإنك سترد على قوم فيهم شر، وسيحسدونك على فضلك، أو يطلبون معاييك، إذا حكمت عليهم بالحق، فلا يجدون طريقاً إلى الغض منك، إلا بنسبتك إلى الحدائنة، وقلت حنكتها، ولن تعد منهم ذلك، فإن صدقت حققوا ما يريدون، والكذب لا يجوز، فأباك أن تخبر بسنك على حقيقتها، ولكن إذا سئلت عنها، فقل: دون الأربعين سنة، فلو كانت عشرين، أو أقل، لكنت صادقاً، وفي فرعك إلى الأربعين ستر عليك، لأنها الأسد، وحد التكهل والحنكة، فإن بليت بمن يطول معك، فيقول: دون الأربعين بكم؟ فقل: لست أذكر، وانو أنك لست تخبر، ليقطع الخطاب، ويقع للسائل، أنك ناس حقيقة سنك.

قال: فخرجت، واتفق أن شعرة واحدة، ابيضت في لحيتي، في مسافة الطريق، فلما دخلت الأهواز، عملت لإخراجها بالمشط، إلى حيث يلحقها النظر، تجملاً بها.

واستقبلني محمد بن جعفر بن معدان الشاهد، وكان يخلف أبا جعفر، على الوقوف، وقد كاتبه يعظامي، وتلقي، فجاءني بمركوب إلى الشط، وركبته إلى دار اتخذت لي، وكان يعشاني في كل يوم. فلما أردت الخروج إلى عملي، قال لي: قد هالني ما رأيته من فضل القاضي أيده الله، فكم سنوه؟ فذكرت، وصية أبي جعفر، فقلت: دون الأربعين سنة.

فقال: دونها بكم؟ فقلت: لست أذكر.

فلم يشك أي ناس لتحققها، فأمسك عني.

وهذا ضد ما نشاهده الآن، فإني قد رأيت ببغداد، قاضيين، هاشميين خطيين، شاهدين، أحدهما أجل وأنبه، وإليهما أعمال جليلة، وأحدهما قد تقلد من جهة الخليفة جلائل الأعمال، ووهل نفسه، لقضاء القضاة، وخطب ذلك فما تم له، وهما يخضبان لحيتهما، ظاهراً، بالسواد، وأحدهما ترك ذلك، قبل موته بسنين، وهو

الأدون محلاً، والآخر باق مقيم على الخضاب، إلى الآن، ونسأل الله سترًا جميلاً، فإن الخضاب، وإن كانت فيه روايات، فإنما يعذر فيه الجند، والكتاب، ومن لا يتصدى للحكم والشهادة، فأما من نصب نفسه، فلا عذر له فيه.

ابن شاهويه القاضي يبحث في قضية شرعية

حدثني أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر، الفقيه المعروف، بابن السماك، السيراقي، قال: كنت بحضرة أبي بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه، القاضي بأرجان، فتقدم إليه نفسان، ادعى أحدهما على الآخر ألف درهم.

فسأله: فأنكر.

فقال للمدعي: لك بينة؟ فقال: لا، ولكن استحلفه لي.

فقال للمدعي عليه: أتخلف؟ قال: قد كان قدمني إلى القاضي الذي كان قبلك، واستحلفني له، على هذه الدراهم.

فقال للمدعي: ما تقول؟ فقال: نعم، قد كان حلف لي كاذباً.

فقال: انصرف، فلا مطالبة لك عليه.

فانصرفا.

ثم التفت إلي، وإلى أبي الوعد الفقيه على مذهبننا، يعني مذهب أبي حنيفة، وجماعة من الفقهاء كانوا قعوداً، والجماعة حفيون، فقال: رأيتم إن ادعى هذا المدعي الألف، إنه قد حلف المدعي عليه، وإني ما حلفته، وأردنا أن نعرض اليمين عليه، فذكر أنه قد حلف على هذا المعنى، ولم يزل ذلك يتردد بينهما، في دعوى كل واحد على صاحبه، كيف نفصل الحكم بينهما؟ قال: ففكرنا جميعاً ساعة، ثم جرى خوض لم يتقرر له معنى، ولم يتضح لنا وجه الفتوى.

فقلت له: إن رأى القاضي، أن يذكر ما عنده.

فقال: حكى لنا القاضي أبو طاهر الدباس، عن أبي خازم القاضي، في هذه المسألة بعينها إنه قال: للحاكم أن يستحلف الذي ادعيت عليه الألف في الابتداء، إن هذا المدعي عليك الألف درهم، لم يستحلفك عليها عند حاكم آخر.

الدليل على تحليل نبيذ التمر

سئل بعض غلمان أبي الحسن الكرخي، عن الدليل على تحليل النبيذ التمري المعمول بالدادي، الشديد، المسكر، فقال: قد وجدنا، أن الله تعالى، لما وعدنا بالجنة، ووصفها لنا، أباح لنا في الدنيا من جنس ما وعدنا به، وحلل لنا تناولها، لنعرف بذلك فضل ما وعدنا به في الجنة، ودوام ذلك، وانقطاع هذا. فلما وعدنا بالخمير في الجنة، وقد حرمها علينا في الدنيا، ولا طريق إلى علم فضلها، لنحرص على الأعمال

التي توجب دخول الجنة، وشربها فيها، فوجب أن يبيح لنا في الدنيا، شيئاً من جنسها هكذا، نستدل به على طيبها، فكان النبيذ.

دليل آخر على تحليل النبيذ

وكان قد سئل عن مثل هذا مرة أخرى، فقال: إن الله تعالى، خلق المشور الذي ليس بخيري، والله لا يخلق ما لا فائدة فيه، وليس فيما عدا الخيري من المشور فائدة، إلا أن يشرب عليه النبيذ. وكان يخرج هذا القول، مخرج الجد، لمن يستضعفه، ومخرج الهزل، مع أهل العلم.

الجائي وتحليل النبيذ

وأصحاب الحديث، والحفاظ، يقولون: إنه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث في تحريم النبيذ، ولا في تحليله. فذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجائي، في مسألة أملاها في تحليل النبيذ، مشهورة، إلى أن الأصل في الأشياء، أنها على الإباحة، إلى أن يثبت حظرها. فلما كان العقل، لا يدل على تحريم النبيذ، ولم يقطع العذر عن تحريمه، وجب أن يكون على الأصل من الإباحة.

ثم نصر ذلك، بأشياء أوردها، واعترض أدلة المحرمين له، وبين فسادها، وأورد زيادات على نفسه، وانفصل عنها بما يطول شرحه، ويخرج عما نحن فيه، إن أوردناه.

الوزير المهلي ينظر بعض دعاة الفتنة ببغداد

حضرت مجلس أبي محمد المهلي، وكانت العامة ببغداد، قد هاجت في أيام وزارته، وعظمت الفتنة، وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين، وجعلهم في زوارق مطبقة، وحملهم إلى بيروذ، وحبسهم هناك. فاستهانوا بالقصة، وكشف أمرهم، وكثر كلام القصاص في الجوامع، ورؤساء الصوفية، فخاف من تجديد الفتنة، فقبض على خلق منهم، وحبسهم، وأحضر أبا السائب، قاضي القضاة إذ ذاك، وجماعة من القضاة، والشهود، والفقهاء، وكن فيهم، لمناظرهم، وأصحاب الشرط، لنأمن مضرتهم، إذا قامت الحجج عليهم. فاتفق أن بدىء برجل من رؤساء الصوفية، يعرف بأبي إسحاق بن ثابت، ينزل بباب الشام، أحد الربانيين، عند أصحابه، فقال له: بلغني أنك تقول في دعائك: " يا واحدي بالتحقيق، يا جاري اللصيق "، فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف بأنه لصيق على الحقيقة، فهو كافر، لأن الملاصقة من صفات الأجسام، ومن جعل الله جسماً كافر، فمن يكون محله في العلم هذا، يتكلم على الناس؟ وقل لي: ما معنى ما بلغني عنك، أنك تقول في جملة كلامك: " أخذتني مني، ولم تبقي علي، فما أنا بلا أنا " .

حصلنا على أنكم تَهذوا، وتوهّموا الناس، على أنكم ربّانيين، وتستدعونهم، بالجهالات، إلى الضلالات، وتفتنون حضرة السلطان عليه.

السياط يا غلام.

فلم يزل يسأل في أمره، حتى كف عنه، وكتب عليه أن لا يتكلم على الناس، ولا يحلق حلقة.

لماذا كنى نفسه أبا البيان

كان يحيى - بالبصرة - إلى معلمي، معلم يكنى أبا الحسن، وكنى نفسه، أبا البيان. فسمعت معلمي يعاتبه على ذلك، ويقول: يا هذا، غيرت كنيّتك، وهي مقبولة، وكنية أمير المؤمنين. فقال له: يا أبا جعفر، كم رأيت في عمرك من كنيته أبو الحسن؟ قال: لا أحصي. قال: فهل رأيت أبا البيان غيري؟ قال: لا. قال: خذ بيدك، هذه واحدة من فضائلها، ومن ذلك أني أشتهر بها، ولا أشارك فيها. ومن فضائلها: أن تسقط عني التلقيب، وأن يشتغل الناس بها، عما سوى ذلك من عيوي.

طريقة أبي البيان المؤدّب في التدريس

ورأيت يوماً عند معلمي، في مكنتي، وقد حضر وقتاً كان فيه المعلم يأخذ علينا الشعر، وكانت عادته أن يقيم الصبيان صفّاً، فيطالبهم بإنشاد القصيدة. فأقامهم في تلك العشيّة، وقد حضر أبو البيان، فقال له: يا أبا جعفر، ما هذا التفريط؟ قال: وكيف؟ قال: إن لي عادة في سياسة الصبيان، لا أرخص لهم فيها، إن سألتني علمتك إياها. فقال: افعل.

قال: تقدم إلى صبيانك، أن يمتثلوا أمري، لأريك ذلك. فقال لهم أبو جعفر: انظروا ما يأمركم به أبو البيان، فافعلوه. فأقبل عليهم يخاطبهم في كلامه، فقال: لكم أقول أيها الصبيان، ولمن يجاوركم من الغلمان، إلى حدود الأحداث والفتيان، اسمعوا وعوا، فمن خالف بعد البرهان، أنزلت به غليظ الامتحان، تراصوا في صفوفكم، والزقوا أقدامكم، وأقيموا ألواحكم، وأقبلوا عليّ بأحظكم، وأحضروا فيما تنشدون قلوبكم، وارفعوا أصواتكم، وقولوا قول صبي واحد: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وصاح بالشعر مطرباً.

فما ملك الصبيان الضحك، وضحك معلمي معهم. فقال: يا أبا جعفر، التراب والجندل بفيك وعلى رأسك، والويل والويلح محيطان بك، أتطمع أن تعلمهم بهذه الهيبة؟ حفت بك اللعنة والخبية، أسبابك أفسدت، أمن قدرتي بضحكك وضعت؟ أم سترك عند هؤلاء

الأنكاد هتكت؟ أشهد الله، لا أكلمك، أو تعتذر.
وأخذ أبو جعفر، يداريه، ويعتذر إليه، حتى رضي لوقته.
وكان يقول الشعر، وينشده أبا جعفر دائماً، وما حفظت منه شيئاً.
ولولا أن هذه الألفاظ، تعاودناها في المكتب ونحن صبيان، لم تعلق بحفظي، فلما ترعرعت، كتبتها في موضع،
وأنسيتها، ثم نقلتها منه، إلى هذا الموضع، وبقيت عندي إلى الآن.

مؤدب يتشائم مع التلاميذ

وسمعت، وأنا في الكتاب، أنه جاء إلى معلمي، فأسلم إليه ابنه، فقال له: لم نقلته من عند المعلم الأول؟ قال:
لأنني جرت به يوماً، والصبيان يتشائمون، وهو لا يمنعهم بأكثر من أن يقول: قيدوا ألفاظكم، أخرى الله
حرما تكم، لا تتشائموا يا بني البطر.

وإذا هو، ليس بمنعهم من سوء الأدب، ويدخل في جملة المتشائمين، فنقلته.

رقية للمرأة كي لا تسقط حملها

حدثني عبد الله بن عمر بن الحارث، قال: كان أبي يكتب آي الرقي، على أصل وقع إليه في ذلك.
وكان مما يكتبه رقية للمرأة، إذا خافت أن تسقط ولدها، وتعلق في وسطها، فلا تسقط.
قال: وجربنا عليه ذلك، على طول السنين، فلم يخطيء.
يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم " إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا " ، الآية، " وما قدروا الله
حق قدره " ، الآية " ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله " ، إلى آخر
السورة، " ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة " ، الآية.

رقية لإعادة الآبق

قال: وكان يكتب رقية الآبق، ما رأيتهما أخلفت، وهي أن تأخذ رقاً فتكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، "
وذا النون إذ ذهب مغاضباً، فظن أن لن نقدر عليه " ، إلى: " ننجي المؤمنين " ، " أو كظلمات في بحر لجي،
يغشاه موج " ، إلى آخر قوله تعالى: " فما له من نور " ، " فساهم فكان من المدحضين، فالتقمه الحوت وهو
مليم " ، أدركه آيات الله، يردده رب السموات والأرض، فاجعل ما بينهما أضيق على فلان - يعني الآبق
- من مسك حمل، حتى تمكن منه، فإنه من فضلك وعطائك.
ويدفن الرق في عتبة باب.

رقية لإمساك الرعاف

قال: وكان يكتب للرعايف، في ورقة، ويعلقه على جبهة المرعوف: بسم الله الرحمن الرحيم، " وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي " إلى قوله تعالى: " للقوم الظالمين " . " وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولوا على أدبارهم نفورا " .

رقية للخراج

وكان يكتب للخراج على ورقة سلق، وتوضع على الخراج: " ما أصابك من حسنة فمن الله ... " الآية.

القطيعي الطيب وذكأؤه ومكارم أخلاقه

حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي محمد الصلحي الكاتب، قال: رأيت بمصر طبيباً كان بها، مشهوراً، يعرف بالقطيعي، وكان يقال: إنه كان يكسب في كل شهر ألف دينار، من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر، ومن السلطان، ومما يأخذ من العامة.

قال: وكان له دار، قد جعلها شبيه البيمارستان، من جملة داره، يأوي إليها ضعفاء الأكلة، يعالجهم، ويقوم بأودهم، وأدويتهم، وأغذيتهم، وخدمتهم، وينفق أكثر كسبه في ذلك.

قال أبو الحسن: فأسكت بعض فتيان الرؤساء بمصر - وأسماء لي، فذهب عني اسمه - وكنت هناك، فحمل إليه أهل الطب، وفيهم القطيعي، فأجمعوا على موته، إلا القطيعي.

وعمل أهله على غسله، ودفنه.

فقال القطيعي: دعوني أعالجه، فإن برىء، وإلا ليس يلحقه أكثر من الموت، الذي قد أجمع عليه هؤلاء.

فخلاه أهله معه.

فقال: هاتم غلاماً جليداً، ومقارع، فأتي بذلك.

فأمر به فمدد، فضربه عشر مقارع، من أشد الضرب، ثم مس مجسه، وضربه عشرأ أخرى شديدة، ثم مس مجسه، وضربه عشرأ أخرى. ثم مس مجسه، فقال للطب: أياكون للميت، نبض يضرب؟ فقالوا: لا.

قال: فجسوا.

فجسوه، فقالوا: قد زاد نبضه.

فضربه عشرأ أخرى، فقوي النبض.

فضربه عشرأ أخرى، فتحرك الميت.

فضربه عشرأ أخرى، فصاح.

فقطع عنه الضرب، فجلس العليل يجس بدنه، ويتأوه، وقد ثابت قوته إليه.

فقال: ما تجد؟ فقال: أنا جائع.

فقال: أطعموه الساعة.

فجاءوه بما أكل، ورجعت قوته، وقمنا، وقد برىء.

فقال له الطب: من أين لك هذا؟ قال: كنت مسافراً في قافلة فيهم أعراب يخفروننا، فسقط منهم فارس عن فرسه، فأسكت، فقالوا: قد مات، فعمد شيخ منهم، فضربه ضرباً عظيماً كثيراً، وما رفع الضرب عنه، حتى أفاق، فعلمت أن الضرب، جلب إليه حرارة أزالته سكتته.

فقست عليه أمر هذا العليل.

مهاترة بين رجلين من الخاصة

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد الأزدي، قال: حدثني أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب، قال: كنت، وأنا حدث، أوقع بين يدي، أبي محمد دلويه، وهو، إذ ذاك، يكتب للمؤمن سلامة - أخي نجح الطولوني - حاجب القاهرة.

فجاءه يوماً أبو علي الحسين بن القاسم بن عبيد الله، وأبو جعفر الكرخي مسلمين، فحبسهما للأنس، وأجلست في دست، في صدر قبة كانت له، وجلس دونهما على مطرح، وفرش في بيت إلى جانب القبة، له باب إليها، واجلس فيه ابنه، وأجلسني معه، وكأنه رفع الرجلين عن معاشرتهما لنا، ونحن أحداث، وأراد بذلك سماع كلامهما، والأنس بسماع الغناء.

وكان إلى جانب القبة، بيت آخر، فأجلس الغناء فيه، ومدت ستارة على بابه.

وأخذوا في الشراب، ونحن نسمع الغناء، وما يجري من كلامهم، ولا نرفع أصواتنا بالكلام، لئلا يسمعوا ذلك.

فلما توسطوا الشراب، أحضر باكورة، فقبلها، ثم أقبل عليهما، وقال: الإنصاف أن أقسمها أثلاثاً، ولكني قد وفرت قسمي عليكما يا سيدي، فاققسماها أنتما.

فأخذها الحسين بن القاسم، فقال: يا سيدي، يا أبا جعفر، هذه تحب أن آخذ أنا ثلثيها، وأعطيك ثلثيها؟ فقال الكرخي: فعلام يا سيدي؟ فقال: لأنك، أنت وأخوك، ولدتما توأماً، فأنت نصف توأم، وأنا تام لأيي ولدت وحدي، ولو كان أخوك حاضراً، لكان لي ولك وله أثلاثاً، ومع غيبتك، فأنت لا تستحق أكثر من الثلث.

فقال له أبو جعفر: ما أعجب هذا، أنت رجل كان جلك نصرانياً، يعتقد أن الله ثالث ثلاثة، ونشأ أبوك فصار ثوياً، وترك مرتبة، ونشأت أنت فكان القياس أن تترك مرتبة واحدة أخرى، ولكنك تركت مرتبتين، فنشأت ملحداً، لا تعتقد شيئاً أصلاً، ولم نعيرك بذلك، تعيرنا أنت بالتوأم، ولا ذنب لنا فيه، وما هو عار على الحقيقة.

فغضب الحسين بن القاسم، وابتلر ليحجب.

فقام دلويه، وقال: الطلاق ثلاثاً، لازم لي، وكل ما أملكه صدقة، إن أجبت يا سيدي بشيء، ولا تكلمت أنت يا سيدي، يا أبا جعفر بشيء، فإن هذا يخرج الآن عن المزاح إلى العريضة، والأحقاد، والوحشة التي تبقى، وقلركما يرتفع عن هذا.

قال: فسكتا ساعة واجمين، ولم يزل أبو محمد، يداريهما، ويبسطهما، ويستعطف كل واحد منهما لصاحبه، حتى اصطلحا.

ابن سكرة الهاشمي يهجو

القاضي ابن أبي الشوارب

أنشدني محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي، وهو من ولد عبد الله بن علي بن المهدي، المعروف بابن ريطة، غلب عليه اسم أمه، كما غلب على إبراهيم بن المهدي، اسم أمه شكلة، يهجو أبا العباس بن أبي الشوارب، وهو من ولد خالد بن أسيد الأموي، أخي عباد بن أسيد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، لما تقلد قضاء القضاة، وكانت العامة تلقبه بحدندل:

خلعت على حدندل من مديحي ... قميصاً لا اكتسى رجل كساه
على نفسي دعوت لأن جهلي ... دعاني أن شرهت إلى نداه
وكيف رجوت جوداً من عدوي ... ولم أغسل حسامي من دماه

من مختار شعر أبي فراس

لأبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون العدوي التغلبي، قصيدة أولها:
وقوفك في الديار عليك عار ... وقد رد الشباب المستعار
ويقول فيها:

وطال الليل بي ولرب دهر ... نعمت به لياليه قصار
وندماي السريع إلى ندائي ... على عجل وأقداحي الكبار
عشقت بها عواري الليالي ... أحق الخيل بالركض المعار
إذا انحسر الظلام امتد آل ... كأنا دره وهو البحار
يموج على النواظر فهو ماء ... ويلفح بالهواجر فهو نار
فكم بلد شتتاهن فيه ... ضحى وعلى منابره المغار
وكن إذا أغرن على ديار ... رجعن ومن طرائدها الدمار
وكم ملك نزعنا الملك منه ... وجبار بها دمه جبار
وله قصيدة أولها:

عذيري من طوالع في عذاري

يقول فيها:

أرى نفسي تطالني بأمر ... قليل دون غايته اصطباري

وما يغنيك من همم طوال ... إذا قرنت بأحوال قصار
وقيل لي انتظر زمناً ومن لي ... بأن الموت ينتظر انتظاري

للشاعر البيغاء يصف شراباً

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي، المعروف بالبيغاء، الكاتب، لنفسه، يصف شراباً في قدح
أبيض، أبياتاً ثابتة في ديوانه، اختصرت منها قوله:
بالقفص للقفص منزل كتب ... ما للتصابي في غيره أرب

دارت نجوم الكؤوس في فلك ... منه له من فتوي قطب
من كل جسم كأنه عرض ... يكاد لطفاً باللحظ ينتهب
نور وإن لم يغب ووههم ولو ص ... ح وماء لو كان ينسكب
لا عيب فيه سوى إذاعته الس ... ر الذي في حشاه يحتجب
كأنما صاغه النفاق فما ... يخلص منه صدق ولا كذب
فهو إلى لون ما يجاوره ... على اختلاف الطباع ينتسب
إذا ادعاه اللجين أكذبه ... بالراح في صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حالية ... فيه علينا الأدوار والنخب
فالراح بدر والجام هالته ... والأفق كفي والأنجم الحب

زمان الهوى ألد زمان

وأنشدني لنفسه مقطوعة:
فليالي الصبا أسر ليال ... وزمان الهوى ألد زمان
وأسر البلاد ما حمد السا ... كن فيها خلائق الجيران

مريض بالاستسقاء تشفيه أكلة جراد

حدثني بعض المتطببين، قال: حدثنا أبو منصور بن مارية، كاتب أبي مقاتل، صالح بن مرداس الكلبي،
صاحب حلب، وكان أبو منصور من رؤساء أهل الصراة، الذين يضرب بهم المثل، في كل فن، وكان أديباً،
وقد شاهدته، ولم أسمع منه هذه الحكاية، قال: أخبرني أحد شيوخنا، قال: كان بعض أهلنا قد استسقى،
وأيس من الحياة، فحمل إلى بغداد، فشور الطّب فيه، فوصفوا له أدوية كثيرة، فعرفوا أنه قد تناولها
بأسرها، فلم تنجع، فأيسوا منه، وقالوا: لا حيلة لنا في برئه، وهذا تالف.

فسمع العليل ذلك، فقال لمن كان معه: دعوني الآن أتروء من الدنيا، وآكل ما أشتهي، ولا تقتلونني بالحمية قبل أجلي.

فقالوا: كل ما تريد.

فكان يجلس على دكان باب الدار التي نزلها ببغداد، فمهما رآه يجتاز على الطريق، اشتراه، وأكله. فمر به رجل يبيع الجراد مطبوخاً، فأجلسه، واشترى منه عشرة أرطال، وأكلها بأسرها. فلما كان بعد ساعة من أكله، انحل طبعه، وتواتر قيامه، حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلثمائة مجلس، وضعف، وأيس منه.

ثم انقطع القيام، وقد زال كل ما كلن في جوفه، وأنابت إليه قوته، وبرأ. فخرج برجليه، في اليوم الخامس، يتصرف في حوائجه، فرآه أحد الطب، وعجب من أمره، وسأله عن الخبر، فعرفه.

فقال: ليس من شأن الجراد، أن يفعل هذا الفعل، ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعله، خاصية، فأحب أن تدلني على بائع الجراد.

قال: فما زالوا في طلبه، حتى اجتاز بالباب، دفعة ثانية، ورآه الطبيب، فقال: ممن اشتريت هذا الجراد؟ فقال: ما اشتريته، أنا أصيده، وأجمع منه شيئاً كثيراً، وأطبخه على الأيام، وأبيعه.

فقال: من أين تصطاده؟ قال: فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد.

فقال له الطبيب: أعطيك دنانير، وتدع شغلك، وتجيء معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد. قال: نعم.

فخرجوا، وعاد الطبيب من غد، ومعه من الجراد شيء، وحشيشة.

قالوا له: ما هذا؟ فقال: صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل، يرعى في صحراء جميع نابتها حشيشة يقال لها: مازريون، وهي من دواء الاستسقاء، وإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم، أسهله إسهالاً يزيل الاستسقاء، ولكن لا يؤمن أن ينضبط، ولا يقف، فيقتله بالنرب، فالعلاج بها خطر جداً، وهي مذكورة في الكتب، ولفرط غرورها، لا يكاد أن يصفها الطب، فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة، وأنضجتها معدته، ثم طبخ الجراد، فضعف فعلها، بطبخين اجتماعاً عليها، وقصر، وتناولها هذا، وقد تعدلت بمقدار ما أبرأته، ولم تدفع طبعه دفعاً لا يقطع، فبرأ.

مريض بالاستسقاء يبرأ بعد أن طعم لحم أفعى

حدثنا محمد بن أحمد بن طوطو الواسطي، أبو الحسين، قال: سمعت أبا علي عمر بن يحيى العلوي الكوفي، يقول: كنت في بعض حججي، في طريق مكة، فاستسقى رجل كان معنا، من أهل الكوفة، وثقل في علته. وسل الأعراب قطاراً من القافلة، وكان العليل على جمل منه، فلما افتقد، جرعنا عليه، وعلى القطار، وكنا راجعين إلى الكوفة.

فلما كان بعد مدة، جاءنا العليل إلى الكوفة، معاف.

فسألته عن قصته، وسبب عافيته، فقال: إن الأعراب، لما سلوا القطار ساقوه إلى خيمهم، وكانت قريبة من الحجة، على فراسخ يسيرة، فأنزلوني، ورأوا صورتي، فطرحوني في آخر بيوت الحي، وتقاسموا ما كان في القطار.

وكنيت أزحف، وأتصدق بين البيوت ما آكله، فأطعمهم، فتمنيت الموت، وسهل علي، وكنيت أدعو الله تعالى، به.

فرأيتهم يوماً، وقد عادوا من ركوبهم، فأخرجوا أفاعي قد اصطادوها، وقطعوا رؤوسها وأذناها، واشتروها، وأكلوا.

فقلت: هؤلاء يأكلون هذه الأفاعي، ولا تضرهم للعادة التي تربوا عليها، ولعلي أنا، إن أكلت شيئاً منها، تلفت، فأستريح مما أنا فيه.

فقلت لبعضهم: أطعمني من هذه الحيات، فرمى إلي بواحدة، فيها أرطال، مشوية، فأكلتها بأسرها، وأمعت، طلباً للموت، فأخذني نوم عظيم، وانتهت، وقد عرقت عرقاً عظيماً، واندفعت طبعتي، فقممت في بقية يومي وليلتي، أكثر من مائتي مجلس، إلى أن سقطت طريحاً، والطبع يجري، فقلت: هذا طريقي إلى الموت، فأقبلت أتشهد، وأدعو بالمغفرة.

فلما أضاء الصبح، تأملت بطني، وإذا هي قد ضمرت جداً، وزال عنها ما كان بها، فقلت: أيش ينفعني هذا، وأنا ميت؟ فلما أضحى النهار، انقطع القيام، ووجبت الظهر، فلم أحس بقيام، وجعت، فجئت لأزحف على العادة، فوجدت نفسي خفيفاً، وقوتي صالحة، فتحاملت، وقمت، ومشيت، وطلبت منهم مأكولاً، فأطعموني، فقويت، فبت تلك الليلة الثانية معافى، ما أنكرت شيئاً من أمري.

فأقمت أياماً، إلى أن وثقت من نفسي، بأني إن مشيت نجوت، فأخذت الطريق مع بعضهم، إلى أن صرت على الحجة، ثم سلكتها منزلاً، منزلاً، إلى الكوفة مشياً.

ابن نصرويه يميز شاعراً مدحه بثلاثة دراهم

حدثني أبو أحمد الفضل بن محمد، ابن بنت الفضل بن سلامة البصري، قال: كنت عند أبي الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه فدخل إليه شاعر غريب، ورد إلى البصرة، يعرف بالمطرف الحميري، فامتدحه بقصيدة حسنة، فأمر غلامه أن يعطيه عطية، ساره بها، فلما قام الشاعر معه، أعطاه إياها، فإذا بالشاعر، قد رجع من الدهليز، فرمى بالقرطاس، في حجر ابن نصرويه، فكان فيه ثلاثة دراهم، ثم استخف به، بكلام قبيح، وأنشده ثلاثة أبيات هجاء له باسمه، ونسبه، طيبة، ارتجلها، وردده، وترضاه، وابذل له عني مائة درهم، وأن لا يعيد في هجائي شيئاً.

فتبعته، وسعيت على أثره، حتى لحقته، وما زلت أداريه، إلى أن بذلت له المائة درهم، فقال:

لا ألبس النعماء من رجل ... ألبسته عاراً على الدهر
وانصرف، فلا أدري، الشعر له، أو لغيره.

بحث في شكوى الزمان

وحدث أبو العباس الحسين بن علي بن الفضل بن سليمان الواسطي، قال: كنت جالساً ببغداد، في سنة ثمان عشرة، عند صديق لي بباب الطاق، فتشاكينا الهم والغم، وفساد الزمان، إذ ذاك، ولو كان لنا ذاك الفساد الآن، لكان غاية الصلاح.

فقال لي: يا أبا العباس، هون عليك، فلو وقف الإنسان في هذه السوق العظيمة، وأشار بيده إلى باب الطاق، وصاح: يا مكروب، لما بقي فيها أحد، إلا قال له: ليك.

توقيع للقاضي ابن معروف

لما تقلد الطائع لله، أمير المؤمنين، الخلافة، طالب القاضي أبا محمد، عبيد الله بن أحمد بن معروف، أن يتولى له الوزارة، فامتنع عليه من ذلك، وبذل له أن يتدبر أمره، ويقوم له بترتيب الأمور إلى أن يستكتب من يراه. فكان يحضر دائماً، ويعينه بنفسه، ويدبر الأمور، وربما لم يكن في الدار كاتب، فيوقع بخطه في الأمور. وأما أول يوم، فكان نظر الوزراء، فمن ذلك، أنه وقع بتوقيع نسخته: ليكتب للحسين بن موسى الهاشمي، من الحضرة بالمظالم، وتسيير الحجيج أيام المواسم، ونقابة الطالبين من بني هاشم. وكتب عبيد الله بن أحمد في يوم كذا من شهور كذا.

كتاب كتبه أبو إسحاق الصابي

قرأت كتاباً كتبه أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، الكاتب، في جمادى الأولى سنة خمس وستين وثلاثمائة عن ابن بقية، وهو إذ ذاك وزير إلى أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة، وهو بحلوان متقلداً لها ولطريق خراسان، وقد أنزل عياله في دار أبيالعلاء صاعد ببغداد، يسأله تفرغها، وخط أبو إسحاق نسخته، نقلتها من خطه:

كتابي أطال الله بقاء سيدي الأمير، وأدام تأييده ونعمته، يوم كذا، عن سلامة، وسيدي الأمير، أدام الله عزه، يعرف مذهبي في رعاية الحقوق التي تضعف أسبابها، ويصغر أصحابها، فما عنده فيما تناهى عندي، يزيد تأكيداً ووجوباً، وتقدماً وتمهيداً، وما منزلة أبي العللاء صاعد بن ثابت، عندي، تخفى على سيدي الأمير أدام الله عزه، فأذكرها، وهو بضعة مني لا تتميز، وكالحمة التي لا تنفصل، وليس ما تحدثه أحوال الزمان والتصرف، من شوائب تشوب، وتوائب تنوب، مغيراً للأصول، ولا قادحاً في الاعتقاد، وما كانت صورته في الوحشة التي لحقته، وأخلت منه داره، موجبة للرخصة في أن تنزل، ولو رام ذلك منها غير سيدي الأمير أدام الله عزه، لعز عليه أن يناله، وإنما سمحت له بذلك، لقتي بطاعته لي، وعلمه بأن ذلك المنزل منزلي، وأنني أعيره وأسترده، وأتصرف فيه تصرف من يملكه، وقد قبح بي أن يكون أبو العللاء، مع أوامر الوكيدة، وملازمته لي المتصلة، ممنوعاً منه، وأسبابه منتقلين عنه، وتردد مني في ذلك، مراسلات ومكاتبات، أحمدت نتائجها، الحكاية عن الحرة - يعني امرأة حمدان - أيدها الله، في التذمم، ومعرفة الحق، وإيثار الانتقال، وأنكرت أن يقف الأمر مع هذه الحال، فالأعراض كثيرة مبذولة، وأنا أسأل سيدي الأمير أيده

الله، أن يوجب ما أوجبت، ويعرف ما عرفت، ويراعيني أولاً، ثم حقوق أبي العلاء ثانياً، ويكتب إلى من ينوب عنه، بقبول ما يعرضه، والانتقال إليه، ويسلم الدار، فلو كانت له، لاستنزلته - والعياذ بالله - عن ملكها، ولم أقنع بخروجها عن اليد، فكيف إذاً، وهي مستعارة، والحكم فيها الرد، وسيدي الأمير ولي ما يراه في هذا الأمر الخاص بي، وحاشاي أن أعيد فيه قولاً أو كتاباً، أو أتجشم من أجله قصداً أو إعادة، فقد أنفذت بكتابي هذا، قاصداً يوصله أبو الفتح قرّة بن دنحاً، في معناه، ما يعرفه الأمير من جهته إن شاء الله. ونسخة التوقيع بخط الوزير: أنا راغب إلى الأمير، أدام الله عزه، في هبة هذه الدار لي، ولا أقول أكثر من هذا، والسلام.

أبو العلاء صاعد يفتخر

حدثني أبو العلاء صاعد بن ثابت، قال: لما كثر دخولي إلى الملك عضد الدولة، ببغداد، سنة أربع وستين وثلاثمائة، وكان إذا رأي، يقول لي سائلاً: يا أبا العلاء، ما أنحل جسمك؟ فلما كثر ذلك علي، عملت أبياتاً، وأنشدته إياها، وهي:

يقول ملك الأرض جسمك ناحل ... على ذاك عرضي والثناء جميل
وأحسن ما في الهندواني أنه ... نحيف رقيق الشفرتين صقيل
فإن أك معروف العظام فإنني ... فهو بأعباء الأمور حمول
أقوم أغصان الخطوب إذا التوت ... برفقي ومثلي في الكفاة قليل
أرى الملك المنصور أنكر مضربي ... وأي حسام ليس فيه فلول
وكم لك عندي من يد وصنيعة ... أقصر عن شكري لها فتطول
ومن لقطة تسري إلي ونظرة ... عليها من الرأي الجميل دليل
إذا صح لي من حسن رأيك لحة ... فليس لمقدور إلي سبيل

كظم الغيظ من مكارم الأخلاق

حدثني إبراهيم بن عيسى بن نصر السوسي، النصراني، الكاتب، قال: قال أبي: قام في نفسي حقد على رجل، لقبّح عاملني به، أربعين سنة، ما كافأته عليه إلى أن مات.

الأمير سيف الدولة يصفح عن أحد أتباعه

ويعيد إليه نعمته

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن معروف، أخو قاضي القضاة، أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، قال: كنت بمصر، وكان بها رجل يعرف بالناظري، من تناء حلب، وقد قبض سيف الدولة ضيعته،

وصادره، فهرب منه إلى كافور الإخشيدي، فأجرى عليه جناية في كل شهر، سائغة، كما كان يجري على جميع من يقصده، من الجرايات التي سماها: الراتب، وكان مالا عظيماً، مقدارَه في كل شهر خمسون ألف دينار، لأرباب النعم، وأجناس الناس، وليس فيها لأحد من الجيش ولا من الحاشية، ولا من المتصرفين في الأعمال شيء.

قال: فجرى ذكر هذا الناظري، بحضرة كافور، وقيل إنه بغاء، وكثرت الحكايات عنه بحضرته، فأمر بقطع جرابته.

فرفع إليه، يشكو انقطاع المادة، ويسأل التوقيع، بإجرائه على رسمه، فأمر، فوقع على ظهر الرقعة: قد صح عندنا أنك رجل تصرف ما نجريه عليك، فيما يكره الله عز وجل، من فساد نفسك، وما نرى أن نعينك على ذلك، فالحق بحيث شئت، فلا خير لك عندنا.

قال: وخرج التوقيع إلى الرجل، فأعضل به، فعمل محضراً، وأخذ فيه خطوط خلق كثير، ممن يعرفه بالستر، وأنه ما عرف قط ببغاء، ولا صحبة الأحداث، وجعله طي رقعة إلى الأستاذ كافور، يحلف فيها بالطلاق والعناق، والأيمان المغلظة، أنه ليس ببغاء، واحتج بالحضر، وتركه في طي الرقعة. وقال: إنه لم يكن يدفع إليه ما دفع، لأجل حفظ فرجه، أو هتكته، وإنما كان ذلك، لأنه منقطع، وغريب، وهارب، ومفارق نعمة، ويسأل رده إلى رسمه. ورفع القصة إلى كافور.

قال: فلا أدري إلى أين انتهى أمره، إلا أنه صار فضيحة، وتحدث الناس بحديثه. واتفق خروجي من مصر، عقيب ذلك، إلى حضرة سيف الدولة، بجلب، وجرت أحاديث المصريين، وكان يتشوق إلى أن يسمع حديثهم، فقلت: أمر عجب، جرى بما اتفقا، إنه كان بما رجل يقال له الناظري، فقصصت القصة عليه.

فاستضحك من ذلك ضحكاً عظيماً، وقال: هذا المشؤوم بلغ إلى مصر؟ قال: فقال لي محمد الأسمر، علمت أن هذا الرجل، صديقي جداً، وقد هلك، وافتقر، وفارق نعمته، فأحب أن تخاطبه في أمره، عقيب ما جرى، لأعاونك، فلعل الله أن يفرج عنه.

قال: فقلت: افعل.

قال: فأخذ يسألني عن الأمر، فأعدت عليه شرحه، فعاد يضحك.

فقلت له: أطل الله بقاء مولانا، قد سررت، وضحكت، فيجب أن يكون لذلك ثمرة، إما لي، أو للرجل الذي قد صيرته فضيحة بجلب، بما أخبرت بحديثه.

فقال: أما لك، فنعم، وأما له، فما يستحق، فإنه فعل، وصنع، وأخذ يطلق القول فيه.

قال: فقلت له: فوائدي من مولانا متصلة، ولست أحتاج مع إنعامه، ودوام إحسانه، إلى التسبب إلى الفوائد، ولكن، إن رأى أن يجعلها لهذا المفتضح المشؤوم.

قال: فقال: تنفذ إليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم.

قال: فشكرته، والجماعة، وخاطبته بأن يأذن له بالعود إلى وطنه، ويؤمنه.

فقال: ويكتب له أمان، ويؤكد، ويؤذن له في العود إلى وطنه.

قال: فغمزني الأسمر في الاستراحة، فقلت: أطل الله بقاء مولانا، إن الثلاثة آلاف درهم، لو نفذت إليه، إلى مصر، من غير أن يؤذن له في العود، ما كفته لمن يحمله على نفسه، لأن أكثر أهل مصر بغائين، وقد صافوه في الناقة، وغبوه باليسار، فلا يصل هو إلى شيء، إلا بالغرم الثقيل.

قال: فأعجبه ذكرى لأهل مصر بذلك، فقال: كيف قلت أيها الأخ؟ فقلت: المياسير من أهل مصر، لهم العبيد العلوق، يأتونهم، لكل واحد منهم عدة غلمان، والمتوسطين يدعون العلوق والزنوج المشهورين بكبر الأيور، فينفقون أموالهم عليهم، ولا يصل الفقير والمتجمل إليهم.

ولقد بلغني آنفاً، وأنا بمصر، أن رجلاً من الفقراء، اشتد عليه حكاكه، فطلب من يأتيه، فلم يقدر عليه، فخرج إلى الموضع الفلاني - قرية ذكرها، قرية من مصر - فأقام بها، فكان إذا اجتاز بها المجتازون، استغوى منهم من يمتاز بهذا الحال، فحمله على نفسه، وكان يعيش بالجتاز بعد المجتاز، ويتمكن من إرضائه بما لا يمكن بمصر، فعاش بذلك برهة، حتى جاءه يوماً بغاء آخر، فسكن معه في الموضع، فكان إذا جاء الغلام الذي يصلح لهذه الحال، تنافسا عليه، فأفسده على الأول أمره، فجاء إلى الثاني، فقال له: بيني وبينك، شيخنا ابن الأعجمي الكاتب، رئيس البغائين فجذبه إلى مصر، واحتكما إليه.

فقال: إني كنت لما اشتد بي أمري الذي تعرفه، ومنعني فقري من اتخاذ الناقة بمصر، عدلت إلى الموضع الفلاني، فعملت كذا، وقص عليه القصة، فجاء هذا، وصنع، وقص عليه القصة، وشرح له أمره، فإن رأيت أن تحكم بيني وبينه، فاحكم.

فحكم بينهما ابن الأعجمي، ومنع الثاني من المقام في الناحية، وقال: ليس لك أن تفسد عليه عمله، وناحيته، اطلب لنفسك موضعاً آخر.

فيمكن الناظري - أيد الله مولانا الأمير سيف الدولة - أن يستشفى بثلاثة آلاف درهم، أمرت له بها، في بلد هذه عزة الناقة فيه، وكثرة البغائين؟ . هذا لو كان مقيماً، فكيف وقد أنعمت عليه بالمسير، ويحتاج إلى بغال يركبها في الطريق بأجرة، وديون عليه يقضيها، ومؤن.

قال: فضحك ضحكاً شديداً، من حكاية البغائين، وحكم ابن الأعجمي بينهما، وكان هذا من مشهوري كتاب مصر، فقال: اجعلوها خمسة آلاف درهم.

قال: فقلت له، أنا والجماعة: فيرد أطل الله بقاء الأمير مولانا، بخمسة آلاف درهم، قد أنفقها في الطريق، إلى سوء المنقلب؟ .

قال: وكان يعجبه أن يماكس، فيجود مع المسألة، والدخول عليه مدخل المزاح في ذلك، والطيبة، واقتضاء الغرماء بعضهم لبعض، وما أشبه هذا.

قال: فقال: قد طولتم علي، في أمر هذا الفاعل الصانع، أطلقوا له عن ضيعته بأسرها، ووقعوا له بذلك إلى الديوان، وعن مستغله، وانقلوا من في داره عنها، وتقدموا بأن تفرش أحسن من الفرش الذي كان نهب له

منها، لما سخط عليه.

قال: فأكبت الجماعة، تقبل يده ورجله، وتحلف أنها ما رأت مثل هذا الكرم قط، هذا، مع سوء الرأي فيه، وسوء حديثه، ويقولون: ما على الأرض بغاء أبرك على صاحبه منه.

فضحك، ونفذت الكتب، والتوقيعات، بما رسمه.

فلما كان بعد مدة، جاء الرجل، وعاد إلى نعمته، وخلع عليه سيف الدولة، ونظر في حوائجه.

سخط الأمير سيف الدولة

حدثنا أبو القاسم بن معروف، قال: دخلت إلى حلب، إلى أبي محمد الصلحي الكاتب، وأبي الحسن المغربي، أسلم عليهما، وكانا في خدمة سيف الدولة، وهما في دار واحدة نازلان لضيق الدور، وكان وكيل كل واحد منهما، يبكر يوماً، فيقيم لهما، ولغلمانهما، ما يحتاج إليه، للمادة والوظائف، فإذا كان من الغد، بكر الآخر، فأقام الوظائف، لهما، ولغلمانهما، على هذا.

قال: فلما استقررت عندهما، دخل إليهما رجل ضرير، فسلم، وجلس، ثم قال: إن لي بالأمير سيف الدولة، حرمة قديمة، وجواراً، واختصاصاً، أيام مقامه بالموصل، وقد قصدته، ومعى رقعة، فإن رأيتما أن توصلاها إليه، وأخرج رقعة عظيمة، هائلة جداً، فلما رأياها، قالوا له: هذه عظيمة ولا ينشط الأمير أن يقرأها، فغيرها، واختصرها، وعد في وقت آخر، فإننا نأخذها، ونوصلها إليه.

فقال: الذي أحب، أن تتفضلا بعرض هذه الرقعة.

فدفعاه عن ذلك، فقام كالآيس، يجر رجله، منكسر القلب، فداخلتني عليه رقة.

وركبت، فدخلت على سيف الدولة، وهو جالس، وكان رسمه، أن لا يصل إليه بنة، أحد، إلا برقعة، يكتبها الحاجب باسم من حضر، واحداً كان أو أكثر، فإذا قرأ اسم الرجل، فإن شاء دعا به، وإن شاء أمر بصرفه. فلما استقررت، عرض عليه الحاجب، رقعة، فيها: فلان بن فلان الموصل، الضرير.

فقال: وهذا يعيش؟ أين هو؟ فقال: بالباب.

قال: يدخل، فما أظنه - مع ما أعرفه من زهده في الطلب - قصدنا إلا لجهد حقه.

قال: فدخل، فإذا الشيخ الذي رأيته عند الصلحي والمغربي.

فلما قرب منه، استدناه، وبش به، وقال: يا هذا، ما سمعت بأنا في الدنيا؟ ما علمت مكاننا على وجه الأرض؟ ما جاز لك أن تروونا، مع ما بيننا من الحرمة الأكيدة، والسبب الوكيد؟ لقد أسأت إلى نفسك، وأسأت الظن بنا.

قال: فجعل الرجل، يدعو له، ويشكره، ويعتذر، فقربه، وأجلسه.

فجلس ساعة، ثم قام، فسلم إليه الرقعة بعينها، فأخذها، وقرأها إلى آخرها، وقال: يا بونس بن بابا - وكان خازنه - فحضر، فأوعز إليه بشيء، ثم استدعى حاجب الكسوة، فساره بشيء، واستدعى رئيس الإصطبل، فأمره بشيء.

وانصرفت الجماعة، وجاء ابن بابا، فوضع بين يديه، صرتين عظيمتين، فيهما دنانير تزيد على خمسمائة

دينار.

وجاء حاجب الكسوة، بثياب كثيرة صحاح، من ثياب الشتاء والصيف، منثرة بطيب كثير، وصياغات، من ريع، ومراة، وما جرى مجرى ذلك.

وجاء عريف الفراشين ببسط، وزلاي، وثياب ديباج للفرش، وسينيات، وأشياء كثيرة من أنواع الفرش بألوف الدنانير، فصار ذلك كالتل بين يديه.

وكان يعجبه، إذا أمر لإنسان بشيء، أن يحضره إلى حضرته، بحيث يراه، ثم يعطيه لمن وهبه له. قال: فأخرج ذلك، والضرير لا يعلم، وعنده، أنه قد تغافل عنه، فهو في الريب وأخذ لا يسار الضرير، ولا يقول له شيئاً.

وجاء صاحب الكراع، ومعه بغلة تساوي ثلاثة آلاف درهم، بمركب ثقيل حسن. وجاء الخادم، ومعه خادم بثياب جدد، فسلمت البغلة إليه، فأمسكها في الميدان أسفل الدكة التي عليها سيف الدولة.

ثم قال للخادم: كم جرايتك؟ قال: عشرون ديناراً في الشهر.

قال: قد جعلتها لك ثلاثين ديناراً، وخدمتك لهذا الشيخ خدمة لنا، فلا تقصر فيها ولا ينكسر قلبك، وأحسن خدمته، ادفعوا له جرايته لسنة، فدفعت في الحال إليه.

ثم قال: فرغوا الدار الفلانية. فتقدم بتفريغها.

ثم تقدم: أن يحمل إلى عياله، زورق من تل فافان، إلى الموصل، فيه كران حطة، وكر شعير، ويملاً ببقولة الشام، وما أكلها. ففعل ذلك كله.

ثم استدعى أبا إسحاق بن شهرام، المعروف بابن ظلوم المغنية، وكان يكتب له، ويترسل، إلى ملك الروم، ويبعثه في صغير أموره، وكبيرها، فساره بشيء.

فأخذ أبو إسحاق، الشيخ، وجعل يخاطبه من الأمير سيف الدولة، باعتذار طويل، ويقول: إنك جئتنا في وقت، هو آخر السنة، وقد تقسمت أموالنا الحقوق، والزوار، والجيوش، وبابنا خلق من الرؤساء، ونحتاج أن نواسيهم، ولولا ذلك، لأوفينا على أملك، وقد أمرنا لك بكذا . . .

قال: وجعل ابن شهرام، يقرأ عليه من فهرست قد عمل، ثبثاً للمجموع الذي أمر له به، من صنوف الثياب والفرش، وغير ذلك.

قال: قهلت للأمير سيف الدولة: يا مولانا، لا تورد على هذا الشيخ، هذه الجائزة، جملة، عقب اليأس العظيم الذي قد لحقه، فتشقى مرارته.

قال: فلما استوفى الشيخ الكلام، بكى بكاء شديداً، وقال: أيها الأمير قد والله زدت على أجلي بطبقات، وأوفيت على غناي بدرجات، وقضيت حقّي، وما هو أعظم من حقّي، وما أحسن أن أشكرك، ولكن الله يتولى عني شكرك، ومجازاتك، فتمن علي بتقبيل يدك، فإنه أفضل من كل عطية.

فأذن له في ذلك، فدنا الشيخ، فقبل يده دفعات، فجذبه إليه سيف الدولة، وشاوره بشيء، فضحك الشيخ وقال: إي والله، إي والله، أيها الأمير.

قال: فاستدعى خادم حرمه، وساره بشيء.

وانصرف الشيخ إلى الدار التي أخليت له، وقال له: أقم فيها، إلى أن أنظر في أمرك، وتخرج إلى عيالك.

قال: فسألت عما ساره خادم حرمه، فقال: أخرج إليه جارية من وصائف أخته، في نهاية الحسن، بتياب، وزى، تزيد قيمتها على عشرة آلاف درهم. فحملت إليه.

قال: فحمت قائماً، وقلت: والله، أيها الأمير، ما سمع بهذا الفعل، عن البرامكة ولا غيرها.

فقال: دعني من هذا، ما معنى قولك لأبي إسحاق بن شهرام، لا تورث عليه هذا، عقيب اليأس، فتششق مرارته؟ فقلت: كنت منذ ساعة، عند أبي محمد الصلحي، وأبي الحسن المغربي، فجرى كذا وكذا، وقصصت عليه القصة، وانصرف هذا الشيخ، أخزى منصرف، ثم جاء بنفسه، فعامله مولانا، بمثل هذا الفعل العظيم، فخفت أن يعرفه فجأة، فتششق مرارته.

فقال: هاتم الساعة، الصلحي، والمغربي، فجاء أحدهما قبل الآخر، فجلس، ولم يخاطبه حتى حضر الآخر، ثم أقبل عليهما، فقال: ويحكمما، أخبراني، ألم أحسن إليكما، وأصطنعكما، وأنوه بكما، وأسن أرزاقكما، وأعل مرتبتكما، وأخفف الخدمة عليكما، وأتناه بمجهدي، في قضاء حقوقكما؟ فأخذنا يشكرانه.

فقال: ما أريد هذا، إما أن تقولوا: نعم، أو لا.

فقالا: بلى، والله، وزيادة.

قال: فمن حقي عليكما، ومكافأة هذا، وشكره، أن تقطعا عني رجاء الناس؛ وتصدانهم عن أمني، وتؤيسانهم من بري، وتنسباني عندهم إلى الضجر بقرع المؤمنين، والبخل على المستحقين؟ . ما كان عليكما، لو أخذتما رقعة الرجل، فإن أجرى الله على يدي خيراً، كنتما فيه شريكين، وإن ضجرت، كان الضجر إلي منسوباً، وأتما منه بريتان، وقد قضيتما حق قصد الرجل لكما، فلا حقه قضيتما، ولا حق الله عز وجل، فيما أخذه على عباده من بذل الجاه، ولا حق إنعامي.

قال: وأسرف في لومهما، وتوبيخهما، حتى كأنهما قد جنيا أعظم جناية.

قال: فأقبلا يعتذران، ويحلفان أنهما ما أرادا إلا التخفيف عنه بقراءة شيء طويل، وأرادا أن يخفف الرجل الرقعة، فنخف قراءتهما، وتكون أنجع لحاجته، وإنهما ما قدرا أنه قد أيس، وانصرف مغموماً، ولو علما بذلك، لقصداه، حتى يرتجعا رقعته، ويوصلانها.

قال: فأقبلت الجماعة تدعو له، وتحلف، أن هذا التأديب، والفضل، والنية في الجود والكرم، أحسن من الفعل الذي عمله مع الرجل، على عظم حسنه، وأنه ليس على وجه الأرض من يعمله غيرك.

الوزير حامد بن العباس يعذب

الحسن بن الفرات حدثنا أبو الحسين الحارثي النهرسابي، قال: حدثني شيخ من شيوخنا:

إن أبا جعفر بن الشلمغاني، كان في نهاية الاختصاص بحامد بن العباس، فلما وزر اجتنبه معه إلى بغداد، وكان يدخله في آرائه، ويشاوره في مهماته، ويوسطه في كبار الأمور.

قال: فلما جرى من حامد على المحسن بن الفرات، تلك القضية الشديدة، كتب إلى ابن الشلمغاني، يسأله، مسألة حامد الرفق به، والتقدم إلى المستخرج بالتوقف عن ضربه، وإذلاله، ليؤدي على مهل.

فتكفل ابن الشلمغاني بأمره، وخاطب حامد بن العباس في ذلك، فردّه، فعاوده في مجلس حافل، ولج حامد، ولج ابن الشلمغاني، إلى أن قال حامد: هاتم المحسن، ابن كذا وكذا، وهاتم الغلمان والمقارع.

قال: فقبل ابن الشلمغاني يده، فلم يقنع، وحلف أنه لا بد أن يصفعه، ويضربه في ذلك المجلس، وتوجه الغلمان ليحيثوا به.

فلما عادوا، ومعهم المحسن، قام ابن الشلمغاني، من قبل أن يدخل المحسن، وانصرف، فاستشاط حامد، وجن، وكاد أن يقبض على ابن الشلمغاني، ويوقع به، ثم استرجع، وأخرج غيظه على المحسن، وصفعه الصفع المشهور، الذي كان سبب قتل المحسن له، لما ولي أبوه الوزارة الثالثة.

قال: ونهض ابن الشلمغاني، فدخل إلى دار حجة حامد، مغموماً، وأخذ يشكو ما يجده إلى الحاجب، ويتشاكيان، ويقول: هذا الرجل يريد أن يقتلنا كلنا بعده، وأن لا يبقى لنا باقية، يا قوم، أي شيء يعمل بنفسه؟ قال: فهو كذلك، إذ دعا حامد بحاجبه، وقد قام عن مجلسه، ورد حامد المحسن إلى محبسه بعد ما جرى، وقال للحاجب: ويحك، أين ابن الشلمغاني؟ فقال: عندي في الحجرة.

قال: فما قال؟ قال: لم يقل شيئاً.

فأمسك كالخجل، ثم قال: هاته.

فلما جاء، قال: يا أبا جعفر، من حق مودتي لك، أن تتوافى لأعدائي، وتقوم عن مجلسي، إذا رأيتني أوقع بأعدائي؟ فقال: نصف؟ أو تقول: صدق الأمير؟ قال: أسمع وأنصف.

قال: أيها الوزير، هذا رجل سألتك فيه، فاعمل أنه كان بقلاً، لابن وزير أنت تعلم حالته، وقديم رياسته، فما كان يحسن أن تردني فيه، ولا إن رددتني، أن تسومني الجلوس، وحضور عذاب من شفعت فيه، ثم أنت تعلم، أن الأيام دول، وأن لهذا الفعل عاقبة، يكفيك الله إياها، فأني شيء يضرك من سلامة مهجتي، في حال العافية، وإفلات نعمتي من شر هؤلاء؟ وأن يقولوا غداً: دهننا، ولم يشفع لنا، ولو كان نصحن ما خالفه الوزير، مع ما بينهما، وما قعد ليشاهد صفعنا، إلا تشفياً منا، وأي شيء أحسن بك من أن تنسب حاشيتك، ومن اخترته لمودتك وأنسك، إلى الخير، وبعدهم من الشر، فيقال: إنه لو لم يكن خيراً، لما استصحب الأخيار، وإنما يحمله على ما فعله، الغضب، والحاجة إلى المال، وإلا فالخير طبعه، والغالب عليه، ولا يقال: إنه شرير جمع الأشرار حواليه، واعلم أي ما قمت من مجلسك، إلا وقد وضعت في نفسي، أنك تنكبي، وعلمت أي قد أسأت أدبي، وأني غير آمن من عجلتك في نكبتني، ولكن قلت: أكون على حق، و متمسكاً بحجة وحزم، وإن جنى علي، وإن سلمت، فبفضل الله، وإن هلك فبالله يخلصني.

قال: فخجل حامد، واعتذر إليه وقال: اخرج الآن، وخذ بيد المحسن، وتوسط أمره، وخفف محنته.

من شعر المهلي الوزير

وجدت بخط المهلي الوزير، كتاباً إلى أبي سلمة، أهداه إلي، وقال: هذا كتابه إلي، وهو بالخط الذي أعرفه، وفيه لنفسه:

وصل الكتاب طليعة الوصل ... بغرائب الأفضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا ... أغناه رب المال بالبدل
وحفظته حفظ الأسير إذا ... ورد الأمان له من القتل
ووجدت بخط أبي محمد، كتاباً، إلى أبي القاسم بن بلبل، كتب إليه به، وهو صغير الحال جداً، وفيه:
طلع الفجر من كتابك عندي ... فمتى بالقاء يدو الصباح
ذاك إن تم لي فقد عذب العي ... ش ونيل المنى وريش الجناح
وله إلى غيره:

جاد لي بالعتاق من صرف دهري ... بكتاب يسرني أو رسول
فعلى قدر ما تكلف من وص ... لي لعلمي بقطعه للوصول
أشكر البذل من جواد وأزدا ... د إذا البذل جاءني من بخيل
وله أيضاً:

أمثلي يا أخي وشقيق روحي ... يفارق عهده عند الفراق
ويسلو سلوة من بعد بعد ... وينسبه الشقيق إلى الشقاق
وأقسم بالعناق، وتلك أوفى ... وأشفي من يميني بالعتاق

لقد ألصقت بي ظناً ظنيماً ... تجافى جانباه عن التصاق
وله أيضاً:

فديت أخاً يواصلني بكتب ... أسر من البشارة حين تأتي
أخ لم يرض لي بالوصل حتى ... حباني بالبقية من حياتي
وله أيضاً:

ورد الكتاب فديته من وارد ... فيه لقلبي من حياتي مورد
فرايته كالدر نصد عقده ... في كل فصل منه، فصل مفرد

قال الخليفة المقتدر ما ظننت

أن في الدنيا من يأكل طعاماً بلا حلوى بعده
حدثنا أبو منصور القشوري، وكان من الجند المولدين، قال: كنت أخدم وأنا حدث، في دار نصر
القشوري، المرسومة بالحجة من دار المقتدر بالله.

فركب المقتدر بالله يوماً، على غفلة، وعبر إلى بستان الخلافة، المعروف بالزبيدية، وأنا مشاهد لذلك، في نفر من الخدم والغلمان، وتشاغل أصحاب الموائد، والطباخون، بحمل الآلات، والطعام، وتعبيتها في الجون، فانفلت، وأعجل هو في طلب الطعام، فقيل له: لم يحمل بعد.

فقال: انظروا ما كان.

فخرج الخدم، مختارين، ليس يجسروا يعودوا، فيقولوا: ما جا شي، وهم يتشاورون فيما يفعلونه. فسمعهم جعفر، ملاح طيار المقتدر، الرئيس على الملاحين الذين يرسم الخدمة، فنادى عليهم، وقال: معي طعام.

قال: فهاتم ما معه.

فأخرج من تحت الطيار، جونة مليحة، خيازر، لطيفة، فيها جدي بارد، وسكاج مبرد، وبزماورد، وإدام، وقطعة مالح ممقور طيبة، وأرغفة سميد جيدة، وكل ذلك نظيف، وإذا هي جونة تعمل له في منزله، في كل يوم، وتحمل إليه، فيأكلها في موضعه في الطيار، وبلازم الخدمة.

فلما حملت إلى المقتدر، استنظفها، وأكل منها، واستطاب المالح، والإدام، فكان أكثر أكله منه. ولحقته الأطعمة من مطبخه، فقال: ما آكل اليوم، إلا من طعام جعفر الملاح، فأتم أكله منه، وأمر بتفريق الطعام على من حضر.

ثم قال: قولوا له: هات الحلوى.

فقال: نحن لا نعرف الحلوى.

فقال المقتدر: ما ظننت أن في الدنيا من يأكل طعاماً، بلا حلوى بعده.

فقال الملاح: حلوانا التمر، والكسب، فإن تنشط له أحضرته.

قال: لا، هذا حلو صعب، لا أطيقه، فأحضروا من حلوانا.

فأحضرت عدة جامات، فأكل، وجلس للشرب.

ثم قال لصاحب المائدة: اعمل في كل يوم جونة، تنفق عليها، ما بين عشرة دنانير، إلى مائتي درهم، وسلمها إلى جعفر الملاح، تكون برسم الطيار أبداً، فإن ركب يوماً على غفلة، كما ركب اليوم، كانت معدة، وإن حان المغرب، ولم أركب، كانت لجعفر.

فعملت، إلى أن قتل المقتدر، وكان جعفر يأخذها، وربما حاسب عليها الأيام، وأخذها دراهم.

وما ركب المقتدر بعدها، على غفلة، ولا احتاج إليها.

الخليفة المعتضد يأمر بصنع جزورية

ويشبه هذا، ما بلغني عن المعتضد، أنه طلب يوماً لوناً من طعام، فقيل له: ما عمل اليوم.

فأنكر ذلك، وقال: يجب أن لا يخلو المطبخ من كل شيء، حتى إذا طلب لم يتعذر.

ووقع إلى ديوان النفقات بإقامة ذلك اللون، إلى أن يرد التوقيع بقطعه، فكان يصلح، وينفق عليه دراهم

كثيرة، ولا يحضر المائدة، توقعاً أن يطلبه، فيقدم عند الطلب، كما رسم.

فمضى على ذلك سنة، ولم يطلبه.

ثم رفعت إليه حسبة، وكان يقف بنفسه على حساباته، فرأى ما أنفق على ذلك اللون في طول السنة، فاستهوله، وقال: أسغفر الله، ينفق لي من مال المسلمين، على لون لم آكله، هذا كله، إن هذا لعين السرف، اقطعوا عمله، ولا تقع معاودة لمثل هذا، في هذا ولا في غيره.

وقالوا: كان اللون جزورية، فكان يذبح له الطباخ في كل يوم قلوفاً، فلذلك عظمت النفقة.

وقالوا: بقرية، فكان يذبح في كل يوم عجلاً.

وقالوا: مضيرة بفراريح، كل ذلك سمعته.

اللهم أنقذنا من ذل الطمع

حدثنا أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد، الشاهد، المعروف بالطبري، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن صالح الأبهري، الفقيه المالكي، وهو باق إلى الآن، ومحلّه مشهور في الورع والعلم، قال: رأيت في المنام رجلاً من الزهاد، ذكره لي، وكأني أطلبه، فخرج عليّ من بين نخل، وعليه فوطتان، متزر بإحدهما، متشح بالأخرى، كأنه سندي.

فقلت له: قل لي شيئاً، أو عطني بشيء.

فقال: قل: اللهم قصر أمني، وحسن عملي، واستغنني من ذل الطمع.

آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبداً

وحدثنا، قال: حدثنا جعفر الخلدي، قال: حدثني الخواص الصوفي، قال: ركب في البحر، مع جماعة من الصوفية، فلما أوغلنا فيه كسر بنا، وركبنا خشباً من خشب المركب، ونجا منا جماعة، فوقعنا إلى ساحل لا ندري أين هو، ولا ما هو، فأقمنا فيه أياماً، لا نجد ما نقتاته، وأحسسنّا بالهلاك.

فاجتمعنا، وقال بعضنا لبعض: تعالوا حتى نجعل لله عز وجل، على أنفسنا، إن هو خلصنا من هذا المكان، وأحياناً، أن ندع له شيئاً.

فقال بعضنا: لا أفطر الدهر.

وقال بعضنا: أصلي كل يوم كذا وكذا ركعة.

وقال بعضنا: أدع الكذب.

إلى أن قال كل واحد من الجماعة شيئاً، وقالوا لي: ما تقول أنت؟ فقلت: لا آكل لحم فيل أبداً.

فقالوا: ما هذا الهزل في مثل هذا الموضع؟ فقلت: والله، ما تعمدت الهزل، ولكني منذ بدأت، أعرض على نفسي شيئاً، أدعه لله عز وجل، فلا تطاوعني نفسي، إلى غير هذا الذي لفظت به، وما قلت إلا ما اعتقدته.

فقالوا: لعل هذا أمراً.

وتفرقنا بعد ساعة، نطوف تلك الأرض، نطلب شيئاً للأكل، فوقعنا على فرخ فيل، في نهاية السمن، فأخذه أصحابنا، واحتالوا فيه، حتى ذبحوه، وشووه.
وقالوا: تقدم، فكل.

فقلت: منذ ساعة، تركته لله عز وجل، ولعل ذلك الذي جرى على لساني من ذكره، إنما هو سبب موتي، لأنني لم أكل منذ أيام شيئاً، ولا أطمع في شيء آخر آكله، وما يراني الله أقض عهده، فكلوا، واعتزلتهم. فأكلوا، وشبعوا، وعاشوا، وأقبل الليل، فتفرقوا في مواضعهم التي كانوا يبيتون فيها، وأويت إلى أصل شجرة، كنت أبيت عندها.

فلم يكن إلا ساعة، وإذا بفيل، أقبل من الموضع الذي استخرجنا منه الفرخ، وهو ينعر، والصحراء قد امتلأت بنعيره، وشلة وطأته، وهو يطلبنا.

فقال بعضنا لبعض: قد حضر الأجل، فاستسلموا، وطرحوا أنفسهم إلى الأرض، على وجوههم. فجاء الفيل، وجعل يقصد واحداً واحداً، فيشمه من أول جسده، إلى آخره، فإذا لم يبق منه موضع إلا شمه، شال إحدى قوائمه، فوضعها على الرجل، حتى يفسخه، فإذا علم أنه قد تلف، شال قائمته، وقصد الآخر، ففعل به، مثل فعله بالأول.

وظل على هذا، إلى أن لم يبق غيري، وأنا جالس منتصب، أشاهد ما يجري، وأدعو وأستغفر، ما طرحت نفسي، ولا هربت، إلى أن قصدي، فحين قرب مني، طرحت نفسي على ظهري، فجاء حتى تشممني من سائر أعضائي، أو أكثرها، كما فعل بأصحابي، ثم أعاد تشممي مرتين، أو ثلاثاً، ولم يكن فعل ذلك بهم، ثم لف خرطومه علي، وشالني في الهواء، فقلت: هذه قتلة أخرى، يريد أن يقتلني بها، فما نحي خرطومه عني، حتى جعلني فوق ظهره، فانتصبت جالساً، وحفظت نفسي، وحمدت الله سبحانه على تأخر القتل، وجعلت أعجب مرة، وأتوقع القتل أخرى، والفيل يهرول، ويسرع، إلى أن أضاء الفجر، فوقف، وأصعد خرطومه إلي، فقلت: حضر الأجل، فلفه علي، وأنزلني على رفق إلى الأرض، وتركني عليها، وجعل يسعى في الطريق التي جاء منها، وأنا لا أصدق.

فلما بعد عني، حتى لم أره، أقبلت أدعو وأصلي، وتأملت موضعي، وإذا أنا على محجة، فمشيت عليها نحو فرسخين، فإذا بلد عظيم، قد لاح لي، فقصدته، ودخلته، فإذا هو بلد من بلدان الهند العظيم، وذكر اسمه. قال: فعجب أهله مني، وسألوني عن قصتي، فأخبرتهم بها، فرعموا أن الفيل، قد سار في هذه الليلة الواحدة، مسيرة أيام.

وتسببت إلى الخروج من عندهم، والقفلة من بلد إلى بلد، حتى حصلت في بلدي سالماً.

يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه

قال: حدثني جعفر، قال: ودعت في بعض حجاتي، المزين الكبير الصوفي، وقلت له: زودني شيئاً. فقال: إن ضاع منك شيء، وأردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان، فقل: " يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا " ، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء، أو ذلك الإنسان.

طلمس لإزالة الغم

قال: فجئت إلى الكتاني الكبير الصوفي، فودعته، وقلت له: زودني شيئاً، فأعطاني فصاً عليه نقش كأنه طلمس، وقال: إذا اغتممت فانظر إلى هذا، فإن غمك يزول.

قال: وانصرفت، فما دعوت الله بتلك الدعوة في شيء، إلا استجيت، ولا رأيت الفص، وقد اغتممت، إلا وزال غمي.

فأنا ذات يوم أعبر، قد توجهت إلى الجانب الشرقي من بغداد، حتى هاجت ريح عظيمة، وأنا في السميرية، والقص في جيبي، فأخرجته لأنظر إليه، فلا أدري كيف ذهب مني، في الماء، أو في السفينة، أو في ثيابي.

فاغتممت غماً عظيماً، فدعوت الله تعالى، وعبرت، وما زلت أدعو الله تعالى بها يومي وليلتي، ومن غد، وأياماً.

فلما كان بعد ذلك، أخرجت صندوقاً فيه ثيابي، لألبس شيئاً منها، ففرغت الصندوق، فإذا أنا بالقص، في أسفل الصندوق.

فأخذته، وشكرت الله عز وجل.

رقية تنفع من لسعة العقرب

وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن البهلول التوخي، قال: حدثني أحمد بن الطيب، قال: كنت بحضرة المعتضد، فجاء رجل يصيح بالباب: نصيحة، فأخبر بذلك، فقال: اخرجوا إليه، وقولوا له يذكرها.

فعادوا، وقالوا: قد قال: لا أذكرها إلا لأمر المؤمنين.

فقال: قولوا له: إن لم تكن نصيحة، بالغت في عقوبتك، فخرجوا، وعادوا، فقالوا: قد قال: رضيت.

فأدخل، وأنا حاضر، فسلم على الخليفة.

فقال: ما نصيحتك؟ فقال: رقية وقعت إلي، تحبس السم عن الملسوع، في الحال.

فقال المعتضد: هاتوا عقرباً.

قال: فكأنها كانت معدة، فأتي بها في أسرع وقت، فأومى إلى الخادم بحضرتة، فطرحته عليه، فلسعته، فصاح.

فقال له الرجل: أرني موضع اللسعة، فأراه، فأخرج حديدة، لا حد لها، وجعل يمسح بها من أعلى موضع اللسعة والسم، إلى أسفل، ويقول: " بسم الله، أوم سراً، ومرهلاً، بني تعب، كرواري، أنهج أنهج، بمشتن، يهوذا، له مهر، أستروم، لوبه، قرقر، سعلته " .

ويكرر ذلك دفعات، إلى أن قال الخادم: قد سكن الوجع عن يدي كلية، إلا موضع اللسعة، فأني أحس منه ببقية.

قال: أعطوني إبرة.

فجاءوه بها، ففتح الموضع، فخرج منه شيء أصفر، وقام الخادم معافى.

فأمر المعتضد، فكتب الرقية، وخلدت في الخزانة.

وأمر للرجل بجائزة سنية.

والرقية تنفع أيضاً في لسعة الزنبور

قال لي أبو الحسن؛ وقد جربت، على الزنبور، فصحت، وسيلها أن تجرب على الحية، لأن قوله: تجس السم، يدخل كل ذلك تحته.

وأنا رأيت أحمد بن يوسف، يرقى بهذه الرقية، على هذا الموضع، فيقوم الملسوع من بين يديه، يمشي وهو معافى.

حدثني أبو الفرج، المعافى بن زكريا، الفقيه على مذهب أبي جعفر الطبري، أحد خلفاء قاضي القضاة على بعض السواد، قال: حدثني أبو طالب بن البهلول القاضي، عن رجل، عن ابن الطيب، بهذه الحكاية، هذا وأنسي أبو الفرج اسم الرجل، ولا أشك - والله أعلم - أنه أبو أحمد الرازي. هذه الحكاية منتشرة جداً في آل البهلول، عن هذا الرجل، عن ابن الطيب، وجميعهم يرقى بها، ويقلها قولاً وعملاً.

لأبي الحسن بن المنجم، يعاتب صديقاً له

أنشدني أبو الحسن، علي بن هارون بن يحيى المنجم لنفسه، وكتب بها إلى علي بن هارون بن خلف بن طناب، في غيبة كان غابها، وتأخرت عنه كتبه، وفيه صنعة لأبي الحسن بن طرخان:

يبني وبين الدهر فيك عتاب ... سيطول إن لم يمحه الإعتاب

يا غائباً بوصاله وكتابه ... هل يرتجى من غيبتيك إياب

ما غاب من لم ينأ صفو وداده ... والحاضرون وإن دنوا غياب

لولا التعلل بالرجاء تقطعت ... نفس عليك شعارها الأوصاب

لا يأس من روح الإله فإنه ... يصل القطوع فيقدم الغياب

فإذا دنوت مواصلاً فهو المنى ... سعد الخب وساعد الأحباب

وإذا نأيت فليس لي متعلل ... إلا رسول بالرضا وكتاب

لأبي الفتح بن المنجم في الغزل

أنشدني أبو الفتح، أحمد بن علي بن يحيى بن المنجم، لنفسه، والقافية في الأبيات كلها لقطة واحدة، باختلاف المعنى:

سيدي أنت ومن عادته ... باعتداء أو مجور جاريه

وهذه الأبيات قد مضت في غير هذا الجزء من الكتاب.

لأبي أحمد بن سليمان متغزلاً

أنشدني الأستاذ أبو أحمد الحسين بن محمد بن سليمان، لنفسه:

أيا من قله ألف ... ويا من صدغه لام

لقد أكثرت لوامي ... ولو أنصفت ما لاموا

أشهدوا العدول على الخليفة المطيع لما خلع نفسه

وأخبرني شاهد من الشهود المقبولين ببغداد، وسألني أن لا أذكر اسمه وهو حي، فلذلك لم أسمه، قال: كنت أحد الشهود الأربعة، الذين أدخلوا مع قاضي القضاة، أبي محمد، وهو إذ ذاك، غير متقلد شيئاً من الأعمال، ومعنا أبو بكر الأصبهاني، صاحب سبكتكين التركي، مولى معز الدولة، لما وثب على الأمر، وتسمى بالإمارة.

فأدخلونا، وليس معنا سابع، حتى شهدنا على المطيع لله، بأنه قد خلع نفسه، وقرأنا عليه رقعة الخلع، وقررناه بما فيها، وخرجنا.

فأدخلنا إلى دار أخرى، من دور الخلافة، حتى حصلنا بحضرة الأمير أبي بكر عبد الكريم بن المطيع، فبايعناه بالخلافة، وسلمنا عليه بها، وخرجنا، فجلسنا في مجلس قريب من مجلسه، لنوقع خطوطنا بالشهادة في كتاب الخلع.

قال: واستسقى أمير المؤمنين الطائع، ماءً، فجاء بعض الخدم، بكوز فيه ماء، فشرب، وخرج، فرأيت الكوز، وكنت عطشاناً، فقلت له: يا أستاذ، اسقني، فجاءني بماء في ذلك الكوز بعينه، فشربت منه. وكتبنا خطوطنا، وخرجنا.

الأمير الراسبي يأمر بقتل أحد المجرمين

على مائدته

كان أبو محمد المهلب، يكثر الحديث على طعامه، ويكون أطيّب الحديث، وأكثره مذاكرة بالأدب، وضروب الحديث، على المائدة، لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء، وكنت كثيراً ما أحضر. فقدم إليه في بعض الأيام طيهوج، فقال: أذكرني هذا، حديثاً طريفاً. فسئل: ما هو؟ فقال: أخبرني بعض من كان يعاشر الراسبي الأمير، قال: كنت آكل معه يوماً، وعلى المائدة خلق عظيم، فيهم رجل من رؤساء الأكراد المجاورين لعمله، وكان ممن يقطع الطريق، فاستأمن إليه، فأمنه، واختصه، وطالت أيامه معه.

فكان في ذلك اليوم على مائدته، إذ قدم حجل، فألقى الراسبي منه واحدة إلى الكردي، كما يلاطف الرؤساء مواكليهم، فأخذها الكردي، وجعل يضحك.

فتعجب الراسبي من ذلك، وقال: ما سبب هذا الضحك؟ وما نرى ما يوجبه.

فقال: خبر كان لي.

فقال: أخبرني به.

فقال: شيء طريف، ذكرته، لما رأيت هذه الحجلة.

قال: ما هو؟ فقال: كنت أيام قطعي الطريق، وقد اجتزت في بعض المحجة الفلانية، في الجبل الفلاني، وأنا وحدي، في طلب من آخذ ثيابه، حتى استقبلني رجل وحده، فاعترضته، وصحت عليه، فاستسلم إلي، ووقف، فأخذت ما كان معه، وطالبته أن يتعري، ففعل، ومضى لينصرف، فخفت أن يلقاه في الطريق، من يستنفره على طلبي، فأطلب، وأنا وحدي، فأؤخذ، فقبضت عليه، وعلوته بالسيف، لأقتله.

فقال: يا هذا، أي شيء بيني وبينك، قد أخذت ثيابي، وعريتي، ولا فائدة لك في قلبي.

فكففته، ولم ألنفت إلى قوله، وأقبلت أقبعه بالسيف.

فنلفت، كأنه يطلب شيئاً، فرأى حجلة قائمة، وهي على الجبل، فقال: يا حجلة، اشهدي لي عند الله تعالى أني أقتل مظلوماً.

فما زلت أضربه، حتى قتلته، وسرت، فما ذكرت هذا الحديث، حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة ذلك الرجل، فضحكت.

قال: فانقلبت عين الراسبي حرداً، وقال: لا جرم إن شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم، في الدنيا قبل الآخرة، وما أمنتك إلا على ما كان منك من فساد السبيل، فأما الدماء، فما أسقطها الله عنك بالأمان، وقد أجرى الله على لسانك الإقرار عندي، يا غلام، اضرب عنقه.

قال: فبادر الغلام إليه، وغيره، بسيوفهم يخطونه، وضرب كل واحد منهم قفاه، فكأن رأسه قنائة قطعت نصفين.

فتدحرج رأسه بين أيدينا، ونحن على المائدة، وجرت جثته.

ومضى الراسبي في الأكل.

رقعة إلى رجل تزوجت أمه

أملى علي أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال الكاتب، الصابي، نسخة رقعة إلى رجل زوج أمه، كتبها إليه: قد جعلك الله، وله الحمد، من أهل التحصيل، والرأي الأصيل، وصحة الدين، وخلوص اليقين، كما أنك لا تتبع الشهوة في محظور تحله، فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره، وتأدى إلينا من إيقاعك العقد، بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك - وبين فلان، ما علمنا أنك بين طاعة للديانة توحيثها، ومشقة فيها تجشمتها، فإنك جدعت أنف الغيرة لها، وأضرعت خد الحمية فيها، وأسخطت نفسك لرضاها، وعصيت هواك لرأيها، فنحن نهنئك بعزيمة صبرك، ونعزيك عن فائت مرادك، ونسأل الله الخيرة لك، وأن يجعلها أبداً معك، فيما شئت وأيت، وتجنب وأيت، والسلام.

رقعة الصابي إلى الوزير ابن بقية

وأنشدني لنفسه، قال: وكتبت بها وأنفذتها إلى الوزير ابن بقية وهو في حضرة الأمير، وقد كان وعدني بتخليصي، فأخر ذلك:

أيا ناصراً للدين والدولة التي ... رددت إليها العز إذ فات رده
أيعجزك استخلاص عبدك بعدما ... تخلصت مولاك الذي أنت عبده

تملكت يا مهجتي مهجتي

أنشدني رجل مصري، قال: أنشدني أبو الفتح الكاتب ابن البكتمري، رجل باق بالشام، من أهلها، لنفسه:
تملكت يا مهجتي مهجتي ... وأسهرت يا ناظري ناظري
وما كان ذا أمني يا ملول ... ولا خطر الهجر في خاطري
وفيك تعلمت نظم الكلام ... فلقيني الناس بالشاعر

لا فكك الله

أنشدني ابن غسان المتطبب البصري:
أفدي من السوء مولاً بات معتنقي ... وقد أمال إلي طائعاً فاه
وكلما قلت يا مولاي أوثقني ... لك الهوى قال لي: لا فكك الله

كيف كان الأبراعجي صاحب شرطة بغداد

يحقق مع المتهمين

حدثني أبو القاسم بهلول بن أبي طالب القاضي وهو محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التوخي، قال:
حدثني صاحب الربع، بياب الشام، وأسماء لي، قال: كنت أعمل في أصحاب الشرطة، مع أبي الحسن
الأبراعجي، صاحب الشرطة ببغداد، فأخرج لصوصاً من الحبس، واستأذن معز الدولة في صلبهم، وقتلهم
عند الجسر، فأذن في صلبهم عشياً، وكانوا عشرين رجلاً، ووكل بهم جماعة كت فيهم، والرئيس علينا
فلا..

وقال: كونوا عند خشبهم بقية يومكم وليلتكم، حتى إذا كان من غد، ضربت أعناقهم هنا.

وقضينا الليل نوماً، فثقل رئيسنا في نومه، وجماعتنا.

فاحتال بعض اللصوص، في أن قطع الحبل، ونزل من الخشبة، فما انتبهنا، إلا بصوت وقعه، وعدوه.

فعدا رئيسنا خلفه، وأنا معه، فما لحقناه.

وخفنا أن يتشوش الرجاله الباؤون، فيفلت إنسان آخر، فرجعنا مسرعين، وجلسنا مغمومين، مفكرين ماذا
نعمل.

فقال رئيسنا: إن الأبراعجي لا يقيّل لي عثرة، ولا يقبل مني عذراً، ويقع له أني قد أخذت من أحد اللصوص مالاً وأفلته، فيضربني للتقرير، فلا أقر، فيقع له، أني أتجلد عليه، فيمر الضرب علي، إلى أن أتلف، فما الرأي؟ فقلت: قُرب.

قال: فمن أين أعيش؟ فقلت: هذا نصف الليل، ولم يعلم بما جرى أحد، فقم حتى نطوف، فلا يخلو أن يقع بأيدينا مشؤوم، قد حانت منيته، فوثقه، ونصلبه، ونقول له: سلمت إلينا عشرين رجلاً، فإنه ما أثبت حلاهم.

فقال: هذا صواب.

فقمنا نطوف، وسلكنا طريق الجسر، لعبّر إلى الجانب الغربي، فرأينا في أسفل كرسي الجسر رجلاً يول، فعدّلنا إليه، فقبضنا عليه.

فصاح: يا قوم ما لكم؟ أنا رجل ملاح، صعدت من سميريّ أبول، وهذه سميريّ - وأوماً إليها - أي شيء بيني وبينكم؟ فضرّبناه، وقلنا: أنت اللص الذي هرب من الخشبة، وجنّاه، ورقيناه إلى الخشبة، وصلّبناه مكان اللص المهارب، وهو يصيح طول الليل، ويكي.

فقطعت قلوبنا رحمة له، وقلنا: مظلوم، ولكن ما الحيلة؟ فلما كان من الغد، ركب الأبراعجي إلى الحبس، وجاء، وقد اجتمع الناس، ليضرب أعناق القوم.

فصاح به الملاح: أيها الأستاذ - وكذا كان يخاطب، وهو رسم لكل من يقلد رئاسة الشرطة ببغداد - بوقوفك بين يدي الله، أدعني، واسمع مني كلامي، فلست من اللصوص الذين أخرجتهم، وأمرت بصلبهم، وأنا مظلوم، وقد وقعت بي حيلة.

فأنزله، وقال له: ما قصتك؟ فشرح له حديثه على حقيقته.

فدعا بنا، وقال: ما هذا الرجل؟ فقلنا: ما نعرف ما يقول، سلمت إلينا عشرين رجلاً، وهؤلاء عشرون رجلاً.

فقال: قد أخذتم من أحد اللصوص دراهم، وأطلقتموه، واعترضتم هذا، من الطريق، رجلاً غريباً، بريئاً، فأخذتموه.

فقلنا: ما فعلنا هذا، اللص الذي سلمته إلينا، هو هذا.

فضرب أعناق الجماعة، وترك الملاح، وقال: هاتم السجنين، والبوابين.

فجاءوا، فقال لهم: هذا من جملة العشرين الذين أخذناهم؟ فتأملوه، بأجمعهم، وقالوا: لا.

ففكر ساعة، ثم أمر بإطلاقه.

ثم قال: هاتموه إلي، فرددناه.

فقال: اشرح لي قصتك، فأعاد عليه الحديث.

فقال له: في نصف الليل، أي شيء كنت تعمل هناك، في ذلك الموضع؟ فقال: كنت قد بت في سميريّ،

فأخذتني بولة، فصعدت أبول.

قال: ففكر ساعة، ثم قال له: اصدقني على الحقيقة، حتى أطلقك، أي شيء كنت تعمل هناك؟ فلم يجبه بغير ذلك.

قال: وكان من رسمه، إذا أراد أن يقرر إنساناً، قرره وهو قائم بين نفسين، ووراءه جماعة بمقارع، فإذا حك رأسه، ضرب المقرر، واحدة جيدة عظيمة، فيقول للذي ضربه: قطع الله يدك ورجلك، يا فاعل، يا صانع، من أمرك بضربه؟ ولم ضربه؟ تقدم يا هذا، لا بأس عليك، اصدق، فقد نجوت. فإن أقر، وإلا حك رأسه ثانية، وثالثة، أبداً على هذا، وكذا كانت عاداته في جميع الجناة، وهو رسم له معروف، عند المتصرفين بمحضرتة.

قال: فلما أطل عليه الملاح، حك رأسه، فضرب قفاه بعض القائمين، بمقرعة ضربة عظيمة. فصاح الملاح.

فقال الأبرعجي: من أمرك بهذا، يا فاعل، يا صانع، قطع الله يديك.

ثم قال للملاح: اصدق، وانج بنفسك.

فقال له الملاح: أيها الأستاذ، الله شاهد عليك، أني آمن على نفسي وأعضائي، حين أصدق؟ فقال له: نعم. قال: أنا رجل ملاح، أعمل في المشرعة الفلانية، يعرفني جيران بالستر، وقد كنت سرحت سماريقي، إلى سوق الثلاثاء، البارحة بعد العتمة، أتفرج في القمر، فنزل خادم من دار لا أعرفها. فصاح: يا ملاح؟ فقدمت.

فسلم إلي امرأة، نظيفة، حسنة، ومعها صبيتان، وأعطاني دراهم صحاحاً، وقال: احمل هؤلاء إلى المشرعة الفلانية، بباب الشماسية.

فصعدت بهم قطعة من الطريق، فكشفت المرأة وجهها، فإذا هي من أحسن الناس وجهاً، كالقمر، فاشتبهتها، فعلق مجاذيفي في الكرك، وأخرجت السفينة إلى وسط دجلة، وتقدمت إلى المرأة، فراودتها عن نفسها، فأخذت تصيح.

فقلت لها: والله، لنن صحت، لأغرقك الساعة.

فسكتت، وأخذت تمانعني عن نفسها، واجتهدت بأن أقدر عليها، فما قدرت.

فقلت لها: من هاتان الصبيتان منك؟ فقالت: بناتي.

فقلت لها: أيما أحب إليك، تمكينني من نفسك، أو أغرق هذه؟ وقبضت على واحدة منهم.

فقالت: أما أنا، فلا أطيعك، اعمل ما شئت.

فرميت إحدى الصبيتين في الماء، فصاحت، فضربت فاهها، وصحت معها: والله لا أطلقك ولو قتلني، ليشبهه ذلك، على من عساه يسمع الصياح في الليل.

فسكتت، وأخذت تبكي، ثم تركتها ساعة، وقلت لها: دعيني أفعل بك وإلا غرقت الأخرى.

فقالت: والله، لا فعلت.

فأخذت الصبية الأخرى، فرميت بها في الماء، فصاحت، وصحت معها، ثم قلت لها: ما بقي الآن إلا قتلك،

فدعيني، وإلا قتلتك، وأخذت بيدها، وشلتها لأرمي بها في الماء.

فقلت: أدعك.

فرددتها إلى السمارية، فمكتني من نفسها، فوطئتها.

وسرت، لأمضي بها إلى المشرعة، فقلت في نفسي: هذه الساعة تصعد إلى دارها، أو إلى الموضع الذي تأوي

إليه، فتندري، فأؤخذ، وأقتل، وليس الوجه إلا تغريقها، فجمعت يديها، ورجليها، ورميت بها إلى الماء.

فحين غرقت، فكرت فيما ارتكبته، وعظم ما جنيته، فندمت، وكنت كرجل كان سكراناً، فأفاق.

فقلت: أي شيء أعمل؟ ليس إلا أن أنحلر إلى البصرة، وأغوص في أنهارها، فلا أعرف.

فأنحلرت، فلما صرت حذاء الجسر، أخذتني بطني، وقلت: أصعد، وأتفسح، وأعود إلى سماريتي.

فصعدت، فأنا جالس أتغوط، فما أحسست حتى قبض هؤلاء علي.

قال: فقال له الأبراعجي، مطابياً: يا هذا، أي معاملة بين مثلك وبينى، انصرف بسلام.

فظن لجهله، أن ذلك حقيقة، فولى ينصرف.

فصاح به، وقال: يا فتى، هو ذا تنصرف، وتدعنا من حقاً؟ فلا أقل من أن ترجع لنحلفك، أنك لا تعود إلى

مثل هذا.

فرجع.

فقال: خذوه، فأخذوه.

فقال: اقطعوا يده.

فقال: يا سيدي، أليس قد أمنتني؟ فقال: يا كلب، وأي أمان لمثلك؟ قد قتلت ثلاثة أنفس، وزنيت، وأخفت

السبيل.

قال: فقطعت يداه، ورجلاه، ثم ضربت عنقه، وأحرق جسده بالنار في مكانه.

لماذا لقب بالأبراعجي

أخبرني من أتق إليه من أهل بغداد، أن الأبراعجي، إنما لقب بذلك، لأنه كان يخدم قائداً من غلمان الموفق،

تركياً، وكان يسمى أبراعج، فلقب بالأبراعجي لذلك.

وكيل دعاوى يحرم من أجره

فيعرقل حسم الدعوى

حدثني أبو بكر بن عثمان الصيرفي، الشاعر، قال: سمعت عمر بن أكثم، يقول: كان قوم يريدون تثبيت

وفاة، وعدد ورثة، عند أبي عمر القاضي، وكانوا قد ضمنوا للوكيل خمسين ديناراً على ذلك.

فلما ثبت عند القاضي، عدد الورثة، بشهادة شاهدين، ساموه أن يأخذ منهم البعض، ويدع عليهم البعض.

فأخذ ما عفوا به، وتقدم إلى القاضي، وخصومهم في المجلس، وقال: قد وكلني هؤلاء - أعز الله القاضي -

وقد أخرجت نفسي من الأولين.

فقال: تكلم.

فقال: شهد الشاهدان، عند القاضي، أنهما لا يعلمان وارثاً، غير من ذكروه، وعندي شاهدان عدلان، يعلمان وارثاً آخر.

فقال: أحضرهما.

فقاموا، ودافع بالحكم، ولم يزل يدفع بهم شهراً، إلى أن جاءه الورثة، فقالوا: قد أهلكتنا.

فقال: بما كسبت أيديكم، والله لأدفعن بأمركم سنة، أو تعطوني خمسين ديناراً مستأنفة، لأمسك.

وأعطوه ما طلب، وتقدم، فقال: لا بينة لي.

فحكم القاضي لهما.

إذا صرف الأمين زائداً

عن الحاجة ألزم بتعويضه من ماله

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا عمر بن أكثم، قال: تقدم يتييم كان في حجر أمين من أمناء القاضي أبي جعفر بن البهلول، إليه، وقد بلغ وفك حجره، فقال: أيها القاضي، إن فلاناً الأمين، ضيع من مالي هذا، كذا وكذا، وأنا أطلبه به.

فقال: هاه، هاه، أقول هذا لأمين ثابت الأمانة عندي؟ فقال: أيها القاضي، لم أقل خان فيه، ولكنه أنفق

علي أكثر مما كنت أحتاج إليه، بكذا وكذا، وهذا تضییع.

فدعا أبو جعفر الأمين، فسأله، فأقر بذلك.

فألزمه المال في ذمته.

رؤيا عبد الملك بن مران وتفسيرها

حدثنا أبو القاسم بن بشر الآمدي، قال: قال لي أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى، يوماً، وقد تجاذبنا على خلوة، الحديث فيما بينه وبين أبي القاسم البريدي، وتدير كل واحد منها على صاحبه في القبض عليه، وأنا أشير عليه أن يهرب عن البصرة، ولا يقيم، وأنه لا يجب أن يغتر.

قال: لست أفكر في هذا الرجل، لألوان كثيرة، منها رؤيا رأيته منذ ليل كثيرة.

فقلت: ما هي؟ قال: رأيت ثعباناً عظيماً، قد خرج علي من هذا الحائط - وأوماً بيده إلى حائط في مجلسه -

وهو يريدني، فطلبته، وضربته، فأثبته في الحائط، فتأولت أن ذلك الثعبان، البريدي، وأني أغلبه.

قال: فحين قال: فأثبته في الحائط، سبق إلى قلبي، أن البريدي، هو الثابت، وأن الحائط، حائطه، دون أبي

أحمد، فأردت أن أقول له: إن الخبر مستفيض، بما كان عبد الملك رأى في منامه، كأنه وابن الزبير، قد اضطربا في صعيد من الأرض، فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض، وأوتده بأربعة أوتاد فيها، وإنه أنفذ راكباً إلى البصرة، فلقني ابن سيرين، فقص عليه الرؤيا، كأنها لها، وكنتم ذكر ابن الزبير.

فقال له ابن سيرين: هذه الرؤيا ليست رؤياك، ولا أفسرها لك. فألح عليه.

فقال: يجب أن تكون رؤيا عبد الملك، فإن صدقتني، فسرقتها لك. فقال: هو كما وقع لك.

فقال: قل له: إن صحت رؤياك هذه، فستغلب ابن الزبير على الأرض، ويملك الأرض من صلبك، أربعة ملوك.

فمضى الرجل إلى عبد الملك، فأخبره، فعجب من فطنة ابن سيرين، وقال: ارجع إليه، وقل له: من أين قلت هذا؟ فرجع الرجل إليه.

فقال له: إن الغالب في اليوم مغلوب، وتمكنه على الأرض غلبة عليها، والأوتاد الأربعة، التي أوتدها في الأرض، هم ملوك يتمكنون في الأرض، كما تمكنت الأوتاد.

قال أبو القاسم الآمدي: فأردت أن أقول لأبي أحمد، هذا، وما وقع لي من القياس عليه، في تعبير رؤياه، فكرهت ذلك، لأنه كان يكون سوء أدب، وقباحة عشرة، ونعياً لنفسه. فما مضت الأيام، حتى قبض البريدي عليه، وكان من أمره ما كان.

أبو أحمد بن المشي ومناماته التي لا تخطيء

وكان ممن حضر عندي، لما حدثني أبو القاسم بهذا الخبر، أبو القاسم عمر بن عبد الرحمن بن طلحة بن الحسن بن المشي، فقال: كانت لجدي، منامات طريفة لا تخطيء، فمنها: إني كنت بحضرته، وأنا صبي، في تربة جدي لأمي، وعم أبي، أبي الحسين، فقال لنا: إني رأيت البارحة مناماً، فقد أبصرت ثلاثة قبور قد احتفرت، أولها لحسان، والثاني لأبي الحسين أخي، والثالث لي من بعده، وقد أبصرت حسان نائماً في قبره، وأبصرت أبا الحسين قاعداً في القبر، أما أنا فقد كنت أقعد في القبر وأقوم في حركة دائبة، وكأن هاتفاً يهتف بي، إن عمرك وعمر أخيك واحد، وقد توفي أخي منذ سنة وما أظن بيني وبين أخي إلا سنة. قال: فقال له من حوله: يبقى الله الشيخ، ويفعل به ويصنع.

قال: فانصرف من التربة، فلما كان في اليوم السابع من ذلك الحديث، قبض عليه أبو القاسم البريدي، في يوم الخميس، غرة شعبان، سنة خمس وثلاثين وثلثمائة، فأقام في يده دون ثلاثة أشهر، ثم قتله في حبسه، في شوال، بحيلة احتالها له، عبدان المتطبب، لعنه الله، في شيء سقاه.

فقال أبو القاسم الآمدي: كنت حاضراً ابتداء المجلس، ولما أخبر رؤياه، تأولها تأولاً غير ما وقع، وهو: إن نوم حسان في قبره سلامة متينة، وإن قعود أبي الحسين، لأن الحال التي مات بها، أشد من حال حسان، لأنه

فلج سنين، فعاش مبتلي، قد قصص من صحته، ورأى في نفسه ما لا يحبه، وإن وفاة أبي أحمد تكون بحال هي أشد من ذلك كله، بحسب قعوده وقيامه في المشقة، وفرق ما بين القعود والنوم والراحة. فمات أبو أحمد، مقتولاً، بعد الحبس والنكبة، والفقر والذلة.

قاضي شيراز يحكم بين صوفي وصوفية

حدثني أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافي، الفقيه، المتكلم، المعروف بابن السماك رحمه الله، قال: حضرت بشيراز، عند قاضيه أبي سعد بشر بن الحسن الداودي، وقد ارتفع إليه صوفي وصوفية. قال: وأمر الصوفية هناك مفراط جداً، حتى يقال إن عددهم ألوف، رجال ونساء. قال: فاستعدت المرأة على زوجها إلى القاضي، فلما حضرا، قالت له: أيها القاضي، هذا زوجي يريد أن يطلقني، وليس له ذلك، فإن رأيت أن تمنعه. قال: فأخذ أبو سعد، يعجبني من هذا الكلام، وينبهي على مذاهب الصوفية فيه. ثم قال لها: كيف ليس له ذلك؟ قالت: لأنه تزوج بي، ومعناه قائم، والآن يذكر أن معناه قد انقضى مني، وأن معناني قائم فيه ما انقضى، فيجب أن يصبر، إلى أن ينقضي معناني فيه، كما انقضى معناه مني. فقال لي أبو سعد: كيف ترى هذا الفقه؟ ثم أصلح بينهما، وخرجا من غير طلاق.

ابن خفيف شيخ الصوفية بشيراز يتكلم

على الخطرات والوساوس

أخبرني جماعة من أهل العلم: أن بشيراز رجلاً يعرف بابن خفيف البغدادي، شيخ الصوفية هناك، يجتمعون إليه، فيتكلم على الخطرات والوساوس، ويحضر حلقة ألوف من الناس، وأنه فارده، فهم، حاذق، وأنه قد استغوى الضعفى من الناس، إلى هذا المذهب. قال: فمات رجل صوفي من أصحابه، وخلف زوجة صوفية، فاجتمع النساء الصوفيات - وهن خلق كثير - ولم يختلط بمأتمها غيرهن. فلما فرغوا من دفنه، دخل ابن خفيف، وخواص أصحابه - وهم عدد كثير - إلى الدار، وأخذ يعزي المرأة، بكلام من كلام الصوفية، إلى أن قالت: قد عزيت. فقال لها: ها هنا غير؟ فقالت: لا غير. قال: فما معنى التزام النفوس، آفات الهموم، وتعذيبها بعذاب الغموم؟ ولأي معنى نترك الامتزاج، لتلقي الأنوار، وتصفو الأرواح، وتقع الإخلاقات، وتنزل البركات؟ قال: فقالت النساء: إذا شئت. قال: فاختلط جماعة الرجال، بجماعة النساء، طول ليلتهم، فلما كان سحراً خرجوا. قوله: ها هنا غير؟ ، أي: ها هنا غير موافق في المذهب؟ فقالت: لا غير، أي ليس من مخالف. قوله: نترك الامتزاج، كناية عن الوطء، من الممازجة.

وقوله: لتلقي الأنوار، على أصلهم إن في كل جسم نوراً إلهياً.
وقوله: الإخلاقات، أن يكون خلف لكل من مات أو غاب من أزواجكن.
وهذا عندي عظيم، ولولا أن جماعة أخبروني، يبعدون عندي عن الكذب، ما حكيت، لعظمه عندي،
واستبعاد مثله أن يجري في دار الإسلام.
وبلغني أن هذا ومثله، شاع، حتى بلغ الأمير عضد الدولة، فقبض على جماعة منهم، وضربهم بالسياط،
وشرد جماعة منهم، وشتت جموعهم، فكفوا.

من شعر أبي فراس الحمداني

لأبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، لما أسر:
ما للعبيد من الذي ... يقضي به الله امتناع
ذدت الأسود عن الفرا ... نس ثم تفرسني الضباع
وله إلى سيف الدولة، قصيدة اخترت منها قوله:
أيدرك ما أدركت إلا ابن همة ... يمارس في كسب العلى ما أمارس
يضيق مكاني عن سواي لأنني ... على قبة الجند المؤثر جالس
وقال، وقد حضر العيد، وهو ببلد الروم أسير:
يا عيد ما جئت بمحجوب ... على معنى القلب مكروب
يا عيد قد عدت على ناظر ... عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التي رها ... أصبح في أثواب مربوب

كتاب : نشوار المحاضرة

المؤلف : القاضي التنوخي

قد طلع العيد على أهلها ... بوجه لا حسن ولا طيب
ما لي وللدهر وأحداثه ... لقد رماني بالأعاجيب
وله في الأسر قصيدة أولها:
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى فمي عليك ولا أمر
ويقول فيها:
تكاد تضيء النار بين جوانحي ... إذا هي أذكتها الصبابة والفكر
معلقتي بالوعد والموت دونه ... إذا مت عطشاناً فلا نزل القطر
وإني لنزال بكل مخوفة ... كثير إلى نزالها النظر الشرر
وأصدي إلى أن ترتوي الأرض والقنا ... وأسغب حتى يشيع الذئب والنسر
ولا أصبح الحي الخلوف بغارة ... ولا الجيش ما لم يأتته قبلي النذر
ويا رب دار لم تخفني منيعة ... طلعت عليها بالردى أنا والفجر
وحي رددت الجيش حتى ملكته ... هزيماً وردتني البراقع والخمر
وما راح يطغيني بأثوابه الغنى ... ولا بات يشيني عن الكرم الفقر
وما حاجتي بالمال أبغي وفوره ... إذا لم أفر عرضي فلا وفر الوفير
أسرت وما صحتي بعزل لدى الوغى ... ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرئ ... فليس له بر يقيه ولا بحر
ويقول فيها:
وقال أصبحابي الفرار أو الردى ... فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبي ... وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الردى بمذلة ... كما ردها يوماً بسوءته عمرو

أبو سعيد الشيباني يتغزل

أنشدني في ربيع الآخر من سنة ست وستين وثلثمائة، أبو سعيد مساعد بن الجهم الشيباني، لنفسه: قال:
وقلتها منذ سبعين سنة، وذكر لي أن له في الوقت ستاً وتسعين سنة.
يا مقلة لحظها عقاربها ... سماء عيني دمعي كواكبها
تجول في حلبة مشهورة ... تكبو بركبائها ركائبها
كأنها والدماء تتبعها ... شهب خيول شقر جنائبها

أنشدني من هذه الأبيات، شعراً جيداً، في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وقال: شهب جانبها. وهذا أصح، لأنه أراد به، أنه يبكي دمعاً، ثم يتبعه دمًا، والدليل على قوله: كأنها والدماء تتبعها

القاضي أبو الحسين بن أبي عمر

يخزن لموت يزيد المائي

حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان، الشيرازي، الكاتب، قال: حدثني أبو بكر الجعابي الحافظ، قال: دخلت يوماً على القاضي أبي الحسين بن أبي عمر، وهو مغموم حزين، فقلت له: لا يغم الله القاضي، فما الذي آذاه؟ فقال: مات يزيد المائي.

فقلت: يبقى الله قاضي القضاة أبداً، ومن يزيد، حتى إذا مات اغتم عليه قاضي القضاة، هذا الغم كله؟ فقال: ويحك، مثلك يقول هذا، في رجل أوحده في صناعته، قد مات ولا خلف له، ولا أحد يقاربه في حذقه؟ وهل فخر البلد، إلا بكثرة كون رؤساء الصنائع، وحذاق أهل العلم فيه؟ فإذا مضى رجل، لا مثل له في صناعته، ولا بد للناس منها، فهل يدل هذا، إلا على نقصان العالم، وانحطاط البلدان؟ ثم قال بعد ذلك: وأخذ يعدد فضائله، والأشياء الطريفة التي عالج بها، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره، وذكر من ذلك أشياء كثيرة، لم يعلق أكثرها بخفطي.

قال: وكان منها، أن قال: لقد أخبرني، منذ مدة طويلة، رجل من جلة أهل هذا البلد، أنه كان قد حدث بآبنة له علة طريفة، فكتمتها عنه، ثم أطلعت عليه، فكتمها هو مدة، ثم انتهى أمر البنت إلى حد الموت. قال: فقلت: لا يسعني كتمان هذا أكثر من هذا.

قال: فكانت العلة، أن فرج الصبية، يضرب عليها ضرباً عظيماً، لا تنام منه الليل، ولا تهدأ النهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ، ويجري في خلال ذلك، منه دم يسير، كماء اللحم، وليس هناك جرح يظهر، ولا ورم كبير يزيد.

قال: فلما خفت المأثم، أحضرت يزيد، فشاورتها.

فقال: تأذن لي في الكلام، وتبسط عذري فيه؟ قلت: نعم.

فقال: لا يمكنني أن أصف شيئاً، دون أن أشاهد الموضوع، وأفتشه بيدي، وأسائل المرأة عن أسباب، لعلها كانت الجالبة لليلة.

قال: فلعظم الضرورة، وبلوغها التلف، مكنته من ذلك.

فأطال مساءلتها، وحديثها، بما ليس من جنس العلة، بعد أن جس الموضوع من ظاهره، وعرف بقعة الألم، حتى كدت أن أثب به. ثم تصبرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستره، فصبرت على مضض.

إلى أن قال: تأمر من يمسكها؟ ففعلت.

ثم أدخل يده إلى الموضوع، دخولاً شديداً، فصاحت المرأة، وأغمي عليها، وانبث الدم، وأخرج في يده

حيواناً، أقل من الخنفساء، فرمى به.

فجلست الجارية في الحال، واستترت، وقالت: يا أباه، استرني فقد عوفيت.

قال: فأخذ الحيوان في يده، وخرج من الموضع.

فلحقته، وأجلسته، وقلت: أخبرني ما هذا؟ فقال: إن تلك المساءلة، التي لم أشك أنك أنكرتها، إنما كنت أطلب شيئاً، أستدل به على سبب العلة، إلى أن قالت لي: إنها في يوم من الأيام، جلست في بيت دولاب بقر في بستان لكم، ثم حدثت العلة بها، من غير معرفة، من ذلك اليوم، فخلت، أنه قد دب إلى فرجها من القراد الذي يكون على البقر، وفي بيوت البقر، قراد قد تمكن من أول داخل الفرج، فكلما امتص الدم من موضعه ولد الضربان، وأنه إذا شبع، نقط من الجرح الذي يمتص منه إلى خارج الفرج، هذه النقط اليسيرة من الدم.

فقلت: أدخل يدي وأفتش.

فأدخلت يدي، فوجدت القراد، فأخرجته، وهو هذا الحيوان، قد كبر، وتغيرت صورته، لكثرة ما يمتص من الدم، على طول الأيام.

قال: وأراني الحيوان، وإذا هو قراد.

قال: وبرأت الصبية.

قال: فقال لي أبو الحسين القاضي: فهل ببغداد اليوم، من له من الصناعة مثل هذا، أو ما يقاربه؟، فكيف لا أعتم بموت من هذا بعض حذقه؟

أبو المغيرة الشاعر يروي خبراً ملفقاً

حدثنا أبو المغيرة، محمد بن يعقوب بن يوسف، الشاعر، البغدادي، الأسدي، قال: حدثني أبو موسى عيسى بن عبيد الله البغدادي، قال: حدثني صديق لي، قال: كنت قاصداً للرملة وحدي، فانتبهت إليها، وقد نام الناس، ليلاً، فعدلت إلى المقبرة، ودخلت بعض القباب التي على القبور، وطرحت درقة كانت معي، فاتكأت عليها، وعلقت سيفي أريد النوم، لأدخل إلى البلد فهاًراً، فاستوحشت من الموضع، وأرقت.

فلما طال أرقى، أحسست بحركة، فقلت: لصوص يجتازون، فإن قصدت لهم، لم آمنهم، ولعلهم أن يكونوا جماعة، فلا أطيقهم، فأنخرلت مكاني، ولم أتحرك، وأخرجت رأسي من بعض أبواب القبة، على تخوف شديد، فرأيت دابة كالدب، يمشي، فأخفيت نفسي، فإذا به قد قصد قبة حيالي، قريبة مني، فما زال يتلفت طويلاً، ويدور حولها، ويتلفت، ساعة، ثم دخلها.

فارتبت به، وأنكرت فعله، وتطلعت نفسي إلى علم ما هو عليه.

فدخل القبة، وخرج غير متثبت، ثم دخل وخرج، بسرعة، دفعات، ثم دخل، وعيني عليه، فضرب بيده إلى قبر في القبة ليحفر.

فقلت: نباش، لا شك فيه.

وتأملت يحفر بيديه، فعلمت أن فيها آلة حديد يحفر بها.

فتركته إلى أن اطمأن، وأطال، وحفر شيئاً كثيراً، ثم أخذت سيفي ودرقتي، ومشيت على أطراف أناملتي،

حتى دخلت القبة، فأحس بي، وقام إلي بقامة إنسان، وأومأ إلي ليلطمني بكفه، فضربت يده بالسيف، فأبنتها، وطار.

فصاح: أواه، قتلني، لعنك الله.

وعدا من بين يدي، وعدوت وراءه، وكانت ليلة مقمرة، حتى دخل البلد، وأنا وراءه، ولست ألحقه، إلا أنه بحيث يقع بصري عليه، إلى أن اجتاز في طرق كثيرة، وأنا في خلال ذلك أعلم الطرق، لئلا أضل، حتى إذا جاء إلى باب دار، فدفعه، ودخل، وغلقه، وأنا أتبع.

فعلمت الباب، ورجعت أقهو الأثر، والعلامات التي علمتها في طريقي، حتى انتهيت إلى القبة التي كان فيها النباش، فطلبت الكف، فوجدتها، وأخرجتها إلى القمر، فبعد جهد، انتزعت الكف المقطوع من الآلة الحديد، فإذا هي كف كالكف، وقد أدخل أصابعه في الأصابع، وإذا هي كف فيها نقش حناء، وخاتمان ذهب.

فحين علمت أنها امرأة، اغتممت، وتأملت الكف، وإذا أحسن كف في الدنيا، نعومة، ورطوبة، وسمناً وملاحة، فمسحت الدم منها، ونمت في القبة التي كنت فيها. ودخلت البلد، من غد، أطلب العلامات، حتى انتهيت إلى الباب. فسألت: لمن الدار؟ فقالوا: لقاضي البلد.

واجتمع عليها خلق، وخرج منها رجل شيخ بهي، فصلى الغداة بالناس، وجلس في الخراب. فازداد عجي من الأمر، وقلت لبعض الحاضرين: بم يعرف هذا القاضي؟ فقال: بفلان. فأطلت الحديث في معناه، حتى عرفت أن له ابنة عاتقاً، وزوجة، فلم أشك، أن النباشة ابنته.

فقدمت إليه، وقلت له: بيني وبين القاضي - أعزه الله - حديث، لا يصلح إلى على خلوة. فقام إلى داخل المسجد، وخلا بي، وقال: قل.

فأخرجت إليه الكف، وقلت: أتعرف هذه؟ فتأملها طويلاً، وقال: أما الكف فلا، وأما الخواتيم، فخواتيم ابنة لي، عاتق، فما الخبر؟ فقصصت عليه الحديث بأسره.

فقال: قم معي، وأدخلني داره، وغلق الباب، واستدعي طبقاً، وطعاماً، واستدعي امرأته. فقال له الخادم: تقول لك: كيف أخرج ومعلك رجل غريب؟ فقال: لا بد من خروجها تآكل معنا، فهنا من لا أحششه.

فأبت عليه، فحلف بالطلاق لتخرجين، فخرجت باكية، فجلست معنا.

فقال لها: أخرجي ابتك.

فقالت: يا هذا، قد جننت، فما الذي حل بك؟ فقد فضحتني، وأنا امرأة كبيرة، فكيف تهتك صبية عاتقاً؟ فحلف بالطلاق لتخرجنها، فخرجت.

فقال: كلي معنا.

فرأيت صبية كالدينار المقشوش، ما مقلت مقلتي مثلهما، ولا أحسن منها، إلا أن لونها أصفر جداً، وهي

مريضة، فعلمت أن الذي لحق يدها، قد فعل بها ذلك.

فأقبلت تأكل يمينها، وشمالها مخبوءة.

فقال: اخرجني اليسرى.

فقالت: قد خرج فيها خراج عظيم، وهي مشدودة.

فحلف لئخرجنها.

فقالت امرأته: يا رجل، استر على نفسك، وعلى ابنتك، فوالله - وحلفت بأيمان كثيرة - ما اطلعت هذه الصبية على سوء قط، إلا البارحة، فإنها جاءتني، بعد نصف الليل، فأيقظتني، وقالت: يا أمي، الحقيني، وإلا تلفت.

فقلت لها: ما لك؟ فقالت: قد قطعت يدي، وهو ذا أنزف الدم، والساعة أموت، فعالجيني، وأخرجت يدها مقطوعة.

فلطمت، فقالت: لا تفضحيني ونفسك بالصباح، عند أبي والجيران، وعالجيني.

فقلت: لا أدري بما أعالجك.

فقالت: خذي زيتاً، فاغليه، واكوي به يدي.

ففعلت ذلك، وكويتها، وشددتها، وقلت: الآن حدثيني ما دهاك.

فامتعت.

فقلت: والله، لئن لم تحدثيني، لأكشفن أمرك إلى أهلك.

قالت: إنه وقع في نفسي منذ سنتين، أن أنيش القبور، فتقدمت إلى هذه الجارية، فاشتريت لي جلد ماعز غير مخلوق الشعر، واستعملت لي كفين من حديد، وكنت إذا نمت، أفتح الباب، وأمرها أن تنام في الدهليز ولا تغلق الباب، وألبس الجلد، والكفين الحديد، وأمشي على أربع، فلا يشك من لعله يراني من سطح أو غيره، أي كلب.

ثم أخرج إلى المقبرة، وقد عرفت من النهار، خبر من يموت من الجلدة، وأين قد دفن، فأقصد قبره، فأنبشه، وأخذ الأكفان، فأدخلها في الجلد، وأمشي مشيتي، وأعود والباب غير مغلق، فأدخل، وأغلقه، وأنزع تلك الآلة، وأدفعها إلى الجارية، مع ما قد أخذته، فتخبئه في بيت لا تعلمون به، وقد اجتمع ثلثمائة كفن، أو ما يقاربها، لا أدري ما أصنع بها، إلا أي كنت أجدر لذلك الخروج، والفعل، لئلا لا سبب لها، أكثر من أن أصابني بهذه المحنة.

فلما كان الليلة، تسلط علي رجل، أحس بي، وكان كأنه جالس، أو حارس لذلك القبر، فحين بدأت أنبشه، جاءني، فقممت لأضرب وجهه بكفي الحديد، فأشغله بما عني، وأعدو، وأنجو، فداخلني بالسيف، فضربني، فتلقيت الضربة بشمالي، فأبان كفي.

فقلت لها: أظهري أنه قد خرجت على كفك خراج، وتعاللي، فإن الذي بك من صفار، يصدق قولك، حتى إذا مضت أيام، قلنا لأهلك: لا بد أن تقطع يدك، وإلا خبت جميع بدنك، فتلفت، فيأذن لنا في قطعها، فنوهم أنا قطعناها من جديد، وينستر أمرك.

فعملنا على هذا، بعد أن استتبعتها، فتابت، وحلفت بالله، لا عادت.
وكتت على بيع هذه الجارية، وأراعي فيما بعد مبيت الصبية، وأبيتها جانبي، ففضحتني أنت، وفضحت نفسك.

فقال لها القاضي: ما تقولين؟ فقالت: صدقت أُمي، ووالله، لا عدت أبداً، وتابت.

فقال لها القاضي: هذا صاحبك الذي قطع يدك، فكادت أن تلتف جزعاً.

ثم قال: يا فتى، من أين أنت؟ فقلت: رجل من أهل العراق.

قال: فقيم وردت؟ قلت: أطلب الرزق.

فقال: قد جاءك حلالاً، هنيئاً، نحن قوم مياسير، والله علينا ستر، فلا تفتكه، والله، ما علمت هذا من حال ابنتي، فهل لك أن تنزوجه، وأغنيك بمالي عن الناس، وتكون معنا، وفي دارنا؟ قلت: نعم.
فرفع الطعام، وخرجنا إلى المسجد والناس مجتمعون، ينتظرونه.
فخطب، وزوجني، وقام رجع، فأدخلني إلى الدار.

ووقع حب الصبية في نفسي، حتى كدت أموت عشقاً لها، وافترعتها، وأقامت معي شهوراً، وهي نافرة عني، وأنا أونسها، وأبكي حسرة على يدها، وأعتذر إليها، وهي تظهر قبول عذري، وأن الذي بها غماً على يدها.

إلى أن نمت ليلة، وانبسطت في نومي، على رسمي، فأحسست بثقل على صدري شديد، فانتبهت جزعاً، فإذا بها باركة على صدري، وركبها على يدي، مستوتقة، وفي يدها موسى، وقد أهوت لتدبحني، فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر، وخشيت أن تبادرني، فسكت.

فقلت لها: كلميني، واعلمي ما شئت، ما الذي يدعوك إلى هذا؟ قالت: أظن أنك قطعت يدي، وهتكني، وتزوجت بي، وتنجو سالماً؟ والله لا كان هذا.

فقلت: الذبح قد فاتك، ولكنك تتمكنين من جراحات توقعينها بي، ولا تأمنين أن أفلت فأذبحك، أو أهرب وأكشف هذا عليك، ثم أسلمك إلى السلطان، فيكشف جنايتك الأولى، والثانية، ويترأ منك أهلك، وتقتلين.

فقالت: افعل ما شئت، فلا بد من ذبحك، وقد استوحش كل منا من صاحبه.

فنظرت، وإذا الخلاص منها يبعد علي، ولا آمن أن تجرح موضعاً من بدني، فيكون فيه تلفي، فقلت: الحيلة أعمل فيها.

فقلت: أو غير هذا.

فقالت: قل.

فقلت: أطلقك الساعة، وتفرجين عني، وأخرج من البلد، فلا تريني، ولا أراك أبداً، ولا ينكشف لك حديث في بلدك، ولا فضيحة، وتزوجين من شئت، فقد شاع عند الناس، أن يلك قطعت لخراج خبثها، وترجين الستر.

فقلت: تحلف أنك لا تقيم في البلد، ولا تفضحني فيه أبداً؟ قال: فحلفت بالآيمان المغلظة.
فقامت عن صدري، تعدو، خوفاً من أن أقبض عليها، حتى رمت الموصى بحيث لا أدري، وعادت، فأخذت
تظهر بأن الذي فعلته، مزاح، وتلاعني.
فقلت: إليك عني، فقد حرمت علي، ولا تحل لي ملامستك، وفي غد، أخرج عنك.
فقلت: الآن علمت صدقك، ووالله، لو لم تفعل، لما نجوت من يدي.
وقامت، فجاءتني بصرة، وقالت: هذه مائة دينار، خذها نفقة، واكتب رقعة بطلاقي، ولا تفضحني، واخرج.
فخرجت في سحرة ذلك اليوم، بعد أن كتبت إلى أبيها، أي قد طلقته، وأي خرجت حياء منه.
ولم ألتق بهم إلى الآن.

من شعر أبي المغيرة

أبو المغيرة، راوي هذا الخبر، شاعر طويل اللسان، مطبوع، هجاء، ولم مدائح كثيرة، وديوان واسع،
وأنشدني لنفسه أشياء، منها:
عرضني للردى هواه ... من معدن السحر مقلته
وقد لوى نحوه فؤادي ... صدغ على الخد قد لواه
كأنه عقرب ولكن ... يلسع كل الورى سواه
يا عاذلي في هواه رفقا ... عذري من الحسن ما تراه
أبو أحمد الدجلي يرى مناماً صادقاً
حدثني الأستاذ أبو أحمد الحسين بن محمد بن سليمان، الكاتب المعروف بالدجلي، قال: رأيت في المنام ذات
ليلة - وأنا إذ ذاك أخلف سهل بن بشر على أعمال الأهواز - كأني قد خرجت إلى بعض الصحارى،
فصعدت جبلاً شاهقاً، فلما بلغت ذروته، قربت من القمر، أو قرب القمر مني، حتى لمستته بيدي، وكأن في
يدي خشبة، قد أدخلتها فيه، وأنا أخضخضها فيه، حتى نقتبه، وقطعته قطعاً، ثم أخذت بتلك الخشبة، غيماً،
كان قريباً من القمر، فما زلت أطنحه، حتى طينته كله، وكأن صاحباً لي يقول: ما تصنع؟ فقلت له: قد
قتلت القمر، وأنا أطينه بهذا الغيم.
وانتهت، فاشتغل بذلك قلبي، فبكرت إلى أبي الحسن أحمد بن عمر الطالقاني، الكاتب، فلما رأيته، قال:
رأيت لك البارحة مناماً طريفاً، وأردت أن أجيئك الساعة، فأفسره لك.
فقلت: فإني رأيت البارحة مناماً قد شغل قلبي، فجئت لأحدثك به.
فقال: ما رأيت؟ فقصصت عليه الرؤيا. فقال: لا تشغل قلبك بها، فستلي مكان سهل بن بشر، وتحتوي على
منزله، عن قريب.
فقلت: من أين لك هذا؟ وما الذي رأيت أنت؟ فقال: رأيت البارحة في منامي، كأني مجتمع مع رجل صالح،
قد هجس في نفسه أنه بعض الصحابة، أسأله أن يدعو الله عز وجل لي، فقال لي: الدجلي صديقك؟ فقلت:
نعم.

فقال: قل له: الأهواز وقف عليك، فاتق الله، ولا تؤذي زوجتك، ولا شك أن هذا المنام تفسير منامك. فاستكتمه المنام، وافترقنا، وعدت.

وما كنت أرى أنني أؤذي زوجتي في شيء، إلا في تسري الجواري، وكانت عندي واحدة منهن، قد أقامت نحو سنة، وكادت أن تغلبها علي، فبعتها على مشتر في الحال، ووهبت ثمنها لزوجتي، وكان ألوف دراهم.

فلما كان بعد ذلك بسنة - أكثر أو أقل - ورد الوزير ابن بقية، الأهواز، مع عز الدولة، وقبض على القائد بختكين آذرويه، والأتراك، وسهل بن بشر، ثم أطلق القائد، وسمي بالحاجب الأجل، وردت الضمانات إليه، وقلدني مكان سهل بن بشر.

فما زال في حبس أبي أحمد، مدة، ثم أخذ من يده، وحمل إلى بغداد، وحدث من ملك الأمير عضد الدولة بغداد ما حدث، فأطلق، وقلد عسكر مكرم، وتستر، وجنديسابور وأعمال ذلك، ونكب أبا أحمد، وألزمه مالا، فلزم منزله بالأهواز، وكان يؤدي المال، إلى أن خالف سهل بن بشر، ودخل الأهواز بالجيش داعياً إلى عضد الدولة، ومعهم أبو أحمد خوفاً على مهجته من سهل بن بشر.

وأقام بأرجان، سنة وشهراً، ثم واطأ الديلم بالأهواز، على أن يشغبوا، ويقولوا: إنهم لا يرضون بالوزير وزيراً، ولا يقنعون إلا بصرفه، وتقليد غيره الوزارة، وإلا لم يرضوا بإمارة الأمير عز الدولة، واستحلف القواد، وسائر الجيش بكور الأهواز، وبايعوه، وحلقوا له، وأظهر أنه يريد المسير إلى بغداد، للمطالبة بذلك، وذلك في شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة.

فأنكر ذلك، الأمير عز الدولة، وأنفذ إبراهيم بن إسماعيل، من أجل حجابته، برسالة إلى الديلم، فسلموا على ما فعلوا، وأذعنوا بالطاعة، فقبض على سهل بن بشر، وحمله إلى بغداد، إلى الأمير عز الدولة، فخلع عليه، وضمنه الأهواز، والياً لها ولكورها.

فصارت الأهواز، كالوقف عليه، لا يصلح لها غيره، ولا يعرف فيها عند الحاجة سواه.

أبو مسلم الأصبهاني الكاتب

يرى مناماً صادقاً

حدثنا أبو مسلم محمد بن أحمد بن مهدي، الأصبهاني، الكاتب، قال: رأيت في المنام - وقت استحلاف سهل بن بشر، القواد، والديلم، على الشغب، والمطالبة بصرف الوزير الناصح نصير الدولة - كأني قد خرجت إلى صحراء عظيمة، فرأيت معسكراً هائلاً، بالحيم، والشرع، والفازات، وفي وسطه نهر يسقيه، وعلى حافتي ذلك النهر غائط عظيم، وجميع أهل ذلك المعسكر، من القواد وغيرهم، قد اجتمعوا، يأكلون من تلك العذرة، فجاء الحاجب الأجل من بينهم، وقد أكل من تلك العذرة، فغسل فاه، وما حواليه بالماء، وتمضمض، وركب، ولم يفعل الباقون ذلك.

وكأني أعجب من هذا، إذ وقعت عيني على شراع فوق سطح، فقلت: لمن هذا؟ للدليجي؟ قال: وأبو أحمد الدليجي إذ ذاك بأرجان.

فقالوا: هذا له، وقد قدم.

فقلت: أمضي، وأراه، وأسلم عليه.

فتوجهت، إلى أن بلغت إلى أسفل الموضع الذي فيه الشراع، فهبت ريح عظيمة، فقلعت تلك الخيم التي كانت في المعسكر، فما رأيت منها شيئاً باقياً، فظرت فإذا نساء، وصبيان، ورجال، وشيوخ، يمسكون الشراع.

فقلت: من هؤلاء؟ فقال لي قائل: هؤلاء الطالبيون، يمسكون شراع الدلجي، حتى لا تقلعه الريح. وانتهت، فقصصت من غد، الرؤيا على سيما الدرعي، صاحب الشرط، وقلت: هذا الذي فيه هؤلاء، لا يجيء منه شيء، سيلي الدلجي، ويجيء من أرجان. فقال: ويحك ما تقول؟ فقصصت عليه الرؤيا. فقال: إحسان الدلجي إلى الطالبين، هو الذي يأخذ بيده. فما كانت إلا أيام، حتى ورد إبراهيم الحاجب، فقبض على سهل بن بشر، وحمله مقيداً، وسار بالجيش إلى بغداد.

فأما الحاجب الأجل بختكين، فقد كاتب الأمير والوزير بالخير، وأشار بمعالجة سهل بن بشر، والقبض عليه، وذكر أنه وافقه، إشفاقاً من وثوب الديلم عليه، فجاء من الخنة بذلك الفعل، وكان ذلك تأويل مضمضته، وغسله فاه من العذرة.

وأما الباقر، الذين غمرهم ذلك الأمر، فكانوا: الحسين بن أحمد بن بختيار، القائد الديلمي، وتكيدار بن سليمان، القائد الجيلي، فلما حصلا بواسط، قبض عليهما، ونفيا، وأخذت نعمتهما. وورد أبو أحمد الدلجي، الحضرة، فتقلد الأهواز وكورها. فكان يحدثنا بهذا، بحضرة أبي أحمد، بعد دخوله الأهواز بمدة.

الوزير المهلب يطالب أحد عماله بحمل الخراج

سمعت أبا محمد المهلب، يملئ كتاباً، إلى سعد بن عبد الرحمن - وهو إذ ذاك، ضامن عمالة البصرة منه، في شركة أبي الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الأهوازي، وأبي علي الحسن بن علي بن مهدي الأصبهاني، ابن أخت سعد بن عبد الرحمن - يخاطبه في معنى المال، وتأخره، وحثه بخطاب جميل بين اللين والحنن. وقال في آخره:

لو سكت عن مطالبتك بالمال، ما سكت الأمير معز الدولة، فيجب أن تؤديه محموداً، خيراً من أن تؤديه مذموماً، فاعمل على أني صديق أشرت بأدائه، ومدافعتك عنك، بهذا القدر، ما كنت أغلو عليه به، فإن من أَرْضَى أصدقاءه في أيام النعم، أَرْضَوْه في أيام الحن، واعلم أنه ليس بين مخاطبتك هذه لك، وبين أن أخاطبك

بضدها، مما يخاطب به العمال المطالبون، الملطون، والمعاملة بما يقتضي ذلك، إلا أن يرد جواب كتابي فارغاً من ذكر حمل المال، وأعوذ بالله، فاختبر لنفسك، أو فدع، والسلام.

أبو محمد المهلبى الوزير يتحدث عن الكرم

سمعت أبا محمد المهلبى، يقول يوماً، في شيء جرى بحضرته، من ذكر الكرم والكرام، بين جماعة من الناس: كرم الكريم يستر عليه، ما تكشفه النوائب من سوءاته.

إعظام من لا دين له ولا دنيا عنده، حق

حدثني أبو محمد بن داسة، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن إسحاق الآمدي، ويعرف بابن أبي صفوان، شيخ كان يخلف القاضي أبا القاسم التوخي، على القضاء بواسط وأعمالها، وعلى أعمال كور الأهواز، في أوقات متفرقة، قال: أخبرني من حضر مجلس أبي عمر القاضي، وقد دخل إليه ابن غسان، صهره. فقال له: من أين أقبلت؟ فقال: من عند فلان. فقال أبو عمر: إعظام من لا دين له، ولا دنيا عنده، حق

البخل خير من مسألة البخل

حدثنا أبو القاسم عمر بن حسان بن الحسين، الشاهد، البغدادي - وقد تولى القضاء بديار مصر من قبل قاضي القضاة، وهو مشهور الخل - قال: كنت عند سلامة، أخي نوح الطولوني، وأنا شاب، وفي مجلسه جماعة ينمون البخل، وكان سلامة ينسب إلى البخل، وما كان بخيلاً، وإنما كان محصلاً لحاله، مصلحاً لماله. فلما انصرفوا، قال: يا أبا القاسم، لا تسمع هذا الكلام، ولا تعول عليه، فتهلك، واعلم أن البخل خير من مسألة البخل.

سلامة الحاجب يلوم قوماً طعنوا في العدول

قال: وكنت عنده في آخر كونه ببغداد، وقبيل دخول الديلم إليها، وبحضرته قوم يطعنون على الشهود، ويعيبونهم.

فقال لهم سلامة: ما رأيتم أعجب من أمركم، من فيكم يطمئن أن يشتري من ابنه، أو من أخيه، ضيعة بعشرة آلاف دينار، ولا يشهد عليه العدول؟ فقالوا: ما فينا أحد بهذه الصورة.

قال: أفستظهرون لأنفسكم، وأعقابكم، في هذا القدر الكثير من المال، وما هو أكثر منه، إلا بالشهادة، وتعتاضون بخطوطهم في جلد يساوي دائق فضة، من ذلك المال العظيم، حتى تأخذوا الصك، بدلاً من المال، فتجعلونه تحت رؤوسكم، لشدة حفظه.

قالوا: نعم.

قال: فمن كان هذا حكمه عندهم، لم تطعنون فيه؟

أبو علي بن مقلة الوزير يزيل أثر الحلوى بالخبر

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك، وكان يعرف بالديناري، لأن أمه دينارية، تقرب إلى امرأة أبي علي بن مقلة، المعروفة بأُم الفضل الدينارية. وسمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة، يحدث بهذا الحديث، واللفظ مقارب، قالاً: كان أبو علي بن مقلة، يوماً، يأكل، فلما شيلت المائدة، وغسل يده، رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوى الذي أكله، ففتح الدواة، واستمد منها بيده، ونقطها على الصفرة، حتى لم يبق لها أثر، وقال: ذاك عيب، وهذا أثر صناعة، ثم أنشد:

إنما الزعفران عطر العذارى ... ومداد الدوي عطر الرجال

من نظم ابن أبي الضحاك

أنشدني لنفسه:

وأشجار نارنج كأن ثمارها ... حقايق عقيق قد ملتن من الدر
تطالعنا بين الغصون كأنها ... حدود العذارى في ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق برىا حبيبته ... فهاجت له الأحزان من حيث لا يلري
وأنشدني لنفسه أيضاً في النارج:
شجر كأيام الشبا ... ب تعجلت قبل المشيب
وكأنما نارنجها ... وجه الحبيب على رقيب
تهدى إليك جميع ما ... أرضاك من حسن وطيب
لم لا تحن لها القلوب ... ب وقد غدت مثل القلوب

للبيهي البغدادي في وصف النارج

أنشدني أبو الحسن، أحمد بن عبيد الله البغدادي، المعروف بالبيهي، لنفسه:
أنظر إلى النارج في أغصانه ... ترهاً لأعيننا وعطراً في اليد
ككباب نار في قباب زبرجد ... متوقد بالطيب أي توقد
ورق كآذان الجياد قدودها ... قد أثقلت بقلائد من عسجد

أبو الحسن بن جميل يستخلف متخلفاً

حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الأهوازي، الكاتب، قال: كنا خمسة كتاب، قد

نشأنا بين يدي أبي الحسن بن جميل، في الديوان بالأهواز، وتعلمنا عليه، وكان فينا رجل متخلف في صناعته، فأراد ابن جميل، أن يغيب عن صاحبه، واستخلف ذلك المتخلف، فاغتمنا لتقديمه علينا. وكان الرجل، يدخل إلى صاحب، فإذا سأله عن شيء لم يفهمه، وإن فهمه لم يحسن أن يجيب عنه، وإن أجاب عنه، اضطرب ولم يقيم بالحجة. فلما طال ذلك على صاحب، قال: قد أضرت بنا غيبة ابن جميل عنا، اكتبوا إليه، حتى يبادر. قال: فعلمنا - حينئذ - أنه استخلفه، ليكتب لصاحبه، إذا غاب، في موضعه، ولا يطمع في أن يتوب عنه.

أبو الفضل عامل أرجان يقدم نوبة الحمى

حدثنا أبو علي محمد بن الحسن بن جمهور، العمي، الكاتب، الصلحي، البصري، صاحب الستارة، المشهور بالأدب، والشعر، وتصنيف الكتب، قال: كنت أكتب لأبي الفضل غيلان بن إسماعيل، وهو بأرجان يتقلدها.

ف قيل له: قد قدم أبو المنذر النعمان بن عبد الله، يريد فارس، والوجه أن تلقاه في غد. وكان أبو الفضل يحم حمى الربع، فقال: كيف أعمل، وغداً يوم هائي، ولا أتمكن من لقاء الرجل، ولكن الوجه أن أحم اليوم، حتى أقدر أن ألقاه غداً، يا غلام، هات الدواج حتى أحم الساعة. وإذا عنده، أنه إذا أراد أن يقدم نوبة الحمى، ويمهم تأخرت عنه الحمى في غد، وصح.

ابن الجريح يقتل أسدا

حدثني الأستاذ أبو أحمد الحسين بن محمد الدلجي، قال: كنت بنواحي المذار، في جماعة، منهم رجل من الشاكرية، يعرف بابن الجريح، فخرج علينا أسد، فابتدر له هذا الرجل، بسيفه ودرقته، يحاربه، ودخل معه الأجمة، فلم نعرف له خبراً، حتى خرج علينا، وقد قتل الأسد، وحمله على ظهره، وكان بيننا وبين الأجمة مسافة صالحة، فلما انتهى إلينا، طرحه عن ظهره. فما درينا من أي شيء نعجب، من رجل قتل سبعاً وحده، أو من حمله إياه، على ظهره، طول تلك المسافة.

الخليفة المعتضد يقتل أسدا

وحدثنا، قال: بلغني عن خفيف السمرقندي، أنه قال: كنت مع مولاي المعتضد، في بعض متصيداته، وقد انقطع عن العسكر، وليس معه غيري، فخرج علينا أسد، فقصدنا. فقال لي المعتضد: يا خفيف، أفيك خير؟ فقلت: لا، يا مولاي. فقال: ولا حتى تمسك فرسي، وأنزل أنا إلى الأسد؟ فقلت: بلى.

فنزل، وأعطاني فرسه، وشد أطراف منطقتيه، واستل سيفه، ورمى القراب إلي، فأخذته، وأقبل يمشي إلى الأسد، واستقبله بضربة، وثناه المعتضد بأخرى، ففلق هامته، فخر صريعاً، ودنا منه وقد تلف، فمسح السيف في صوفه، حتى نظفه، ورجع إلي، فأغمد السيف، وركب.
ثم عدنا إلى المعسكر، وصحبته، فإلى أن مات، ما سمعته يتحدث بحديث الأسد، ولا لفظ فيه بلفظة.
فلم أدر من أي شيء أعجب، من شجاعته وشدته، أم من قلة حفله بما صنعه، وكتمانه، أم من كرمه وعفوه عني، وما عاتبني على ضني بنفسي.

لا جزاك الله من طارق خيرا

حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن أم المكاتب البغدادي، المعروف والده بأبي الليث الهمداني، قال: حدثني محمد بن بديع العقيلي، أحد قوادهم ووجههم في الحي، وكان ورد إلى معز الدولة، فأكرمه وأحسن إليه، قال: رأيت رجلاً من بني عقيل، وفي ظهره كله شرط كشرطات الحجام، إلا أنها أكبر، فسألته عن ذلك. فقال: إني كنت هويت ابنة عم لي، فقالوا: لا نزوجك إلا أن تجعل في الصداق الشبكة، فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب، فتزوجتها على ذلك.

وخرجت في أن أحتال في سلب الفرس من صاحبها، لأتمكن من الدخول بابنة عمي. فأتيت الحي الذي فيه الفرس، في صورة حدار، وما زلت أداخلهم، ومرة أجيء الخباء الذي هي فيه كأني سائل، إلى أن عرفت ميت الفرس من الخباء.

واحتلت حتى دخلت البيت من خلفه، وحصلت خلف النضد، تحت عهن كانوا نفسوه ليغزل. فلما جاء الليل، وافى صاحب الخباء، وقد زاوت لك المرأة عشاء، وجلسا يأكلان، وقد استحكمت الظلمة، ولا مصباح لهم، وكنت ساغباً، فأخرجت يدي، وأهويت إلى القصعة، وأكلت معهم.

فأحس الرجل بيدي، فأنكرها، فقبض عليها، فقبضت على يد المرأة. فقالت له المرأة: ما لك ويدي؟، فظن أنه قابض على يد امرأته، فحلى يدي، فخلت يد المرأة.

وأكلنا، فأنكرت المرأة يدي، فقبضت عليها، فقبضت يد الرجل، فقال لها: ما لك؟ فخلت عن يدي، فخلت عن يده.

وانقضى الطعام، واستلقى الرجل نائماً، فلما استيقظ، وأنا مراصدهم، والفرس مقيدة في جانب البيت، فأتيتها، والمفتاح تحت رأس المرأة.

فوافى عبد له أسود، فبذ حصاة، فانتبهت المرأة، فقامت إليه، وتركت المفتاح في مكانه، وخرجت من الخباء إلى ظاهر البيت، ورمقتها بعيني، فإذا هو قد علاها.

فلما حصلا في شأهما، دببت، وأخذت المفتاح، وفنحت القفل، وكان معي لجام شعر، فأوجرتة الفرس، وركبتها، وخرجت عليها من الخباء.

فقامت المرأة من تحت العبد، ودخلت الخباء، وصاحت.
فدعر الحي، وأحسوا بي، وركبوا في طلي، وأنا أكّد الفرس، وخلفي خلق منهم.
فأصبحت، وليس ورائي إلا فارس واحد برمح، فلحقني وقد طلعت الشمس، وأخذ يطعني، فلا تصل إلي
طعناته، ولا فرسي تنجيني، إلى حيث لا يمسي من الرمح شيء.
حتى وافينا إلى نهر عظيم، فصحت بالفرس، فوثبته، وصاح الفارس بالفرس التي تحته، فقصرت، ولم تتب.
فلما رأيته عاجزاً عن العبور، وقفت، لأريح الفرس وأستريح، فصاح بي، فأقبلت عليه بوجهي.
فقال: يا هذا، أنا صاحب الفرس التي تحك، وهذه ابنتها، فإذا ملكتها، فلا تتدع عنها، فإنها تساوي عشر
ديات، وعشر ديات، وعشر ديات، وما طلبت عليها شيئاً قط، إلا لحقته، ولا طلبني عليها أحد إلا فته،
وإنما سميت الشبكة، لأنها لم ترد قط شيئاً إلا أدركته، فكانت كالشبكة في صيده.
فقلت له: إذ نصحتني، فوالله لأنصحك، كان من صورتي البارحة، كيت وكيت، وقصصت عليه قصة
امراته، والعبد، وحيلتي في الفرس.
فأطرق، ثم رفع رأسه، وقال: ما لك، لا جزاك الله من طارق خيراً، طلقت زوجتي، وأخذت قعدتي، وقتلت
عبدي.
؟

دكين البدوي يسلم فرس معز الدولة

وحدثنا ابن أبو الليث الكاتب، قال: حدثني رجل من بني النمر بن قاسط، يسمى دكين، بدوي، شاهده
بالأنبار، قال: كان معز الدولة، لما حصل بسنجار، يشد فرساً له جليل القيمة، بين يديه، في أقرب المواضع
إلى مبيته. فعينت عليه، وطمعت في سله، وأعملت الحيلة في ذلك، فلم أتمكن.
إلى أن جئت ليلة من الليالي، فوجدت بعض السواس، وقد نزع جبة صوف عليه، وهو نائم، وقد طرحها
إلى جنبه، فلبستها، وجئت إلى الفرس، وأخذت المخلاة من رأسه، لأحله، وأركبه.
فلما طرحت المخلاة، استيقظ معز الدولة، وأحسست بحركته، فأخذت الغربال، وطرحته به باقي الشعر
الذي كان في المخلاة، وسردته، وأعدته إلى المخلاة، وأوهمتني أي أحد السواس، وقد فعلت ذلك متفقداً
للفرس.

فلما رأيته أفعل ذلك، صاح بالفارسية، بكلام فهمت معناه: حسبه من الشعر، لا ترده إلى رأسه.
فتركت المخلاة، ومرح الفرس يطلبها.
فقال معز الدولة بالفارسية: قصر عليه.
فتمكنت من الحيلة، وأهويت إلى الرسن، فحللته، موهماً له أي أقصره، واستويت على ظهره وصحت به،
فخرجت من العسكر.
وصاح الأمير معز الدولة، وركب سرعان العسكر في طلي، فما زلت أركض، وخلفي جماعة، حتى حصلت
في شعب طويل، وهم ورائي.

فاستقبلني قوم من العلافه، رأيتهم على بعد، من ضوء مشاعلهم، ومعهم عسكر.
فقلت في نفسي: يا دكين، اليوم يومك، وراءك عسكر، وأملك عسكر، فإن ملكوك، لم يوصلوك إلى معز
الدولة، إلا ميتاً، وليس غير الإقدام على ما تقدر فيه النجاة.
فقام في نفسي أن أحمل على من هو أمامي، وليس لهم علم بخبري، فسللت سيفاً كان معي، فوق ثيابي،
وتحت الجبة التي لبستها من ثياب سواس معز الدولة، وحركت وهم لا يروني، لأنهم في الضوء، وأنا في
الظلمة.

فلما قربت منهم، صحت بهم صيحاً عظيماً، ففقدوني ابتداء خيل قد كبستهم، تريدهم.
وأقبلت أحمل على واحد، واحد، وأنا أضرب، فيتوقاني، وأحذره، إلى أن تخلصت منهم، وجريت.
ولحقت بهم الخيل التي كانت خلفي، وتشاغلوا بمساءلتهم عني قليلاً، قمت الفريقين.
وحملت الفرس إلى الشام، فبعته على سيف الدولة، بثلاثة آلاف درهم، ودحت في البلاد، إلى أن صرت إلى
بغداد، ومعز الدولة، يطلب قوماً من العرب، ليفرض لهم وينفذهم إلى بعث.

فحملني المسيب بن رافع العقيلي، في جماعة، إليه، عرضهم عليه، فأثبتني.
فلما وقفت بين يديه، اقتحممني عينه، لأني دميم. فقال: بيست دينار.
فعلمت أنه أراد، عشرين ديناراً.
فكلمه المسيب، والمهنا، العقيليان، فزادهما ثلاثة دنانير.
فقالا له: رجل له فضل، ومنزلة، وهو من أصله، ومن شجاعته.
فقال: لو كان هذا كله حقاً، ما كان يقدر أن يصنع؟ فقلت لبعض النقباء: أي شيء قال؟ ففسره لي.
قال: فقلت: أيها الأمير، أقدر أضع نفسي على فرس بين يدي ملك مثلك، فأحتال في أمره، حتى آخذه
سائساً، ثم أركبه، وقصصت عليه قصته مع فرسه بسنجار، وذكر بيعه وثمنه.
فقال: وأنت صاحب الفرس بسنجار؟ فقلت له: نعم.
فضحك، وقال: نزلوه أربعين ديناراً.
ففعلوا.

مختارات من الشعر

حدثني أبو الحسن، قال: اجتزت بطريق سر من رأى، فدخلت القصر المعروف بالأحمدي، لأشاهد آثاره،
فلما توسطته، رأيت مكتوباً على حائط فيه:
في الأحمدي لمن يأتيه معتبر ... لم يبق من حسنه عين ولا أثر
غارت كواكبه وأهد جانبه ... ومات صاحبه واستنقطع الخبر
وأنشدني لنفسه:
رفقاً أقيك بمقلة ... كلفتها طول السهاد

أصبحت منها في السوا ... د وفي السواد من الفؤاد
وأشدني أبو القاسم الصروي، قال: أنشدني أبو الحسن الموسوي، العلوي، لنفسه:
يا نازلاً في السواد ... من مقلتي وفؤادي

رجال الدولة يتآمر بعضهم على بعض

حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الله، قال: أخبرني جماعة من شيوخ الكتاب ببغداد: إن القاسم بن عبيد الله، كان قد أوجس في نفسه من اختصاص الحسين بن عمرو النصراني، كاتب المكتفي، فوضع عليه من يأتيه بأخباره، حتى أظهر المغنية كان ابن الحسين بن عمرو يتعشقها، أنه يعشقها، وملاً عينها، وكان يتسقطها أحاديث الحسين بن عمرو وابنه، لكثرة ملازمتها له، حتى غلبه عليها، فاضطر ابن الحسين بن عمرو، أن يداخل القاسم من أجلها، واجتذبه، وصار كالنديم له، فملاً عينه بالإحسان، وضرب بينه وبين أبيه، وكان يأتيه بأخباره.

فجاء يوماً، فأعلمه، أنه قد شرع مع المكتفي في الوزارة، وضمن القاسم وأسبابه، بمال عظيم، ذكر مبلغه، وأنه تقرر الأمر مع الخليفة أن يستوزر إبراهيم بن حمدان الشيرازي، كاتب الحسين بن عمرو - قال أبو الفضل، وهو جد أبي القاسم علي بن الحسين بن إبراهيم المعروف بالمشرف - على ما كان ينظر فيه للمكتفي، ويلبسه السواد، ويخاطب بالوزارة، لأنه لم يرغب هو في الإسلام، ولم يجز استيزاز ذمي، وأن تكون الدواوين، والأمور، كلها إليه، ويؤمر الوزير أن يصدر عن أمره، ولا يصل إلا في أيام المواعظ، والجالس الحافلة، للعرض فقط، وإقامة الرسم، ويلبس السواد، والسيوف، والمنطقة، وأن فارس - داية المكتفي - هي التي قررت ذلك مع الخليفة، وأنه قد وعدهم ليوم بعينه، قريب، ذكره، ليقبض على القاسم وأسبابه، ويسلمون إلى الحسين بن عمرو.

وشاور القاسم أبا العباس بن الفرات، كيف يصنع؟ فقال له: عندي ما يكفيك هذا الأمر.
قال: وما هو؟ قال: كتاب بخط الحسين بن عمرو، الذي يعرفه الخليفة، إلى إليك، كتبه إليه من بعض الوجوه التي خرج إليها المكتفي، في أيام المعتضد، وهو إذ ذاك كاتبه، يخبر أباك، عن بخل المكتفي، وسقوط نفسه، وعبوبه، وفواحشه، وضعفه، ونقصه، بكل عظمة، ويشير على إليك، أن ينهي ذلك إلى المعتضد، وأن يسرع في استدعائه إلى الحضرة، لئلا يفتضح الملك.

والوجه لك، أن تعمل ثبناً بجميع أملاكك، وما تحويه يدك، ودارك، وملكك من جميع الأشياء، وتصير إلى الخليفة، وتستخليه، فإذا خلا، طرح نفسك بين يديه على الأرض، وبكيت، وأخرجت الثبت، وسألته أن يقبل جميعه منك، غفواً حالاً، ويقرك على خدمته، أو أن يؤمنك على جسمك، ونفسك، وأن لا يسلمك إلى الحسين بن عمرو، فإنه غير مأمون عليك، فإذا سألت عن سبب ذلك، أعلمته أن الحسين بن عمرو، أظهر السر، فبلغك، وأخرجت الكتاب إليه، وقلت له: يا أمير المؤمنين، كيف تأمن على نفسك، ودولتك، من هذا اعتقاده فيك؟ فإنه إذا قرأه، مع ما قد سمعه منك، انحل، ورجع لك، وانقلب على الحسين بن

عمرو، وإذا سألك عن الكتاب، عرفته أنه كان في خزائن إليك، يحفظه على الحسين بن عمرو لك، ويسلمه إليك، وكان المعتضد يخافه حتى هلك، وأنتك أنسيت أمره إلى الآن، فأظهرته، وضمن الحسين بن عمرو، وإبراهيم الشيرازي، وأسبابهما، كذا وكذا ألوفاً، تقدر على استخراجها منهم، فإن الخليفة يجيبك، وإذا وعدك، فعرفه أن هذا أمر قد ظهر وفشا، وتحدث به الناس، وكثرت معه الأراجيف، وأنه إن أخر تسليمهم إليك، وقفت الأمور على العمال، وطمع فيها كل أحد، فأضر ذلك به، ووقفت أمور الوزارة، وسخفت من تأخر تسليمهم إليك، فإنه يسلمهم.

قال: فركب القاسم في الحال، إلى المكتفي، وعمل جميع ما قاله له أبو العباس، فجرى الأمر على ما ظنه. وعاد القاسم، وقد أذن له الخليفة في القبض على الحسين بن عمرو وأسبابه، فقبض عليهم، واستصفي أموالهم، فلما أحس بنفادها، أنفذ الحسين بن عمرو، وإبراهيم الشيرازي، إلى الأهواز، على سبيل النفي، ووكّل بهما، فلما حصلا بالأهواز، قتلها الموكلون، وقيل أنهما جعلاً في بيت، وسد، ومنع من دخول الماء إليهما، والغذاء، فلما علم بموتهما، فتح الباب، ونقلّا إلى بيت آخر، وأظهر إن أجلهما أدر كهما. قال: فلما خرج القاسم، وقد ظفر، وتم له التدبير، قبل رأس أبي العباس بن الفرات، وعينه، وشكره، وقال: أنت أبي، وعضدي، وما أشبه ذلك من القول.

فحسده ابن فراس، على ذلك، وقال للقاسم: أيها الوزير، سل أبا العباس من أين له هذا الكتاب؟ فسأله. فقال أبو العباس: كنت منذ دهر، مجتازاً في بعض الطرقات، فرأيت في دكان نطاف رفاً عليه ظهور معلقة، ليجعل فيها ما يبيعه من الناطف على الناس، وما رأيت قط شيئاً مكتوباً، إلا أحبيت قراءته، وقد أددت من ذلك، دفعات كثيرة، فوائد كباراً.

قال: فلحظت الظهور، فوقعت عيني منها، على عنوان هذا الكتاب، فعرفت خط الحسين بن عمرو، فتبعت نفسي قراءة الكتاب، فقلت لغلامي: امض، فاشتر هذا الناطف، في ذلك الظهر، وأومأت إلى هذا الكتاب، ففعل، وجاعني به، فقرأته، فوجدت فيه العظام، فقلت في نفسي: هذا أشر الناس، يكتب لرجل، ويتخلفه بمثل هذا الكتاب، فلعلة أن يلحقني يوماً، شر من هذا الرجل، فأدفعه بهذا الكتاب، أو أنعي عليه عيوبه، فمسحت آثار الناطف منه، واحتفظت بالكتاب، فهو عندي منذ كذا وكذا سنة، فلما حدثني الوزير الآن بهذا الحديث، علمت أنه موضع إظهار الكتاب، فأظهرته.

فلما انصرف ابن الفرات عن المجلس، قال ابن فراس، للقاسم - وكان يشنعه عنده دائماً، فلا يلتفت إليه - : قد بان لك مقدار شر ابن الفرات، هذا شر عليك من الحسين بن عمرو، لأنه عدو مدغل، منلس بين ثيابك، والحسين، كان عدواً مكاشفاً، وأنت على اتقائه أقدر، ما يؤمنك أن يكون ابن الفرات، قد تحفظ عليك، في مدة استرسالك إليه، ما هو أكثر من هذا، أو قد حصل خطك بألوان من الدم، وأنت ناس، كما فعل بالحسين ابن عمرو؟ ما يؤمنك أن يكون عنده من خطوطك، أو خطوط إليك، ما يجري هذا الجرى؟ فإن الناس، ربما سخطوا على أصحابهم، واستأمنوا إلى بثهم عند نصائحهم، وإنما يترقب منك ابن الفرات، إغراضاً، أو أدنى خلاف عليه في شيء لا يؤثره، وتؤثره أنت، فيظهر للخليفة عنك، وعن إليك، ما هو أعظم من هذا، فتهلك، وإن أمسكت عنه، فأنت ربيب في حجره، وعنده أنه قد ردك إلى الوزارة برأيه،

ويقتطع الدنيا، ويفوز بها، وبفائدتها، وتكون التبعة عليك، وإن أوحشته، قنلك بمثل هذا الفعل، فاقبل رأيي، وعاجله، واحتل عليه، بسم تدسه إليه، وتخلص منه. قال: فوق ذلك في نفس القاسم. وما زال ابن فراس يقوي رأيه، إلى أن عمل له سماً في تفاحة، وأشبه إياها، فأتلفته.

وكان هذا الكتاب، أشأم كتاب سمع به.

أبو جعفر بن بسطام له قصة في رغيغ

وحدثني أبو محمد، قال: حدثني بعض شيوخ الكتاب ببغداد، عمن حدثه: إنه سمع أبا الحسن بن الفرات، يقول لأبي جعفر بن بسطام - وكان سيء الرأي فيه - : ويحك يا أبا جعفر، لك قصة في رغيغ، ما هي؟ فقال: ما لي قصة في رغيغ. فلم يزل به أبو الحسن، إلى أن قال له: إن أخبرني بذلك، كان خيراً لك، قال: نعم، إن أمي، كانت عجوزاً صالحة، وعودتي - منذ ولدت - أن تجعل تحت مخدتي التي أنام عليها، في كل ليلة، رغيغاً فيه رطل، فإذا كان من غد، تصدقت به عني، وأنا أفعل هذا إلى الآن. قال: فقال ابن الفرات، ما سمعت بأعجب من هذا، اعلم أنني من أسوأ الناس رأياً فيك لأمر أوجب ذلك، وعدد بعضها، وأنا منذ أيام مفكر في القبض عليك، ومطالبتك بمال، فأرى منذ ثلاث ليال، في منامي، كأني قد استدعيتك لأقبض عليك، فتحاربني، وتمتع علي، فأتقدم بمحاربتك، فتخرج إلى من يحاربك، وبيدك رغيغ، كالترس، فتتقي به السهام، فلا يصل إليك منها شيء، وأشهد الله عز وجل، أنني قد وهبت لله تعالى، ما في نفسي عليك، وأن رأيي لك، أجهل رأي، من الآن، فانبسط. قال: فأكب أبو جعفر، على يديه ورجليه، يقبلها.

ما يرد في المرافق يذهب في المصادرة

حدثني أبو طاهر الحسن بن محمد بن الحسن، الجوهري، الشيرازي، المعروف بابن المقتفي، وهو أحد الشهود بمدينة السلام، قال: قال لي أبو الفضل العباس بن فسانجس: كسيت في مدة تصرفي مع السلطان، بفارس، خمسين ألف درهم، وصادرتني علي بن بويه، في مدة مقامي بشيراز، على ستمائة ألف دينار، متفرقة، سوى ما استخرجه من خراج ضيعتي، ثم اقتطعها بالحقين. وأنا أقول: لو لم نعبر في الزمان، إلا بهذه الحكاية، لكفى، لأن أبا الفضل، ما تقلد أكثر من كتابة فارس، وخلافة العمال بها، عليها، أو على بعضها، في بعض الأوقات، فظفر بهذا المال. وقد تقلد أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، دواوين العراق مجموعة، ثماني وعشرين سنة، ثم الوزارة ثلاثة عشر شهراً، وبلغ المبالغ التي لم يبلغ إليها أبوه قط.

فلما أَرهق بالمطالبات، في وقت النكبة، واستقصي عليه، بلغت مصادرتة ألف ألف ومائتي ألف درهم،
تكشف بأدائها.

الخليفة المعتضد يتخبر على وزيره

حدثني أبو محمد، يحيى بن محمد بن فهد، قال: حدثني بعض المشايخ: إن القاسم بن عبيد الله، كان يخاف
المعتضد، ويخفي شربه، ولعبه، لئلا يتصوره بصورة حدث، متوفر على لذاته، يخل بالعمل، فيفسد رأيه فيه،
وكان مع ذلك، بالشباب، والحدأة، يشتهي اللعب، فإذا أمكنه أن يخفيه جداً، استرق الليلة، أو اليوم، من
عمره، فشرب.

قال: فأراد الشرب ليلة من الليالي، على الورد، فاحتال في جمع شيء كثير منه، وحصله خفياً، وجمع من
المغنيات جمعاً كثيراً، وفيهن واحدة كان يشتهيها، ويتحطاها.

وجلس وليس معه غيرهن، فشرب، وخلط بالورد الدراهم الخفاف، ونثر عليه، والناس يسمون ذلك
شاذكلي، ولبس ثياب قصب مصبغات، من ثياب النساء، وأدخل تلك المغنية معه، لشدة شغفه بها، ومضت
ليلة طيبة، فقطع الشرب في نصف الليل، خوفاً من الخمار، ونام.

وركب إلى المعتضد من غد، وأقام في الخدمة، إلى حين وقت انصرافه.
فلما أراد الانصراف، دخل ليراه المعتضد، وينصرف، فاستدناه المعتضد، إلى أن صار بحيث لا يسمع كلامه
غيره، فقال له: يا قاسم لو دعوتنا البارحة، فكنا نلعب معك شاذكلي، ولكنك احتشمت، لأجل المصبغات
التي لبستها أنت وعشيقتك.

قال: فكاد القاسم أن يموت جزعاً.

فقال له: ما لك قد جزعت؟ وأي شيء في هذا؟ لو علمنا أنه يلحقك هذا، ما أخبرناك بشيء، ولا آذيت
قلبك، امض في ودائع الله.

قال: فعاد القاسم إلى داره كئيباً، وجمع نصحاءه، وأخبرهم الخبر، وقال: ما أراد المعتضد بهذا، إلا ليعرفني
أن هذا القدر من أخباري ليس يخفى عليه، وإن كان على الحقيقة قد علم هذا القدر، فكيف تخفى عليه
مرافقي، وما هو أظهر من هذا من أخباري؟ وكيف يكون عيشي؟ وأنه لا ينستر عليه مثل هذا؟ وما تروني
أصنع؟ فأخذوا يطيبون قلبه، ولا يزداد إلا جزعاً، إلى أن قال لهم: إن لم أعرف من رقي هذا الخبر، انشقت
مرارتي، وقتلت نفسي.

فقالوا له: نحن نبحث ونتعرف.

فابتدر أحدهم، وقال: أنا أكفيك، أيها الأمير، هذا.

قال: وجعل ذلك صاحب، يطوف حوالي دار الخليفة، ليجد من يشبه صاحب خبر، فيخمن عليه، فما ظفر
بشيء يومه ذلك.

فلما كان من الغد، طاف الدواوين، ومجالس أصحاب البريد والخبر، يومه أجمع، فما ظفر بشيء.

فلما كان اليوم الثالث، طاف دار الوزارة، ومقاصيرها، فلم يظفر بشيء.
فلما كان في اليوم الرابع، وقف على دابته في باب العامة، متحيراً، لا يدري، ينتظر أن يخرج الوزير راكباً،
فيركب معه في الموكب، فيتفقد الوجوه، إذ كان لم يبق له شيء يجده، وإذا هو برجل شاب يجبو على ركبتيه
زمانة، كما يكون الزمن الذي يتصدق، وقد جاء قبل طلوع الشمس بشيء كثير، فزحف، ودخل على
البوابين، فلم يمنعوه.

قال الرجل: فحين بلغ العتبة، وقف مع البوابين، يحدثهم ساعة، وأنا أصغي إليه، ويسألهم عن أخبارهم،
ويدعو لهم، وهم على بشاشة، إلى أن أخذ بهم في غير ذلك الحديث.
إلى أن قال: من بكر اليوم إلى الدواوين، ومن دخل؟ ومن حجب؟ فقالوا له: فلان وفلان.
فحين سمعت ذلك، علمت أنه صاحب خبر، فأتبعته بصري، إلى أن جاز البوابين، ودخلت وراءه، فبلغ إلى
أصحاب الستور، فكانت صورته معهم كصورته مع أولئك، فأخبروه بما لم أكن أعلم، مع اختصاصي بخدمة
الوزير، من وصول الناس إليه، وحجبهم عنه.

وتجاوز إلى دهليز العامة، فنزلت عن دابتي، وهو لا يظن لي، فبلغ إلى موضع الحجاب، فولع به الحجاب،
ولم يحدثهم بشيء ولم يحدثوه، ودعا لهم، وتصدق منهم، فأعطوه.
فتجاوزهم إلى الصحن، وأنا أراه، فلم يزل يجبو، ويطوف، على خزانة، خزانة، من خزائن الفرش،
والشرب، والكسوة، وحجر الغلمان، والخدم، ويبحث عن الأخبار، ويحدث بكل شيء، وأنا أسمع، حتى
استفدت ما لم أكن أعرفه من تخبر دار الوزير.

ثم جاء إلى باب الحرم، فدعا للخدام الموكل بالباب، فتصدق عليه، وأعطاه، وجلس هناك يتطايب، وكل من
دخل وخرج، من جارية، أو خادم، يسأله عن خبره، ويولع به، ويهب له شيئاً، ويستخرجهم أخبار الدار،
وينقل ما فيه، ويقول: قولوا لستنا فلانة قنب لي ما وعدتني به، وقولوا لستي فلانة، تتصدق علي، وسلوا
ستي القهرمانة الفلانية عن خبرها، وأقرؤوها سلامي، وأنا أشاهده، وأتعجب منه، حتى استنفذ من أخبار
جواري القاسم، ومبيته، وعند من بات منهم البارحة، وما بين الجواري من السرور والأنس، وأخبار
كسوتهم، وأشياء من هذا الجنس، كل شيء طريف.

ثم زحف، ودخل دار الخلوة التي يخلو فيها الوزير، وكان يركب منها، فهش به فراشو الحجر، والخاصة،
والخدم، والغلمان الأصاغر، وضاحكوه، ودعا لهم، وأخذ من بعضهم براً، وسألهم عن خبر الوزير في خلوته
تلك، وشربه.

وقال له بعضهم: هو مغموم غماً شديداً منذ يومين، لا نعرف سببه، فما يشرب، ولا يأكل، ولا نام، ولا
خلا.

وكل ذلك، وهو يظهر في مسائلته التطايب، وأنه كالمغير المعتوه، ويحمل أولئك ألفاظه على هذا، فيخبره
منهم الضعيف العقل، والمزاح، والأخرق، وهو يحتمله، إلى أن فرغ من أهل حجرة الخلوة.
ثم خرج، فزحف أشد زحف، على هيأته، لا يرجع على شيء، حتى جاء إلى مجلس الكاتب، فأقام هناك
طويلاً، ففعل كفعله.

ثم خرج من الباب، وقد ملاً زنيلاً كان معه، من الخبز والحلوى والطعام، وملاً جيبه من الدراهم. فلما صار على باب الدار، قلت للبوايين: تعرفون هذا؟ فقالوا: رجل زمن أبله، يحيى فيتصدق، وخلقه طيب، فكل من في الدار، يستطيعه، ويبره.

قلت: قد رحمته، واشتيت آخذ له شيئاً، ففيكم من يعرف بيته؟ فقالوا: لا. فركبت، واتبعته، ولحقت به، ووقفت كأني أحدث غلامي، وأسير خلفه على تؤدة، حتى جاء إلى الجسر، فعبره زاحفاً، وأنا وراءه، ودخل الخلد، ودخلت معه، وولج في خان، فقلت لغلامي: اتبعه، فأعرف بيته في الخان، ففعل، وعاد إلي، فوصفه لي.

فوقفت متحيراً، لا أدري ما أعمل، ولا من أسأل عنه، وأخاف أن أنفره، فيهرب. وطال وقوفي، وهممت بالانصراف، فإذا به قد خرج بريئاً، نظيفاً، بثياب مروية ولحية بيضاء، وطيلسان، وعمامة قد جعلها فوق حاجبيه، فلولا قرب عهدي به، وبرؤيته، لما عرفته، وإذا هو يمشي لا قلبه به. فتأملت لحيته، وإذا هي ملبسة فوق لحيته، وقد أخفاها بعمامته، وإنما فطنت لذلك، لشدة تأمله، وصرف اهتمامي إلى ذلك، مع قرب عهدي برؤيته.

ومشى، فدخلت إلى مسجد، وغيرت عمامتي، وأمرت غلامي أن يأخذ دابتي ويقف لي عند الجسر بها، ونزعت خفي، ولبست تمشك غلامي، ومشيت، فاتبعته، بسرعة مشيته. ومضى حتى أتى دار ابن طاهر، فخرج إليه الخادم، فما منهما من كلم صاحبه، بأكثر من أنه أخرج رقعة لطيفة، فسلمها إلى الخادم، ودخل الخادم، ورجع هو، فلم أتبعه، وامتددت إلى درجة يعقوب، فركبت في سميرية، وصعدت إلى دار الوزير.

فدخلت إليه، وهو يطلبني للأكل، فأكلت معه، وقام الناس، فجلست.

فقال لي: قل.

فقلت: فعلت البارحة كذا وكذا، وجرى في دار حرمك كذا، وقالت فلانة كذا، وقالت جاريتك الفلانية وخاطبتك بكذا، وفلان الخادم الصغير فعل كذا.

قال: وكنت قد سمعت في خلال ذلك، أخبار الحاشية، بعضهم من بعض، لا أظن صاحب الخبر عرفها، ولكن كما انجرت الأحاديث، فأخبرته بذلك كله.

فقال لي: ويحك، أيش تقول؟ من أين لك هذه الأحاديث؟ فقلت: من حيث خرج حديث الشاذكلي.

فقال: أخبرني.

فقلت: الجائزة.

فقال: احتكم.

فأخبرته بخبر الزمن، على جهته.

فجذبني، وقبل بين عيني، وأمر لي بمال جليل.

وقال: أريد أن تحصله، من حيث لا يعرف خبره.

فقلت: أنا على ذلك، فتقدم إلى بعض الغلمان الخاصة، أن يطيعني، فجمع بيني وبين غلام منهم، وتقدم إليه بذلك.

فلما كان من الغد، باكرت الدار، وجلست أنتظر الرجل، فإذا به قد جاء على زي أمس، في البزة والزمانة، ودخل، فلم أعرض له، حتى دخل حجرة الخلوة، فاتبعته. وقلت للغلام: خذ هذا، فأخذه، وقملنا عليه باباً من الحجرة، فاضطرب، وبكى. ونزل الوزير، فأسررت إليه الخبر، ففض شغله، ودخل الحجرة، واستدعى به، فجاء يزحف، فوكرت عنقه، وقلت له: قم يا عاض، فامش مشياً صحيحاً، كما رأيتك تمشي بالأمس. فقال: أنا رجل زمن.

فأحضرت له مقارع، فلما رأى المصدوقة، قام، فمشى. فقال له القاسم: اصدقني عن خبرك، وإلا قتلتك الساعة. فقال: أنا صاحب خبر المعتضد عليك، منذ كذا وكذا شهراً، أفعل كذا، وأصنع كذا، وذكر مثل ما أخبرته به، وأنه يجمع الأخبار، ويكتب بها في كل نصف نهار، من كل يوم، ويوصل رقعة لطيفة بذلك إلى الخادم الموكل بدار ابن طاهر، فيمضي بها ذلك الخادم إلى المعتضد، فإن الخادم، هو الواسطة بينهما، وإنه إذا كان في رأس كل شهر، سلم إليه الخادم ثلاثين ديناراً عيناً. قال: فعرفني، أي شيء أنهيت من أخباري، طول هذه المدة؟ فذكر له أشياء كثيرة، منها خبر الشاذكلي. فحبسه القاسم في ذلك البيت، فلما كان في الليل قتل، ودفن، فانقطع خبره عن المعتضد. فلما كان بعد شهر، وأكثر، قال لي القاسم: استرح من ذلك الكلب، ما أرى عند المعتضد من خبري شيئاً، ولا أرى عليه أثراً يدل على وقوفه على شيء من أمري.

أبو بكر بن رائق وإعجابه بغناء ابن طرخان

حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم، قال: حدثني أبي، قال: كان أبو بكر بن رائق، شديد الإعجاب، بغناء أبي القاسم بن طرخان، وكان أهلاً لذلك، وكان أطيّب الناس حلقاً، وأحسنهم صنعة، وكان يجس الطنبور جساً، أطيّب من الضرب، تكاد القلوب إذا سمعته، أن تخرج من أضلاعها، استطابة له. وكان إذا ابتداءً يجس، ابتداءً ابن رائق، يشرب أقداحاً، إلى أن يجيء الغناء. فقال لي يوماً: يا أبا الحسن، ما ترى هذا الجس الذي ليس على وجه الأرض أطيّب منه، أي شيء يشبه عندك؟ فقلت: أيها الأمير، يشبه رسول الحبيب، يستأذن لزيارته. فأعجبه ذلك.

ثم حدثت بهذا الحديث، عبيد الله بن محمد الصروي، فعمل بحضرتي، في ذلك شعراً، وأنشدنيه: قامت تذود كرى المح ... ب وقد غفا عن مقلتيه
وتجس قبل الصوت م ... نى عودها شوقاً إليه

فكأنه في قلبه ... إذ نهته ومسمعيه
نغم الرسول مبشراً ... بقدم من يهوي عليه

علي بن هارون المنجم

يلقي علي المغني درساً في الغناء
وحدثني أبو الفتح، قال: كنت بحضرة أبي، وبحضرته مغن يغني، فمر في بعض لحنه بميم فيبينها.
فقال له أبي: إذا مررت في أحنك، بميم، أو نون، فرمها، واعصرها، وأنا ضامن لك طيبة ذلك، غارم لك
كلما يجني عليك.
قال: فأعاد الصوت، وزم الميم زمّاً شديداً، فتضاعفت طيبته.

من شعر الوزير المهلي

سمعت الوزير أبا محمد المهلي، يتحدث يوماً في مجلس أنس حضرته، قال: كنت قد خرجت من الأهواز، مع
أبي جعفر الصيمري، نريد السوس، وهو إذ ذاك عاملها لمعز الدولة، وكانت والددة أبي الغنائم - إذ ذاك -
بالسوس، وأنا في عنفوان استهتاري بها، وقد اشتد شوقي إليها، يعني تحني جاريته.
فلما صرنا في الرمل الذي في الطريق، هاجت ريح عظيمة، فسفت علينا تلك الرمال، فذكرت بيني
الفرزدق، وهما:

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها سلباً من جذبها بالعصائب
سروا يخطون الريح وهي تلفهم ... إلى شعب الأكوار من كل جانب
فعملت:

وريح تغييم الجو مما تشيره ... وتستلب الركبان ريط العصائب
نصبت لها نفسي وأنصبت صاحبي ... إلى أن نزلنا في ديار الحباب
قال: وأنشدني لنفسه:

أتحسب العين أنها طرحت ... على فؤادي ثقلاً من الشغف
ما أبله العين في توهّمها ... بأنها عريت من التلف

بين القاضي الإيدجي والمفجع الشاعر

أخبرني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الإيدجي، وكان يخلف أبي على القضاء بإيدج، وعلى رامهرمز،
ثم لم يزل على الحكم، ونادم أبا محمد المهلي في وزارته، فغلب عليه، وعلا محله عنده، وتخالع، وتعتك، بما لا
يجوز للقضاة، وكان يدعى بالقضاء، ويخاطبه أبو محمد، في الوزارة، في كتبه، بسيدي القاضي، وكان له محل
مكين في الأدب، قال: وردت البصرة، وأنا حديث السن، لأكتب العلم، وأتأدب، فلزمني أبو عبد الله

المفجع، وكت أقتصر عليه، فكتب إلي يوماً، وقد قرص الهواء:
يا أيهذا الفتى وأنت فتى الده ... ر إذا عز أن يقال فتى
طوبى لمن كان في الشتاء له ... كأس وكيس وكسرة وكسا
وكتب في الرقعة: قد بقيت كاف أخرى، لولا أنني أحب تقليل المؤونة، عليك، لذكرتها، يعني الكس.
فبعثت إليه، بجميع ما التمسه.

أبو خليفة يصطفي شعر عمران بن حطان

وحدثني أبو علي الإيدجي، قال: كان أبو خليفة، صديقاً لأبي وعمي، منذ أيام وفد إلى كور الأهواز، في فتنة الزنج.

فلما قدمت البصرة، قدمتها مع أبي، فأنزلنا أبو خليفة داره، وأكرمنا، ومكنني من كتبه، فكت أقرأ عليه، كلما أريد، وأسمع كيف شئت وأحب، وأكتب وانسخ لنفسي أصوله.
فإذا كان الليل، جلسنا، وتحدثنا، فربما رمت القراءة عليه، فيجيني، فإذا أضجرت بكثرة القراءة عليه، يقول: يا بني، روحني، فأقطع القراءة.

وإذا استراح، أخرج من كمة دفتر، من ورق أصفر، من الورق العتيق، فيقول: اقرأ علي من هذا، فإنه خطي، وما تقرأه علي، فهو غير خطي.

فكت أقرأ عليه منه، وكان فيه ديوان عمران بن حطان، وكان يبكي، على مواضع منه.
فأنشدته ليلة، القصيدة التي منها:

يا ضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أحظى البرية عند الله ميزانا

فبكي عليهما، لما انتهت إليهما، حتى كاد أن يغمر عليه، فاستطرفت ذلك، وعجبت منه.

فلما كان من الغد، اجتمعت مع المفجع، فحدثته بذلك، واغتررت به، للأدب، واستكتمته إياه، فأشاعه، وعمل:

أبو خليفة مطوي على دخن ... للهاشيين في سر وإعلان

ما زلت أعرف ما يخفي وأنكره ... حتى اصطفى شعر عمران بن حطان

وأنشدنيها لنفسه، وأنشدها غيري، فكتبها عنه بعض أهل الأدب، في رقعة لطيفة، وجعلها في مقلمته.

وحضرنا عند أبي خليفة في مجلس عام، ففرض الرجل مقلمته ليرى ما فيها، فسقطت الرقعة، وانصرف،

فوجدنا أبو خليفة، وقرأها، فاشتد ذلك عليه، وقال: إن الإيدجي، قبحه الله، وترحه، شاط بدمي، علي بأبي

العباس الساعة - يعني والدي - فجاءه، فحدثه الحديث، فوقعت في ورطة، وكادت الحال أن تنفجر، ببني

وين أبي، ومنعني أبو خليفة القراءة، واحتشمي، فحملت إليه ثياباً لها قدر، وأهديت إليه من مآكل الهند،

واعذرت إليه، فرجع، وقبل عنري، وعاود تدريسي، ومكنني من القراءة عليه، فقرأت كتاب الطبقات،

وغیره، مما كان عنده.

وقال: فلا أظهر الرضى عنك، أو تكذب نفسك. ففعلت ذلك، وأعطيت المفجع ثوباً ديبقياً، حتى كف عن إنشاد الأبيات، وجعلها، واعتذر إلى أبي خليفة.

وقال لي أبو علي عقيب هذا: أكثر رواة علم العرب، فيما بلغني عنهم، إما خوارج، أو شعوبية، كأبي حاتم السجستاني، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وفلان، وفلان، وعدد جماعة.

الجزء الرابع

أبو العباس ثعلب

يقول لما لا يدري، لا أدري قال القاضي أبو علي الحسن التوخي، في كتابه أخبار المذاكرة ونشوار الحاضرة: حدثني علي بن محمد الفقيه المعروف بالمرحلي، أحد خلفاء القضاة ببغداد، قال: حدثني أبو عبد الله الزعفراني، قال: كنت بحضرة أبي العباس ثعلب يوماً، فسئل عن شيء، فقال: لا أدري. فقليل له: أتقول لا أدري، وإليك تضرب أكباد الإبل، وإليك الرحلة من كل بلد. فقال للسائل: لو كان لأملك بعدد ما لا أدري بحر لا ستغت. فقال القاضي أبو علي: ويشبه هذه الحكاية ما بلغنا عن الشعبي، أنه سئل عن مسألة فقال: لا أدري. فقليل له: فبأي شيء تأخذون رزق السلطان. فقال: لأقول فيما لا أدري، لا أدري.

بين خالد الكاتب وإبراهيم بن المهدي

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن أبي علي قال: حدثنا الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السقاء، قال: حدثني جحظة، قال: قال لي خالد الكاتب: أضقت حتى علمت القوت أياماً، فلما كان في بعض الأيام، بين المغرب وعشاء الآخرة، إذا بأبي يدق. فقلت: من ذا؟ فقال: من إذا خرجت إليه عرفته. فخرجت، فرأيت رجلاً راكباً على حمار، عليه طيلسان أسود، وعلى رأسه قلنسوة طويلة، ومعه خادم. فقال لي: أنت الذي تقول: أقول للسقم عد إلى بدني ... حياً لشيء يكون من سبيك قال: قلت: نعم. قال: أحب أن تنزل عنه. فقلت: وهل ينزل الرجل عن ولده؟ فتبسّم، وقال: يا غلام، أعطه ما معك، فرمى إلى صرة، في ديباجة

سوداء مخنومة.

فقلت: إني لا أقبل عطاء ممن لا أعرفه، فمن أنت؟ قال: أنا إبراهيم بن المهدي.

أبو الفرج الأصبهاني يجمع شعره

بين إتقان العلماء وإحسان الشعراء

قال التنوخي: ومن المتشيعين الذين شاهدناهم، أبو الفرج الأصبهاني كان يحفظ من الشعر، والأغاني، والأخبار، والآثار، والأحاديث المسندة، والنسب، ما لم أر قط من يحفظ مثله. ويحفظ دون ذلك من علوم آخر، منها اللغة، والنحو، والخرافات، والسير، والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً، مثل علم الجوارح، والليطرة، ونبث من الطب، والنجوم، والأشربة، وغير ذلك. وله شعر يجمع بين إتقان العلماء، وإحسان الظرفاء الشعراء.

إجازة برواية قصيدة

قال أبو القاسم التنوخي: حدثني أبو إسحاق الطبري، غلام الزاهد، غلام ثعلب، وكان منقطعاً إلى بني حمدون، وقرأت بخطه قصيدة شبيل بن عزرة الضبي، وقد قرأها على أبي عمر الزاهد، وتناولها من أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه. قد دفعت إليك كتابي بخطي من يدي إلى يدك، وقد أجزت لك القصيدة، فاروها عني، فإن هذا ينوب عن السماع والقراءة، فقبلت ذلك منه. وكتب إبراهيم بن محمد الطبري الروياني بخطه.

أبو ريش القيسي وأبو محمد المافروخي

وكثرة ما يحفظان قال أبو علي الحسن بن علي التنوخي: ومن رواة الأدب الذين شاهدناهم، أبو ريش أحمد بن أبي هاشم القيسي، وكان يقال إنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة، وعشرين ألف بيت شعر. إلا أن أبا محمد المافروخي أبر عليه، لأنهما اجتمعا أول ما تشاهدا بالبصرة، فتذاكرا أشعار الجاهلية، وكان أبو محمد يذكر القصيدة، فيأتي أبو ريش على عيونها، فيقول أبو محمد: لا، إلا أن تذهبا من أولها إلى آخرها، فينشد معه، ويتناشداها إلى آخرها، ثم أتى أبو محمد، بعده، بقصائد لم يتمكن أبو ريش أن يأتي بها إلى آخرها، وفعل ذلك في أكثر من مائة قصيدة. حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معهما.

أبو ريش القيسي يغضب من نسبة

بيت شعر إليه وجدت في موضع آخر من كتاب نشوار المحاضرة، للقاضي التنوخي: كان أبو ريش أحمد بن أبي هاشم القيسي اليمامي، رجلاً من حفاظ اللغة، وكان جندياً في أول أمره، مع المسمعي، برسم العرب، ثم انقطع إلى العلم والشعر، وروايته، لنا بالبصرة، وأنا حديث مع عمي، حتى صرت رجلاً، وكتبت عنه، وأخذت منه علماً صالحاً، وكان يتعصب على أبي تمام الطائي.

وقال بعض الحاضرين لأبي: إن من عيون شعر أبي ريش قوله من أبيات، عند ذكر امرأة شبيب بها: لها فخذنا بختية تعلف النوى ... على شفة لمياء أحلى من التمر فغضب أبو ريش، ونهض، فأمر أبي ياجلاسه، وقال للحاضر القائل: ولا كل ذا، وترضاه، ووهب له دراهم صالحة القدر.

أبو محمد المافروخي الفأفاء

يفأفاء له ابن أحد خلفائه حدث التنوخي: أن أبا محمد المافروخي، وكان فأفاءً، اعترض جملاً فسير في صحن الدار بحضرتة، ووقف ليخاطب عليه، فلم يرضه، فقال: أخرجوه عني، وكرر أخ أخ، لأجل عقله لسانه، فبرك الجمل، لأنه ظن أنه يقال له ذلك، كما يقال إذا أريد منه البروك. قال: وكان إذا أنشد الشعر، أو قرأ القرآن، قرأه، وأورده، على أحسن ما يكون من حسن الأداء وطيب الحنجرة. فقليل له: لو كان كلامك كله شعراً، أو كقراءة القرآن، تخلصت من هذه الشدة، فقال: يكون ذلك طنزاً. قال: وكان أحد خلفائه، قد خرج إلى بعض الأعمال، واستخلف بحضرتة ابناً له، كان مثل المافروخي في الفأفاء.

فخاطبه المافروخي أول ما دخل إليه، في أمر شيء قال فيه "ووو" مراراً. فأجابه ذلك الابن بمثل كلامه. فقال: يا غلمان فقاه، كأنه يحكي. فصفع صفعاً محكماً، حتى حضره أقوام، وحلفوا له أن ذلك عادته، فأخذ يعتذر إليه، وقال: الذنب ذنب أبيه، لما ترك في حضرتي مثله.

بين القاضي أبي عمرو الأزدي والقاضي

أبي جعفر بن البهلول

حدث أبو نصر، يوسف بن عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف قال: كنت أحضر دار المقتدر بالله، وأنا غلام حدث، بالسواد، مع أبي الحسين، وهو يومئذ، قاضي القضاة. فكنت أرى في بعض المواكب، القاضي أبا جعفر، يحضر بالسواد، فإذا رآه أبي، عدل إلى موضعه، فجلس عنده، فيتذاكران الشعر والأدب والعلم، حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير لا يحصى، كما يجتمع على

القصاص، استحساناً لما يجري بينهما.
فسمعت يوماً، وقد أنشد بيتاً لا أذكره الآن، فقال له أبي: أيها القاضي، إني أحفظ هذا البيت بخلاف هذه الرواية.

فصاح عليه صيحة عظيمة، وقال: اسكت، ألي تقول هذا؟ أنا أحفظ لنفسى، من شعري خمسة عشر ألف بيت، وأحفظ للناس أضعاف ذلك، وأضعافه، وأضعافه، يكررها مراراً.
وفي رواية ابن عبد الرحيم عن التوخي، قال: قال له: هاه، ألي تقول هذا؟ وأنا أحفظ من شعري نيفاً وعشرين ألف بيت، سوى ما أحفظه للناس.
قال: فاستحيا أبي منه، لسنه ومحله، وسكت.

بين القاضي أبي جعفر بن البهلول

وأبي جعفر الطبري

حدثني القاضي أبو طالب محمد بن القاضي أبي جعفر البهلول، قال: كنت مع أبي في جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه، وإلى جانبه في الحق جالس، أبو جعفر الطبري.
فأخذ أبي يعظ صاحب المصيبة، ويسليه، وينشد أشعاراً، ويروي له أخباراً، فداخله الطبري في ذلك، وذنب معه، ثم اتسع الأمر بينهما في المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم، استحسناها الحاضرون، وعجبوا منها، وتعالى النهار، وافترقا.
فلما حصلت أسير خلفه، قال: يا بني، هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة، من هو؟ أتعرفه؟ قلت: يا سيدي كأنك لم تعرفه؟ فقال: لا.

فقلت: هذا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
فقال: إنا لله، ما أحسنت عشتري يا بني.
فقلت: كيف يا سيدي؟ فقال: ألا قلت لي في الحال، فكنت أذاكره غير تلك المذاكرة؟ هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع في فنون من العلم، وما ذاكرته بحسبها.
قال: ومضت على هذا مدة.

فحضرنا في حق لآخر، وجلسنا، وإذا بالطبري يدخل إلى الحق.
فقلت له، قليلاً، قليلاً: أيها القاضي، هذا أبو جعفر الطبري، قد جاء مقبلاً.
قال: فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه، فأوسعت له، حتى جلس إلى جنبه، وأخذ أبي يجاريه، فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتاً، قال أبي: هاها يا أبا جعفر، فربما مر، وربما تلعثهم، فيمر أبي في جميعها حتى يسفها.

قال: فما سكت أبي يومه ذاك إلى الظهر، وبان للحاضرين تقصير الطبري، ثم قمنا.
فقال لي أبي: الآن شفيت صدري.

القاضي أبو جعفر بن البهلول

لا يخشى في القول الحق لوم لائم

حدث أبو علي التوخي، قال: حدثني أبو الحسن علي بن هشام بن عبد الله، المعروف بابن أبي قيراط، كاتب ابن الفرات، وأبو محمد عبد الله بن علي دلويه، كاتب نصر القشوري، وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوزاني، كاتب ابن الفرات، قالوا: كنا مع أبي الحسن بن الفرات في دار المقتدر، في وزارته الثالثة، في يوم الخميس لحمس ليل بقين من جمادى الآخرة من سنة ٣١١ هـ، وقد استحضر ابن قليجة، رسول علي بن عيسى إلى القرامطة في وزارته الأولى، فواجه علي بن عيسى في المجلس بحضرتنا، بأنه وجهه إلى القرامطة مبتدئاً، فكاتبوه يلتمسون منه المساحي والطلق وعدة حوائج، فأنفذ جميع ذلك إليهم. وأحضر ابن الفرات معه خطه، أي خط علي بن عيسى، في نسخة أنشأها ابن ثوابة، إلى القرامطة، جواباً على كتابهم إليه، وقد أصلح علي بن عيسى فيها بخطه، ولم يقل إنكم خارجون عن ملة الإسلام بعصيانكم أمير المؤمنين، ومخالفتكم إجماع المسلمين، وشقكم العصا، ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد، وداخلون في جملة أهل العناد والفساد.

فهجن ابن الفرات علياً بذلك، وقال: ويحك، تقول: القرامطة مسلمون، والإجماع قد وقع على أنهم أهل ردة لا يصلون، ولا يصومون، وتوجه إليهم الطلق، وهو الذي إذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار. قال: أردت بهذا المصلحة، واستعادتهم إلى الطاعة بالرفق، وبغير حرب. فقال ابن الفرات، لأبي عمر القاضي: ما عندك في هذا يا أبا عمر؟ اكتب به. فأفحمهم وجعل مكان ذلك، أن أقبل على علي بن عيسى، فقال له: يا هذا لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته.

قال: فرأيت علي بن عيسى، وقد حلق إليه تحديقاً شديداً، لعلمه بأن المقتدر، في موضع يقرب منه، بحيث يسمع الكلام، ولا يراه الحاضرون. فاجتهد ابن الفرات بأبي عمر، أن يكتب بخطه شيئاً، فلم يفعل، وقال: قد غلط غلطاً، وما عندي غير ذلك، فأخذ خطه بالشهادة عليه، بأن هذا كتابه.

ثم أقبل على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي، فقال: ما عندك يا أبا جعفر في هذا؟ فقال: إن أذن الوزير، أن أقول ما عندي فيه، على شرح، قلته. قال: افعل.

قال: صح عندي عن هذا الرجل - وأوماً إلى علي بن عيسى - أنه افتدى بكتابين كتبهما إلى القرامطة، في وزارته الأولى ابتداءً، وجواباً، ثلاثة آلاف رجل من المسلمين، كانوا مستعبدين، وهم أهل نعم وأموال، فرجعوا إلى أوطانهم، ونعمهم.

فإذا فعل الإنسان مثل هذا الكتاب على جهة طلب الصلح، والمغالطة للعدو، لم يجب عليه شيء. قال: فما عندك فيما أقر به، أن القرامطة مسلمون؟ قال: إذا لم يصح عنده كفرهم، وكاتبوه بالتسمية بالله،

ثم الصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وانتسبوا إلى أنهم مسلمون، وإنما ينازعون في الإمامة فقط، لم يطلق عليهم الكفر.

قال: فما عندك في الطلق، ينفذ إلى أعداء الإمام، فإذا طلي به البدن أو غيره، لم تعمل فيه النار؟ وصاح بها كالمنكر على أبي جعفر.

فأقبل ابن البهلول على علي بن عيسى، فقال له: أنفذت الذي هذه صفته إلى القرامطة؟ فقال علي بن عيسى: لا.

فقال ابن الفرات: هذا رسولك وتقتك ابن قليجة، قد قرأ عليك بذلك. فلحق علي بن عيسى دهشة، فلم يتكلم.

فقال ابن الفرات، لأبي جعفر بن البهلول: احفظ إقراره، بأن ابن قليجة ثقته ورسوله، وقد أقر عليه بذلك. فقال: أيها الوزير، لا يسمى هذا مقراً، هذا مدعي، وعليه البيعة.

فقال ابن الفرات: فهو ثقته بإنفاذه إياه.

قال: إنما وثقه في حمل كتاب، فلا يقبل قوله عليه في غيره.

فقال ابن الفرات: يا أبا جعفر أنت وكيله، ومحتج عنه، لست حاكماً.

فقال: لا، ولكني أقول الحق في هذا الرجل، كما قلته في حق الوزير، أيده الله لما أراد حامد بن العباس في وزارته، ومن ضامه، الحيلة على الوزير أعزه الله، بما هو أعظم في هذا الباب، فإن كنت لم أصب حينئذ، فلست مصيباً في هذا الوقت.

فسكت ابن الفرات، والنفت إلى علي بن عيسى، وقال: يا قرمطي.

فقال له علي بن عيسى: أيها الوزير، أنا قرمطي؟ أنا قرمطي؟ يعرض به.

القاضي أبو جعفر بن البهلول

يطلب بين الصلر والقبر فرجة

قال ابن عبد الرحيم، حدثني القاضي أبو القاسم التوخي، وله بأمره الخبرة التامة لما يجمعهما من النسب والصناعة، قال:

كان أبو جعفر من جلة الناس وعظمائهم وعلمائهم، وتقلد قضاء الأنبار وهيت والرحبة وسقي الفرات في أيام المعتمد، بعد كتابة الموفق أبي أحمد سنة ٢٧٠ هـ، وأقام يليها إلى سنة ٣١٦ هـ.

وأضيف له إليها الأهواز وكورها السبع، وخلفه عليها جدي أبو القاسم علي بن محمد التوخي في سنة ٣١١ هـ.

وقلد ماه الكوفة وماه البصرة، مضافات إلى ما تقدم ذكره.

ثم رد عليه مدينة المنصور وطسوج مسكن وقطربل بعد فتنة ابن المعتز في سنة ٢٩٦ هـ.

ولم يزل على هذه الولايات إلى سنة ٣١٦ هـ. وأسن وضعف.
فتوصل أبو الحسين الأشناني إلى أن ولي قضاء المدينة، فكانت له أحاديث قبيحة، وقيل إن الناس سلموا عليه
بالقبا إيماء إلى البغاء. وكان إليه الحسبة ببغداد.
فصرف في اليوم الثالث، وأعيد العمل إلى أبي جعفر، فامتنع من قبوله، ورفع يده عن النظر في جميع ما كان
إليه، وقال: أحب أن يكون بين الصلر والقبر فرجة، ولا أنزل من القلنسوة إلى الحفرة.
وقال في ذلك:

تركت القضاء لأهل القضاء ... وأقبلت أسمى إلى الآخرة
فإن يك فخراً جليل الشاء ... فقد نلت منه يداً فاخره
وإن كان وزراً فأبعد به ... فلا خير في إمرة وازره
ف قيل له: فابذل شيئاً، حتى يرد العمل إلى ابنك أبي طالب.
فقال: ما كنت لأتحمّلها حياً وميتاً، وقد خدم ابني السلطان، وولاه الأعمال، فإن استوثق خدمته، قلده،
وإن لم يرض مذاهبه، صرفه، وهذا يفتضح ولا يخفى، وأنشدهم:
يقولون همت بنت لقمان مرة ... بسوء، وقالت: يا أبي ما الذي يخفى
فقال لها: ما لا يكون، فأمسكت ... عليه ولم تمدد لمنكرة كفا
وما كل مستور تغلق دونه ... مصاريع أبواب ولو بلغت ألفا
بمستتر والصائن العرض سالم ... وربتما لم يعدم الدم والقرفا
على أن أثواب البريء نقيه ... ولا يلبث الزور المفكك أن يطفأ
قال: ولست أعلم هذا الشعر له، أو تمثل به.

قال التنوخي، وكان أبو جعفر، يقول الشعر تأديباً، وتطرباً، وما علمت أنه مدح أحداً بشيء منه، وله
قصيدة طردية مزدوجة طويلة، وحمل الناس عنه علماً كثيراً، ومن شعره:
رأيت العيب يلصق بالمعالي ... لصوق الخبر في يقق الثياب
ويخفى في اللدنيء فلا تراه ... كما يخفى السواد على الإهاب
وله في الوزير ابن الفرات:

قل لهذا الوزير قول محق ... بته النصح أيما إبتاث
قد تقلدتها مراراً ثلاثاً ... وطلاق البتات عند الثلاث
وكان الأمر على ما قاله، فإن ابن الفرات قتل، بعد الوزارة الثالثة في محبسه.
وله أيضاً:

أقبلت الدنيا وقد ولى العمر ... فما أذوق العيش إلا كالصبر
لله أيام الصبا إذ تعتكر ... لاقت لدينا لو تؤوب ما تسر
وله أيضاً:

ويجزع من تسليمنا فيردنا ... مخافة أن نبغي نداه فيبخلا

وما ضره أن يجتينا ببشره ... فتقنع بالبشر الجميل ونرحلا
وله أيضاً:

وحرقه أورثتها فرقة دنفاً ... حيران لا يهتدي إلا إلى الحزن
في جسمه شغل عن قلبه وله ... في قلبه شغل عن سائر البدن
وله أيضاً:

أبعد الثمانين أفيتها ... وخمساً وسادسها قد نما
ترجي الحياة وتسعى لها ... لقد كاد دينك أن يكلمها
وله أيضاً:

إلى كم تخدم الدنيا ... وقد جزت الثمانينا
لئن لم تك مجنوناً ... فقد فقت المجانينا

القاضي أبو جعفر بن البهلول

يكشف عن براعة الوزير ابن الفرات مما اهتم به

حدث أبو الحسين علي بن هشام بن أبي قيراط، قال: دخلت مع أبي، إلى أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول، عقيب عيد، لهنهته به.

وتناول الحديث، فقال له أبي: قد كنت أكتب الوزير، أيده الله، إلى محبسه، يعني ابن الفرات - لأنه هو كان الوزير إذ ذاك، الوزارة الثالثة - وأعرفه ما عليه القاضي، من موالاته في كذا وكذا، والآن، هو على شكر القاضي، والاعتداد به.

قال: فلما سمع ذلك، فرق الغلمان، ومن كان في مجلسه من أصحابه، حتى خلا، وقال: ليس يخفى علي التغير في عين الوزير، وإن كان لم ينقصني من رتبة ولا عمل، وبالله أحلف، لقد لقيت حامد بن العباس، بالمدائن، لما جيء به للوزارة، فقام لي في حرقته قائماً، وقال لي: هذا الأمر لك ولولدك، وسيبين لك ما أفعله من زيادتك في الأعمال والأرزاق، ثم لقيته يوم الخلع عليه، بعد لبسه إياها، فتناول، فلما فعلت به، في أمر الوزير أيده الله، ما فعلته، بحضرة أمير المؤمنين، عاداني، وصار لا يعير لي طرفه، وتعرضت منه لكل بلية، فكنت خائفاً منه، حتى أراح الله منه، بتفرد علي بن عيسى بالأمور، واشتغاله هو بالضمان، وسقوط حاجتنا إلى لقائه، وما لي إلى هذا الوزير - أيده الله - ذنب يوجب انقباضه، إلا أنني أدبت الودعة التي كانت له عندي، وبالله، لقد رويت عن ذكرها جهدي، ودافعت بما يدافع به مثلي، ممن لا يمكنه الكذب، فلما جاء ابن حماد، كاتب موسى بن خلف، فأقر بها، وأحضر الدليل بإحضار المرأة التي حملتها، لم أجد بداً من أدائها، وقد فعل مثلي أبو عمر، في الودعة التي كانت له عنده، إلا أن أبا عمر، فعل ما قد علمته من حيلة، بشراء فص بنصف درهم، نقش عليه علي بن محمد، ووضع مالاً من عنده، في أكياس ختمها به، وقال للوزير:

وديعتك عندي بحالها، وإنما غرمت ما أدبت عنك من مالي، وأراد التقرب إليه، ففعل هذا، وأنت تعلم فرق ما بيني وبين أبي عمر، في كثرة المال، فأريد أن تسل سخيمته، وتستصلح لي نيته، وتذكره بحقي القديم عليه، ومقامي له بين يدي الخليفة إذ ذاك، وأن مثل ذلك، لا ينسى بتجن لا يلزم.

فقال له أبي: أنا أفعل ولا أقصر، وقد اختلفت الأخبار علينا، فيما جرى ذلك اليوم، فإن رأى القاضي - أعزه الله - أن يشرحه لي، فعل.

فقال أبو جعفر: كنت أنا، وأبو عمر، وعلي بن عيسى، وحامد بن العباس بحضرة الخليفة، مع جماعة من خواصه، وكلهم منحرف عن الوزير - أيده الله - ومحب لمكروهه، إذ أحضر حامد، الرجل الجندي، الذي ادعى أنه وجده راجعاً من أردبيل، إلى قروين، ثم إلى أصبهان، ثم إلى البصرة، وأنه أقر له عفواً، أنه رسول ابن الفرات، إلى ابن أبي الساج، في عقد الإمامة لرجل من الطالبين المقيمين بطبرستان، ليقويه ابن أبي الساج، ويسيره إلى بغداد، ويعاونه ابن الفرات بها، وأنه مخبر أنه تردد في ذلك دفعات، وخاطبه بحضرة الخليفة في أن يصدق عما عنده من ذلك.

فذكر الرجل، مثل ما أخبر عنه حامد، ووصف أن موسى بن خلف، كان يتخبر لابن الفرات، لأنه من الدعاة الذين يدعون إلى الطالبين، وأنه كان يمضي في كل وقت من الأوقات إلى ابن أبي الساج في شيء من هذا. فلما استتم الخليفة سماع هذا الكلام، اغتاض غيظاً شديداً، وأقبل على أبي عمر، وقال: ما عندك فيما فعله هذا؟ فقال: لن كان فعل ذلك، لقد أتى أمراً فظيماً، وأقدم على أمر يضر بالمسلمين جميعاً، واستحق كذا، كلمة عظيمة لا أحفظها.

قال أبو جعفر: وتبينت في علي بن عيسى كراهية لما جرى، والإنكار للدعوى، والطنز بما قيل فيها، فقويت نفسي بذلك.

وأقبل الخليفة علي، فقال: ما عندك يا أحمد، فيمن فعل هذا؟ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين، أن يعفيني. فقال: ولم؟

فقلت: لأن الجواب ربما أغضبت به من أنا محتاج إلى رضاه، أو خالف ما يوافقه من ذلك وبهواه، ويضر بي. فقال: لا بد أن تحيب.

فقلت: الجواب، ما قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنية فبينوا أن تصيوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " ، ومثل هذا يا أمير المؤمنين لا يقبل فيه خبر واحد، والتمييز يمنع من قبول مثل هذا على ابن الفرات، أتراه يظن به أنه رضي أن يكون تابعاً لابن أبي الساج، ولعله ما كان يرضى، وهو وزير، أن يستحجبه؟ ثم أقبلت على الرجل، فقلت له: صف لي أردبيل، عليها سور أم لا؟ فإنك على ما تدعيه من دخولها، لا بد أن تكون عارفاً بها، واذكر لنا صفة باب دار الإمامة، هل هو حديد أم خشب؟ فتلجلج.

فقلت له: كاتب ابن أبي الساج، ابن محمود، ما اسمه؟ وما كنيته؟ فلم يعرف ذلك.

فقلت له: فأين الكتب التي معك؟ فقال: لما أحسست بأني قد وقعت في أيديهم، رميت بها خوفاً من أن توجد معي، فأعاقب.

قال: فأقبلت على الخليفة، وقلت: يا أمير المؤمنين، هذا جاهل، متكسب، مفسوس من قبل عدو غير محصل. فقال علي بن عيسى، مؤيداً لي: قد قلت هذا للوزير، فلم يقبل قولي، وليس يهدد هذا، فضلاً عن أن ينزل به مكروه، إلا أقر بالصورة.

فأقبل الخليفة على نذير الحرمي، وعدل عن أن يأمر نصراً الحاجب بذلك، لما يعرفه بينه وبين ابن الفرات، وقال: بحقنا عليك، لما ضربته مائة مقرعة، أشد الضرب، إلى أن يصدق عن الصورة. فعدي بالرجل، عن حضرة الخليفة، ليبعد ويضرب. فقال: لا، إلا هاهنا.

فضرب بالقرب منه، دون العشرة، فصاح: غررت، وضمنت لي الضمانات، وكذبت، والله، ما دخلت أردبيل قط.

فطلب نزار بن محمد الضبي أبو معد، وكان صاحب الشرطة، وقد انصرف، فقال الخليفة، لعلي بن عيسى: وقع إليه، بأن يضرب هذا، مائة سوط، ويقله بالحديد، ويحبس في المطبق. فوالله، لقد رأيت حامداً، وقد كاد يسقط، انخدالاً، وانكساراً، ووجداً، وإشفاقاً. وخرجنا، وجلسنا في دار نصر الحاجب، وانصرف حامداً، وأخذ علي بن عيسى ينظر في الحوائج، وآخر أمر الرجل.

فقال له حاجبه ابن عبدوس، قد وجه نزار، بالمضروب المتكذب. فقلت له: إنه وإن كان قد جهل، فقد غمني ما لحقه، خوفاً من أن أكون سبيه، فإن أمكنك أن تسقط عنه المكروه، أو بعضه، أجرت.

فقال: ما هذا - لعنه الله - أجر، ولكني أقصر على خمسين مقرعة، وأعفيه من السياط. ثم وقع بذلك إلى نزار، وانصرفنا. فصار حامداً من أعدى الناس لي.

من شعر أبي الفتح بن المنجم

قال التنوخي أبو علي: أنشدني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى المنجم في الوزير أبي الفرج محمد بن العباس بن فسانجس في وزارته، وقد عمل على الانحدار إلى الأهواز لنفسه: قل للوزير سليل الجد والكرم ... ومن له قامت الدنيا على قدم ومن يدها معاً تجدي ندى وردى ... يجريهما عدل حكم السيف والقلم ومن إذا هم أن تمضي عزائمهم ... رأيت ما تفعل الأقدار في الأمم ومن عوارفه قمي وعادته ... في رب بدأته تمي على القدم لأنت أشهر في رعي الذمام وفي ... حكم التكرم من نار على علم والعبد عبدك في قرب وفي بعد ... وأنت مولاه إن تظعن وإن تقم فمره يتبعك أو لا فاعتمده بما ... تجري به عادة الملاك في الخدم

قال: وأنشدني لنفسه، وذكر أنه لا يوجد لها قافية رابعة من جنسها في الخلاوة:

سيدي أنت ومن عادته ... باعتداء وبجور جاريه

أنصف المظلوم وارحم عبدة ... بدموع ودماء جاريه

ربما أكني بقولي سيدي ... عند شكواي الهوى من جاريه

قال: وأنشدني لنفسه، والقافية كلها عود باختلاف المعنى:

العيش عافية والراح والعود ... فكل من حاز هذا فهو مسعود

هذا الذي لكم في مجلس أنق ... سجاره العبر الهندي والعود

وقينة وعدّها بالخلف مقترن ... بما يؤمله راج وموعد

وفتية كنتجوم الليل دأبهم ... إعمال كئس حداها الناي والعود

فاغدوا علي بكئس الراح مترعة ... عوداً وبدأً فإن أهدتم عودوا

غلام يقتضي أن يكون أحاً وصديقاً

قال أبو علي: سمعت أبا محمد المهلب يتحدث، وهو وزير، في مجلس أنس: أن رجلاً كان ينادم بعض الكتاب

الظراف، وأحسبه قال ابن المدبر، قال: كنت عنده ذات يوم، فرجع غلام له أنفذه في شيء لا أدري ما هو،

فقال له رب الدار: ما صنعت؟ فقال: ذهبت، ولم يكن، فقام يحيى، فجاء، فلم يحيى، فجئت، قال: فتبينت

في رب الدار تغيراً، وهماً، ولم يقل للغلام شيئاً، فعجبت من ذلك.

ثم أخذ بيدي، وقال: قد ضيق صدري، ما جاء به هذا الغلام، فقم حتى ندور في البستان الذي في دارنا

ونتفرج، فلعله يخف ما بي.

فقلت: والله، لقد توهمت أن صدرك قد ضاق بانغلاق كلام الغلام عليك، وقد فهمته، وهذا ظريف.

فقال: إن هذا الغلام، أحصف وأظرف غلام يكون، وذاك أنني ممتحن بعشق غلام أمرد، وهو ابن نجار من

جيرانا، والغلام يساعدني عليه، وأبوه يغار عليه، ويمنعه مني.

فوجهت هذا الغلام، وقلت: إن لم يكن أبوه هناك، فقل له يصير إلينا.

فرجع، فلما رآك عندي، قدر أي لا أريد أن تفتن للأمر، فرد هذا الجواب الظريف الذي سمعته.

فقلت: أعده علي أنت لأفهمه.

فقال: إنه يقول: ذهبت إلى الغلام ولم يكن أبوه هناك، فقام الغلام يحيى، فجاء أبوه، فلم يحيى الغلام،

فجئت أنا.

فقلت له: هذا الغلام يجب أن يكون أحاً وصديقاً، لا غلاماً.

جحظة البرمكي يفت لبنات وردان

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه ينادم ابن الحواري، ثم نادم البريديين

بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان جحظة خسيف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سراً.

فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان، مسلماً، فأجلسه.
فلما كان نصف النهار، سرق من الدار رغيماً، ودخل المستراح، وجلس على المقعدة.
واتفق أن دخل أبي فرآه، فاستعظم ذلك، وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون،
فقد رحمتهم من الجوع.

أبو بكر بن الجراح عالم فارس

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت الخطيب، قال: حدثنا التنوخي، قال: كان أبو بكر
بن الجراح يقول: كني بعشرة آلاف درهم، وجاريتي بعشرة آلاف درهم، وسلاحني بعشرة آلاف درهم،
ودواي بعشرة آلاف درهم.
قال التنوخي: وكان أحد الفرسان، يلبس أدايته، ويركب فرسه، ويخرج إلى الميدان، ويطارد الفرسان فيه.

أبو عبد الله بن ثوابة نهاية

في الكتابة وحسن الكلام

قال أبو علي المحسن التنوخي: رأيت أنا، أبا عبد الله هذا في سنة ٤٠٩ وإليه ديوان الرسائل، وكان نهاية في
حسن الكلام، والكتابة.

فراة غاض من آل الفرات

قال القاضي أبو علي التنوخي: أنشدني أبو الحسين، علي بن هشام، لنفسه، لما قتل أبو الحسن بن الفرات:
فراة غاض من آل الفرات ... ففاض عليه دمع المكرمات
سما غودرت في بطن أرض ... وبحر غاض في بعض الفلاة
عسى الأيام آخذة بثار ... فتأخذ لي بثار المآثرات

عضد الدولة غلام أبي علي الفارسي في النحو

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: قال التنوخي: ولد أبو علي الحسن بن
أحمد النحوي الفارسي، بفسا، وقدم بغداد، فاستوطنها، وسمعنا منه في رجب سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.
وعلت منزلته في النحو، حتى قال قوم من تلامذته، هو فوق المبرد، وأعلم منه.
وصنف كتاباً عجيباً حسنة، لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق.
وبرع له غلمان حدائق، مثل عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الشيرازي، وغيرهما.

وخدم الملوک، ونفق علیهم، وتقدم عند عضد الدولة، فسمعت أبي يقول: سمعت عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو.

زورق ابن الخواستيني

يحمل ثلاثمائة ألف رطل

وحدث ابن نصر، قال: حدثني يوماً أبو الفرج البغاء الشاعر: أن أبا الفرج منصور بن بشر النصاراني الكاتب، كان منقطعاً إلى أبي العباس بن ماسرجس، فأنفذه مرة إلى أبي عمر إسماعيل بن أحمد، عامل البصرة، في بعض حاجاته، فعاد من عنده مغضباً، لأنه لم يستوف له القيام عند دخوله. وأراد أبو العباس إنفاذه بعد أيام، فأبي، وقال: لو أعطيتني زورق ابن الخواستيني، مملوءاً كيمياء، كل مثقال منه إذا وضع على ألف مثقال صفراً، صار ذهباً ابريزاً، ما مضيت إليه. فأمسك عنه مغيضاً. وهذا زورق معروف بالبصرة، وحمله ثلاثمائة ألف رطل.

ابن أبي علان ومبالغاته

وقد رأيت دواقي أبي العباس سهل بن بشر، وقد حكي له، أن ابن أبي علان قاضي القضاة بالأهواز، ذكر أنه رأى قبجة وزنها عشرة أرتال. فقال: هذا محال. ف قيل له: ترد قول ابن أبي علان؟ قال: فإن قال ابن أبي علان، أن على شاطئ جيحون نخلاً يحمل غضار صيني مجزع بسواد، أقبل؟

التنوخي يتحدث عن الحسن بن بشر الآمدي

أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي، عن أبيه، أبي علي المحسن: أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة، وأنه قدم بغداد فحمل عن الأخفش، والحلمض، والزجاج وابن دريد، وابن السراج، وغيرهم، اللغة، وروى الأخبار في آخر عمره بالبصرة.

وكان يكتب بمدينة السلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان، بحضرة المقتدر، ووزرائه، ولغيره من بعده.

وكتب بالبصرة لأبي الحسن أحمد، وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى، وبعدهما لقاضي البلد أبي القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي تليها القضاة، ويحضر به في مجلس حكمه، ثم لأخيه أبي

الحسن محمد بن عبد الواحد، لما ولي قضاء البصرة، ثم لزم بيته إلى أن مات.
وكان كثير الشعر، حسن الطبع، جيد الصنعة، مشتهراً بالتشبيهات.

لعن الله الدنيا

قال أبو علي: كنت في سنة ٣٥٢ ببغداد، فحضر أول يوم شهر رمضان فاصطحبنا أنا وأبو الفتح عبد الواحد بن أبي علي الحسين بن هارون، الكاتب في دار أبي الغنائم، الفضل بن الوزير أبي محمد المهلب، لتهنئته بالشهر، عند توجه أبيه إلى عمان.
وبلغ أبو محمد إلى موضع من أثمار البصرة يعرف بعلياباذ، ففترت نيته عن الخروج إلى عمان.
واستوحش معز الدولة منه، وفسد رأيه فيه.
واعتل المهلب هناك، ثم أمره معز الدولة، بالرجوع من علياباذ، وأن لا يتجاوزوه، وقد اشتدت علته، والناس بين مرجف بأنه يقبض عليه إذا حصل بواسط، أو عند دخوله إلى بغداد، وقوم يرجفون بوفاة.
وخليفته إذ ذاك على الوزارة ببغداد، أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد الله، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس.
فجئنا إلى أبي الغنائم، ودخلنا إليه وهو جالس في عرسي في داره التي كانت لأبيه على دجلة، على الصراة، عند شباك في دجلة، وهو في دست كبير عال، جالس، وبين يديه الناس على طبقاتهم، فهأنأه بالشهر وجلسنا، وهو إذ ذاك صبي غير بالغ، إلا أنه محصل.
فلم يلبث أن جاء أبو الفضل وأبو الفرج، فدخلا إليه وهنأه بالشهر، فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، على طرف دسته، في الموضع الذي فيه فضلة المخاد إلى الدست، ما تحرك لأحدهما، ولا انزعج، ولا شاركاه في الدست.
وأخذنا معه في الحديث، وزادت مطاولتهما، وأبو الفضل يستدعي خادم الحرم، فيساره، فيمضي ويعود، ويخاطبه سراً.
إلى أن جاءه بعد ساعة، فساره، فنهض.
فقال له أبو الفرج: إلى أين يا سيدي؟ فقال: أهنيء من يجب تهنئته وأعود إليك، وكان أبو الفضل زوج زينة، أخت أبي الغنائم، من أبيه وأمه تحني.
فحين دخل واطمأن قليلاً، وقع الصراخ وتبادر الخدم والغلمان، ودعي الصبي، وكان يتوقع أن يرد عليه خبر موت أبيه، لأنه كان عالماً بشلة علته، فقام، فمسكه أبو الفرج، وقال: اجلس، اجلس، وقبض عليه.
وخرج أبو الفضل وقد قبض على تحني، أم الصبي، ووكّل بها خدماً، وختم الأبواب، ثم قال للصبي: قم يا أبا الغنائم إلى مولانا - يعني معز الدولة - فقد طلبك، وقد مات أبوك.
فبكى الصبي، وسعى إليه، وعلق بدارعته، وقال: يا عم، الله، الله، فيّ يكررها.
فضممه أبو الفضل إليه، واستعبر، وقال: ليس عليك بأس ولا خوف، وانحدروا إلى زبازبهم، فجلس أبو الفرج في زبزه، وجلس أبو الفضل في زبزه، وأجلس الغلام بين يديه، وأصعدت الزبازب، تريد معز الدولة

بباب الشماسية.

فقال أبو الفتح بن الحسين: ما رأيت مثل هذا قط، ولا سمعت، لعن الله الدنيا، أليس الساعة، كان هذا الغلام في الصدر معظماً، وخليفاً أبيه، بين يديه، وما افترقا حتى صار بين أيديهما ذليلاً حقيراً. ثم جرى من المصادرات على أهله وحاشيته، ما لم يجر على أحد.

نعوذ بالله من الخيبة والخذلان

حدث أبو القاسم التنوخي: أن نقفور لما فتح طرسوس، نصب في ظاهرها علمين، ونادى مناديه، من أراد بلاد الملك الرحيم، وأحب العدل والصفة، والأمن على المال، والأهل، والنفس، والولد، وأمن السبل، وصحة الأحكام، والإحسان في المعاملة، وحفظ الفروج، وكذا وكذا، وعد أشياء جميلة، فليصر تحت هذا العلم، ليقفل مع الملك إلى بلاد الروم.

ومن أراد الزنا، واللواط، والجور في الأحكام والأعمال، وأخذ الضرائب، وتملك الضياع عليه، وغصب الأموال، وعد أشياء من هذا النوع غير جميلة، فليحصل تحت هذا العلم إلى بلاد الإسلام. فصار تحت علم الروم خلق من المسلمين، ممن تنصر، وممن صبر على الجزية.

ودخل الروم إلى طرسوس، فأخذ كل واحد من الروم، دار رجل من المسلمين، بما فيها، ثم يتوكل بأهلها، ولا يطلق لصاحبها إلا حمل الخف، فإن رآه قد تجاوز، منعه، حتى إذا خرج منها صاحبها، دخلها النصراني، فاحتوى على ما فيها.

وتقاعد بالمسلمين أمهات أولادهم، لما رأين أهاليهن، وقالت أنا الآن حرة، لا حاجة لي في صحبتك، فمنهن من رمت بولدها على أبيه، ومنهن من منعت الأب من ولده، فنشأ نصرانياً، فكان الإنسان يجيء إلى عسكر الروم، فيودع ولده، ويكي، ويصرخ، وينصرف على أقبح صورة، حتى بكى الروم رقة لهم. وطلبوا من يحملهم، فلم يجدوا غير الروم، فلم يكروهم إلا بثلث ما أخذوه على أكتافهم أجرة، حتى سيروهم إلى أنطاكية.

هذا وسيف الدولة حي يرزق بميفارقين، والملوك كل واحد مشغول بمحاربة جاره من المسلمين، وعطلوا هذا الفرض، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان، ونسأله الكفاية من عنده.

ابن الماشطة صاحب كتاب جواب المعنت

قال أبو علي التنوخي، حدثنا أبو الحسين علي بن هشام، قال: سمعت علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة، وهو صاحب الكتاب المعروف: بجواب المعنت، في الكتابة، وعاش حتى بلغ المائة سنة، وكان قد تقلد مكان أبي، في أيام حامد لما غلب علي بن عيسى على الأمور، قال: سمعت الفضل بن مروان وزير المنتصر بالله ابن المتوكل، وذكر خبراً.... .

من طريف أخبار العادات

حدث القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة، قال: ومن طريف أخبار العادات، أني كنت أرى أبا الفرج علي بن الحسين الأصبهاني الكاتب نديم أبي محمد المهلب، صاحب الكتب المصنفة في الأغاني والقيان، وغير ذلك، دائماً إذا ثقل الطعام في معدته - وكان أכולاً فمماً - ، يتناول خمسة دراهم، فلفلاً مدقوقاً، فلا تؤذيه، ولا تدمعه.

وأراه يأكل حمصة واحدة، أو يصطبغ بمزقة قدر فيها حمص، فيتشرى بدنه كله من بعد ذلك، وبعد ساعة أو ساعتين يفصد، وربما فصد دفعتين، وأسأله عن سبب ذلك، فلا يكون عنده علم منه.

وقال لي غير مرة: إنه لم يدع طبيباً حاذقاً على مر السنين إلا سأله عن سببه، فلا يجد عنده علماً ولا دواء.

فلما كان قبل فاجله بسنوات، ذهبت عنده العادة في الحمص، فصار يأكله فلا يضره، وبقيت عليه عادة الفلفل.

خطيب يموت على المنبر

ذكر صاحب كتاب النشوار أبو علي المحسن بن علي القاضي: أنه حضر مجلس أبي الفرج الأصبهاني، صاحب كتاب الأغاني، فتذاكروا موت الفجأة.

فقال أبو الفرج: أخبرني شيوخنا أن جميع أحوال العالم قد اعترت من مات فجأة، إلا أنني لم أسمع من مات على منبر.

قال أبو علي المحسن: وكان معنا في مجلس أبي الفرج، شيخ أندلسي، قدم من هناك لطلب العلم، ولزم أبا الفرج، يقال له: أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ، وكنت أرى أبا الفرج يعظمه ويكرمه ويذكر ثقته.

فأخبرنا أبو زكريا: أنه شاهد في مسجد الجامع ببلدة من الأندلس، خطيب البلد، وقد صعد يوم الجمعة ليخطب، فلما بلغ يسيراً من خطبته، خر ميتاً فوق المنبر، حتى أنزل منه، وطلب في الحال من رقي المنبر، فخطب وصلى الجمعة بنا.

أبو الفرج بن هندو كاتب الإنشاء

في ديوان عضد الدولة

قال أبو علي التنوخي: كان أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو، أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة، وقد شاهدت عدة كتب كتبها بخطه.

أبو الحسن الصائغ النحوي أستاذ الجبائي

قال القاضي أبو علي التنوخي، حدثني أبو عمر أحمد بن محمد بن حفص الخلال، قال: كان أبو الحسن الصائغ النحوي الرامهرمزي واسع العلم والأدب، مليح الشعر وهو صاحب القصيدة التي أولها: " بياض في الأصل " ، وفيها تجوز كثير وأمر بخلاف الجميل، قالها على طريق التخالع، والتطايب. وكان صالحاً معتقداً للحق، لا عن اتساع في العلم، يعني علم الكلام، ولكنه كان واسع المعرفة بالنحو واللغة والأدب.

وأبو الحسن الصائغ هذا، هو أستاذ أبي هاشم بن أبي علي الجبائي، بعد أبي بكر المبرمان في النحو، قرأ عليه لما ورد البصرة، واستفاد منه حتى بلغ أعلى مراتب النحو.

هذا بلاغ للناس ولينبروا به

قال التنوخي: إن أبا الحسن الوراق يعرف بالإخشيدي.

وقال أيضاً: ومن ذهب في زماننا إلى أن علياً عليه السلام، أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المعتزلة، أبو الحسن علي بن عيسى النحوي، المعروف بابن الرماني الإخشيدي. وقرأت بخط أبي سعد، سمعت أبا طاهر السبخي، قال: سمعت أبا الكرم بن الفاخر النحوي، قال: سمعت القاضي أبا القاسم علي بن الحسن التنوخي، قال: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي، يقول، وقد سئل، فقل له: لكل كتاب ترجمة، فما ترجمة كتاب الله عز وجل. فقال: هذا بلاغ للناس ولينبروا به.

بين الوزير ابن مقلة والشاعر ابن بسام

قال التنوخي: حدثني ابن أبي قيراط، علي بن هشام، قال: حدثني أبو علي بن مقلة، قال: كنت أقصد ابن بسام لهجائه إياي، فخطب ابن الفرات في وزارته الأولى، في تصريحه، فاعترضت، وقلت: إذا صرف، فلا يحتبس الناس على مجالسنا وقد افتقرت، فإذا لم يضره الوزير فلا أقل من أن لا ينفعه. فامتنع من تصريحه، قضاء لحقي.

فبلغ ذلك ابن بسام، فجاءني، وخضع لي، ثم لازمني نحو سنة، حتى صار يختص بي، ويعاشرني على النبيذ، ومدحني فقال:

يا زينة الدنيا وما جمعا ... والأمر والنهي والقرطاس والقلم

إن ينسيء الله في عمري فسوف ترى ... من خلعتي لك ما يغني عن الخدم

أبا علي لقد طوقتني منناً ... طوق الحمامة لا تبلى على القدم

فاسلم فليس يزيل الله نعمته ... عمن يث الأيادي في ذوي النعم

بين ابن الفرات وخالده الكاتب

حدث القاضي أبو علي، قال: حدثني أبو الحسين علي بن هشام، قال: سمعت أبا الحسن بن الفرات، يتحدث في مجلسه، قال: كنا بعد وفاة أبينا، وقبل تصرفنا مع السلطان نقدم إلى بغداد، من سر من رأى، فنقيم بها المدة بعد المدة، ونتفرج، ثم نعود، وننزل، إذا وردنا، شارع عمرو بن مسعدة، بالجانب الغربي. فبكرنا يوماً، نريد بستاناً، فإذا بخالد الكاتب، والصبيان يولعون به، وقد اختلط، وهو يرجم، ويشتم. ففرقناهم عنه، ومنعناه منهم، ورفقنا به، وسألناه أن يصحبنا، وأنزلنا أحد غلماننا من مركوبه، وأركبناه، وحملناه إلى البستان.

فلما أكل، وسكن، وجدناه متماسك العقل، بخلاف ما رأيناه عليه، وظنناه به، وسمعناه عنه. فقلنا له: ما الذي يلحقك؟ فقال: أكثر آفتي هؤلاء الصبيان، فإنهم يشدون علي، حتى أعدم بقية عقلي، وأصير إلى ما شاهدتموه مني، وأخذ ينشدنا لنفسه، ويورد من شعره، وطاب لنا يومنا معه. وأحب أخي أن يمتحنه في قول الشعر، وهل هو على ما كان، أم قد اختل، فقال له: أريد أن تعمل شيئاً في الفراق الساعة.

فأخذ الدواة، وفكر، وقال:

عيني، أكت عليك مدعيًا ... أم حين أزمع بينهم خنت
إن كنت فيما قلت صادقة ... فعلى فراقهم ألا بت

رسالة كتبها والد المؤلف

قال أبو علي التنوخي في النشوار: حدثني أبو العلاء صاعد بن ثابت، قال: كتب إلي القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد جواب كتاب كتبه إليه: وصل إلي كتابك: فما شككت، وقد جاء البشير به، ... أن الشباب أتاني بعدما ذهبوا وقلت نفسي تفدي نفس مرسله ... من كل سوء ومن أملى ومن كتبوا وكاد قلبي، وقد قلبته، قرماً ... إلى قراءته أن يحرق الحجابا قال: والشعر له، وأنشدني بعد ذلك لنفسه. قال أبو علي: ولست أعرف له ذلك، ولا وجدته في كتبه منسوباً إليه، ويجوز أن يكون مما قلته ولم يثبت، أو ضاع فيما ضاع من شعره، فإنه أكثر مما حفظ.

من شعر أبي الفتح بن المنجم

كان لعلي بن هارون بن المنجم، ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم، كان أديباً فاضلاً، إلا أنني لم أقف له على تصنيف، فلم أفرد بترجمة، والمقصود ذكره، وقد ذكر هاهنا، روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره، فأكثر، وقال: أنشدني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون لنفسه: ما أنس منها لا أنس موقوفها ... وقلبي للفراق ينصدع

وقولها إذ بدا الصباح لها ... قول فزوع أظله الجزع
ما أطول الليل عند فرقتنا ... وأقصر الليل حين نجتمع

قال التنوخي: وأنشدني أبو الفتح لنفسه، وكتب بها إلى أبي الفرج محمد بن العباس بن فسانجس في وزارته،
وقد عمل على الانحدار إلى الأهواز:
قل للوزير سليل المجد والكرم ... ومن له قامت الدنيا على قدم

أبو معشر وعلم التنجيم

وحدث أبو علي التنوخي في نشواره، قال: حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الأزرق قال: حدثني أبي، قال:
كان بكر كر من نواحي القفص، ضيعة نفيسة، لعلي بن يحيى بن المنجم، وقصر جليل فيه خزانة كتب
عظيمة، يسميها: خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كل بلد، فيقيمون فيها، ويتعلمون منها صنوف العلم،
والكتب مبدولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى.
فقدم أبو معشر المنجم من خراسان، يريد الحج، وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له
الخزانة، فحضر ورآها، فهاله أمرها، فأقام بها، وأضرب عن الحج، وتعلم فيها علم النجوم، وأغرق فيه حتى
ألحد.
وكان ذلك آخر عهده بالحج، وبالدين، والإسلام أيضاً.

من إخوانيات الجاحظ

قال أبو علي التنوخي، حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأخباري، قال: حدثني أبو الفرج الأصبهاني، قال:
أخبرني الحسن بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن جعفر الوكيل، قال: كنت يوماً عند إبراهيم
بن المدبر، فرأيت بين يديه رقعة يردد النظر إليها.
فقلت له: ما شأن هذه الرقعة، كأنه استعجم عليك شيء منها؟ فقال: هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ، وكلامه
يعجبني، وأنا أردده على نفسي، لشدة إعجابي.
فقلت: هل يجوز أن أقرأها؟ قال: نعم، وألقاها إلي، فإذا فيها: ما ضاء لي نهار، ولا دجاليل، مذ فارقتك، إلا
وجدت الشوق إليك قد حز في كبدي، والأسف عليك قد أسقط في يدي، والنزاع نحوك قد خان جلدي،
فأنا بين حشئ خافقة، ودمعة مهراقة، ونفس قد ذبلت بما تجاهد، وجوانح قد بليت بما تكابد، وذكرت وأنا
على فراش الارتماض، ممنوع من لذة الإغماض، قول الشاعر:
إذا هتف القمر نازعني الهوى ... بشوق فلم أملك دموعي من الوجد
أبي الله إلا أن يفرق بيننا ... وكنا كماء المزن شيب مع الشهد
لقد كان ما بيني زماناً وبينها ... كما كان بين المسك والعبر الورد
فانظم وصف ما كنا نتعاشر عليه، ونجري في مودتنا إليه، في شعره هذا، وذكرت أيضاً، ما رماني به الدهر،

من فرقة أعزائي من أخواني الذين أنت أعزهم، ويمتحنني بمن نأى من أحبائي وخلصائي الذين أنت أحبهم وأخلصهم، ويجرعني من مرارة نأيهم، وبعد لقائهم، وسألت الله أن يقرن آيات سروري بالقرب منك، ولين عيشي بسرعة أوتبك، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدي، وكنه ما يتضمنه قلبي، وهي:

بخدي من قطر الدموع ندوب ... وبالقلب مني مذ نأيت وجيب
ولي نفس تحت الدجى يصدع الحشا ... ورجع حين للفؤاد مذيّب
ولي شاهد من ضر نفسي وسقمه ... يخبر عني أنني لكيب
كأني لم أفجع بفرقة صاحب ... ولا غاب عن عيني سواك حبيب
فقلت لابن المدير: هذه رقعة عاشق، لا رقعة خادم، ورقعة غائب، لا رقعة حاضر.
فضحك، وقال: نحن ننسبط مع أبي عثمان إلى ما هو أرق من هذا وألطف، فأما الغيبة، فإننا نجتمع في كل
ثلاثة أيام، وتأخر ذلك لشغل عرض لي، فخطبني مخاطبة الغائب، وأقام انقطاع العادة، مقام الغيبة.

الوزير علي بن عيسى يقر بأنه

صنيعة الوزير ابن الفرات

حدث القاضي أبو علي قال: حدثني أبو الحسن، أحمد بن يوسف الأزرق، قال: لما حمل علي بن عيسى إلى
ابن الفرات في وزارته الثالثة، رآه ابن الفرات، وهو مقبل إليه، فبدأ يكتب كتاباً.
وجاء علي بن عيسى، وهو كالميت، خوفاً وجزعاً، فوقف قائماً، وابن الفرات يكتب، وعند علي بن عيسى،
والحاضرين، أنه لم يره.

وبقي واقفاً، نحو ساعة، إلى أن فرغ ابن الفرات من كتابته، ثم رفع رأسه، وقال: اقعد، بارك الله عليك.
فأكب علي بن عيسى عليه، يقبل يده، وهو يقول: أنا عبد الوزير، وخادمه، وصنيعته القديم، وصنيعة أبي
العباس أخيه، رحمه الله تعالى، ومن لا يعرف صاحباً، ولا أستاذاً غيره.

فقال: هو كذلك، وأنت فيه صادق، وإني لأرعى لك حق خدمتك القديمة، لي، ولأخي رحمه الله، وما عليك
بأس في نفسك، ولولا طاعة السلطان، ما أفسدنا صنيعتنا عندك.
وقرر عليه من المصادرة، ما قرره.

وعمل المحسن بن علي بن الفرات، على قتل علي بن عيسى، فلم يدعه أبوه، واستقر الأمر على نفيه،
وإبعاده عن الحضرة.

واختار هو الخروج إلى مكة، وأظهر أنه يريد الحج والجاورة.
وخرج بعد أن ضم إليه موكلون، ووصاهم المحسن بسمه في الطريق، إن تمكنوا، أو قتله بمكة.
وعرف علي بن عيسى ذلك، فتحرز، في مأكله ومشربه.
ووصل إلى مكة وفيها رجل يعرف بأحمد بن موسى الرازي، وكان داهية ذا مكر وخبت، وقد اصطنعه علي

بن عيسى في وزارته، وقلده القضاء هناك.

فلما اجتمع علي بن عيسى معه، حدثه بحديثه، وسأله إعمال الحيلة في تخليصه، وحراسة نفسه. فتلطف في ذلك، بأن واضع أهل البلد، وقد كانوا قدموه، وأطاعوه، على أن اجتمعوا، وثاروا بالموكلين. وخاف أن يجري ما يلحقه فيه إثم، أو إنكار من السلطان، فطرح نفسه عليهم، حتى خلصهم، وأخرجهم ليلاً إلى بغداد، بعد أن أعطاهم نفقة. وأقام بمكة.

وقد كان أبو العباس، أحمد بن محمد بن الفرات، في خلافة عبيد الله بن سليمان، على الأمور، عمل ديواناً سماه: ديوان الدار، وجمع إليه سائر الأعمال، ودبره بنفسه، وكتابه، واستتاب أخاه أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فيه، واصطنع كتاباً، قلدهم مجالسه، منهم أبو الحسن علي بن عيسى، وأبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح، عمه، فكانا يجلسان بحضرة أبي الحسن، ويأمرهما بينهما، ويسميانه أستاذنا، على رسم أصحاب الدواوين إذ ذاك.

وجرى الأمر على هذا الترتيب، إلى أن عزم المعتضد بالله، على إخراج المكتفي بالله، إلى الجبل، ومعه عبيد الله بن سليمان، والخروج بنفسه إلى آمد والشغور، ومعه القاسم بن عبيد الله.

فقال عبيد الله، لأبي العباس بن الفرات: أريد كاتباً يصحبي، ويتصفح أعمال كل بلد نفتحه، ويقرر معاملاته، على ما يدل عليه الديوان القديم من رسومه.

فقال: ذاك محمد بن داود، وإليه في ديوان الدار، مجلس ما فتح من أعمال المشرق، وفيه الحسابات العتيقة. وقال القاسم: وأنا أريد آخر يكون معي إلى المغرب.

فقال: يكون علي بن عيسى.

وخرج محمد بن داود، وعلي بن عيسى، في جملة عبيد الله، والقاسم، فنفق محمد على عبيد الله، وقرب منه، واختص به، ورأى من فضله، وصناعته، ما أعجبه، وانتهى أمره معه إلى أن زوجه عبيد الله بنته، وانتزع مجلس المشرق، من ديوان الدار، وجعله ديواناً مفرداً، وقلده محمد بن داود، رئاسة.

وحصلت لعلي بن عيسى حرمة بالقاسم، وشاهد من كفايته، وسداده، وكتابته، ونفاذه، ما عظم به في عينه، فقدمه، وتوفر عليه، وفعل مثل فعل أبيه مع محمد بن داود، في انتزاع مجلس المغرب من ديوان الدار، وتقليده علي بن عيسى رئاسة، ولم يجعل لأبي العباس بن الفرات، بعد ذلك، عليهما يداً.

وكان قول علي بن عيسى، لابن الفرات، ما قاله: من أنني عبدك، وصنيعتك، وعبد وصنيعة أبي العباس أخيك، وقبول ابن الفرات ذلك منه، وتصديقه إياه فيه، على هذا الأصل.

ابن دريد يكتب دروسه لتلامذته

ومن خط أبي علي الحسن، قال: سألت القاضي أبا سعيد السيرافي رحمه الله، عن الأخبار التي يرويها عن أبي بكر بن دريد، وكنت أقرأها عليه، أكان يملئها من حفظه؟ فقال: لا، كانت تجمع من كتبه وغيرها، ثم تقرأ عليه.

وسألت أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزباني رحمه الله، عن ذلك، فقال: لم يكن يملئها من كتاب ولا حفظ، ولكن كان يكتبها، ثم يخرجها إلينا بخطه، فإذا كتبناها خرق ما كانت فيه.

القاضي التنوخي وقاطع الطرق

قال الحسن، وحدثني أبي، قال: لما كنت أتقلد القضاء بالكرخ، كان بوابي بها رجل من أهل الكرخ، وله ابن عمره حينئذ عشر سنين أو نحوها، وكان يدخل داري بلا إذن، ويمتزج مع غلماني، وأهب له في الأوقات الدراهم والثياب، كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم.

ثم خرجت عن الكرخ، ورحلت عنها، ولم أعرف للبواب ولا لابنه خبراً. ومضت السنون، وأنفذني أبو عبد الله البريدي من واسط، برسالة إلى ابن رائق، فلقينته بدير العاقول، ثم انحدرت أريد واسطاً، فقبل لي إن في الطريق لصاً يعرف بالكرخي، مستفحل الأمر.

وكتبت خرجت بطالع اخترته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة.

فلما عدت من دير العاقول خرج علينا اللصوص في سفن عدة بسلاح شاك في نحو مائة رجل، وهو كالعسكر العظيم.

وكان معي غلمان يرمون بالنشاب، فحلفت أن من رمى منهم سهماً ضربته إذا رجعت إلى المدينة، مائي مفرعة، وذلك أنني خفت أن يقتل أحد منهم، فلا يرضون إلا بقتلي. وبادرت فرميت بجميع ما كان معي، ومع الغلمان، من السلاح، في دجلة، واستسلمت طلباً لسلامة النفس. وجعلت أفكر في الطالع الذي خرجت به، فإذا ليس مثله مما يوجب عندهم قطعاً، والناس قد أدبروا إلى الشاطيء، وأنا في جملتهم، وهم يضربون، ويقطعون بالسيوف.

فلما انتهى الأمر إلي، جعلت أعجب من حصولي في مثل ذلك، والطالع لا يوجه.

فبينما أنا كذلك، وإذا بسفينة رئيسهم قد دنت، وطرح علي كما صنع بسائر السفن، ليشرف على ما يؤخذ.

فحين رأي زجر أصحابه عني، ومنعهم من أخذ شيء من سفيني، وصعد بمفرده إلي، وجعل يتأملني، ثم أكب على يدي يقبلهما، وهو متلثم.

فارتعت، وقلت: يا هذا، ما شأنك؟ فأسفر عن لثامه، وقال: أما تعرفني يا سيدي؟ فتأملتته، فلجزعي لم أعرفه، فقلت: لا والله.

فقال: بلى، أنا عبك ابن فلان الكرخي، بوابك هناك، وأنا الصبي الذي تربيت في دارك.

قال: فتأملتته، فعرفته، إلا أن اللحية قد غيرته في عيني.

فسكن روعي قليلاً، وقلت: يا هذا، كيف بلغت إلى هذه الحال؟ فقال: يا سيدي، نشأت، فلم أتعلم غير معالجة السلاح، وجمت إلى بغداد أطلب الديوان فما قبلني أحد، وانضاف إلي هؤلاء الرجال، فطلبت قطع الطريق، ولو كان أنصفي السلطان، وأنزليني بحيث أستحق من الشجاعة، وانتفع بخدمتي، ما فعلت بنفسي

هذا.

قال: فأقبلت عليه، أعظه، وأخوفه الله، ثم خشيت أن يشق ذلك عليه فيفسد رعايته لي، فأقصرت.
فقال لي: يا سيدي لا يكون بعض هؤلاء أخذ منك شيئاً.
قلت: لا، ما ذهب مني إلا سلاح رميته أنا في الماء، وشرحت له الصورة. فضحك، وقال: قد والله أصاب
القاضي، فمن في الكار ممن تعني به؟ فقلت: كلهم عندي بمنزلة واحدة في الغم بهم، فلو أفرجت عن
الجميع.
فقال: والله، لولا أن أصحابي قد تفرقوا ما أخذوه، لفعلت ذلك، ولكنهم لا يطيعونني إلى رده، ولكني
أمنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن، مما لم يؤخذ بعد.
فجزيته الخير، فصعد إلى الشاطيء، وأصعد جميع أصحابه، ومنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن، مما لم
يؤخذ، ورد على قوم أشياء كثيرة، كانت أخذت منهم، وأطلق الناس.
وسار معي إلى حيث أمان علي، وودعني، وانصرف راجعاً.

ابن سكرة الهاشمي يهجو غلاماً

قال أبو علي: وكنت مع أبي الحسن بن سكرة على المائدة، فحمل بعض الغلمان غصارة فيها مضيرة،
فاضطربت يده، وانقلب منها شيء على ثياب أبي الحسن، فادعى عليه أنه ضرط، وهجاه بأبيات، لم يبق من
حفظي منها غير بيتين، وهما:
قليل الصواب كثير الغلط ... شديد العثار قبيح السقط
جنى بالمضيرة ما قد جنى ... ولم يكفه ذاك حتى ضرط

عناية الوزير أبي محمد المهلبى

بالتوخي المؤلف

قرأت في كتاب الوزراء لهلال بن الحسن: حدث القاضي أبو علي قال: نزل الوزير أبو محمد المهلبى
السوس، فقصدته للسلام عليه، وتجديد العهد بخدمته.
فقال لي: بلغني أنك شهدت عند ابن سيار قاضي الأهواز.
قلت: نعم.
قال: ومن ابن سيار حتى تشهد عنده، وأنت ولدي، وابن أبي القاسم التوخي أستاذ ابن سيار؟ قلت: إلا أن
الشهادة عنده، مع الحداثة، جماًلاً، وكانت سني يومئذ عشرين سنة.
قال: وجب أن تجيء إلى الحضرة، لأتقدم إلى أبي السائب، قاضي القضاة، بتقليدك عملاً، تقبل أنت فيه
شهوداً. قلت: ما فات ذاك إذا أنعم سيدنا الوزير به، وسيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب.

فضحك، وقال لمن كان بين يديه: انظروا إلى ذكائه، كيف اغتمها؟ ثم قال لي: اخرج معي إلى بغداد. فقبلت يده، ودعوت له، وسار من السوس إلى بغداد. ووردت بغداد في سنة ٣٤٩ هـ، فتقدم إلى أبي السائب في أمري بما دعاه إلى أن قلدي عملاً بسقي الفرات. وكنت أأزم الوزير أبا محمد، وأحضر طعامه، ومجالس أنسه. واتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً، وأنا بحضرته، وقيل له: أبو السائب في الدار.

قال: يدخل، ثم أوماً إلي بأن أتقدم إليه، فتقدمت ومد يده ليسارني، فقبلتها. فمد يدي، وقال: ليس بيننا سر، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب، فيراك تسارني في مثل هذا المجلس الحافل، فلا يشك أنك معي في أمر من أمور الدولة، فيرهبك، ويحشمك، ويتوفر عليك، ويكرمك، فإنه لا يجيء إلا بالرهبة، وهو يبغضك بزيادة عداوة كانت لأبيك، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك. وأخذ يواصل معي في مثل هذا الفن من الحديث، إلى أن دخل أبو السائب. فلما رآه في سرار، وقف، ولم يجب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له، تقرباً إليه، وتلطفاً في استمالة قلبه، فإنه كان إذ ذاك فاسد الرأي فيه.

فقال الحاجب لأبي السائب: يجلس قاضي القضاة. وسمعه الوزير، فرفع رأسه، وقال له: اجلس يا سيدي. وعاد إلى سراري، وقال لي: هذه أشد من تلك، فامض إليه في غد، فسترى ما يعاملك به. وقطع السرار، وقال لي ظاهراً: قم فامض فيما أنفذتك فيه، وعد إلي الساعة بما تعمله. فوهم أبو السائب بذلك أننا في مهم. فقممت، ومضيت إلى بعض الحجر، وجلست إلى أن عرفت انصراف أبي السائب، ثم عدت إليه، وقد قام عن ذلك المجلس. وجئت من غد إلى أبي السائب، فكاد يحملني على رأسه، وأخذ يجاذبي بضروب من المحادثة والمباينة. وكان على ذلك دهرًا طويلاً.

التنوخي المؤلف في مجلس أنس عضد الدولة

حدث أبو علي، قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة في مجلس أنسه، بنهاوند، فغناه محمد بن كاله الطنبوري، شيخ كان يخدمه في جملة المغنين، باق إلى الآن: دد بماء المرن والعنب ... طارقات الهم والكرب قهوة لو أنها نطقت ... ذكرت قحطان في العرب وهي تكسو كف شاربها ... دستبانات من الذهب فاستحسن الشعر والصنعة، وسأل عنها، فقال له ابن كاله: هذا شعر غنت به مولانا، سلمة بنت حسينة، فاستعاده منها استحساناً له، فسرقت منه.

قال التنوخي: فقلت له: أما الشعر، فللخياز البلدي، وأظن أبا الحسن بن طرخان قال لي: إن الصنعة فيه لأبيه، والمعنى حسن، ولكنه مسروق.

فقال: من أين؟ فقلت: أما البيت الثاني، فمن قول أبي نؤاس:

عتقت حتى لو اتصلت ... بلسان صادق وفم

لاحتبت في القوم ماثلة ... ثم قصت قصة الأمم

ووصفها بالعتق والقدم، كثير في القوم، وأبلغ من هذا البيت، ولكن التشبيه في البيت الثالث، هو الحسن،

وقد سرقه مما أنشدناه أبو سهل بن زياد القطان، قال أنشدنا يعقوب بن السكيت، ولم يسم قائلاً:

أقري الهموم إذا ضاقت معتقة ... حمراء يحدث فيها الماء تفويفا

تكسو أصابع ساقها إذا مزجت ... من الشعاع الذي فيها تطاريفا

وقد كشف - أطل الله بقاء مولاي - هذا المعنى من قال:

كأن المدير لها باليمين ... إذا قام للسقي أو باليسار

تدرع ثوباً من الياسمين ... له فرد كم من الجلنار

وكان أبو علي، أحمد بن علي المدائني، المعروف بالهائم الراوية، قائماً في المجلس، فقال: قد كشف معنى

الآبيات الفائية، السري الرفاء، حيث يقول في صفة الدنان:

ومستسلمات هزنا لها ... مداري القيان لسفك الدماء

وقد نظم الصبح أجسامها ... مع الجدر نظم صفوف اللقاء

تمد إليها أكف الرجال ... فترجع مثل أكف النساء

وكشف المعنى الثاني في الآبيات بقوله:

إزدد من الراح وزد ... فالغي في الراح رشد

يديرها ذا غنة ... أغيد يشنيه الغيد

مد إليها يده ... فالتهمت إلى العضد

قال القاضي التنوخي: فقلت له: فأين أنت عما هو خير من هذا؟ وهو قول ابن المعتز:

تحسب الظبي إذا طاف بما ... قبل أن يسقيها محتضبا

قال الهائم: فقد قال بكارة الرسعني:

وبكر شربناها على الورد بكرة ... فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد

إذا قام مبيض اللباس يديرها ... توهّمته يسعى بكم مورد

وقول أبي النضر النحوي:

فلو رأي إذا اتكأت وقد ... مددت كفي للهو والطرب

لخالني لابساً مشهرة ... من لازورد يشف عن ذهب

فبدأت أذكر شيئاً، فقال الهائم: اصبر، اصبر، فهاهنا ما لا يلحقه شعر أحد كان في الدنيا قط، حسناً وجوده، وهو قول مولانا الملك من أبيات:
وشرب الكأس من صهباء صرف ... تفيض على الشروب يد النضار
فقطعت المذاكرة، وأقبلت أعظم البيت، وأفخم أمره، وأفرط في استحسانه، والاعتراف بأني لا أحفظ ما يقاربه في الحسن والجودة فأذاكر به.

أبيات من نظم عضد الدولة

قال التنوخي: كت بحضرة الملك عضد الدولة في عشية من العشايا في مجلس الأنس، وكان هذا بعد خدمتي له في المؤانسة بشهور يسيرة، فغني له من وراء ستارته الخاصة، صوت، وهو:
نحن قوم من قريش ... ما هممنا بالفرار
وبعده أبيات، بعضها ملحون، وبعضها جيد.
فاستملح اللحن، وقال: هو شعر ركيك جداً، فتعلمون لمن هو، ولمن اللحن؟.
فقال له أبو عبد الله المنجم: بلغني أن الشعر للمطيع لله، وأن اللحن له أيضاً.
فقال لي: اعمل أبياتاً تنقل هذا اللحن إليها، في وزنها وقافيتها.
فجلست ناحية، وعملت:

أيهذا القمر الطا ... لع من دار القمر
رائحاً من خيلاء ال ... حسن في أهبى إزار
والذي يجني ولا يت ... بع ذنباً باعتذار
أنا من هجرك في بعد ... على قرب المزار
أوضح العذر عذارا ... ك على خلع العذار
وعدت فأنشدته إياها في الحال، فارتضاها، وقال: لولا أنه قد هجس في نفسي أن أعمل في معناها، لأمرت بنقل اللحن إليها.

ثم أنشدنا بعد أيام لنفسه:
نحن قوم نحفظ العه ... د على بعد المزار
وغمر السحب سحباً ... من أكف كالبحار
أبدأً ننجز للضي ... ف قدوراً من نضار
وأمر جواريه بالغناء فيه.
وأما أبياتي فقد تممتها قصيدة، ومدحته بها وهي مثبتة في ديوان شعري.

عضد الدولة يحتفل بتحول سنة

شمسية من يوم مولده

قال التنوخي: وجلس عضد الدولة، وقد تحولت له سنة شمسية، من يوم مولده، على عادة له في ذلك. وكانت عادته، أنه إذا علم أنه قد بقي بينه وبين دخول السنة الجديدة ساعة أو أقل أو أكثر، أن يأكل، ويتبخر، ويخرج في حال التحويل، إلى مجلس عظيم، قد عبي فيه آلات الذهب والفضة، وليس فيه غيرهما، وفيها أنواع الفاكهة والرياحين، ويجلس في دست عظيم القيمة. ويحيى المنجم، فيقبل الأرض بين يديه، ويهتته بتحويل السنة، وقد حضر المغنون، وأخذوا مواضعهم، وجلسوا، وحضر الندماء، وأخذوا مواقعهم قياماً.

ولم يكن أحد منهم يجلس بحضرته، غيري، وغير أبي علي الفسوي، وأبي الحسين الصوفي المنجم، وأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، صاحب ديوان الرسائل، فإنه كان يجلس ليقع بين يديه.

ويستدعي لع إذا نشط، نبذ، فيجعل بين يديه، ويشرب منه، ومن قبل أن يشرب، يوقع بمال، ثم يجيء المهنون من أهل المجلس، مثل رؤساء دولته، ووجوه الكتاب، والعمال، وكبار أهل البلد من الأشراف وغيرهم، فيدخلون إليه، فيهتونه، والشعراء، فيمدحونه.

فلما جلس ذلك اليوم، على هذه الصفة، قيل له: إن الناس قد اجتمعوا للخدمة، وفيهم أبو الحسن بن أم شيبان قد حضر.

فعجب من هذا، ثم قال: أبو الحسن رجل فاضل، وليس هذا من أيامه، وما حضر إلا لفرط موالاته، وأنه ظن أنه يوم لا شرب فيه، وإن حجبناه غرضنا منه، وإن أوصلناه فلعله لا يحب ذلك لأجل الغناء والنبذ. ولكن اخرج إليه يا فلان - لبعض من كان قائماً من الندماء - واشرح له صفة المجلس، وما قلته في أمره، وأد الرسالة إليه ظاهراً، ليسمعها الناس، فإن أحب الدخول فأدخله قبلهم، وإن أراد الانصراف، فليصرف، والناس يسمعون، وقد علموا منزلته منا.

فخرج الحاجب، وأبلغ ذلك.

فدعا، وشكر، وآثر الانصراف، فانصرف، وهم جلوس يسمعون.

ثم قال لحاجب النوبة: اخرج، وأدخل الناس، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، وأخوه أبو محمد علي بن العباس، يتقدمان الناس جميعهم، لرئاستهم القديمة، حتى دخلوا، وقبلوا الأرض على الرسم في ذلك، وأعطوه الدينار والدرهم، ووقفوا.

وابتداً الشعراء، فكان أول من ينشد من الشعراء السلامي، أبو الحسن محمد بن عبد الله، إلا أنه يريد مني أن أنشده في الملاء شيئاً، فإنه كان يأمرني بذلك في الليل، فأحضر، وأبتديء، فأنشده، أو يحضر رجل علوي ينشد شعراً لنفسه، فيجعل عقيبي، ثم ينشد السلامي أبو الحسن، ثم أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي الشامي، من أهل معرة النعمان، يعرف بابن جلاب، ثم يتتابع الشعراء.

فلما انصرف الناس، وتوسط الشرب، جاءه الحاجب، فقال: قد حضر أبو بكر بن عبد الرحيم الفسوي، وكان هذا شيئاً، قد أقام بالبصرة، وشهد عند القاضي بها، وقد وفد إلى باب عضد الدولة، قبل ذلك،

وأقام، وكان خادماً له، فيما يخدم فيه التجار، يختصه بعض الاختصاص.

فأقبل، وكان بين يدي، الدست التمري، الذي يوضع بين يدي في كل يوم، وفيه من الأشربة الخللة، ما جرت عادي بشرب اليسير منه بين يدي عضد الدولة، على سبيل المنادمة والمؤانسة والمباينة، وكان قد سامني وألزمني ذلك، بعد امتناعي منه شهوراً، حتى تهددني وأخافني.

فقال لي: يا قاضي، إن هذا الرجل الذي استؤذن له، عامي، جاهل بالعلم، وإنما استخدمته رعاية لحرمان له علي، ولأنه كان يخدم أُمي في البز، ويدخل إليها يأذن ركن الدولة، لتقاه وأمانته، فلا تستر عنه، وهذا قبل أن أولد، فلما ولدت كان يحملني على كتفه، إلى أن تراجلت، ثم صار يشتري البز، ويبيعه علي، واستمرت خدمته لخدمته، وهو قاطن بالبصرة، ولعله يدخل فيرى ما بين يديك، فيظنه خمرًا، فيرجع إلى البصرة، فيخبر قاضيه وشهودها بذلك، فيقدح فيك، ومحملة يوجب أن يكشف لك عذر، ولكن أزع الدست الذي بين يديك حتى يصير بين يدي أبي عبد الله بن المنجم - وكان أبو عبد الله بن إسحاق بن المنجم، يجلس دوي بفسحة في المجلس - فإذا دخل رأى الدست بين يديه دونك، فلم يقدر على حكاية يطعن بها عليك.

فقبلت الأرض شكرًا لهذا التطول في الإنعام، وباعدت الدست إلى أبي عبد الله.

ثم قال: أدخلوه، فأدخلوه، وشاهد المجلس، وهنأ، ودعا، وأعطى ديناراً ودرهماً كبيرين، فيهما عدة مثاقيل، وانصرف.

قال أبو علي، ويقرب من هذا ما علمني به الوزير أبو محمد المهلب، وذكر الحكاية التي سبق ذكرها آنفاً مع قاضي القضاة أبي السائب، وحديث تقريره منه، ومسارته إياه في الخفل ليعظم بذلك قدره، وتكبر منزلته، في عين قاضي القضاة أبي السائب.

ولله در القائل:

لولا ملاحظة الكبير صغيره ... ما كان يعرف في الأنام كبير

لماذا سخط عضد الدولة على التوخي المؤلف

قال الرئيس أبو الحسين هلال: في شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضي أبي علي الحسن بن علي التوخي، وألزم منزله، وصرف عما كان يتقلده، وقسم ذلك على أبي بكر بن أبي موسى، وأبي بكر بن الخاملي، وأبي محمد بن عقبة، وأبي تمام بن أبي حصين، وأبي بكر الأزرق، وأبي محمد بن الجهمي.

وكان السبب في ذلك، ما حدثني به أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، قال: حدثني القاضي أبو علي، والدي، قال: كنت بمهمذان مع الملك عضد الدولة، فاتفق أن مضيت يوماً إلى أبي بكر بن شاهويه رسول القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة، وبينهم، وكان لي صديقاً، ومعني أبو علي الهائم، وجلسنا نتحدث، وقعد أبو بكر علي باب خرگاه كنا فيه، وقدم إليه ما يأكله.

فقال: اجعل أيها القاضي في نفسك المقام في هذه الشتوة في هذا البلد.

فقلت: ولم؟ فقال: إن الملك مدير في القبض على الصاحب أبي القاسم بن عباد، - وكان قد ورد إلى حضرته بمهمذان - وإذا كان كذلك، تشاغل بما تتناول معه الأيام، وانصرفت من عنده.

فقال أبو علي الهائم: قد سمعت ما كنتما فيه، وهذا أمر ينبغي أن تطويه، ولا تخرج به إلى أحد، ولا سيما إلى أبي الفضل بن أبي أحمد الشيرازي.

فقلت: أفعل.

ونزلت إلى خيمتي، وجاعني من كانت له عادة جارية بملازمتي، ومواصلي، ومؤاكلي، ومشاربتي، وفيهم أبو الفضل بن أبي أحمد الشيرازي.

فقال لي: أيها القاضي، أنت مشغول القلب، فما الذي حدث؟ فاسترسلت على أنس كان بيننا، وقلت: أما علمت أن الملك مقيم، وقد عمل على كذا في أمر صاحب، وهذا دليل على تطاول السنة.

فلم يتمالك أن انصرف، وأستدعي ركبياً من ركابتي، وقال له: أين كنتم اليوم؟ فقال: عند أبي بكر بن شاهويه.

قال: وما صنعتم؟

قال: لا أدري، إلا أن القاضي أطل عنده الجلوس، وانصرف إلى خيمته، ولم يمض إلى غيره. فكتب إلى عضد الدولة، رقعة، يقول فيها: كنت عند القاضي أبي علي التوخي، فقال كذا وكذا، وذكر أنه قد عرفه من حيث لا يشك فيه، وعرفت أنه كان عند أبي بكر بن شاهويه، وربما كان لهذا الحديث أصل، وإذا شاع الخبر به، وأظهر السر، فسد ما دبر في معناه.

فلما وقف عضد الدولة على الرقعة، وجم وجوماً شديداً، وقام من سباط كان قد عمله في ذلك اليوم على منابت الزعفران للدليل، مغيضاً.

واستدعاني، وقال لي: بلغني أنك قلت كذا وكذا، حاكياً عن أبي بكر بن شاهويه، فما الذي جرى بينكما في ذلك؟ قلت: لم أقل من ذلك شيئاً، فجمع بيني وبين أبي الفضل بن أبي أحمد، وواقفني، وأنكرته، وراجعني، وكذبتنه.

وأحضر أبو بكر بن شاهويه، وسئل عن الحكاية، فقال: ما أعرفها، ولا جرى بيني وبين القاضي قول في معناها.

وثقل على أبي بكر هذه الموافقة، وقال: ما نعامل الأضياف هذه المعاملة.

وسئل أبو علي الهائم عما سمعه، فقال: كنت خارج الخركاه، وكنت مشغولاً بالأكل، وما وقفت على ما كانا فيه.

فمد، وضرب مائتي مفرعة، وأقيم، فنفض ثيابه.

وخرج أبو عبد الله بن سعدان، وكان لي محباً، فقال لي: الملك يقول لك، ألم تكن صغيراً فكبرناك، ومتأخراً فقدمناك، وخاملاً فنبهنا عليك، ومقترراً فأحسننا إليك؟ فما بالك جحدت نعمتنا، وسعيت في الفساد على دولتنا؟ قلت: أما اصطناع الملك لي، فأنا معترف به، وأما الفساد على دولته، فما علمت أنني فعلته، ومع ذلك، فقد كنت مستوراً فهتكني، ومتصوناً ففضحني، وأدخلني من الشرب والمنادمة بما قدح في.

فقال أبو عبد الله: هذا قول لا أرى الإجابة به، لئلا يتضاعف ما نحن محتاجون إلى الاعتذار والتخلص منه،

ولكني أقول عنك كذا وكذا، بجواب لطيف، فأعرفه، حتى إذا سئلت عنه، وافقتني فيه، وتركني وانصرف. وجلست مكاني طويلاً، وعندى أنني مقبوض علي، ثم حملت نفسي على أن أقوم وأسير الأمر. وقمت، وخرجت من الخيمة، فدعا البوابون دابتي على العادة، ورجعت إلى خيمتي منكسر النفس، منكسف البال.

فصار الوقت الذي أدعى فيه للخدمة، فجاءني رسول ابن الحلاج على الرسم، وحضرت المجلس، فلم يرفع الملك إلي طرفاً، ولا لوى إلي وجهاً، ولم يزل الحال على ذلك خمسة وأربعين يوماً. ثم استدعاني، وهو في خركاه، وبين يديه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وعلى رأسه أبو الشاء شكر الخادم.

فقال: ويلك، اصدقني عما حكاه أبو الفضل بن أبي أحمد. فقلت: كذب منه، ولو ذكرت لمولانا ما يقوله، لما آقاله العثرة.

فقال: أو من حقوقي عليكم، أن تسيئوا غيبي، وتتشاغلوا بذكري. فقلت: أما حقوق النعمة فظاهرة، وأما حديثك فنحن نتفاوضه دائماً. فالتفت إلى أبي القاسم، وقال: اسمع ما يقول.

فقال له بالفارسية، وعنده أنني لا أعرفها: هؤلاء البغداديون مفتونون، ومفسدون، ومتسوقون. فقال شكر: الأمر كذلك، إلا أن التسوق على القاضي، لا منه. ثم قال لي عضد الدولة: عرفنا ما قاله أبو الفضل.

قلت: هو ما ينطلق به لساني.

فقال: هاته، وكان يجب أن تعاد الأحاديث، والأقاويل، على وجهها، من غير كناية عنها، ولا احتشام فيها. فقلت: نعم، إنك عند وفاة والدك بشيراز، أنفذت من كرمان، وأخذت جاريته زرياب، وإن الخادم المخرج في ذلك، وافى ليلة الشهر، فاجتهدت به أن يتركها تلك الليلة، لتوفي أيام الحق، فلم يفعل، ولا رعى للماضي حقاً ولا حرمة.

فقال: والله، لقد أنكرنا على الخادم إخراجه إياها على هذا الإعجال، ولو تركها يوماً، وأياماً، لجاز، وبعد فهذا ذنب الخادم، ولا عمل لنا فيه، ولا عيب علينا به، ثم ماذا؟ قلت: قال: إن مولانا يعشق كنجك المغنية، ويتهالك في أمرها، وربما نهض إلى الخلاء، فاستدعاها إلى هناك، وواقعها.

فقال: إنا لله، لعنكما الله، ولا بارك فيكما، ثم ماذا؟ فأوردت عليه أحاديث سمعتها من غير أبي الفضل، ونسبتها إليه.

وقلت: لم أعلم أنني أقوم هذا المقام، فأحفظ أقواله، وقد ذكر أيضاً هذا الأستاذ، وأومأت إلى أبي القاسم، وأبا الريان، وجماعة الخواشي. فقال: ما قال في أبي القاسم؟

قلت: قال: إنه ابتاع من ورثة ابن بقية، ناحية الزاوية من راذان بأربعة آلاف درهم، بعد أن استأذنتك استئذاناً سلك فيه سبيل السخرية والمغالطة، واستغلها في سنة واحدة، نيفاً على ثلاثين ألف درهم، وإنه أعطى فلاناً، وفلاناً، ثمانية آلاف درهم على ظاهر البضاعة والتجارة، فأعطياه نيفاً وستين ألف درهم. فمات عند سماعه ذلك، وأوردت ما أوردته عنه، على ما ذكرني به.

قلت: وقال في أبي الريان كذا وكذا، لأمر ذكرها.

وحضرت آخر النهار المجلس في ذلك اليوم على رسمي، فعاود التقریب لي، والإقبال علي. واتفق أنه سكر في بعض الأيام، وولع بكنجك ولعاً قال لي فيه: وهذا من حديث أبي الفضل، وأشار إليه. فقلق أبو الفضل، وقرب مني، وكنت أقعد، ويقوم، وقال لي: ما الذي أومأ إلي الملك فيه. قلت: لا أدري، فسله أنت عنه.

ثم رحلنا عائدين إلى بغداد، فرآني الملك في الطريق، وعلي ثياب حسنة، وتحتي بغلة بمركب وجناغ جداد، فقال لي: من أين لك هذه البغلة؟

قلت: حملي عليها صاحب أبو القاسم، بمركبها وجناغها، وأعطاني عشرين قطعة ثياباً، وسبعة آلاف درهم.

فقال: هذا قليل مع ما تستحقه عليه.

فعلمت أنه أتمني به، وبأني خرجت بهذا الحديث إليه، وما كنت حدثته به. ووردنا إلى بغداد، فحكى لي أن الطائع متجاف عن ابنته المقولة إليه، وأنه لم يقربها إلى تلك الغاية، فنقل ذلك عليه.

وقال لي: تمضي إلى الخليفة، وتقول له عن والدته الصبية: إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها، وإدناؤه إليها، ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال، ويزول معه الانقباض، فقد كنت وسيط هذه المصاهرة. فقلت: السمع والطاعة، وعدت إلى داري، لألبس ثياب دار الخلافة، فاتفق أن زلفت، ووئثت رجلي، فانفذت إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره، فلم يقبله، وأنفذ إلي يستعلم خبري. فرأى الرسول لي غلماناً روقة وفرشاً جميلاً، فعاد إليه وقال له: هو متعالل، وليس بعليل، وشاهدته على صورة كذا وكذا، والناس يغشونه ويعودونه.

فاغتاط غيظاً مجدداً، حرك ما في نفسي مني أولاً، فراسلني: بأن الزم بيتك ولا تخرج عنه، ولا تأذن لأحد في الدخول عليك فيه، إلا نفر من أصدقائي استأذنت فيهم، فاستثنى بهم.

ومضت الأيام، وأنفذ إلي أبو الريان، فطالبني بعشرة آلاف درهم، كنت استسلفتها من إقطاعي، فأديتها إليه.

واستمر علي السخط، والصرف عن الأعمال، إلى حين وفاة عضد الدولة.

أبو العباس النحوي يمدح أبا القاسم

التنوشي والد المؤلف

أنشدني أبو القاسم التوخي، عن أبيه، لأبي العباس النحوي، من قصيدة مدح بها جده أبا القاسم، أولها:
والجفون المضانيات المراض ... والثنايا يلحن بالإغماض
والعهد التي تلوح بها الص ... ف خلاف الصدود والإعراض
قد برتني الخطوب حتى نصتني ... حرصاً بالياً من الأحراض
وجدتني والدهر سلمي سليماً ... لم ينلني بنابه العضاض
بين برد من الشباب جديد ... ورداء من الصبا فضفاض
ومنها في المديح:

ومدير عرى الأمور برأي ... يقط الخزم مبرم نقاض
دق معنى وجل قدراً فجادت ... في معانيه فمية الأغراض
وأنشد له أيضاً:

لو قد وجدت إلى شفاتك منهجا ... جبت الصباح إليه أو حلك الدجى
لكن وجدت لك لا يحبك العتب في ... ك ولا العتاب ولا المديح ولا الهجا
فاذهب سدى ما فيك شر يتقى ... يوماً وليس لديك خير يرتقى
وإذا امرؤ كانت خلاتك نفسه ... هذه الخلاتك فالتجا منه النجا

المفجع الشاعر يلاطف القاضي

أبا القاسم التوخي

دخل المفجع يوماً إلى القاضي أبي القاسم علي بن محمد التوخي، فوجده يقرأ معاني الشعر على العبيسي،
فأنشد:

قد قدم العجب على الرويس ... وشارف الوهد أبا قبيس
وطاول البقل فروع الميس ... وهبت العنز لقرع التيس
وادعت الروم أبا في قيس ... واختلط الناس اختلاط الحيس
إذ قرأ القاضي حليف الكيس ... معاني الشعر على العبيسي
وألقي ذلك إلى التوخي، وانصرف.

المفجع الشاعر يعاتب القاضي

أبا القاسم التوخي

ومدح المفجع، أبا القاسم التوخي، فرأى منه جفاء، فكتب إليه:
لو أعرض الناس كلهم وأبوا ... لم ينقضوا رزقي الذي قسما

كان وداد فرال وانصرما ... وكان عهد فبان وانهدما
وقد صحننا في عصرنا أمماً ... وقد فقدنا من قبلهم أمماً
فما هلكنا هزلاً ولا ساخت الأر ... ض ولم تقطر السماء دما
في الله من كل هالك خلف ... لا يهرب الدهر من به اعتصما
حر ظننا به الجميل فما ... حقق ظناً ولا رعى الذمما
فكان ماذا؟ ما كل معتمد ... عليه يرعى الوفاء والكرما
غلطت والناس يغلطون وهل ... تعرف خلقاً من غلطة سلما
من ذا الذي أعطي السداد فلم ... يعرف بذنب ولم يزل قدما
شلت يدي لم جلست عن ثقة ... أكتب شجوي وأمتطي القلما
يا ليتني قبلها خرس فلم ... أعمل لساناً ولا فتحت فما
يا زلة ما أقلت عثرهما ... أقت على القلب والحشى ألما
من راعه بالهوان صاحبه ... فعاد فيه فنفسه ظلما

من شعر أبي النضر الكندي

حدثنا البغاء قال: كان يجتمع معنا في خدمة سيف الدولة، شيخ من أهل الأدب، والتقدم في النحو، وعلم المنطق، ممن درس على الزجاج، وأخذ عنه، يكنى بأبي النضر، وهو محمد بن إسحاق بن أسباط الكندي المصري، وحكى أنه كان حسن الشعر.

وأخبرنا: أن الأبيات التي ينسبها قوم إلى أبي المعيرة، وآخرون إلى أبي نضلة - قلت أنا: وجدتها أنا، في ديوان أبي القاسم التوحي، معزوة إلى أبي القاسم - وتروى لغيرهم أيضاً، ألها لأبي النضر، من قديم شعره، وأنشدها لنفسه، وهي:

وكأس من الشمس مخلوقة ... تضمنتها قدح من فهار
هواء ولكنه ساكن ... وماء ولكنه غير جار
فهذا النهاية في الابيضاض ... وهذا النهاية في الاحمرار
وما كان في الحكم أن يوحدنا ... لفرط التنافي وفرط النفار
ولكن تجاوز سطحاها ال ... بسيطان فاجتمعا بالجوار
كأن المدير لها باليمين ... إذا طاف للسقي أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسين ... له فرد كم من الجنار
وقد أورد التوحي هذه الحكاية، في كتاب النشوار، وحكى: أن أبا النضر، كان عالماً بالهندسة، قيماً بعلوم الأوائل.

ولأبي النضر أيضاً:

هات اسقني بالكبير وانتخب ... نافية للهموم والكرب

فلو تراني إذا انتشيت وقد ... حركت كفي بها من الطرب
لخلتني لابساً مشهرة ... من لازورد يشف عن ذهب
وقال أبو علي التنوخي: أنشدني أبو عمر بن حفص الخلال، لأبي النضر المصري النحوي من قصيدة، يذكر
فيها رجلاً مدحه، وقال: وكان متسعاً في الشعر الجيد المستحسن:
ورأيت أحمدا وسيدنا ... متصدراً للورد والصدور
خلت النجوم خلقن دائرة ... موصولة الطرفين بالقمر

أبو مسلم الأصبهاني

يكتب محمد بن زيد الداعي

قال أبو علي التنوخي، وقد ذكر محمد بن زيد الداعي، فقال: وهو الذي كان أبو مسلم محمد بن بحر
الأصبهاني، الكاتب المعتزلي الشهير، العالم بالتفسير، وبغيره من صنوف العلم – وقد صار عامل أصفهان،
وعامل فارس، للمقتدر – يكتب له، ويتولى أمره.

الصلت بن مالك الشاري يدعو الله

أن يوقف المطر

حدث أبو علي المحسن، قال: حدثني أبو القاسم الحسن بن علي بن إبراهيم بن خلاد الشاهد العكبري، أمام
الجامع فيها، قال: حدثني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، قال: كنت بعمان مع الصلت بن مالك
الشاري، وكانت الشراة تدعوه: أمير المؤمنين.
وكانت السنة كثيرة الأمطار، ودامت على الناس، فكادت المنازل أن تنهدم، فاجتمع الناس، وصاروا إلى
الصلت، وسألوه أن يدعو لهم.
فأجل بهم أن يركب من الغد إلى الصحراء، ويدعو.
فقال لي بكر لتخرج معي في غد، فبت مفكراً، كيف يدعو.

فلما أصبحت، خرجت معه، فصلى بهم، وخطب، ودعا، فقال: اللهم إنك أنعمت فأوفيت، وسقيت
فأرويت، فعلى القيعان ومنابت الشجر، حيث النفع لا الضرر.
فاستحسن ذلك منه.

من شعر ابن جمهور العمي

قال أبو علي التنوخي: كان محمد بن الحسن بن جمهور العمي الكاتب من شيوخ أهل الأدب بالبصرة، وكثير الملازمة لأبي، وحرر لي خطي، لما قويت على الكتابة، لأنه كان جيد الخط، حسن الترسل، كثير المصنفات لكتب الأدب، فكثرت ملازمتي له، وكان يمدح أبي.

فأنشدني لنفسه، وهو من مشهور شعره:

إذا تمنع صبري ... وضاق بالهجر صدري
ناديت والليل داج ... وقد خلوت بفكري
يا رب هب لي منه ... وصال يوم بعمرى
وأنشدني أيضاً لنفسه:

كثرت عندي أياديك ... فجعل الوصف عنها
فأحاطت بجميع الف ... هم حتى لم أبنها
فمتى ازددتك منها ... كنت كالناقض منها

إنه الله تبارك وتعالى

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني القاضي محمد بن صالح الهاشمي قال: حدثني القاضي أبو عمر، يعني محمد بن يوسف، وأبو عبد الله المحاملي القاضي وأبو الحسن علي بن العباس النوبختي، قالوا: حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال: كنت أكتب لموسى بن بغا، وكنا بالري، وكان قاضيهما إذ ذاك أحمد بن بديل الكوفي.

فاحتاج موسى أن يجمع ضيعة كانت هناك، كانت له فيها سهام، وأن يعمرها، وكان فيها سهم لیتيم. فصرت إلى أحمد بن بديل، أو قال: استحضرت أحمد بن بديل، وخاطبته في أن يبيع علينا حصة الیتيم، ويأخذ الثمن.

فامتنع، وقال: ما بالیتيم حاجة للبيع، ولا آمن أن أبيع ماله وهو مستغن عنه، فيحدث على المال حادثة، فأكون قد ضيعته عليه.

فقلت: أنا أعطيك في ثمن حصته ضعف قيمتها.

فقال: ما هذا لي بعذر في البيع، والصورة في المال إذا كثر، مثلها إذا قل.

فأدبرته بكل لون وهو يمتنع، فأضجرتني، فقلت له: أيها القاضي، إلا تفعل، فإنه موسى بن بغا.

فقال لي: أعزك الله، إنه الله تبارك وتعالى.

قال: فاستحييت من الله أن أعاوده بعد ذلك، وفارقت.

ودخلت على موسى، فقال: ما عملت في أمر الضيعة؟ فقصصت عليه الحديث.

فلما سمع " إنه الله " بكى، وما زال يكررها.

ثم قال: لا تعرض لهذه الضيعة، وانظر في أمر هذا الشيخ الصالح، فإن كانت له حاجة فاقضها.

قال: فأحضرتة، وقلت له: إن الأمير قد أعفاك من أمر الضيعة، وذلك أني شرحت له ما جرى بيننا، وهو

يعرض عليك قضاء حوائجك.

قال: فدعاه، وقال: هذا الفعل أحفظ لنعمته، وما لي حاجة إلا إدرار رزقي، فقد تأخر منذ شهور، وقد أضربني. فأطلقت له جارية.

بشرك الله بالنار

حدثنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا القاضي أبو القاسم عمر بن محمد بن إبراهيم البجلي - من لفظه وحفظه - قال: حدثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، قال: كنت بسر من رأى، وكان عبد الله بن أيوب المخرمي يقرب إلي، فخرج توقيع الخليفة بتقليده القضاء، فأنحدرت في الحال من سر من رأى إلى بغداد، حتى دقت على عبد الله بن أيوب، بابه، فخرج إلي.

فقلت: لك البشرى.

فقال: بشرك الله بخير، وما هي؟ قال: قلت: خرج توقيع السلطان بتقليدك القضاء، لأحد البلدين، إما سر من رأى، أو بغداد - أبو القاسم البجلي الشك منه - . قال: فأطبق الباب، وقال: بشرك الله بالنار. وجاء أصحاب السلطان إليه، فلم يظهر لهم، فانصرفوا.

أبو بكر الآدمي القاريء

يقراً لابن أبي الساج

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو السري عمر بن محمد القاريء، قال: حدثني أبو بكر الآدمي، قال: لما أدخل مؤنس، أبا القاسم بن أبي الساج أسيراً، خرجت إلى تلقيه على فراسخ، ودخلت بغداد معه. فقال لي لما قربنا: إذا كان غداً، فإني سأركب مع ابن أبي الساج وأشهره، فاركب بين يديه، واقرأ. فقلت: السمع والطاعة.

فلما كان من الغد شهر ابن أبي الساج ببرنس، فبدأت، فقرأت، " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " وأتبعها بكل ما في القرآن من هذا الجنس.

قال: وحانت مني النفاتة، فوجدت ابن أبي الساج يبكي.

ومضى ذلك اليوم.

فلما كان بعد أيام، رضي عنه السلطان، بشفاعة مؤنس، فأطلقه إلى داره.

فأنا كنت يوماً بحضرة مؤنس أقرأ، إذ استدعاني وقال لي: قد طلبك اليوم ابن أبي الساج، فامض إليه.

فقلت: أيها الأستاذ، الله، الله، في، لعله وجد في نفسه من قراءتي ذلك اليوم.
فضحك، وقال: امض إليه.

فمضيت إليه، فرفعني، وأجلسني، وقال: أحب أن تقرأ تلك الآيات التي قرأتها بين يدي يوم كذا.
فقلت: أيها الأمير، تلك حالة اقتضت ذلك، وليس مثلك بمؤاخذ مثلي عليها، وقد كشفها الله الآن، ولكن
أقرأ لك غيرها.

فقال: لا، إلا تلك، فإنه تداخلني لها خشوع وخوف، أحب أن أكسر به نفسي، فردد سماعها علي.
قال: فاستفتحت، فقرأتها، فما زال يبكي وينتحب، إلى أن قطعت القراءة.

ثم قال: تقدم إلي.

فخفته والله أن يطش بي، ثم قلت في نفسي: هذا محال، فتقدمت، فأخرج من تحت مصلاه دنانير كثيرة،
وقال: افتح فاك.

ففتحته بكل ما استطعته، فما زال يملأه حتى لم يبق في فمي موضع.

ثم قال للغلام: هات، فجاء بكيس في ألفا درهم، فجعلها في كمي.

ثم خرجت، فقلمت إلي بغلة فارهة مسرجة، فحملت عليها، وأصحبني ثياباً، وقال: إذا شئت فعد إلينا، ولا
تقطع عنا، ما دمنا مقيمين.

فكنت أجيئه في كل أسبوع أقرأ في داره، فيعطيني في كل شهر مائة دينار، إلى أن خرج من مدينة السلام.

إبراهيم بن شبابة يشكو فلا يجاب

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البراز، عن علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، قال: أخبرني أبو الفرج الأصبهاني،
قال: حدثني حبيب بن نصر المهلب، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الله بن أبي نصر
المروزي، قال: حدثني محمد بن عبد الله الطلحي، قال: حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ، قال: قدم علي
نيسابور إبراهيم بن شبابه الشاعر البصري، فأنزلته علي، فجاء ليلة من الليالي، وهو مكروب قد هاج،
فجعل يصيح بي: يا أبا أيوب.

فخشيت أن يكون قد غشيت به بلية، فقلت: ما تشاء؟ فقال: أعباني الشادن الريب.

فقلت: بماذا؟ فقال: إليه أشكو فلا يجيب.

فقلت: داره وداوه.

فقال:

من أين أبغي دواء دائي ... وإنما دائي الطبيب

فقلت: إذن يفرج الله عز وجل.

فقال:

يا رب فرج إذن وعجل ... فإنك السامع الحبيب

قال: ثم انصرف.

عضد الدولة وإيمانه بالمنامات

حدث القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي، قال: حدثني عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ببغداد، وذلك في سنة ٣٧٠ قال: حدثني أُمِّي رحمها الله: أنها ولدت للأمير ركن الدولة، ولدًا قُبلي، كناه أبا دلف، وعاش قليلاً ومضى لسيّله.

قالت: فحزنت عليه حزناً شديداً، أسفاً على فقده، وإشفاقاً من أن ينقطع ما بيني وبين الأمير بعده. فسلاني مولاي، وسكنني، وأقبل علي، وقربني، ومضت الأيام، وتطاول العهد، وسلوت. ثم حملت بك، بأصيهان، فنخفت أن أجيء ببنت، فلا أرى مولاي، ولا يراني، لما أعرف من كراهيته للبنات، وضيق صدره بهن، وطول إعراضه عنهن، ولم أزل على جملة القلق والجزع، إلى أن دخلت في شهري، وقرب ما أترقبه من أمري، وأقبلت على البكاء والدعاء، ومداومة الصلاة والأدعية إلى الله، في أن يجعله ولدًا، ذكراً، سوياً، محظوظاً.

ثم حضرت أيامي، واتفق أن غلبني النوم، فممت في مخادعي، ورأيت في منامي، رجلاً شيخاً، نظيف البزة، ربعة، كث اللحية، أعين، عريض الأكتاف، وقد دخل علي، وعندي أنه مولاي ركن الدولة، فلما تبينت صورته ارتعت منه، وقلت: يا جوارِي، من هذا الهاجم علينا؟ فتساعين إليه، فزبرهن، وقال: أنا علي بن أبي طالب.

فنهضت إليه، وقبّلت الأرض بين يديه، فقال: لا. لا. وقلت: قد ترى يا مولاي ما أنا فيه، فادع الله لي بأن يكشفه، ويهب لي ذكراً سوياً محظوظاً.

فقال: يا فلانة، وسماي باسمي - وكذا كنى الملك عضد الدولة عن الاسم - قد فرغ الله مما ذكرت، وستلدين ذكراً، سوياً، نجيباً، ذكياً، عاقلاً، فاضلاً، جليل القدر، سائر الذكر، عظيم الصولة، شديد السطوة، يملك بلاد فارس وكرمان، والبحر وعمان، والعراق والجزيرة، إلى حلب، ويسوس الناس كافة، ويقودهم إلى طاعته بالرغبة والرغبة، ويجمع الأعمال الكثيرة، ويقهر الأعداء، ويقول بجميع ما أنا فيه - يقول الملك ذاك - ويعيش كذا وكذا سنة، لعمر طويل، أرجو بلوغه - ولم يبين الملك قدره - ويملك ولده من بعده، فيكون حالهم كذا وكذا لشيء طويل، هذه حكاية لفظه.

قال الملك عضد الدولة: وكلما ذكرت هذا المنام، وتأمّلت أمري، وجدته موافقاً له حرفاً بحرف. ومضت على ذلك السنون، ودعاني عمي عماد الدولة إلى فارس، واستخلفني عليها، وصرت رجلاً، وماتت أُمِّي.

واعتللت علة صعبة، أيست فيها من نفسي، وأيس الطيب مني، وكانت سنتي المتحولة فيها، سنة رديئة الدلائل، موحشة الشواهد، وبلغت إلى حد أمرت فيه، بأن يحجب الناس عني، حتى الطيب، لضجري بهم، وتبرمي بأمورهم، وما أحتاج إلى شرحه لهم، ولا يصل إلي إلا حاجب النوبة. وبينما أنا على ذلك، وقد مضت علي فيه ثلاثة أيام، أو أربعة، ولا شغل لي إلا البكاء على نفسي، والحسرة على مفارقة الحياة، إذ دخل حاجب النوبة، فقال: أبو الحسين الصوفي في الدار، منذ الغداة، يسأل الوصول،

وقد اجتهدت به في الانصراف، فأبى إلا القعود، وترك القبول، وهو يقول: لا بد لي من لقاء مولانا، فإن عندي بشارة، ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها، وسماعه إياها، فلم أحب أن أجده في المنع والصرف، إلا بعد المطالعة وخروج الأمر.

فقلت له - على مضض غالب، وبصوت خافت - قل له: كأني بك، وأنت تقول قد بلغ الكوكب الفلاني، إلى الموضع الفلاني، وتهذي علي في هذا المعنى، هذياناً لا يتسع له صدري، ولا يحتمله قلبي وجسمي، وما أقدر على سماع ما عندك، فانصرف.

فخرج الحاجب، وعاد متعجباً، وقال: إما أن يكون أبو الحسين قد اختل، وإما أن يكون عنده أمر عظيم، فإني أعدت عليه ما قاله مولانا، فقال: ارجع، وقل له: والله، لو أمرت بضرب رقبي، لما انصرفت أو أراك، ومتى أوردت عليك في معنى النجوم حرفاً، فحكمتك ماض في، وإذا سمعت ما أحدثك به، عوفيت في الوقت، وزال ما تجده.

فعجبت من هذا القول، عجباً شديداً، مع علمي بعقل أبي الحسين، وشدة تحقيقه، وقلة تحريفه، وتطلعت نفسي إلى ما عنده، فقلت: هاته.

فلما دخل، قبل الأرض، وبكى، وقال: أنت والله يا مولاي في عافية، ولا خوف عليك، اليوم تبل، وتستقل، ومعى دلالة على ذلك.

قلت: وما هي؟ ولم أكن حدثته من قبل بحديث المنام الذي رآته أمي، ولا سمعه أحد مني.

فقال: رأيت البارحة في منامي، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والناس يهرعون إليه، ويجمعون عليه، ويفاوضونه أمورهم، ويسألونه حوائجهم، وكأني تقدمت إليه، وقلت له: يا أمير المؤمنين، أنا رجل في هذا البلد غريب، تركت نعمتي وتجارتي بالري، وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أنا معه، وقد بلغ في علته، إلى حد آيس فيه من عافيته، وأخاف أن أهلك بهلاكه، فادع الله له بالسلامة، قال: تعني فناخسرو بن الحسن بن بويه؟ فقلت: نعم، يا أمير المؤمنين.

فقال: امض إليه غداً، وقل له: أنسيت ما أخبرتك به أملك عني في المنام الذي رآته وهي حامل بك؟ ألم أخبرها مدة عمرك، وأنت ستعتل إذا بلغت كذا وكذا سنة، علة يأس فيها منك أهلك، وطبك، ثم تبرأ منها؟ وفي غد يتديء برؤك، ويتزايد إلى أن تركب، وتعود إلى عاداتك كلها، في كذا وكذا يوماً، ولا قاطع على أجلك إلى الوقت الذي أخبرتك به أملك عني.

قال الملك عضد الدولة: وقد كنت أنسيت أن أمي ذكرت ذلك في المنام، وأني إذا بلغت هذه السنة من عمري، اعتللت هذه العلة التي ذكرها، فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله.

فحين سمعت ما سمعت، حدثت لي في الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت: أقعدوني.

فجاء الغلمان وأجلسوني.

فلما استقلت على الفراش، وقلت لأبي الحسين: اجلس، وأعد الحديث.

فجلس، وأعاد، وتولدت بي شهوة الطعام، واستدعيت الطب، فأشاروا بتناول غداء عمل، في الوقت، وأكلته، ولم يتصرم الوقت، حتى أحسست بالصلاح الكثير، وتدرجت العافية، فركبت، وعادت عادتي، في اليوم الذي قاله أبو الحسين. وكان الملك يشرح هذا الشرح، وأبو الحسين حاضر، يقول: كذا والله قلت لمولانا، وأعيذه بالله، فما أحسن حفظه وذكره.

ثم قال لي: بقي في نفسي من هذا المنام شيء. قلت: يبلغ الله مولانا آماله، ويزيل عنه كل ما يهوله، ويصرم عنه كل ما يخشاه. ولم أتجاوز الدعاء، لعلمي بأن سؤاله عن ذلك، سوء أدب، فعلم ما في نفسي، وقال: وقوفه على أنني أملك حلب، ولو كان عنده أنني أتجاوزها، لقال، حتى أنه لما ورد الخبر بإقامة ابن شيخ الدعوة لي بها، ذكرت المنام فتغصص علي أمرها، إشفاقاً من أن تكون آخر حدود مملكتي في ذلك الصقع. فدعوت له، وانقطع المجلس.

أبو العلاء الكاتب ووفاءه للمهلي

وروي أيضاً عن أبي علي التوخي، والحكاية التي وردت في إرشاد الأريب، وقال أيضاً: وكان المهلي، قد اصطنع أبا العلاء، عيسى بن الحسين بن أبرونا النصراني الكاتب، واستكتبه على خاصته، وأطلعه على أموال وذخائر دفنها. فأخذ أبو العلاء في جملة المأخوذين، وعوقب أشد عقوبة، وضرب أبرح ضرب، وهو لا يقر بشيء، ولا يعترف بذخيرة.

فعدل أبو الفضل، وهو العباس بن الحسين الشيرازي، وأبو الفرج وهو محمد بن العباس بن الحسين بن فساجس إلى تحني وهي أم أبي الغنائم الفضل بن الوزير المهلي، وأمر بضرب ابنها أبي الغنائم بين يديها. فبكى من عرفها من الذي يتم عليها، وقالت لهم: إن مولاي المهلي فعل هذا بي، حين استدعى آلات العقوبة لروجة أبي علي الطبري، لما قبض عليها بعد وفاته.

ثم قالت: أحضروني أبا العلاء بن أبرونا، فأحضره، وحمل في سبينة بين أربع فراشين، فطرح بين يديها. فجعلت تسأله عن شيء شيء، وهو يخبرها بمكانه، حتى كان في جملة ذلك ثلاثون ألف دينار. فقال له من حضر: ويلك، ألسنت من الآدميين، تقتل هذا القتل، ويفضي حالك إلى التلف، وأنت لا تعترف.

فقال: يا سبحان الله، أكون ابن أبرونا الطبيب الفصاد على الطريق، بدائق ونصف دانق، يأخذني الوزير أبو محمد، ويصطنعني، ويجعلني كاتب سره، وأعرف بخدمته، وأطلع الناس على ذخيرة ذخرها لولده؟ والله ما كنت لأفعل هذا ولو هلك.

فاستحسن فعله، وكان ذلك سبباً لإطلاقه، وتقدم بذلك عند أبي الفضل، وأبي الفرج، وابن بقية. وتوفي سنة ٣٦٩ في أيام عضد الدولة.

المعتضد والملاح القاتل

أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المحسن، عن أبيه، عن جده، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي، قال: حدث أحد خدم المعتضد المختصين بخدمته، قال: كنا حول سرير المعتضد، ذات يوم نصف النهار، وقد نام بعد أن أكل، وكان رسمنا أن نكون عند سرير، أوقات منامه، من ليل أو نهار. فانتبه منزعجاً، وقال: يا خدام، يا خدام.

فأسرعنا الجواب.

فقال: ويلكم، أعينوني، والحقوا الشط، فأول من ترونه منحدرًا في سفينة فارغة، فاقبضوا عليه، وجئوني به، واكلوا بسفينته.

فأسرعنا، فوجدنا ملاحاً في سميرية، فأصعدناه، فحين رآه الملاح، كاد يتلف.

فصاح عليه صيحة واحدة عظيمة، كادت روحه تخرج معها، قال: أصدقني يا ملعون، عن قصتك مع المرأة التي قتلتها وسلبتها اليوم، وإلا ضربت عنقك.

قال: فتلعثم، وقال: نعم، كنت اليوم سحراً في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلاً، عليها ثياب فاخرة، وحلي كثيرة، فطمعت فيها، واحتلت عليها، حتى سددت فاهها، وغرقتها، وأخذت جميع ما كان عليها، ولم أجترئ على حمل سلبها إلى بيتي، لئلا يفشو الخبر، فعملت على الهرب، وانحدرت الساعة، لأمضي إلى واسط، فوقعني هؤلاء الخدم، وحملوني.

فقال: وأين الحلي والسلب؟ فقال: في صدر السفينة تحت البواري.

فقال المعتضد للخدم: جيئوني به، فمضوا، وأحضروه.

وقال: خذوا الملاح فغرقوه، ففعلوا.

ثم أمر أن ينادى في بغداد كلها، على امرأة خرجت إلى المشرعة الفلانية سحراً، وعليها ثياب وحلي، يحضر من يعرفها، ويعطي صفة ما كان عليها ويأخذه، فقد تلفت المرأة.

فحضر في اليوم الثاني، أو الثالث، أهل المرأة، فأعطوه صفة ما كان عليها، فسلم إليهم.

فقلنا: يا مولاي أوحى إليك؟

فقال: رأيت في منامي كأن شيخاً أبيض الرأس واللحية والثياب، وهو ينادي: يا أحمد خذ أول ملاح ينحدر الساعة، فاقبض عليه، وقرره خبر المرأة التي قتلها اليوم، وسلبها، وأقم عليه الحد. فكان ما شهدتم.

المدائي يثني على إسحاق الموصللي

وأخبرنا التوخي، قال: أخبرنا عمر بن محمد بن سيف - إجازة - وحدثنا أحمد بن عبد الله الدوري الوراق، عنه، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان أبي،

ويحيى بن معين، ومصعب الزبيري يجلسون بالعشيات على باب مصعب، قال: فمر عشية من العشيات، رجل على حمار فاره، وبزة حسنة، فسلم، وخص بمسأله يحيى بن معين. فقال له يحيى: إلى أين يا أبا الحسن؟ فقال: إلى هذا الكريم الذي يملاً كمي من أعلاه إلى أسفله دنائير ودراهم.

فقال: ومن هو يا أبا الحسن؟ فقال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال: فلما ولى، قال يحيى بن معين: ثقة، ثقة، ثقة. قال: فسألت أبي، فقلت: من هذا الرجل؟ قال: المدائني.

لو رضىته لما بعته

أخبرنا التوخي، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني، قال: حدثنا ابن دريد، قال: أخبرنا العكلي، قال: حدثني شيخ من أهل البصرة، قال: رأيت محمد بن واسع الأزدي، بسوق مرو، يعرض حمراً. فقال له رجل: يا عبد الله، أترضاه لي؟ قال: لو رضىته لما بعته.

أبو سعيد القرمطي يبعث برسالة إلى المعتضد

أنبأنا محمد بن أبي ظاهر، قال: أنبأنا علي بن الحسن، عن أبيه، قال: حدثنا القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، قال: سمعت العباس بن عمرو الغنوي يقول: لما أسرني أبو سعيد القرمطي، وأسر العسكر الذي كان بعته معي المعتضد إلى قتاله، وحصلت في يده، ينست من الحياة. فأنا يوماً على هذه الصورة، إذ جاءني رسوله، فأخذ قيودي، وغير ثيابي، وأدخلني إليه، فسلمت عليه، وجلست.

فقال: أتدري لم استدعيتك؟ قلت: لا.

قال: أنت رجل عربي، ومن الحال إذا استودعتك أمانة أن تخفها. قلت: هو كذلك.

فقال: إني فكرت، فإذا لا طائل في قتلك، وفي نفسي رسالة إلى المعتضد، لا يجوز أن يؤديها غيرك، فرأيت إطلاقك، وتحميلك إياها، وإن حلفت أنك إذا سيرتك إليه، تؤديها. فحلفت له.

فقال: قل للمعتضد، يا هذا، لم تحرق هيبتك، وتقتل رجالك، وتطمع أعداءك في نفسك، وتبعث في طلي الجيوش، وأنا رجل مقيم في فلاة، لا زرع فيها ولا ضرع، وقد رضيت لنفسي بخشونة العيش، والعز بأطراف هذه الرماح، وما اغتصبتك بلداً، ولا أزلت سلطانك عن عملك، ومع هذا، فوالله، لو أنفذت إلي جيشك كله، ما جاز أن يظفري، لأني رجل نشأت في العسف فاعتدته، أنا ورجالي، لا مشقة علينا فيه، وأنت تنفذ جيوشك من الخيوش والثلج والريحان، فيجيئون من المسافة البعيدة الشاقة، وقد قتلهم السفر

قبل قتالنا، وإنما غرضهم أن يبلغوا غرضاً من موفقتنا ساعة، ثم يهربون، وإن هم هزموني، بعدت عشرين فرسخاً، أو ثلاثين، وجلت في الصحراء شهراً أو شهرين، ثم كبستهم على غرة، فقتلتهم، وإن كانوا محترسين، فما يمكنهم أن يطوفوا خلفي في الصحاري، ولا تحملهم الإقامة في أماكنهم، فأنت تنفق الأموال، وتكلف الرجال الأخطار، وأنا سليم من ذلك، وهيتك تنخرق في الأطراف، كلما جرى عليك هذا، فإن اخترت بعد هذا محاربتي فاستخر الله، وإن أمسكت، فذاك إليك.

ثم سيري، وأنفذ معي عدة إلى الكوفة، وسرت منها إلى الحضرة. ودخلت على المعتضد، فأخبرته بما قال، في خلوة، فرأيت أنه يتمتع في جلده غيظاً، حتى ظننت أنه سيسير إليه بنفسه، وخرجت.

فما رأيته بعد ذلك ذكره.

الوزير عبيد الله بن خاقان يقلد

علي بن محمد قضاء القضاة

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما مات إسماعيل بن إسحاق، مكثت بغداد بغير قاض، ثلاثة أشهر، وستة عشر يوماً، فاستقضي في يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين، علي بن محمد بن عبد الملك، على قضاء المدينة، مضافاً إلى ما كان يتقلده من القضاء بسر من رأى وأعمالها.

قال: وقبل هذا كان أخوه الحسن علي قضاء القضاة بسر من رأى في أيام المعتز والمهتدي.

فلما توفي الحسن، وجه المعتمد بعبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى علي بن محمد، فعزاه بأخيه، وهناه بالقضاء، فامتنع من قبول ذلك.

فلم يبرح الوزير عبيد الله من عنده حتى قبل، وتقلد قضاء القضاة، ومكث يدعى بذلك، إلى أن توفي.

وهو رجل صالح، ضيق الستر، عظيم الخطر، ثقة، أمين، على طريق الشيوخ المتقدمين، حمل الناس عنه حديثاً كثيراً.

ابن أبي زيد يثني على بن عيسى الربيعي

سمعت التنوخي يقول: كان أبو علي، يقول: سمعت ابن أبي زيد - وكان ابن أخت أبي علي الفارسي النحوي - يقول: قولوا لعلي البغدادي: لو سرت من الشرق إلى الغرب، لم تجد أنحي منك.

أبو خازم القاضي وشدته في الحكم

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: أخبرني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصبي، قال: قال لي ابن

حبيب الذراع: كنا ونحن أحداث مع أبي خازم، وكنا نقعده قاضياً، ونتقدم إليه في الخصومات.
قال: فما مضت الأيام والليالي، حتى صار قاضياً.

قال أبو الحسين: وبلغ من شدته في الحكم، أن المعتضد، وجه إليه بطريف المخلدي، فقال له: إن لي على الضبيعي - بيع كان للمعتضد ولغيره - مالا، وقد بلغني أن غرماءه، أثبتوا عندك، وقد قسّطت لهم في ماله، فاجعلنا كأحدهم.

فقال له أبو خازم: قل له: أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ذاكر لما قال لي وقت ما قلديني، أنه قد أخرج الأمر من عنقه، وجعله في عنقي، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لدع إلا ببينة.
فرجع إليه طريف، فأخبره.

فقال: قل له فلان وفلان يشهدان، يعني رجلين جليلين كانا في ذلك الوقت.
فقال: يشهدان عندي، وأسأل عنهما، فإن زكياً، قبلت شهادتهما، وإلا أمضيت ما ثبت عندي.
فامتنع أولئك من الشهادة، فزعاً.
ولم يدفع إلى المعتضد شيئاً.

أبو خازم القاضي أدب شخصاً

فمات فوداه من بيت المال

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا التوخي قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو الفرج طاهر بن محمد الصلحي، قال: حدثني القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، قال: بلغني أن أبا خازم القاضي جلس في الشرقية، وهو قاضيهما، للحكم، فارتفع إليه خصمان، فاجتراً أحدهما بحضرته إلى ما يوجب التأديب، فأدب، فمات في الحال.

فكتب إلى المعتضد من المجلس: أعلم أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، أن خصمين، حضرائي، فاجتراً أحدهما إلى ما وجب عليه معه الأدب عندي، فأمرت بتأديبه، فمات.

فإذ كان المراد بتأديبه، مصلحة المسلمين، فمات في الأدب، فديته واجبة في بيت مال المسلمين.

فإن رأى أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، أن يأمر بحمل الدية، لأحملها إلى ورثته، فعل.

فعاد الجواب إليه: بأنا قد أمرنا بحمل الدية إليك، وحمل إليه عشرة آلاف درهم.

فأحضر ورثة المتوفى، ودفعها إليهم.

القاضي أبو الحسن بن أبي الشوارب

يتقلب بين التولية والعزل

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استخلف المستكفي بالله في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، واستقضى على مدينة المنصور والشرقية أبا الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب. وذكر طلحة: أنه كان رجلاً واسع الأخلاق، كريماً، جواداً، طلبة للحديث، قال: ثم قبض عليه في صفر سنة أربع وثلاثين. فلما كان في رجب في هذه السنة، قبض على المستكفي بالله واستخلف المطيع، فقلد أبا الحسن الشرقية والحرمين واليمن ومصر وسر من رأى وقطعة من أعمال السواد وبعض أعمال الشام وسقي الفرات وواسط. ثم صرف عن جميع ذلك في رجب سنة خمس وثلاثين.

قاضي متهم بالاسترشاء

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا إبراهيم بن مخلد، قال: أخبرنا إسماعيل، عن علي بن أبي علي، قال: عزل محمد بن الحسن بن أبي الشوارب عن جميع ما كان يتقلده من أمر القضاء، وأمر المستكفي بالقبض عليه، ففعل ذلك يوم الثلاثاء لخمس خلون من صفر سنة أربع وثلاثين، وكان قبيح الذكر فيما يتولاه من الأعمال، منسوباً إلى الاسترشاء في الأحكام، والعمل فيها بما لا يجوز، وقد شاع ذلك عنه، وكثر الحديث به.

الناشيء يشغف برقية

حدثنا علي بن أبي علي - لفظاً - قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثني الصولي، قال: حدثني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: اجتمع عندي أحمد بن أبي طاهر، والناشيء، ومحمد بن عروس، فدعوتهم مغنية، فجاءت ومعها رقية لم ير الناس أحسن منها قط. فلما شربوا، أخذ الناشيء رقعة، وكتب فيها: فديتك لو أنهم أنصفو ... ك لردوا النواظر عن ناظريك تردين أعيننا عن سوا ... ك وهل تنظر العين إلا إليك وهم جعلوك رقيباً علي ... نا فمن ذا يكون رقيباً عليك ألم يقرأوا ويحهم ما يرو ... ن من وحي حسنك في وجنتيك قال: فشغفنا بالأبيات.

فقال ابن أبي طاهر: أحسنت - والله - وأجملت، قد والله حسدتك على هذه الأبيات، والله، لا جلست. وقام، وخرج.

المقتدر والقرية الفضية

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، عن أبيه قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون، قال: حدثني أبي، قال: كان ابن عمي أبو القاسم يوسف بن يحيى بن علي، حسن الإقبال، محظوظاً.

وكانت له داية تسمى نظم، فخدمت السيدة أم المقتدر، واختصت بها، حتى صارت إحدى قهارمتها، التي تجري على يديها الصغير والكبير، رفعت أبا القاسم، وانتهت به إلى أسنى الأرزاق، وأوسع الأحوال، وأخرجت له الصلات، حتى تأثلت حاله بذلك، وصار صاحب عشرات ألوف دنانير، وخلطته بخدمة السيدة.

فعزم أبو القاسم على تطهير ابنه، فأنفق في وليمته ما لم يسمع بمثله، حتى إنه أفرد علة دور للحلواء، وعلة دور للفاكهة، وأنفق ألوف دنانير.

وبلغ نظاماً خبره، فجاءته من عند السيدة بأموال عظيمة، معونة له على التطهير، وحملت له من عندها، من الفرش والآنية، والثياب، والمخروط بألوف.

فلما مضت أيام، قالت لها: يا نظم، أيش خبر طهر ابن يوسف؟ قالت: يا ستي، قد بقيت له أشياء يريدوها. فقالت: خذي ما تريدين، واحمليه إليه.

فجاءت نظم إليه، فقالت: إن كان شيء قد بقي في نفسك، فعرفني.

فقال لها: الطهر غداً، وما بقي في نفسي شيء إلا وقد بلغته بك، وقد بقي في نفسي شيء، لست أجسر على مسألته.

فقالت: قل ما في نفسك، فإن أمكن، وإلا ليس يضرك.

فقال: أشتهي، إغارة القرية الفضية، التي عملت لأمر المؤمنين، ليراها الناس في داري، ويشاهدون ما لم يشاهدوا مثله، فيعلمون حالي من الاختصاص والعناية.

فوجئت، وقالت: هذا شيء عمله الخليفة لنفسه، ومقداره عظيم، وفي هذه القرية، مئین ألف دراهم، ولا أحسب جاهي يبلغ إليها، وكيف يستعار من خليفة شيء، ومتى سمع بخليفة يعير، ولكن أنا أسأل السيدة في هذا، فإن كان مما يجوز، وإلا عرفتك، ومضت.

فلما كان الليل، جاءني، وقالت: إن إقبالك قد بلغ إلى أن تحمد الله عليه.

فقلت: ما الخبر؟

فقالت: كل ما تحب، قد جنتك بالقرية هبة لا عارية، وجنتك معها بصلة ابتدأك بها أمير المؤمنين من غير مسألة من أحد.

فقلت: ما الخبر؟ قالت: مضيت، وأنا منكسرة القلب، آيسة من أن يتم هذا، فدخلت على هيأتي تلك على السيدة.

فقالت: من أين؟

قلت: من عند عبدك يوسف، وهو على أن يطهر ابنه غداً.

قالت: أراك منكسرة.

قلت: ببقائك، ما أنا منكسرة.

قالت: ففي وجهك حديث، فقلت: خير.

قالت: بحياقي، ما ذاك؟ قلت: قد شكر ما عومل به، ودعا، وقال: إني كنت أحب أن أتشرف بما لم يتشرف به أحد قبلي، ليعلم موضعي من الخدمة.

قالت: وما هو؟ قلت: يسأل أن يعار القرية ليتجمل بها، ويردها في غد.

فأمسكت، ثم قالت: هذا شيء عمله الخليفة لنفسه، كيف يحسن أن يرى في دار غيره؟ وهذا فضيحة، وليس يجوز أن أسأله هبتها له، لأني لا أدري هل ملها وشيع منها، أم لا، فإن كان قد ملها، فقيمتها أهون عليه، من أن يفكر في إعارتها، وإن كان لم يملها لم آمن أن أفجعه بها، وسأسبر ما عنده في هذا. ثم دعت بجارية، فقالت: اعرفوا خبر الخليفة. فقيل لها: هو عند فلانة.

فقالت: تعالي معي، وقمت، وأنا معها، وعدة جوار حتى دخلت. وكانت عادته إذا رآها أن يقوم لها قائماً، ويعانقها، ويقبل رأسها، ويجلسها معه في دسته.

قالت: فحين رآها، قام وأجلسها معه، وقال: يا ستي - وهكذا كان يخاطبها - ليس هذا من أوقات تفضلك وزيارتك.

فقالت: ليس من أوقاتي.

ثم حدثته ساعة، وقالت: يا نظم، متى عزم ابنك يوسف، على تطهير ابنه؟ قلت: غداً يا ستي.

فقال الخليفة: يا ستي إذا كان يحتاج إلى شيء آخر، أمرت به.

فقالت: هو مستكف، داع، ولكن قد التمس شيئاً، ما أستحسن خطابك فيه، قال: أريد أن أشرف على أهل المملكة كلهم، ويرى عندي ما لم ير في العالم مثله.

قال: وما هو؟ قالت: يا سيدي، يلتمس أن تعيره القرية، فإذا رآها الناس عنده، ارتجعت.

فقال: يا ستي، والله هذه ظريفة، يستعير خادم لنا شيئاً، وتكونين أنت شفيعة، فأعيره، ثم أرتجعه؟ هذا من عمل العوام، لا الخلفاء، ولكن إذا كان محله من رأيك هذا، حتى حملت نفسك على خطابي فيه، وتجشمت زيارتي، وأنا أعلم أنه ليس من أوقات زيارتك، فقد وهبت له القرية، فمري بحملها، بجميع آلاتها إليه، وقد رأيت أن أشرفه بشيء آخر.

قالت: وما هو؟ قال: يحمل إليه من غداً جميع وظائفنا، ولا يطبخ لنا شيء البتة، بل يوفر عليه، ويؤخذ لنا سمك طري فقط.

فأمرت بنقل القرية، وقالت: قولي ليوسف، ما تصنع بالوظيفة؟

فقال: والله ما أحتاج إلى ملح إلا وقد حصلته، فإن حملت إلي، لم أنفع بها، فخذني لي ثمنها من الوكلاء، فأخذت، وكان مبلغ ذلك ألف وخمسمائة دينار، وهي وظيفة كل يوم.

وقالت: اقتصر الخليفة لأجلك اليوم على السمك، فاشترى له سمك بثلاثمائة دينار.

وكانت القرية، على صفة قرية، فيها مثال البقر والغنم والجمال والجواميس والأشجار والنبات والمساحي والناس، وكل ما يكون في القرى.

ما هو حد السكر

؟

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا علي بن أبي علي القاضي، قال: حدثنا أبو الحسن الداودي، قال: لما جلس محمد بن داود بن علي الأصبهاني، في حلقة أبيه بعد وفاته، بفتي، استصغروه عن ذلك، فلدسوا إليه رجلاً، وقالوا: سله عن حد السكر ما هو؟ فأتاه الرجل، فسأله عن حد السكر ما هو؟ ومتى يكون الإنسان سكراناً؟ فقال محمد: إذا عزبت عنه الهموم، وباح بسرّه المكتوم. فاستحسن ذلك منه، وعلم موضعه من العلم.

القاضي ابن أبي الشوارب

يصاب بالفالج فيخلفه ابنه

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا علي بن المحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لم يزل عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، والياً على القضاء بالجانب الشرقي من بغداد، وعلى الكرخ أيضاً، من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين، إلى ليلة السبت لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين، فإن الفالج ضربه فيها، فأسكت، فاستخلف له ابنه محمد على عمله كله في يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين، وكان سرياً جليلاً، واسع الأخلاق، ولم تكن له خشونة، فاضطربت الأمور بنظره، ولبست عليه في أكثر أحواله، وكانت أمور السلطان كلها قد اضطربت، ولم يزل على خلافة أبيه إلى سنة إحدى وثلاثمائة، وتوفي.

ابن الراوندي

قال القاضي أبو علي التنوخي: كان أبو الحسين بن الراوندي، يلازم أهل الإلحاد، فإذا عوتب في ذلك، قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم، ثم إنه كاشف، وناظر. ويقال: إن أباه كان يهودياً، فأسلم. وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين: لا يفسدن عليكم هذا كتابكم. كما أفسد أبوه التوراة علينا. ويقال: إن أبا الحسين، قال لليهود: قولوا إن موسى قال: لا نبي بعدي.

القاضي أبو خليفة واللص

قرأت في كتاب هراة، للفامي قال: روي عن محمد بن إبراهيم بن عبد ربه بن سدوس بن علي أبي عبد الله المسندي، أنه قال: كنا عند أبي خليفة القاضي بالبصرة، فدخل عليه اللص داره، فصاح ابنه باللص، فخرج أبو خليفة إلى صحن الدار، فقال: أيها اللص، ما لك، وما لنا، إن أردت المال فعليك بفلان، وفلان، إنما عندنا قمطران، قمطر فيه أحاديث، وقمطر فيه أخبار، إن أردت الحديث، حدثناك عن أبي الوليد الطيالسي وأبي عمر الجوصي، وابن كثير وهو محمد، وإن أردت الأخبار أخبرناك عن الرياشي عن الأصمعي ومحمد بن سلام.

فصاح به ابنه: إنما كان كلباً.

فقال: الحمد لله الذي مسخه كلباً، ورد عنا حرباً.

وذكر التوخي هذه الحكاية، وقال في آخرها: فقال له غلامه: يا مولاي، ليس إلا الخير، إنما هو سنور. فقال أبو خليفة، الحمد لله الذي مسخه هراً، وكفانا شراً.

كلبة ترضع طفلاً

ذكر أبو عبد الله، عن أبي عبيدة النحوي، وأبي اليقظان سحيم بن حفص، وأبي الحسن علي بن محمد المدائني، عن محمد بن حفص بن سلمة بن محارب. وقد حدثنا بهذا الحديث، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، بإسناد ذكره، وهو حديث مشهور: إن الطاعون الجارف، أتى على أهل دار، فلم يشك أحد من أهل الحلة، أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير، وكان قد بقي في الدار صبي رضيع صغير، يجبو ولا يقوم، فعمد من بقي من أهل تلك الحلة، إلى باب الدار فسدوه. فلما كان بعد ذلك بأشهر، تحول إليها بعض ورثة القوم، فلما فتح الباب، وأفضى إلى عرصة الدار، إذا هو بصبي يلعب مع جرو كلبة كانت لأصحاب الدار، فلما رآها الصبي حبا إليها، فأمكنته من لبنها. فعلموا أن الصبي بقي في الدار، وصار منسياً، واشتد جوعه، ورأى جرو الكلبة يرضع، فعطف عليها، فلما سقته مرة، أدامت له، وأدام لها الطلب.

قاص ولأيته ثلاثة أيام

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: صرف المقتدر بالله أبا جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول، يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلثمائة، عن القضاء بمدينة المنصور، واستقضى في هذا اليوم، أبا الحسين عمر بن الحسن بن علي بن مالك بن أشرس بن عبد الله بن منجاب الشيباني، المعروف بابن الأثنائي، وخلع عليه. ثم جلس يوم السبت، لثمان بقين من هذا الشهر للحكم، وصرف من غد في يوم الأحد لسبع بقين منه، فكانت ولأيته ثلاثة أيام.

وهذا رجل من جلة الناس، ومن أصحاب الحديث المجودين، وأحد الحفاظ له، وحسن المذاكرة بالأخبار، وكان قبل هذا يتولى القضاء بنواحي الشام، ويستخلف الكفاة، ولم يخرج عن الحضرة، وتقلد الحسبة ببغداد.

وقد حدث حديثاً كثيراً، وهمل الناس عنه قديماً وحديثاً.

استخلف على القضاء وله عشرون سنة

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن المحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استقضى المقتدر بالله، في يوم النصف من رمضان سنة عشر وثلثمائة، أبا الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، وكان قبل هذا يخلف أباه على القضاء بالجانب الشرقي، والشرقية، وسائر ما كان إلى قاضي القضاة أبي عمر، وذلك أنه استخلفه وله عشرون سنة. ثم استقضى بعد استخلاف أبيه له، على أعمال كثيرة. ثم قلد مدينة السلام في حياة أبيه.

من مكارم أخلاق حامد بن العباس

عامل واسط

قال المحسن، وحدثني أبو عبد الله الصيرفي، قال: حدثني أبو عبد الله القنوتي قال: ركب حامد، وهو عامل واسط، إلى بستان له، فرأى بطريقه داراً محترقة، وشيخاً يبكي ويولول، وحوله صبيان ونساء على مثل حاله.

فسأل عنه، فقيل: هذا رجل تاجر، احترقت داره وافقر.

فوجم ساعة، ثم قال: أين فلان الوكيل؟ فجاء.

فقال: أريد أن أندبك لأمر، إن عملته كما أريد، فعلت بك وصنعت - وذكر جميلاً - وإن تجاوزت فيه رسمي، فعلت بك وصنعت - وذكر قبيحاً - .

فقال: مر بأمرك.

فقال: ترى هذا الشيخ، وقد آلني قلبي له، وقد تنغصت علي نرهقي بسببه، وما تسمح نفسي بالتوجه إلى بستان، إلا بعد أن تضمن لي أنني إذا عدت العشيّة من التزهة، وجدت الشيخ في داره وهي كما كانت، مبنية، مجصصة، نظيفة، وفيها صنوف المتاع، والفرش، والصفير، كما كانت، وتبتاع له ولعياله، كسوة الشتاء، والصيف، مثل ما كان لهم.

فقال الوكيل: تتقدم إلى الخازن، بأن يطلق ما أريده، وإلى صاحب المعونة، أن يقف معي، وأن يحضر من أطلبه من الصناع.

فتقدم حامد بذلك.

وكان الزمان صيفاً، فتقدم بإحضار أصناف الروز جارية، فكانوا ينقضون بيتاً ويقيمون فيه من بينيه. وقيل لصاحب الدار: اكتب جميع ما ذهب منك، حتى المكنسة والمقدحة. وصليت العصر، وقد سقفت الدار، وجصصت، وعلقت الأبواب، ولم يبق غير الطوايق. فأنفذ الوكيل إلى حامد، وسأله التوقف في البستان، وأن لا يركب منه إلا أن يصلي العشاء. فبيضت الدار، وكنست، وفرشت، ولبس الشيخ وعياله الثياب، ودفعت إليهم الصناديق والخزائن، مملوءة بالأمتعة. فاجتاز حامد والناس قد اجتمعوا كأنه يوم عيد، يضجون بالدعاء له. فتقدم حامد إلى الجهبذ بخمسة آلاف درهم، يدفعها إلى الشيخ، يزيد بها في بضاعته. وسار حامد إلى داره.

حديث العلوية الزمنة

سجل القاضي التنوخي، في النشوار، قصة العلوية الزمنة، وكيف شفيت من دائها، وقال إنها كانت عاتقاً. ولما نقل القصة إلى كتابه الفرج بعد الشدة، ذكر أن العلوية الزمنة تزوجت، وأن آخر معرفته بخبرها في السنة ٣٧٣.

ثم وجدت في مخطوطة المكتبة الظاهرية، وكذلك في مخطوطة مكتبة جون رايلند، من كتاب الفرج بعد الشدة، أن القاضي التنوخي، أضاف إلى قصة العلوية الزمنة، إضافة أخرى، تدل على أنه أبصرها في السنة ٣٧٧، واستنطقها، ودون أجوبتها، وهذه هي الإضافة: قال مؤلف الكتاب: وحدثني بعد هذا جماعة أسكن إليهم من أهل شارع دار الرقيق، بخبر هذه العلوية، على قريب من هذا، وهي باقية إلى حين معرفتي بخبرها في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

ثم كنت في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، عند أبي الفتح أحمد بن علي بن هارون المصم، فرأيت في داره، بدرب سليمان، في شارع دار الرقيق، وأنا عنده، امرأة عجوزاً، قد دخلت، فأعظمها. فقلت: من هذه؟ فقال: العلوية الزمنة، صاحبة المنام.

وكانت تمشي بخفها وإزارها.

فسألتها أن تجلس، ففعلت، واستخبرتها، فحدثني، قالت: اعتللت من برسام، وأنا في حدود عشرين سنة من عمري، ثم انجلي عني، وقد لحق حقوقي شيء أزممني، فكنت مطروحة على الفراش، سبعاً وعشرين سنة، لا أقدر أقعد، ولا أن أقوم أصلاً، وأنجو في موضعي، وأغسل، وكنت مع ذلك لا أجد ألماً.

ثم بعد سنين كثيرة من عتي، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، في منامي، وأنا أقول له: يا جدي، ادع الله عز وجل، أن يفرج عني.

فقال: ليس هذا وقتك.

ثم رأيت أمير المؤمنين رضي الله عنه، فقلت له: أما ترى ما أنا فيه؟ فسل رسول الله أن يدعو لي، أو ادع لي

أنت، فكأنه قد دافعي.

ثم توالى علي بعد ذلك، رؤيتي لهما في النوم، فجري بيني وبينهما، قريب من ذلك.
ورأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكأني أسأل كل واحد منهما الدعاء بالعافية، فلا يفعل.
فلما مضت سبع وعشرون سنة، لحقني ألم شديد، أياماً في حقوي، فقاسيت منه شدة شديدة، فأقبلت أبكي،
وأدعو الله بالفرج.

فرايت ليلة في منامي النبي صلى الله عليه وسلم، فعرفته، لأني كنت أراه طول تلك السنين على صورة
واحدة، وكأني أقول له: يا جدي، متى يفرج الله عني؟ فكأنه أدخل يده في طرف كمي، وجس بدني، من
أوله إلى آخره، حتى بلغ حقوي، فوضع يده عليه، وتكلم بكلام لا أفهمه، ثم ردني على قفائي، كما كنت
نائمة، وقال: قد فرج الله عنك، فقومي.
فقلت: كيف أقوم؟ فقال: هاتي يدك.

فأعطيته يدي، فأقعدني، ثم قال: قومي على اسم الله، فقميت، ثم خطا بي خطوات يسيرة، وقال: قد عوفيت.
فانتبهت، وأنا مستلقية على ظهري، كما كنت نائمة، إلا أنني فرحانة، فرمت القعود، فقعدت لنفسي
وحدي، ودليت رجلي من السرير، فتدلنا، فرمت القيام عليهما، فقميت، ومشيت.
فقلت للمرأة التي تخدمني: لست آمن، أن يشيع خبري، فيتكاثر الناس علي، فيؤذوني، وأنا ضعيفة من الألم
الذي لحقني، إلا أنني كنت لما انتبهت، لم أحس بشيء من الألم، ولم أجد غير ضعف يسير، فقلت: اكتمي
أمر ي يومين، إلى أن صلحت قوتي فيهما.
وزادت قلربي على المشي والحركة، وفشا خبري، وكثر الناس علي، فلا أعرف إلى الآن إلا بالعلوية الزمنة.
فسألتها عن نسبها، فقالت: أنا فاطمة بنت علي بن الحسن بن القاسم بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.
ولم تذكر لي غير هذا، ولا سألتها عنه.

مائدة الوزير حامد بن العباس

ينفق عليها كل يوم مائتي دينار

حكى أبو علي التوخي، عن بعض الكتاب، قال: حضرت مائدة حامد، وعليها عشرون نفساً، وكنت أسمع
أنه ينفق عليها كل يوم مائتي دينار، فاستقللت ما رأيت.
ثم خرجت، فرأيت في الدار، نيفاً وثلاثين مائدة منصوبة، على كل مائدة ثلاثون نفساً، وكل مائدة كالمائدة
التي بين يديه، حتى البوارد والحلوى.

وكان لا يستدعي أحداً إلى طعامه، بل يقدم الطعام إلى كل قوم في أماكنهم.

مبلغ ما صودر عليه الوزير

أبو الحسن بن الفرات أنبأنا محمد بن أبي طاهر، عن أبي القاسم التوخي، عن أبيه، قال: خبرني بعض الكتاب، قال: كان ابن الفرات قد صودر على ألف دينار وستمائة ألف دينار، فأدى جميعها في مدة ستة عشر شهراً، من وقت أن قبض عليه.

أبو بكر بن السراج يتمثل

بأبيات من الشعر حسنة أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا علي بن أبي علي، عن علي بن عيسى بن علي النحوي، قال: كان أبو بكر بن السراج يقرأ عليه كتاب الأصول الذي صنّفه، فمر فيه باب، فاستحسنه بعض الحاضرين، فقال: هذا والله أحسن من كتاب المقتضب. فأنكر عليه أبو بكر ذلك، وقال: لا تقل هذا، وتمثل بيت، وكان كثيراً ما يتمثل في ما يجري له من الأمور بأبيات حسنة، فأنشد حينئذ:

ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا ... بكاهها وقلت الفضل للمتقدم
قال: وحضر في يوم من الأيام بني له صغير، فأظهر من الميل إليه والمحبة له، فأكثر فقال له بعض الحاضرين: أتجبه؟ فقال متمثلاً:
أجبه حب الشحيح ماله ... قد كان ذاق الفقر ثم ناله
تفسير الآية " ومن دخله كان آمناً "

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال أنبأنا علي بن الحسن، عن أبيه، قال حدثنا أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش القاضي، قال: أخبرني بعض أصحابنا: أنه كان بمكة في الوقت الذي دخلها أبو طاهر القرمطي ونهبها، وسلب البيت، وقلع الحجر الأسود، والباب، وقتل المسلمين في الطواف، وفي المسجد، وعمل تلك الأعمال العظيمة.

قال: فرأيت رجلاً قد صعد البيت ليقلع الميزاب، فلما صار عليه سقط، فاندقت عنقه. فقال القرمطي: لا يصعد إليه أحد، ودعوه، فترك الميزاب، ولم يقلع. ثم سكنت النائرة، بعد يوم أو يومين.

قال: فكنت أطوف بالبيت، فإذا بقرمطي سكران، وقد دخل المسجد بفروسه، فصفر له، حتى بال في الطواف، وجرد سيفه ليضرب به من لحق، وكنت قريباً منه، فعدوت، فلحق رجلاً كان إلى جنبي، فضربه، فقتله.

ثم وقف، وصاح: يا حمير، أليس قلتم في هذا البيت، " من دخله كان آمناً " ، فكيف يكون آمناً، وقد قتلته الساعة بحضرتكم؟ قال: فخشيت من الرد عليه أن يقتلني، ثم طلبت الشهادة، فجئت حتى لصقت به، وقبضت على لجامه وجعلت ظهري مع ركبته، لنلا يتمكن من ضربي بالسيف، ثم قلت: اسمع. قال: قل.

قلت: إن الله عز وجل لم يرد: أن من دخله كان آمناً، وإنما أراد: من دخله فأمنوه، وتوقعت أن يقتلني. فلوى رأس فروسه، وخرج من المسجد، وما كلمني.

قرمطي يتحدث عن اعتقادات القرامطة

قال الحسن، وحدثني أبو أحمد الحارثي، قال: أخبرني رجل من أصحاب الحديث أسرته القرامطة، سنة الهبيرة، واستعبدته سنين، ثم هرب منا لما أمكنه، قال: كان يملكني رجل منهم، يسومني سوء العذاب، ويستخدمني أعظم خدمة، ويعربد علي إذا سكر، فسكر ليلة، وأقامني حiale، وقال: ما تقول في محمد هذا صاحبكم؟ فقلت: لا أدري، ولكن ما تعلمني أيها المؤمن، أقوله.

فقال: كان رجلاً سائساً، فما تقول في أبي بكر؟ قلت: لا أدري.

قال: كان رجلاً ضعيفاً مهيناً، فما تقول في عمر؟

قلت: لا أدري.

قال: كان والله فظاً غليظاً، فما تقول في عثمان؟ قلت: ما أدري.

قال: كان جاهلاً أحمق، فما تقول في علي؟ قلت: لا أدري.

قال: كان منحرفاً، أليس يقول: إن هاهنا علماً لو أصبت له حملة، أما كان في ذلك الخلق العظيم بحضرته من يودع كل واحد منهم كلمة يفرغ ما عنده، هل هذه إلا مخرفة؟ ونام.

فلما كان من الغد، دعاني، وقال: ما قلت لك البارحة؟ فأريته أبي لم أفهمه، فحزني من إعادته، والإخبار عنه بذلك.

فإذا القوم زنادقة، لا يؤمنون بالله، ولا يفكرون في أحد من الصحابة.

قال الحسن: ويدل على هذا أن أبا طاهر القرمطي، دخل الكوفة دفعات، فما دخل إلى قبر علي عليه السلام، واجتاز بالخائر فما زار الحسين.

وقد كانوا يمحرقون بالمهدي، ويوهمون أنه صاحب المغرب، ويراسلون إسماعيل بن محمد، صاحب المهدي المقيم بالقيروان.

ومضت منهم سرية مع الحسن بن أبي منصور بن أبي سعيد في شوال سنة ستين وثلثمائة، فدخلوا دمشق في ذي القعدة من هذه السنة، فقتلوا خلقاً، ثم خرجوا إلى مكة فقتلوا، واستباحوا.

وأقاموا الدعوة للمطيع لله، في كل فتح فتحوه، وسودوا أعلامهم، ورجعوا عما كانوا عليه من المخرفة ضرورة.

وقالوا: لو فطنا لما فطن له ابن بويه الديلمي لاستقامت أمورنا، وذلك أنه ترك المذاهب جانباً، وطلب الغلبة والملك، فأطاعه الناس.

وكان من مخاريقهم، قبة ينفرد فيها أميرهم، وطائفة معه، فلم يقاتلوا، فإذا كل المقاتلون، حمل هو بنفسه، وتلك الطائفة، على قوم قد كلوا من القتال.

وكانوا يقولون: إن النصر ينزل من هذه القبة، وقد جعلوا فيها مدخنة وفحماً، فإذا أرادوا أن يحملوا، صعد أحدهم إلى القبة، وقده، وجعل النار في الجمرة، وأخرج حب الكحل فطرحة على النار، فتفرق فرقة

شديدة، ولا يكون له دخان، وحملوا، ولا يثبت لهم شيء، ولا يوقد ذلك، إلا أن يقول صاحب العسكر، قد

نزل النصر.

فكسر تلك القبة، أصحاب جوهر الذي ملك مصر.

ابن العلاف الشاعر يميز بيتاً نظمته المعتضد

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي بكر الشاعر، قال: حدثني أبي، قال: كنت ذات ليلة في دار المعتضد وقد أطلنا الجلوس بحضرته، ثم نهضنا إلى مجلسنا، في حجرة كانت مرسومة بالندماء. فلما أخذنا مضاجعنا، وهدأت العيون، أحسنا بفتح الأبواب، والأقفال بسرعة، فارتاعت الجماعة لذلك، وجلسنا في فرشنا.

فدخل إلينا خادماً من خدم المعتضد، فقال: إن أمير المؤمنين يقول لكم: أرقّت الليلة بعد انصرافكم فعملت: ولما انتبهنا للخيال الذي سرى ... إذا الدار قفر والمزار بعيد وقد أرتج علي تمامه، فأجيزوه، ومن أجازه بما يوافق غرضي، أجزلت جائزته. وفي الجماعة كل شاعر مجيد، مذكور، وأديب فاضل مشهور، فأفحمت الجماعة، وأطالوا الفكر. فقلت مبتدراً:

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي ... لعل خيالاً طارقاً سيعود
فرجع الخادم إليه بالجواب، ثم عاد إلي، فقال: أمير المؤمنين، يقول لك، أحسنت، وما قصرت، وقد وقع بيتك الموقع الذي أريده، وقد أمر لك بجائزة، وها هي. فأخذتها، وازداد غيظ الجماعة مني.

القاضي أبو عمر وعنايته في إصدار الأحكام

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عبيد الدقاق، قال: قال لي أبو إسحاق بن جابر الفقيه: لما ولي أبو عمر طمعنا في أن نتبعه بالخطأ، لما كنا نعلم من قلة فقهه، فكنا نستفتي، فنقول: امضوا إلى القاضي، ونراعي ما يحكم به، فيدافع عن الأحكام، مدافعة، أحسن من فصل الحكم، ثم تحيثنا الفتاوى في تلك القصص، فنخاف أن نخرج، إن لم نفت، فتعود الفتاوى إليه، فيحكم بما يفتي به الفقهاء. فما عثرنا عليه بخطأ.

جزاء الحياة

وأنبت عن المؤيد قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن هبة الله الخازن، قال: حدثنا الحسين بن علي الكوفي، قال: حدثنا المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي، قال: حدثنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التبوخي. وأنبت، عن المؤيد، وعبد الوهاب الأمين، وغيرهما، عن محمد بن عبد الباقي، عن علي بن المحسن، قال:

حدثنا أبي، قال: أخبرني أحمد بن يوسف الأزرق التوخي، مناوله، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن الفتح الكاتب، المعروف بالمطوق، مناوله، من كتابه " كتاب مناقب الوزراء، ومحاسن أخبارهم " وفيه ذكر كثير من الحوادث، فقال فيه: وفي رجب سنة خمس عشرة وثلثمائة، أن رجلاً أمسى، في بعض محال الجانب الغربي من مدينة السلام، ومعه دراهم لها قدر، فخاف على نفسه من الطائف، ومن بلية تقع عليه، فصار إلى رجل من أهل الموضع، أراد أن يبيت عنده، فأدخله.

فلما تيقن أن معه مالاً، حدثته نفسه بقتله، وأخذ ماله. وكان له ابن شاب، فوممه مع الرجل في بيت واحد، ولم يعلم أحداً بما نفسه، وخرج، وقد عرف مكانهما، وطفى المصباح.

فقدر الأمر، أن الابن انتقل من موضعه إلى موضع آخر، وانتقل الضيف إلى موضع الابن، وجاء أبوه، ليطلب الضيف، فصادف ابنه، وهو لا يشك، أنه الضيف، فخنقه.

وانتبه الضيف باضطرابه، وعرف ما أريد به، فخرج هارباً من الدار، وصاح في الطريق. ووقف الجيران على خبره، فأغاثوه، وأخذوا الرجل، فقرر، فأقر بقتل ابنه، فحبس، وأخذ المال من داره، فرد على الضيف، وسلم.

تاجر بغداد ي آلى على نفسه

أن يغسل يده أربعين مرة إذا أكل ديكبريكة

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز عن أبي القاسم علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم، الفقيه المعروف بابن النوسي، قال: كنت جالساً بحضرة أبي، وأنا حدث، وعنده جماعة، فحدثني حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الطريفة، وكان ممن حضر، صديق لأبي، فسمعتة يحدث أبي، قال: حضرت عند صديق لي من التجار، كان يحزر بمائة ألف دينار، في دعوة، وكان حسن المروءة.

فقدم مائدته، وعليها ديكبريكة، فلم يأكل منها، فامتنعنا.

فقال: كلوا، فإني أتأذى بأكل هذا اللون.

فقلنا: نساعدك على تركه.

فقال: بل أساعدكم على الأكل، وأحتمل الأذى، فأكل، فلما أراد غسل يديه أطال، فعددت عليه، أنه قد غسلها أربعين مرة.

فقلت: يا هذا، وسوست؟ فقال: هذه الأذية التي فرقت منها.

فقلت: وما سببها؟ فامتنع من ذكر السبب.

فألححت عليه، فقال: مات أبي، وسني عشرون سنة، وخلف لي نعمة صغيرة، ورأس مال، ومتاعاً في دكانه،

وكان خلقانياً في الكرخ.

فقال لي لما حضرته الوفاة: يا بني، إنه لا وارث لي غيرك، ولا دين علي، ولا مظلمة، فإذا أنا مت، فأحسن جهازي، وصدق عني بكذا وكذا، وأخرج عني حجة بكذا وكذا، وبارك الله لك في الباقي، ولكن احفظ وصيتي.

فقلت: قل.

فقال: لا تسرف في مالك، فتحتاج إلى ما في أيدي الناس ولا تجده، واعلم أن القليل مع الإصلاح كثير، والكثير مع الفساد قليل، فالزم السوق، وكن أول من يدخلها، وآخر من يخرج منها، وإن استطعت أن تدخلها سحراً بليل، فافعل، فإنك تستفيد بذلك فوائد، تكشفها لك الأيام. ومات، وأنفذت وصيته، وعملت بما أشار به، وكنت أدخل السوق سحراً، وأخرج منها عشاء، فلا أعدم أن يجيئني من يطلب كفنًا، فلا يجد أحداً قد فتح غيري، فأحكم عليه، ومن يبيع شيئاً، والسوق لم تقم، فأبيعه له، وأشياء من القوائد.

ومضى على لزومي السوق سنة وكسر، فصار لي بذلك جاه عند أهلها، وعرفوا استقامتي، فأكرموني. فبينما أنا جالس يوماً، ولم يتكامل السوق، إذا بامرأة راكبة حماراً مصرياً، وعلى كفله منديل ديبقي، وخادم، وهي بزي القهرمانة.

فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت عندي، فحمت إليها، وأكرمتها وقلت: ما تأمرين؟ وتأملتتها فإذا امرأة لم أر قبلها، ولا بعدها، إلى الآن، أحسن منها، في كل شيء.

فقالت: أريد كذا ثياباً، طلبتها. فسمعت نغمة، ورأيت شكلاً قتلي، وعشقتها في الحال، أشد العشق.

فقلت: اصبري حتى يخرج الناس، فأخذ لك ذلك، فليس عندي إلا القليل مما يصلح لك.

فأخرجت الذي عندي، وجلست تحادثني، والسكاكين في فؤادي من عشقها. وكشفت عن أنامل، رأيتهما كالطلع، ووجه كدارة القمر.

فقمت لنلا يزيد علي الأمر، فأخذت لها من السوق ما أردت، وكان ثمنه مع ما لي نحو خمسمائة دينار، فأخذته، وركبت، ولم تعطني شيئاً.

وذهب عني، لما تدخلني من جيبها، أن أمنعها من أخذ المتاع إلا بأداء المال، أو أن أستدل على منزلها، ومن دار من هي؟.

فحين غابت عني، وقع لي أنها محتالة، وأن ذلك سبب فقري، فتحيرت في أمري، وقامت قيامتي، وكنمت خبري لنلا افتضح بما للناس علي.

وعملت على بيع ما في يدي من المتاع، وإضافته إلى ما عندي من الدراهم، ودفع أموال الناس إليهم، ولزوم البيت، والاقتصار على غلة العقار الذي ورثته عن أبي، وظننت نفسي على الحنة، وأخذت أشرع في ذلك مدة أسبوع.

وإذا هي قد نزلت عندي، فحين رأيته، أنسيت جميع ما جرى علي، وقمت إليها.

فقالت: يا فتى، تأخرنا عنك، لشغل عرض لنا، وما شككنا في أنك لم تشك أننا احتلنا عليك.

فقلت: قد رفع الله قدرك عن هذا.

فقلت: هات التخت والطيّار، فأحضرتها.

فأخرجت دنائير عتقاً، فوفيتي المال بأسره. وأخرجت تذكرة بأشياء أخرى.

فأنفذت إلى التجار أموالهم، وطلبت منهم ما أردت، وحصلت أنا في الوسط ربحاً جيداً.

وأحضر التجار الثياب، فقممت وثمنتها معهم لنفسي، ثم بعته عليها بربح عظيم.

وأنا في خلال ذلك أنظر إليها نظر تالف من حبها، وهي تنظر إلي، نظر من قد فطن لذلك، ولم تنكره، فهيمت بخطابها، ولم أقدم.

فاجتمع المتاع، وكان ثمنه ألف دينار، فأخذته، وركبت، ولم أسألها عن موضعها.

فلما غابت عني، قلت: هذا الآن، هو الحيلة الحكيمة، أعطيتني خمسة آلاف درهم، وأخذت ألف دينار،

وليس إلا بيع عقاري الآن، والحصول على الفقر المدقع، ثم سمحت نفسي برؤيتها مع الفقر.

وتناولت غيبتها نحو شهر، وألح علي التجار في المطالبة، فعرضت عقاري على البيع، ولازماني بعض التجار، فوزنت جميع ما أملكه، ورقاً وعيناً.

فأنا كذلك، إذ نزلت عندي، فزال عني جميع ما كنت فيه برؤيتها، فاستدعت الطيّر والتخت، فوزنت

المال، ورمت إلي تذكرة يزيد ما فيها على ألفي دينار بكثير.

فتشاغلت بإحضار التجار، ودفع أموالهم، وأخذ المتاع منهم، وطال الحديث بيننا، فقلت: يا فتى، لك زوجة؟ فقلت: لا، والله، ما عرفت امرأة قط.

وأطمعني ذلك فيها، وقلت: هذا وقت خطابها والإمساك عنها عجز، ولعلها لا تعود.

وأردت كلامها فهيتها، وقمت كأني أحت التجار على جمع المتاع، وأخذت يد الخادم، وأخرجت له دنائير، وسألته أن يأخذها، ويقضي لي حاجة.

فقال: أفعل، وأبلغ محبتك، ولا آخذ شيئاً.

فقصصت عليه قصتي، وسألته توسط الأمر بيني وبينها.

فضحك، وقال: إنما لك أعشق منك لها، ووالله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذي تشتريه، وإنما تحببك محبة

لك، وتطريقاً إلى مطاوتك، فخاطبها بظرف، ودعني، فإني أفرغ لك من الأمر.

فجسرتني بذلك عليها، فخاطبتها، وكشفت لها عشقي، ومحبي، وبكيت.

فضحكت، وتقبلت ذلك أحسن تقبل، وقالت: الخادم يحبك برسالتني.

ونفضت، ولم تأخذ شيئاً من المتاع، فرددته على الناس، وقد حصل لي مما اشتريته أولاً وثانياً، ألف درهم ربحاً.

ولم يحملني النوم تلك الليلة، شوقاً إليها، وخوفاً من انقطاع السبب.

فلما كان بعد أيام جاعني الخادم، فأكرمته، وسألته عن خبرها.

فقال: هي والله عليلة من شوقها إليك.

فقلت: اشرح لي أمرها.

فقال: هي مملوكة السيدة أم المقتدر، وهي من أخص جواريتها بها، واشتهت رؤية الناس، والدخول، والخروج، فوصلت حتى جعلتها قهرمانة، وقد والله حدثت السيدة بمحدثك، وبكت بين يديها، وسألته أن تزوجها منك.

فقلت السيدة: لا أفعل، أو أرى هذا الرجل، فإن كان يستأهلك، وإلا لم أدعك ورأيك. ويحتاج إلى إدخالك الدار بجيلة، فإن تمت، وصلت بها إلى ترويعها، وإن انكشفت ضرب عنقك. وقد أنفذتني إليك في هذه الرسالة، وهي تقول لك: إن صبرت على هذا، وإلا فلا طريق لك والله إلي، ولا لي بعدها.

فحملني ما في نفسي أن قلت: أصبر.

فقال: إذا كان الليل، فاعبر إلى المخرم، فادخل إلى المسجد، وبت فيه، ففعلت. فلما كان السحر، إذا أنا بطيار قد قدم، وخدم قد رفقوا صناديق فرغ، فخطوها في المسجد، وانصرفوا. وخرجت الجارية، فصعدت إلى المسجد، ومعها الخادم الذي أعرفه، فجلست، وفرقت باقي الخدم في حوائج.

واستدعيتني، فقبلتني، وعانقتني طويلاً، ولم أكن نلت قبل ذلك منها قبلة. ثم أجلسني في بعض الصناديق، وأقبلته.

وطلعت الشمس، وجاء الخدم بثياب وحوائج، من المواضع التي كانت أنفذتهم إليها، فجعلت ذلك بحضرتهم في باقي الصناديق، وقلتها وحملتها إلى الطيار، وانحدروا. فلما حصلت فيه، نمت، وقلت: قتلت نفسي لشهوة، وأقبلت ألومها تارة، وأشجعها أخرى، وأنذر النذور على خلاصي، وأوطن نفسي مرة على القتل.

إلى أن بلغنا الدار، وحمل الخدم الصناديق، وحمل صندوقي، الخادم الذي يعرف الحديث، وبادرت بصندوقي أمام الصناديق وهي معه، والخدم يحملون الباقي، ويلحقونها.

فكل ما جازت بطبقة من الخدم والبوابين قالوا: نريد نفتش الصندوق، فتصيح عليهم، وتقول: متى جرى الرسم معي بهذا؟ فيمسكون، وروحي في السياق.

إلى أن انتهت إلى خادم خاطبته هي بالأستاذ، فعلمت أنه أجل الخدم.

فقال: لا بد من تفتيش الصندوق الذي معك، فخاطبته بلين وذلل فلم يجبه، وعلمت أنها ما دلت له ولها حيلة، وأغمي علي.

وأنزل الصندوق للفتح، فذهب علي أمري وبلت فرعاً. فجرى البول في خلل الصندوق.

فصاحت: يا أستاذ أهلك علينا متاعاً بخمسة آلاف دينار في الصندوق، وثياباً مصبغات، وماء ورد قد

انقلب على الثياب، والساعة تخلط ألوانها، وهو هلاكي مع السيدة.

فقال لها: خذي صندوقك إلى لعنة الله، أنت وهو، ومري.

فصاحت بالخدم: احمّلوه، وأدخلت الدار، فرجعت إلي روحي.
فبينما نحن نمشي إذ قالت: ويلاه، الخليفة، والله.
فجاءني أعظم من الأول، وسمعت كلام خدم وجواري، وهو يقول من بينهم: ويلك يا فلانة أيش في صندوقك؟ أريني هو؟ فقالت: ثياب لسّتي يا مولاي، والساعة أفتحه بين يديها، وتراه.
وقالت للخدم: أسرعوا ويلكم، فأسرعوا.
وأدخلتني إلى حجرة، وفتحت عني، وقالت: اصعد تلك الدرجّة، إلى الغرف، واجلس فيها، وفتحت بالعجلة، صندوقاً آخر، فنقلت بعض ما كان فيه إلى الصندوق الذي كت فيه، وقلّلت الجميع.
وجاء المقتدر وقال لها: افتحي، ففتحت، فلم يرض منه شيئاً، وخرج.
فصعدت إلي، وجعلت ترشّفي، وتقبلي، فعشت، ونسيت ما جرى.
وتركتني، وقلّلت باب الحجرة يومها، ثم جاءتني ليلاً، فأطعمتني، وسقّنتي، وانصرفت.
فلما كان من غد، جاءتني فقالت: السيدة، الساعة تجيء، فانظر كيف تخاطبها.
ثم عادت بعد ساعة مع السيدة، فقالت: انزل، فنزلت.
فإذا بالسيدة جالسة على كرسي، وليس معها إلا وصيفتان، وصاحبتي.
فقبلت الأرض، وقمت بين يديها، فقالت: اجلس.
فقلّلت: أنا عبد السيدة وخدامها، وليس من محلي أن أجلس بحضرتها.
فتأمّلتني، وقالت: ما اخترت يا فلانة إلا حسن الوجه والأدب، ونهضت.
فجاءتني صاحبتني بعد ساعة، وقالت: أبشر، فقد أذنت لي والله في تزويجك، وما بقي الآن عقبة إلا الخروج.
فقلّلت: يسلم الله.
فلما كان من الغد، حملتني في الصندوق، فخرجت كما دخلت، بعد مخاطرة أخرى، وفرّغ نالني.
ونزلت في المسجد، ورجعت إلى منزلي، فتصدّقت، وحمدت الله على السلامة.
فلما كان بعد أيام، جاءني الخادم، ومعه كيس فيه ثلاثة آلاف دينار عينا.
وقال: أمرتني سّتي بإنفاذ هذا إليك من مالها، وقالت: تشتري به ثياباً، ومركوباً، وخداماً، وتصلح به ظاهرك، وتعال يوم الموكب إلى باب العامة، وقف، حتى تطلب، فقد وافقت الخليفة على أن تزوجك بحضرتة.
فأجبت على رقعة كانت معه، وأخذت المال، واشترت ما قالوا بيسير منه، وبقي الأكثر عندي.
وركبت إلى باب العامة في يوم الموكب بزي حسن، وجاء الناس، فدخلوا إلى الخليفة.
ووقفت إلى أن استدعيت، فدخلت، فإذا أنا بالمقتدر جالس، والقواد، والقضاة، والهاشميون، فهبت اجلس، وعلمت كيف أسلم، وأقف، ففعلت.
فقدم المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين، فخطب لي، وزوجني، وخرجت من حضرتة.
فلما صرت في بعض الدهاليز، قريباً من الباب، عدل بي إلى دار عظيمة مفروشة، بأنواع الفرش الفاخرة، وفيها من الآلات، والخدم، والأمتعة، والقماش، كل شيء لم أر مثله قط.

فأجلست فيها، وتركت وحدي، وانصرف من أذخلني.

فجلمت يومى، لا أرى من أعرفه، ولم أبرح من موضعى إلى الصلاة، وخدم يدخلون ويخرجون، وطعام عظيم ينقل، وهم يقولون: الليلة ترف فلانة - اسم صاحبتى - إلى زوجها البراز، فلا أصدق، فرحاً.

فلما جاء الليل، أثر فى الجوع، وأقفلت الأبواب، وينست من الجارية، فقممت أطوف الدار، فوقفت على المطبخ، ووجدت الطباخين جلوساً فاستطعمتهم، فلم يعرفوني، وقدروني بعض الوكلاء، فقلتموا إلى هذا اللون من الطيخ، مع رغيين، فأكلتهما، وغسلت يدي بأشنان كان فى المطبخ، وقدرت أنها كانت قد نقيت، وعدت إلى مكاني.

فلما جن الليل، إذا طبول، وزمور، وأصوات عظيمة، وإذا بالأبواب قد فتحت، وصاحبتى قد أهديت إلي، وجاءوا بها، فجلوها علي، وأنا أقدر أن ذلك فى النوم، فرحاً.

وتركت معى فى المجلس، وتفرق الناس.

فلما خلونا، تقدمت إليها فقبلتها، وقبلتني، فشمت لحتي، فرستني، فرمت بي عن المنصة، وقالت: أنكرت أن تفلح، يا عامي يا سفلة، وقامت لتخرج.

فقممت، وتعلقت بها، وقبلت الأرض، ورجليها، وقلت: عرفني ذنبي، واعلمي بعده ما شئت.

فقال: ويحك، أكلت فلم تغسل يدك.

فقصصت عليها قصتي، فلما بلغت إلى آخرها، قلت: علي وعلي، وحلفت بطلاقها، وطلاق كل امرأة أتزوجها، وصدقة مالي، وجميع ما أملكه، والحج ماشياً على قدمي، والكفر بالله، وكل ما يحلف به المسلمون، لا أكلت بعدها ديكريكه، إلا غسلت يدي أربعين مرة.

فأشفقت، وتبسمت، وصاحت: يا جوارى، فجاء مقدار عشر جوارى ووصائف.

وقالت: هاتوا شيئاً نأكل.

فقدمت ألوان طريفة، وطعام من أطعمة الخلفاء، فأكلنا، وغسلنا أيدينا.

ومضى الوصائف، ثم قمنا إلى الفراش، فدخلت بها، وبت بليلة من ليالي الخلفاء، ولم نفترق أسبوعاً.

وكانت يوم الأسبوع، وليمة هائلة، اجتمع فيها الجوارى.

فلما كان من غد، قالت: إن دار الخلافة لا تحتل المقام فيها أكثر من هذا، فلولا أنه استؤذن، فأذن بعد جهد، لما تم لنا هذا، لأنه شيء لم يفعل قبل هذا مع جارية غيري، لحبة سيدتي لي.

وجميع ما تراه، فهو هبة من السيدة لي، وقد أعطتني خمسين ألف دينار، من عين وورق، وجوهر ودنانير، وذخائر لي خارج القصر كثيرة من كل لون، وجميعها لك.

فاخرج إلى منزلك، وخذ معك مالاً، واشتر داراً سرية، واسعة الصحن، فيها بستان كثير الشجر، فاخر الموقع، وتحول إليها، وعرفني، لأنقل هذا كله إليك، فإذا حصل عندك، جنتك.

وسلمت إلي عشرة آلاف دينار عينا، فحملها الخادم معي.

فابتعت الدار، وكتبت إليها بالخبر، فحملت إلي تلك النعمة بأسرها، فجميع ما أنا فيه منها.

فأقامت عندي كذا وكذا سنة، أعيش معها عيش الخلفاء، ولم أدع مع ذلك التجارة. فزاد مالي، وعظمت منزلتي، وأثرت حالي، وولدت لي هؤلاء الفتيان، وأومأ إلى أولاده، ثم ماتت رحمها الله. وبقي علي من مضرة الديكبريكه حاضراً، ما شاهدته.

الشيخ بويه والرؤيا التي هالته

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه قال: حدثنا علي بن حسان الأنباري الكاتب، قال: لما أنفذني معز الدولة، من بغداد إلى ديلمان، لأبني له دوراً في بلدة منها، قال لي: سل عن رجل من الديلم، يقال له أبو الحسين بن شيركوه، فأكرمه، واعرف حقه، واقربه سلامي، وقل له: سمعت وأنا صبي، بحديث منام كان أبي رآه، وفسره هو وأنت، على مفسر بديلان، ولم أقم عليه للصبا، فحدثني به، واحفظه لتعيده علي.

فلما جئت إلى ديلمان، جاعني الرجل مسلماً، فعلمت بأنه كان بينه وبين بويه، والد الأمير، صداقة، فأكرمته، وعظمته، وأبلغته رسالة معز الدولة.

فقال لي: كانت بيني وبين بويه مودة وكيدة، وهذه داره وداري، متحاذيتان، كما ترى، وأومأ إليهما.

فقال لي ذات يوم: إني قد رأيت رؤيا هالتي فاطلب لي إنساناً يفسرها لي.

فقلت: نحن هاهنا في مفازة، فمن أين لنا من يفسر؟ ولكن اصبر حتى يجتاز بنا منجم أو عالم، فنسأله، ومضى على هذا الأمر شهر.

فخرجت أنا وهو في بعض الأيام إلى شاطئ البحر، نصطاد سمكاً، فجلسنا، فاصطدنا شيئاً كثيراً، فحملناه على ظهورنا، أنا وهو، وجئنا.

فقال لي: ليس في داري من يعمله، فخذ الجميع إليك ليعمل عندك.

فأخذته، وقلت له: فتعال إلي، لنجتمع عليه، ففعل.

فقعدها أنا وعيالي ننظفه، ونطبخ بعضه، ونشوي الباقي.

وإذا رجل مجتاز، يصيح، منجم، مفسر للرؤيا.

فقال لي: يا أبا الحسين، تذكر ما قلته لك، بسبب المنام الذي رأيته؟ فقلت: بلى، فقمت، وجئت بالرجل.

فقال له بويه: رأيت ليلة في منامي، كأني جالس أبول، فخرج من ذكري نار عظيمة كالعمود، ثم تشعبت يمنة ويسرة، وأماماً وخلفاً، حتى ملأت الدنيا، وانتبهت، فما تفسير هذا؟ فقال له الرجل: لا أفسره لك بأقل من ألف درهم.

قال: فسخرنا منه، وقلنا له: ويحك، نحن فقراء، نخرج نصيد سمكاً لنأكله، والله ما رأينا هذا المبلغ قط، ولا عشره، ولكننا نعطيك سمكة من أكبر هذا السمك.

فرضي بذلك، وقال له: يكون لك أولاد يفترقون في الدنيا، فيملكونها ويعظم سلطانهم فيها، على قدر ما احتوت النار التي رأيته في المنام عليه من الدنيا.

قال: فصفعنا الرجل، وقلنا: سخرت منا، وأخذت السمكة حراماً.

وقال له بويه: ويلك، أنا صياد فقير، كما ترى، وأولادي هم هؤلاء، وأومأ إلى علي بن بويه، وكان أول ما اختط عارضه، والحسن، وهو دونه، وأحمد، وهو فوق الطفل قليلاً.

ومضت السنون، وأنسيت المنام، حتى خرج بويه إلى خراسان، وخرج علي بن بويه، فبلغنا حديثه، وأنه قد ملك أرجان، ثم ملك فارس كلها.

فما شعرنا إلا بصلاته، قد جاءت إلى أهله، وشيوخ بلد الديلم، وجاءني رسوله يطلبني، فخرجت، ومشيت إليه، فهالني ملكه، وأنسيت المنام، وعاملني من الجميل والصلات بأمر عظيم.

وقال لي، وقد خلونا: يا أبا الحسين، تذكر منام أبي الذي ذكرتموه للمفسر، وصفتموه لما فسر له لكم؟

فاستدعى عشرة آلاف دينار، فدفعها إلي، وقال: هذا من ثمن تلك السمكة، خذه، فقبلت الأرض.

فقال لي: تقبل تدبري؟ فقلت: نعم.

قال: أنفذها إلى بلد الديلم، واشتر بها ضياعاً هناك، ودعني أدبر أمرك بعدها، ففعلت، وأقمت عنده مدة، ثم استأذنته في الرجوع.

فقال: أقم عندي، فإني أقودك، وأعطيك أقطاعاً بخمسمائة ألف درهم في السنة.

فقلت له: بلدي أحب إلي، فأحضر عشرة آلاف دينار أخرى، فأعطاني إياها.

وقال: لا يعلم أحد بما، فإذا حصلت في بلد الديلم، فادفن منها خمسة آلاف، استظهاراً على الزمان، وجهاز

بناتك بخمسة آلاف، ثم أعطاني عشرة دنانير، وقال: احتفظ بهذه، ولا تخرجها من يدك، فأخذتها، فإذا في

كل واحد مائة دينار وعشرة دنانير.

فودعته، وانصرفت.

قال أبو القاسم: فحفظت القصة، فلما عدت إلى معز الدولة، حدثته بالحديث، فسر به وتعجب.

بين جحظة البرمكي ومحبرة بن أبي عباد الكاتب

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: حدثني أبي، قال: أبو

الفرج الأصهباني قال: حدثني جحظة، قال: اتصلت علي إضافة أنفقت فيها كل ما أملك، حتى بقيت وليس

في داري غير البواري.

فأصبحت يوماً وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، ففكرت كيف أعمل فيه، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي

عباد الكاتب، وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنين، ولزم بيته، وحالفه النقرس، فأزمنه،

حتى صار يـ يتـمكـن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي، أو في محفة، وكان مع ذلك، على غاية الظرف،

وكبر النفس، وعظم النعمة، وأن أتطايب عليه ليدعوني، فأخذ منه ما أنفقه مدة، فكتبت إليه:

ماذا ترى في جدي ... وبرمة وبوارد

وقهوة ذات لون ... يحكي حدود الخرائد

ومسمع ليس بخطي ... من نسل يحيى وخالد

إن المضيع لهذا ... نزر المروعة بارد
فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانها إلى داري، وأنا جالس على بابي.
فقلت له: لم جئت؟ ومن دعاك؟
قال: أنت.

قلت: إنما قلت لك: ماذا ترى في هذا؟ وعنيت في بيتك، وما قلت لك إنه في بيتي، وبيتي والله أفرغ من
فؤاد أم موسى.

فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن أدخل إليك، وأستدعي من داري ما أريد.
قلت: ذاك إليك.

فدخل، فلم ير في بيتي إلا بارية.

فقال: يا أبا الحسن، هذا والله، فقر مقطع، هذا ضر مدقع، ما هذا؟ فقلت: هو ما ترى.
فأنفذ إلى داره فاستدعي فرشاً، وقماشاً، وجاء فراشه، وفرشه، وجاءوا من الصفر والشمع، وغير ذلك مما
يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه، وجاء شرابيه بالصواني، والمخروط، والفاكهة، والبخور،
وجلس يومه ذاك عندي.

فلما كان في غد، سلم إلي غلامه كيساً فيه ألفا درهم، ورزمة من فاخر الثياب، واستدعي محفته، فجلس
فيها، وشيعته هنية.

فلما بلغ آخر الصحن، قال: مكانك يا أبا الحسن، احفظ بابك، فكل ما في الدار لك.

وقال للغلمان: اخرجوا.

فأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة.

ذنب جحظة إلى الزمان

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا: علي بن الحسن، قال: حدثنا الحسين
بن محمد بن سليمان الكاتب، قال: حدثنا جحظة، قال: أنشدت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين،
قولي:

قد نادى الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر واريته ... وجامع بذرت ما يجمع
فقال لي: ذنبك إلى الزمان الكمال.

الجنون الشاعر

أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: أخبرنا
محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو علي الحسن بن صالح، قال: قال مساور الوراق: قلت لجنون

كان عندنا، وكان شاعراً، ويقال إن عقله ذهب لفقد ابنة عم كانت له.
فقلت له يوماً، أجز هذا البيت:

وما الحب إلا شعلة قدحت بما ... عيون المها باللحظ بين الجوانح
قال: فقال على المكان:

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها ... كفعل الذي جاءت به كف قاذح

المقتدر يستقضي الحسن بن عبد الله

على مدينة المنصور

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: بعد الثلاثة أيام التي تقلد فيها ابن الأشناني، مدينة المنصور، استقضى المقتدر على مدينة المنصور، الحسن بن عبد الله بن علي، في يوم الاثنين لست بقين في ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلثمائة.

وهذا رجل حسن الستر، جميل الطريقة، قريب الشبه من أبيه وجده، في باب الحكم والسداد.
فلم يزل والياً على المدينة إلى نصف رمضان سنة عشرين وثلثمائة، ثم صرفه المقتدر.
وتوفي يوم عاشوراء من سنة خمس وعشرين.

ثلاثة متقدمون لا يزاحمهم أحد

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري، قال: رأيت ثلاثة يتقدمون ثلاثة أصناف من بني جنسهم، فلا يزاحمهم أحد.

أبو عبد الله الحسين بن أحمد الموسوي، يتقدم الطالبين، فلا يزاحمه أحد.
وأبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي، يتقدم العباسيين، فلا يزاحمه أحد.
وأبو بكر الأكفاني، يتقدم الشهود، فلا يزاحمه أحد.

من شعر أبي نضلة مهلهل

بن يموت بن المزرع وأخبرنا التوخي، قال: أنشدنا أبو الحسن بن الأخباري، قال: أنشدني أبو نضلة لنفسه،
ونحن في مجلس أبي بكر الصولي:

وخرقة جاء بها شبهها ... ظلمت لا بل شبهه الخمر
فبات يسقيني على وجهه ... حتى توفي عقلي السكر

في ليلة قصرها طيبها ... بمثلها كم بخل الدهر
قال: وأنشدني أبو نضلة لنفسه:
ولما التقينا للوداع ولم يزل ... ينيل لثاماً دائماً وعناقاً
شممت نسيماً منه يستجلب الكرى ... ولو رقد المخمور فيه أفاقاً

خصومة بين قاض وشاهد انتهت بالمصالحة

١ - أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا التوخي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما كان يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ٣٢٨، خلع الراضي على أبي نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف، وقلده الحضرة بأسرها، الجانب الشرقي، والغربي، والمدينة، والكرخ، وقطعة من أعمال السواد، وخلع على أخيه أبي محمد الحسين بن عمر، لقضاء أكثر السواد. ثم صرف الراضي أبا نصر عن مدينة المنصور، بأخيه الحسين في سنة تسع وعشرين، وأقره على الجانب الشرقي.

وفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، أشهد أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي على نفسه ثلاثين شاهداً من العدول بأنه لا يشهد عند القاضي أبي نصر يوسف بن عمر ببغداد، وأخذ خطوط الشهود أنه عدل مقبول الشهادة.

وفي يوم الاثنين لثمان بقين من ذي الحجة أسجل القاضي أبو نصر، يوسف بن عمر، بأن أبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي، ساقط الشهادة، بشهادة عشرين عدلاً عليه بذلك.

٢ - في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، قلد القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله القضاء في الجانب الشرقي، وأقر القاضي أبو نصر على الجانب الشرقي. وقلد أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي، قضاء مدينة أبي جعفر.

وفي هذه السنة، جمع القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي، أبا عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي، وأبا نصر يوسف بن أبي الحسين عمر بن محمد القاضي في منزله، حتى اصطلحا، وتعاقدا على التصافي، وأخذ كل واحد منهما خط صاحبه بتركيبته، وبما تأكد من الصلح بينهما، وكانا قد خرجا إلى أقبح المباني، حتى أشهد أبو نصر، وهو والي قضاء مدينة السلام على نفسه، بإسقاط أبي عبد الله، وأنه غير موضع للشهادة، وسعى أبو عبد الله في صرفه، ومعارضته بما يكره، حتى هبأ له في ذلك ما أراد.

كلب يحرم نفسه من قوته

ويؤثر صاحبه على نفسه أخبرني علي بن محمد، قال: حدثني الحسين بن شداد، قال: ولائي القاسم، خلافة أحمد بن ميمون بنيسابور، فنزلت في بعض منازلها، فوجدت في جواره جندياً من أصحابه، يعرف بنسيم، كان برسم تنظيف كلابه.

وإذا كلب له يخرج بخروجه، ويدخل بدخوله، وإذا جلس على بابه قربه، وغطاه بدواج كان عليه. فسألت الراسي عن محل الغلام، وكيف يقنع الأمير منه، بدخول الكلب عليه، ويرضى منه بذلك، وليس بكلب صيد؟

قال أبو الوليد: سله عن حديثه، فإنه يخبرك بشأنه. فأحضرت الغلام، وسألته عن السبب الذي استحق به هذه المنزلة منه؟ فقال: هذا خلصني - بعد الله عز وجل - من أمر عظيم.

فاستبشعت هذا القول منه، وأنكرته عليه، فقال لي: اسمع حديثه فإنك تعذري. كان يصحبني رجل من أهل البصرة، يقال له محمد بن بكر، لا يفارقي، يواكلني، ويعاشرني على النبيذ وغيره منذ سنين.

فخرجنا إلى الدينور، فلما رجعنا وقربنا من منزلنا، كان في وسطي هميان فيه جملة دنانير، ومعها متاع كثير أخذته من الغنيمة، قد وقف عليه بأسره.

فنزّلنا إلى موضع، فأكلنا، وشربنا. فلما عمل الشراب، عمد إليّ، فشد يدي إلى رجلي، وأوثقني كئافاً، ورمى بي في واد، وأخذ كل ما معي، وتركني ومضى، وأيسر من الحياة.

وقعد هذا الكلب معي، ثم تركني ومضى، فما كان بأسرع من أن وافاني، ومعه رغيف، فطرحه بين يدي، فأكلته، ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معي، باقي ليلي يعوي إلى أن أصبحت، فحملتني عيناى، وفقدت الكلب.

فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف، فأكلت، وفعلت فعلي في اليوم الأول. فلما كان اليوم الثالث غاب عني، فقلت مضى يجيئني بالرغيف، فلم ألبث إلا أن جاء ومعه الرغيف، فرمى به إليّ، فلم استتم أكله، إلا وابني على رأسي ييكى.

فقال: ما تصنع هاهنا، وما هي قصتك؟ ونزل فحل كئافى، وأخرجني. فقلت له: من أين علمت بمكاني، ومن ذلك عليّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا في كل يوم، فطرح له الرغيف على رسمه، فلا يأكله. وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه، ولست أنت معه، فكان يحمل الرغيف بفيه، ولا يذوقه ويخرج يعدو، فأنكرنا أمره، فاتبعته حتى وقفت عليك. فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب، فهو عندي أعظم مقداراً من الأهل والقراة. قال: ورأيت أثر الكتاف في يده، قد أثر أثراً قبيحاً.

الأمير جعفر بن ورقاء يعاتب القاضين

أبا عمر وأبا الحسين أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثنا التوخي، قال: حدثنا محمد بن عبيد الله النصيبي، قال: إن جعفر بن ورقاء حدثهم، قال: عدت من الحج أنا وأخي، فتأخر عن قهنتي

القاضي أبو عمر وابنه أبو الحسين، فكتبت إليهما:
أأستجفي أبا عمر وأشكو ... وأستجفي فتاه أبا الحسين
بأي قضية وبأي حكم ... ألحا في قطيعة واصلين
فما جاء ولا بعثا بعذر ... ولا كانا لحقي موجبين
فإن غمسك ولا نعتب تمادى ... جفاؤهما لأخلص مخلصين
وإن تعبت فحق غير أنا ... نجل عن العتاب القاضيين
فوصلت الأبيات إلى أبي عمر، وهو على شغل، فأنفذها إلى أبي الحسين، وأمره بالجواب عنها، فكتب إلي:
تجن واطلم منتقلاً ... عن خالص الود أيها الظالم
ظننت بي جفوة عتبت لها ... فنخلت أني لحبلكم صارم
حكمت بالظن والشكوك ولا ... يحكم بالظن في الهوى حاكم
تركت حق الوداع مطرحاً ... وجت تبغي زيارة القادم
أمران لم يذهبا على فطن ... وأنت بالحكم فيهما عالم
وكل هذا مقال ذي ثقة ... وقلبه من جفائه سالم

الخليفة الراضي يبكي حزنا

على قاضي القضاة أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: توفي قاضي القضاة، يعني أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف، في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، وصلى عليه ابنه أبو نصر، ودفن إلى جانب أبي عمر في دار إلى جانب داره.
وقال أبو بكر الصولي: كان هذا القاضي قد بلغ من العلم مبلغاً عظيماً، وقرأ علي من كتب اللغة والأخبار، ما يقارب عشرة آلاف ورقة، وتوفي ابن سبع وثلثين سنة.
ووجد عليه الراضي وجداً شديداً، حتى كان يبكي بحضرتنا، وقال: كنت أضيق بالشيء ذرعاً، فيوسعه علي.
وكان يقول: لا بقيت بعده.

أبو بكر الأنباري يملئ من حفظه

أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا علي بن أبي علي البصري عن أبيه، قال:
أخبرني غير واحد من شاهد أبا بكر الأنباري، أنه كان يملئ من حفظه، لا من كتاب، وأن عادته في كل ما كتب عنه من العلم، كانت هكذا، ما أملئ قط من دفتر.

اجتمعت في أيام المتقي إسحاقيات سحقت خلافته

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال حدثني أبي، قال: قال لي أبو الحسين بن عياش: اجتمعت في أيام المتقي بالله إسحاقيات كثيرة، فانسحقت خلافة بني العباس في أيامه، وانهدمت قبة المنصور الخضراء التي كان بها فخرهم. فقلت له: ما كانت الإسحاقيات؟ قال: كان يكنى أبا إسحاق، وكان وزيره القراريطي يكنى أبا إسحاق، وكان قاضيه ابن إسحاق الخرقى، وكان محتسبه أبو إسحاق بن بطحاء، وكان صاحب شرطته أبو إسحاق بن أحمد، وكانت داره القديمة، دار إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وكانت الدار نفسها دار إسحاق بن كنداج.

الخليفة المتقي يستسقي

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا علي بن الحسن، عن أبيه، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: حدثنا أبو محمد الصلحي الكاتب، قال: نادى منادي المتقي في زمن خلافته، في الأسواق: إن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيته، إن امرأة صالحة رأت النبي صلى الله عليه وسلم في منامها، فشكت احتباس القطر، فقال لها: قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى ويستسقون، ويدعون الله، فإنه يسقيهم في يومهم، وإن أمير المؤمنين يأمركم معاشر المسلمين بالخروج، في يوم الثلاثاء كما أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نياتكم، وإقلاع عن ذنوبكم. قال: فأخبرني الجم الغفير أنهم لما سمعوا النداء، ضجت الأسواق بالبكاء والدعاء. فشق ذلك علي، وقلت: منام امرأة لا يدري كيف تأويله، وهل يصح أم لا، ينادي به خليفة في أسواق مدينة السلام؟ فإن لم يسقوا كيف يكون حالنا مع الكفار؟ فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا. وما زلت قلقاً حتى أتى يوم الثلاثاء، فقيل لي: إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسن أحمد بن الفضل بن عبد الملك، إمام الجامع، وخرج أكثر أصحاب السلطان، والفقهاء، والأشراف. فلما كان قبل الظهر، ارتفعت سحابة، ثم طبقت الآفاق، ثم أسبلت عزاليها بمطر جود. فرجع الناس حفاة من الوحل.

وتقدرون فتضحك الأقدار

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني علي بن أبي علي البصري، قال: أخبرني أبي، قال: حدثني أبو بكر عمر بن عبد الملك السقطي قال: سمعت أبا بكر بن يعقوب بن شيبه يحدث، قال: لما ولدت، دخل أبي علي أمي، فقال لها: إن المنجمين قد أخذوا مولد هذا الصبي، وحسبوه، فإذا، هو يعيش كذا وكذا، وقد حسبته أياماً، وقد عزمتم على أن أعد له لكل يوم ديناراً، مدة عمره، فإن ذلك يكفي الرجل المتوسط، له ولعياله، فأعدي له حياً فارغاً، فأعدته، وتركته في الأرض، وملاه بالدنانير.

ثم قال: أعدي حباَ آخر، أجعل فيه مثل هذا استظهاراً، ففعلت، وملاًه.
ثم استدعى حباَ آخر، وملاًه بمثل ما ملاً به كل واحد من الحيين، ودفن الجميع، فما نفعت ذلك، مع
حوادث الزمان، فقد احتجت إلى ما ترون.
قال أبو بكر السقطي: ورأيناه فقيراً يميناً بلا إزار، ونقرأ عليه الحديث، ونبره بالشيء بعد الشيء.

الأمير معز الدولة يشجع

السعي والصراع والسباحة أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال:
من أعجب الأشياء المتولدة في زمن معز الدولة، السعي، والصراع، وذلك إن معز الدولة، احتاج إلى
السعاة، ليجعلهم فيوجاً بينه وبين أخيه ركن الدولة، إلى الري، فيقطعون تلك المسافة البعيدة، في المدة
القريبة، وأعطى على جودة السعي الرغائب.

فحرص أحداث بغداد وضعفاؤهم على ذلك، حتى أنهمكوا فيه، وأسلموا أولادهم إليه.
فنشأ ركابيان لمعز الدولة، يعرف أحدهما بمرعوش، والآخر بفضل، يسعى كل واحد منهما، نيفاً وثلاثين
فرسخاً في يوم، من طلوع الشمس إلى غروبها، يترددون ما بين عكبرا وبغداد.
وقد رتب على كل فرسخ من الطريق، قوماً يحضون عليهم، فصاروا أئمة السعاة ببغداد، وانتسب السعاة
إليهم، وتعصب الناس لهم.

واشتهى معز الدولة الصراع، فكان يعمل بمحضته حلقة في ميدانه، ويقم شجرة يابسة تنصب في الحال،
ويجعل عليها الثياب الديباج، والعتابي، والمروزي، وتحتها أكياس فيها دراهم، ويجمع على سور الميدان
المخانيث بالطبول والزمور، وعلى باب الميدان الدباب، ويؤذن للعامة في دخول الميدان، فمن غلب، أخذ
الثياب والشجرة والدرهم.
ثم دخل في ذلك أحداث بغداد، فصار في كل موضع صراع، فإذا برع أحدهم، صار بحضرة معز الدولة،
فإن غلب، أجريت عليه الجرايات، فكم من عين ذهبت بلطمة، وكم من رجل اندقت.
وشغف بعض أصحاب معز الدولة بالسباحة، فتعاطاها أهل بغداد، حتى أحدثوا فيها الطرائف.
فكان الشاب يسبح قائماً، وعلى يده كانون فوقه حطب يشتعل تحت قدر، إلى أن تنضج، ثم يأكل منها، إلى
أن يصل إلى دار السلطان.

فرار الناس من بغداد لما دخلها الديلم

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو الحسن أحمد
بن يوسف، قال: لما دخل الديلم من الجانب الغربي، إلى الجانب الشرقي، وخاف الناس السيف، هربوا على
وجوههم، وكانت العذراء، والمخبة المترفة من ذوات النعم، والصبية، والأطفال، والعجائز، وسائر الناس،
يخرجون على وجوههم، يتعادون يريدون الصحراء، وكان ذلك اليوم حاراً، فلا يطيقون المشي.

قال أبو محمد الصلحي: انهزمنا يومئذ مع ناصر الدولة، نريد الموصل، من بين يدي معز الدولة، وقد عبر من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي، فرأيت ما لا أحصي من أهل بغداد، قد تلقوا بالحر والعطش، ونحن نركض هاربين، فما شبهته إلا بيوم القيامة.

قال: فأخبرني جماعة: أنهم شاهدوا امرأة لم ير مثلها في حسن الثياب والحلي، وهي تصيح: أنا ابنة فلان، ومعني جوهر وحلي بألف دينار، رحم الله من أخذه مني وسقاني شربة ماء، فما يلتفت إليها أحد، حتى خرت ميتة، وبقيت متكشفة، والثياب عليها والحلي، وما يعرض له أحد.

الوزير علي بن عيسى يقول

ليتني تمنيت المغفرة أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن الحسن التنوخي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن داسه، قالوا: حدثنا أبو سهل بن زياد القطان، صاحب علي بن عيسى، قال: كنت مع علي بن عيسى، لما نفى إلى مكة، فلما دخلناها، دخلنا في حر شديد، وقد كدنا نتلف.

فطاف علي بن عيسى، وسعى، وجاء فألقى نفسه، وهو كالميت من الحر والتعب، وقلق قلقاً شديداً. وقال: أشتهي على الله شربة ماء مثلوج.

فقلت له: يا سيدي تعلم أن هذا مما لا يوجد بهذا المكان.

فقال: هو كما قلت، ولكن نفسي ضاقت عن ستر هذا القول، فاستروحت إلى المني.

قال: وخرجت من عنده، ورجعت إلى المسجد الحرام، فما استقررت فيه، حتى نشأت سحابة، فبرقت، ورعدت، وجاءت بمطر يسير، وبرد كثير.

فبادرت إلى الغلمان، فقلت: اجمعوا.

فجمعنا منه شيئاً عظيماً، وملأنا جراراً كثيرة، وجمع أهل مكة منه شيئاً عظيماً.

وكان علي بن عيسى صائماً، فلما كان وقت المغرب، خرج إلى المسجد الحرام ليصلي المغرب.

فقلت له: أنت والله مقبل، والنكبة زائلة، وهذه علامات الإقبال، فاشرب الثلج كما طلبت.

وجئته بأقداح مملوغة من أصناف الأسوقة والأشربة، مكبوسة بالبرد.

فأقبل يسقي ذلك من قرب منه، من الصوفية، والجاورين، والضعفاء، ويستريد، ونحن نأتيه بما عندنا، وأقول له: اشرب، فيقول: حتى يشرب الناس.

فخبأت مقدار خمسة أرتال، وقلت له: إنه لم يبق شيء.

فقال: الحمد لله، ليتني كنت تمنيت المغفرة، فلعلي كنت أجاب.

فلما دخل البيت لم أزل أداريه حتى شرب منه، وتقوت ليلته بباقيه.

الزاهدة ابنة أبي الحسن المكي

أنبأنا محمد بن أبي طاهر الزاز، قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، عن أبيه، قال: حدثني عبيد الله بن أحمد بن بكير، قال: كان لأبي الحسن المكي، ابنة مقيمة بمكة، أشد ورعاً منه، وكانت لا تقنات إلا ثلاثين درهماً ينفذها إليها أبوها في كل سنة، مما يستفضله من ثمن الخوص الذي يسفه ويبيعه. فأخبرني ابن الرواس التمار، وكان جاره، قال: جنته، أودعه للحج، وأستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لي.

فسلم لي قرطاساً، وقال: تسأل بمكة في الموضع الفلاني عن فلانة، وتسلم هذا إليها. فعلمت أنها ابنته، فأخذت القرطاس، وجئت، فسألت عنها، فوجدتها بالعبادة والزهد، أشد اشتهاً من أن تخفى.

فطمعت نفسي في أن يصل إليها من مالي شيء يكون لي ثوابه، وعلمت أنني إن دفعت إليها ذلك لم تأخذه، ففتحت القرطاس، وجعلت الثلاثين درهماً، خمسين درهماً، ورددته كما كان، وسلمته إليها. فقالت: أي شيء خبر أبي؟ فقلت: على السلامة.

فقالت: قد خالط أهل الدنيا، وترك الانقطاع إلى الله؟ فقلت: لا.

قالت: أسالك بالله، وبمن حججت له، عن شيء فتصدقني؟ قلت: نعم، فقالت: خلطت في هذه الدراهم شيئاً من عندك؟ فقلت: نعم، فمن أين علمت هذا؟ فقالت: ما كان أبي يزيدني على الثلاثين شيئاً، لأن حاله لا تحتمل أكثر منها، إلا أن يكون ترك العبادة، فلو أخبرتني بذلك، ما أخذت منه أيضاً شيئاً. ثم قالت لي: خذ الجميع فقد عققنتي، من حيث قدرت أنك بررتني، ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو، شيئاً.

فقلت: خذي منها ثلاثين، كما أنفذ إليك أبوك، وردي الباقي.

فقالت: لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها، ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته، فلا آخذ منها شيئاً، وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل، لأن هذه كانت قوتي طول السنة، فقد أجمعني، ولولا أنك ما قصدت أذاي، لدعوت عليك.

قال: فاعتممت، وعدت إلى البصرة، وجئت إلى أبي الحسن، فأخبرته، واعتذرت إليه.

فقال: لا آخذها وقد اختلطت بغير مالي، وقد عققنتي وإياها.

قال: فقلت ما أعمل بالدراهم؟ قال: لا أدري.

فما زلت مدة أعتنر إليه، وأسأله ما أعمل بالدراهم.

فقال لي بعد مدة: صدق بها.

ففعلت.

أبو عمر غلام ثعلب من الرواة

الذين لم ير أحفظ منهم أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن أبي علي، عن أبيه، قال: من الرواة الذين لم ير أحفظ منهم، أبو عمر غلام ثعلب، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة، لغة، فيما بلغني.

وجميع كتبه التي في أيدي الناس، إنما أملاها بغير تصنيف، ولسعة حفظه اقم بالكذب. وكان يسأل عن الشيء الذي يقدر السائل أنه قد وضعه، فيجيب عنه، ثم يسأله غيره بعد سنة، على مواطاة، فيجيب بذلك الجواب بعينه. أخبرنا بعض أهل بغداد، قال: كنا نجتاز على قطرة الصراة، نمضي إليه، مع جماعة، فتذاكروا كذبه، فقال بعضهم: أنا أصحف له القنطرة، وأسأله عنها. فلما صرنا بين يديه، قال له: أيها الشيخ ما الهرنطق عند العرب؟ فقال: كذا، وذكر شيئاً قد أنسيته أنا. قال: فتصاحكنا، وأتممنا المجلس، وانصرفنا. فلما كان بعد أشهر، ذكرنا الحديث، فوضعنا رجلاً غير ذلك، فسأله، وقال: ما الهرنطق؟ فقال: أليس قد سئلت عن هذه المسألة منذ كذا وكذا شهراً، فقلت هي كذا؟ قال: فما درينا من أي الأمرين نعجب، من ذكائه، وإن كان علماً فهو اتساع ظريف، وإن كان كذباً في الحال، ثم قد حفظه، فلما سئل عنه ذكر الوقت والمسألة، فأجاب بذلك الجواب، فهو أظرف. قال أبي: وكان معز الدولة، قد قلد شرطة بغداد، مملوكاً تركياً يعرف بخوجا. فبلغ أبا عمر الخبر، وكان يملئ الياقوتة، فلما جاءوه، قال: اكتبوا ياقوتة خوجا، الخواج في اللغة الجوع، ثم فرغ على هذا باباً، فأملاه، فاسعظم الناس ذلك، وتتبعوه. فقال أبو علي الحاتمي: أخرجنا في أمالي الخامض، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، الخواج: الجوع.

كلب يحمي صاحبه من أراد أن يخنقه

أخبرني بعض الشيوخ من أهل الجبل، قال: كنت أنا مع جماعة خارجين إلى أصبهان، فلما صرنا إلى بعض الطريق، مررنا بخان قديم خراب، ليس فيه أحد، وإذا صوت كلب ينبح، وإذا حركة شديدة. فدخلنا بأجمعنا الخان، فإذا نحن برجل من أصحابنا نعرفه، من الفيوج، كان معه كلب لا يفارقه حيث كان، وإذا بعض المبنجين قد وقع عليه، وكان الفيج فطناً، فلما رأى أن حيلته ليست تنفذ له عليه، طرح في عنقه وتراً ليخنقه به. فلما رأى الكلب ذلك، ثار إلى المبنج، فخمش وجهه، وعض قفاه، وطرح منه قطعة لحم، فسقط المبنج مغشياً عليه. فخلصنا من عنق صاحبنا الوتر، وكان قد أشرف على التلف، وقبضنا على المبنج، فكتفناه بوتره، ودفعناه إلى السلطان.

لص يموت على النقب الذي نقبه

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البراز عن أبي القاسم علي بن الحسن، عن أبيه قال: أخبرني أبو الفرج الأصبهاني: أن لصاً نقب ببغداد في زمن الطاعون الذي كان في سنة ست وأربعين وثلاثمائة، فمات مكانه وهو على

النقب.

وأن إسماعيل القاضي، لبس سواده، ليخرج إلى الجامع، فيحكم، ولبس أحد خفيه، وجاء ليلبس الآخر، فمات.

لا آمرك، ولكني شفيح

أخبرنا القاضيان، أبو الحسين أحمد بن علي التنوخي، وأبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، قالوا: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا الحسن بن مكرم بن حسان، قال: حدثنا علي بن عاصم، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أعتقت بريرة، وكان زوجها حبشياً، خيرت، فاخترت فراقه، فكان يطوف حولها، ودموعه تسيل على خديه حباً لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعمه العباس: أما ترى شدة حبه لها، وشدة بغضها له؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: لو تزوجته.

قالت: إن أمرتني.

قال: لا آمرك، ولكني شفيح.

فلم تفعل.

القاضي أبو جعفر بن البهلول

يلي قضاء مدينة المنصور عشرين سنة

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن الحسن التنوخي، قال: أخبرنا طلحة بن جعفر الشاهد قال: لم يزل أحمد بن إسحاق بن البهلول على قضاء المدينة - يعني مدينة المنصور - من سنة ست وتسعين ومائتين إلى ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلثمائة. وكان ربما اعتل، فيخلفه ابنه أبو طالب محمد، وهو رجل جميل الأمر، حسن المذهب، شديد التصون، ومن كتب العلم، وحدث بعد أبيه بسنين.

أبو بكر الآدمي واجتماع الناس

عليه عندما يقرأ القرآن

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأسدي، قال: سمعت أبي يقول: حججت في بعض السنين، وحج في تلك السنة، أبو القاسم البغوي وأبو بكر الآدمي، القاريء. فلما صرنا بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، جاءني أبو القاسم البغوي، فقال لي: يا أبا بكر، هاهنا رجل

ضريير، قد جمع حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقعد يقص، ويروي الكذب من الأحاديث الموضوعة، والأخبار المفتعلة، فإن رأيت أن تمضي بنا إليه، لننكر عليه ونمنعه.

فقلت له: يا أبا القاسم إن كلامنا لا يؤثر مع هذا الجمع الغفير، والخلق العظيم، ولسنا ببغداد، فيعرف لنا موضوعنا، ولكن هاهنا، أمر آخر، هو الصواب.

فأقبلت على أبي بكر الآدمي، وقلت له: استعد، واقرأ.

فما هو إلا أن ابتدأ بالقراءة، حتى انحفلت الحلقة، وانفض الناس جميعاً، فأحاطوا بنا يستمعون قراءة أبي بكر، وتركوا الضريير وحده.

فسمعتة يقول لقائده: خذ بيدي، هكذا ترول النعم.

أبو بكر الآدمي يقرأ القرآن

في بغداد فتسمع قراءته في كلواذى

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن الحسن قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد، قال: حدثني درة الصوفي، قال: كنت بائناً بكلواذى، على سطح عال، فلما هدا الليل، قمت لأصلي، فسمعت صوتاً ضعيفاً يجيء من بعد، فأصغيت إليه، وتأملته، فإذا هو صوت أبي بكر الآدمي القاريء، فقدوته منحدرًا في دجلة، وأصغيت، فلم أجد الصوت يقرب، ولا يزيد، وظل على ذلك ساعة، ثم انقطع.

فتشككت في الأمر، وصليت، ونمت، وبكرت، فدخلت بغداد على ساعتين من النهار، أو أقل.

وكنت مجتازاً في السماوية، فإذا بأبي بكر الآدمي ينزل إلى الشط من دار أبي عبد الله الموسوي التي تقرب من فرضة جعفر على دجلة.

فصعدت إليه، وسألته عن خبره، فأخبرني بسلامته.

وقلت: أين كنت البارحة؟ فقال: في هذه الدار.

فقلت: قرأت؟ قال: نعم.

قلت: أي وقت؟ قال: بعد نصف الليل إلى قريب من الثلث الآخر.

قال: فنظرت، فإذا هو الوقت الذي سمعت فيه صوته بكلواذى.

فعجبت من ذلك عجباً شديداً، بان له في، فقال: ما لك؟ فقلت: إني سمعت صوتك البارحة، وأنا على سطح بكلواذى، وتشككت، فلولا أنك أخبرتني الساعة على غير اتفاق، ما صدقته.

قال: فاحكها عني.

فأنا أحكيها دائماً.

أبو جعفر بن برية يرى أبا بكر الآدمي في النوم

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: حدثني علي بن أبي علي المعدل، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي موسى القاضي، وأبو إسحاق الطبري، وغيرهما، قالوا سمعنا أبا جعفر عبد الله بن إسماعيل بن بركة، يقول: رأيت أبا بكر الآدمي في النوم بعد موته بمديدة، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال لي: أوقفني بين يديه، وقاسيت شدائد وأموراً صعبة.

فقلت له: فتلك الليالي والمواقف والقرآن؟ فقال: ما كان شيء أضر علي منها، لأنها كانت للدنيا. فقلت له: فإلى أي شيء انتهى أمرك؟ قال: قال لي تعالى، آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين.

بين الأول والثاني مائة سنة

وهما في القعدد إلى المنصور سواء

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن أبي علي، قال: سمعت القاضي أبا بكر بن أبي موسى الهاشمي، وأبا إسحاق الطبري، ومن لا أحصي من شيوخنا، يحكمون: أنهم سمعوا أبا جعفر المعروف بابن بركة الإمام، يقول: رقى هذا المنبر - يعني منبر مسجد جامع المدينة - الواصل في سنة ثلاثين ومائتين، ورقيت هذا المنبر في سنة ثلاثين وثلاثمائة وبين الرقيتين مائة سنة، وأنا وهو في القعدد إلى المنصور سواء، هو الواصل ابن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، وأنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور.

إن الله لا يعذب من جاوز الثمانين

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الذهبي المعروف بابن القطان، قال: رأيت أبا السائب عتبة بن عبيد الله قاضي القضاة بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك، مع تخليطك؟ - بهذا اللفظ - . قال: غفر لي.

فقلت: فكيف ذاك؟ فقال: إن الله تعالى عرض علي أفعالي القبيحة، ثم أمر بي إلى الجنة، وقال: لولا أني آليت على نفسي أن لا أعذب من جاوز الثمانين، لعذبتك، ولكني قد غفرت لك، وعفوت عنك، اذهبوا به إلى الجنة.

فأدخلتها.

شقيقان ملتزقان من جانب واحد

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد، وأبو عمر أحمد بن محمد الخلال، قالوا: حدثنا جماعة كثيرة العدد من أهل الموصل وغيرهم، ممن

كنا نتق بهم، ويقع لنا العلم بصحة ما حدثوا به، لكثرتهم، وظهوره، وتواتره، أنهم شاهدوا بالموصل، سنة
نيف وأربعين وثلثمائة، رجلين أنفذهما صاحب أرمينية إلى ناصر الدولة، للأعجوبة فيهما.
وكان لهما نحو من ثلاثين سنة، وهما ملتزقان من جانب واحد، ومن حد فويق الحقو إلى دوين الإبط، وكان
معهما أبوهما، فذكر لهم أنهما ولدا كذلك.
وكنا نراهما يلبسان قميصين، وسراويلين، كل واحد منهما لباسه مفرد، إلا أنه لم يكن يمكنهما - لالتزاق
كتفيهما، وأيديهما - المشي، لضيق ذلك عليهما، فجعل كل واحد منهما يده التي تلي أخاه، من جانب
الالتزاق خلف ظهر أخيه، ويمشيان كذلك، وأنهما كانا يركبان دابة واحدة، ولا يمكن أحدهما التصرف، إلا
إذا تصرف الآخر معه، وإذا أراد أحدهما الغائط، قام الآخر معه، وإن لم يكن محتاجاً.
وإن أباهما حدثهم، أنه لما ولدا، أراد أن يفرق بينهما، ففعل له إثمهما يتلفان، لأن التزاقهما من جانب
الخاصة، وإنه لا يجوز أن يفصلا، فتركهما، وكانا مسلمين.
فأجازهما ناصر الدولة، وخلع عليهما.
وكان الناس بالموصل يصيرون إليهما، فيتعجبون منهما، ويهيون لهما.
قال أبو محمد: وأخبرني جماعة: أنهما خرجا إلى بلدهما، فاعتل أحدهما ومات، وبقي أياماً حتى أنتن، وأخوه
حي، لا يمكنه التصرف، ولا يمكن الأب، دفن الميت، إلى أن لحقت الحي، علة من الغم والرائحة، فمات
أيضاً، فدفنا جميعاً.
وكان ناصر الدولة قد جمع لهما الأطباء، وقال: هل من حيلة في الفصل بينهما؟ فسألهم الأطباء عن الجوع،
هل تجرعان في وقت واحد.
فقال: إذا جاع الواحد منا تبعه جوع الآخر بشيء يسير من الزمان، وإن شرب أحدهما دواء مسهلاً، انحل
طبع الآخر بعد ساعة، وقد يلحق أحدهما الغائط، ولا يلحق الآخر، ثم يلحقه بعد ساعة.
فنظروا فإذا لهما جوف واحد، وسرة واحدة، ومعدة واحدة، وكبد واحد، وطحال واحد، وليس في موضع
الالتصاق، أضلاع، فعلموا أنهما إن فصلا تلفا.
ووجدوا لهما ذكرين، وأربع بيضات.
وكان ربما وقع بينهما خلاف وتشاجر، فتنحاصما أعظم خصومة، حتى ربما حلف أحدهما لا كلم الآخر،
أياماً، ثم يصطلحان.

القاضي عمر بن أكنم جلس يقضي

في الموضع الذي جلس فيه جد أبيه قبل مائة عام أخبرنا علي بن الحسن، أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر،
قال: لما فتح المطيع لله، والأمير معز الدولة أحمد بن بويه، البصرة، في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين
وثلاثمائة، خرج القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله، إلى البصرة، مهتأ لهما، وكان يكتب له على الحكم،
أبو بشر عمر بن أكنم بن أحمد بن حبان بن بشر الأسدي.

وحبان رجل من جلة المسلمين، تقلد القضاء في نواحي كثيرة، وتقلد أصبهان، ثم قلد الشرقية. وأبو بشر رجل من سروات الرجال، نشأ نشوءاً حسناً، على حال صيانة تامة، ومعرفة ثاقبة، فقبل الحكام شهادته، ثم كتب للقضاة.

فاستخلفه القاضي أبو السائب، عند خروجه، على الجانب الشرقي، ثم جمع البلد لأبي السائب، وهو بالبصرة مع المطيع، فكتب بذلك إلى الحضرة واستخلفه على بغداد بأسرها. فتجمل القضاء بموضعه، وأجرى الأمور مجاريها، وأصدرها مصادرها، وواصل الجلوس، ولم يحتجب عن الخصوم، وأجهد نفسه في الصبر على كبار الأمور، غير برم، ولا ضجر، فظهر منه خشونة، فأنحسم عنه الطمع، واعتقد أهل الأقدار مودته، وبنوا في الناس شكره وذكره. ثم أصعد القاضي أبو السائب إلى الحضرة، ونظر في الأمور بنفسه، وعاد أبو بشر إلى كتابته. قال طلحة: نظرت في التاريخ، فإذا القاضي أبو بشر عمر بن أكتم بن أحمد بن حبان قد جلس في الشرقية، في الموضع الذي جلس فيه، حبان بن بشر، جد أبيه، قبل مائة سنة. قلت: لم يزل عمر بن أكتم على كتابة أبي السائب، إلى أن مات أبو السائب، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة خمسين وثلثمائة، فأقر عمر بن أكتم على خلافته، إلى أن قلد قضاء القضاة أبو العباس بن أبي الشوارب في شعبان من هذه السنة، ثم عزل في سنة اثنتين وخمسين، وقلد أبو بشر، قضاء القضاة، في رجب من سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، فلم يزل يتولاه إلى أن صرف عنه، في شعبان في سنة ست وخمسين، ولازم منزله إلى أن توفي. فكانت مدة تقلده قضاء القضاة، إلى أن صرف عنه، أربع سنين وأياماً. ذكر لي ذلك التوخي.

الشاعر المتبي لا يفصح عن نسبه

قال الحسن: سألت المتبي عن نسبه، فما اعترف لي به، وقال: أنا رجل أخطب القبائل، وأطوي البوادي وحدي، ومتى انتسبت، لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها. وما دمت غير منتسب إلى أحد، فأنا أسلم على جميعهم.

المتبي يحفظ كتاباً

من ثلاثين ورقة قرأه مرة واحدة أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي قال: كان المتبي، وهو صبي، ينزل في جوارى بالكوفة، وكان أبوه يعرف بعبدان السقاء، يستقي لنا ولأهل الحلة. ونشأ هو محباً للعلم والأدب، وصحب الأعراب، فجاءنا بعد سنين بدويّاً قحاً، وكان تعلم الكتابة والقراءة،

وأكثر من ملازمة الوراقين.

فأخبرني وراق كان يجلس إليه، قال لي: ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان.
قلت له: كيف؟ قال: كان اليوم عندي، وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي، نحو ثلاثين ورقة،
ليبيعه، فأخذ ينظر إليه طويلاً.
فقال له الرجل: يا هذا أريد بيعه، وقد قطعني عن ذلك، وإن كنت تريد حفظه، فهذا إن شاء الله يكون بعد
شهر.

فقال له: فإن كنت قد حفظته في هذه المدة، ما لي عليك؟ قال: أهب لك الكتاب.
قال: فأخذت الدفتر من يده، فأقبل يتلوه علي إلى آخره، ثم استلمه، فجعله في كفه.
فقام صاحبه وتعلق به، وطالبه بالثمن.
فقال: ما إلى ذلك سبيل قد وهبته لي.
فمنعناه منه، وقلنا له: أنت شرطت على نفسك هذا للغلام.
فتركه عليه.

المتنبى وادعائه النبوة

قال الحسن: اجتمعت بعد موت المتنبى بسنين، مع القاضي أبي الحسن بن أم شيبان الهاشمي، وجرى ذكر
المتنبى، فقال:

كنت أعرف أباه بالكوفة، شيخاً يسمى عبدان، يستقي على بعير له، وكان جعفياً صحيح النسب.
قال: وكان المتنبى لما خرج إلى كلب، فأقام فيهم، ادعى أنه علوي حسني، ثم ادعى بعد ذلك النبوة، ثم عاد
يدعي أنه علوي، إلى أن شهد عليه بالشام، بالكذب في الدعوتين، وحبس دهرًا طويلاً، وأشرف على القتل،
ثم استتيب، وأشهد عليه بالتوبة، وأطلق.

كيف قتل المتنبى

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الحافظ، قال: حدثني علي بن أيوب، قال:
خرج المتنبى من بغداد إلى فارس، فمدح عضد الدولة، وأقام عنده مديدة، ثم رجع من شيراز يريد بغداد،
فقتل بالطريق بالقرب من النعمانية، في شهر رمضان، وقيل في شعبان، من سنة أربع وخمسين وثلثمائة، وفي
سبب قتله ثلاثة أقوال: أحدها: إنه كان معه مال كثير، فقتله العرب لأخذ ماله، فذكر بعض العلماء، إنه
وصل إليه من عضد الدولة، أكثر من مائتي ألف درهم، بقصيدته التي قال فيها:
ولو أني استطعت حفظت طرفي ... فلم أبصر به حتى أراكا
وفي آخرها:

وأني شئت يا طريقي فكوني ... أذاة أو نجاحاً أو هلاكاً

فجعل قافية البيت " الهلاك " فهلك.

وذلك أنه ارتحل عن شيراز، بحسن حال، وكثرة مال، ولم يستصحب خفيراً، فخرج عليه أعراب، فحاربهم، فقتل هو، وابنه محسد، وبعض غلمانه، وفاز الأعراب بأمواله، وكان قتله، بشط دجلة، في موضع يعرف بالصافية، يوم الأربعاء لثلاث بقين من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة.

واسم قاتله: فاتك بن أبي جهل الأسدي.

والقول الثاني: إن سبب قتله، كلمة قالها عن عضد الدولة، فلس عليه من قتله.

وذكر مظفر بن علي الكاتب، قال: اجتمعت برجل من بني ضبة، يكنى أبا رشيد، فذكر أنه حضر قتل المتنبي، وكان صبياً، حين راهق حينئذ.

وكان المتنبي قد وفد على عضد الدولة، وهو بشيراز، ثم صحبه إلى الأهواز، فأكرمه ووصله بثلاثة آلاف دينار، وثلاث كسي، في كل كسوة سبع قطع، وثلاثة أفراس، بسروج محلاة، ثم دس عليه من سألته: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ابن حمدان؟ فقال المتنبي: هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف، وكان سيف الدولة يعطي طبعاً.

فاغتاظ عضد الدولة، لما نقل إليه هذا، وأذن لقوم من بني ضبة، في قتله، إذا انصرف.

قال: فمضيت مع أبي، وكنا في ستين راكباً، فكنّا في واد، فمر في الليل، ولم نعلم به، فلما أصبحنا، تبعنا أثره، فلحقناه، وقد نزل تحت شجرة كمثرى، وعندها عين، وبين يديه سفرة طعام. فلما رأنا قام، ونادى: هلموا وجوه العرب، فلم يجبه أحد، فأحس بالدهية، فركب ومعه ولده، وخمسة عشر غلاماً له، وجمعوا الرحال، والجمال، والبغال، فلو ثبت مع الرجالة لم نقدر عليه، ولكنه برز إلينا يطارداً.

قال: فقتل ولده، وأحد غلمانه، وانهمز يسيراً، فقال له غلام له: أين قولك؟ :

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فقال له: قتلتني، قتلك الله، والله، لا انهزمت اليوم، ثم رجع كاراً علينا، فطعن زعيمنا في عنقه، فقتله، واختلفت عليه الرماح، فقتل.

فرجعنا إلى الغنائم، وكنت جائعاً، فلم يكن لي هم إلا السفرة، فأخذت آكل منها.

فجاء أبي، فضربني بالسوط، وقال: الناس في الغنائم، وأنت مع بطنك؟ اكفأ ما في الصحاف، وأعطنيها، فكفأت ما فيها، ودفعتها إليه، وكانت فضة، ورميت الفراخ والدجاج في حجري.

والقول الثالث: إن المتنبي هجا ضبة الأسدي، فقال:

ما أنصف القوم ضبة ... وأمه الطرطبة

فبلغته، فأقام له في الطريق من قتله، وقتل ولده، وأخذ ما معه، وكان ضبة يقطع الطريق.

بحث في آل الكرخي

حدث أبو علي الحسن قال: القاسم بن علي بن محمد الكرخي، وأخوه أبو أحمد، وابناه جعفر ومحمد، تقلدوا الدنيا.

لأن القاسم تقلد كور الأهواز، وتقلد مصر والشام، وتقلد ديار ربيعة. وتقلد ابنه جعفر كور الأهواز، وتقلد فارس وكرمان وتقلد الثغور، وأشياء أخرى. وتقلد أبو جعفر محمد بن القاسم الجبل، وديوان السواد، دفعات، وقطعة من المشرق كبيرة، وتقلد البصرة والأهواز مجموعة، ثم تقلد عدة دواوين كبار جلييلة بالحضرة، ثم تقلد الوزارة للراضي، ثم الوزارة للمتقي. وإذا أضيف إليهم من تقلد من وجوه أهلهم وكبارهم، لم يخل بلد جليل، من أن يكون واحد منهم تقلده. وإنما سموا الكرخيين، لأن أصلهم من ناحية الرستاق الأعلى بالبصرة من عراض المفتح تعرف بالكرخ باقية إلى الآن، إلا أنها كاخراب، لشدة اختلالها. وقد تقلد البصرة غير واحد منهم، وقطعاً من الأهواز، تقلد البصرة أبو أحمد أخو القاسم الكرخي، وتقلد مصر أيضاً.

وتقلد قطعة من الأهواز، في أيام السلطان، أبو جعفر الكرخي المعروف بالجرو، وهذا الرجل مشهور بالجلالة فيهم قديماً، وكان مقيماً بالبصرة، وشاهدته أنا، وهو شيخ كبير، وقد اختلت حاله، فصار يلي الأعمال الصغار، من قبل عمال البصرة. وكان أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي، لما ملك البصرة، صادره على مال أفقره، وسم يديه في حائط، وهو قائم على كرسي، فلما سمرت يدها بالمسامير في الحائط، نحي الكرسي من تحته، وسلت أظافيره، وضرب لحمه بالقصب الفارسي، ولم يمت، ولا زمن، ورأيت بعد ذلك بسنين صحيحاً. ولا عيب فيهم، إلا ما كانوا يرمون به من الغلو، فإن القاسم وولديه، استفاض عنهم، أنهم كانوا خمسة، يعتقدون أن علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، ومحمد صلوات الله عليه، خمسة أشباح أنوار قديمة، لم تزل، ولا تزال، إلى غير ذلك من أقوال هذه النحلة، وهي مقالة مشهورة. وكان القاسم ابنه، من أسمح من رأينا في الطعام، وأشدهم حرصاً على المكارم، وقضاء الحاجات. وكان لأبي جعفر، محمد بن القاسم، على ما بلغني، في غير عمل تقلده وخرج إليه، ستمائة دابة وبغل، ونيف وأربعون طباًخاً. ثم آلت حاله في آخر عمره إلى الفقر الشديد، ومات بعد سنة ٣٤٠ في منزله ببغداد.

ما شاهدنا أحفظ من أبي بكر الجعابي

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن أبي علي، عن أبيه، قال: ما شاهدنا أحفظ من أبي بكر الجعابي، وسمعت من يقول: إنه يحفظ مائتي ألف حديث، ويجب في مثلها، إلا أنه كان يفضل الحفاظ، بأنه كان يسوق المتون بألفاظها، وأكثر الحفاظ يتسمعون في ذلك، وكان يزيد عليهم بحفظ المقطوع، والمرسل، والحكايات، ولعله يحفظ من هذا، قريباً مما يحفظ من الحديث المسند.

وكان إماماً في المعرفة بعلل الحديث، وثقات الرجال، ومعتلهم، وضعفائهم، وأساميهم، وأنسابهم، وكناهم، ومواليدهم، وأوقات وفاتهم، ومذاهبهم، وما يطعن به على كل واحد، وما يوصف به من السداد. وكان في آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه، حتى لم يبق في زمانه من يتقدمه فيه في الدنيا.

من شعر أبي نصر القاضي

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثني التوخي، قال: أنشدني أبو الحسن أحمد بن علي البتي، قال: أنشدني أبو نصر يوسف بن عمر القاضي لنفسه:

يا محنة الله كفي ... إن لم تكفي فخفي
ما آن أن ترحمينا ... من طول هذا التشفي
ذهبت أطلب بخي ... فقبل لي قد توفي
ثور ينال الشريا ... وعالم متخفي
الحمد لله شكراً ... على نقاوة حربي

من شعر الزاهي

أنشدنا التوخي، قال: أنشدنا محمد بن عبيد الله بن حمدان الكاتب النصيبي، قال: أنشدني علي بن إسحاق بن خلف، الزاهي البغدادي القطان، لنفسه، وكان دكانه في قطع الربيع:

قم هني عاشقين ... أصبحا مصطلحين
جمعا بعد فراق ... فجعا منه وبين
ثم عادا في سرور ... من صدور آمين
فهما روح ولكن ... ركبت في جسدين
قال لي التوخي: مات الزاهي بعد سنة ستين وثلثمائة.

من شعر أبي فراس الحمداني

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالوا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أنشدنا القاضي علي بن الحسن التوخي، قال أنشدنا أبو الفرج بن البغاء، قال: أنشدنا أبو فراس، وكتب بها إلى غلامين له، وهو مأسور:

هل تحسان لي رفيقاً رفيقاً ... يحفظ الود أو صديقاً صديقاً
لا رعى الله يا حبيبي دهرأ ... فرقنا صروفه تفريقاً
كنت مولاكما وما كنت إلا ... والدأ محسناً وعمأ شقيقاً

بت أبكيكما وإن عجيباً ... أن بيت الأسير يبكي الطليقا
فاذكراني وكيف لا تذكراني ... كل ما استخون الصديق الصديقا

عضد الدولة ينفق عشرة ملايين

درهم على بناء دار وإنشاء بستان

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن، قال: سمعت أبي يقول.

ماشيت الملك عضد الدولة في دار المملكة بالمخرم، التي كانت دار سبكتكين حاجب معز الدولة من قبل، وهو يتأمل ما عمل، وهدم منها، وقد كان أراد أن يزيد في الميدان السبكتكيني أذرعاً ليحمله بستاناً، ويرد بدل التراب رملاً، ويطرح التراب تحت الروشن على دجلة، وقد ابتاع دوراً كثيرة، كباراً وصغاراً، ونقضها، ورمى حيطانها بالقبيلة، تخفيفاً للمؤونة، وأضاف عرصاتها إلى الميدان، وكانت مثل الميدان دفعيتين، وبنى على الجميع مسناة.

فقال لي في هذا اليوم، وقد شاهد ما شاهد: تدري أيها القاضي، كم أنفق على ما قلع من التراب إلى هذه الغاية، وبناء هذه المسناة، مع ثمن ما ابتيع من الدور واستضيف؟ قلت: أظنه شيئاً كثيراً.

فقال لي: هو إلى وقتنا هذا، تسعمائة ألف درهم صحاحاً، ويحتاج إلى مثلها دفعة أو دفعيتين، حتى يتكامل قلع التراب، ويحصل موضعه الرمل موازياً لوجه البستان.

فلما فرغ من ذلك، وصار البستان أرضاً بيضاء لا شيء فيها من غرس ولا نبات، قال: قد أنفق على هذا، حتى صار كذا، أكثر من ألفي ألف درهم.

ثم فكر في أن يجعل شرب البستان، من دوايب ينصبها على دجلة، فأعلم أن الدوايب لا تكفي، فأخرج المهندسين إلى الأنهار التي في ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام، ليستخرجوا منها نهراً يسيح ماؤه إلى داره، فلم يجدوا ما أرادوه إلا في نهر الخالص، فعلى الأرض بين البلد وبينه تعلية أمكن معها أن يجري الماء على قدر، من غير أن يحدث به ضرر، وعمل تلين عظيمين، يساويان سطح ماء الخالص، ويرتفعان عن أرض الصحراء أذرعاً، وشق في وسطهما نهراً جعل له خورين من جانبيه، وداس الجميع بالقبيلة، دوساً كثيراً، حتى قوي، واشتد، وصلب، وتلبد، فلما بلغ إلى منازل البلد، وأراد سوق النهر إلى داره، عمد إلى دور السلسلة، فذك أرضها دكاً قوياً، ورفع أبواب الدور، ووثقها، وبنى جوانب النهر، على طول البلد، بالآجر، والكلس والنورة، حتى وصل الماء إلى الدار، وسقى البستان.

قال أبي: وبلغت النفقة على عمل البستان وسوق الماء إليه، على ما سمعته من حواشي عضد الدولة، خمسة

آلاف درهم.

ولعله قد أنفق على أبنية الدار - على ما أظن - مثل ذلك.
وكان عضد الدولة، عازماً على أن يهدم الدور التي بين داره، وبين الزاهر، ويصل الدار بالزاهر، فمات قبل ذلك.

المؤلف يخطب في عقد قران الخليفة

الطانع على ابنة عضد الدولة

في يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٩ هـ. تزوج الطانع لله، بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بحضرة الطانع، وبمشهد من الأشراف والقضاة والشهود، ووجوه الدولة، على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وفي رواية مائتي ألف دينار، والوكيل عن عضد الدولة في العقد، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، والخطيب القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي.
رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن بكر البسطامي، قال: حدثنا ابن دريد، قال: حدثنا أحمد بن عيسى العكلي، عن ابن أبي خالد، عن الهيثم بن عدي، قال: كان لعمر بن دويرة السحمي، أخ قد كلف بابنة عم له، كلفاً شديداً، وكان أبوها يكره ذلك، ويأباه، فشكا إلى خالد بن عبد الله القسري، وهو أمير العراق، أنه يسيء جواره، فحبسه، فستل خالد في أمر الفتى، فأطلقه. فلبث الفتى مدة، كافاً عن ابنة عمه، ثم زاد ما في قلبه، وغلب عليه الحب، فحمل نفسه على أن تسور الجدار إليها، وحصل الفتى معها.

فأحس به أبوها، فقبض عليه، وأتى به خالد بن عبد الله القسري، وادعى عليه السرقة، وأتاه بمجموعة يشهدون أنهم وجدوه في منزله ليلاً، وقد دخل دخول السراق.
فسأل خالد الفتى، فاعترف بأنه دخل يسرق، ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه، مع أنه لم يسرق شيئاً. فأراد خالد أن يقطعه، فرفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها:

أخالد قد والله أوطئت عشوة ... وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يقتصره لأنه ... رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه ... لألفيت في أمر لهم غير ناطق
إذا مدت الغايات في السبق للعلی ... فأنت ابن عبد الله أول سابق
وأرسل خالد، مولى له، يسأل عن الخبر، ويتجسس عن جلية الأمر، فأتاه بتصحيح ما قال عمرو في شعره.
فأحضر الجارية، وأمر بتزويجها من الفتى، فامتنع أبوها، وقال: ليس هو بكفو لها.
قال: بلى، والله، إنه لكفو لها، إذ بذل يده عنها، ولئن لم تزوجها، لأزوجنه إياها وأنت كاره.

فزوجته، وساق خالد المهر عنه من ماله.
فكان يسمى العاشق، إلى أن مات.

إلى غزال من بني النصارى

أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، رحمه الله، سنة ٤٣٣، قال: حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريدي، قال: أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيباني، لنفسه في عمرو النصارى: قال القاضي أبو الفرج: وقد رأيت عمراً، وبقي حتى ابيض رأسه.
من عاشق ناء هواه دان ... ناطق دمع صلمت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان ... معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يده ... غير هوى نمت به عيناه
شوقاً إلى رؤية من أشقاه ... كأنما عافاه من أضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقي ... من أدمع منهلة ما ترقى
ناطقة وما أحارث نطقاً ... تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف ييكي ... بأدمع مثل نظام السلك
تطفية نيران الهوى وتذكي ... كأنها قطر السماء تحكي
إلى غزال من بني النصارى ... عذار خديه سبي العذارى
وغادر الأسد به حيارى ... في ربة الحب له أسارى
ريم بدار الروم رام قتلي ... بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بما استطار عقلي ... وحسن وجهه وقبح فعل
ريم به أي هزبر لم يصد ... يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل: ها، قالت الأخطأ: قد ... كأنه ناسوته حين اتحد
ما أبصر الناس جميعاً بداراً ... ولا رأوا شمساً وغصناً نصرا
أحسن من عمرو فديت عمرا ... ظبي بعينه سقاني الخمر
ها أنا ذا بقده مقدود ... والدمع في خدي له أهدود
ما ضر من فقدي به موجود ... لو لم يقبح فعله الصدود
إن كان ديني عنده الإسلام ... فقد سعت في نقضه الآثام
واختلت الصلاة والصيام ... وجاز في الدين له الحرام
يا ليتني كنت له صليبا ... أكون منه أبداً قريبا
أبصر حسناً وأشم طيباً ... لا وأشياً أخشى ولا رقبياً
يا ليتني كنت له قربانا ... ألثم منه الثغر والبنانا
أو جاثليقاً كنت أو مطرانا ... كيما يرى الطاعة لي إيمانا

يا ليتني كنت لعمرى مصحفاً ... يقرأ مني كل يوم أحرفاً
أوقلماً يكتب بي ما ألفا ... من أدب مستحسن قد صنفا
يا ليتني كنت لعمرى عودته ... أو حلة يلبسها مقدوده
أو بركة باسمه مأخوذه ... أو بيعة في داره منبوذه
يا ليتني كنت له زناراً ... يديرني في الخصر كيف دارا
حتى إذا الليل طوى النهاراً ... صرت له حينئذ إزارا
قد والذي يبقيه لي أفناني ... وابتر عقلي والضنى كسانى
ظبي على البعاد والتداني ... حل محل الروح من جنماني
واكبدي من خله المضرج ... واكبدي من ثغره المفلج

لا شيء مثل الطرف منه الأدعج ... أذهب للنسك وللتحرج
إليك أشكو يا غزال الأنس ... ما بي من الوحشة بعد الأنس
يا من هلالى وجهه وشمسى ... لا تقتل النفس بغير نفس
جد لي كما جدت بحسن الود ... وارع كما أرعى قديم العهد
واصد كصدي عن طويل الصد ... فليس وجد بك مثل وجدي
ها أنا في بحر الهوى غريق ... سكران من حبك لا أفيق
محترق ما مسني حريق ... يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي ... من سقم بي مضني طويل
أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشق ذي جسد نحيل
في كل عضو منه سقم وألم ... ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقاً إلى شمس وبدر وصنم ... منه إليه المشتكى إذا ظلم
أقول إذ قام بقلبي وقعد ... يا عمرو، يا عامر قلبي بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد ... أن امرأ أسعدته لقد سعد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... إلا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح ... باح بما يلقي من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت ... عوض بالنطق من السكوت
بحق ناسوت يطن مريم ... حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قوم الأقدم ... فكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا ... ثوباً على مقداره ما قصصا
وكان لله تقياً مخلصا ... يشفي ويرى أكمها وأبرصا

بحق محيي صورة الطيور ... وباعث الموتى من القبور
ومن إليه مرجع الأمور ... يعلم ما في البر والبحور
بحق ما في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع
يبكي إذا ما نام كل هاجع ... خوفاً إلى الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤوسا ... وعالجوا طول الحياة بوسى
وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مشمعلين يعبدون عيسى
بحق ماري مريم وبولس ... بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيال بحق يونس ... بحق حزقيل وبيت المقدس
وكنيوى إذ قام يدعو ربه ... مطهراً من كل سوء قلبه
ومستقيلاً فأقال ذنبه ... ونال من أبيه ما أحبه
بحق ما في قلة الميرون ... من نافع الأدواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون ... من بركات الخوص والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر ... وعيد شمعون وعيد الفطر
وبالشعائين العظيم القدر ... وعيد مرماري الرفيع الذكر
وعيد إشعيا وبالهياكل ... والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفى بها من خيل كل خابل ... ومن دخيل السقم في المفاصل
بحق سيعين من العباد ... قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد ... حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثني عشرة من الأمم ... ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الدجى جلى الظلم ... صاروا إلى الله وفازوا بالنعم
بحق ما في محكم الإنجيل ... من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نيا جليل ... يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرقس الشفيق الناصح ... بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق يوحنا الحلیم الراجح ... والشهداء بالفلا الصالح

بحق معمودية الأرواح ... والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابس الإمساح ... وعابد باك ومن نواح
بحق تقرييك في الآحاد ... وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تبيضك للأكباد ... بما بعينيك من السواد
بحق ما قلس شعيا فيه ... بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه ... عن كل ناموس له فقيه

شيخان كانا من شيوخ العلم ... وبعض أركان التقى والحلم
لم يتطققا قط بغير فهم ... موقهما كان حياة الخصم
بحرمة الأسقف والمطران ... والجائليق العالم الرباني
واقس والشماس والديراني والبطرك الأكبر والرهبان
بحرمة الحبوس في أعلى الجبل ... ومار قولاً حين صلى وابتهل
وبالكيسات القديمات الأول ... وبالسليح المرتضى بما فعل
بحرمة الأسقفيا والبيرم ... وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم ... وحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الدنح ذي الإشراق ... وليلة الميلاد والسلاق
والذهب المذهب للنفاق ... والفصح، يا مهذب الأخلاق
بكل قداس على قداس ... قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي ... وقدموا الكاس لكل حاسي
إلا رغب في رضا أديب ... باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق إلى المذيب ... أعلى مناه أيسر التقريب
فانظر أميري في صلاح أمري ... محتسباً في عظيم الأجر
مكتسباً في جميل الشكر ... في نثر ألفاظ ونظم شعر
؟؟؟؟

أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله

أنبأنا التوخي علي بن الحسن، قال: أخبرنا أبو بكر بن شاذان، قال: حدثني نبطويه، قال: حدثني إدريس بن إدريس، قال: حضرت بمصر قوماً من الصوفية، وعندهم غلام أمرد يغنيهم، فغلب رجل منهم على أمره، فلم يدر ما يصنع. فقال: يا هذا، قل لا إله إلا الله، فقال: لا إله إلا الله. فقال: أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله.

أمست فتاة بني نهد علانية

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بالشام، بقراءتي عليه، أخبرنا علي بن أبي علي البصري قال: حدثنا الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب، قال: حدثنا جحظة، قال: كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر، فاستؤذن عليه للزبير بن بكار، حين قدم من الحجاز، فلما دخل عليه، أكرمه، وعظمه. وقال له: لئن باعدت بيننا الأنساب لقد قربت بيننا الآداب، وإن أمير المؤمنين ذكرك، فاختارك لتأديب ولده، وأمر لك بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت من الثياب، وعشرة بغال تحمل عليها رحلك إلى

حضرته بسر من رأى.
فشكره على ذلك، وقبله.
فلما أراد توديعه، قال له: أيها الشيخ، أما تودنا حديثاً نذكرك به؟ قال: أحدثك بما سمعت أو بما شاهدت؟
قال: بل بما شاهدت.
فقال: بينا أنا في مسيري هذا بين المسجدين، إذ بصرت بحالة منصوبة فيها ظلي ميت، وبإزائه رجل على نعشه ميت، ورأيت امرأة حرة، تسعى، وهي تقول:
يا خشن لو بطل، لكنه أجل ... على الأثاية ما بك البطل
يا خشن قلقل أحشائي وأزعجها ... وذاك يا خشن عندي كله جلل
أمست فتاة بني همد علانية ... وبعلمها في أكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه أظن به ... فحال من دون صن الرغبة الأجل
قال: فلما خرج من حضرته، قال لنا محمد بن عبد الله بن طاهر، أي شيء أفدنا من الشيخ؟.
قلنا له: الأمير أعلم.
فقال: قوله: أمست فتاة بني همد علانية، أي ظاهرة، وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل هذا.

ما لمن ذاق ميتة من إياب

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن، فيما أذن لنا أن نرويه عنه، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني هارون بن أبي بكر بن عبد الله بن مصعب، قال: حدثني إسحاق بن يعقوب مولى آل عثمان، عن أبيه، قال: إنا لبغناء دار عمرو بن عثمان بالأبطح، صبح خامسة من التهاني، إذ درئت برجل على راحلة، ومعه أداة جميلة، قد جنب إليها فرساً وبغلاً، ومعه رفيق له، فوقفا علي، فسألاني، فانتسبت لهما عثمانياً، فنزلا، وقالوا: رجلان من أهلك، قد نابتنا إليك حاجة، نحب أن تقضيها قبل الشلة بأمر الحاج.
قلت: فما حاجتكما؟ قالوا: نريد إنساناً يوقفنا على قبر عبيد الله بن سريج.
قال: فنهضت معهما، حتى بلغت محلة ابن أبي قارة، من خزاعة، بمكة، وهم موالي عبيد الله بن سريج، فالتمست لهما إنساناً يصحبهما، حتى يوقفهما على قبره بدسم، فوجدت ابن أبي دباكل، فأنهضته معهما. فأخبرني ابن أبي دباكل، أنه لما وقفهما على قبره، نزل أحدهما عن راحلته، وهو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، ثم عقرها، واندفع يغني غناء الركبان بصوت طليل حسن:
وقفنا على قبر بدسم فهاجنا ... وذكرنا بالعيش إذ هو مصحب
فجالت بأرجاء الجفون سوافح ... من الدمع تستلى التي تتعقب
إذا أبطأت عن ساحة الخد ساقها ... دم بعد دمع إثره يتصب
فإن تسعدا ندب عبيداً بعولة ... وقل له منا البكا والتحوب
فلما أتى عليها، نزل صاحبه، فعقر ناقته، وهو رجل من جذام، يقال له: عبيد الله بن المنتشر، فاندفع يتغنى

غناء الخلوات:

فارقوني وقد علمت يقيناً ... ما لمن ذاق ميتة من إياب
إن أهل الحصاب قد تركوني ... موجعاً مولعاً بأهل الحصاب
أهل بيت تتابعوا للمنايا ... ما على الدهر بعدهم من عتاب
سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو ... سى إلى الشعب من صفى الشباب
كم بذاك الحجون من حي صدق ... من كهول أعفة وشباب
قال: ابن أبي دباك: فوالله، ما أتم منها ثالثاً، حتى غشي على صاحبه، ومضى غير معرج عليه، حتى إذا
فرغ، جعل ينضح الماء في وجهه، ويقول: أنت أبدأ، منصوب على نفسك من كلفات ما ترى.
فلما أفاق قرب إليه الفرس، فلما علاه، استخرج الجذامي، من خرج على البغل، قدحاً، وأداة، فجعل في
القدح، تراباً من تراب القبر، وصب عليه ماء، ثم قال: هاك، فاشرب هذه السلوة، فشرب، ثم جعل
الجذامي، مثل ذلك لنفسه، ثم نرا على البغل، وأردفني، فخرجنا، لا والله، ما يعرجان، ولا يعرضان بذكر
شيء مما كانا فيه، ولا أرى في وجوههما مما كنت أرى قبل شيئاً.
قال: فلما اشتمل علينا أبطح مكة، مديده إلي بشيء، وإذا عشرون ديناراً.
فوالله، ما جلست حتى ذهبت ببعيري، واحتملت أداوي الراحلتين، فبعتهما بثلاثين ديناراً.

حديث بهرام جور وولده

أنبأنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الرحيم بن أحمد المازني
الكتاب، قال: حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي قال: حدثنا عيسى بن محمد أبو ناظرة
السدوسي، قال: حدثني قبيصة بن محمد المهلب، قال: أخبرني اليمان بن عمرو، مولى ذي الرياستين، قال:
كان ذو الرياستين، يبعثني، ويبعث أحداً من أحداث أهلهم، إلى شيخ بخراسان، له أدب، وحسن معرفة
بالأمور، ويقول لنا: تعلموا منه الحكمة، فإنه حكيم، فكنا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده، سألنا ذو الرياستين،
واعترض ما حفظناه، فنخبره به.

فقصدنا ذات يوم إلى الشيخ، فقال: أنتم أدباء، وقد سمعتم، ولكم جدات ونعم، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا:
لا.

فقال: اعشقوا، فإن العشق يطلق اللسان العيي، ويفتح حيلة البليد والمخبل، ويبعث على التنظف وتحسين
اللباس، وتطيب الطعام، ويدعو إلى الحركة والذكاء، ويشرف المهمة، وإياكم والحرام.
فانصرفنا من عنده إلى ذي الرياستين، فسألنا عما أخذنا في يومنا ذاك، فهبنا أن نخبره، فعزم علينا، فقلنا: إنه
أمرنا بكذا وكذا.

قال: صدق والله، تعلمون من أين أخذ هذا؟ قلنا: لا.

قال: إن بهرام جور كان له ابن، وكان قد رشحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقص المهمة، ساقط المروءة، خامل النفس، سيء الأدب، فغمه ذلك، ووكل به المؤدبين، والمنجمين، والحكماء، ومن يلازمه ويعلمه، وكان يسألهم عنه، فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه، وقلة أدبه.

إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوماً، فقال له المؤدب: قد كنا نخاف سوء أدبه، فحدث من أمره، ما صيرنا إلى اليأس من فلاحه.

قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: رأى ابنة فلان المرزبان، فعشقتها حتى غلبت عليه، فهو لا يهذي إلا بها، ولا يتشاغل إلا بذكرها.

فقال بهرام: الآن رجوت فلاحه.

ثم دعا بأبي الجارية، فقال له: إني مسر إليك سراً، فلا يعدونك، فضمن له ستره، فأعلمه أن ابنه، قد عشق ابنته، وأنه يريد أن ينكحها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها، ومراسلته من غير أن يراها، وتقع عينه عليها، فإذا استحكم طمعه فيها، تجت عليه، وهجرته، فإن استعبتها أعلمته أنها لا تصلح إلا للملك، ومن همته همة ملك، وأنها تمنع من مواصلتها من لا يصلح للملك، ثم ليعلمه خبرها وخبره، ولا يطلعها على ما أسر إليه، فقبل أبوها ذلك منه.

ثم قال للمؤدب الموكل بولده: شجعه على مراسلة المرأة، ففعل ذلك، وفعلت المرأة، ما أمرها به أبوها. فلما انتهت إلى التجني عليه، وعلم الفتى السببا لذي كرهته له، أخذ في الأدب، وطلب الحكمة، والعلم، والفروسية، والرماية، وضرب الصوالة، حتى مهر في ذلك، ثم رفع إلى أبيه، أنه محتاج إلى الدواب، والآلات، والمطاعم، والملابس، والندماء، وإلى فوق ما تقدم له، فسر الملك بذلك، وأمر له به.

ثم دعا مؤدبه، فقال: إن الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حيث هذه المرأة، لا يزري به، فتقدم إليه أن يرفع إلي أمرها، ويسألني أن أزوجه إياها، ففعل، فرفع الفتى ذلك إلى أبيه، فدعا بأبيها، فزوجها إياه، وأمر بتعجيلها إليه، وقال: إذا اجتمعتما فلا تحدث شيئاً حتى أصير إليك.

فلما اجتماعا، صار إليه، فقال: يا بني، لا يضمن منها عندك مراسلتها إياك، وليست في حبالك، فإني أنا أمرتها بذلك، وهي أعظم الناس منة عليك، بما دعتك إليه من طلب الحكمة، والتخلق بأخلاق الملوك، حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي، وزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك.

ففعل الفتى ذلك، وعاش مسروراً بالجارية، وعاش أبوه مسروراً به، وأحسن ثواب أبيها، ورفع مرتبته، وشرفه بصيانة سره وطاعته، وأحسن جائزة المؤدب بامتثاله ما أمره، وعقد لابنه على الملك بعده.

قال اليماني، مولى ذي الرياستين: ثم قال لنا ذو الرياستين: سلوا الشيخ الآن، لم حملكم على العشق؟ فسألناه، فحدثنا بمحدث بهرام جور وابنه.

اللهم فرج ما ترى

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي، وأبو القاسم علي بن المحسن التوخي، قالوا: حدثنا أبو عمر بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان، قال: أخبرني بعض

البصريين، قال: مر أبو السائب المخرومي بسوداء تستقي، وتسقي بستاناً، فقال: ويلك، ما لك؟ قالت: صديقي، عبد بني فلان، كان يحبني وأحبه، فظن بنا، فقيده مواليه، وصيرني مولاي في هذا العمل. فقال أبو السائب: والله، لا يجمع عليك ثقل الحب، وثقل ما أرى، وقام مقامها في الزنوق، فكل الشيخ وعرق، فجعل يمسح العرق، ويقول: اللهم فرج ما ترى.

٤

—

الجزء الخامس

الخليفة المستكفي

ينقل قاضياً وينصب بدلاً منه أخبرنا علي بن الحسن التوخي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال:

لما نقل المستكفي بالله أبا السائب عن القضاء بمدينة المنصور، وذلك في يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، قلد في هذا اليوم، أبا الحسن محمد بن علي بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن عيسى بن موسى بن محمد علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، ويعرف هو وأهله ببني أم شيبان، وهي والدته يحيى ابن عبد الله جد أبيه، وهي المكناة بأم شيبان، واسمها وكنيتها، وهي بنت يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن زكريا بن طلحة بن عبيد الله، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم زكريا بن طلحة: أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وأم أبيه صالح بن علي: فاطمة بنت جعفر بن محمد ابن عمار البرجمي، قاضي القضاة بسر من رأى، قال طلحة: فقد ولده ثلاثة من الصحابة من قريش، وله ولادة في البراجم من العرب.

والقاضي أبو الحسن محمد بن صالح، من أهل الكوفة، وبها ولد ونشأ، وكتب الحديث، وقدم بغداد سنة إحدى وثلاثمائة مع أبيه، ثم تكرر دخوله إياها، ثم دخل إليها في سنة سبع وثلاثمائة، فقرأ على أبي بكر بن مجاهد، ولقي الشيوخ.

ثم انتقل إلى الحضر، فاستوطنها في سنة ستة عشرة وثلاثمائة، وصاهر قاضي القضاة أبو عمر محمد بن يوسف علي بنت بنته.

قال طلحة: وأبو الحسن رجل عظيم القدر، وافر العقل، واسع العلم، كثير الطلب للحديث، حسن التصنيف، مدمن الدرس والمذاكرة، ينظر في فنون العلم والآداب، متوسط في الفقه على مذهب ابن مالك، ولا اعلم قاضياً تقلده القضاة بمدينة السلام من بني هاشم غيره.

ثم قلده المطيع قضاء الشرقية، مضافاً إلى مدينة المنصور، وذلك في رجب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، فصار على قضاء الجانب الغربي بأسره إلى شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، فان بغداد جمعت لأبي

السائب عتبة بن عبيد الله.

وقلد القاضي أبو الحسن، مصر، وأعمالها، والرملة، وقطعة من أعمال الشام.

لماذا سمي زوج الحرة

حدثنا القزاز، قال: أخبرنا علي بن المحسن القاضي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الأمير أبو الفضل جعفر بن المكفي بالله، قال: كانت بنت بدر مولى المعتضد، زوجة أمير المؤمنين المقتدر بالله، فأقامت عنده سنين، وكان لها مكرماً، وعليها مفضلاً الافضال العظيم، فتأثلت حالها، وانضاف ذلك إلى عظيم نعمتها الموروثة. وقتل المقتدر. فأفلتت من النكبة، وسلم لها جميع أموالها وذخائرها، حتى لم يذهب لها شيء، وخرجت من الدار.

وكان يدخل إلى مطبخها حدث، يحمل على رأسه، يعرف بمحمد بن جعفر، وكان حرّاً، فنفق على القهرمانة بخدمته، فقلوه، إلى أن صار وكيل المطبخ، وبلغها خبره، ورأته، فردت إليه الوكالة في غير المطبخ. وترقى أمره، حتى صار ينظر في ضياعها، وعقارها، وغلب عليها، حتى صارت تكلمه من وراء ستر، وخلف باب.

وزاد اختصاصه بها، حتى علق بقلبها، فاستدعته إلى ترويحها، فلم يجسر على ذلك، فجسرته، وبذلت مالا، حتى تم لها ذلك.

وقد كانت حالته تأثلت بها، وأعطته، لما أرادت ذلك منه، أموالاً جعلها لنفسه نعمة ظاهرة، لئلا يمنعها أولياؤها منه لفقره، وأنه ليس بكفء، ثم هادت القضاة بهدايا جلييلة حتى زوجها منه، واعترضها الأولياء، فغالبتهم بالحكم والدرهم، فتم له ذلك ولها.

فأقام معها سنين، ثم ماتت، فحصل له من مالها، نحو ثلاثمائة ألف دينار، فهو يتقلب إلى الآن فيها. قال أبي: قد رأيت أنا هذا الرجل، وهو شيخ عاقل، شاهد، مقبول، توصل بالمال إلى أن قبله أبو السائب القاضي، حتى أقر في يده وقوف الحرة، ووصيتها، لأنها أوصت إليه في مالها ووقوفها، وهو إلى الآن لا يعرف إلا بزواج الحرة.

وإنما سميت الحرة، لأجل ترويح المقتدر بها، وكذا عادة الخلفاء، لغلبة الممالك عليهم، وإذا كانت لهم زوجة، قيل لها: الحرة.

البيضاوي أزرق كوسج

أخبرنا أبو المنصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: سمعت التوخي يقول: حضرت عند أبي الحسن بن لؤلؤ مع أبي الحسين البيضاوي، لنقرأ عليه، وكان ذلك له عدد من يحضر السماع، ودفعنا إليه دراهم كنا قد واقفناها عليه.

فرأى في جملتنا واحداً زائداً عن العدد الذي ذكر له، فأمر بإخراجه، فجلس الرجل في الدهليز، وجعل البيضاوي يقرأ، ويرفع صوته، ليسمع الرجل.

فقال ابن لؤلؤ: يا أبا الحسين، أتعاطى علي، وأنا بغدادى، باب طاقي، وراق، صاحب حديث، شيعي، أ زرق، كوسج.
ثم أمر جاريته أن تدق بالهاون أشناناً حتى لا يصل صوت البيضاوي بالقراءة إلى الرجل.

القاضي ابن قريعة

يستخلف التنوخي على قضاء الأهواز قال أبو الفرج الشلجي: حدثني أبو علي التنوخي القاضي، قال: لما قلدني القاضي أبو بكر بن قريعة، قضاء الأهواز خلافة له، كتب إلى المعروف بابن سركر الشاهد، وكان خليفته على القضاء قبلي، كتاباً على يدي، وعنوانه: إلى المخالف الشاق، السيء الأخلاق، الظاهر النفاق، محمد بن اسحاق.

أبو القاسم صاحب ابن عباد

يشتهي مشاهدة ثلاثة من بغداد أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا الخطيب، قال: سمعت أبا القاسم التنوخي يقول: كان صاحب أبو القاسم بن عباد يقول: كنت أشتهي أن أدخل بغداد وأشهد جرأة محمد بن عمر العلوي، وتنسك أبي أحمد الموسوي، وظرف أبي محمد بن معروف.

أبو الفضل الزهري

محدث وآبؤه كلهم محدثون أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا التنوخي، قال: سئل أبو الحسن الدار قطني، وأنا أسمع، عن أبي الفضل الزهري، فقال: هو ثقة، صدوق، صاحب كتاب، وليس بينه وبين عبد الرحمن بن عوف إلا من قد روي عنه الحديث.
ثم قال الخطيب: حدثنا السوري، قال: حدثني بعض الشيوخ: أنه حضر مجلس القاضي أبي محمد بن معروف يوماً، فدخل أبو الفضل الزهري، وكان أبو الحسين بن المظفر حاضراً، فقام عن مكانه، وأجلس أبا الفضل فيه، ولم يكن ابن معروف، يعرف أبا الفضل، فأقبل عليه ابن المظفر، فقال: أيها القاضي، هذا الشيخ من ولد عبد الرحمن بن عوف، وهو محدث، وآبؤه كلهم محدثون إلى عبد الرحمن بن عوف.
ثم قال ابن المظفر: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد الزهري، والد هذا الشيخ، وحدثنا فلان عن أبيه محمد بن عبيد الله، وحدثنا فلان عن جده عبيد الله بن سعد.
ولم يزل يروي لكل واحد من آباء أبي الفضل حديثاً، حتى انتهى إلى عبد الرحمن بن عوف.

المؤلف التنوخي يتحدث عن نفسه

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال: حدثنا ابن الحسن ابن علي، قال: قال لي أبي: مولدي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة، وكان مولده في ليلة الأحد لأربع بقين من ربيع الأول. وأول سماعة الحديث في سنة ثلاث وثلثين وثلاثمائة. وأول ما تقلد القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبيد الله بالقصر ويسورا في سنة تسع وأربعين. ثم ولاه المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وايدج ورامهرمز. وتقلد بعد ذلك أعمالاً كثيرة في نواح مختلفة.

ذو الكفائتين أبو الفتح بن العميد

يحيى سهرة تنتهي باعتقاله أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن سعيد النصبي، قال: كان أبو الفتح بن العميد، الملقب بذي الكفائتين، قد تداخله في بعض العشايا سرور، فاستدعى ندماءه، وعى لهم مجلساً عظيماً، بآلات الذهب والفضة، وفاخر الزجاج، والصيني، والآلات الحسنة، والطيب، والفاكهة الكثيرة، وأحضر المطرب، وشرب بقية يومه، وعامة ليلته، ثم عمل شعراً، أنشده ندماءه، وغني به في الحال، وهو:

دعوت المنى ودعوت العلى ... فلما أجابا دعوت القدح

وقلت لأيام شرخ الشباب ... إلى فهذا أوان الفرح

وإذا بلغ المرء آماله ... فليس له بعدها مقترح

قال: وكان هذا بعد تدبيره على صاحب أبي القاسم بن عباد، حتى أبعد عن كتيبة صاحبه الأمير مؤيد الدولة، وسيره عن حضرته بالري، إلى أصبهان، وانفرد هو بتدبير الأمور لمؤيد الدولة، كما كان لركن الدولة.

فلما غني الشعر استطابه، وشرب عليه، إلى أن سكر، ثم قال لغلمانه: غطوا المجلس، ولا تسقطوا منه شيئاً، لأصطحب في غدٍ عليه، وقال لندمائه: باكروني، ولا تتأخروا، فقد اشتهيت الصبح، وقام إلى بيت منامه، وانصرف لندمائه.

ودعاه مؤيد الدولة في السحر، فلم يشك أنه لمهم، فقبض عليه، وأنفذ إلى داره من أخذ جميع ما فيها، وتناولت به النكبة، ثم وزر لأخيه فخر الدولة، فبقي في الوزارة ثماني عشرة سنة وشهوراً، وفتح خمسين قلعة سلمها إلى فخر الدولة، لم يجتمع مثلها لأبيه.

وكان صاحب عالماً بفقون من العلوم كثيرة، لم يقاربه في ذلك وزير، وله التصانيف الحسان، والنثر البالغ، وجمع كتباً عظيمة، حتى كان يحتاج إلى نقلها على أربعمائة جمل. وكان يخاطب العلماء والأدباء، ويقول لهم: نحن بالنهار سلطان، وبالليل إخوان.

من شعر الحسن بن حامد

أنشدنا الحسن بن علي الجوهري، وعلي بن الحسن التوخي، قالاً: أنشدنا أبو محمد الحسن بن حامد لنفسه:
شريت المعالي غير متظر بها ... كساداً ولا سوقاً تقام لها أخرى
وما أنا من أهل المكاس وكلما ... توفرت الأثمان كت لها أخرى

الشاعر ابن سكرة

يدخل محمداً ويخرج بشراً أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أنشدني علي بن الحسن،
قال: أنشدني أبو الحسن بن سكرة، وقال: دخلت حماماً وخرجت وقد سرق مداسي، فعدت إلى داري
حافياً، وأنا أقول:

إليك أذم حمام ابن موسى ... وإن فاق المنى طيباً وحراً
تكاثر اللصوص عليه حتى ... ليحفي من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوباً ولكن ... دخلت محمداً وخرجت بشراً

ابن سكرة الهاشمي

يهجو القاضي أبا السائب ومن أشعار ابن سكرة الهاشمي، ما قاله في القاضي أبا السائب:
إن شئت أن تبصر أعجوبة ... من جور أحكام أبي السائب
فاعمد من الليل إلى صرة ... وقرر الأمر مع الحاجب
حتى ترى مروان يقضى له ... على علي بن أبي طالب

يسقط من موضع عالي فيسلم

ثم يعثر بعتبة الباب فيقع ميتاً أنبأنا محمد بن عبد الباقي الزراز قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن الحسن، عن
أبيه، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد الإسكافي، قال: سمعت أبا الحسن محمد بن عمر العلوي،
يقول: انه لما بنى داره بالكوفة، وكان فيها حائط عظيمالعلو، فبينا البناء قائم على أعلاه لا سلاحه، سقط
على الأرض، فارتفع الضجيج استعظاماً للحال، لأن العادة لم تجر بسلامة من يسقط عن مثل ذلك الحائط،
فقام الرجل سالماً لا قلبه به، وأراد العود إلى الحائط، ليتم البناء.
فقال له الشريف أبو الحسن: قد شاع سقوطك من أعلى الحائط، وأهلك لا يصدقون سلامتك، ولست
أحب أن يردوا إلى بابي صوارخ، فامض إلى أهلك، ليشهدوا سلامتك، وعد إلى شغلِكَ.
فمضى مسرعاً، فعثر بعتبة الباب، فسقط ميتاً.

بين أبي اسحاق الطبري

وأبي الحسين بن سمعون أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: حدثني علي ابن أبي علي المعدل، قال: قصد أبو الحسين بن سمعون أبا اسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري ليهنئه بقدمه من البصرة، فجلس في الموضع الذي جرت عادة أبي اسحاق بالجلوس فيه لصلاة الجمعة من جامع المدينة، ولم يكن وافي، فلما جاء والتقيا، قام إليه، وسلم عليه، وقال له بعد أن جلسا:

الصبر إلا عنك محمود ... والعيش إلا بك منكود
ويوم تأتي سالماً غانماً ... يوم على الإخوان مسعود
مذ غبت غاب الخير من عندنا ... وان تعد فالخير مردود

أبو القاسم الخيزرزي

يهدي للتوخي سبحة سيج حدثنا القاضي التوخي، قال: أهدى إلى نصر بن أحمد الخيزرزي، سبحة سيج، وكتب معها:

بعثت يا بدر بني يعرب ... بسبحة من سيج معجب
يقول من أبصرها طرفه ... نعم عتاد الخائف المذنب
لم تخط إن فكرت في نظمها ... ولوفا من حمة العقرب

عبد الصمد يدق السعد في العطارين

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، قال: كان عبد الصمد يدق السعد في العطارين، ويذهب مذهب التدين والصوف، والتعفف والتقشف.

فسمع عطاراً يهودياً، يقول لابنه: يا بني، قد جربت هؤلاء المسلمين، فما وجدت فيهم ثقة.

فتركه عبد الصمد أياماً، ثم جاءه، فقال: أيها الرجل، تستأجني لحفظ دكانك؟ قال: نعم، وكم تأخذ مني؟

قال: ثلاثة أرطال خبز، ودائعين فضة كل يوم.

قال: قد رضيت.

قال: فأعطني الخبز أدراةً، واجمع لي الفضة عندك، فإني أريدها لكسوتي.

فعمل معه سنة، فلما انقضت، جاءه، فحاسبه، فقال: انظر لدكانك.

قال: قد نظرت.

قال: فهل وجدت خيانة أو خلافاً؟ قال: لا والله.

قال: فإني لم أرد العمل معك، وإنما سمعتك تقول لولئك في الوقت الفلاني، إنك لم تر في المسلمين أميناً، فأردت أن أنقض عليك قولك، وأعلمك أنه إذا كان مثلي - وأنا أحد فقرائهم - على هذه الصورة، فغيري من المسلمين على مثلها، وما هو أكثر منها.

ثم فارقه، وأقام على دق السعد.

طلسم في صعيد مصر يطرد الفار

قال أبو علي التنوخي: حدثني من أثق به، وهو أبو عبد الله الحسين ابن عثمان الخرقى الحنبلي، قال: توجهت إلى الصعيد في سنة ٣٥٩ فرأيت في باب ضيعة لأبي بكر علي ابن صالح الروذباري تعرف بابسوج، شارعة على النيل بين القيس والبهنسا، صورة فأر في حجر، والناس يجيئون بطين من طين فيطبعون فيه تلك الصورة، ويحملونه إلى بيوتهم.

فسألت عن ذلك، فقل لي: ظهر عن قريب، من سنيات، هذا الطلسم، وذلك انه كان مركب فيه شعير تحت هذه البيعة، فقصص صبي من المركب ليلعب، فأخذ من هذا الطين، وطبع الفأرة، ونزل بالطين المطبوع إلى المركب، فلما حصل فيه، تبادر فأر المركب يظهرهم ويرمون أنفسهم في الماء.

فعجب الناس من ذلك، وجربوه في البيوت، فكان أي طابع حصل في داره، لم تبقى فيها فأرة إلا خرجت، فتقتل، أو تفلت إلى موضع لا صورة فيه.

فكثر الناس أخذ الصورة في الطين، وتركها في منازلهم، حتى لم تبقى فأرة في الطريق والشوارع.

وشاع ذلك، وذاع في البلدان.

حجر عجيب الخواص

في ضيعة عين جاره قال أبو علي التنوخي: حدثني الحسين بن نبت، غلام البغاء، وكتب لي خطه، وشهد له البغاء بصحة الحكاية، قال: كانت من أعمال حلب، ضيعة تعرف بعين جاره، بينها وبين الهونة، أو قال: الحونة، أو الجومة، حجر قائم كالنخم بين الضيعتين.

وربما وقع بين أهل الضيعتين شر، فيكيدهم أهل الهونة، بأن يلقوا ذلك الحجر القائم، فكما يقع الحجر، يخرج أهل الضيعتين من النساء ظاهرات متبرجات، لا يعقلن على أنفسهن، طلباً للجماع، ولا يستحيين من الحال، لما عليهن من غلبة الشهوة.

إلى أن يتبادر الرجال إلى الحجر، فيعيدونه إلى حالته الأولى قائماً، منتصباً، فتراجع النساء إلى بيوتهن، وقد عاد إليهن التمييز باستقباح ما كن وهذه الضيعة كان سيف الدولة الحمداني أقطعها أبا علي أحمد بن نصر البازيار، وكان أبو علي يتحدث بذلك، ويسمعه الناس منه.

وقد ذكر هذه الحكاية، بخطه في الأصل.

مشهد النذور بظاهر سور بغداد

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، قال: حدثني أبي، قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة، ونحن محييون بالقرب من مصلى الأعياد، في الجانب الشرقي من مدينة السلام، نريد الخروج معه إلى همدان، في أول يوم نزل العسكر، فوقع طرفه على البناء الذي علي قبر النذور.

فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبر، لعلمي بتطيره من ذكر هذا.

فاستحسن اللفظ، وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره.

فقلت: هذا يقال انه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن بعض الخلفاء أراد قتله خفية، فجعل له هناك زبية، وسير عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً، وإنما شهر بقبر النذور، لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح، وبلغ الناذر ما يريد، ولزمه الوفاء بالنذر، وأنا أحد من نذر له مراراً لا أحصيها كثرة، نذوراً على أمور متعددة، فبلغتها، ولزمني النذر، فوفيت به.

فلم يقبل هذا القول، وتكلم بما دل على أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقاً، فيتسوق العوام بأضعافه، ويسرون الأحاديث الباطلة فيه، فامسكت.

فلما كان بعد أيام يسيرة، ونحن معسكرون في موضعنا، استدعاني في غدوة يوم، وقال: اركب معي إلى مشهد النذور.

فركبت، وركب في نفر من حاشيته، إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله، وزار القبر، وصلى عنده ركعتين، سجد بعدهما سجدة طويلة، أطل فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمته، ثم رحل ورحلنا معه نريد همدان، وبلغناها، وأقمنا فيها معه شهوراً.

فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألسنت تذكر ما حدثني به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى.

فقال: إني خاطبتك في معناه، بدون ما كان في نفسي، اعتماداً لاحسان عشرتك، والذي كان في نفسي، في الحقيقة، أن جميع ما يقال فيه كذب.

فلما كان بعد ذلك بمديدة، طرقي أمر خشيت أن يقع ويتم، وأعملت فكري في الاحتيال لرواله، ولو بجميع ما في بيوت أموال، وسائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذنباً.

فتذكرت ما أخبرني به من النذر لقبر النذور، فقلت: لما لا أجرب ذلك؟ فنذرت إن كفاني الله سبحانه ذلك الأمر، أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحاً.

فلما كان اليوم، جاءتني الأخبار بكفائي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف - يعني كاتبه - أن يكتب إلى أبي الريان - وكان خليفته ببغداد - بحملها إلى المشهد. ثم التفت إلى عبد العزيز، وكان حاضراً، فقال له: قد كتبت بذلك، ونفذ الكتاب.

ألوان غريبة من الورد

حكى صاحب نشوار المحاضرة: أنه رأى ورداً أصفر، واستغرب ذلك، وقد رأيناه كثيراً، إلا أنه امتاز بكونه عد ورق وردة، فكانت ألف ورقة، ورأى ورداً أسود حالك اللون، له رائحة ذكية، ورأى بالبصرة وردة، نصفها أحمر قاني الحمرة، ونصفها الآخر ناصع البياض، والورقة التي قد وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم.

ذكر خبر بناء مدينة السلام

أخبرنا القاضي علي بن أبي علي المعدل التنوخي، قال: أخبرنا طلحة ابن محمد بن جعفر، قال: أخبرني محمد بن جرير إجازة: أن أبا جعفر المنصور بويع له سنة ست وثلاثين ومائة، وأنه ابتداء أساس المدينة سنة خمس وأربعين ومائة، واستتم البناء، سنة ست وأربعين ومائة، وسماها مدينة السلام.

مدينة السلام

لم يمت فيها خليفة قط قال أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح: لم يمت بمدينة السلام خليفة، مذ بيت إلا محمد الأمين، فانه قتل في شارع باب الأنبار، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين، وهو في معسكره بين بطاطيا وباب الأنبار، فأما المنصور، وهو الذي بناها، فمات حاجاً، وقد دخل الحرم، ومات المهدي بماسبذان، ومات الهادي بعيساباذ، ومات هارون بطوس، ومات المأمون بالبدندون من بلاد الروم وحمل - فيما قيل - إلى طرسوس فدفن بها، ومات المعتصم بسر من رأى، وكل من ولي الخلافة بعده من ولده، وولد ولده، إلا المعتمد والمعتضد والمكثفي فانهم ماتوا بالقصور من الزندورد، فحمل المعتمد ميتاً إلى سر من رأى، ودفن المعتضد في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر، ودفن المكثفي في موضع من دار ابن طاهر. قال الخطيب الحافظ أبو بكر: ذكرت هذا الخبر للقاضي أبي القاسم علي بن الحسن التنوخي رحمه الله، فقال: محمد الأمين أيضاً لم يقتل في المدينة، وإنما كان قد نزل في سفينة إلى دجلة ليتنزه، فقبض عليه في وسط دجلة، وقتل هناك، ذكر ذلك الصولي وغيره. وقال أحمد بن أبي يعقوب الكاتب: قتل الأمين خارج باب الأنبار.

الصنم الموجود على رأس القبة الخضراء

حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي، قال: سمعت جماعة من شيوخنا يذكرون: أن القبة الخضراء، كان على رأسها صورة فارس في يده رمح، فكان السلطان إذا رأى أن ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات، ومد الرمح نحوها، علم أن بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة، فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الأخبار، بأن خارجياً قد نجم من تلك الجهة، أو كما قال.

الأبواب الحديد على مدينة المنصور

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن، قال: حدثني أبو الحسن ابن عبيد الزجاج الشاهد، وكان مولده في شهر رمضان من سنة أربع وتسعين ومائتين، قال: أذكر في سنة سبع وثلاثمائة، وقد كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور، فأفلت من كان فيها، وكانت الأبواب الحديد التي للمدينة باقية، فغلقت، وتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس، فأخذوا جميعهم، حتى لم يفتحهم منهم أحد.

الماء المنبثق من قبين

يهدم طاقات باب الكوفة في مدينة المنصور حدثني علي بن الحسن، قال: قال لي القاضي أبو بكر بن أبي موسى الهاشمي: انبثق البقي من قبين، وجاء الماء الأسود فهدم طاقات باب الكوفة، ودخل المدينة فهدم دورنا، فخرجنا إلى الموصل، وذلك في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وأقمنا بالموصل سنين عدة، ثم عدنا إلى بغداد، فسكننا طاقات العكي.

عدد الخدم والفراشين في قصر الخلافة

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التتوخي، قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم، قال: حدثني أبي قال: قال أبو القاسم علي بن محمد الخوارزمي، في وصف أيام المقتدر بالله، وقد جرى حديثه، وعظم أمره، وكثر الخدم في داره: قد اشتملت الجريدة على أحد عشر ألف خادم خصي، وكذا، من صقلي ورومي وأسود.

وقال: هذا جنس واحد من تضمنه الدار، فدع الآن الغلمان الحجرية، وهم ألوف كثيرة، والخواشي من الفحول.

وقال أيضاً: حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه، عن أبيهما عن أبي الحسن علي بن يحيى: أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله، أربعة آلاف فراش، قالوا: فذهب علينا أن نسأله، كم نوبة كانوا.

من شعر صاحب النشوار

أنشدنا أبو القاسم علي بن الحسن التتوخي، قال: أنشدني أبي لنفسه:
يوم سرقنا العيش فيه خلسة ... في مجلس بفناء دجلة مفرد
رق الهواء برقة قدامه ... فغدوت رقاً للزمان المسعد
فكان دجلة طيلسان أبيض ... والجسر فيها كالطراز الأسود

الوزير ابن الفرات

يقيد، ويغل، ويلبس جبة صوف نقعت بماء الأكارع حدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التتوخي، قال: حدثني أبو الحسين علي بن هشام، قال: كنت حاضراً مع أبي، مجلس أبي الحسن بن الفرات، في شهر ربيع الآخر، سنة خمس وثلاثمائة، في وزارته الثانية، فسمعتة يتحدث، ويقول: دخل إلي أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة الأنباري، في محبسي في دار المقتدر بالله وطالبني بأن أكتب له خطي بثلاثة عشر ألف ألف دينار.

فقلت هذا ما جرى على يدي للسلطان في طول أيام ولايتي، فكيف أصادر على مثله؟ قال: قد حلفت بالطلاق على أنه لا بد أن تكتب بذلك، فكتبت له ثلاث عشر ألف ألف، ولم أذكر درهماً ولا ديناراً. فقال: اكتب ديناراً لأبرأ من يميني، فكتبت، وضربت عليه، وخرقت الرقعة، ومضعتها.

وقلت: قد برت يمينك، ولا سبيل بعد ذلك إلى كتب شيء، فاجتهد، ولم أفعل.

ثم عاد إلي من غد، ومعه أم موسى القهرمانة، وجدد مطالبي، وأسرف في شتمي، ورماني بالزنا، فحلفت بالطلاق والعناق، وقام الأيمان الغموس، أنني ما دخلت في محذور من هذا الجنس، منذ نيف وثلاثين سنة، وسمعت أنه يحلف بمثل يميني، على أن غلامه القائم على رأسه، لم يأت في ليلته تلك. فأنكرت أم موسى هذا القول، وغطت وجهها حياءً منه.

فقال لها ابن ثوابة: هذا رجل بطر بالأموال التي معه، ومثله، مثل المزين مع كسرى، والحجام مع الحجاج بن يوسف، فتستأمرين السادة في إنزال المكروه به، حتى يذعن بما يراود منه.

وكان قول السادة، إشارة إلى المقتدر بالله، والسيدة والدته، وخاطف، ودستبويه أم ولد المعتضد بالله، وهم إذ ذاك مستولون على التدبير لصغر سن المقتدر بالله.

فقامت أم موسى، وعادت، وقالت لابن ثوابة: يقول لك السادة: قد صدقت فيما قلت، ويك مطلقاً فيه. قال ابن الفرات: وكنت في دار لطيفة، والحر شديد، فتقدم بتنحية البواري عن سمائها، حتى نزلت الشمس إلى صحنها، وإغلاق أبواب بيوتها، فحصلت في الشمس، من غير أن أجد مستظلاً منها، ثم قيدني بقيد ثقيل، وألبسني جبة صوف، قد نقعت في ماء الأكارع، وغلني بغل، وأقفل باب الحجرة وانصرف.

فأشرفت على التلف، وعددت على نفسي ما عاملت به الناس، فوجدتني، قد عملت كل شيء منه، من مصادرة، ونهب، وقبض ضياع، وحبس، وتقييد، وتضييق، وإلباس جباب الصوف، وتسليم قوم إلى أعدائهم، وتمكينهم من مكروههم، ولم أذكر أنني غللت أحداً، فقلت: يا نفس هذه زيادة.

ثم فكرت أن النرسي، كاتب الطائي، ضمنني من عبيد الله بن سليمان، فلم يسلمني إليه، فسلمته إلى الحسن الملعوف، المستخرج، وكان عسوفاً، وأمرته بتقييده، وتعذيبه، ومطالبته بمال حددته له، وألظ، ولم يؤد، فتقدمت بغله، ثم ندمت بعد أن غل مقدار ساعتين، وأمرت بإنزال الغل عنه.

وتجاوزت الساعتين وأنا مغلول، فذكرت أمراً آخر، وهو أنه لما قرب سبكري مأسوراً مع رسول صاحب خراسان، كتبت إلى بعض عمال المشرق، بمطالبته بأمواله، وذخائره، فكتب بإلطائه وامتناعه، فكتبت بأن يغل، ثم كتبت بعد ساعتين كتاباً ثانياً بأن يحل، فوصل الكتاب الأول وغل، وتلاه الثاني بعد ساعتين، فحل.

فلما تجاوزت عني أربع ساعات، سمعت صوت غلمان مجتازين في الممر الذي في حجرتي، فقال الخدم الموكلون بي: هذا بلر الحرمي، وهو صنيعك.

فاستغنت به وصحت: يا أبا الخير، لي عليك حقوق، وأنا في حال أتمنى معها الموت، فتخاطب السادة، وتذكرهم حرمي، وخدمتي في تثبيت دولتهم، لما قعد الناس عن نصرتهم، وافتتاحي البلدان المأخوذة، واستيفائي الأموال المنكسرة، وإن لم يكن إلا مؤاخذي بذنب ينقم علي، فالسيف فانه أروح.

فرجع، ودخل إليهم، وخاطبهم، ورققهم، فأمرُوا بحل الحديد كله عني، وتغيير لباسي، وأخذ شعري، وإدخالِي الحمام، وتسليمي إلى زيدان، وراسلوني: بأنك لا ترى بعد ذلك بأساً، وأقيمت عند زيدان، مكرماً، إلى أن رددت إلى هذا المجلس.

قال أبو الحسين: ثم ضرب الدهر ضربه، فدخلت إليه مع أبي، في الوزارة الثالثة، وقد غلب المحسن علي رأيه وأمره.

فقال له أبي: قد أسرف أبو أحمد، في مكاره الناس، حتى انه يضرب من لو قال له: اكتب خطك بما يريد منهُ، لكتب من غير ضرب، ثم يوافق المصادر على الأداء في وقت بعينه، فان تأخر إيراد الروز به، أعاد ضربه، وفي هذا الفعل شناعة، مع خلوه من فائدة.

فقال له أبو الحسن: يا أبا القاسم، لو لم يفعل أبو أحمد، ما يفعله، بأعدائنا، ومن أساء معاملتنا، لما كان من أولاد الأحرار، ولكان نسل هوان، أنت تعلم أنني قد أحسنت إلى الناس دفتين، فما شكروني، وسعوا علي دمي، ووالله لأسلكن بهم ضد تلك الطريقة.

فلما خرجنا من حضرته، قال لي أبي: سمعت أعجب من هذا القول؟ إذا كنا لم نسلم مع الإحسان، نسلم مع الإساءة؟ فما مضى إلا أيام يسيرة، حتى قبض عليه، وجرى ما جرى في أمره.

قال القاضي أبو علي التنوخي: قلت لأبي الحسين بن هشام: قد عرفنا خبر المزين مع كسرى، وهو أنه جلس ليصلح وجهه، فقال له: أيها الملك زوجني بتك، فأمر أن يقام، فأقيم.

وقيل له: ما قلت؟ فقال: لم أقل شيئاً، ففعل به ذلك ثلاث دفعات.

فقال الملك: لهذا المزين خطب، وأحضر أهل الرأي، فأخبرهم بحاله.

فقال جميعهم: ما أنطق هذا المزين، إلا باعث بعثه من مال وراء ظهره، فأنفذ إلى منزله، فلم يوجد له شيء.

فقال الملك: احفروا مكان مقعده عند خدمته لي، فحفروا، فوجد تحته كنز عظيم.

فقال الملك: هذا الكثر كان يخاطبني.

ثم قلت لأبي الحسين: فهل تعرف خبر الحجام، مع الحجاج؟ فقال: نعم، بلغنا أن الحجاج، احتجم ذات يوم،

فلما ركب الحجام المحاجم على رقبتة، قال: أحب أيها الأمير، أن تخبرني بخبرك مع ابن الأشعث، وكيف

عصى عليك.

فقال له: لهذا الحديث وقت آخر، وإذا فرغت من شأنك حدثك، فأعاد مسأله، وكررها، والحجاج يدفعه،

ويعده، ويخلف له على الوفاء له.

فلما فرغ، ونزل المحاجم عنه، وغسل الدم، أحضر الحجام، وقال له: إنا وعدناك بأن نحدثك حديث ابن

الأشعث، وحلفنا لك، ونحن محدثوك، يا غلام، السياط، فأتي بها.

فأمر الحجاج بالحجام فجرد، وعلته السياط، وأقبل الحجاج يقص عليه قصة ابن الأشعث، بأطول حديث،

فلما فرغ استوفى الحجام خمسمائة سوط، فكاد يتلف.

ثم رفع الضرب، وقال له: قد وفينا لك بالوعد، وأي وقت أحيت أن تسأل خبرنا مع غير ابن الأشعث،

على هذا الشرط، أجبتك.

الوزير ابن الفرات

يتناول رقعة فيها سبه وشتمه وتهديله حدث القاضي أبو علي التنوخي، قال: حدثني أبو الحسين بن هشام، قال حدثني أبو علي بن مقله، قبل وزارته، قال: عزم أبو الحسن بن الفرات، في وزارته الأولى، يوماً على الصبح من غد، وكان يوم الأحد من رسمه أن يجلس للمظالم فيه. ثم قال: كيف نتشغل نحن بالسرور، ونصرف عن بابنا قوماً كثيرين، قد قصدوا من نواح بعيدة، وأقطار شاسعة، مستصرخين متظلمين؟ فهذا من أمير، وهذا من عامل، وهذا من قاض، وهذا من متعزز، ويمضون مغمومين، داعين علينا، والله، ما أطيب نفساً بذلك. ولكن أرى أن تجلس أنت يا أبا علي ساعة، ومعك أحمد ابن عبيد الله بن رشيد، صاحب ديوان المظالم، وتستدعي القصص، وتوقعها منها فيما يجوز توقيعكما فيه، وتفردا ما لا بد من وقوفي عليه، وتحضرانه لأوقع فيه، وينصرف أرباب الظلامات مسرورين، وأهناً يومي بذلك. فقلت: السمع والطاعة، وبكرت من غد.

فقال لي: اخرج، واجلس، على ما واقفتك عليه، فخرجت ومعني ابن رشيد، وجلسنا ووقعنا في جمهور ما رفع، إلا عشر رقاع مما يحتاج إلى وقوفه عليها، وتوقيعه بخطه فيها، وكان منها رقعة كبيرة ضخمة، ترجمتها: المتظلمون من أهل رودمستان، وهرمزجرد، وهما ناحيتان من السيب الأسفل وجنبلاء، وكانت إذ ذاك في إقطاع السيدة، وقدرت أنها ظلامة من وكيلها، في تغيير رسم، أو نقص طسق، فجعلتها فيما أفردته. وعدت إلى أبي الحسن، فعرفته ما جرى، فأخذ الرقاع، ولم يزل يوقع فيها، إلى أن انتهى إلى هذه الرقعة، فقرأها، ووجهه يبرد ويصفر، وينتقل من لون إلى لون، فضاق صدري، وندمت على ترك قراءتها، وقلت: لعل فيها أمراً يتهمني فيه، وأخذت ألو نفسي على تفريطي فيما فرطت فيه. وفرغ منها، فكمنني ما وقف عليه فيها، وقال: هاتوا أهل رودمستان وهرمزجرد. فصاح الحجاب دفعات، فلم يجب أحد، وقام وهو مهموم منكسر، ولم يذاكرنا بأمر أكل ولا شرب، ودخل بعض الحجر، وتأخر أكله، وزاد شغل قلبي.

وقلت لخليفة لساكن - صاحب الدواة - وكان أمياً: أريد رقعة لابن بسام الشاعر، عليها خرج لأقف عليه، ولم أزل أخدعه، حتى مكنتني من تفتيش ما هو مع الدواة، ولو كان ساكن حاضراً لما تم لي ذلك. وأخذت الرقعة، فإذا هي رقعة بعض أعداء ابن الفرات، وقد قطعه فيها بالثلب، والطعن، وتعدد المساوىء، والقبائح، وهدده بالسعاية.

وقال فيما قاله: قد قسمت الملك بين نفسك وأولادك، وأهلك وأقاربك، وكتابك وحواشيك، واطرحت جميع الناس، وأقللت الفكر في عواقب هذه الأفعال، وما ترضى لمن تنقم عليه، بالإبعاد وتشيت الشمل، حتى تودعهم الجبوس، وتفعل وتصنع، وختمها بأبيات هي: لو كان ما أنتم فيه يدوم لكم ... ظننت ما أنا فيه دائماً أبداً لكن رأيت الليالي غير تاركة ... ما ساء من حادث أو سر مطردا

وقد سكنت إلى أبي وأنكم ... سنستجد خلاف الخاليتين غدا
قال: وبطل صبح أبي الحسن، ودعانا وقت الظهر، فأكلنا معه على الرسم، ولم أزل أبسطه، وأقول له
أقولاً تسكنه، إلى أن شرب بعد انتباهه من نومه، غبوقاً.
ومضى على هذا اليوم أربعة أشهر، وقبض عليه، واستترت عند الحسين بن عبد الأعلى.
فلما خلع على أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان، جلسنا نتحدث، ونتذكر أمر ابن الفرات.
فقال لي ابن عبد الأعلى: كنت جالساً في سوق السلاح، أنتظر جواز الخاقاني بالخلع، لأقوم إليه وأهنئه،
فاتفق معي رجل شاب، حسن الهيئة، جميل البزة، وحدثني انه صاحب لأبي الحسين بن أحمد بن أبي البغل،
وأنه أنفذه من أصبهان، قاصداً، حتى دس إلى ابن الفرات، رقعة على لسان بعض المتظلمين، فيها كل طعن،
وثلب، ودعاء، وسب، وتوعد، وتهدد، وفي آخرها شعر.
فقلت له: على رسلك، هذه الرقعة على يدي جرت، ووصلت إلى ابن الفرات.
وخرج الحديث متقابلاً.

الوزير أبو علي بن مقلة

يشيد بمآثر الوزير ابن الفرات وحدث القاضي أبو علي، قال: حدثني أبو الحسين بن هشام، قال: قال:
سمعت أبي يقول لأبي علي بن مقلة، في أول وزارته الأولى، وقد جلس مجلساً تقصى فيه الأعمال، وبان منه
فضل كفاية واستقلال: العمل في يد الوزير أيده الله، ذليل.
فقال: على هذه الحال نشأنا، يا أبا القاسم، وأخذناها عنمن كانت الدنيا والمملكة، يطرحان الأثقال عليه،
فينهض بها، يعني أبا الحسن بن الفرات.
ثم قال أبو علي: لقد رأيته جالساً في الديوان للمظالم، والوزير إذ ذاك، القاسم بن عبيد الله، فظلم إليه رجل
من رسم ثقله عليه الطائي، وغير به رسماً له قديماً خفيفاً، ويسأل رده إلى ما كان عليه أولاً.
فرد يقول: قد سميتني أن أبطل رسماً، قرره أبو جعفر الطائي - رحمه الله - مع محله من العدل، والثقة،
والبصيرة بأسباب العمارة، وقد درت عليه الأموال، وصلحت الأحوال، وأحله الجمهور، واستقامت عليه
الأموال، وهذا سوم إعنات، وكتب بحمله على ما رسمه أبو جعفر.
ثم رأيت، مرة ثانية، متظلماً آخر، من رسم ثقل خففه الطائي، لعلمه بأن الضيعة لا تحتمل غيره، وقد
اعترض عليه فيه، ويسأل إجراءه على رسم الطائي.

فرد يقول له: يا برك الله عليك، ليس الطائي أبا بكر الصديق، أو عمر بن الخطاب، أو علي بن أبي طالب،
الذين نفتني آثارهم، ونمضي أفعالهم، وإنما الطائي، ضامن عمل، رأى ما رآه خطأ لنفسه، وما يلزم السلطان
تقريره، وأنت معنت في تظلمك، وكتب بأن يجري على الرسم القديم الثقيل.
وخاطب كلاً من الرجلين، بلسان غير اللسان الآخر، شحاً على الأموال وحفظاً لها.

الوزير العباس بن الحسن

يستشير كبار الكتاب في اختيار من يخلف المكثفي حدث أبو علي التنوخي، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي الكاتب، قال: حدثني غير واحد من كتاب الحضرة، أن أبا أحمد العباس بن الحسن لما مات المكثفي بالله، جمع كتابه، وخوصه، وخلا بهم، وشاورهم فيمن يقلده الخلافة، فأجمعوا، وأشاروا على العباس، بعبد الله بن المعتز، إلا أبا الحسن بن الفرات فإنه أمسك.

فقال له العباس: لما أمسكت، ولم تورد ما عندك؟ فقال: هو أيها الوزير، موضع إمساك. قال: ولم؟ قال: إنه وجب أن ينفرد الوزير - أعزه الله - بكل واحد منا، فيعرف رأيه، وما عنده، ثم يجمع الآراء، ويختار منها بصائب فكره، وثاقب نظره ما شاء، فإما أن يقول كل واحد رأيه، بحضرة الباقي، فربما كان عنده، ما يسلك سبيل النقية في كتمانته وطيه.

قال: صدقت والله، قم معي، فأخذ يده، ودخلا وترك الباقي بمكانهم. فقال له ابن الفرات: قررت رأيك على ابن المعتز؟ قال: هو أكبر من يوجد. قال: وأي شيء تعمل برجل فاضل، متأدب، قد تحنك، وتلدب، وعرف الأعمال، ومعاملات السواد، وموقع الرغبة في الأموال، وخبر المكايل والأوزان، وأسعار المأكولات والمستغلات، ومجاري الأمور والمتصرفات، وحاسب وكلاءه على ما توله، وضايقهم، وناقشهم، وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم، أسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم، فكيف يتم لنا معه أمر، إن حمل كبيراً على صغير، وقاس جليلاً على دقيق، هذا لو كان ما بيننا وبينه عامراً، وكان صدره علينا من الغيظ خالياً، فكيف وأنت تعرف رأيه. قال العباس: وأي شيء في نفسه علينا؟ قال: أنسيت أنه من ثلاثين سنة، يكاتبك في حوائجه، فلا تقضيها، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر، ويتوسل في الوصول إليك ليلاً، فلا تأذن، وكم رقعة جاءتك بنظم ونثر، فلم تعبأ بها، ولا أجبتة إلى مراده فيها، وكم جاعني منه، ما هذا سبيله، فلم أراع فيه وصولاً إلى ما يريد إيصاله إليه، وهل كان له شغل عند مقامه في منزله، وخلوته بنفسه، إلا معرفة أحوالنا، والمساءلة عن ضياعنا، وارتفاعنا، وحسدنا على نعمتنا، هذا، وهو يعتقد أن الأمر كان له ولأبيه وجده، وأنه مظلوم منذ أن قتل أبوه، مهضوم، مقصود، مضغوط، فكيف يجوز أن نسلم إليه نفوسنا، فتحرس، فضلاً عن أموالنا؟ قال: تقلد جعفر بن المعتضد، فإنه صبي، لا يدري أين هو، وعامة سروره، أن يصرف من المكتب، فكيف أن يجعل خليفة، ويملك الأعمال والأموال، وتدبير النواحي، والرجال، ويكون الخليفة بالاسم، وأنت هو على الحقيقة، وإلى أن يكبر، قد انغrust محبتك في صدره، وحصلت محصل المعتضد في نفسه.

قال: فكيف يجوز أن يبايع الناس صبياً، أو يقيموه إماماً؟ فقال له: أما الجواز فمتى اعتقدت أنت، أو نحن، إمامة البالغين من هؤلاء القوم؟ وأما إجابة الناس، فمتى فعل السلطان شيئاً فعورض فيه، أو أراد أمراً فوقف؟ وأكثر من ترى صنائع المعتضد، وإذا أظهرت أنك اعتمدت في ذلك مراعاة حقه، وإقرار الأمر في ولده، وفرت المال، وأطلقت البيعة، وقع الرضا، وسقط الخلاف، وطريق ما تريده، أن توافق بعض أكابر القواد،

وعقلاء الخدم، على المضى إلى دار ابن طاهر وحمله - يعني جعفر بن المعتضد - إلى دار الخلافة، وأن تستر الأمر إلى أن يتم التدبير، وإن اعتاص معتاص، مد بالعطاء والإحسان.

فقال العباس: هذا هو الرأي، واستدعى في الحال، مؤنساً مولى المعتضد، وأورد عليه، ما ذهب فيه إلى الجنس الذي أشار به أبو الحسن، من الوفاء للمعتضد، ورعاية ما كان منه في اصطناع الجماعة، ورسم له قصد دار ابن طاهر، وحمل جعفر إلى دار الخلافة، والسلام عليه بها، ففعل.

وماج الجند، ففرق فيهم مال البيعة، ودخل عليهم من طريق الوفاء للمعتضد، وتم التدبير.

فلما زال أمر العباس، وكان من قبله ما كان، وانتظمت الأمور بعد قتل ابن المعتز، وتقلد أبو الحسن الوزارة، صارت ثمرة هذا الرأي له.

وكان يقف بين يدي المقتدر بالله، وهو صبي، قاعد على السرير، فيخاطب الناس، و الجيش، عنه، فإذا انصرفوا، أمرت السيدة بأن يعدل بأبي الحسن إلى حجرة، فيجلس فيها، ويخرج المقتدر، فيقوم إليه، فيقبل يده ورأسه، ثم يقعد، ويقعده في حجره، كما يفعل الناس بأولادهم.

وتقول له السيدة من وراء الباب: هذا يا أبا الحسن ولدك، وأنت قلدته الخلافة، أولاً، وثانياً، تعني ما تقدم من مشورته على العباس به، وبتقلده الخلافة، من بعد إزالة فتنة ابن المعتز.

فيقول ابن الفرات: هذا مولاي، وإمامي، ورب نعمتي، وابن مولاي، وإمامي.

وبقي على ذلك، مدة وزارته الأولى، وتمكن أبو الحسن من الخزائن والأموال، وفعل ما شاء وأراد.

الوزير ابن الفرات

يتحدث عن تلون المقتدر واختلاف رأيه وحدث أبو محمد الصلحي، قال: حدثنا جماعة من كتاب أبي الحسن بن الفرات، وخواصه قالوا: عاد أبو الحسن من الموكب يوماً، فجلس بسواده مغموماً، يفكر فكيراً طويلاً، فشغل ما رأينا منه قلوبنا، وظننا حادث حدث.

فسألناه عن أمره، فدافعنا، وألحنا عليه، فحاجزنا، وقال: ما هاهنا إلا خير وسلامة.

فقام ابن جبير وكان من بيننا متهوراً مدلاً، فقال: تأمر أيها الوزير بأمر؟ قال: إلى أين؟ قال: أستر، وأستر عيالي، وسبيل هؤلاء الذين بين يديك أن يفعلوا مثل فعلي.

قال: ولم؟ قال: تعود من دار الخلافة، وأنت من الغم الظاهر في وجهك، على هذه الصورة، ونسألك عن أمرك فتكتمنا، ولم تجر عادتك بذلك معنا، وهل وراء هذا إلا القبض و الصرف؟ فقال له: اجلس يا أحق، حتى أحدثك السبب، فجلس.

وقال: ويحكم، قد علمتم أنني أشكو إليكم نقصان هذا الرجل - يعني المقتدر - دائماً، وشدة تلونه، واختلاف رأيه، وأناي أحب منذ مدة، أن أزوره، وأعرف قدر ذلك منه، وهل هو في كل الأمور، أو في بعضها، وفي صغارها أم في كبارها؟ فقلت له اليوم في أمر رجل كبير - ولم يسمه ابن الفرات - يا أمير المؤمنين، إن فلاناً قد فسد علينا، وليس مثله من أخرج من أيدينا، وقد رأيت أن أقلده كذا، وأقطعته،

وأسوغه كذا - وأكثر - لنستخلصه بذلك، ونستصلح نيته، ونستديم طاعته، ولم يجز أن أفعل أمراً إلا بعد مطالعتك، فيما تأمر؟ قال: افعل.

ثم حدثته طويلاً، وخرجت من أمر إلى آخر، وقر وقت انصرافي. فقلت له: يا مولانا، عاودت الفكر في أمر فلان، فوجدت أن ما نعطيه إياه، مما استأذنت فيه، كثيراً، مؤثراً في بيت المال، ولا نأمن أن يطمع نظراؤه في مثل ذلك، وإن أجبناهم، عظمت الكلفة، وإن منعناهم فسدوا، وقد رأيت رأياً آخر في أمره. قال: وما هو؟ قلت: أن نقبض عليه، ونأخذ نعمه، ونخلد الحبس أبداً. قال: افعل.

فقلت: واويلاه، كذا والله تجري حالي معه، يقال له: إن ابن الفرات، الكافي، الناصح، وهو وطأ لك الأمر، وأقامك في الخلافة، وهو... وهو، فيقول: نعم، ويقربني، ويقدمني. ثم يقف غداً بين يديه، رجل، فيقول: قد سرق ابن الفرات الأموال، ونهب الأعمال، وفعل، وصنع، والوجه أن يقبض عليه، ويصرف، ويقيد، ويحبس، ويقتل وزير آخر، فيقول: نعم، ويفعل ذلك بي. ثم يعاود، ويقال له: لا يجوز أن يوحش ابن الفرات، ويستبقى، ولا يؤمن أن يستفسد، ويترك، والصواب قتله، فيقول: افعلوا، فأهلك. قال: واستشعر هذا، فكان على ما قدره. وقد تواترت هذه الحكاية، عن جماعة، عنه.

من أقوال الوزير أبي الحسن بن الفرات

ومما ذكر عن ابن الفرات، أنه كان يقول: تمشية أمور السلطان على الخطأ، خير من وقوفها على الصواب. ويقول أيضاً: إذا كانت لك حاجة إلى الوزير، فاستطعت أن تقضيها بخازن الديوان، أو كاتب سره، فافعل، ولا تبلغ إليه فيها.

الوزير أبو علي بن مقلة

يتحدث عن سياسة الوزير ابن الفرات ووفور عقله وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي، قال: حدثني أبو علي بن مقلة، قال: كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات، في التحرير، أيام خلافته أبا العباس أخاه، على ديوان السواد، بجاري عشرة دنانير في كل شهر، ثم تقدمت حاله، فأرزقني ثلاثين ديناراً في كل شهر، فلما تقلد الوزارة، جعل رزقي خمسمائة دينار في الشهر.

ثم أمر بقبض ما في دور القوم الذين بايعوا ابن المعتز، فحمل في الجملة صندوقان. فسأل: هل علمتم ما فيها؟ قالوا: نعم: جرائد بأسماء من يعاديك، ويدبر في زوال أمرك. فقال: لا يفتحان، ثم دعا بنار، دعاء كرره، وصاح فيه، وأحضر الفراشون النار فأججت، وتقدم بطرحهما في النار، على ما هما.

فلما أحرقت، أقبل على من كان حاضراً، وقال: والله لو فتحناها، وقرأت ما فيها، لفسدت نيات الناس كلهم علينا، واستشعروا الخوف منا، ومع فعلنا ما فعلناه، طوينا الأمور بهذا، فهدأت القلوب، واطمأنت النفوس.

ثم قال لي: قد آمن الله، والخليفة - أعزه الله - كل من بايع ابن المعتز، فاكتب الأمانات للناس جميعاً، وجني بها لأوقع فيها، ولا ترد أحداً عن أمان يطلبه، فقد أفردتك لذلك، لأنه باب مكسب كبير. وقال لمن حضر: أشيعوا قولي، وتحدثوا به بين الخاص والعام، ليأنس المستوحش، ويأمن المستتر. قال أبو علي: فحصل لي من كتب الأمانات، مائة ألف دينار، أو نحوها.

وزير يسرق سبعمائة ألف دينار

في عشر خطوات قال أبو محمد الصلحي: قال لنا أبو علي بن مقلة، وقد جرى ذكر ابن الفرات: يا قوم سمعتم بمن سرق في عشرة خطوات سبعمائة ألف دينار؟ قلنا: كيف ذلك؟ كنت بين يدي ابن الفرات في وزارته الأولى، ونحن في دار الخلافة، نقرر أرزاق الجيش، ونقيم وجوه مال البيعة، ونرتب إطلاقه، وذلك عقيب فتنة ابن المعتز.

فلما فرغ مما أراد، وخرج، فركب طياره، وبلغ نهر المعلى، قال: إنا لله، فوقفوا. فوقف الملاحون.

فقال لي: وقع إلى أبي خراسان، صاحب بيت المال، بحمل سبعمائة ألف دينار، تضاف إلى مال البيعة وتفرق على الرجال.

فقلت في نفسي: أليس قد وجهنا وجوه المال كله؟ ما هذه الزيادة؟ ووقعت بما رسمه، وعلم فيه بخطه، ودفعه إلى غلام، وقال: لا تبرح من بيت المال، حتى تحمل هذا المال الساعة إلى داري، ثم سار. قال: فحمل إليه بأسره، وسلم إلى خازنه، فعلمت أنه أنسي أن يأخذ شيئاً لنفسه في الوسط، ثم ذكر أنه باب لا يتفق مثله سريعاً، ويحتمل ما احتمله من هذا الاقتطاع الكثير، فاستدرك من رأيه ما استدرك، وتنبه من فعله، ما تنبه.

الظلم إذا زاد رفع نفسه

حدث القاضي أبو علي، قال: حدثني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي، قال: قال لنا أبو الحسن بن الفرات يوماً، وقد جرى بحضرته ذكر رجل قد أسرف في الظلم: الظلم إذا زاد رفع نفسه.

ما يرتفع لابن الفرات

ولعلي بن عيسى من ضياعهما حدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التوحي، قال: حدثني أبو طاهر الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري، المعروف بالمقنعي، أحد الشهود، قال: حدثني أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى: أنه كان يرتفع لأبيه، من ضياعه في كل سنة، عند الاعتزال والعطلة، بعدما ينصرف من النفقة، ثلاثون ألف دينار، ويرتفع من ضياع أبي الحسن علي بن محمد ابن الفرات، إذا قبضت عنه، ألف ألف دينار، وإذا وزر، وردت عليه، أضعفت.

قال القاضي: وافق أن حضر هذا الحديث، أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الأنباري، فقال: حدثني جماعة من أصحاب أبي الحسن علي بن عيسى، أن جميع ما كان يرتفع له في السنة نيف وثمانون ألف دينار، يخرج منها في أبواب البر، وسبل الخير، وتفقد الطالبين، والعباسيين، والأنصار، وأولاد المهاجرين، ومصالح الحرمين، نيف وأربعون ألف دينار، ويبقى الباقي لنفقاته، وأنه كان يسمع الكتاب يقولون في ضياع أبي الحسن بن الفرات، أنها ترتفع في وزارته بألف ألف دينار، وعند القبض عليه، ودخول يد العمال فيها، بثمانمائة ألف دينار، وأقل، وأكثر.

عادة ابن الفرات في كلامه

بارك الله عليك، وعادة علي بن عيسى والك حدث القاضي أبو علي، قال: حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد ابن عياش القاضي، قال: كانت عادة أبي الحسن بن الفرات، في كلامه، أن يقول للإنسان: بارك الله عليك.

ومن عادة أبي الحسن، علي بن عيسى أن يقول: والك، أو واك. فكان الناس يقولون: لو لم يكن الفرق بين الرجلين إلا حسن اللقاء، وصرف ما بين القولين لكفى. وحكى أبو محمد الصلحي، قال:

لما صرف الراضي بالله، أبا علي، عبد الرحمن بن عيسى عن وزارته ونكبه، ونكب أبا الحسن علي بن عيسى، وصادر أبا الحسن على ألف ألف درهم، وعبد الرحمن على ثلاثة آلاف دينار، وكان ذلك طريفاً، وحصل أبو الحسن معتقلاً في دار الخلافة، وخاف أبو الحسن أن يكون في نفس الراضي بالله عليه، ما يريد معه قتله، فراسلني - يقول هذا أبو محمد، وكان إذ ذاك كاتب أبي بكر بن رائق - يسألني خطاب الراضي بالله عن صاحبي، في نقله إلى دار وزيره، إلى أن يؤدي ما قرر عليه أمره.

قال: فجنيت إلى الراضي بالله، وقلت له: يا أمير المؤمنين، علي ابن عيسى، خادمك وخادم آباتك، ومن قد عرفت محله من الصناعة، وموقعه من جمال المملكة، ومن حاله وأمره كذا وكذا.

فقال: هو كذلك، ولكن له عندي ذنوب، وأخذ يعدد ذنوب عبد الرحمن.

فقلت له: يا مولانا، وأي درك يلزمه، فيما قصر فيه أخوه؟ فقال: سبحان الله، وهل دبر عبد الرحمن، إلا برأيه، وأمضى شيئاً أو وقفه، إلا عن أمره، أو أمري إياه بأن لا يحل ولا يعقد إلا بموافقتي؟ وأقبلت أعتذر له، ما خاطبني قط، إلا قال: واك فهل يتلقى الخلفاء بمثل ذاك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن هذا طبع له قد ألف

منه، وحفظ عليه، وعيب به في أيام خدمته للمقتدر بالله، رحمة الله عليه، وما استطاع أن يفارقه مع نشئه عليه، و تعوده إياه.

فقال: اعمل على أنه خلق، أما كان يمكنه أن يغيره مع ما رصفته من فضله وعقله، أو أن يتحفظ معي خاصة فيه، مع قلة اجتماعي معه، ومحاطبي إياه؟ وما يفعل ما يفعله، إلا عن قهوان، وقلة مبالاة. فقبلت الأرض مراراً بين يديه، وقلت: والله، والله، أن يصور مولانا ذلك فيه، وإنما هو عن سوء توفيق، والعفو من أمير المؤمنين مطلوب. ولم أزل إلى أن أمر بنقله، إلى دار وزيره، ونقل، وصحح ما أخذ به خطه، وصرف إلى منزله.

الوزير علي بن عيسى

يرأف بأحد المطالبين، ويعفيه من المطالبة حدث أبو علي التوخي، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف، ابن الأزرقي، قال: حدثني أبو يعقوب أخي، قال: حدثني أبو بكر ابن مقاتل، ونحن بمصر، قال: ابتعت من السلطان قديماً - وأنا تاجر - غلة على إكراه، وبقي علي من ثمنها عشرون ألف دينار. وأحضرتني أبو الحسن علي بن عيسى، وطالبني بذلك، فلم تكن لي وجهة، وعدلت إلى جحده، وترك الاعتراف به.

وقال لي: اعمل حساباً، بأصل ما ابتعته، وما أديته، ليبين الباقي ودافعت، فاعتقلني في الديوان، وأمرني بعمل الحساب به.

فأخذت أعلل، وأطاول، إشفافاً من أن تتحقق البقية، فأحصل تحت المطالبة، بغير عذر ولا حجة. ثم أرهقني، ودعاني إلى حضرته، فدخلت، ومعني كيس حسابي، لأريه ما أرتفع منه، وأسأله إنظاري بإتمامه، واستكمالته.

وفتحت الكيس بين يديه، وكنت أستطيب خبز البيت، ولا آكل غيره، ويحمل إلي من منزلي في كل يومين أو ثلاثة، ما أريد منه.

وبحسن الاتفاق، تركت في الكيس منه رغيفين، استظهاراً، لئلا يتأخر عني ما يحمل إلي.

وبينما أقلب الحساب، وقعت عين الوزير أبي الحسن على الرغيفين، فلما رآهما، قال لي: أضمم إليك حسابك - مراراً - فضممته وشددته.

وقال لي: قم إلى بيتك.

فانصرفت، ولم يطالبني بشيء بعد ذلك، ولا تنبه من نظر بعد علي أمري، فانكسر المال - والله - وكان سببه الرغيفين، لأن علي بن عيسى، لما رآهما، قد كنت أشكو الحسارة والفقر، حملني على أن حملي للرغيفين مع الحساب، لضعف حال، وشدة فاقة.

الملك عضد الدولة

يغضب على أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف ذكر أبو علي القاضي التنوخي، عن عضد الدولة ابن بويه، أنه كان قدم في دولته أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف، واعتقد في كمال عقله، ورزاقته نبلة، ورجحان فضله، فناط به أزمة عقده وحله، واعتمد إليه في أمر ملكه كله. وكان نفاق الحاشية، يغطي عواره، ويستره، وألسن الخدم والأتباع لعضد الدولة، تمدحه وتشكره، وجماعة من عظماء الدولة، تعرض عنه فلا تذكره، وهو يتبجح بدعوى العقل، وهو أجهل من باقل، ويتحلى بحسن التدبير، وهو يجيد من المعرفة عاطل، ويظهر الاستطالة على فضلاء الأمثال، وهو خالٍ عن الفضائل. واستمر ذلك برهة من الدهر.

إلى أن أتاح، القدر المحتوم، والقضاء المعلوم، أن سافر عضد الدولة من العراق، إلى همدان، فتبعه أبو محمد الخرنبازي، يطلب خدمة، وكان ذا دراية، وفضل، وعقل، ورزاقته، ونبل. فلما رآه أبو القاسم، قد خرج في جملة الجماعة، خشي من تقدمه عند عضد الدولة، فيفضح مستورة، وتقبح أموره، فحسن لعضد الدولة رده من الطريق، وإبعاده عن الصحبة، وإن يجري عليه شيء من الرزق بالبصرة، وقيم بما.

قال أبو علي القاضي: كنت بين يدي عضد الدولة، وق قال لأبي بكر بن شاهويه - وهو من أصحاب أبي القاسم عبد العزيز - تمضي إلى أبي محمد الخرنبازي، وتقول له تمضي إلى البصرة، ونحن نجري لك معيشة ترتزق منها، فقد طال تبعك لنا، وتعبك معنا، وقد تبرمنا منك، وليس عبد العزيز، قد اصطحب جماعة كثيرة، في بعضهم غنية عن أمثال، فانصرف عنا، واكتف بما أرتبه لك، إن شاء الله تعالى. ثم إن عضد الدولة، سير من خاصته شخصاً مع أبي بكر، ليشهد ما يقوله، وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد، بحيث لا يكتف أبو بكر شيئاً من الجواب، لكونه من أصحاب أبي القاسم. فلما حضرا عند أبي محمد، قال له أبو بكر، صورة ما قاله عضد الدولة جميعه.

فقال أبو محمد، لما سمع ذلك: الأمر للملك، ولا خلاف له، والسمع والطاعة لتقدمه، ولعمري إن الناس يجدودهم ينالون، وبحظوظهم يستديمون، ولو أنني تقدمت عند الملك، ونفقت عليه، ما كان عجباً، فقد نال منه، وتقدم عنده، من أنا أرجح منه، ولكن المقادير غالبه، وليس للإنسان متقدم عنها ولا متأخر، وقد قيل: من غالب الأقدار غلب، ولكن، أيها الشيخ، لي حاجة أحب أن تبلغها الملك عني، وهي كلمة فيها نصيحة، وشفاء لما في الصدور.

فقال أبو بكر، قل: فإني أبلغها الملك.

فقال: تقول له: أنا صائر إلى ما أمرت، ومتوجه إلى البصرة، لامتنال ما رسمت، ولكن بعد أن تقضي وطراً في نفسي، وفيه شهرة لعظمتك، وتنبه على أنك لا تنخدع في ملكك، ولا يلتبس لديك محق بمبطل، وعافل بجاهل، ومسيء بمحسن، ويقظان بغافل، وجواد بباخل، وهو أن يتقدم، بأن يقيم عبد العزيز المكنى بأبي القاسم، بين اثنين على رؤوس الأشهاد، وينتقم منه انتقاماً بالغاً، ويقال له: إذا لم تبذل جاهك لمتهلف، ولم يكن عندك بر لضعيف، ولا فرج لمكروب، ولا عطاء لسائل، ولا جائزة لشاعر، ولا مرعى لمتجع، ولا

مأوى لضيف، ولا ذب عن عرض مخدومك، ولا استجلاب ثمار الألسنة بالأدعية والاحامد لدولة أوجدتك، ولا لك من العقل ما تميز به بين ما يكسب حمداً أو ذماً، فلم ألزمت نفسك أن يخاطبك بسيدنا، وتقد يدك ليقبلها الداخلون، ويقوم لك عظماء المملكة، عند طلوعك عليهم؟ ثم إن أبا محمد قام وركب، وعاد. قال أبو بكر بن شاهويه: فعدت، وقد سبقني الذي كان معي مشرفاً، وذكر ذلك للملك عضد الدولة، فلما حضرت عنده، وأبو القاسم بين يديه، سكت.

فاستحييت من أبي القاسم، أن أذكره، فقلت: سمعه الملك من المشرف الذي أنفذه معي. قال: قل، فأنت كتبت الرسول، فاذكر الحديث على صورته كله، فوالله إن تركت منه حرفاً، لم تلق خيراً. فما أمكنني إلا أنني سردت كلام أبي محمد، كما قاله، ولم أترك منه شيئاً، وأبو القاسم يتقدد في إهابه، ويتمزق في جلده، ويتغير وجهه، ويتلون ألواناً، ند كل كلمة منه. فأقبل عليه عضد الدولة، فقال: كيف ترى يا عبد العزيز؟ لا جراك الله خيراً، الآن علمت أنك لا تعتمد حالة ترضي الله تعالى، ولا تتبنى مكرمة، ولا تحفظ مروءة، ولا تحرس أمانة، ولا يخرج فكرك عنك، ولا صمتك، إلا في مال تجتذبه، وإقطاع لنفسك تنمره، وتجعلني باباً من أبواب معاشك، وجهة من جهات أرباحك، تبعد من ينفعني، وتقرب من ينفك، فخدمتك معروفة، وسيرتك معلومة، وكنت أسمع في جرك النار إلى قرصك، وشرهك في جميع أحوالك، وأذك لمن يقصد أبوابنا، ولكن لكل أجل كتاب، ثم أمر به فأخذ.

فظهرت بسوء فعله، قلة عقله، وبقبح قصده، ضعف رأيه.

أبغى الشفا بك من سقمي ومن دائي

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التنوخي، قال: أنبأنا عمر بن حيويه، قال: أنبأنا أبو محمد جعفر بن الفضل العسكري قال: أنبأنا محبوب بن صالح، عن أبيه:

أن رجلاً من العرب، رأى امرأة، فوقعت بقلبه، فكاظم بذلك دهرًا، ثم أن الأمر تفاقم، وتمكنت منه الصباية، وسحقه الغرام، فبعث إليها يسألها نفسها، ويخبرها بما هو عليه من حبها، فكتبت إليه: اتق الله أيها الرجل وارع على نفسك، واستحي من هذه المهمة التي قد تعلق بها، فإن ذلك أولى بذوي العقول، فلما وافاه كتابها، أخذته وسوسة، واستولى عليه الشيطان، وجعل الأمر يتزايد، حتى زال عقله، وكان لا يعقل إلا ما كان من حديثها أو ذكرها.

وكان يبكر في كل يوم، فيقف على باب الدار التي تنزلها المرأة، فيقول:

يا دار حييت إن كانت تحييتنا ... تغني ولو كان في التسليم إشفائي

لا زلت أبكيك ما قامت بنا قدم ... أبغى الشفا بك من سقمي ومن دائي

ثم مضى شبيهاً بالهائم على وجهه، فلم يزل على ذلك حتى مات.

أشاع الدمع ما كت أكنم

أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن علي التتوخي، فيما أجاز لنا، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز، قراءة عليه، قال: أخبرنا محمد بن خلف، إجازة، قال: حدثنا قاسم بن الحسن، قال: حدثنا العمري، قال: أخبرنا الهيثم بن عدي: إن مرة بن مصعب القيسي كان له أخ يقال له فهر، وكانا ينزلان الحيرة وإن فهرًا ارتحل بأهله وولده، فنزل بأرض السراة، وأقام مرة، بالحيرة، وكانت عند مرة، امرأة من بكر بن وائل، فلبثت معه زمانًا لم يرزق منها ولدًا، حتى ينس من ذلك، ثم أتى في منامه، ذات ليلة، فقيل له: إنك إن باشرت زوجتك، في ليلتك هذه، رأيت سرورًا وغبطة، فانتبه، فباشرها، فحملت، فلم يزل مسرورًا إلى أن تمت أيامها، فولدت له غلامًا، فسماه إياسًا، لأنه كان آيسًا، فنشأ الغلام منشأً حسنًا. فلما ترعرع، ضمه أبوه إليه، وأشركه في أمره، وكان إذا سافر أخرجه معه، لقلّة صبره عنه. فقال له أبوه يوماً: يا بني، قد كبرت سني، وكنت أرجوك لمثل هذا اليوم، ولي إلى عمك حاجة، فأحب أن تشخص فيها.

فقال له إياس: نعم يا أبة، ونعم عين وكرامة، فإذا شئت، أخبرني بحاجتك، فأعلمه الحاجة، فخرج متوجهًا حتى أتى عمه، فعظم سروره به، وسأله عن سبب قدومه، وما الحاجة، فأخبره بها، ووعدته بقضاءها، فأقام عند عمه أيامًا ينتظر فيها قضاء الحاجة.

وكان لعمه بنت يقال لها صفوة، ذات جمال وعقل، فبينما هو جالس بفناء دارهم، إذ بدت له صفوة، زائرة بعض أخواتها، وهي تهادى بين جوار لها، فنظر لها إياس نظرة، أورثت قلبه حسرة، وظل نهاره ساهيًا، وبات وقد اعتكرت عليه الأحزان، ينتظر الصباح، يرجو أن يكون فيه النجاح.

فلما بدا له الصباح، خرج في طلبها ينتظر رجوعها، فلم يلبث أن بدت له، فلما نظرت إليه تنكرت، ثم مضت فأسرعت، فمر يسعى خلفها، يأمل منها نظرة، فلم يصل إليها، وفاته، فانصرف إلى منزله، وقد تضاعف عليه الحزن، واشتد الوجد.

فلبث أيامًا، وهو على حاله، إلى أن أعقبه ذلك مرضًا أضناه، وأنحل جسمه، وظل صريعًا على الفراش. فلما طال به سقمه، وتخوف على نفسه، بعث إلى عمه لينظر إليه، ويوصيه بما يريد، فلما رآه عمه، ونظر إلى ما به، سبقته العبرة إشفافًا عليه.

فقال له إياس: كفّ، جعلتك فداك يا عمّ، فقد أقرحت قلبي، فكفّ عن بعض بكائه، فشكا إليه إياس ما جد من العلة، فقال له: عزّ والله، عليّ يا ابن أخي، ولن أدع حيلة في طلب الشفاء لك.

فانصرف إلى منزله، وأرسل إلى مولاة له، كانت ذات عقل، فأوصاها به، وبالتعاهد له، والقيام عليه. فلما دخلت المولاة عليه، فتأمّلته، علمت أنّ الذي به عشق، فقعدت عند رأسه، فأجرت ذكر صفوة، لتستيقن ما عنده، فلما سمع ذكرها زفر زفرة، فقالت المرأة: والله، ما زفر إلا من هوى داخله، ولا أظنه إلا عاشقًا.

فأقبلت عليه كالمازحة له، فقالت له: حتى متى تبلي جسمك، فوالله ما أظن الذي بك إلا هوى.

فقال لها إياس: يا أمه، لقد ظننت بي ظن سوء، فكفّي عن مزاحك.
فقالت: إنك، والله، لن تبديه إلى أحد هو أكرم له في قلبي، فلم تزل تعطيه الموائيق، وتقسم عليه، إلى أن قالت له: بحق صفوة.
فقال لها: لقد أقسمت عليّ بعظيم لو سألتني به روحي لدفعتها إليك، ثم قال: والله يا أمه، ما عظم دائي، إلاّ بالاسم الذي أقسمت عليّ بحقه، فالله، الله، في كتمان، وطلب وجه الحيلة فيه.
فقالت: أما إذا أطلعتني عليه، فسأبلغ فيه رضاك، إن شاء الله.
فسرّ بذلك، وأرسل معها بالسلام إلى صفوة، فلما دخلت عليها، ابتدأتها صفوة بالمسألة عن الذي بلغها عن مرضه، وشدة حاله، فاستبشرت المولاة بذلك.
ثم قالت: يا صفوة، ما حالة من يبيت الليل ساهراً محزوناً يرعى النجوم ويتمنى الموت؟ فقالت صفوة: ما أظن هذا على ما ذكرت بباق، وما أسرع منه الفراق.
ثم أقبلت على المولاة. فقالت: إني أريد أن أسألك عن شيء، فبحقي عليك لما أوضحته.
فقالت: وحقك، إن عرفته فلا أكرمك شيئاً.
قالت: هل أرسلك إياس إلى أهل ودّه في حاجة؟ فقالت المولاة: والله لأصدقنك، والله، ما جلّ داؤه، وعظم بلاؤه إلا بك، وما أرسلني بالسلام، إلا إليك، فأجيبه إن شئت، أو دعي.
فقالت لا شفاه الله، والله، لولا ما وجب من حقك لأسأت إليك، وزجرتها.
فخرجت من عندها كتيبة، فأتته، فأعلمته، فازداد على ما كان به من مرضه، وأنشأ يقول:
كتمت الهوى حتى إذا شبّ واستوت ... قواه أشاع الدمع ما كنت أكرم
فلما رأيت الدمع قد أعلن الهوى ... خلعت عذارى فيه والخلع أسلم
فيا ويح نفسي كيف صبري على الهوى ... وقلبي وروحي عند من ليس يرحم
قال: ثم إن عمه دخل ليعرف خبره، فقال له، يا عم، إني مخبرك بشيء لم أخبرك به حتى برح الخفاء ولم أطق له محملاً.
فأخبره الخبر، فزوجه إياها، فأفاق، وبرء من علته.

بنو عذرة أرق الناس قلوباً

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا علي بن الحسن التبوخي، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن منصور بن سيار، قال: حدثنا نوح بن يزيد المعلم، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن جعفر ابن الزبير، قال: سمعت رجلاً من بني عذرة، عند عروة بن الزبير يحدثه، فقال عروة: يا هذا

بحق أقول لكم: إنكم أرق الناس قلوباً.
فقال: نعم والله، لقد تركت بالحي، ثلاثين شاباً قد خامرهم السل، ما بهم إلا داء الحب.

علامة من كان الهوى في فؤاده

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنبأنا محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: ترى العاشق إذا رأى من يحبه، أو سمع بذكره، كيف يهرب دمه، ويستحيل لونه، ويخفق فؤاده، وتأخذه الرعدة، وربما امتنع من الكلام، ولم يطق رد الجواب.

وقال بعض الشعراء:

علامة من كان الهوى في فؤاده ... إذا ما رأى الأحباب أن يتحيراً
ويصفر لون الوجه بعد احمراره ... وإن حركوه للكلام تشوراً

زعموا أن الفراق غدا

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنشدنا علي بن محمد، قال: أنشدنا أبو بكر الصنوبري، لنفسه:

أخذوا للسير أهبتَه ... وأخذنا أهبة الكمد
زعموا أن الفراق غداً ... وفراق الروح بعد غد

عاشق ينتحر

بمحضر من الخليفة عبد الملك بن مروان أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: أنبأنا السليمي، عن محمد بن نافع مولاهم، عن أبي ربحانة، أحد حجاب عبد الملك بن مروان، قال: كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع، يومين، جلوساً عاماً، فبينما هو جالس في مستشرف له، وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصة غير مترجمة، فيها: إن رأى أمير المؤمنين، أن يأمر جاريته فلانة، أن تغني ثلاثة أصوات، ثم ينفذ ما شاء من حكمه، فعل.

فاستشاط من ذلك غضباً، وقال: يا رباح، علي بصاحب هذه القصة.

فخرج الناس جميعهم، فأدخل عليه غلام كما عذر، كأهياً الفتيان وأحسنهم.

فقال له عبد الملك: يا غلام، أهذه قصتك؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال: وما الذي غرك مني، والله لأمثلن بك، ولأردعن بك نظرائك من أهل الجسارة، علي بالجارية، فجيء بجارية كأنها فلقة قمر، ويدها عود، فطرح لها كرسي، وجلس.

فقال عبد الملك: مرها يا غلام.

فقال لها: غنيني يا جارية بشعر قيس بن ذريح:

لقد كنتِ حسب النفس لو دام ودنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور

قال: فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تحريقاً.

ثم قال له عبد الملك: مرها، تغنيك الصوت الثاني.

فقال: غنيني بشعر جميل:

ألا ليت شعري هل أبين ليلة ... بوادي القرى إني إذن لسعيد

إذا قلت: ما بي يا بئينة قاتلي ... من الحب، قالت: ثابتٌ ويزيد

وإن قلت: ردي بعض عقلي أعش به ... مع الناس قالت: ذاك منك بعيد

فلا أنا مردود بما جئت طالباً ... ولا حبها فيما يبئد يبئد

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ... ويجي إذا فارقتها فيعود

فغنته الجارية، فسقط الغلام مغشياً عليه ساعة، ثم أفاق.

فقال له عبد الملك: مرها، فلتغنيك الصوت الثالث.

فقال: يا جارية، غنيني بشعر قيس بن الملوح، المجنون:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غزالٌ غضيض المقلتين ربيب

فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ... ولكن من تنأين عنه غريب

فغنته الجارية، فطرح الغلام نفسه في المستشرف، فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع.

فقال عبد الملك: ويحه، لقد عجل على نفسه، ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل، وأمر، فأخرجت

الجارية عن قصره، ثم سأل عن الغلام، فقالوا: غريب لا يعرف، إلا أنه منذ ثلاث ينادي في الأسواق، ويده

على رأسه:

غداً يكثر الباكون منا ومنكم ... وتزداد داري عن دياركم بعدا

ثلاثة مجانين في بني عامر

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنبأنا ابن حيويه، قال: أخبرنا محمد بن خلف،

قال: أخبرني أحمد بن حرب قال: أخبرني ابن أبي كريم، قال: أخبرنا أبو قلابة العامري، عن القاسم ابن سويد

الحرمي، قال: كان في بني عامر ثلاثة مجانين، معاذ ليلي، وهو معاذ بن كليب، أحد بني عامر بن عبيد،

وقيس بن معاذ، ومهدي بن الملوح الجعدي.

فأما ليلي: فاختلفوا في نسبها، فقال بعضهم: ليلي بنت مهدي.

وقال بعضهم: ليلي بنت ورد، من بني ربيعة.
وفي كنيته قولان، أحدهما: أم مالك، وكذلك كناها المجنون في شعره، والثاني: أم الخليل.

ليلي والمجنون

أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السراج، قال: أنبأنا علي بن المحسن التنوخي، قال: حدثني رجل من بني عامر، يقال له: رباح بن حبيب، قال: كان في بني عامر جارية من أجمل النساء، لها عقل وأدب، يقال لها ليلي بنت مهدي.

فبلغ المجنون خبرها، وما هي عليه من الجمال والعقل، وكان صباً بمحادثة النساء، فعمد إلى أحسن ثيابه، فلبسها وثمياً، فلما جلس إليها، وتحدث بين يديها، أعجبته، ووقعت بقلبه، فظل يومه ذاك يحدثها وتحدثه حتى أمسى، فانصرف إلى أهله، فبات بأطول ليلة، حتى إذا أصبح مضى إليها، فلم يزل عندها حاي أمسى ن ثم انصرف، فبات بأطول من ليلته الأولى، وجهد أن يغمض، فلم يقدر على ذلك، فأنشأ يقول:

فمأري فمأري الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزني إليك المضاجع
أقضي فمأري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والههم بالليل جامع

وأدام زيارتها، وترك إتيان كل من كان يأتيه، فوقع في قلبها مثل الذي وقع في قلبه، فجاء يوماً يحدثها، فجعلت تعرض عنه، وتقبل على غيره، تريد أن تمتحنه، وتعلم ما في قلبه، فلما رأى ذلك منها اشند عليه وخرج، فلما خافت عليه، أقبلت عليه، فقالت:

كلانا مظهر للناس بغضاً ... وكل عند صاحبه مكين
فسري عنه عند ذلك.

فقالت: إنما أردت أن أمتحكك، والذي لك عندي، أكثر من الذي لي عندك، وأنا معطية الله عهداً، إن أنا جالست بعد يومي هذا، رجلاً سواك، حتى أذوق الموت، إلا أن أكره على ذلك.
فانصرف وهو أسر الناس. فأنشأ يقول:

أظن هواها تاركي بمضلة ... من الأرض لا مال لدي ولا أهل
ولا أأخذ أفضي إليه وصيتي ... ولا وارث إلا المطية والرحل

مما حبها حب الأولى كن قبلها ... وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل

تعلقت ليلي وهي ذات ذؤابة

أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البخاري، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، وأخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المحسن قال: أنبأنا أبو عمر بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال العمري، عن لقيط بن بكير الحاربي: أن المجنون علق بليلى علاقة الصبا، وذلك أنهما كانا صغيرين يريان أغناماً لقومهما، فعلق كل واحد منهما صاحبه، إلا أن المجنون كان أكثر منها، فلم يزل على ذلك حتى

كبرا.

فلم علم بأمرهما، حجبت ليلى عنه، فزال عقله، وفي ذلك يقول:
تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ... ولم يد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

مجنون ليلى يفقد عقله

أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو القاسم التنوخي، قال: حدثنا ابن حيويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، قال: حدثني يحيى بن أبي جابر، قال: حدثني ربيعة بن عبد الحميد قال: كان المجنون من ولد أبي بكر بن كلاب، فأتى عليه عصر من الدهر لا يعرف ليلى، ثم عشقها، فخطبها، فلم يزوجه، فاشتدت حالته، وزاد ما كان يجده، وفشا أمره في الناس، فلقيه ابن عم له، فقال: يا أخي اتق الله في نفسك، فإن هذا الذي أنت فيه من عمل الشيطان، فازجره عنك، فأنشأ يقول:
يا حبذا عمل الشيطان من عمل ... إن كان من عمل الشيطان حبيها
منيته النفس حتى قد أضرب بها ... وأحدثت خلقاً مما أمنيته

قال ابن خلف: وقال أبو عبيدة: كان المجنون يجلس في نادي قومه وهم يحدثون، فيقبل عليه بعض القوم ن فيحدثه، وهو باهت ينظر إليهم، ولا يفهم ما يحدثه به، ثم يثوب إليه عقله، فيسأل عن الحديث، فلا يعرفه، فحدثه مرة بعض أهله بحديث، ثم سأله عنه في غد، فلم يعرفه، فقال:
إني لأجلس في النادي أحدثهم ... فأستفيق وقد غالتني العول
يهوى قلبي حديث النفس دونكم ... حتى يقول خليلي أنت محبول

قال أبو عبيدة: فتزايد الأمر به، حتى فقد عقله، فكان لا يقر في موضع، ولا يؤويه رحل، ولا يعلوه ثوب إلا مزقه، وصار لا يفهم شيئاً مما يكلم به، إلا أن تذكر له ليلى، فإذا ذكرت أجاب النداء به، ورجع عقله.

من أطاع الواشين لم يتركوا له صديقا

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنبأنا ابن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: روى رباح بن حبيب، رجل من بني عامر، قال: لما كثر ذكر المجنون ليلى، واشتهر أمره، اجتمع إلى أبيه أهله، وكان سيّداً، فقالوا له: زوج قيساً، فإنه سيكف عن ذكر ليلى، وينساها.
فعرض عليه أبو الترويح، فأبى، وقال: لا حاجة لي إلى ذلك فأتى ليلى بعض فتيان القوم، ممن كان يحسد قيساً، ويعاديه، فأخبرها أنه على أن يتزوج، وجاء المجنون كما كان يحيى، فحجبتة، ولم تظهر له، فرجع وهو يقول:

فوالله ما أدري علام هجرتني ... وأي أمور فيك يا ليل أركب

أأقطع جبل الوصل ؟ فالموت دونه ... أم أشرب رنقاً منكم ليس يشرب ؟
أم أهرب حتى لا يرى لي مجاور ؟ ... أم أفعل ماذا ؟ أم أبوح فأغلب ؟
فوالله ما أدري وإني لدائب ... أفكر ما جرمي إليها فأعجب
قال: فبلغها قوله، فأنشأت تقول: صدق والله قيس حيث يقول:
ومن يطع الواشين لم يتركوا له ... صديقاً وإن كان الحبيب المقرباً

ألا حجت ليلى

أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنبأنا أبو عمر بن حيويه، قال: حدثنا محمد ابن خلف، قال: قال محمد بن زياد بن الأعرابي: لما شب المجنون بليلى، وشهر بجبها، اجتمع إليه أهلها، فمعه من محادثتها، وزيارتها، وتهدوه، وأوعده بالقتل، فكان يأتي امرأة، فتعرف له خبرها، فنهوا تلك المرأة عن ذلك، فكان يأتي غفلات الحى في الليل.

فلما كثر ذلك، خرج أبو ليلى، ومعه نفر من قومه إلى مروان بن الحكم، فشكوا إليه ما ينالهم من قيس بن الملوح، وسألوه الكتابة إلى عامله عليهم، يمنعه من كلام ليلى.
فكتب لهم مروان، كتاباً إلى عامله، يأمره أن يحضر قيساً، ويتقدم إليه في ترك زيارة ليلى، فإن أصابه أهلها عندهم، فقد أهدروا دمه.

فلما ورد الكتاب على عامله، بعث إلى قيس وأبيه، فجمعهم، وقرأ عليهم كتاب مروان، وقال لقيس: اتق الله في نفسك، لا يذهب دمك هدرًا، فانصرف قيس، وهو يقول:
ألا حجت ليلى وآلى أميرها ... علي يميناً جاهدًا لا أزورها
وأوعدي فيها رجال أبوهم ... أبي وأبوها خشنت لي صدورها
على غير شيء غير أني أحبها ... وأن فؤادي عند ليلى أسيرها
فلما أيس منها، وعلم أن لا سبيل إليها، صار شبيهاً بالتائه العقل، وأحب الخلوة وحديث النفس، وتزايد الأمر به، حتى ذهب عقله، ولعب بالحصا والتراب، ولم يكن يعرف شيئاً إلا ذكرها، وقول الشعر فيها. وبلغها ما صار إليه قيس، فجزعت أيضاً لفراقه، وضنيت ضنى شديداً.

رددت قلانص القرشي

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: حدثني إسحاق بن محمد، قال: حدثني أبو معاذ النميري: أن مروان بن الحكم، استعمل رجلاً من قيس، على صدقات كعب ابن ربيعة بن عامر، وهم قيس والحريش وجعدة.
فسمع بخبر قيس بن معاذ، وهو مجنون بني عامر، فأمر أن يؤتى به، فأتي به، فسأله عن حاله، واستنشدته، فأنشدته، فأعجب به، وقال له: الزمني، فلك أن أحتال لك في أمر ليلى، حتى أجمع بينك وبينها، فلازمه،

وكان يأتيه، فيتحدث إليه.

وكان لبني عامر مجتمع، يجتمعون فيه، في كل سنة، وكان الوالي يخرج معهم إلى ذلك المجتمع، لنلا يكون بينهم اختلاف، فحضر الوقت، فقال قيس للوالي: أتأذن لي في الخروج معك إلى هذا المجتمع؟ فأذن له. فلما عزم على الخروج، جاءه قوم من رهط قيس، فقالوا له: إنما سألك الخروج معك ليرى ليلي ويكلمها، وقد استعدى عليه بعض أهلها، وأهدر لهم السلطان دمه، إن أتاهم. فلما قالوا: له ذلك، منعه من الخروج معه، وأمر له بقلائص من إبل الصدقة، فردها، وأبى أن يقبلها، وأنشأ يقول:

رددت قلائص القرشي لما ... بدا لي القرض منه للهود
سعوا للجمع ذاك وخلفوني ... إلى حزنٍ أعاجله شديد
فلما علم قيس بن معاذ، أنه قد منع، وأن لا سبيل إليها، ذهب عقله، وصار لا يلبس ثوباً إلا خرقه، وهام على وجهه عرياناً، لا يعقل شيئاً مما يكلم به، ولا يصلي.
فلما رأى أبوه ما صنع بنفسه، خاف عليه التلف، فحبسه، وقيده، فجعل يأكل لحمه، ويضرب بنفسه الأرض.

فلما رأى أبوه ذلك، حل قيده، وخلاه، فكان يدور في فيافيه عرياناً، ويلعب بالتراب.
وكانت له داية، لم يكن يأنس بأحد غيرها، وكانت تأتيه في كل يوم، برغيف وماء، فتضعه بين يديه، وربما أكله، وربما تركه، ولم يأكله.

أنتم شغلي، وعندكم عقلي

أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، وأخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا ابن السراج، قال: أنبأنا علي بن المحسن، قال: أنبأنا ابن حيويه، قال، حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني ابن عائشة، عن أبيه قال: ولي نوفل بن مساحق، صدقات كعب بن ربيعة، فنزل بجمع من تلك الجماع، فرأى قيس بن معاذ الخنون، وهو يلعب بالتراب، فدنا منه، فكلمه، فجعل يجيبه بخلاف ما يسأل عنه.

فقال له رجل من أهله: إن أردت أن يكلمك كلاماً صحيحاً، فاذكر له ليلي.

فقال له نوفل: أتحب ليلي؟ قال: نعم.

قال: فحدثني حديثك معها.

قال: فجعل ينشله شعره فيها، فأنشأ يقول:

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان فيك فأنتم شغلي

وأدبم لحظ محدثي ليرى ... أن قد فهمت وعندكم عقلي

وأنشد:

سرت في سواد القلب حتى انتهى ... بها السير وارتادت حي القلب حلت

فللعين تسكاب إذا القلب ملها ... وللقلب وسواس إذا العين ملت
والله ما في القلب شيء من الهوى ... لأخرى سواها أكثر أم أقلت
وأنشد:

ذكرت عشية الصدفين ليلى ... وكل الدهر ذكرها جديد
علي أليه إن كنت أدري ... أينقص حب ليلى أم يزيد
فلما رأى نوفل منه ذلك، أدخله بيتاً، وقيده، وقال: أعالجه، فأكل لحم ذراعيه، وكفيه، فحله، وأخرجه،
فكان يأوي مع الوحوش.
وكانت له داية ربه صغيراً، وكان لا يألّف غيرها، ولا يقرب منه أحد سواها، فكانت تخرج في طلبه في
البادية، وتحمل له الخبز والماء، فربما أكل بعضه، وربما لم يأكل.
ولم يزل على ذلك حتى مات.

كالسهم أصبح ريشه مروطا

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التتوخي، قال: حدثنا أبو عمر بن حيويه، قال: أنبأنا
محمد بن خلف، قال: حدثني عبد الله بن عمرو، قال: حدثنا علي بن الحسن، قال: حدثنا داود ابن محمد،
عن عمرو بن رزام، قال: وفد فتى من همد، يقال له صباح بن عامر، على الملوّح، أبي قيس المجنون، فسلم
عليه، وخبره بنسبه، وقال له: إني قد وفدت من بلدي، لأنظر إلى قيس، وأسمع من شعره، فما أفعل؟ فبكى
الشيخ، حتى غشي عليه، ثم سكن، وقال: أي لك بقيس؟ إن قيساً عشق ابنة عم له، وإنه جن على رأسها،
فهو لا يأنس بأحد، يرد مع الوحوش، يوم ورودها، ويصدر معها إذا صدرت.
ولكن ها هنا شاب، يذهب إليه في كل وقت، وهو يأنس به، ويأخذ منه ما يقول، وقد حفظ له قصيدة يقال
لها: المؤنسة، فإذا أنشده إياها أنس به وحده، فإن شئت، فصر إليه.
قال صباح: فصرت إلى الفتى، فرحب بي، وسألني عن حالي، فأخبرته.
فقال لي: أتروي لقيس بن ذريح شيئاً؟ فإن المجنون مستهتر بشعره.
قلت: أنا أحفظ الناس لشعر قيس.

قال: فصر إلى موضع كذا وكذا، فاطلبه في تلك الفياض، فإنك تجده، واعلم إنه إذ رآك، سوف يفر منك،
ويهوي إليك بجحر، فلا يهولنك، واقعد كأنك لا تريده، فإذا رأيته قد سكن، فاذكر له ليلى، فإنه سيرجع
إلى عقله، ويراجع صحته، ويحدثك عن حاله، ثم أنشده من شعر قيس شيئاً، فإنه مشغوف به.
قال صباح: ففعلت الذي أوصاني به الفتى، ولم أزل أطلبه، حتى انتصف النهار، فإذا أنا برجل عريان، قد
سقط شعر رأسه على حاجبيه، وإذا هو قد حطر حظيرة من تراب، وهو قاعد في وسطها، وإلى جانبه
أحجار، وهو يخطط بإصبعه في الأرض.

فلما رأيته أهوى إلى حجر، ووثب ليقوم، فقعدت ناحية أرمي ببصري إلى غيره، ولا أحفل به، ثم انه رجع

إلى عبثه وتخطيطه.

قلت له: أتعرف ليلى؟ قال: بأبي والله هي، فكيف لا أعرفها؟ قلت: لله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفن دمع عيني بالبكا ... حذاراً لما قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيبٍ لم يبن وهو يائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفيك إلا أن ماحم حائن

فقال: أنا والله أشعر منه حيث أقول:

نعب الغراب بين ليلى إنه ... كان الكتاب بينهم مخطوطا

اصبحت من أهلي الذين أحبهم ... كالسهم أصبح ريشه مروطا

ثم وثب مسرعاً إلى طباء سنحت له، فغاب عني، فتبعته، فجعلت أقفو أثره، إلى آخر النهار، فما وقعت عيني عليه.

ثم غدوت في اليوم الثاني، فجعلت أطوف عليه في تلك الفيافي. حتى إذا جنني الليل، انصرفت.

فلما كان في اليوم الثالث طلبته، فإذا هو عريان، بين أحجار ميت.

قضاهما لغيري وابتلائي بحبها

أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا علي بن المحسن، قال: أنبأنا ابن حيويه،

قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني سليمان بن أيوب المديني، قال: سمعت مصعباً الزيري، يقول: كان

مجنون بني عامر، يسيح مع الوحوش، وينثر الشعر نثراً، وكان الركبان يتلقون منه الشعر فيروونه.

قال ابن خلف: قال التخومي: لما قال المجنون :

قضاهما لغيري وابتلائي بحبها ... فهلا بشيء غير ليلى ابتلائيا

سلب عقله.

قال ابن خلف: وأنشد مصعب بن الزبير للمجنون:

ألا أيها القلب الذي لج هائماً ... وليداً بليلى لم تقطع قئاته

أفق فقد أفاق العاشقون وقد أنى ... لدائك أن يلقي طبيباً يلائمه

وما لك مسلوب الغزاء كأنما ... ترى نأي ليلى مغرماً أنت غارمه

أجذك لا تنسيك ليلى ملمة ... تلم ولا ينسيك عهداً تقادمه

قال ابن خلف: وأنشد أبو عمرو الشيباني، للمجنون:

دعاك الهوى والشوق حين ترفمت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوب ورقاً قد أرعن لصوتها ... فكل لكل مسعد ومجيب

ألا يا حمام الأيك ما لك باكياً ... أفارقت إلهاً أم جفاك حبيب

وقفت على ربع لعزة ناقتي

أخبرنا محمد بن أبي منصور، وشهادة بنت أحمد، قالوا: أنبأنا جعفر ابن أحمد السراج، وأنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قالوا: أنبأنا علي ابن المحسن التوخي، قال: أنبأنا علي بن عيسى الرمازي، قال: أنبأنا أبو بكر بن دريد، قال: أنبأنا عبد الأول بن مرید، قال: أخبرني حماد ابن إسحاق، عن أبيه، قال: خرج كثير يريد عبد العزيز بن مروان، فأكرمه، ورفع منزلته، وأحسن جائزته، وقال: سلمي ما شئت من الحوائج، قال: نعم، أحب أن تنظر لي من يعرف قبر عزة، فيقفني عليه، فقال رجل من القوم: إني لعارف به، فانطلق به الرجل، حتى انتهى بها إلى موضع قبرها، فوضع يده عليه، وعيناه تجريان، وهو يقول:

وقفت على ربع لعزة ناقتي ... وفي البرد رشاش من الدمع يسفح
فيا عز أنت البدر قد حال دونه ... رجيع التراب والصفوح المضرح
وقد كنت أبكي من فراقك حقبة ... فأنت لعمرى اليوم أنأى وأنزح
فهلا فداك الموت من أنت زينه ... ومن هو أسوأ منك حالاً وأقبح
ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة ... لشيء ولا ملحاً لمن يتملح
فلا زال وادي رمس عزة سائلاً ... به نعمة من رحمة الله تسفح
فإن التي أحيت قد حال دونها ... طوال الليالي والضريح الموحج
أرث بعيني البكا كل ليلة ... فقد كاد مجرى دمع عيني يقرح
إذا لم يكن ماء تحلبت دماً ... وشر البكاء المستعار الممتح

امرأة من أهل النار

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سعيد النصيبي، قال: حدثني أبو الحسن بن نجيب، قال: حدثني رجل مستور، كان لي صديقاً، وكان ينزل بقرب مقابر الخيزران ببغداد، قال: رأيت ليلة في منامي، كأني قد أطلعت من داري إلى المقبرة، على رسمي في ذلك من اليقظة، فإذا أنا بالقبور مفتحة، وأهلها يخرجون منها شعناً، غبراً، حفاة، عراة، فيجتمعون في موضع منها، حتى لم يبق قبر إلا خرج من كان فيه، ثم ضجوا بالبكاء، والدعاء، والابتهاال إلى الله تعالى في أن يصرف عنهم دفن المرأة التي تدفن عندهم في غد .

فكأني قد سألت بعضهم، فقال: هذه امرأة من أهل النار، وإن دفنت عندنا، تأذينا بسماع عذابها، وما يجري عليها، فنحن نسأل الله صرف دفنها عنا.

قال: فانتبهت، فعجبت من هذا عجباً شديداً، وطال الليل لي، فلما أصبحت، سألت الحفارين، هل حفروا قبراً لامرأة؟ فدلني بعضهم على قبة عظيمة، لقوم من التجار مياسير، قد ماتت زوجة أحدهم، ويريد دفنها في القبر، وقد حفر لها.

قال: فقصصت الرؤيا على الحفارين، فطموا القبر في الحال، وراعت أمر المرأة، فجاء رسل القوم، يسألون

عن القبر، فقال الحفارون: إن الموضع، ليس يتأتى فيه قبر، لأننا قد وقعنا على حمأة تحت الأرض، لا يثبت فيه ميت.

فسألوا جماعة من أصحاب القباب، أن يحفروا عندهم، فأبوا عليهم، وكان الخبر قد انتشر بين الحفارين واشتهر، فمضوا إلى مقبرة أخرى، فحفروا للمرأة.

فاستدلت على الموضع الذي تخرج منه الجنازة، فدللت، فحضرت، وشيعت الجنازة، وكان الجمع عظيماً هائلاً، والرجل جليلاً، ورأيت خلف الجنازة فتى ملتجياً حسن الوجه، ذكر أنه ابن المرأة، وهو يعزى وأبوه، وهما وقيدان بالمصيبة.

فلما دفنت المرأة تقدمت إليهما، فقالت: إني رأيت مناماً في أمر هذه المتوفاة، فإن أحببتما، قصصته عليكما. فقال الشيخ الذي هو زوج المتوفاة: أما أنا فما أحب ذلك.

فأقبل الفتى، فقال: إن رأيت أن تفعل.

فقالت: تخلو معي، فقام.

فقالت: إن الرؤيا عظيمة، فاحتملني.

قال: قل.

فقصصت عليه الرؤيا، وقلت: يجب لك أن تنظر في هذا الأمر الذي أوجب من الله لهذه المرأة، ما ذكرته لك، فتجتنب مثله، وإن جاز أن تعرفينه لأجتنب مثله، فافعل.

فقال والله يا أخي، ما أعرف من حال أمي ما يوجب هذا، أكثر من أن أمي كانت تشرب النبيذ، وتسمع الغناء، وترمي النساء، وما يوجب هذا، هذا الأمر العظيم، ولكن في دارنا عجوز لها نحو تسعين سنة، هي دايتها، وماشطتها، فإن نشطت، صرت معي، فسألناها، فلعلها تخبرنا بما يوجب هذا، فنجتنبه.

فقمت معه، فقصدنا الدار التي كانت للمتوفاة، فأدخلني إلى غرفة فيها، وإذا بعجوز فانية، فخاطبها بما جرى، وقصصت أنا عليها الرؤيا.

فقالت: اسأل الله أن يغفر لها، كانت مسرفة على نفسها جداً.

فقال لها الفتى: يا أمي، بأكثر من الشراب، والسماع، والنساء؟ فقالت نعم يا بني، ولولا أن أسوءك لأخبرتكم بما أعلم، فإن هذا الذي رآه هذا الرجل، قليل من كثير مما أخاف عليها من العذاب.

فقال الفتى: أحب أن تخبريني، ورققت أنا بالعجوز، فقالت: أخبرينا، لنجتنبه ونعظ به.

فقالت: إن أخبرتكم بجميع ما أعرفه منها، ومن نفسي معها، طال، وبكت، وقالت: أما أنا، فقد علم الله تائباً منذ سنين، وكقد كنت أرجو لها التوبة، فما فعلت، ولكن أخبركم بثلاثة أحوال من أفعالها، وهي عندي أعظم ذنوبها.

فقلنا: قولي.

فقالت للفتى: كانت من أشد الناس زنى، وما كان يمضي يوم، إلا وتدخل إلى دار أبيك، بغير علمه، الرجل والرجلين، فيطأونها، ويخرجون، ويكون دخولهم بألوان كثيرة من الحيل، وأبوك في سوقه.

فلما نشأت أنت، وبلغت مبلغ الرجال، خرجت في نهاية الملاحه، فكنت أراها تنظر إليك نظر شهوة، فأعجب من ذلك .

إلى أن قالت لي يوماً، يا أمي، قد غلب على قلبي، عشق ابني هذا، ولا بد لي أن يطأني.

فقلت لها: يا بني اتقي الله، ولك في الرجال غيره متسع ؟ فقالت: لا بد من ذلك.

فقلت: كيف يكون هذا ؟ أو كيف يجيئك، وهو صبي، وتفتضحين، ولا تصلين إلى بغيتك، فدعي هذا لله عز وجل، فقالت: لا بد أن تساعدني.

فقلت: أعمل ماذا ؟ فقالت: تمضين إلى فلان المعلم، وكان معلماً في جوارنا، أديباً، ورسمه أن يكتب لها رقاعاً إلى عشاقها، ويحبب عنها، فبره، وتعطيه في كل وقت.

فقالت: قولي له، يكتب إليه رقعة، يذكر فيها عشقاً، وشغفاً، ووجداً، ويسأله الاجتماع، وأوصلي الرقعة، كأنها من فلانة، وذكرت صبية من الجيران، مليحة.

قالت العجوز: ففعلت ذلك، وأخذت الرقعة وجئت بها، فلما سمعت ذكر الصبية، التهب قلبك ناراً،

وأجبت على الرقعة تسألها الاجتماع عندها، وتذكر أن لا موضع لك.

فسلمت الجواب إلى والدتك.

فقالت: اكبي إليه عن الصبية، أن لا موضع لها، وأن سبيل هذا أن يكون عنده، فإن قال لك: ليس لي موضع، فأعدي له الغرفة الفلانية، وافرشيها، واجعلي فيها الطيب والفاكهة، وقولي له: إنها صبية، وهو ذا تستحي، ولكن عشقك قد غلب، وهي تحبك إلى هاهنا ليلاً، ولا يكون بين أيديكما ضوء، حتى لا تستحي هي، ولا تفطن والدتك بالحديث، ولا أبوك، إذا رأوا في الغرفة ضوء سراج، فإذا أجابك إلى هذا فأعلميني. قالت: ففعلت ذلك، وأجبت أنت إلى هذا، وتقرر الوعد ليلة بعينها، وأعلمتها فلبست ثياباً، وتبحرت، وتطيبت، وتعطرت، وصعدت إلى الغرفة، وجئت أنت، وعملك أن الصبية هناك، فوقعت عليها، وجامعتها إلى الغداة، فلما كان وقت السحر، جئت أنا، وأيقظتها وأزلتها، وأنت نائم، وكان صعودها إليك، بعد أن نام أبوك.

فلما كان بعد أيام، قالت لي: يا أمي، قد والله، حبلت من ابني، فكيف الحيلة ؟ فقلت: لا أدري.

قالت: أنا أدري، ثم كانت تجتمع معك على سبيل الحيلة التي عرفتك، إلى أن قاربت الولادة.

فقالت لأبيك: إنها عليلة، وقد خافت على نفسها التلف، وإنما تريد أن تمضي إلى بيت أمها فتعلل هنالك.

فأذن لها، ومضت، وقالت لأمها: إنها عليلة، فأدخلت، وأنا معها في حجرة من دارها، وجئنا بقبالة، فلما

ولدت، قتلت ولدها، وأخرجته، فدفتته، على حيلة وستر، وأقامت أياماً، وعادت إلى منزلها.

فقالت لي بعد أيام: أريد ابني.

فقلت: ويحك، ما كفأك ما مضى ؟ فقالت: لا بد، فجئتك على تلك الحيلة بعينها.

فقالت لي، من غد: قد والله حبلت، وهذا والله، سبب موتي، وفضيحتي، وأقامت تجتمع معك، على سبيل الحيلة، إلى أن قاربت الولادة، فمضت إلى أمها، وعملت كما عملت، فولدت بنتاً مليحة، فلم تطب نفسي

بقتلها، وأخذتها منها ليلاً، فأخرجتها إلى قوم ضعفاء، لهم مولود، فسلمتها إليهم، وأعطيتهم من مال أبيك دراهم كثيرة، وواقفتهم على إرضاعها، والقيام بها، وأن أعطيتهم في كل شهر شيئاً بعينه، وكانت تنفذه إليهم في كل شهر، وتعطيهم ضعفه، حتى تدل الصبية، وتوفد إليها الثياب الناعمة، فنشأت في دلال ونعمة، وهي تراها في كل يوم إذا اشتاقتها.

وخطب أبوك عليك من النساء، فزوجت بزوجتك الفلانية، فانقطع ما بينك وبينها، وهي من أشد الناس عشقاً لك، وغيره عليك من امرأتك، ولا حيلة لها فيك.

حتى بلغت الصبية تسع سنين، فأظهرت أنها مملوكة، قد اشترتها ونقلتها إلى دارها، لترأها كل وقت، لشدة محبتها لها، والصبية لا تعلم أنها ابنتها، وسمتها باسم المماليك.

ونشأت الصبية، من أحسن الناس وجهاً، فعلمتها الغناء بالعود، فبرعت فيه، وبلغت مبلغ النساء. فقالت لي يوماً: يا أمي، هوذا ترين شغفي بابنتي هذه، وإنه لا يعلم أنها ابنتي غيرك، ولا أقدر على إظهار أمرها، وقد بلغت حداً، إن لم أعلقها برجل، خفت أن تخرج عن يدي، وتلمس الرجال، أو تلمس البيع، إذ تظن أنها مملوكة، وإن منعتها، تنغص عيشها وعيشي، وإن بعته، وفارقتها، تلفت نفسي عليها، وقد فكرت في أن أصلها بابني.

فقلت: يا هذه، اتقي الله، يكفيك ما مضى.

فقالت: لا بد من ذلك.

فقلت: وكيف يتم هذا الأمر.

قالت: امضي، واكتبي رقعة، تذكرين فيها، عشقاً وغراماً، وامضي بها إلى زوجة ابني، وقولي إنها من فلان الجندي جارنا - وذكرت غلاماً حين بقل عذاره، في نهاية الحسن، قد كانت تعشقه، ويعشقها - وارفقي بها، واحتالي حتى تأخذي جواباً إليه.

فعلت، فلحقني من زوجتك، امتهان، وطرد، واستخفاف، فترددت إليها، ومازلت بها حتى درمنتها، فقرأت الرقعة، وأجابت عنها بخطها.

وجئت بالجواب إلى أمك، فأخذته، ومضت به إلى أبيك، فشنت عليها، وألقت بينها وبين أبيها وأبيك وبين أمها شراً كنا فيه شهوراً، إلى أن انتهى الأمر.

إلى أن طالبك أبوك بتطليق زوجتك، أو الانتقال عنه، وأن يهجر طول عمره، وبذل لك وزن الصداق من ماله، فأطعت أبوك، وطلقت المرأة، ووزن أبوك الصداق.

ولحقك غم شديد، وبكاء، وامتناع عن الطعام، فجاءت أمك، وقالت لك: لم تغم على هذه القبيحة؟ أنا أهب لك جاريتي المغنية، وهي أحسن منها، وهي بكر وصالحة، وتلك ثيب فاجرة، وأجلوها عليك كما يفعل بالحرائر، وأجهزها من مالي ومال أبيك، بأحسن من الجهاز الذي نقل إليك.

فلما سمعت ذلك، زال غمك، وأجبتها، فوافقت على ذلك، وأصحت الجهاز، وصاغت الحلبي، وجلتها لك، فأولدتها أولادك هؤلاء، وهي الآن قعيدة بيتك.

فهذا باب واحد مما أعرفه من أمك.

وباب آخر، وبدأت تحدث، فقال: حسبي، حسبي، اقطعي لا تقولي شيئاً، لعن الله تلك المرأة، ولا رحمها، ولعنك معها، وقام يستغفر الله، ويكي ويقول: خرب والله بيتي، واحتجت إلى مفارقة أم أولادي. وأخذ بيدي، وقمت، وفي قلبي حسرة، كيف لم أسمع باقي ما أرادت العجوز أن تحدثنا به.

شقيقان عشيقان

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني إبراهيم بن علي النصيبي، قال: حدثني أبو بكر النحوي، قال: حدثني أبو علي بن فتح، قال: حدثني عن أبي، قال: كنت سنة من السنين جالساً في دري، إذ دخل شاب حسن الوجه والهيئة، وعليه أثر نعمة، فسأل عن دار فارغة في الدرب يكتريها، وكان أكثر الدرب لي. فقامت معه إلى دار فيه كبيرة حسنة فارغة، فأريته إياها، فاستحسنها، ووزن لي أجرهما لشهر، وأخذ المفتاح. فلما كان من غد، جاء ومعه غلام، ففتحا الباب، وكس الغلام الدار، ورش، وجلس هو، ومضى الغلام، وعاد بعد العصر، ومعه عدة حمالين وامرأة، فدخلوا الدار، وأغلق الباب، فما سمعنا لهم حركة. وخرج الغلام قبل العشاء، وبقي الرجل والمرأة في الدار، فما فتحا الباب أياماً. ثم خرج إلي في اليوم الرابع، فقالت: ويحك، ما لك ؟

فأوماً إلي أنه مستتر من دين عليه، وسألني أن أندب له رجلاً، يبتاع له كل يوم ما يريد، دفعة واحدة، ففعلت.

فكان يخرج في كل أسبوع، فيزن دراهم كثيرة، فيعطيهما للغلام الذي نصبته له، ليشتري له بما يكفيه لطول تلك الأيام، من الخبز، واللحم والفاكهة، والنبذ، والأبقال، ويصب الماء في الحباب الكثيرة، التي قد أعدها لتلك الأيام، ولا يفتح الباب، أو ينقضي ذلك الزاد. فكان على هذا سنة، لا يجيء إليه أحد، ولا يخرج من عنده أحد، ولا أراه أنا ولا غيره. إلى أن جاء ليلة، في وقت المغرب، فذكر باي فخرجت، فقالت مالك ؟ فقال: اعلم أن زوجتي قد ضربها الطلق، فأعطني بقبالة.

وكان في داري قبالة لأم أولادي، فحملتها إليه، فأقامت عنده ليلتها، فلما كان في الغد جاءتني، فذكرت أن امرأته ولدت في الليل بنتاً، وانما أصلحت أمورها، وأن النفساء في حالة التلف، وعادت إليها. فلما كان وقت الظهر، ماتت الجارية، فجاءت القبالة، فأخبرتني. فقال: الله الله أن تجيئي امرأة، أو يلطم أحد، أو يجيء أحد من الجيران فيعزيني، أو يصير لي جمع. ففعلت ذلك، ووجدته من البكاء والشهيق على أمر عظيم. فأحضرت له الجنائز بين العشائين، وقد كُت أنفذت من حفر قبراً، في مقبرة قرية منا، فانصرف الحفارون لما أمسوا، وقد كان واقفي على صرفهم، وقال: لا أريد أن يراني أحد، وأنا وأنت نحمل الجنائز، إن تفضلت بذلك، ورغبت في الثواب، فاستحييت، وقلت له: أفعَل.

فلما قربت العتمة، خرجت إليه، وقلت له، تخرج الجنازة.

فقال: تنفضل أولاً، وتنقل هذه الصبية إلى دارك على شرط.

قلت: ما هو ؟ قال: إن نفسي لا تطيق الجلوس في هذه الدار بعد صاحبي، ولا المقام في البلد، ومعى مال عظيم وقماش، فتفضل بأخذه، وتأخذ اصبية، وتنفق عليها من ذلك المال، ومن أثمان الأمتعة، إلى أن تكبر الصبية، فإن ماتت وقد بقي منه شيء، فهو لك بارك الله لك فيه، وإن عاشت فهو يكفيها إلى أن تبلغ مبلغ النساء، فحينئذ تدبر أمرها بما ترى، وأنا أمضي بعد الدفن، فأخرج من البلدة. فوعظته، وثبته، فلم يكن إلى ذلك سبيل.

فنقلت الصبية إلى بيتي، وحمل الجنازة وأنا معه أساعده.

فلما صرنا على شفير القبر، قال لي: تنفضل وتبعد، فإني أريد أن أودعها فأكشف وجهها، فأراه، ثم أدفنها. ففعلت، فحل وجهها، وأكب عليها يقبلها، ثم شد كفنها، وأنزلها القبر. ثم سمعت صيحة من القبر، ففزعت، فجئت، فاطلعت، فإذا هو قد أخرج سيفاً كان معلقاً تحت ثيابه، مجرداً، وأنا لا أعلم، فاتكأ عليه، فدخل في فواده، وخرج من ظهره، وصاح تلك الصيحة، ومات، كأنه ميت من ألف سنة.

فعجبت من ذلك عجباً شديداً، وخفت أن يدرك، فيصير قصة، فأضجعت فوقها في اللحد، وغيت عليهما اللبن، وهلت التراب، وأحكمت أمر القبر، وصبيت عليه جرار ماء كانت لنا في المكان.

وعدت، فنقلت كل ما كان في الدار، إلى داري، وعزلته في بيت، وختمته، وقلت: هذا أمر لا بد أن تظهر له عاقبة، وما ينبغي أن أمس من هذا المال والمتاع شيئاً، وكان جليلاً، يساوي ألوف دنانير، وأحتسب النفقة على هذه الطفلة، وأعدها ملقوطة من الطريق، ربيتها للشواب.

ففعلت ذلك، فمضى على موت الغلام والجارية، نحو سنة.

فإني جالس على بابي يوماً، إذ اجتاز شيخ عليه أثر النبل واليسار، وتحتة بغلة فارهة، وبين يديه، غلام أسود، فسلم، ووقف.

وقال: ما اسم هذا الدرب ؟ فقلت: درب فتح.

فقال: أنت من أهل الدرب ؟ قلت: نعم .

قال: منذ كم سكنته ؟ قلت: منذ نشأت، وإلي ينسب، وأكثره لي.

فثنى رجله، ونزل.

فقممت إليه، وأكرمته، فجلس تجاهي، يحادثني، وقال: لي حاجة.

فقلت: قل.

فقال: أتعرف في هذه الناحية، إنساناً وافى منذ سنين، شاب من حاله، وصفته، فوصف الغلام، واكثرى هاهنا داراً ؟ فقلت: نعم.

قال: وما كانت قصته، وإلى أي شيء انتهى أمره ؟ قلت: ومن أنت منه حتى أخبرك ؟ قال: تخبرني.

قلت: لا أفعل، أو تصدقني .

فقال: أنا أبوه.

فقصصت عليه القصة، على أتم شرح.

فأجهش بالبكاء، وقال: مصيبي أي لا أقدر أن أترحم عليه.

فقدرته يومئذ إلى قتل نفسه، فقلت: لعله ذهب عقله، فقتل نفسه.

فبكى، وقال: ليس هذا أردت، فأين الطفلة؟ فقلت: عندي، هي والمتاع.

فقال: تعطيني الطفلة.

فقلت: لا أفعل، أو تصدقني.

فقال: تعفيني.

فقلت: أقسم عليك بالله، إلا فعلت.

فقال: يا أخي، مصائب الدنيا كثيرة، ومنها: أن ابني هذا نشأ، فأدبته، وعلمته، ونشأت له أخت، لم يكن

ببغداد أحسن منها، وكانت أصغر سنًا منه، فعشقتها، وعشقتة، ونحن لا نعلم.

ثم ظهر أمرهما، فزجرهما، وأنكرت عليهما، وانتهى الأمر إلى أن افترعها.

فبلغني ذلك، فضربته بالمقارع وإياها، وكتمت خبرهما لئلا أفضح، ففرقت بينهما، وحجرت عليهما،

وشددت عليهما أمهما مثل تشديدي، فكانا يجتمعان على حيلة، كالغريين.

فبلغنا ذلك فأخرجت الغلام من الدار، وقيدت الجارية، فكانا على ذلك شهوراً كثيرة.

وكان يخدمني لي غلام لي كالولد، فتمت لولدي علي حيلة به، فكان يترسل بينهما، حتى أخذوا مني مالاً

جليلاً، وقماشاً كثيراً، وهربوا منذ ستين، وعملوا لأخذ ذلك، والهرب، حيلة طويلة الشرح، فلم أقف لهم

على خبر، وهان علي فقد المال لبعدهما، فاسترحتهما، إلا أن نفسي كانت تحن إليهما.

فبلغني أن الغلام في بعض السكك منذ أيام، فكبست عليه الدار، فصعد إلى السطح.

فقلت له: بالله عليك يا فلان، ما فعل ولداي؟ فقد قلني الشوق إليهما، وأنت آمن.

فقال لي: عليك بدرب فتح، في الجانب الغربي، فسل عنهما هناك، ورمي نفسه إلى سطح آخر، وهرب، وأنا

أعرف بفلان، من مياسير التجار بالجانب الشرقي، وأخذ يبكي.

وقال: تقفني على القبر.

فجئت به حتى وقفته على القبر، ثم جاء فأدخلته داري، فأريته الصبية فجعل يترشفها ويبكي، وأخذها

ونفض.

فقلت: مكانك، انقل متاعك.

فقال: أنت في حل منه وسعة.

فما زلت أداريه، إلى أن علقت به، وقلت: خذ المال، وأرحني من تبعته.

فقال: على شرط، نقسمه بيني وبينك.

فقلت: والله، لا تلبست منه بحبة.

قال: فأطلب حمالين، فجئت بهم.
فحمل تلك التركة، والصبية، وانصرف.

حلف بالطلاق لا يحضر دعوة أبدا

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني الشريف أبو أحمد الحسين ابن موسى العلوي، النقيب قال: حدثني شيخ كان يخدمني: انه حلف بالطلاق ألا يحضر أبداً دعوة، فسأله عن سبب ذلك، فقال: كنت قد انحدرت إلى البصرة من بغداد، فصعدت إلى بعض مشارع البصرة، فاستقبلني رجل، فكانني بغير كنييتي، وبش بي، واحتفى، وجعل يسألني عن قوم لا أعرفهم. وكانت غريباً، لا أعرف مكاناً، فقلت: أيت عنده الليلة إلى غد، فأطلب مكاناً، فوهمت عليه بالقول، فجذبني إلى منزله، ومعني رحل صالح، وفي كمي دراهم كثيرة. فدخلت إليه، فرأيت داراً حسناً، وحالاً متوسطاً، وإذا عنده دعوة، وهم على نبيذ، وقد خرج لحاجة، فشبهني بصديق كان له، وكان فيمن كان عنده غلام أمرد، فلما أخذنا مضجعنا للنوم، ندمت على فعلي، ونامت الجماعة.

فلما كان بعد ساعة طويلة، رأيت أحد الجماعة، قد قام إلى الغلام الأمرد ففسق به، ورجع إلى موضعه، وكان قريباً من صاحب الغلام، فاستيقظ صاحب الغلام، وحركه. فقال له الغلام: ما تريد؟ ألم تكن الساعة عندي، وفعلت بي كذا وكذا. فقال له: لا.

فقال: قد جاءني الساعة من فعل بي كذا، فظننت أنه هو أنت، فلم أتحرك، ولم أظن أن أحداً يجسر عليك. فنخر الرجل وجرد سكيناً من وسطه، واتفق بأنه بدأ بصاحب الخيانة، وأنا أرعد فرعاً، ولو كان بدأ بي فوجدني أرعد، لقتلني، وكان يظن أنني صاحب القصة. فلما أراه الله من حياتي، بدأ بصاحب القصة، فوضع يده على قلبه، فوجده يخفق، وقد تناوم عليه الرجل، يرجو بذلك السلامة، فوضع السكين في فؤاده، وأمسك فاه، فاضطرب الرجل وتلف، وأخذ بيد غلامه وانصرف.

أبو البلاد يجن فيعلو حبيته بالسيف

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المحسن التوخي، قال: أنبأنا محمد بن العباس، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: أخبرنا أبو بكر العامري، عن أحمد بن هشام، قال: أخبرني أشياخ من بني سعد ومالك ابني زيد مناة، عن أشياخ من قومهم، أدركوا ذلك الدهر:

أن أبا البلاد، وهو بشر بن العلاء، أحد بني طهية، ثم أحد بني سود، كان في شرف من قومه، وكان يتيماً من أمه، وكفاه عمه، وكان اسم عمه حنيف بن عمرو، وكان عنده أثر من والده، وكانت لعمه ابنة يقال لها سلمى، وكانت أحسن فتاة بنجد، مشهورة بذلك، وكان يهاب عمه أن يخطبها إليه، فغاب غيبة، فزوجها أبوها أحد بني عمها، وبلغ ذلك أبا البلاد، فذهل عقله، وأنه أتى الخباء الذي تكون به سلمى كما كان يأتي، فرأت سلمى في وجهه صفرة، ورأت به زمعاً، فحسبت أنه جائع، فدفعت إليه من وراء الستر، جفنة فيها طيخ من لحم طير، قد راح به رعاؤهم، فطفق يأكل، أكل مسلوس، فظنت الفتاة أنه عرض له عارض من الخافي، فخرجت من كسر البيت، تريد بيت أختها ليلي.

وسمع حنيف ثوبها، فخرج معارضاً لها بالسيف، فضربها على جبل عاتقها، وسمعت ليلي الوجبة، فعدت عليه بهراوة، وأدبر، فاتبعته الفتاة، فأصابت خشاشة، فتستع، فسقط، ثم انعش، فغدا هارباً، وقال في ذلك:

إن ليلي بين أذني وعاتقي ... كضربة سلمى يوم نعف الشقائق

قال: واستصرخ أبوها، وعمها، وإخوتها، فأقبلوا، ويأوي أبو البلاد في قارة، حذاء أبياتهم، فكان يكون فيها نهاره، وينحدر بالليل، فيتور نار أهلها، وهي تضرب بنفسها في ثياب لها، وبها علز الموت، فيراها. فأخبر بذلك أبوها، فقال: ما كنت لأقتل ولداً بولد، وقال أبو البلاد وهو يرى نار سلمى التي كانت توقد لها قبل الموت:

يا موقد النار وهنأ موقد النار ... بجانب الشيخ من رقصات أعيار

يا موقد النار أشعلها بعرفجة ... لمن تنورها من مدج ساري

نار تضئ سليمي وهي حاسرة ... سقياً لموقد تلك النار من نار

قال: فماتت سليمي.

ولم يزل بأبي البلاد، بعد ذلك، وسوسة، وبهتة، حتى مات.

ولكم في القصص حياة

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني عبد الله بن محمد، قال: حدثني شيخ كان يخلمني، وقد تجارينا أحاديث، قال: بت ليلة في مكان، فقتل رجل رجلاً، فخرجت والليل منتصف، لا أدري أين أقصد.

وخفت العسس، فرأيت أتون حمام، ولم يوقد بعد، فقلت: أختبئ فيه إلى أن يفتح الحمام، فأدخله. فجلست في ناحية من الأتون، فما لبثت حتى سمعت وقع حافر، فإذا رجل معه جارية، فأدخلها إلى الأتون، فذبحها، وتركها، ومضى.

فرأيت بريق خلخالين في رجلها، فانتزعتها منها، وصبرت ساعة، ثم خرجت.

وما زلت أمشي في طريق لا أعرفه، متحيراً، إلى أن اجترت بحمام قد فتح، فدخلته، وخبأت ما معي، في ثيابي.

وخرجت، فعرفت الطريق، وعلمت أني بالقرب من دار صديق لي، فطلبتها، ودققت بابه، ففتح لي، وسر

بقدمومي، وأدخلني.

فدفعت إليه دراهمي ليخباها، والخلخالين، فلما نظر إليهما تغير وجهه.

فقلت: مالك ؟ فقال: من أين لك هذان الخلخالان ؟ فأخبرته بخبري كله في ليلتي تلك.

فقال لي: تعرف الرجل الذي قتل الجارية ؟ فقلت: أما بوجهه فلا، لأن الظلمة كانت حائلة بيننا، ولكن إن سمعت كلامه عرفته.

فأعد طعاماً، ونظر في أمره، ثم خرج، وعاد بعد ساعة، ومعه رجل من الجند، فكلمه، وغمزني عليه. فقلت: نعم، هو الرجل.

ثم أكلنا، وحضر الشراب، فحمل عليه النبيذ، حتى سكر، ونام في موضعه، فغلق باب الدار، وذبح الرجل. وقال لي: إن المقتلوة أختي، وكان هذا قد أفسدها، وأنا منذ مدة أتخبر، فلا أصدق، إلا أنني طردت أختي، وأبعدتها عني، فمضت إليه، ولست أدري ما كان بينهما، حتى قتلها، وإنما عرفت الخلخالين، فدخلت، وسألت عن أمرها.

فقالوا لي: هي عند فلان.

فقلت: قد رضيت عنها، فوجهوا ردوها.

فمضوا يعرفون خبرها، فلجلج الرجل، فعلمت أنه قد قتلها كما ذكرت، فقتلته، فقم حتى ندفنه.

فخرجنا ليلاً، أنا والرجل، حتى دفناه، وعدت إلى المشرفة هارباً من البصرة، حتى وصلت إلى بغداد. وحلفت ألا أحضر دعوة أبداً.

يقتل عشيقته فيفتربه الأسد

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التتوخي، عن أبيه، قال: حدثني إبراهيم بن علي بن النسيبي. قال: حدثني أبو علي ابن حامد بن أبي بكر المعروف بابن أبي حامد، قال: حدثني بعض أصحاب أبي قال:

كان جدك ابن أبي حامد، وهو صاحب بيت المال - إذ ذاك - يتمس في دار الخلافة، فينصرف وقد مضى ريع الليل، أو ثلثه، فيجلس في طياره، ويصعد إلى داره، ونحتاج نحن، أن يكون لنا سفن مشاهرة، فإذا ركب طياره، نزلنا نحن في سفننا، وكان برسمي ملاح على مرور الأوقات.

فلما كان ليلة من الليالي، خرجت مع جدك، فطلبت ملاحي، فلم أجده، فأخذني بعض أصحاب جدك، في سميريته، وبكرت في الغد، فلم أعرف له خبراً، وتمادى ذلك سنين.

فلما كان بعد سنين، رأيته في الكرخ، بطيلسان، ونعل طاق، بزي التجار المياسير.

فقلت: فلان ؟ فحين رأيته اضطرب.

فقلت: ويحك، ما قصتك ؟ قال: خير.

فقلت: وما هذا الزي ؟ قال: تركت الملاحة، وصرت تاجراً.

قلت: فرأس المال من أين لك ؟ فجهد أن يفلت.

فقلت: لا تطول علي، والله، لا افترقنا، أو تخبرني خبرك، ولم تركني تلك الليلة، ثم لم نرك إلى الآن ؟ فقال:

علي أن تستر علي.

فقلت: أفعل.

فأحلفني، فحلفت.

قال: إنك أبطأت تلك الليلة، وعرضت لي بولة، فأصعدت من دار الخلافة، إلى مشرعة بنهر معلى، فبلت.

وإذا برجل قد نزل، فقال: احملي.

فقلت: أنا مع راكب لا يمكنني فراقه.

فقال: خذ مني ديناراً واهلمي.

فلما سمعت بذكر الدينار، طمعت، وظننته هارباً، فقلت: إلى أين أحملك ؟ فقال: إلى الدباغين.

فقلت: لأحملك.

فقال: خذ دينارين.

فقلت: هات، فأعطيني دينارين، فجعلتهما في كمي، وكان معه غلام، فقال: امض وهات ما معك.

فمضى الغلام، ولم يحتبس حتى جاء بامرأة، لم أر قط أحسن منها وجهاً، ولا ثياباً، وجاء بجونة كبيرة حسنة، وأطباق فاكهة، وثلج، ونبذ، وكانت ليلة مقمرة، وجاء بعود، فأخذته الجارية في حجرها، فسهل علي لطيب الوقت، أن أحل بك.

ثم قال للغلام: امض أنت، فمضى.

قال: ادفع فدفعت.

وكشفت الجارية وجهها، فإذا هي أحسن من البدر بشيء كثير.

فلما بلغت الدباغين، جرد سيفاً كان معه، وقال: ادفع إلى مكان ما أقول لك، وإلا ضربت عنقك.

فقلت: ما بك إلى هذا حاجة، السمع والطاعة، فأنحدرت.

فقال لها: تأكلين شيئاً ؟ فقالت: نعم.

فأخرج ما كان في الجونة، فإذا طعام نظيف، ظريف، فأكلا، وألقى الجونة إلي.

ثم أخذت العود، وغنت أحسن غناء يكون، وأطيبه.

فقال لي: يا ملاح لولا خوفي أن تسكر، لسقيتك.

فقلت: يا أستاذ، أنا أشرب عشرين رطلاً نبذاً، ولا أسكر، فأعطيني ظرفاً فيه خمسة أرطال، وقال: اشرب لنفسك.

فجعلت أشرب على الغناء وأجذف، وهما يشربان، إلى أن دنا منها، فقبلها كثيراً، واحتدت شهوته، فجامعها وأنا أراه، ثم عاودها دفعات وثمل.

فقال: يا فلانة، خنت عهدي وميثاقي، ومكنت فلاناً من نفسك، حتى فعل بك كيت وكيت، وفلاناً، وفلاناً، وجعل يواقفها، وهي تقول: لا والله، يا سيدي، ما فعلت هذا، وإنما كذبوا علي عندك، ليباعدوني

منك.

فقال: كذبت ،أنا توصلت إلى أن حصلت معكم، في ليلة كذا، في الدار الفلانية، وقد دعاك فلان، وصنعتم وفعلتم كذا وكذا، وأنا أراكم بعيني، وما بعد هذا شيء، وتدرين لم جئت بك إلى هذا الموضع، وعاتبتك ها هنا ؟ فقالت: لا.

فقال: لأن أودعك، وأجعل هذا آخر العهد بك، وأقتلك، وأطرحك في الماء.
قال: فجذعت الجارية جرعاً شديداً، ثم قالت: يا مولاي، ويطيب قلبك ؟ قال :إي والله، ثم خالطها، وأخرج تكتها، فكشفها بها.
فقلت: يا سيدي، اتق الله، مثل هذا الوجه، وأنت تالف في حبه، تعمل به مثل هذا ؟ فقال: الساعة والله، ابتدء بك.

وأخذ السيف، فجزعت، وأمسكت، وتقدم إليها فذبحها، وأمسكها حتى جرى دمها وماتت.
ثم أقبل ينزع حليها، ويرمي به إلى صدر السميرية، ثم نزع الثياب عنها، وشق جوفها، وجعل يقطعها قطعاً، ويرمي بها إلى الماء.

وكنا قد قاربنا المدائن، وقد مضى أكثر الليل، فرأيت منظراً لم أر قط مثله، ومث جرعاً، وقلت: الساعة يقتلني لئلا أتم عليه، ولم أجد حيلة، فاستسلمت.
وطرح نفسه كالمغشي عليه، وجعل يبكي، ويقول: شفيت قلبي، وقتلت نفسي، ويلطم، ورمى بالعود، وجميع ما كان معه، من فاكهة، وأكل وشراب، إلى الماء.

فطلع الفجر وأضاء، وبقي بيننا وبين المدائن نصف فرسخ، فطمعت في الحيلة عليه.
فقلت له: يا سيدي، قد أصبحنا، أفلا تصلي ؟ وأردت أن يصعد إلى الشط، وأنحدر أنا في السميرية، وأدعه

فقال: بلى: اطرحنى إلى الشط.

فقدمت السميرية إلى الشط، وطرحته.

فحين صعد من السميرية أذرعاً يسيرة، إذا سبع قد قفز عليه، فتناوله، فرأته والله، في فمه، كالفأرة في فم السنور.

فلا أنسى ما ورد على قلبي من السرور بذلك.

فحدرت السفينة، فلما تجاوزت المدائن، طرحت إلى الشط، وجمعت الحلي، وخبأته، تحت بارية السميرية، وتأملت الثياب، فغسلت ما أثر الدم فيه، وخبأته، وانحدرت، فما رد وجهي شيء إلى البصرة.
فنظرت، فإذا معي حلي بألف دينار، وثياب بعثها بجملة دنانير كثيرة، فأقمت بالبصرة أتجر، وخفت العود إلى بغداد، لئلا يراني ذلك الغلام، فيطالبني بالرجل، أو أسأل عن الحديث.

فلما طالت المدة، وانقضت السنون، وقع لي أن الأمر قد نسي، واشتقت إلى بغداد، وكانت البضاعة قد نمت وزادت، فاشترت بجميعها تجارة إلى بغداد، ودخلت، وأنا فيها منذ نحو سنة، حتى رأيتني اليوم.

حلف بالطلاق لا يشيع جنازة أبدا

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التتوخي، عن أبيه: قال: حدثني عبد الله بن محمد، قال: حدثني الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى العلوي النقيب، قال: حدثني شيخ كان يخدمني: انه حلف بالطلاق، لا يشيع جنازة.

فسألته عن السبب.

فقال: خرجت يوماً ببغداد في نصف النهار من يوم حار، لحاجة لي، فاستقبلتني جنازة يحملها اثنان.

فقلت: غريب، فقير، أربعها، فأثاب، فدخلت تحتها بدلاً من أحد الحمالين.

فحين استقرت على كتفي، افتقدت الحمال، فقلت: يا حمال، يا حمال.

فقال الآخر: أيش تريد ؟ إمش واسكت، قد انصرف الحمال.

فقلت: الساعة والله، أرمي بها.

فقال الحمال: والله لن فعلت، لأصيحن.

فاستحييت، وحملت الأذى، وقلت: ثواب، وما زلت أسير في الشمس، والرمضاء، إلى الشونيزنة.

فلما حططنا الجنازة في مسجد الجنائز، هرب الحمال الآخر.

فقلت لنفسي: ما لهؤلاء الملاحين، والله لأتمن الثواب، وأخرجت من كمي دراهم، وصحت، يا حفار، أين

قبر هذه الجنازة ؟ فقال: لا أدري.

فقلت: احفر، فأخذ مني درهمن، وحفر قبراً.

فلما صوبت عليه الجنازة، ليأخذ الميت ليدفنه، وثب من اللحد، ولكمني، وجعل عمامتي في رقبتي، وصاح:

يا قوم ! قتيل.

واجتمع الناس، وسألوه، فقال: هذا جاء برجل مقطوع الرأس لأدفنه له، فحل الكفن، فوجد الأمر على ما

قاله الحفار.

فهبت، وتحيرت، وجرى علي من العامة، من المكروه، ما كادت نفسي تتلف، إلى أن حملت إلى صاحب

الشرطة، فأخبر الخبر، فجردت للسياط، وأنا ساكت، باهت.

وكان له كاتب، فحين رأى حيرتي، قال له: أنظري، حتى أكشف أمر هذا الرجل، فإني أحسبه مظلوماً.

فخلاني، وساءلني، فأخبرته خبري، ولم أزد فيه، ولم أقصص.

فنحى الميت عن الجنازة، وفتشها، فوجد فيها كتابة، انها للمسجد الفلاني، للناحية الفلانية.

فأخذ معه رجالة، ومضى، فدخل المسجد متكرراً، فوجد فيه خياطاً، فسأله عن جنازة، كأنه يريد أن يحمل

عليها ميتاً له.

فقال الخياط: للمسجد جنازة، إلا انها أخذت منه الغداة، لحمل ميت، ولم ترد.

فقال: من أخذها ؟ فقال: أهل تلك الديار، وأوماً إليها.

فكسبها الكاتب، برجالة الشرطة، فوجد فيها رجلاً، فقبض عليهم وحملهم إلى الشرطة، وأخبر صاحبه الخبر، فقدم القوم، وقرره، فأقروا، أنهم تغايروا على غلام أمرد معهم، فقتلوه، واحتزوا رأسه، ودفنوه في بئر حفروها في الدار، وحملوه على تلك الصورة، وأن الحماليين كانا أحد القوم، فضربت أعناق القوم، وخلي سبيلي.

فهذا سبب توبتي، أن لا أحضر جنازة.

منفصل عني وما قلبي عنه منفصل

وأثبتت عن الوليد بن محمد، وغيره، عن محمد بن عبد الباقي الأنصاري، قال: حدثنا علي بن الحسن التتوخي، إذناً، قال: أنبأنا أبي، عن أبي الفرج الأصبهاني، قال: أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن المرزبان، قال: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم، وإسماعيل بن يونس، قالوا: حدثنا أبو هفان، قال: أهديت إلى الرشيد، جارية في غاية الجمال، والكمال، فخلا بها أياماً، وأخرج كل قينة من داره. واصطحب يوماً، فكان من حضره من جواريه للغناء وغيره، زهاء ألفي جارية، في أحسن زي، من كل نوع من أنواع الثياب والجواهر. واتصل الخبر بأم جعفر، فغلظ عليها ذاك، فأرسلت إلى عليّة، تشكو إليها.

فأرسلت عليّة: لا يهولنك هذا، فوالله لأردنه، وأنا أعمل شعراً، وأصوغ فيه لحناً، وأطرحه على جوارِي، فلا تدعى عندك جارية، إلا بعثت بها إلي، وألبسهن فاخر الثياب والحلي، ليأخذن الصوت مع جوارِي. ففعلت أم جعفر ما أمرتها.

وزحفت عليه من حجرتها، ومعها زهاء ألفي جارية من جوارِيها، وسائر جوارِي القصر، عليهن غرائب اللباس والحلي، وكلهن يغنين في لحن واحد، هزج، صنعته عليّة:

منفصل عني وما ... قلبي عنه منفصل

يا قاطعي اليوم لمن ... نويت بعدي أن تصل

فطرب الرشيد، وقام على رجله، حتى استقبل أم جعفر، وعليّة، وهو على غاية السرور، وقال: لم أر كاليوم قط.

ثم قال: يا مسرور، لا تبقين في بيت المال شيئاً إلا نشرته، فكان مبلغ ما نشر يومئذ، ستة آلاف ألف درهم. وما سمع بمثل ذلك اليوم قط.

ألا أن هنداً أصبحت منك محرماً

أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السراج، قال: أنبأنا أبو القاسم التتوخي، قال: أنبأنا علي بن عيسى بن علي النحوي، قال: حدثنا أبو بكر بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن أيوب السختياني، عن ابن سيرين، قال: قال عبد الله بن عجلان النهدي في الجاهلية:

ألا إن هنذاً أصبحت منك محرماً ... وأصبحت من أدنى حميمها حمى
وأصبحت كالمتمور جفن سلاحه ... يقلب بالكفين قوساً وأسهما
ومد بها صوته، حتى مات.

جعلت من وردتها تميمة في عضدي

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن الحسن التبوخي، قال: أنبأنا أبو عمر محمد بن العباس بن
حيويه، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن منصور بن سيار، قال:
أخبرني عبد الله بن نصر المروزي، قال: أخبرني عبد الله بن سويد، عن أبيه، قال: سمعت علي بن عاصم
يقول: قال لي رجل من أهل الكوفة، من بعض إخواني، هل لك في عاشق تراه؟ فمضيت معه، فرأيت فتى
كأنما نزع الروح من جسده، وهو متزر يازار، مرتد بآخر، وإذا هو مفكر، وفي ساعدة وردة.

فذكرنا له بيتاً من الشعر، فتهيج وقال:

جعلت من وردتها ... تميمة في عضدي

أشمتها من حبها ... إذا علاني جهدي

فمن رأى مثلي فتى ... بالحزن أضحي مرتدي

أسقمه الحب وقد ... صار قليل الأود

وصار ساه دهره ... مقارناً للكمد

ألا فمن يرحم أو ... يرق لي من كمد

ثم أطرق. فقلت: ما شأنه؟ قالوا: عاشق جارية لبعض أهله، فأعطى بها كل ما يملك، وهو سبعمائة دينار،

فأبوا أن يبيعوها، فنزل به ما ترى، وفقد عقله.

قال: فخرجنا، فلبثنا ما شاء الله، ثم مات، فحضرته جنازته.

فلما سوي عليه، إذا بجارية تسأل عن القبر، فدللتها عليه، فما زالت تبكي، وتأخذ التراب فتجعله في

شعرها، فبينما هي كذلك، إذ جاء قوم يسعون، فأقبلوا عليها ضرباً، فقالت: شأنكم، والله، لا تنتفعون بي
بعده أبداً.

عشق، فحف، فكتم، فمات

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا التبوخي، قال: حدثنا ابن حيوية، قال: أنبأنا ابن المرزبان، قال: ذكر
بعض الرواة عن محمد بن معاوية، قال: حدثني إبراهيم بن عثمان العنري، وكان ينزل الكوفة، قال: رأيت
عمر بن ميسرة، وكان كهنية الخيال، وكأنه صبغ بالورس، لا يكاد يكلم أحداً، ولا يجالسه، وكانوا يرون
أنه عاشق، فكانوا يسألونه عن قصته، فيقول:

يسائلني ذا اللب عن طول علتي ... وما أنا بالمبدي لذا الناس علتي

سأكنتمها صبراً على حر جمرها ... وأكنتمها إذ كان في السر راحتي
إذا كنت قد أبصرت موضع علي ... وكان دوائي في مواضع لنقي
صبرت على دائي احتساباً ورغبة ... ولم أك أحداثاً أهلي وخلتي

قال: فما أظهر أمره، ولا علم أحد بقصته، حتى كان عند الموت، فإنه قال: إن العلة التي كانت بي، من أجل
فلانة ابنة عمي، والله، ما حجبتني عنها، وألزميني الضر، إلا خوف الله عز وجل لا غير، فمن بلي في هذه
الدنيا بشيء، فلا يكن أحد أوثق عنده بسر من نفسه، ولولا أن الموت نازل بي الساعة، ما حدثتكم،
فاقرؤوها مني السلام، ومات.

عبد الله بن عجلان وهند بنت كعب

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن، قال: أنبأنا أبو عمر بن حيوية، قال: أنبأنا
محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو بكر العامري، قال: أخبرني سليمان بن الربيع الكادحي، قال: حدثنا عبد
العزيز بن الماجشون، عن أيوب، عن ابن سيرين، قال: عبد الله بن عجلان، هو صاحب هند بنت كعب بن
عمرو، وإنه عشقها، فمرض مرضاً شديداً حتى ضني، فلم يدر أهله ما به.
فدخلت عليه عجوز، فقالت: إن صاحبكم عاشق، فاذبحوا له شاة، واتتوه بها، وغيبوا فؤادها، ففعلوا، وأتوه
بها، فجعل يرفع بضعة، ويضع أخرى.
ثم قال: أما لساتكم قلب؟ فقال أخوه: لا أراك إلا عاشقاً، ولم تخبرنا.
فبلغني - والله أعلم - أنه قال لهم بعد لك: آه، ومات.

عشقت، فجنت، فماتت

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم التوخمي، وأبو محمد الجوهري، كلاهما عن أبي عبيد الله
المرزباني، قال: أنبأنا ابن دريد، قال: أنبأنا العباس بن الفرغ الرياشي، عن محمد بن سلام، قال: حدثني بعض
أهل الكوفة، قال: حججت، فرأيت امرأة قبيل فيد، وهي تقول:
فإن تضربوا ظهري وبطني كليهما ... فليس قلبي بين جنبي ضارب
فسألت عنها، فقيل: عاشق.
ثم عدت في العام المقبل، فإذا بها قد حال لونها مع حسنه، وهي تقول:
فإن يك عيسى قد أطاع بي العدى ... فلا وأبيه ما أطعت الأعاديا
يقولون لي مولى فلا تقر بينه ... وعيش أبي إني أحب المواليا
ثم رجعت في العام الثالث، فإذا هي مقيدة، فاقدة عقلها، وهي تقول:
أيا طلحة الرعيان ظلك بارد ... وماؤك عذب يستساغ لشارب
ثم سألت عنها بعد ذلك، فأخبرت أنها ماتت.

رب لا تسلبني ديني ولا

تفتني بعد أن هديتني

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن الحسن، قال: أنبأنا أبو عمر بن حيويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: أخبرني محمد بن موسى، عن سعيد بن عبد الله بن ميسرة، قال: حدثني شيخ من أهل الشام، قال: صحبتني فتى في بعض أسفاري، فكنت كثيراً ما أسمعُه ينشد هذه الأبيات:

ألا إنما التقوى ركائب أدجت ... وأدركت الساري بليل فلم ينم
وفي صحبة التقوى غناء وثروة ... وفي صحبة الأهواء ذل مع الندم
فلا تصحب الأهواء واهجر محبتها ... وكن للتقى إلغاً وكن في التقى علم
فقلت له يوماً: ما هذه الأبيات التي أسمعك كثيراً تنشدها؟ فضحك، وقال: كيف سألتني عنها؟ فقلت: لأنني أراك كثيراً تنشدها، فأردت أن أعلم، من قولك هي؟ قال: لا، ولكنها من قول أخ لي، وله حديث عجيب.

فقلت له: حدثني به.

قال: نعم، كان لي أخ، وكنت أحبه الحب الذي لا شيء بعده، فمكثنا بذلك حيناً، فلزم الحديث، والفقه، والأدب، وما رأيت فتى - مع التقوى - أمرح منه.

قال: ثم تغير عن بعض ما كنت أعهد منه، من المراح، والسرور، وحسن الحديث، فلما رأيت ذلك منه غمني، وأنكرته، فخلوت به يوماً، فقلت: يا أخي، ما قصتك؟ وما حالك. وما الذي نزل بك؟ أخبرني، فإن كان من أمر الآخرة، سررت به، وإن كان من أمر الدنيا أعتك عليه.

قال، والله يا أخي، ما هو من أمر الآخرة، ولكنه من أمر الدنيا، ولست أبديه، حتى يبلغ الأمر آخره، ويخرج من يدي، ولا أستطيع رده.

قال: ولهج بهذه الأبيات:

ألا إنما التقوى ركائب أدجت

قال: فعظم علي ما نزل به، وشغل قلبي، وأخذته شبيه بالسهو، ويقول في بعض الساعات: رب لا تسلبني ديني، ولا تفتني بعد أن هديتني.

فقلت في نفسي: ما أراه إلا، وقد غلبت عليه وسوسة من الشيطان، فهو يخاف، ومكث بذلك حيناً، ما يزداد إلا ضنىً.

وجعل أهله يسألونني، فأقول: والله، ما علمي به إلا كعلمكم، ولقد سألتُه عن حاله، فما يخبرني بشيء.

واشتد عليه الأمر، فسقط في الفراش، وكان الناس يعودونه.

ودخل الأطباء عليه، فبعضهم يقول: سل، وبعضهم يقول: غم، واختلقت في أمره علينا الأقاويل، وكان لا

يتكلم بشيء أكثر من قوله:

ألا إنما القوى ركائب أدجت ... فأدركت الساري بليل فلم ينم
قال: ولم يزل به الأمر، حتى غلب على عقله، وضاق به مكانه، فأدخلناه بيتاً، فكان يصرخ الليل كله، فإذا
مل من الصراخ، أن كما يئن المدنف من علته.
فأشاروا علينا بتخليته، وقالوا: إنكم إن خليتموه، تفرج واستراح، فخليناه.
فكان إذا أصبح، خرج فقعد على باب داره، فكل من مر به، سأله: أين تريد؟ فيقول: أريد موضع كذا
وكذا.

فيقول: اذهب محفوظاً، لو كان طريقك على بغيتنا، أودعناك كلاماً.
قال: فمر به بعض إخوانه، فقال: أين تريد؟ قال: أريد حيث تحب، فهل لك من حاجة؟ قال: نعم.
قال: ما هي؟ فقال:

تقرأ السلام على الحبيب تحية ... وتبته بمطاول الأسقام
وتقل له: إن التقى زم الهوى ... لما سما متعجلاً بزمام
فقال: أفعل إن شاء الله.

قال: فمضى، فما كان بأسرع من أن رجع، فقال: قد بلغت القوم رسالتك.
قال: فما قالوا؟ قال: قالوا:

لئن كان تقوى الله زمك أن تنل ... أموراً نهي عن نيلها بحرام
فررنا لنقضي من حديث لبانة ... ونشفي نفوساً آذنت بسقام
قال: فوثب قائماً، ثم أنشأ يقول:

لأقل من هذا فيه لدي الهوى ... شفاء وقد يسلو الفتى جد وابق
إذا اليأس حل القلب لم ينفع البكا ... وهل ينفع المعشوق دمة عاشق
قال: ومضى، فقامت خلفه، فقلت لأهله، لا يتبعني أحد منكم، وتبعته، حتى أتى نزل رجل من أهل الفضل
والرأي والدين، وكانت له ابنة من أجمل النساء، فوقف على الباب، فقال:
فها أنذا قد جئت أشكو صابتي ... وأخبركم عما لقيت من الحب
وأظهر تسليماً عليكم لعلموا ... بأني وصولٌ ثم ذا منكم حسي
قال: فلما فهمت القصة، وخشيت أن يلحظني أحد، أو يراه بعض من يعرفه، أو يفهم قصته، خرجت عليه.
فقلت: ما جلوسك على باب القوم، ولم يأذنوا لك؟ قال: بلى.

فقلت: كيف، وهم يقولون:

بالله ربك لا تمر ببابنا ... إنا نخاف مقالة الحساد

ودع التعتب والتذكر إنه ... يرويه عنك أجلة العواد

قال: يا صالح، وقد قالوا هذا؟ قلت: نعم.

فجعل يهذي، ويقول:

إن كان قد كرهوا زيارة عاشق ... فلرب معشوق يزور العاشقا

فلما رجعت، سألوني عن قصته، فقلت ؛ ما أخطأ الجبان.

ولزم بيته، فلم يزل زائل العقل، حتى مات.

؟مت عشقاً

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البراز، قال: أنبأنا علي بن الحسن التوخي، قال: أنبأنا أبو عمر بن حيويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: وجدت في كتاب بعض إخواني من أهل العلم، قال: حدثنا زكريا بن إسحاق، قال: سمعت مالك بن سعيد يقول: حدثني مشيخة من خزاعة: انه كان عندهم بالطائف جارية عفيفة صالحة، وكانت لها أم من خيار النساء لها فضل ودين، وكانت لهم بضاعة مع رجل من أهل الطائف، وكان يتجر لهم بها، ويعطيهم فضلها.

قال: فبعث الرجل إليهم ذات يوم، ابنه في حاجة، وكان غلاماً جميلاً، فدخل والجارية جالسة، لم تعلم بدخوله، فظفر إليها، وكانت ذات جمال، فوقعت بقلبه، فخرج من عندهم، وما يدري أين يسلك، وجعل الأمر يتزايد عليه، حتى تغير عقله، ونحل جسمه، ولزم الوحدة والفكر، وكتم حاله، وجعل لا يقر له قرار. فلما رأى أهله ذلك، حبسوه في بيت، وأوثقوه، فكان ربما أفلت، فيجتمع عليه الصبيان، فيقولون له:

مت عشقا

، مت عشقاً.

قال: وكان يقول، إذا كثروا عليه:

أأفشي إليكم بعض ما قد أصابني ... أم الصبر أهيا بالفتى عندما يلقي
سلام على من لا أسمي باسمها ... ولو صرت مثل الطير في غيضة ملقى
ألا أيها الصبيان لو ذقتم الهوى ... لأيقنتم أني أحدثكم حقا
أحبكم من حبها وأراكم ... تقولون لي مت يا شجاع بها عشقاً
فلم تنصفوني، لا ولا هي أنصف ... فرفقاً قليلاً بالفتى ويحكم رفقا

قال: فلما صح ذلك عند أهله، وعلموا أنه عاشق، جعلوا يسألونه عن أمره، فلا يخبرهم بقصته، ولا يجيبهم.

فلما رأوا ذلك منه، حبسوه في بيت، وقيدوه، فكان إذا جنه الليل، هتف بصوت له حزين، يقول:

يا ليل أنت رفيقي ... من بين أهلي ومالي

يا ليل أنت أنيسي ... في وحشتي واحتيالي

يا ليل إن شكاتي ... إليك طول اشتغالي

بمن يرت جسم صب ... فصار مثل الخلال

فالجسم مني نحيل ... لم يبق إلا خيالي

ووالشوق قد شف جسمي ... وليس يخلق بالي

فلو رأي عدوي ... لرق لي ورثي لي
قال: فلم يزل تلك حاله، حتى مات.
؟

إلا أن يشاء ابن معمر

أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا علي بن أبي علي المعدل، قال حدثني أبي، قال: روى أبو روق الهزاني، عن الرياشي: أن بعض أهل البصرة، اشترى صبية، فأحسن تأديبها، وتعليمها، وأحبها كل الحبة، وأنفق عليها حتى أملق، وحتى مسهما الضر الشديد.
فقلت الجارية: إني لأرثي لك يا مولاي مما أرى بك من سوء الحال، فلو بعني، واتسعت بشمني، فلعل الله أن يصنع لك، وأقع أنا بحيث يحسن حالي، فيكون ذلك أصلح لكل واحد منا.
قال: فحملها إلى السوق، فعرضت على عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وهو أمير البصرة، يومئذ، فأعجبته، فاشتراها بمائة ألف درهم.
فلما قبض المولى الثمن، وأراد الأنصراف، استعبر كل واحد إلى صاحبه، باكياً، وأنشأت الجارية تقول:
هنيئاً لك المال الذي قد حووته ... ولم يبق في كفي غير التذكر
أقول لنفسي وهي في غشي كربة ... أقلبي فقد بان الحبيب أو اكثري
إذا لم يكن للأمر عندك حيلة ... ولم تجدي شيئاً سوى الصبر فاصبري
فاشدد بكاء المولى، ثم أنشأ يقول:
فلولا قعود الدهر بي عندك لم يكن ... يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
أروح بهم في القواد مبرح ... أناجي به قلباً شديد التفكير
عليك سلامٌ لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر
فقال ابن معمر: قد شئت، خذها، ولك المال، وانصرفا راشدين، فوالله، لا كنت سبباً لفرقة محبين.

لماذا سمي العراق عراقاً

أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: أنبأنا إسماعيل بن سعيد المعدل، قال: قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، قال ابن الأعرابي: إنما سمي العراق عراقاً، لأنه سفلى من نجد، ودنا من البحر، أخذ من عراق القربة، وهو الخرز الذي في أسفلها.

من لم ير بغداد، لم ير الدنيا

أخبرنا عمر بن إبراهيم الفقيه، والحسن بن علي الجوهري، وعلي ابن أبي علي، قالوا: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أبو بكر الصولي قال: حدثنا القاسم بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو ملح، قال: سمعت أبا بكر بن عياش، يقول: الإسلام ببغداد، وإنما لصيادة تصيد الرجال، ولم يرها لم ير الدنيا.

من محاسن الإسلام

سمعت القاضي أبا القاسم علي بن الحسن التوخي يقول: كان يقال: من محاسن الإسلام، يوم الجمعة ببغداد، وصلاة التراويح بمكة، ويوم العيد بطرسوس.

إذا خرجت من العراق فالدنيا كلها رستاق

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، قال: أخبرني أبي قال: قال أبو القاسم بزياش بن المحسن الديلمي، وهو شيخ لقيته ببغداد يتعلق بعلوم، فصيح بالعربية: سافرت الآفاق، ودخلت البلدان، من حد سمرقند إلى القيروان، ومن سرنديب إلى بلد الروم، فما وجدت بلداً أفضل، ولا أطيّب من بغداد، قال: وكان سبكتكين، حاجب معز الدولة، المعروف بالحاجب الكبير، آنساً بي، فقال لي يوماً: قد سافرت الأسفار الطويلة، فأني بلد وجدت أطيّب وأفضل؟ فقلت له: أيها الحاجب، إذا خرجت من العراق، فالدنيا كلها رستاق.

فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً

أنشدنا التوخي، قال: أنشدنا أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني لنفسه:
فدى لك يا بغداد كل قبيلة ... من الأرض حتى خطتي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها ... وسيرت رحلي بينها وركابيا

فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً ... ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهلها أرق شمائلاً ... وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائل لو كان ودك صادقاً ... لبغداد لم ترحل فكان جوابيا
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا

السري الرفاء يمدح بغداد

أنشدنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، قال: أنشدنا أبو علي الهائم، قال: أنشدنا السري بن أحمد الرفاء الموصلية لنفسه من أبيات:

إذا سقى الله منزلاً فسقى ... بغداد ما حاولت من الدم
يا حبذا صحبة العلوم بها ... والعيش بين اليسار والعدم

سويق الحمص في بغداد

حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي، قال: أخبرني أبي، قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي في سنة ستين وثلثمائة، قال: أخبرني رجل يبيع سويق الحمص، منفرداً به، أسماء لي وأنسبته، أنه حصر ما يعمل في سوقه من هذا السويق كل سنة، فكان مائة وأربعين كراً، يكون حمصاً مائتين وثمانين كراً، يخرج في كل سنة، حتى لا يبقى منه شيء، ويستأنف عمل ذلك للسنة الأخرى.
قال: وسويق الحمص غير طيب، وإنما يأكله المتجملون والضعفاء، شهرين أو ثلاثة، عند عدم القواكه، ومن لا يأكله من الناس أكثر.
قال الشيخ أبو بكر الخطيب البغدادي: ولو طلب من هذا السويق اليوم في جاني بغداد، مكوك واحد، ما وجد.

القاضي أبو طاهر محمد بن نصر

أخبرنا علي بن الحسن القاضي، قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استقضي المتقي لله على مدينة المنصور في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلثمائة، أبا طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، وله أبوة في القضاء، سديد المذهب، متوسط الفقه، على مذهب مالك، وكان له مجلس يجتمع إليه المخالفون، ويتناظرون بحضرته، فكان يتوسط بينهم، ويكلمهم كلاماً سديداً، ويجري معهم فيما يجرون فيه، على مذهب محمود وطريقة حسنة، ثم صرف أبو طاهر بعد أربعة أشهر من هذه السنة في شوال، ثم استقضى المستكفي أبا طاهر على الشرقية في صفر سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، فكانت ولايته أقل من خمسة أشهر.

عتاهية بن أبي العتاهية

قرأت في كتاب أبي عبيد الله المرزباني، بخطه، وحدثني علي بن أبي علي البصري، عنه، قال: محمد بن أبي العتاهية، لقبه عتاهية، ويكنى أبا عبد الله، وأمه هاشمية بنت عمرو اليمامي مولى لمعن بن زائدة، وكان محمد ناسكاً، زاهداً، شاعراً، وهو القائل:

قد أفلح الساكن الصموت ... كلام راعي الكلام قوت
ما كل نطقٍ له جوابٌ ... جواب ما يكره السكوت
يا عجي لا مریء ظلومٍ ... مستيقنٌ أنه يموت

اقطع العمر بظن حسن

أخبرنا علي بن الحسن القاضي، قال: حدثني أبي، أبو علي المحسن بن علي، قال " نبأنا أبو بكر الصولي، قال: نبأنا عون بن محمد الكندي، قال: قال لي محمد بن أبي أمية الكاتب: كنت أنا وأخي، نكتب للعباس بن الفضل بن الربيع، فجاءه أبو العتاهية مسلماً، فأمر بالمقام عنده. فقال: على شريطة أن ينشدني كاتيك هذا من شعره، وأوماً إلي. فقال: ذلك لك، وتعدينا، فقال: الشرط. فأمرني أن أنشده، فحصرته، وقلت: ما أجسر على ذلك، ولا ذاك قدرني. فقال: إن أنشدني وإلا قمت، فجد بي فأنشدته: رب وعدٍ منك لا أنساه لي ... أوجب الشكر وإن لم تفعل أقطع العمر بظن حسن ... وأجلي غمرة ما تنجلي وأرى الأيام لا تدني الذي ... أرتجي منك وتدني أجلي كلما أملت يوماً صالحاً ... عرض المكروه لي في أجلي. قال: فبكى أبو العتاهية، أشد بكاء، ثم قال: إن لم تزدني قمت. فقال لي: زده، فأنشدته:

بنفسي من يناجيه ... ضميري بأمانيه
ومن يعرض عن ذكرى ... كأني لست أعنيه
لقد أسرفت في الذل ... كما أسرفت في التيه
أما تعرف لي إحسا ... ن يوم فتجازيه ؟
قال: فراد والله بكاؤه.

يا هاشمي ويا مولى ويا عربي

أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: أنبأنا محمد بن العباس الخزاز، قال: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري، قال: أنشدنا أبي، قال: أنشدنا أحمد بن عبيد النحوي، لحمد بن أمية: تبيه جهلاً بلا دين ولا حسب ... على ذوي الدين والأنساب والحسب من هاشم أنت بخٍ وبخٍ وأنت غداً ... مولى وبعد غدٍ فرد من العرب إن صح هذا فأنت النلس كلهم ... يا هاشمي ويا مولى ويا عربي

الخليفة المنتصر

وما كتب بالفارسية على البساط

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: نبأنا محمد بن العباس الخزاز لفظاً، قال: نبأنا أحمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن حبيب، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: جلس المنتصر في مجلس كان

أمر أن يفرش له بفرش ديباج مثقل بالذهب، وكان في بعض البسط دائرة كبيرة فيها مثال فرس وعليه راكب، وعلى رأسه تاج، وحول الدائرة كتابة بالفارسية.

فلما جلس المنتصر، وجلس الندماء، وقف على رأسه وجوه الموالي والقواد، فنظر إلى تلك الدائرة، وإلى الكتاب الذي حولها، فقال لبغا: أيش هذا الكتاب؟ فقال: لا أعلم يا سيدي.

فسأل من حضر من الندماء فلم يحسن أحد أن يقرأه.

فالتفت إلى وصيف وقال: أحضر لي من يقرأ هذا الكتاب، فأحضر رجلاً، فقرأ الكتاب فقطب.

فقال له المنتصر: ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، بعض حماقات الفرس.

فقال: أخبرني ما هو؟ قال: يا أمير المؤمنين: ليس له معنى، ألح عليه وغضب.

قال: يقول: أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز، قتلت أبي، فلم أمتع بالملك، إلا ستة أشهر.

فغير وجه المنتصر، وقام عن مجلسه إلى النساء، فلم يملك إلا ستة أشهر.

محمد بن الحسن يصرف ما ورثه من والده على تعلم العلم

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: أخبرني أبو عروبة، في كتابه إلي، قال: حدثني عمرو بن أبي عمرو، قال: قال محمد بن الحسن: ترك أبي ثلاثين ألفاً درهم، فأنفقت خمسة عشر ألفاً، على النحو والشعر، وخمسة عشر ألف، على الحديث والفقه.

محمد بن الحسن والخليفة هارون الرشيد

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني مكرم القاضي، قال: حدثني أحمد بن عطية، قال: سمعت أبا عبيد يقول: كنا مع محمد بن الحسن، إذ أقبل الرشيد، فقام إليه الناس كلهم، إلا محمد بن الحسن، فإنه لم يقم، وكان الحسن بن زياد ثقیل القلب، ممثليء البطن على محمد بن الحسن، فقام، ودخل الناس من أصحاب الخليفة.

فأمهل الرشيد يسيراً، ثم خرج الآذن، فقال: محمد بن الحسن، فجزع أصحابه له، فأدخل، فأمهل، ثم خرج طيب النفس مسروراً.

فقال: قال لي: ما لك لم تقم مع الناس؟ قلت: كرهت أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها، إنك أهلتني للعلم، فكرهت أن أخرج عنه إلى طبقة الخدمة التي هي خارجة عنه، وإن ابن عمك صلى الله عليه وسلم قال: من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار، وإنما أراد بذلك العلماء، فمن قام بحق الخدمة، وإعزاز الملك، فهو هيبة للعدو، ومن قعد، اتبع السنة التي عنكم أخذت، فهو زين لكم.

قال: صدقت يا محمد.

ثم قال: إن عمر بن الخطاب صالح بني تغلب، على أن لا ينصروا أبناءهم، وقد نصروا أبناءهم، وحلت بذلك دماؤهم، فما ترى؟ قال: قلت: إن عمر أمرهم بذلك، وقد نصروا أبناءهم بعد عمر، واحتمل ذلك

عثمان، وابن عمك، وكان من العلم مالا خفاء به عليك، وجرت بذلك السنن، فهذا صلح من الخلفاء بعده، ولا شيء يلحقك في ذلك، وقد كشفت لك الحكم، ورأيك أعلى.

قال: لكنت نجريه على ما أجروه إن شاء الله، إن الله أمر نبيه بالمشورة، فكان يشاور في أمره، ثم يأتيه جبريل عليه السلام، بتوفيق الله، ولكن عليك بالدعاء لمن ولاه الله أمرك، ومر أصحابك بذلك، وقد أمرت لك بشيء تفرقه على أحابه.

فخرج له مال كثير، ففرقه.

محمد بن الحسن ومالك بن أنس

أخبرنا علي بن الحسن التبوخي، قال: وجدت في كتاب جدي: حدثنا الحرمي بن أبي العلاء المكي، قال: نبأنا إسحاق بن محمد بن أبان النخعي، قال: حدثني هانيء بن صيفي، قال: حدثني مجاشع بن يوسف، قال: كنت بالمدينة عند مالك وهو يفي الناس، فدخل عليه محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة، وهو حدث.

فقال: ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد؟ فقال مالك: لا يدخل جنب المسجد.

قال: فكيف يصنع، وقد حضرت الصلاة، وهو يرى الماء؟ قال: فجعل مالك يكرر: لا يدخل جنب المسجد.

فلما أكثر عليه، قال له مالك: فما تقول أنت في هذا؟ فقال: يتيمم ويدخل، فيأخذ الماء من المسجد، ويخرج فيغتسل.

فقال: من أين أنت؟ قال: من هذه، وأشار إلى الأرض.

فقال: ما من أهل المدينة أحد لا أعرفه.

فقال: ما أكثر من لا تعرف، ثم نهض.

فقالوا لمالك: هذا محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة.

فقال مالك: محمد بن الحسن، كيف يكذب، وقد ذكر أنه من أهل المدينة؟ قالوا: إنما قال: من أهل هذه، وأشار إلى الأرض.

قال: هذا أشد علي من ذلك.

رأي الشافعي في محمد بن الحسن

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن حبيش البغوي، قال: حدثني جعفر بن ياسين، قال: سمعت الربيع بن سليمان، يقول: وقف رجل على الشافعي، فسأله عن مسألة، فأجابه.

فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، خالفك الفقهاء.

فقال له الشافعي: وهل رأيت فقيهاً قط ؟ أَللهم الا تكون رأيت محمد ابن الحسن، فإنه كان يملأ العين والقلب، وما رأيت مبدناً قط أذكى من محمد بن الحسن.

سفهي ولم أكن سفيها

أخبرنا علي بن الحسن القاضي، قال: أنبأنا إبراهيم بن أحمد بن محمد المقرئ، قال: نبأنا أبو الحسين عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني، قال: أخبرني أخي محمد بن الحسن بن علي بن مالك، قال: حدثني علي بن سهل بن المغيرة، قال: قلت لعفان بن مسلم: أين سمعت من عمر بن أبي زائدة ؟ قال: سمعت منه بالبصرة، قدم مخاصماً إلى سوار في ميراث كان له، فقال لسوار: تقضي لي بشاهد ويمين يا سوار ؟ فقال له سوار: ليس هذا مذهبي.

قال: فغضب عمر بن أبي زائدة، فهجا سواراً، فقال: سفهي ولم أكن سفيهاً ... ولا يقوم سفهوا شبيها لو كان هذا قاضياً فقيها ... لكان مثلي عنده وجيها قال: فقضى له بشاهد ويمين.

محمد بن عبد الرحمن المخزومي قاضي مكة

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما توفي الواقدي، استقضى المأمون أبا عمر محمد بن عبد الرحمن المخزومي قاضي مكة، وهو رجل من أهل العلم، حسن الطريقة، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عزله، وقد روي عنه الحديث.

قلت: وكانت ولايته أيضاً بعسكر المهدي من شرقي بغداد وذلك في سنة ثمان ومائتين.

ولما عزل، لحق بمكة فأقام بها إلى أيام المعتصم، وقدم بغداد وافداً عليه.

فأخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: شهدت محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي، جاء إلى سليمان بن حرب، - وكان قد كتب إلى سليمان بن حرب، أن يقف على القضاء، يعني مكة - يسلم عليه ويودعه، ويخرج إلى بغداد.

فقال له سليمان: ما يخرجك ؟ قال: أذهب فأعزي أمير المؤمنين، يعني المعتصم، عن الماضي، وأهنيه فيما يستقبل.

فقال سليمان: ويحك إنما تخرج، لعل ابن أبي دؤاد يعمل لك في قضاء مكة، وهو لا يفعل، فإنه قد خرج ابن الحر فيستقضيه ليتخذ صنعة يذكر به، وأنت لا تكون صنعة له، أنت أجل من ذلك. وخرج، فكان كما قال سليمان.

علي بن يعاد فلا يوجد

حدثني علي بن الحسن، قال: حدثنا أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي: انه اعتل فتأخر عن مجلس أبي عمر الزاهد.

قال: فسأل عني لما تراخت الأيام، فقليل له إنه كان عليلاً، فجاءني من الغد يعودني. فاتفق أن كنت قد خرجت من داري إلى الحمام، فكتب بخطه علي بابي باسفيداج: وأعجب شيء سمعنا به ... عليلاً يعاد فلا يوجد

لماذا سمي أبو محمد بن عبيد بالعسكري

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد ابن عبيد العسكري يقول: كان أبي يشهد عند القضاة، وإنما سافر جدي إلى سر من رأى، فلما عاد، سمي العسكري. قال: وأول ما شهد أبي عند إسماعيل القاضي. وكان عمي يشهد، وأول ما شهد، عند عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك، ابن أبي الشوارب. ان نعش نلتقي

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثني الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان الفامي، قال: حدثنا محمد بن عبدك القراز، وغيره، قال: اجتمعت مع زهير السامي، وتحدثنا، فلما أردت مفارقتهم، قلت: متى نلتقي؟ فقال: إن نعش نلتقي وإلا فما أش... غل من مات عن جميع الأنام

لماذا سمي بالبياض

سمعت القاضي أبا القاسم التنوخي، يسأل بعض ولد البياضي، عن سبب هذه التسمية، فقال: إن جدي حضر مع جماعة من العباسيين يوماً، فجلس الخليفة وكانوا كلهم قد لبسوا السواد، غير جدي، فإن لباسه كان بياضاً.

فلما رآه الخليفة، قال: من لك البياضي. فثبت ذلك الاسم عليه، فلم يعرف بعد، إلا به.

القاضي ابن أبي موسى

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: أبو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى، من أهل العلم بمذهب أهل العراق، وأبوه كان أحد المتقدمين في هذا المذهب، وتلاه أبو عبد الله في التمسك به، والذب عنه، والكلام للمخالفين به، وكان له سمت، وحسن وقار تام، وكان ثقة عند الناس، مشهوراً بالصدق والفقر، حافظاً لنفسه، لا مطعن عليه فيما يتولاه، وينظر فيه.

ذكر طلحة بن محمد بن جعفر فيما أخبرنا علي بن الحسن: أن ابن أبي موسى ولي الجانب الشرقي من بغداد، والكرخ من الجانب الغربي، في جمادى الآخرة من سنة تسع وعشرين، وأن المتقي لله صرفه. أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد، قال: استخلف المستكفي بالله في صفر سنة " ٣٣٣ "، وقلد الجانب الشرقي أبا عبد الله محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى، فلم يزل والياً على الجانب الشرقي إلى ليلة السبت لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، فإن اللصوص كبسوه في داره فقتلوه، وأخذوا جميع ما كان له في منزله ولعياله، وقدروا أن عنده شيئاً له قدر، فوجدوه فقيراً، ودفن في يوم السبت.

فصوص زمرد في غلف در

أنشدنا القاضي أبو القاسم التنوخي، قال: أنشدنا أبو الحسن محمد بن عمر الأبياري لنفسه في صفة الباقلاء الأخضر:

فصوص زمرد في غلف در ... باقماع حكّت تقليم ظفر
وقد خلع الربيع لها ثياباً ... لها لونان من ييض وخضر

من شعر أبي العلاء المعري

أنشدني القاضي أبو القاسم، علي بن الحسن التنوخي، قال: أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه، يحيب أبا الخطاب الجبلي عن أبيات كان مدحه بها عند وروده معرة النعمان:

أشفقت من عبء البقاء وعابه ... ومللت من أري الزمان وصابه
ووجدت أحداث الليالي أولعت ... بأخي الندى تشنيه عن آراه
وأرى أبا الخطاب نال من الحجي ... حظاً رواه الدهر عن خطابه
لا تطلبن كلامه متشبهاً ... فالدر ممتنع على طلابه
أثني وخاف من ارتحال ثنائه ... عني فقيده لفظه بكتابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت صباه
فتشوفت شوقاً إلى نفحاته ... أفهامنا ورنّت إلى آدابه
والنخل ما عكفت عليه طيوره ... إلا لما علمته من أرطابه
ردت لطافته ودحدة ذهنه ... وحش اللغات أوانساً بخطابه
والحل يجني المر من نور الربى ... فتصير شهيداً في طريق رضابه
عجب الأنام لطول همة ماجد ... أوفى به قصر وما أزرى به
سهم الفتى أقصى مدى من سيفه ... والرمح يوم طعانه وضرايه
هجر العراق تطرباً وتغرباً ... ليفوز من سمط العلا بغرايه

والسمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنّها من غابه
والعضب لا يشفى امرأً من ثأره ... إلا بعقد نجاهه وقرابه
والله يرفعى سرح كل فضيلة ... حتى يروحه إلى أربابه
يا من له قلمٌ حكى في فعله ... أيم الغضا لولا سواد لعابه
عرفت جدودك إذ نطقت وطالما ... لفظ القطا فأبان عن أنسابه

وهزرت أعطاف الملوك بمنطق ... رد المسن إلى اقتبال شبابه
ألبيتني حلال القريض ووشيه ... متفضلاً فرفلت في أنوابه
وظلمت شعرك إذ جبوت رياضه ... رجلاً سواه من الورى أولى به
فأجاب عنه مقصراً عن شأوه ... إذ كان يعجز عن بلوغ ثوابه

تهجوا

حدثنا علي بن الحسن القاضي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الدوري الوراق، قال: حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري بالبصرة، قال: كان محمد بن عمران الضبي على اختيار القضاة للمعتر، فاجتمع إليه القضاة والفقهاء، الخصاف ونظراؤه من الفقهاء.
وكان الضبي قبل ذلك معلماً، فعس، ثم رفع رأسه، فقال: تهجوا.

أبو هشام الرفاعي يقضي ببغداد

حدثنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استقضي أبو هشام الرفاعي - يعني ببغداد - في سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وهو رجل من أهل القرآن، والعلم، والفقه، والحديث، وله كتاب في القراءات، قرأ علينا ابن صاعد أكثره، وحدث بحديث كثير.

المبرد والقبعص

أخبرني علي بن أبي علي البصري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الإيدجي، قال: حدثني أبو عبد الله المقتجع، قال: كان المبرد لعظم حفظه اللغة، واتساعه فيها، يتهم بالكذب، فتواضعنا على مسألة لا أصل لها، نسأله عنها لتنظر كيف يجيب.
وكنا قبل ذلك، قد تمارينا في عروض بيت الشاعر:
أبا منذر أفنيت فاستيق بعضنا
فقال بعضنا: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، فقطعناه، وتردد على أفواهنا من تقطيعه قبعص.

فقلت له: أنبتنا، أيدك الله، ما القبعض عند العرب ؟ فقال المبرد: القطن، يصدق ذلك قول أعرابي:
كأن سنامها حشي القبعضا
قال: فقلت لأصحابي: هو ذا ترون الجواب والشاهد، إن كان صحيحاً فهو عجيب، وإن كان اختلق
الجواب، وعمل الشاهد في الحال، فهو أعجب.

القاضي أبو عمر

حدثنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد قال: أبو عمر محمد بن يوسف، من
تصفح أخبار الناس، لم يخف عليه موضعه، وإذا بالغنا في وصفه كنا إلى التقصير فيما نذكره من ذلك أقرب.
ومن سعادة جده، أن المثل ضرب بعقله وحلمه، وانتشر على لسان الخطير والحقير ذكر فضله، حتى إن
الإنسان كان إذا بالغ في وصف رجل، قال: كأنه أبو عمر القاضي، وإذا امتلأ الإنسان غيظاً، قال: لو أني
أبو عمر القاضي ما صبرت.

سوى ما انضاف إلى ذلك من الجلالة والرياسة، والصبر على المكاره، واحتمال كل جريرة إن لحقته من
عدوه، وغلط إن جرى من صديقه، وتعطفه بالإحسان إلى الكبير والصغير، واصطناع المعروف عند الداني
والقاصي، ومداراته للنظير والتابع، ولم يزل على طول الزمان يزداد جلاله ونبله.

ثم استخلف لأبيه يوسف على القضاء بالجانب الشرقي، فكان يحكم بين أهل مدينة المنصور رياسة، وبين
أهل الجانب الشرقي خلافة، إلى سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فإن أبا خازم توفي، وكان قاضياً على الكرخ،
أعني الشرقية، فنقل أبو عمر عن مدينة المنصور إلى قضاء الشرقية، فكان على ذلك إلى سنة ست وتسعين
ومائتين.

ثم صرف هو ووالده يوسف عن جميع ما كان إليهما، وتوفي والده سنة سبع وتسعين ومائتين، وما زال أبو
عمر ملازماً لمنزله إلى سنة إحدى وثلاثمائة، فإن أبا الحسن علي بن عيسى، تقلد الوزارة، فأشار على المقتدر
به، فرضي عنه، وقلده الجانب الشرقي، والشرقية، وعدة نواح من السواد، والشام، والحرمين، واليمن،
وغير ذلك.

وقلده القضاء سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

وحمل الناس عنه علماً واسعاً من الحديث، وكتب الفقه التي صنفها إسماعيل - يعني ابن إسحاق - وقطعة
من التفسير، وعمل مسنداً كبيراً، قرأ أكثره على الناس.

ولم ير الناس في بغداد أحسن من مجلسه لما حدث، وذلك أن العلماء، وأصحاب الحديث، كانوا يتجملون
بحضور مجلسه، حتى إنه كان يجلس للحديث، وعن يمينه أبو القاسم بن بنت منيع - وهو قريب من أبيه في
السن والاسناد - وابن صاعد على يساره، وأبو بكر النيسابوري بين يديه، وسائر الحفاظ حول سريره.
وتوفي في شهر رمضان، سنة عشرين وثلاثمائة، وله ثمان وسبعون سنة.

ثم أيش

حدثنا علي بن الحسن - من حفظه - قال: حدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدي، قال: قال لي أبي: دخلت يوماً على القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وبين يديه ابن ابنه أبو نصر، وقد ترعرع، فقال لي: يا أبا بكر:

إذا الرجال ولدت أولادها ... واضطربت من كبر أعضادها
وجعلت أعلالها تعتادها ... فهي رروع قد دنا حصادها
فقلت: يبقى الله القاضي.
فقال: ثم أيش ؟

القاضي ابن البهلول التوخي ١

حدثنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، في تسمية قضاة بغداد، قال: أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان التوخي، من أهل الأنبار، عظيم القدر، واسع الأدب، تام المروءة، حسن الفصاحة، حسن المعرفة بمذهب أهل العراق، ولكنه غلب عليه الأدب.
وكان لأبيه إسحاق مسند كبير حسن، وكان ثقة، وحمل الناس عن جماعة من أهل هذا البيت، منهم البهلول بن حسان، ثم ابنه إسحاق، ثم أولاد إسحاق، حدث منهم بهلول بن إسحاق، وحدث القاضي أحمد ابن إسحاق وابنه محمد، وحدث ابن أخي القاضي: داود بن الهيثم بن إسحاق، وكان أسن من عمه القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق، وأبو بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق الأزرق، وكان من جلة الكتاب.
ولم يزل أحمد بن إسحاق بن البهلول على قضاء المدينة من سنة ست وتسعين ومائتين إلى شهر ربيع الآخر من سنة ست عشرة وثلثمائة، ثم صرف .

القاضي ابن البهلول التوخي ٢

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: قال أبي: أحمد بن إسحاق بن البهلول ولد بالأنبار سنة إحدى وثلثين ومائتين في الحرم، ومات ببغداد في شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وثلثمائة.
وكان ثبتاً في الحديث، ثقة، مأموناً جيد الضبط لما حدث به، وكان متفنناً في علوم شتى، منها الفقه على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وربما خالفهم في مسائل يسيرة.
وكان تام العلم باللغة، حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين، وله في كتاب ألفه.
وكان واسع الحفظ للشعر القديم، والمحدث، والأخبار الطوال، والسير، والتفسير.
وكان شاعراً كثير الشعر جداً، خطيباً حسن الخطابة والنفوه بالكلام، لسناً، صالح الحفظ، والترسل في المكاتبة، والبلاغة في المخاطبة.
وكان ورعاً، متخشناً في الحكم، وتقلد القضاء بالأنبار وهيت، وطريق الفرات، ومن قبل الموفق الناصر لدين الله، في سنة ست وسبعين ومائتين، ثم تقلده للناصر، دفعة أخرى، ثم تقلده للمعتضد، ثم تقلد بعض

كور الجبل للمكتفي، سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ولم يخرج إليها، ثم قلده المقتدر في سنة ست وتسعين ومائتين، بعد فتنة ابن المعتز، القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام، وطسوجي قطربل ومسكن، والأنبار وهيت، وطريق الفرات، ثم أضاف له إلى ذلك بعد سنين، القضاء بكور الأهواز مجموعة، لما مات قاضيها إذ ذاك محمد بن خلف المعروف بوكيع، فما زال على هذه الأعمال، إلى أن صرف عنها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

وأقبلت نحوك مستعجلاً

أخبرني علي بن المحسن، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب، قال: أنبأنا أبو الحسن بن حش الكاتب، قال: دعا أبي جحظة في بعض الأيام، فلما حضر، ودخل الدار، وقعت عينه على أبي، فقال: ولما أتاني منك الرسول ... تركت الذي كنت في دعوته وأقبلت نحوك مستعجلاً ... كأني جوادك في سرعته

فيها خطي خذوه بألف ألف

قال: قال: لنا جحظة: صك لي بعض الملوك بصك فترددت إلى الجهذ في قبضه، فلما طالت مدافعتي، كتبت إليه:

إذا كانت صلاتكم رقاعاً ... تخطط بالأنامل والأكف
ولم تجد الرقاع علي نفعاً ... فها خطي خذوه بألف ألف

بين جحظة وصاحب النشوار

قال: وشرب أبي دواء، فكتب إليه جحظة، يسأله عن حاله، رقعة، كان فيها:
أبن لي كيف أمسيت ... وما كان من الحال
وكم سارت بك الناقة ... نحو المنزل الخالي

أبو الحجاج الأعراي يهجو ابن أبي دؤاد

أخبرني علي بن المحسن التوخي، قال: حدثنا محمد بن عمران بن موسى، قال: حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: أنشدني أبو العباس ثعلب، قال: أنشدني أبو الحجاج الأعراي:

نكست الدين با ابن أبي دؤاد ... فأصبح من أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقاً ... أما لك عند ربك من معاد

كلام الله أنزله بعلم ... وأنزله على خير العباد
ومن أمسى ببابك مستضيئاً ... كمن حل الفلاة بغير زاد
لقد أطرفت يا ابن أبي دؤاد ... بقولك إني رجل أيادي

القاضي أبو الحسن بن الخرقى

أخبرني علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: قلد المتقي بغداد بأسرها، الجانب الشرقي، ومدينة المنصور، والكرخ، أبا الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى، مضافاً إلى ما كان قلده قبل الحضرة، من القضاء بمصر، والمغرب، والرملة، والبصرة وواسط، وكور دجلة، وقطعة من السواد، وخلع عليه في سنة ثلاثين وثلثمائة.

وكان هذا، رجلاً من وجوه التجار البرازين بباب الطاق، هو، وأبوه، وعمومته، وكانوا يشهدون عند القضاة، بتمكنهم من خدمة زيدان، قهرمانة المقتدر، ومعاملتهم لها، واتصلت معاملة أحمد بن عبد الله بعد المقتدر، بحاشيته، وولده.

وكان المتقي يرعى له خدمته في حياة أبيه، وبعد ذلك، فلما أفضت الخلافة إليه، أحب أن ينوه باسمه، ويبلغه إلى حال لم يبلغها أحد من أهله، فقلده القضاء، ولم تكن له خدمة للعلم، ولا مجالسة لأهله. فعجب الناس لذلك، وقلروا أن سيسعمل الكفاة على هذه الأمور العظام، فلم يفعل ذلك، ونظر في الأمور بنفسه، فظهرت من رجلة وكفاية، وجرت أحكامه وقضاياه على طريق صالحة، وبان من عفته، وتنزه نفسه، وارتفاعها عن الدنس، ما تمكنت بها حاله من نفوس الناس، ورضى مكانه أهل الجلالة والخطر، ولم يتعلق عليه بشيء، وارتفعت عنه الكلفة، ولم يلحقه عتب في أيامه. قال علي بن الحسن: وذكر طلحة: إنه خرج إلى الشام بعد سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة، فمات هناك.

سر إن سطعت في الهواء رويدا

أنشدنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن، قال: أنشدنا أبو العلاء المعري، لنفسه يرثي بعض أقاربه:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي ... نوح بالكٍ ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي إذا قي ... س بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلکم الحمامة أم عن ... ت على فرع غصنها المياد
صاح هذه قبورنا تملأ الأر ... ض فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطاء ما أظن أديم الأر ... ض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العه ... دهوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت في الهواء رويداً ... لا اختيالاً على رفات العباد

رب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ... ضاحكاً من تراحم الأضداد
ودفين على بقايا دفينٍ ... في طويل الأزمان والآباد
فأسأل الفرقدين عمن أحسا ... من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهارٍ ... وأنارا لمدجٍ في سواد
تعبٌ كلها الحياة فما أع ... جب إلا من راغبٍ في ازدياد
إن حزنًا في ساعة الموت أضعا ... ف سرورٍ في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت ... أمةً يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال ... إلى دار شقوةٍ أو رشاد
والقصيدة طويلة.

شعر البتي يكتب على التكك

حدثني التوخي، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن علي البتي، قال: أمرني بهاء الدولة أن أكتب أبياتاً يكتبها بعض الجواري على تكة إبريسم، فكتبت:
لم لا أتيه ومضجعي ... بين الروادف والخصور
وإذا نسجت فإنني ... بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة ... بأكف ربات الخدور

البتي يصف الفقاع

أنشدني التوخي، قال: أنشدني البتي لنفسه، يصف الفقاع:
يارب ثدي مصصته بكراً ... وقد عراني خمار مغبوق
له هدير إذا شربت به ... مثل هدير الفحول في النوق
كأن ترجيعه إذا رشف ال ... راشف فيه صياح مخنوق

إخوانيات

حدثني علي بن الحسن التوخي، قال: قرأت في كتاب من أبي الحسين أحمد بن محمد بن جعلان، إلى أبي جواًباً في المكاتبات القديمة: وقرأت الأبيات التي تجري مجرى الدر المنظوم، والماء المسجوم، وكتبت في الحال كما قال الشاعر:

يكل لساني عن مديحك بالعشر ... وأعجز أن أجري صنيعك بالشكر
فإن قلت شعراً كنت فيه مقصراً ... وإن رمت شكراً قتت فيه فما أدري
على أن ما تولي وتسدي وتبتدي ... كقدرك، والنقصان مني على قدري

وقد تكلفت ما ليس من عملي، وكنت كجالب التمر إلى هجر، والمتفاح على أهل الوبر، وقلت:
يا كاتباً أهدى إلي كتابه ... طرفاً يحار الطرف في أنائها
كالدر أشرق في سموط عقوده ... والزهرة الزهراء غب سماءها
فأفادني جذلاً وبالي كاسفٌ ... وأجار نفسي من جوى برحائها
وحسبت أيام الشباب رجعن لي ... فلبست حلي جمالها وبهائها
لا يعدم الإخوان منك محاسناً ... كل المحاسن قطرة من مائها

القاضي أحمد بن محمد بن سماعة

أخبرني علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما توفي الحسن بن علي بن الجعد،
استقضي على مدينة المنصور، أحمد بن محمد بن سماعة.
وهذا الرجل من أهل الدين والعلم، قريب الشبه بأبيه، عفيف في نفسه.
وصرف من مدينة المنصور، سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

أبو العباس بن عقدة الكوفي المحدث

حدثنا علي بن أبي علي البصري، عن أبيه، قال: سمعت أبا الطيب، أحمد بن الحسن بن هرثمة، يقول: كنا
بحضرة أبي العباس بن عقدة الكوفي المحدث، نكتب عنه، وفي المجلس، رجل هاشمي إلى جانبه، فجرى حديث
حفاظ الحديث.
فقال أبو العباس: أنا أجيب في ثلثمائة ألف حديث، من حديث أهل بيت هذا، سوى غيرهم، وضرب بيده
على الهاشمي.

محدث يحفظ ستمائة ألف حديث

حدثنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، من حفظه، قال: سمعت أبا الحسن، محمد بن عمر
العلوي، يقول: كانت الرئاسة بالكوفة في بني الفدان، قبلنا، ثم فشت رئاسة بني عبيد الله، فعزم أبي علي
قتالهم، وجمع الجموع، فدخل إليه أبو العباس بن عقدة، وقد جمع جزءاً فيه ست وثلاثون ورقة، فيها حديث
كثير، لا أحفظ قدره، في صلة الرحم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أهل البيت، وعن أصحاب
الحديث، فاستعظم أبي ذلك، واستكثره.
فقال له: يا أبا العباس، بلغني من حفظك للحديث ما استنكرته واستكثرته، فكم تحفظ؟ فقال له: أنا أحفظ
منسقاً من الحديث، بالأسانيد، والمتون، خمسين ومائتي ألف حديث، وأذاكر بالأسانيد، وبعض المتون،
والمراسيل، والمقاطيع ستمائة ألف حديث.

القاضي أحمد بن محمد بن عيسى البرقي

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: مات أبو هاشم سنة تسع وأربعين ومائتين، فاستقضى أحمد بن محمد ابن عيسى البرقي، وكان رجلاً من خيار المسلمين، ديناً عفيفاً، على مذهب أهل العراق، وكان من أصحاب يحيى بن أكثم. وكان قبل ذلك تقلد واسطاً، وقطعة من أعمال السواد، وروى كتب محمد بن الحسن، عن أبي سليمان الجوزجاني، عن محمد بن الحسن، وحدث بحديث كثير.

القاضي أبو بشر الهروي

حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي، قال: أبو بشر أحمد بن محمد بن محمد الهروي فقيه على مذهب الشافعي، وكان يخدم أمير المؤمنين القادر بالله، قبل الخلافة، ودرس عليه مذهب الشافعي. وروى أبو بشر حديثاً كثيراً، وأخباراً، وآداباً، وأشعاراً، وكتباً مصنفة، ومولده بمرأة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة.

وكان يعرف بالعالم، وتقلد الحسبة بجاني مدينة السلام، وتقلد قضاء طسوجي مسكن وقطربل، وبلاد أذربيجان.

وتوفي في يوم الثلاثاء السابع عشر من ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة.

شيخ القراء أبو بكر بن مجاهد، يمني

حدثني علي بن أبي علي البصري، قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم القاضي، قال: حدثني أبو بكر بن الجعابي، قال: كنا يوماً عند أبي بكر بن مجاهد في مسجده، فأتاه بعض غلمانه، فقال له: يا أستاذ إن رأيت أن تجملني بحضورك غداً دارنا. فقال له أبو بكر: ومن معنا ؟

فقال له: أصحابنا المسجدية، ومن يرى الشيخ.

فقال أبو بكر: ينبغي أن تدعو أبا بكر - يعني - فأقبل الفتى علي يسألني.

فقلت له: هوذا تطفل بي ؟ لو أرادني الرجل لأفردني بالسؤال.

فقال: دع هذا يا بغيض.

فقلت له: السمع والطاعة.

فقال لي الرجل: إن الأستاذ قد آثرك، فمن تؤثر أن أدعو لك ؟ فقلت له: الحسين بن غريب.

قال: السمع والطاعة، ونهض الفتى.

فلما كان من الغد، وافى إلى مسجد أبي بكر، فسألنا النهوض معه إلى منزله.

فقال أبو بكر لأصحابه: قوموا، وامضوا متقطعين، وخالفوا الطرق، ففعلوا.
ثم أقبل على الفتى، فقال له: اسبقنا، فإني أنا وأوب بكر نجيئك.
فقلت أنا له: أيش عملت في إحضار ابن غريب ؟ فقال لي: قد أخذت الوعد عليه من أمس، وأنا أنفذ إليه
رسولاً ثانياً، ومضى، وجلس أبو بكر، ففرغ من شغليات له.
ثم إنا قمنا جميعاً، وعبرنا إلى الجانب الغربي، وصعدنا درب النحلة، وكانت دار الفتى فيه، فوجدناه مترقياً
لنا.

فدخلنا، فدعنا بما، فغسلنا أيدينا، ثم أتى بجونة، فوضعها بين أيدينا .
فقلت في نفسي: ما أرى مروة هذا الفتى، أيش في الجونة، مما يطعمنا ؟ ففتحها، فإذا فيها بزماورد،
وأوساط، ولفات، وسنبوسج، فأكلنا أكلاً عظيماً مفرطاً، والجونة على حائها، وما فيها من هذا الطعام على
غاية الكثرة والوفرة.
وشلنا أيدينا، فاستدعى الحلوى، فأتى بفالودج غرف، حار، بماء ورد، على مائدة كبيرة، فأكثرتنا منه،
فعجبت من ظرف طعامه، ونظافته، وطيبه، وحسنه، وتما مروة، من غير إجحاف، ولا إسراف، وغسلنا
أيدينا.

فقلت له: أين ابن غريب ؟ فقال لي: عند بعض الرؤساء، وقد حال بيننا وبينه.
فشق علي، وتبين أبو بكر بن مجاهد ذلك مني، فقال لي: هاهنا من ينوب عن ابن غريب.
فحدثنا ساعة، فقلت له: لا أرى للنائب عن ابن غريب خبراً، ولا أثراً، فدافعي.
فصبرت ساعة، ثم كررت الخطاب عليه، وألححت، ولست أعلم من هو النائب بالحقيقة عن ابن غريب.
فقال للفتى: هات قضيباً، فأتاه به.
فأخذه أبو بكر، ووقع، واندفع يغني، فغناني نيفاً وأربعين صوتاً، في غاية الحسن، والطيبة، والاطراب،
فأشجاني، وحيرني.
فقلت له: يا أستاذ متى تعلمت هذا ؟ وكيف تعلمته ؟ فقال: يا بارد تعلمته لبغيض مثلك، لا يحضر الدعوة
إلا بمغن.
ومضى لنا يوم طيب معه.

القاضي أحمد بن يحيى بن أبي يوسف

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن يحيى بن محمد بن جعفر قال: استقضي أحمد بن يحيى بن أبي
يوسف القاضي، في سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان متوسطاً في أمره، شديد المحبة للعالم، وكان صالح الفقه
على مذهب أهل العراق، ولا أعلمه حدث بشيء، ثم عزل، واستقضي ثانية، وعزل، وولي الأهواز، ثم وجه
به إلى خراسان، فمات بالري.

الصدیق لا یحاسب

أخبرنا القاضي أبو القاسم التوخي، قال: أخبرنا أبو الحسن منصور ابن محمد بن منصور الحربي، قال: سمعت أبا محمد الزهري، يقول: كان لثعلب عزاء ببعض أهله، فتأخرت عنه، لأنه خفي عني، ثم قصده معتذراً. فقال لي: يا أبا محمد ما بك حاجة إلى أن تتكلف عذراً، فإن الصديق لا يحاسب، والعدو لا يحتسب له.

صبرك على أذى من تعرف خير

من استحداث ما لا تعرف

حدثني علي بن أبي علي البصري، قال: حدثنا منصور بن محمد الحربي، قال: سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد الزهري، يقول: كانت بيني وبين أبي العباس ثعلب، مودة وكيدة، وكنت أستشيريه في أموري. فجئته يوماً أشاوره في الانتقال من محلة إلى أخرى، لتأذي بالجوار، فقال لي: يا أبا محمد، العرب تقول: صبرك على أذى من تعرف، خير لك من استحداث ما لا تعرف.

عبد الحميد الكاتب وتجويد الخط

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثنا محمد بن عمران المرزباني قال: حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: قال أحمد بن يوسف الكاتب: رأي عبد الحميد بن يحيى، أكتب خطأ رديئاً، فقال لي: إن أردت أن يجود خطك، فأطل جلفتك وأسمنها، وحرف قطتك، وأيمنها، ثم قال: إذا حرج الكتاب كان قيسهم ... دويماً وأقلام الدوي لهم نبلا قال الأخفش: قوله جلفتك: أراد فتحة رأس القلم.

أبو الحسن بن الأزرق التوخي

قال لي علي بن الحسن: ولد أبو الحسن بن الأزرق ببغداد في المحرم لعشر خلون منه من سنة سبع وتسعين ومائتين، سمعته يذكر ذلك، وحمل عن جماعة من أهل الأدب، منهم علي بن سليمان الحفش، وابن دريد، وابن شقير النحوي، وفطويه، وكان حافظاً للقرآن، قرأه كله مراراً على ابن مجاهد بقرأة أبي عمرو بن العلاء، وأخذ شيئاً من النحو عن أبي بكر بن السراج، وأبي إسحاق الزجاج، وحمل قطعة من اللغة والنحو عن ابن الأنباري، وفطويه، وقرأ الكلام والأصول على أبي بكر بن الإخشيد، ثم على أبي هاشم الجبائي، ودرس من الفقه قطعة على أبي الحسن الكرخي، ومات يوم الجمعة لست وعشرين ليلة خلت من المحرم سنة سبع وسبعين وثلثمائة، وكان منزله بالجانب الشرقي من مدينة السلام، بقرب باب البستان.

أبو بكر بن المرزبان يعاتب

جد أبي عمر بن حيويه

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: كتب أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان إلى جدي يعاتبه:

أجمل بالمرء يخلف وعدا ... أو يجازي الوصول بالقرب بعدا
ما مللناك إذا مللت ولم ننف ... ك نرداد مذ عقلناك ودا
فعلام استحق هجرك من لي ... س يرى منك يا ابن حيويه بدا
يحفظ العهد حين نقضك للعه ... د ويأتي الذي تحب مجدا
يا أبا بكر بن يحيى نداءً ... من أخ لم تزل لديه مفدى
لك مذ دام صرف وجهك أيا ... ثم طوال أعدها لك عدا
وتناسيت ما سألت وقد أسلف ... ت فيما سألت مدحا وحما
خاطبا كك دعوة واستماعاً ... لفظ من لا نرى له الدهر ندا
فتناهي إلي أمس حديث ... كاد يقضي علي حزناً ووجدا
زعموا أن أحمد الخير ما زا ... ل لديكم يشدو ثلاثاً ويشدى
فلماذا جفوتنا بعد وصل ... ونقضت العهود عهداً فعهدا
ألبخل عراك؟ فالبخل قد كا ... ن إلى راحتك لا يتهدى
أو ملال، فليس مثلك من م ... ل أحملاً لا يحل في الحب عقدا
دائم الود لا يصد ولو جا ... ر عليه خليله وتعدى
فاعطف الوصل نحو من منح الوص ... ل وراجع فالوصل أولى وأجدى
أي شيء أنكى لقلب محب ... حال منه نحس المطالع سعدا
أدرك الحاسد الشمات وقد كا ... ن قديماً لهجرنا يتصدى
طالما يبتغي القطيعة بالحي ... لة بيني وبينكم ليس يهدي
لو تراه خلته نال ما أم ... ل يختال لاهياً يتقدى
أنت أعطيته أمانيه جوراً ... وزماناً كان في ذاك أكدى
فاستمع ما أقول إني وعهد ال ... ه أهوى استماع أحمد جدا
واقتراحي بعد انبساطي إليه ... تلك هند تصد للهجر صدا

ابن سيرين يجس في الدين

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال: أخبرنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا المدائني، قال: كان سبب حبس ابن سيرين في الدين، أنه اشترى زيتاً بأربعين ألف درهم، فوجد في زق منه فأرة، فقال: الفأرة كانت في المعصرة، فصب الزيت كله.

وكان يقول: عيرت رجلاً بشيء منذ ثلاثين سنة، أحسبني عوقبت به، وكانوا يرون أنه عير رجلاً بالفقر، فابتلي به.

عضد الدولة يذم أهل بغداد

حدثني علي بن أبي علي البصري، قال: سمعت أبي يقول: قال عضد الدولة يوماً، وأنا حاضر وقد جرى ذكر أهل بغداد، وكان يذمهم كثيراً ويثلبهم: ما وقعت عيني في هذا البلد، على أحد يستحق التفضيل، أو أن يسمى برجل، غير نفسين، ولما ميزتهما، علمت أنهما ليسا من أهل بغداد. قال أبي: فتشوفت لمعرفتهما، ولم أسأله عنهما، وبان له ذلك في وجهي. فقال: أما أحدهما، وأولاهما بالتفضيل، فأبو الحسن بن أم شيبان، والآخر محمد بن عمر - يعني العلوي - وهما كوفيان.

سفيان الثوري يعاتب

ابن علاثة على ولايته القضاء

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني عبد الباقي بن قانع، قال: حدثني بعض شيوخنا، قال: استأذن ابن علاثة، على سفيان الثوري بعد أن ولي القضاء، فدخل عمار بن محمد، ابن أخت سفيان، يستأذن له على سفيان، فلم يأذن له، وكان سفيان يعجن كسباً للشاة، فلم يزل به عمار حتى أذن له.

فدخل ابن علاثة، فلم يحول سفيان وجهه إليه، ثم قال له: يا ابن علاثة، ألماذا كتبت العلم؟ لو اشتريت صيراً بدرهم - يعني سميكاً - ثم درت في سكك الكوفة، لكان خيراً من هذا.

جاء الرسول ببشرى منك تطمعي

أخبرني علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم الأزدي، الكاتب، قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: أنشدني أحمد بن صدقة، لأبي الشيص: جاء الرسول ببشرى منك تطمعي ... فكان أكبر ظني أنه وهما فلما فرحت ولكن زادني حزناً ... علمي بأن رسولي لم يكن فهما كم من سريرة حب قد خلوت بها ... ودعة تملأ القرطاس والقلم

لا ينقص الكامل من كماله

ما جر من نفع إلى عياله

أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثنا محمد بن المرزبان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: رأى رجل محمد بن كناسة، يحمل بيده بطن شاة، فقال له: أنا، أحمله لك، فقال: لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع إلى عياله

على الباغي تدور الدوائر

ذكر القاضي التنوخي، في كتابه نشوار المحاضرة، قال: حدثني إبراهيم النصيبي، عن جاري له يقال له، أبو القاسم الصفار، قال: خرجت من نصيين، بسيف نفيس، كت ورثته عن أبي، وقصدت العباس بن عمرو، أمير ربيعة، لأهدية له، وهو في رأس العين. فصحني شيخ من شيوخ الأعراب، وسألني عن خبري، فأخبرته، وقد كنا قرييين من رأس العين، فدخلناها وافترقنا. وكان يأتيني ويراعيني، ويظهر لي البر، ويسألني عن حالي، فأخبرته أن الأمير قبل هديتي، وأعطاني ألف درهم وثياباً، وأني أريد الخروج يوم كذا وكذا، فمضى. فلما كان ذلك اليوم، خرجت من الدار، راكباً حمراً، فلما صرت في الصحراء، إذ أنا بالشيخ راكباً دويبة ضعيفة، متقلداً سيفاً. فلما رأيته استريت به، وأنكرت وجهه، وأيقنت بالشر في عينيه، فقلت: ما تصنع ها هنا. فقال: قضيت حوائجي، وأريد الخروج صحبتك، وصحبتك عندي أثر من صحبة غيرك. فقلت: على اسم الله. فمضينا، وهو يجتهد أن آنس به، وأدنو منه، وكلما دنا مني، تباعدت عنه، إلى أن سرنا شيئاً كثيراً من الطريق، وليس معنا ثالث، إلا الله تعالى؛ فقصر عني، فحششت حماري لأفوته، فما أحسست إلا بركضه في إثري، فالتفت، وإذا هو قد جرد سيفه، وقصدي، فرميت بنفسي عن الحمار، وعدوت. فلما خاف أن أفوته صاح: يا أبا القاسم، إنما مزحت معك. فلم ألفت إليه، فضرب دابته، وزاد في الجري، ولاح لي ناووس، فقصدته، وقد كاد الأعراي أن يلحقني، فلما دخلت الناووس، وقفت وراء بابه. قال: ومن صفة هذا الناووس، أنه مبني بحجارة، وباب هذا الناووس حجر واحد عظيم، قد نقر، وحفف، فلا تستمكن اليد منه، وله من خارج الباب حلقة، وليس من داخله شيء تلزم به اليد، وإنما يدفع من خارجه، فينفتح، فيدخل إليه، فإذا خرجت، وجذبت الحلقة، انغلق الباب، وتمكن الذي يكون من خارجه. فاخبتأت وراء باب الناووس، فجاء الأعراي، فشد دابته في حلقة الباب، ودخل يطلبني في الناووس، وكان مظلماً، فلم يرني، ومشى إلى داخل، فخرجت من خلف الباب، وجذبت الحلقة، حتى صار مغلقاً، فرأى الموت عياناً. فصاح من الناووس: يا أبا القاسم، اتق الله، فإني تالف لا محالة.

فقلت: تتلف أنت، أهون من أن أتلف أنا.

قال: أخرجني، وأنا أعطيك أماناً، واستوثق لك بالأيمن، إني لا أتعرض لك بسوء، واذكر الحرمة.

فقلت: أنت لم ترعها، وأيمانك كاذبة فاجرة، لا أثق بها.

وأخذ يكرر هذا، فقلت: لا تمذ، فإني أركب الآن دابتك، وأجنب حماري، والوعد بيننا بعد أيام ها هنا، فلا

تبرح حتى أجيء، وإن احتجت إلى طعام، فعليك بجيف العلوج، فنعم الطعام لك.

قال: فأخذ يبكي، ويستغيث، ويصيح: قتلني، والله.

فقلت: إلى لعنة الله.

فركبت دابته، وجنب حماري، فوجدت على دابته خرجاً فيه ثيابه، فأتيت نصيين، فبعت ثيابه ودابته، وكنمت أمري.

فلما كان بعد شهور، عرض لي المسير إلى رأس العين، فخرجت إلى تلك الطريق، وبد لي ذلك الناورس،

فقصدته، ودخلته، فإذا بالأعرابي صار عظاماً نخرة، فحمدت الله على سلامتي، وهلاكه.

فحركته برجلي، وقلت على سبيل العبث: كيف خبرك يا فلان؟ فإذا بشيء يتخشخش تحت رجلي،

فمسسته، فإذا هو هميان، فأخذته، وأخذت سيفه، وخرجت من الناورس، وفتحت الهميان، فإذا فيه

خمسائة درهم، وبعث السيف بمائة درهم.

من يعمل مثقال ذرة خيراً يره

روى القاضي التنوخي أيضاً، في كتابه نشوار المحاضرة، عن شخص أنه قال: كان لأبي مملوك يقال له مقبل،

فهرب منا، ولم نعرف له خبراً منذ سنين كثيرة.

ثم تغربت عن بلدي، ووقعت إلى نصيين، وأنا إذ ذاك شاب، ما نبتت لحيتي.

فأنا ذات يوم مجتاز، وفي كمي منديل مملوء دراهم، وأنا في سوق نصيين، إذ رأيت غلامنا مقبل.

فحين رأيته، بش بي، وفرح، وأظهر سروراً عظيماً، وأقبل يسألني عن أبي وأهلنا، فأعرفه موت من مات،

وخبّر من بقي.

ثم قال لي: يا سيدي متى دخلت إلى ها هنا، وفي أي شيء؟ فعرفته، فأخذ يعتذر من هربه منا، ثم قال: أنا

مستوطن هنا وأنت مجتاز وقال: يا سيدي، تجيء إلى دعوتي اليوم؟ فإني أحضر لك نبيذاً طيباً، وغناء حسناً.

فقلت: نعم.

فمشى قدامي، ومشيت خلفه، وطال الطريق علي، وأنا أقول له: ويحك أين بيتك؟ فيقرب علي المدى.

حتى بلغ آخر نصيين، في درب خراب يقارب الصحراء، فدق باباً، فخرج رجل، ففتح الباب، فدخل،

ودخلت.

فحين حصلت في الدهليز، ردم الباب، واستوثق منه، فأنكرت ذلك، ودخلت، فإذا أنا بثلاثين رجلاً،

بسلاح، بلا بارية ولا غيرها، وإذا هم لصوص، وهو عين لهم، فأيقنت بالبلية والشر.

فقام إلي واحد منهم، وقال: انزع ثيابك.

فطرح ما كان علي، إلا السراويل، فجاءوا ليأخذونه، فسألهم في ذلك، فتركوه.
وحلوا منديل كمي، وأخرجوا ثلاثين درهماً، وقالوا لمقبل: امض، فخذ لنا شيئاً نأكله.
فتقدم مقبل، فسار أحدهم، وهو رئيسهم.
فقال له ذاك: إنه لا بد من قتله، فجئنا بما نأكله، فإذا جئنا به قتلناه.
فعلمت أن مقبلاً، أشار عليهم بقتلي، فطارت روحي جزعاً.
وقال لهم الغلام: لا أمضي أو تقتلوه.
فقلت لهم: يا قوم، أيش ذنبي؟ ولم أقتل؟ قد أخذتم مالي وثيابي، دعوني أروح.
ثم قلت له: يا مقبل، هذا من حقي علسيك، وحق أبي، ويحك، ألا ترهني؟ قال: فكاشفني، وقال للقوم:
إنكم إن لم تقتلوه، وإلا يخرج ابنه عليكم السلطان، فيقتلكم كلكم.
قال: فجذبني واحد منهم، واستل سيفه، وسحبني من صدر الدار التي كانوا فيها، إلى البالوعة ليدبحني
عليها.
فوقعت عيني على غلام منهم، كان علي قدر سني، فقلت له: ارحمني، فأنت غلام مثلي، وإن خلصتني من يد
هؤلاء، أجرت بي، فاستدفع البلاء من الله تعالى، بخلاصي.
قال: وبكيت، وبقيت أحلف لهم، إني لا أنبه عليهم أبداً، ولا أتكلم إن تركوني.
قال: فألهم الله عز وجل، ذلك الفتى، أن طرح نفسه علي، وقال: والله، لا يقتل وأنا حي، فإما قتلتموني
قبله، وإلا فلا تقتلوه.
قال: وتعصب له أستاذه، وقال: غلامي أجاره، فلا تقتلوه.
فشتموه، وشتموا غلامه، وتعصب لهما جماعة، وجاءوا فأخذوني من البالوعة، وقد كاد الرجل يدبحني،
فأجلسوني في صدر صفة، وجلسوا حولي، وشتموا ذلك الغلام، ومنعوا الباقين عني.
وقالوا: نحن جياع، فأتوننا بشيء نأكله، وقتل هذا لا يفوت.
فقال الباقون: القول ما قالوا، فكفوا عني.
ومضى، فاشترى خمسين رأساً، وخبزاً كثيراً، وجنباً، وزيتوناً، وجاءهم به، فجلسوا يأكلون، وأنا أتخوف أن
يتغافلني منهم إنسان، فيقتلني.
فقلت لذلك الفتى، فترك الأكل، وجلس هو وأستاذه يحفظاني، إلى أن أكلت الجماعة، ووكلا بي قوماً من
أصحابهم ممن أكل، وجلسا يأكلان.
واستدعياني للأكل معهما، فأردت إيجاب الذمام عليهما، فأكلت معهما أكل معرض، لقمة واحدة، أو
لقمتين، بلا شهوة ولا عقل.
فقال لهم: الآن أكلتم، وترك هذا خطأ، فاقتلوه.

فعاد الكلام في قتلي، وأقبل أولئك يمعنون، وتزايد الأمر إلى أن جرد بعضهم السيوف على بعض، وجعلني
أولئك وراءهم، واقبلوا يجادلون عني، وأولئك ينخسوني من خلفهم بأطراف السيوف، وأنا أروغ خوفاً من

أن يصل إلي بعض ذلك، فيقتلني، وأنا أحلف لهم أي إن سلمت لم أنبه عليهم، إلى أن كادوا يتجارحون. ودخل بعضهم بينهم، وقالوا: لا يكون هذا ميثوماً عليكم، فدعوه. فتوافقوا على الكف عني، وجلسوا يشربون، فلما أرادوا أن يخرجوا، قالوا: يتوكل به من يتعصب له، حتى نخرج نحن، فإن صاح، يلي به من خلصه. فقال لي الفتى وأستاذة: قد سمعت يا فتى، فلا تكافنا على الجميل بقييح. فحلفت لهم بالله، أي لا أنبه عليهم، فخرجت الجماعة، إلا الغلام وأستاذة، فلما بعدت الجماعة، خرج النفسان. فما كان لي همة، إلا غلق الباب وراءهما، وترسه، ووقعت مغشياً علي، وذهب عقلي عني إلى قريب من نصف الليل، فأفقت وقد لحقني البرد، فلم أزل أرتعد فرعاً وبرداً، إلى وجه السحر، وسمعت صوت الدباب، فخرجت عرياناً، حتى أتيت إلى بيتي. وآليت على نفسي، أن لا أمضي إلى موضع لا أخبره، ولا مع من لا أعرف باطنه، وحمدت الله على العافية.

عاقبة البغي

روى القاضي التنوخي، في كتابه أخبار المذاكرة، ونشوار المحاضرة، عن عبيد الله بن محمد الخفاف، قال: حدثني أبي، قال: حدثني صديق لي من أولاد الجند، قال: كنت مجتازاً يوماً في الكرخ ببغداد، فرأيت امرأة لم أر أحسن منها قط، فوقف أنظر إليها، وإذا بها قد ولت، وإذا بعجوز معها قد جاءني، فمازحتني عنها، وقالت: تقول لك: تحيء في دعوتي؟ فقلت: لا يمكنني أن أمضي مع أحد، ولكن تحيء في دعوتي أنا. فقالت: لا، بل تحيء أنت.

فحملني فرط شهوتي لها أن مضيت معها، إلى أن حصلنا في طرف من أطراف بغداد، ووافت إلى الباب فدقته.

فقالوا: ما هذا؟ فقالت: أنا، صيد.

فحين قالت ذلك، وجب قلبي، فوليت.

فقالت: إلى أين يا فتى، ما بدا لك منا؟ فقلت: خير، ودخلت البيت، فإذا بدار فارغة، قليلة الآلات جداً، وإذا بجارية سوداء قد جاءت بطشت وماء، فغسلت وجهي، ورجلي، واسترحت، وجاءوني بطعام غير نظيف، فأكلت منه لفرط الجوع.

وخرجت الجارية، وإذا هي من أحسن النساء وجهاً، وجاءوني بنبيذ، فجلست أشرب، وهي معي.

فأهويت إليها، فمكنتني من عناقها، فلما تجاوزت ذلك، قالت: أنا لا أدخل في حرام، واصبر حتى يجيء من يزوجني بك.

وجاءت المغرب، وصار الوقت بين الصلاتين، وإذا بالباب يدق.

فقالت: ويه، ويه.

فقلت لها: ما الخبر؟ فقالت: قد جاء أخي وغلामه، وإن رآك لم آمن عليك، قم إلى ذلك البيت فاختبي فيه،

حتى إذا نلموا جنتك.

فأدخلني بيتاً، فلما حصلت فيه، زرفت بابه، فأيقنت أنني مقتول، وأن ذلك لغرض كان في ثيابي ومالي، فنبت إلى الله من الحرام، وعاهدته إن خلصني، أن لا أدخل في شيء من ذلك.

قال: وأقبلت أسمع ما يجري من خلف الباب، فإذا بالداخل غلام أسود، لم أر قط أهول منه خلقاً، ولا أعظم، وهو يقبل المرأة، وهي ترشفه ترشف عاشقة له، وجلسا يتحدثان، وجاءوه بما أكله، وشربه، ثم جامعها دفعات.

وقال لها في خلال ذلك: أيش حصل اليوم؟ فقالت: ما وقع اليوم غير رجل مخذول، لم يكن في كفه شيء، قال: وأخرجت ثيابي، فسلمتها إليه، فشتتها وضربها.

وقال: هذا أيش، نحن أردنا صاحب كيس كبير.

فقالت: كما اتفق، ولم تزل تقبل رجله، وتبكي، وتعتذر إليه، إلى أن رضي عنها. وأيقنت أنا بالهلاك، وأقبلت على الدعاء.

وما زالا يشربان، وهو يجامعها في خلال ذلك، إلى أن عدت أنه قد جامعها عشر دفعات، وسكر.

فقالت له: قد أخذ النبيذ منك يا سيدي، قم فافرغ من هذا الميشوم، حتى تتخلص منه. فتشهدت حينئذ.

ففتح الباب، ودخل الأسود إلي بسيف مسلول، فما زال يضربني موشحاً، وأنا أصيح، فلا يسمع أحد صياحي، إلى أن بردت، وانقطع صياحي، ولم يشك الأسود في موتي، فجدبني وطرحني في البئر، وإذا تحتي فيها أشلاء ثلاثة، فصرت أنا قريباً من رأسها، فوق القوم، فخرج ولم يغلق الباب. فقالت له: ما عملت؟ قال: فرغت منه.

فنام إلى جانبها، وقامت العجوز، فجلبت لهم، ولم يكن في الدار غيرهم.

فلما كان بعد نصف الليل، حملتني حلاوة الحياة، على طلب الخلاص فقممت، فإذا البئر إلى صدري، وإذا أنا قوري، فتسلقت، وخرجت منها إلى البيت.

ووقفت أسمع، فلم أسمع لهم حساً، إلا غطيلاً يدل على نومهم، فخرجت قليلاً قليلاً، حتى فتحت الباب، وخرجت من الدار، وما شعروا بي، فجئت إلى بيتي قبل طلوع الشمس.

فقالوا: ما دهاك؟ فقلت: كنت البارحة عند صديق لي، وبكرت من عنده، فلقيني لص يستقفي، فمنعته ثيابي، فأخذها، وعمل بي هذا.

فأقمت شهوراً أعالج، إلى أن عوفيت، فلما خرجت، وتصرفت، لم يكن لي هم إلا طلب المرأة في الطريق والأسواق.

فاجتزت يوماً بالكرخ، فرأيتها، فلم أكلمها، وعدت إلى منزلي، وكنت قد غيرت زيي، وطولت لحيتي، حتى تغيرت هيأتها عليها، ومشيت ويدي مكتوفة إلى ظهري، على مذهب الخراسانية، وجئت أطلبها، وصادفتها في الموضع.

فحين رأي العجوز، أقبلت علي، وبدأتني بالكلام، فأجبتها بالفارسية، وعلمت أنها لم تعرفني.
وجئت معها، فحملتني إلى الدار بعينها، وجرت القصة على الرسم الأول، إلى أن قالت: قد جاء أخي
وغلامه، قم لا يراك، فأقامتني إلى البيت بعينه، فدخلته، وأغلقت علي، ووقفت أسمع، وكان تحت ثيابي
سيف لطيف ماضٍ.
فقال لها الأسود، بعد أن وطنها خمس عشرة مرة: أيش جبت اليوم ؟ قالت: بطة سمينة، خراساني معه هميان
ملآن.

قال :فأين هو ؟ قالت: في وسطه.

فقال: غاية.

فأخرجت أنا السيف، ووقفت خلف الباب أنتظره، فأكل، وشرب حتى سكر، وجاء، فدخل، فنخالت
طريقه، ومضى يريد صدر البيت، فصرت خلفه، وضربت في ساقه ضربة محكمة، أجلسته منها، وثبيتها
بأخرى، فما قدر أن ينهض، وواليت ضربه، حتى قطعته، فلما برد، تقدمت فحززت رأسه، وفصلته عن
بدنه، لتزول عني الشبهة في أمره، ووقفت موضعي.
فلما أبطأ خروجه على الجارية، قالت العجوز: قومي انظري أيش خبره ؟ فقامت العجوز المسماة صيد،
تطلبه، وجاءت إلى البيت، تقول: يا سيدي، لم ليس تخرج ؟ أين أنت ؟ فما تكلمت.
فدخلت إلى البيت، فضربت في ساقها أيضاً، فقعدت زمناً، فحين جلست، جررت برجلها، فأخبرتها إلى
برا، وقلت: مرحباً يا صيد، إلى كم تصطادين ولا تصادين ؟ وقتلتها.
وخرجت إلى الدار، وتكلمت بلسان فصيح، وقد كنت أكلهم بلسان الخراسانية، فأيقنت الجارية بالهلاك.
ثم قلت لها: أنا الرجل الذي فعلت بي كذا وكذا.
قالت: فأين الأسود ؟ فقلت: قتلته، وهذا رأسه.
قالت: سألتك بالله، إلا قتلتي بعده، فلا حاجة لي في الحياة.
فقلت: ليس تحتاجين إلى مسألتي في هذا، فأني أفعله، ولكن أين الأموال ؟ وإلا عذبتك، ولم أقتلك،
وأخرجتك إلى السلطان، فحصلت في العقوبات.
فقالت: افصح ذلك البيت، وذلك البيت.
ففتحت أبواباً، فخرج علي منها أمر عظيم.
فقلت: الأموال.

وما زلت أقررها، وكلما امنعت، ضربتها بالسيف، إلى أن عرفتني مواضع الدفائن، وأوقفتني على جميع ما
عندها من الذخائر، فقتلتها حينئذ.
وخرجت سحراً، وقد قلعت الدفائن، وأخذت منها ما أطلقت حمله من فاخر ما وجدته، ولم أقرب الناحية إلى
الآن، ولا أدري إلى أي شيء انتهى خبر القتلى والأسود والدار.
فكان ما وصل إلي من ذلك ما قيمته ألوف كثيرة.

الأنصاري وعبد الله بن عامر عامل العراق

قال القاضي أبو علي الحسن بن أبي القاسم علي التتوخي: خرج رجلا من المدينة، يريدان عبد الله بن عامر بن كريز، للوفادة عليه، أحدهما من ولد جابر بن عبد الله الأنصاري، والآخر من ثقيف، وكان عبد الله عاملاً بالعراق لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

فأقبلا يسيران، حتى إذا كانا بناحية البصرة، قال الأنصاري للثقفى: هل لك في رأي رأيته؟ قال: اعرضه. قال: نبيخ وواحلنا، وتنوضاً، ونصلي ركعتين، نحمد الله عز وجل فيهما، على ما قضى في سفرنا. قال له: نعم، هذا الرأي الذي لا يرد.

قال: ففعلا.

ثم التفت الأنصاري إلى الثقفى، فقال له: يا أخا ثقيف، ما رأيك؟ قال: وأي موضع رأي هذا؟ أمضيت سفري، وأنضيت بدني، وأتعبت راحلتي، ولا مؤمل دون ابن عامر، فهل لك من رأي غير هذا؟ قال: نعم، إني لما صليت، فكرت، فاستحييت من ربي، أن يراني طالب رزق من عند غيره. ثم قال: اللهم رازق ابن عامر، ارزقني من فضلك، ثم ولى راجعاً إلى المدينة.

ودخل الثقفى البصرة، فمكث على باب ابن عامر أياماً، فلما أذن له، دخل عليه، وكان قد كتب إليه من المدينة بخبرهما.

فلما رآه رحب به، وقال: ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك؟ فأخبره بما كان منهما. فبكى ابن عامر، وقال: والله، ما قالها أشراً ولا بطراً، ولكن رأى مجرى الرزق، ومخرج النعمة، فعلم أن الله عز وجل هو الذي فعل ذلك، فسأله من فضله، ثم أمر بأربعة آلاف، وكسوة، وطرف، وأضعف ذلك للأنصاري، فخرج الثقفى، وهو يقول:

أمامة ما سعى الحريص بزائد ... فتيلاً ولا عجز الضعيف بضائر
خرجنا جميعاً من مساقط روسنا ... على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أحننا الناعجات ببابه ... تأخر عني اليبري ابن جابر
وقال: ستكفيني عطية قادر ... على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
فإن الذي أعطى العراق ابن عامر لربي الذي أرجو لسد مفاقرى
فلما رأيته قال: أين ابن جابر؟ ... وحن كما حنت عراب الأباغر
فاضعف عبد الله إذ غاب حظه ... على حظ لهفان من الحرص فاغر

عابدة الجهنية تحضر مجلس عضد الدولة

وتنشد قصيدة في مدحه

عابدة بنت محمد الجهنية، امرأة عم أبي محمد الحسن بن محمد المهلي الوزير.
قال ابن النجار: كانت أديبة، شاعرة، فصيحة، فاضلة، روى عنها القاضي أبو علي الحسن بن علي بن محمد التنوخي.

قال التنوخي: حضرت بغداد في مجلس الملك عضد الدولة، في يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وثلثمائة، والشعراء ينشدونه التهاني، فحضرت عابدة الجهنية، امرأة عم أبي محمد المهلي الوزير - كان - فأنشدت قصيدة لم أظفر منها بشيء.
وقال التنوخي: أنشدتني عابدة لنفسها، وهذه امرأة فاضلة، كانت تهجو أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي، لما ولي الوزارة:

شاروني الكرخي لما دنا ال ... نيروز والسن له ضاحكه
فقال ما تهدي لسلطاننا ... من خير ما الكف له مالكة
قلت له كل الهدايا سوى ... مشورتي ضائعة هالكة
اهد له نفسك حتى إذا ... أشعل ناراً كت دوبركه
قال التنوخي: الدوبركة، كلمة أعجمية، وهو اسم للعب على قدر الصبيان يحلها أهل بغداد سطوحهم ليلة النيروز.
وقد كانت تنشدين أفحل من هذا، فكتبت ذلك عنها في مواضع من كتبي.

عاتكة المخزومية تحضر مجلس

عضد الدولة وتنشد قصيدة في مدحه

عاتكة بنت محمد بن القاسم بن محمد بن يحيى بن حابس بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن الحارث بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، أم الحسن بن محمد بن عبد الله السلامي الشاعر.

قال ابن النجار: كانت شاعرة فصيحة، مدحت عضد الدولة ببغداد، وروى عنها القاضي التنوخي.
قال التنوخي: حضرت مجلس عضد الدولة ببغداد، من يوم عيد الفطر سنة " ٣٦٧ " وحضر الشعراء فأنشدوا التهاني.

وحضرت أم أبي الحسن البغدادي السلامي، فأنشدته لنفسها قصيدة طويلة، بعبارة فصيحة، وإنشاد صيت مستقيم، ولسان سليم من اللحن، لم أصل إلى جميعها، تقول فيها، عند ذكرها الممدوح:

شتان بين مدبر ومدمر ... صيد الليوث حصائد الغزلان
روعته من بعد دهر راعني ... وسقيته ما كان قبل سقاني
فلقد سهرت ليالياً وليالياً ... حاتي رأيتك يا هلال زماني

الشاعرة المخرومية

ابنة خال السلمي الشاعر، كذا في تاريخ ابن النجار.
ثم روي عن أبي علي التوخي، قال: أخبرني محمد بن عبد الله السلمي، أنه كانت له ابنة خال بغدادية، مخرومية، تقول الشعر.

وقال: أنشدتني لنفسها من قصيدة لها إلى سيف الدولة، وإنها ماتت سنة " ٣٦٧ " :

لولا حذاري من أن ألام على ... عتاب يوم منه وإعتابه
لسرت والليل هودجي وذباب ال ... سيف في نحره إلى بابه

أنسب بيت قالته العرب

أخبرنا التوخي، قال: أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني الحرمي ابن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني خلف بن وضاح، أن عبد الأعلى بن عبد الله بن صفوان الجمحي، قال:

حملت ديناً بعسكر المهدي، فركب المهدي يوماً، بين أبي عبيد الله، وعمر بن بزيع، وأنا وراءه في موكب، على بردون قطوف.

فقال: ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال أبو عبيد الله، قول امرئ القيس.

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

قال: هذا أعرابي قح.

فقال عمر بن بزيع: قول كثير يا أمير المؤمنين:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلي بكل سبيل

فقال: ما هذا بشيء، وماله يريد أن ينسى ذكرها، حتى تمثل له ؟ فقلت: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين !

قال: الحق بي قلت: لا لحاق بي، ليس ذلك في دابتي.

قال: احمלוه على دابة.

قلت: هذا أول الفتح، فحملت على دابة، فلحقته.

فقال: ما عندك ؟ قلت: قول الأحوص:

إذ قلت إني مشفق بلقائها ... فحم التلاقي بيننا زادي سقما

فقال: أحسنت، حاجتك ؟ قلت: علي دين.

فقال: اقضوا دينه.

فقضي ديني.

وقد يجمع الله الشيتين

أخبرنا القاضي علي بن المحسن، حدثني أبي، حدثنا عبيد الله بن محمد الصروي، حدثني أبي، حدثني صديق لي ثقة: إنه كان ببغداد رجل من أولاد النعم، ورث مالا جليلاً، وكان يعشق قينة، فأنفق عليها مالا كثيراً، ثم اشتراها، وكانت تحبه كما يحبها، فلم يزل ينفق ماله عليها، إلى أن أفلس.

فقالت له الجارية: يا هذا، قد بقينا كما ترى، فلو طلبت معاشاً.

قال: وكان الفتى لشدة حبه الجارية، وإحضاره الأستاذات ليزيدوها في صنعتها، قد تعلم الضرب والغناء، فخرج صالح الضرب والحدق فيهما.

فشاور بعض معارفه، فقال: ما أعرف لك معاشاً أصلح من أن تغني للناس، وتحمل جاريك إليهم، فتأخذ على هذا الكثير، ويطيب عيشك.

فأنف من ذلك، وعاد إليها، فأخبرها بما أشير به عليه، وأعلمها أن الموت أسهل عنده من هذا.

فصبرت معه على الشدة، مدة، ثم قالت له: قد رأيت لك رأياً.

قال: قولي.

قالت: تبيعني، فإنه يحصل لك من ثمن ما إن أردت أن تتجر به، أو تنفقه في ضيعة، عشت عيشاً صالحاً، وتخلصت من هذه الشدة، وأحصل أنا في نعمة، فإن مثلي لا يشتريها إلا ذو نعمة، فإن رأيت هذا، فافعل. فحملها إلى السوق، فكان أول من اعترضها، فتى هاشمي من أهل البصرة، ظريف، قد ورد بغداد للعب والتمتع، فاستامها، فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عيناً.

قال الرجل: فحين لفظت بالبيع، وأعطيت المال، ندمت، واندفعت في بكاء عظيم، وحصلت الجارية في أقبح من صورتي، وجهدت في الإقالة، فلم يكن إلى ذلك سبيل.

فأخذت الدنانير في الكيس، لا أدري أين أذهب، لأن بيتي موحش منها، ووقع علي من اللطم والبكاء ما هوسني.

فدخلت مسجداً، وأخذت أبكي، وأفكر فيما أعمل، فغلبتني عيني، فتركت الكيس تحت رأسي، فانتهت فرعاً، فإذا شاب قد أخذ الكيس، وهو يعدو، فقممت لأعدو وراءه، فإذا رجلي مشدودة بخيط قب، في وتد مضروب في أرض المسجد، فما تخلصت من ذلك، حتى غاب الرجل عن عيني.

فبكيت، ولطمت، ونالني أمر أشد من الأمر الأول، وقلت: فارقت من أحب، لأستغني بثمنه عن الصدقة، فقد صرت الآن فقيراً ومفارقاً.

فجئت إلى دجلة، فلففت وجهي بإزار كان على رأسي، ولم أكن أحسن العوم، فرميت نفسي في الماء لأغرق.

فظن الحاضرون أن ذلك لغلط وقع علي، فطرح قوم نفوسهم خلفي، فأخرجوني، فسألوني عن أمري، فأخبرتهم، فمن بين راحم ومستهجل.

إلى أن خلا بي شيخ منهم، فأخذ يعظني، ويقول: ما هذا؟ ذهب مالك، فكان ما ذا حتى تتلف نفسك؟ أو

ما علمت أن فاعل هذا في نار جهنم؟ ولست أول من افتقر بعد غنى، فلا تفعل، وثق بالله تعالى، أين

منزلك؟ قم معي إليه.

فما فارقتني حتى حملني إلى منزلي، وأدخلني إليه، وما زال يؤنسني، ويعظني، إلى أن رأى مني السكون، فشكرته، وانصرف.

فكدت أقتل نفسي، لشدة وحشتي للجارية، وأظلم منزلي في وجهي، وذكرت الدنيا والآخرة، فخرجت من بيتي هاربا إلى بعض أصدقائي القدماء، فأخبرته خبري، فبكى رقة لي، وأعطاني خمسين درهما. وقال: اقبل رأيي، أخرج الساعة من بغداد، واجعل هذه نفقة، إلى حيث تجد قلبك مساعدك على قصده، وأنت من أولاد الكتاب، وخطك جيد، وأدبك صالح، فأقصد بعض العمال، واطرح نفسك عليه، فأقل ما في الأمر، أن يصرفك في شغل، أو يجعلك محررا بين يديه، وتعيش أنت معه، ولعل الله أن يصنع لك.

فعملت على هذا، وجئت إلى الكتبيين، وقد قوي في نفسي أن أقصد واسطا، وكان لي بها أقارب، فأجعلهم ذريعة إلى التصرف مع عاملها.

فحين جئت إلى الكتبيين، إذا بزال مقدم، وإذا خزانة كبيرة، وقماش فاخر كثير، ينقل إلى الخزانة والزلال، فسألت عن ملاح يحملني إلى واسط، فقال لي أحد ملاحي الزلال: نحن نحملك إلى واسط بدرهمين، ولكن هذا الزلال لرجل هاشمي من أهل البصرة، ولا يمكننا حملك معه على هذه الصورة، ولكن تلبس من ثياب الملاحين، وتجلس معنا، كأنك واحد منا.

فحين رأيت الزلال، وسمعت أنه لرجل هاشمي من أهل البصرة، طمعت أن يكون مشتري جاريقي، فأتفرج بسماعها إلى واسط، فدفعت الدرهمين إلى الملاح، وعدت فاشتريت جبة من جباب الملاحين، وبعث الثياب التي علي، وأصفت ثمنها إلى ما معي من النفقة، واشتريت خبزا وأدما، وجلست في الزلال.

فما كان إلا ساعة، حتى رأيت جاريقي بعينها، ومعها جاريقان تخدمانها، فسهل علي ما كان بي، وما أنا فيه، وقلت: أراها، وأسمع غناءها، من هاهنا إلى البصرة، واعتقدت أن أجعل قصدي البصرة، وطمعت في أن أداخل مولاها، وأصير أحد ندمائه، وقلت: لا تخليني هي من المواد، فأني واثق بها.

فلم يكن بأسرع من أن جاء الفتي الذي اشتراها، راكبا، ومعه عدة ركبان، فنزلوا في الزلال، وانحدرنا. فلما صرنا بكلواذي، أخرج الطعام، فأكل هو، وأكل الباقيون على سطح الزلال، وأطعموا الملاحين. ثم أقبل على الجارية، فقال: إلى كم هذه المدافعة عن الغناء، ولزوم الحزن والبكاء؟ ما أنت أول من فارق مولى كان له، فعلمت ما عندها من أمري.

ثم ضربت لها ستارة في جانب الزلال، واستدعي الذين في سطحه، وجلس معهم خارج الستارة، فسألت عنهم، فإذا هم إخوته وبنو عمه، فأخرجوا الصواني ففرقها عليهم، وفيها النبيذ، وما زالوا يرفقون بالجارية، إلى أن استدعت العود فأصلحته، واندفعت تغني من الثقيل الأول، بإطلاق الوتر الذي في مجرى الوسطى:

بان الخليط بمن عرفت فأدجلوا ... عمدا لقتلك ثم لم يتحرجوا

وغدت كأن على ترائب نحرها ... جمر الغضا في ساعة يتأجج

ثم غلبها البكاء، فقطعت الغناء، وتنغص على القوم سرورهم، ووقعت أنا مغشيا علي، فظن الملاحون أنني قد صرعت، فأذن بعضهم في أذني، فأفقت بعد ساعة، وما زالوا يدارونها، ويرفقون بها، ويسألونها الغناء، إلى أن

أصلحت العود، واندفعت تعني في الثقليل الثاني:
فوقفت أسأل بالذين تحملوا ... وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم أسائل عنهم ... والدار خالية المنازل بلقع
ثم شهقت، فكادت تتلف، وارتفع لها بكاء عظيم، وصعقت أنا، فبهرم بي الملاحون وقالوا: كيف حملنا هذا
الجنون ؟ وقال بعضهم: إذا بلغتم بعض القرى فأخرجوه وأريخونا منه.
فجاءني أمر أعظم من كل ما أصابني، وجاءني في نفسي التصبر، والحيلة في أن أعلم الجارية بمكاني بالزلزال،
لتمنع من إخراجي، فأفقت.
وبلغنا إلى قرب المدائن، فقال صاحب الزلال: اصعدوا بنا إلى الشط، فطرحوا إلى الشط، وصعدت
الجماعة، وكان المساء قريبا، وصعد أكثر الملاحين ينغوطون، وخلا الحديدي، وكان الجوّاري فيمن صعد إلى
مستراح ضرب لمن.
فمشيت سارقا نفسي، حتى صرت خلف الستارة، فغيرت طريقة العود عما كانت عليه إلى طريقة أخرى،
ورجعت إلى موضعي من الزلال.
وفرغ القوم من حاجتهم في الشط، ورجعوا والقمر منبسط، فقالوا لها: هو ذا ترين وقتنا، فتكلفني الغناء،
ولا تنغصي علينا، فأخذت العود، فجسته، وشهقت، وقالت: قد والله، أصلح هذا العود مولاي، على
طريقة من الضرب كان بها معجبا، وكان يضربها معي، والله، إنه معنا في الزلال.
فقال لها مولايها: والله، يا هذه، لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته، فلعله أن يخف بعض ما بك، فننتفع
بغنائك، ولكن هذا بعيد.
فقالت: لا أدري ما تقولون، هو والله معنا.
فقال الرجل للملاحين: ويلكم هل حملتم معنا إنسانا ؟ فقالوا: لا.
فأشفقت أن ينقطع السؤال، فصحت: نعم، هو ذا أنا.
فقالت: كلام مولاي، والله.
وجاء بي الغلمان إلى الرجل، فلما رأي، قال: ويحك، ما هذا الذي أصابك، وصيرك في مثل هذا الحال ؟
فصدقته عن أمري، وبكيت، وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة، وبكى هو وإخوته بكاء شديداً، رقة لنا.
ثم قال: يا هذا، والله ما وطئت هذه الجارية، ولا سمعت غناءها إلا اليوم، وأنا رجل موسع علي، والله
الحمد، وردت بغداد لسماع الغناء، وطلب أرزاق من الخليفة، وقد بلغت من الأمرين، ما أردت، ولما
عملت على الرجوع إلى وطني، أحيت أن أستبيع من غناء بغداد شيئاً، فاشتريت هذه الجارية، لأضمها إلى
عدة مغنيات عندي بالبصرة، وإذ كنتما على هذه الحال، فأنا - والله - أعنتم المكرمة والثواب فيكما،
وأشهد الله، أي إذا صرت إلى البصرة، أعنتكما، وزوجتك منها، وأجريت عليكما ما يكفيكما ويسعكما،
على شريطة، إن أجبتني إليها.
قلت: ما هي ؟ قال: أن تحضرنا كلما أردنا الغناء، خلف ستارتنا، وتنصرف بانصرافك إلى دار أفردنا

لكما، وقماش أعطيكما إياه.

فقلت: يا سيدي، وكيف أبخل بهذا على من هو المعطي لي، وعلى من رد علي حياتي؟ وأخذت يده أقبليها، فمنعني، ثم أدخل رأسه إلى الجارية، فقال: يرضيك هذا؟ فأخذت تدعو له وتشكره.

فاستدعى غلاما، فقال: خذ بيد هذا الرجل، وغير ثيابه، وبخره، وقدم إليه ما يأكله، وجئنا به. فأخذني الغلام، ففعل بي ذلك، وعدت، وتركت بين يدي صينية، واندفعت الجارية تغني بنشاط وسرور وانبساط، واستدعت النبيذ، فشربت وشربنا، وأخذت أقترح عليها الأصوات الجياد، فتضاعف سرور الرجل.

وما زلنا على ذلك، أياما، إلى أن بلغنا نهر معقل، ونحن سكارى، فشد الزلال في الشط، وأخذتني بوله، فصعدت إلى ضفة نهر معقل لأبول، فحملني السكر على النوم فيها، ودفع الزلال، وأنا لا أعلم، وأصبحوا فلم يجدوني، ودخلوا البصرة، ولم أنتبه إلا بحر الشمس، فجئت إلى الشط، فلم أر لهم عينا ولا أثرا. وقد كنت أجللت الرجل أن أسأله بمن يعرف، وأين داره في البصرة، واحتشمت أن أسأل غلمانه عن ذلك، فبقيت على شاطئ نهر معقل، كأول يوم بدأت بي الخنة، وكان ما كنت فيه منام. واجتازت بي سميرية، فركبت بها، ودخلت البصرة، وما كنت دخلتها قط، فنزلت خاناً، وبقيت متحيراً، لا أدري ما أعمل، ولم يتوجه لي معاش.

إلى أن اجتاز بي يوماً إنسان عرفته من بغداد، فتبعته لأكشف له حالي، وأستميحه، فأنف من ذلك، ودخل الرجل إلى منزله، فعرفته، وجئت إلى بقال كان هناك، على باب الخان الذي نزلته، فأعطيته دانقاً، وأخذت منه ورقة دواة، وجلست أكتب رقعة إلى الرجل.

فاستحسن البقال خطي، ورأى رثاءة حالي، فسألني عن أمري، فأخبرته أنني رجل ممتحن فقير، وقد تعذر علي التصرف، وما بقي معي شيء، ولم اشرح له أكثر من ذلك. فقال: أتعلم معي في كل يوم على نصف درهم، وطعامك وكسوتك، وتضبط حساب دكاني؟ قلت: نعم. فقال: اصعد.

فمزقت الرقعة وصعدت فجلست معه، فدبرت أمره، وظبطت دخله وخرجه، وكان غلمانه يسرقونه، فأدبت إليه الأمانة.

فلما كان بعد شهر، رأى الرجل دخله زائداً، وخرجه ناقصاً، فحمدني، وكنت معه إلى أن حال الحول، وقد بان له الصلاح في أمره، فدعاني إلى أن أتزوج بابنته، ويشاركني في الدكان، ففعلت.

ودخلت بزوجتي، ولزمت الدكان، والحال تقوى، إلا أنني في خلال ذلك، منكسر النفس، ميت النشاط، ظاهر الحزن، وكان البقال ربما شرب، فيجذبني إلى مساعدته، فأمتنع، وأظهر أن سبب حزني على موتي لي. واستمرت بي الحال على هذا سنين كثيرة، فلما كان ذات يوم، رأيت قوماً يجتازون بجونٍ ونبيذ، اجتيازاً متصلاً، فسألت عن ذلك، فقبل لي: اليوم يوم الشعانين، ويخرج أهل الظرف واللعب، بالنبيذ والطعام والقيان إلى الأبله، فيرون النصارى، ويشربون، وينفرون.

فدعيتني نفسي إلى التفرج، وقلت: لعلني أن أقف لأصحابي على خبر، فإن هذا من مظاهم.

فقلت لحمي: أريد أن أنظر هذا المنظر.

فقال: شأنك، وأصلح لي طعاماً وشارباً، وسلم إلي غلاماً وسفينة، فخرجت، وأكلت في السفينة، وبدأت أشرب حتى وصلت إلى الأبله، وأبصرت الناس، وابتدأوا ينصرفون، وانصرفت.

فإذا أنا بالزلزال بعينه، في أوساط الناس، سائراً في نهر الأبله، فتأملته، فإذا بأصحابي على سطحه، ومعهم عدة مغنيات.

فحين رأيته لم أتمالك نفسي فرحاً، فصرت إليهم، فحين رأوني عرفوني، وكبروا، وأخذوني إليهم، وقالوا: ويحك أنت حي؟ وعانقوني، وفرحوا بي، وسألوني عن قصتي، فأخبرتهما بما على أتم شرح.

فقالوا: إنا لما فقدناك في الحال، وقع لنا أنك سكرت، ووقعت في الماء فغرقت، ولم نشك في هذا، فمزقت الجارية ثيابها، وكسرت عودها، وجزت شعرها، وبكت، ولطمت، فما منعناها من شيء من هذا.

ووردنا البصرة، فقلنا لها: ما تحبين أن نعمل لك؟ فقد كنا وعدنا مولاك بوعده تمنعنا المراءوة من استخدامك معه في حال فقده، أو سماع غنائك؟.

فقلت: تمكثوني من القوت اليسير، ولبس الثياب السود، وأن أعمل قبرا في بيت من الدار، وأجلس عنده، وأتوب عن الغناء، فمكنها ذلك، فهي جالسة عنده إلى الآن.

وأخذوني معهم، فحين دخلت الدار، ورأيتها بتلك الصورة، ورأيتني شهقت شقة عظيمة، ما شككت في تلفها، واعتنقنا، فما افترقنا، ساعة طويلة.

ثم قال لي مولاه: قد وهبتها لك.

فقلت: بل تعتقها، وتزوجني منها، كما وعدتني، ففعل ذلك، ودفع إلينا ثياباً كثيرة، وفرشاً، وقماشاً، وحمل إلي خمسمائة دينار.

وقال: هذا مقدار ما أردت أن أجريه عليك في كل شهر، منذ أول يوم دخولي البصرة، وقد اجتمع هذا لهذه المدة، فخذ، والجائزة لك مستأنفة في كل شهر، وشيء آخر لكسوتك، وكسوة الجارية، والشرط في المندمة، وسماع الجارية من وراء ستارة، باقٍ عليك، وقد وهبت لك الدار الفلانية.

قال: فجئت إليها، فإذا بذلك الفرش الذي أعطانيه، فيها، والجارية.

فجئت إلى البقال، فحدثته بحديثي، وطلعت ابنته، ووفيتها صداقها، وأقمت على تلك الحال مع الهاشمي سنين، فصلحت حالي، وصرت رب ضيعة، ونعمة، وعادت حالي، وعدت إلى قريب مما كنت عليه.

فأنا أعيش كذلك إلى الآن مع جاريتي.

؟

أعمر وعلام تحبيني

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي، وأبو القاسم علي ابن الحسن التوخمي، قالوا: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن عبد الله ابن

أبي مالك بن الهيثم الخزاعي، عن ابن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: حدثني إبراهيم بن ميمون، قال: حججت في أيام الرشيد، فبينما أنا بمكة، أجول في سككها، إذا أنا بسوداء قائمة ساهية، فأنكرت حالها، فوقف أنظر إليها، فمكثت كذلك ساعة، ثم قالت:

أعمرو علام تجنيتني ... أخذت فؤادي فعذبني

فلو كنت بيا عمرو خبرتني ... أخذت حذارى فما نلتني

قال: فدنوت منها، فقلت: يا هذه، من عمرو؟ فارتاعت من قولي، وقالت: زوجي.

فقلت: وما شأنه؟ قالت: أخبرني أنه يهواني، وما زال يدس إلي، ويعلق بي في كل طريق، ويشكو شدة وجده، حتى تزوجني، فلبث معي قليلاً، وكان له عندي من الحب، مثل الذي كان لي عنده، ثم مضى إلى جدة، وتركني.

قلت: فصفه لي.

فقلت: أحسن من تراه، وهو أسمر، حلو، ظريف.

قال: فقلت: فخبّرني، أتخبرني أن أجمع بينكما؟ قالت: فكيف لي بذلك، وظننتني أهزل بها.

قال: فركبت راحلتي، وصرت إلى جدة، فوقفت في المرفأ، أتبصر من يعمل في السفن، واصوت: يا عمرو، يا عمرو، فإذا أنا به خارج من سفينة، وعلى عنقه صن، فعرفته بالصفة.

فقلت: أعمرو علام تجنيتني؟ فقال: هيه، هيه، رأيته، وسمعت منه؟ ثم أطرق هنيهة، ثم اندفع يغنيه، فأخذته منه، وقلت له: ألا ترجع؟ فقال: بأبي أنت، ومن لي بذلك؟ ذلك والله أحب الأشياء إلي، ولكن منع منه طلب المعاش.

قلت: كم يكفيك كل سنة؟ قال: ثلاثمائة درهم.

فأعطيته ثلاثة آلاف درهم، وقلت: هذه لعشر سنين، ورددته إليها، وقلت له: إذا فئت، أو قاربت الفناء، قدمت علي فبررتك، وإلا وجهت إليك.

وكان ذلك حب إلي من حبي.

قال محمد بن عبد الله، قال إسحاق: والناس ينسبون هذا الصوت إلى إبراهيم، وكان إبراهيم أخذه من هذا الفتى.

دوار الحب غالي

أخبرنا الشوخي علي بن المحسن، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه، قال: أخبرنا أبو بكر الحولي، قال: أنشدني

حماد بن إسحاق، للوليد ابن يزيد:

ولقد قال طيبي ... وطبيبي غير آل

أشك ما شئت سوى ال ... حب فإني لا أبالي

سقم الحب رخيص ... ودواء الحب غالي

وكل غريب للغريب نسيب

وأخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التوحي أيضاً بقراءتي عليه، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال:

قال أبو عبد الله، محمد بن زياد الأعرابي: إن قيس بن الملوح، وهو المجنون، لما نسب بليلى، وشهر بحبها، اجتمع إليه أهلها، فمنعوه من محادثتها، وزيارتها، وتهددوه بالقتل. وكان يأتي امرأة من بني هلال، ناكحاً في بني الحريش، وكان زوجها قد مات، وخلف عليها صببية صغاراً، فكان المجنون إذا أراد زيارة ليلي، جاء إلى هذه المرأة فأقام عندها، وبعث إلى ليلي، فعرفت له خبرها، وعرفت خبره.

فعلم أهل ليلي بذلك، فنهوها أن يدخل قيس إليها. فجاء قيس كمادته، فأخبرته المرأة الخبر، وقالت: يا قيس، أنا امرأة غريبة من القوم، ومعى صبية، وقد تهووني أن أؤويك، وأنا خائفة أن ألقى منهم مكروهاً، فأحب أن لا تحيى إلي ها هنا .

أجارتنا إنا غريبان ها هنا ... وكل غريب للغريب نسيب
فلا ترجريني عنك خيفة جاهل ... إذا قال شراً أو أخيف لبيب
قال: وترك الجلوس إلى الهلالية، وكان يترب غفلات الحى بالليل.
فلما كثر ذلك منه، خرج أبو ليلي، ومعه نفر من قومه، إلى مروان ابن الحكم، فشكوا إليه ما نالهم من قيس، فما قد شهرهم به، وسألوه الكتابة إلى عامله بمنعه من كلام ليلي، وبخطبه إليهم.
فكتب لهم مروان كتاباً إلى عامله، يأمره فيه بأن يحضر قيساً ويتقد إليه في ترك زيارة ليلي، فإن أصابه أهلها عندهم، فقد أهدر مده.

فلما ورد الكتاب إلى عامله، بعث إلى قيس وأبيه، وأهل بيته، فجمعهم وقرأ عليهم كتاب مروان، وقال لقيس: اتق الله في نفسك، لا يذهب دمك هدراً.
فانصرف قيس وهو يقول:

ألا حجت ليلي وآلى أميرها ... علي يميناً جاهداً لا أزورها
وأوعدي فيها رجال أبوهم ... أبي وأبوها خشنت لي صدورها
على غير شيء غير أني أحبها ... وأن فؤادي عند ليلي أسيرها
فلما أيس منها، وعلمكم أن لا سبيل إليها، صار شبيهاً بالتائه العقل، وأحب الخلوة، وحديث النفس، وتزايد الأمر به، حتى ذهب عقله، ولعب بالحصا والتراب، ولم يكن يعرف شيئاً إلا ذكرها، وقول الشعر فيها، وبلغها هي ما صار إليه قيس، فجزعت أيضاً لفراقه، وضنيت ضنىً شديداً.
وإن أهل ليلي خرجوا حجاجاً، وهي معهم، حتى إذا كانوا بالطواف، رآها رجل من ثقيف، وكان غنياً كثير المال، فأعجب بها، على تغيرها، وسقمها، فسأل عنها، فأخبر من هي، فأتى أباه، فخطبها إليه، وأرغبه في المهر، فزوجه إياها.

وبلغ الخبر قيساً، فأنشأ يقول:
ألا تلك ليلي العامرية أصبحت ... تقطع إلا من ثقيف وصلها
هم حبسوها محبس البدن وابتغى ... بما المال أقوام تساحف مالها
إذا التفتت والعيس صعر من البرى ... بنحلة خلى عبرة العين حالها

الجزء السادس

من شعر ابن كناسة

حدثنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عمران بن موسى، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان
الأخفش، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن محمد الإبراري المعروف بمنقار، قال: حدثني إسحاق الموصلي
قال: أنشدنا ابن كناسة، ويحيى بن معين في مجلسه:
في انقباض وحشمة فإذا ... جالست أهل الحياء والكرم
أرسلت نفسي على سجيته ... وقلت ما قلت غير محتشم
قال: فقال لي إسحاق: فأذ كرت ابن كناسة هذين البيتين بعد، فقال: لكني أنشدك اليوم:
ضعفت عن الإخوان حتى جفوتهم ... على غير زهدٍ في الإخاء ولا الود
ولكن أيامي تخرم قوتي ... فما أبلغ الحاجات إلا على جهد

القاضي محمد بن عبد الله الأنصاري

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب، عن
ابن قتيبة: أن الرشيد قلد محمد بن عبد الله الأنصاري القضاء بالجانب الشرقي - يعني من بغداد - بعد
العوفي، في آخر خلافته.
فلما ولي محمد - وهو المين - عزله، وولى مكانه عون بن عبد الله، وولى محمد بن عبد الله المظالم بعد
إسماعيل بن عليّة.

القاضي محمد بن عبد الله المؤذن

أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما توفي حبان بن بشر، استقضى محمد
بن عبد الله المؤذن من أهل السواد، وكان صالحاً من أصحاب أبي حنيفة، في الفقه، ولا أعلمه حدث بشيء.

وقال طلحة: حدثني عبد الباقي بن قانع، قال: حدثني إسحاق بن ديمهر التوزي قال: حدثني من حضر ابن
المؤذن القاضي - وهو يموت - فقال: انقلوني من هذا الموضع، فنقل، فجاء عصفور بحبة من حنطة، فرمى
بها على صدره، فما زال يقرضها، حتى فرغ منها، ثم مات.

القاضي أبو الحسن الخرقى

كان يحكم بنفسه أخبرنا علي بن المحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استتر القاضي أحمد بن عبد الله بن إسحاق، وهو المعروف بالخرقي، بعد ثلاثة أشهر من تقلده القضاء، لما خرج المتقي إلى الموصل، فاستخلف على مدينة المنصور أبا الفضل محمد بن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب، ثم عاد المتقي، فظهر أبو الحسن، أحمد بن عبد الله ابن إسحاق، وكان يحكم بنفسه.

من شعر ابن سكرة الهاشمي

أنشدني علي بن المسحن، قال: أنشدني أبو الحسن بن سكرة الهاشمي، لنفسه:
في وجه إنسانة كلفت بها ... أربعة ما اجتمعن في أحد
الوجه بدر والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر من برد

من شعر ابن سكرة الهاشمي

أنشدني علي بن المسحن، قال: أنشدني ابن سكرة لنفسه:
وقائل قال لي: لا بد من فرجفقلت واغظت لم لا بد من فرج
فقال لي: بعد حين، قلت: واعجباً ... من يضمن العمر لي يا بارد الحجج

أبو إسحاق الطبري المقرئ

ذكر لي أبو القاسم التوخي: أن أبا إسحاق الطبري المقرئ، إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله، وكان أحد الشهود ببغداد، شهد أيضاً بالبصرة، والأبلة، وواسط، والأهواز، وعسكر مكرم، وتستر، والكوفة، ومكة، والمدينة.
قال: وأم بالناس في المسجد الحرام، أيام الموسم، وما تقدم فيه من ليس يقرشي غيره.
وكان يكتنم مولده، ويقال: ولد سنة أربع وعشرين وثلثمائة.
وهو مالكي المذهب.

البحري يمدح الكجي وابن جهور

أخبرني علي بن أبي علي، قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني، أن محمد بن يحيى أخبره، قال: كان أبو مسلم الكجي، وأسد بن جهور، يتقلدان أعمالاً بالشام فقال البحري يمدحهما:
هل تبدين لي الأيام عارفةً ... لدى أبي مسلم الكجي أو لأسد
كلاهما آخذ للمجد أهبتة ... وباعث بعد وعد اليوم نجح غد

لله دركما من سيدين ومن ... أحويتما من معاليه إلى أمد
وجدت عندكما الجدوى ميسرة ... أو ان لا أحد يجدي على أحد
وقد تطلبت جهدي ثالثاً لكما ... عند الليالي فلم تفعل ولم تكد
لن يبعد الله مني حاجة أمماً ... وأنتما غاييتي فيها ومعتمدي
إن تقرضاً فقضاء لا يريث وإن ... وهبتما فقبول الرشد والصفد
وفي القوافي إذا سومتها بدع ... يثقلن في الوزن أو يكثرن في العدد
فيها جزاء لما يأتي الرسول به ... من عاجلٍ سلس أو آجلٍ نكد

إسحاق الموصلي يتحدث عن أصله

حدثني علي بن الحسن، قال: وجدت في كتاب جدي علي بن محمد ابن الفهم التوخي: حدثنا الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا أبو خالد يزيد محمد المهلبي، قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلي، يقول: نحن قوم من أهل أرجان، سقط أبي إلى الموصل في طلب الرزق، فما أقام بها إلا أربعة أشهر، ثم قدم بغداد، فقال الناس: الموصلي، لقدومه منها، ولم يكن من أهلها.
قال: وأبي إبراهيم بن ماهان، قال: وهو عندنا ابن ميمون.
قال: وكانت في أيدينا ضياع لبعض الخنظليين، فتوليناها.

القاضي إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: اخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن أحمد التوخي، قال: حدثنا ابن حيان، وهو وكيع القاضي، قال: أخبرني إبراهيم بن أبي عثمان، عن العباس بن ميمون، قال: سمعت محمد بن عبد الله الأنصاري، يقول: ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب، إلى اليوم، اعلم من إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

فقال له أبو بكر الجبي: يا أبا عبد الله، ولا الحسن بن أبي الحسن؟ قال: لا والله، ولا الحسن.
قال ابن حيان: وأخبرني أبو العيلاء، قال: قال رجل لإسماعيل: قد ذهب نصفك.

قال: لو بقيت مني شعرة، ل بقي منها ما يقضي عليك.
وقال ابن حيان عن أبي العيلاء، قال: لما ولي إسماعيل البصرة، دس إليه الأنصاري، - يعني محمد بن عبد الله - إنساناً عن مسألة، فقال: أبقي الله القاضي، رجل قال لا مرأته... فقطع عليه إسماعيل، وقال: قل للذي دسك، إن القضاء لا تفني.

القاضي إسماعيل بن إسحاق

كان علماً في الفقه على مذهب مالك أخبرني علي بن الحسن القاضي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد، قال: إسماعيل بن إسحاق، كان منشؤه البصرة، وأخذ الفقه على مذهب مالك، عن أحمد بن المعدل، وتقدم في هذا العلم، حتى صار علماً فيه.

ونشر من مذهب مالك، وفضله، ما لم يكن بالعراق في وقت من الأوقات. وصنف في الاحتجاج لمذهب مالك والشرح له، ما صار لأهل هذا المذهب مثلاً يحتذونه، وطريقاً يسلكونه. وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه ألف في القرآن كتباً تتجاوز كثيراً الكتب المصنفة فيه. فمنها: كتابه في أحكام القرآن، وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد من أصحابه إلى مثله. ومنها كتابه في القراءات، وهو كتاب جليل القدر عظيم الخطر. ومنها كتابه في معاني القرآن.

وهذان الكتابان، يشهد بتفضيله فيهما، واحد الزمان، ومن انتهى إليه العلم بالنحو واللغة في ذلك الأوان، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. ورأيت أبا بكر بن مجاهد، يصف هذين الكتابين، وسمعه مرات لا أحصيها، يقول: سمعت أبا العباس المبرد، يقول: القاضي أعلم مني بالتصريف.

وبلغ من العمر ما صار به واحداً في عصره في علو الأستاذ، لن مولده كان سنة تسع وتسعين ومائة، فحمل الناس عنه من الحديث الحسن، ما لم يحمل عن كبير أحد. وكان الناس يصيرون إليه، فيقتبس منه كل فريق علماً لا يشاركه فيه الآخرون، فمن قوم يحملون الحديث، ومن قوم يحملون علم القرآن، والقراءات، والفقه، وإلى غير ذلك مما يطول شرحه. أما سدادته في القضاء، وحسن مذهبه فيه، وسهولة الأمر عليه فيما كان يلتبس على غيره، فشئ شهرة تغني عن ذكره.

وكان في أكثر أوقاته، وبعد فراغه من الخصوم، متشاعلاً بالعلم، لئنه اعتمد على كتابه، إبي عمر محمد بن يوسف، فكان يحمل عنه أكثر أمره من لقاء السلطان، وينظر له في كل أمره، وأقبل هو على الحديث والعلم.

القاضي إسماعيل بن إسحاق

تجمع له بغداد بأسرها ويقلد قضاء القضاء أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لم يزل إسماعيل بن إسحاق قاضياً على عسكر المهدي إلى سنة خمس وخمسين ومائتين، فإن المهدي محمد بن الواثق، قبض على حماد بن إسحاق، أخي إسماعيل بن إسحاق، وضربه بالسياط، وأطاف به على بغل بسر من رأى لشيء بلغه عنه، وصرف إسماعيل بن إسحاق عن الحكم، واستتر.

وقاضي القضاء - كان - بسر من رأى، الحسن بن محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب، ثم صرف عن القضاء في هذه السنة، وولي القضاء عبد الرحمن بن نائل بن نجيح، ثم رد الحسن بن محمد في هذه السنة إلى القضاء.

ثم استقضى المهتدي على الجانب الشرقي، القاسم بن منصور التميمي، نحو سبعة أشهر، وكان قليل النفاذ. ثم قتل المهتدي بالله في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وقيل سموه، وأخرج، فصلى عليه جعفر بن عبد الواحد، بعد يومين من العقد للمعتمد على الله، وعلى قضاء القضاة بسر من رأي الحسن بن محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب.

فأعاد المعتمد إسماعيل بن إسحاق على الجانب الشرقي من بغداد، وذلك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، فلم يزل على القضاء بالجانب الشرقي إلى سنة ثمان وخمسين ومائتين. وغلب على الموفق، ثم سأله أن ينقله إلى الجانب الغربي، وكان على قضاء الجانب الغربي بالشرقية - وهو الكرخ - البرقي، وعلى مدينة المنصور أحمد بن يحيى بن أبي يوسف القاضي، فأجابه إلى ذلك. وكره ذلك قاضي القضاء ابن أبي الشوارب، فاجتهد في ترك البرقي وأحمد ابن يحيى، فما أمكنه، لتمكن إسماعيل من الناصر - يعني الموفق - .

فأجيب إسماعيل إلى ما سأل، ونقل البرقي عن قضاء الشرقية إلى الجانب الشرقي، ولم يزل على القضاء بالجانب الشرقي، وإسماعيل بن إسحاق على الجانب الغربي بأسره، إلى سنة اثنتين وستين ومائتين. ثم جمعت بغداد بأسرها لإسماعيل بن إسحاق، وصرف البرقي، وقلد المدائن، والنهروانات، وقطعة من أعمال السواد.

وكان الحسن بن محمد بن أبي الشوارب قد توفي سنة إحدى وستين ومائتين بمكة بعد الحج، فولي أخوه علي بن محمد مكانه، وبقي ابن أبي الشوارب على قضاء سر من رأي، وكان يدعي بقاضي القضاء، وصار إسماعيل المقدم على سائر القضاء، ولم يقلد أحد قضاء القضاء إلى أن توفي.

الله خير مستعان

أخبرنا علي بن أبي المعدل، قال: حدثنا الحسين بن عمر الضراب، قال: أنشدنا سمعان الصيرفي:

أشد من فاقة الزمان ... مقام حر على هوان

فاسترزق الله واستعنه ... فإنه خير مستعان

وإن نبا منزل بحر ... فمن مكانٍ إلى مكان

إسحاق بن غريب

أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الذهبي، وأحمد بن عبد الله الدوري، قالا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: ومن ولد حميد بن عبد الرحمن، إسحاق بن غريب - واسم غريب، عبد الرحمن - بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف.

كان في صحابة المهدي أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين موسى، وأمير المؤمنين هارون، وهلك في خلافة أمير المؤمنين هارون، وكان ذا منزلة فيهم وقدر، وكان حلواً معروفاً بالسخاء.

وفيه يقول الشاعر:

استوسق الناس وقالوا معاً ... لا جود إلا جود إسحاق

قال: وله ولأخيه يعقوب، يقول الصهبي:

نفي الجوع من بغداد إسحاق ذو الندى ... كما قد نفى جوع الحجاز أخوه

وما يك من خير أتوه فإنما ... فعال غرير قبلهم ورثوه

فأقسم لو ضاف الغريري بغته ... جميع بني حواء ما حملوه

هو البحر بل لو حل بالبحر رفده ... ومن يجتديه ساعة نرفوه

حب ابن غرير غرور

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن وأحمد ابن عبد الله، قالوا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني أبو عزيزه محمد بن موسى الأنصاري، قال: كان إسحاق بن غرير معجباً بعبادة، جارية المهلبية، وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران أم أمير المؤمنين، ذات منزلة منها.

قال: فركب يوماً، عبد الله بن مصعب بن الزبير، وإسحاق بن غرير أمير المؤمنين المهدي وكانا يأتياه في كل عشية، إذا صلى الناس العصر، يقيمان معه إلى أن ينقضي سمره.

فلقيا في طريقهما عبادة، جارية المهلبية، فقال إسحاق بن غرير، لعبد الله بن مصعب، يا أبا بكر، هذه عبادة التي كنت تسمعي أذكرها، وركض دابته حتى استقبلها، فظفر إليها ثم رجع.

فضحك عبد الله بن مصعب مما صنع، ثم مضيا فدخل على أمير المؤمنين المهدي، فحدثه عبد الله بن مصعب حديث إسحاق بن غرير وعبادة، وما كان منه في أمرها تلك العشية.

فقال لإسحاق: أنا اشتريها لك، وقام فدخل على الخيزران.

فقال: أين المهلبية؟ فأمرت بها، فدعيت له.

فقال لها: تبيعني عبادة بخمسين ألف درهم؟ فقالت له: يا سيدي إن كنت تريدها لنفسك، فيها فداك الله.

قال: إنما أريدها لإسحاق بن غرير.

فبكت، وقالت: يدي، ورجلي، ولساني في حوائجي، تنزعها مني لإسحاق بن غرير.

قال: فقالت الخيزران: ما يبكيك؟ لا يقدر والله إسحاق عليها.

وقالت لأمر المؤمنين المهدي: صار ابن غرير يتعشق جوارى الناس؟ فخرج أمير المؤمنين المهدي، فأخبر

إسحاق الخبر، وأمر له بالخمسين ألف درهم، فأخذها.

فقال في ذلك أبو العتاهية:

من صدق الحب لأجابه ... فإن حب ابن غرير غرور

أنساه عبادة ذات الهوى ... واذهل الحب لديه الضمير

خمسون ألفاً كلها وازن ... خشن لها في كل كيس صرير

قال: وقال في ذلك أيضاً أبو العتاهية:

حبك المال لا كحبك عبا ... دة يا فاضح الحبينا
لو كنت أخلصتها الوفاء كما ... قالت لما بعثها بخمسينا

إنك لا تدري ما يقول هذا الغلام

حدثني علي بن المحسن، قال: وجدت في كتاب جدي علي بن محمد بن أبي الفهم الشوخي، حدثنا الحرمي ابن أبي العلاء، قال: حدثنا أبو خالد يزيد بن محمد المهلب، قال: سمعت إسحاق الموصلي يقول: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة، قال لي الأصمعي: كم حملت معك من كتبك؟

قلت: تخففت، فحملت ثمانية أحمال، ستة عشر صندوقاً.

قال: فعجب .

فقلت: كم معك يا أبا سعيد؟ قال: ما معي إلا صندوق واحد.

قلت: ليس إلا ؟.

قال: وتستقل صندوقاً من حق؟ قال أبو خالد: وسمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلي، يقول: رأيت في منامي كأن جريراً ناولني كبة من شعر، فادخلتها في فمي .

فاقل بعض المعبرين: هذا رجل يقول من الشعر ما شاء.

قال: وجاء مروان بن أبي حفصة يوماً إلى أبي، فاستنشدني من شعري، فأنشدته:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ... ورافع ضيمي خازم وابن خازم

عطست بأنفٍ شامخٍ وتناولت ... يداي السماء قاعداً غير قائم

قال: فجعل مروان يستحسن ذلك، ويقول لأبي: إنك لا تدري ما يقول هذا الغلام.

البهلول بن حسان

يبدل ما له لقريب والبعيد أخبرني علي بن أبي علي المعدل المعدل، قال: أنبأنا أحمد بن يوسف الأزرق ابن

يعقوب بن إسحاق بن البهلول، قال: أخبرني عمي إسماعيل، قال: حدثني عمي بهلول، قال: أخبرني أبي،

قال: كنت في ديوان بادوريا، وكنت أمضي مع أبي، البهلول بن حسان، ونحن بمدينة السلام، إلى مسجد

الرصافة، فدخل أبي إلى هشيم بن بشير فيسمع منه، وامضي أنا إلى الديوان.

ثم طلبت الحديث، فقصدت هشيماً، وكتبت منه أحاديث من درج ضاع مني بعد ذلك، وتوفي هشيم

فسمعت من أصحابه.

وقال ابن الأزرق: أخبرني عمي إسماعيل، قال: حدثني عمي البهلول قال: كان أبي سمحاً سخياً، وكان يأخذ

من أرزاقه بمقدار القوت، ويفرق ما يبقى بعد ذلك على ولده وأهله والأباعد.

ويفرق في أيام كل فاكهة، شيئاً كثيراً منها.

وكان له غلام وبغل، يستقي الماء، ويصبه لقراباته، إرفاقاً بهم.

إسحاق بن البهلول

يحدث من حفظة بخمسين ألف حديث أخبرني علي بن أبي علي، قال: أنبأنا أحمد بن يوسف الأزرق، قال: أخبرني عمي إسماعيل بن يعقوب، قال: حدثني عمي البهلول ابن إسحاق، قال: استدعى المتوكل أبي إلى سر من رأى، حتى حدثه، وسمع منه، وقرأ له عليه حديث كثير. ثم أمر فنصب له منبر، وكان يحدث عليه في المسجد الجامع بسر من رأى وفي رحبة زيرك بالقرب من باب الفراغة. وأقطعه إقطاعاً في كل سنة مبلغة اثنا عشر ألفاً، ورسم له صلة خمسة آلاف درهم في السنة، فكان يأخذها. وأقام إلى أن قدم المستعين ببغداد، فخاف أبي الأتراك، أن يكبسوا الأنبار، فأنحدر إلى بغداد عجلاً، ولم يحمل معه شيئاً من كتبه. فطالبه محمد بن عبد الله بن طاهر، أن يحدث، فحدث ببغداد من حفظه بخمسين ألف حديث، لم يخطئ في شيء منها.

القاضي أسد بن عمرو

يصلح قبلة جامع واسط أخبرنا علي بن الحسن القاضي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا عي بن محمد بن عبيد، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: كان أسد بن عمرو على قضاء واسط، فقال: رأيت قبلة واسط رديئة جداً وتبين لي ذلك، فتحرقت فيها. فقال قوم من أهل واسط: هذا رافضي. فقيل لهم: ويلكم هذا من أصحاب أبي حنيفة، كيف يكون رافضياً؟

أشعب الطامع بين سالم بن عبد الله

وعبد الله بن عمرو بن عثمان أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: أخبرنا علي بن محمد بن أحمد ابن لؤلؤ الوراق، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا أبو دواد السنجي، قال: حدثنا الأصمعي، عن أشعب الطامع، قال: دخلت على سالم بن عبد الله، فقال لي: يا أشعب، هل إلينا جفنة هريسة، وأنا صائم، فاقعد، فكل. قال: فحملت على نفسي. فقال: لا تحمل على نفسك، ما يبقى تحمله معك. قال: فلما رجعت إلى منزلي، قالت لي أمراؤي: يا مشؤوم، بعث عبد الله بن عمرو بن عثمان يطلبك، ولو ذهبت إليه لحباك. قلت: فما قلت له؟ قالت: قلت له: إنك مريض. قلت: أحسنت.

فأخذت قارورة دهن، وشيئاً من صفرة، فدخلت الحمام ثم تمرخت به، ثم خرجت فعصبت رأسي بعصاة، وأخذت قصبة، واتكأت عليها، فأتيته وهو في بيت مظلم.

فقال لي: أشعب؟ قلت: نعم، جعلني الله فداك، ما رفعت جبتي من الأرض منذ شهرين.

قال: وسالم في البيت، وأنا لا أعلم.

فقال لي سالم: ويحك يا أشعب.

قال: قُتلت لسالم: نعم جعلني الله فداك، منذ شهرين ما رفعت ظهري من الأرض.

قال: فقال سالم: ويحك يا أشعب.

قال: قتل: نعم، جعلت فداك، مريض منذ شهرين ما خرجت.

قال: فغضب سالم وخرج.

قال: فقال لي عبد الله بن عمرو، ويلك يا أشعب، ما غضب خالي إلا من شيء.

قال: قتل: نعم جعلت فداك، غضب من أبي أكلت اليوم عنده جفنة هريسة.

قال: فضحك عبد الله وجلساؤه، وأعطيني، ووهب لي.

قال: فخرجت، فإذا سالم بالباب، فلما رأيته، قال: ويحك يا أشعب ألم تأكل عندي؟ قلت: بلى جعلت فداك.

فقال سالم: والله لقد شككتني.

سالم بن عبد الله يقسم قمرًا

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن لؤلؤ، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا أبو داود السنجي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: مر أشعب فجعل الصبيان يعثون به حتى آذوه، فقال لهم: ويحكم سالم بن عبد الله يقسم قمرًا.

فصدقه الصبيان، ومروا يعدون إلى دار سالم، فعدا أشعب معهم، وقال: ما يدريني والله، لعله حق.

الحمد الذي بلغه طمع أشعب

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن لؤلؤ، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأعشى، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: أخذ بيدي ابن جريج، وأوقفني على أشعب الطامع، فقال له: حدثه ما بلغ من طمعك؟ قال: بلغ من طمعي أنه ما زفت امرأة بالمدينة، إلا كنت بيتي رجاء أن تهدى إلي.

القاضي أبو الوليد الكندي

يأبى أن ينفذ قضاء يحيى بن أكثم أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما عزل المأمون إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، استقضى على مدينة المنصور أبا الوليد بشر بن الوليد الكندي. وكان بشر عالماً من أعلام المسلمين، وكان عالماً، ديناً، خشناً في باب الحكم، واسع الفقه، وهو صاحب أبي يوسف، ومن المقدمين عنده، وحمل الناس عنه من الفقه والمسائل ما لا يمكن جمعه.

وقال طلحة: حدثني عبد الباقي بن قانع، عن بعض شيوخه: أن يحيى بن أكثم شكى بشر بن الوليد إلى المأمون، وقال: إنه لا نفذ قضائي، وكان يحيى قد غلب على المأمون، حتى كان عنده أكبر من ولده، فأقعه المأمون معه على سريره، ودعا بشر بن الوليد. فقال له: ما ليحيى يشكوك، ويقول إنك لا تنفذ أحكامه؟ قال: يا أمير المؤمنين، سألت عنه بخراسان، فلم يحمده في بلده ولا في جواره. فصاح به المأمون، اخرج، فخرج بشر. فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، قد سمعت، فاصرفه. فقال: ويحك، هذا لم يراقبني فيك، كيف أصرفه؟ ولم يفعل.

التسليم للفقهاء، سلامة في الدين

أخبرني علي بن أبي علي البصري، قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الصباح النيسابوري، قال: حدثنا أحمد بن الصلت، قال سمعت بشر بن الوليد القاضي، يقول: كنا نكون عند ابن عيينة، فكان إذا وردت عليه مسألة مشككة يقول: هاهنا أحد من أصحاب أبي حنيفة؟ فيقال: بشر. فيقول: أجب فيها، فأجيب. فيقول: التسليم للفقهاء، سلامة في الدين.

نسب أبي الهيثم التوخي

سمعت القاضي أبا القاسم علي بن الحسن التوخي يقول: البهلول بن حسان بن سنان بن أوفي بن عوف بن أوفي بن سرح بن أوفي بن خزيمه بن أسد بن مالك - أحد ملوك تنوخ - بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن عمران بن الحاف بن قضاعة - وقضاعة لقب - واسمه عمرو بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، ويقال: هو هود النبي صلى الله عليه وسلم.

القاضي البهلول بن إسحاق الأنباري

حدثني علي بن أبي علي، عن أحمد بن يوسف الأزرق، عن عمه إسماعيل بن يعقوب: أن البهلول بن إسحاق، أنباري، ولد بها سنة أربع ومائتين، ومات بها في شوال من سنة ثمان وتسعين ومائتين. قال: وكان قد تقلد القضاء والخطبة على المنابر بالأنبار وأعمالها مدة طويلة، قبل سنة سبعين ومائتين. وكان حسن البلاغة، مصقفاً في خطبه، كثير الحديث، ثقة فيه، ضابطاً لما يرويه، وحدث بالأنبار.

لماذا سمي بشار بالمرعث

أخبرني علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسين القطعي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، قال: حدثني محمد بن المرزبان، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثنا أبو الصلت العنزي، قال: سمي بشار بن برد المرعث بشعره:

من لظي مرعث ... فائن العين والنظر
قال لي: لست نائلي ... قلت: أو يغلب القدر

لماذا سمي بشار بالمرعث

أخبرني علي بن أبي علي، قال: أخبرنا القطيعي، قال: حدثنا ابن الأنباري قال: حدثنا محمد بن المرزبان، قال: حدثني ابن أبي طاهر، عن محمد بن سلام، قال: إنما سمي بشار المرعث، لأنه كان لقميصه جيبان، يخرج رأسه مرة من هذا، ومرة من هذا، وكان يضم القميص عليه من غير أن يدخله في رأسه. قال: والمرعث، عند العرب، الاسترخاء والاسترسال، والرعة: القرط، وكذلك الرعث والرعاث.

ارحمهم رحمك الله

عن التنوخي، عن أبي دهمان الغلابي، قال: حضرت بشار بن برد، وعقبة بن رؤية، وابن المقفع، فعوداً، يتناشدون، ويتحدثون، ويتذاكرون، حتى أنشد بشار أرجوزته الدالية:

يا طلل الحي بذات الصمد
ومضى فيها.

فاغتاظ عقبة بن رؤية لما سمع فيها من الغريب، وقال: أنا وأبي فتحنا الغريب للناس، وأوشك - والله - أن أغلقه.

فقال له بشار: ارحمهم رحمك الله.

قال: يا أبا معاذ، أتستصغرنى وأنا شاعر بن شاعر بن شاعر؟ قال: فأنت إذن من القوم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

بين جعفر البرمكي

وعبد الملك بن صالح الهاشمي أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عمران بن موسى الماتب، قال: حدثنا علي بن سليمان الخفش، قال: حدثني بعض أصحابنا، قال: خرج عبد الملك بن صالح مشيعاً لجعفر بن يحيى البرمكي، فعرض عليه حاجاته.

فقال له: قصارى كل مشيع الرجوع، وأريد - أعز الله المير - أن يكون لي، كما قال بطحاء العنزي:

وكوفي علي الواشين لداء شعبة فإني علي الواشي ألد شغوب فقال جعفر: بل أكون لك كما قال جميل:
وإذا الواشي وشى يوماً بها ... نفع الواشي بما جاء يضر

القاضي جعفر بن محمد بن عمار

أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الدوري - لفظاً - قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، بالبصرة، قال: أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة النميري، قال: كان أيوزب بن حسن بن موسى بن جعفر بن سليم، عاملاً على الصلاة بالكوفة وأحداثها للمتوكل، وجعفر بن محمد بن عمار على قضائها، فكان ربما أمره بالصلاة بهم إذا اعتل، وكان كثير العلل، من نقرس كان به، فكان جعفر يصلي بهم، ويدعو لأيوب على المنبر، بالتأخير له، فقال محمد بن نوفل التميمي:
فما عجب أن تطلع الشمس بكرة ... من الغرب إذ تعلق على ظهر منبر
ولولا أناة الله جل ثناؤه ... لصبحت الدنيا بخري مدمر
إذا جعفر رام الفخار فقل له ... عليك ابن ذي موسى بموسك فافخر
فقد كان عمار إذا ما نسبته ... إلى جلد الحجام لم يتكبر
ثم عزل جعفر بن محمد عن قضاء الكوفة، وحمل إلى سر من رأى، فولي قضاء القضاة، إلى أن مات بسر من رأى.

وقف بعرفة ستاً وخمسين وقفه على المذهب
أخبرنا علي بن الحسن القاضي - غير مرة - ، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري، قال: قال لي جعفر الخلدي: وقتت بعرفة ستاً وخمسين وقفه، منها إحدى وعشرون على المذهب. فقلت بعرفة ستاً وخمسين وقفه، منها إحدى وعشرون على المذهب.
فقلت لأبي إسحاق: أي شيء أراد بقوله على المذهب؟ فقال: يصعد إلى قطرة الياسرية، فيفيض كميته، حتى يعلم أن ليس معه زاد ولا ماء، ويلبي ويسير.

أبو محمد جعفر بن محمد بن أحمد التوخي

ذكر لي أبو القاسم التوخي: أن أبا محمد التوخي، جعفر بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول ابن حسان، أصله من الأنبار، وأنه ولد ببغداد في ذي القعدة في سنة ثلاث وثلثمائة، وكان أحد القراء للقرآن بحرف عاصم، وحزرة، والكسائي.
وكتب هو وأخوه علي، الحديث في موضع واحد، وأصل كل واحد منهما أصل الآخر، وشيوخ كل واحد منهما شيوخ الآخر.
وحدث عن عبد الله بن محمد البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، وأبي الليث الفرائضي، وأحمد بن القاسم أخي أبي الليث، وأحمد بن عبيد الله ابن عمار، وجده أحمد بن إسحاق البهلول، وأبي عمر محمد بن يوسف

القاضي، ومحمد بن هارون بن الجدر، وعبد الوهاب بن أبي حية، وأحمد بن سليمان الطوسي، ويحيى بن محمد بن صاعد، وغيرهم.

وعرض عليه القضاء والشهادة، فأباهما تورعاً، وتقلداً، وصلاًحاً.
قال لي علي بن الحسن: مات جعفر بن أبي طالب بن الیهلول بغداد، ليلة الأربعاء لثمان وعشرين ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وثلثمائة، ودفن من الغد إلى جانب داره، بسكة أبي العباس الطوسي.

مالي وللعید

أنبأنا أبو القاسم علي بن الحسن التوخي قال: أنشدني أبو عبد الله بن حجاج لنفسه:
قالوا غدا العيد فاستبشر به فرحاً ... فقلت: ما لي وما للعيد والفرح
قد كان ذا والنوى لم تضح نازلة ... بعقوتي وغراب البن لم يصح
أيام لم يخرم قربي البعاد ولم ... يغد الشتات على شملي ولم يرح
وطائر طار في خضراء مورقة ... على شفا جدول بالروض متشح
بكى وناح ولولا أنه سبب ... لشجو قلبي المعنى فيك لم يبح
فما ذكرتک والأقداح دائرة ... إلا مزجت بدمعي باكياً قدحي
ولا سمعت بصوت فيه ذكر نوى ... إلا عصيت عليه كل مقترح

أبو العیناء يرثي الحسن بن سهل

أخبرنا القاضي أبو القاسم التوخي، قا: حدثنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكي، قال حدثنا جعفر بن أبي العیناء، قال: لما مات الحسن بن سهل، قال أبي: والله لئن أنعب المادحين، لقد أطل بكاء الباكين، ولقد أصيبت به الأيام، وخرست بموته الأقلام، ولقد كان بقية وفي الناس بقية، فكيف اليوم، وقد بادت البرية.

القاضي أبو محمد الحسن ابن أبي الشوارب

أخبرنا علي بن المسحن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: بعد الثلاثة أيام التي تقلد فيها ابن الأشنان، مدينة المنصور، استقضى المقتدر على مدينة المنصور أبا محمد الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن عيد الملك بن أبي الشوارب، في يوم الاثنين لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلثمائة. وهذا رجل، حسن السيرة، جميل الطريقة، قريب الشبه من أبيه وجده، على طريقتهم في باب الحكم والساد.

ولم يزل والياً على المدينة إلى يوم النصف من شهر رمضان سنة عشرين وثلثمائة، ثم صرفه المقتدر.

المنصور ينصح ولده المهدي

بالإقبال على الفقه والغازي أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: كان الحسن بن عمارة على الحكم - يعني ببغداد - ثم بعث المنصور إلى عبيد الله بن محمد بن صفوان إلى مكة، من يقدم به عليه.

فلما قدم ولاه القضاء، وضم الحسن بن عمارة إلى المهدي. وكان أبو جعفر، يبعث بأسلم إلى المهدي ليعرف حاله، وكيف هو في مجلسه، وربما وجه إليه في السر. فرآه أسلم مقبلاً على مقاتل بن سليمان فأخبر المنصور بذلك. فقال له المنصور: يا بني، بلغني إقبالك على مقاتل، فسرني ذلك، وإنك إنما تعمل غداً بما تسمع اليوم، فلا تقبل على مقاتل، وأقبل على الحسن ابن عمارة للفقه، وعلى محمد بن إسحاق للمغازي، وما جرى فيها.

الحسن بن عمارة

يكرم أحد طلاب الحديث أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن العباس الزبيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني أبي، قال: كان بالكوفة رجل غريب، يكتب الحديث، وكان يختلف إلى الحسن بن عمارة، يكتب عنه. فجاءه، فودعه، ليخرج إلى بلاده، وقال له: إن في نفقتي قلة. فكتب له الحسن رقعة، وقال: اذهب بها إلى الفرات، إلى وكيل لنا هناك، يبيع القار، فادفعها إليه. فظن الرجل، أنه قد كتب له بدريهمات، فإذا هو قد كتب له بخمسمائة درهم.

عبيد الله بن محمد بن صفوان

يتقلد للمهدي قضاء المدينة حدثنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: عبيد الله بن محمد صفوان الجمحي، أقدمه المنصور من مكة، فقلده القضاء بمدينة السلام، وكان هالماً أديباً. وما زال على الحكم حتى مات المنصور، فقلده المهدي قضاء مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، والحرب، والصلاة، وعزله عن قضاء بغداد. قلت: كان المنصور قد جعل الحسن بن عمارة على المظالم ببغداد، ثم استقصاه، فلم يلبث إلا أياماً، حتى صرفه، وولى مكانه القضاء ابن صفوان

القاضي أبو حسان الزياتي

يضرب رجلاً ألف سوط ويتركه في الشمس حتى يموت أخبرنا علي، قال: أخبرنا طلحة، قال: حدثني أبو الحسين عمر ابن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: كنت في الجسر واقفاً، وقد حضر أبو حسان

الزيادي القاضي، وقد وجه إليه المتوكل من سر من رأى، بسياط جدد في منديل ديبقي، مخنومة، وأمره أن يضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم - وقيل احمد بن محمد ابن عاصم - صاحب خان عاصم، ألف سوط، لأنه شهد عليه الثقات، وأهل الستر، أنه شتم أبا بكر وعمر،، وقذف عائشة، فلم ينكر ذلك، ولم يتب منه، وكانت السياط بثمارها.

فجعل يضرب بحضرة القاضي، وأصحاب الشرط قيام.

فقال: أيها القاضي، قتلني.

فقال له أبو حسان: قتلك الحق، لقدفك زوجة الرسول، ولشتمك الخلفاء الراشدين المهديين.

قال طلحة: وقيل: لما ضرب ترك في الشمس حتى مات، ثم رمي به في دجلة.

الخليفة الواثق

يستقضي الحسن بن علي بن الجعد أخبرنا علي بن الحسن، قال: اخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: عزل الواثق عبد الرحمن بن إسحاق سنة ثمان وعشرين ومائتين، واستقضى الحسن بن علي بن الجعد وكان سريراً، ذا مروءة، وكان من العلماء بمذهب أهل العراق، أخذ عن أبيه، وولي القضاء في حياة أبيه.

أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: توفي الحسن بن علي بن الجعد، وأبو حسان الزيادي في وقت واحد، وكل واحد منهما قاضٍ، كان أحدهما على المدينة، والآخر على الشرقية، في سنة ثلاث وأربعين ومائتين، في أيام المتوكل.

جريت مع الصبا طلق الجموح

أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن محمد السوسنجردى العسكري قال: حدثنا ابن أبي الذيال المحدث - بسر من رأى - قال: حضرت وليمة حضرها الجاحظ، فسمعتة يقول: حضرت وليمة حضرها أبو نواس، وعبد الصمد بن المعذل، فسمعت عبد الصمد، يقول لأبي نواس: لقد أبدعت في قولك.

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان علي ماثور القبيح قال أبو بكر الأنباري، أنشدني لأبي نواس:

رأيت ألد عافية الليالي ... قران العود بالنغم الفصيح

ومسمعة إذا ما شئت غنت ... متى كان الخيام بذى طلوح

تزود من شباب ليس يبقى ... وصلى يعرى الغبوق عرى الصبوح

وخذها من مشعشة كميت ... تنزل درة الرجل الشحيح

تخيرها لكسرى رائداه ... لها حظان من طعم وريح

ألم ترني أبحت اللهو عيني ... وعض مراشف الظبي المليح

وأيقن رائدي أن سوف تنأى ... مسافة بين جنماني وروحي

من شعر أبي عبد الله بن الحجاج

أنشدنا علي بن الحسن التوخي، قال: أنشدنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الكاتب لنفسه:
نمت بسري في الهوى أدمعي ... ودلت الواشي على موضعي
يا معشر العشاق إن كنتم ... مثلي وفي حالي فموتوا معي
وأنشدنا التنزخي أيضاً، قال: أنشدنا أبو عبد الله بن الحجاج لنفسه:
يا من إليها من ظلمها الهرب ... رد فؤادي أقل ما يجب
ردي حياقي إن كنت منصفة ... ثم إليك الرضاء والغضب
ملكك قلبي فلم أفك به ... سبحان من لا يفوته طلب

لحمة القاضي العوفي تبلغ إلى ركبته

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد المعدل، قال: حدثني أحمد بن كامل، قال: حدثنا حسين بن فهم، قال: كانت لحمة القاضي العوفي تبلغ إلى ركبته.

لحمة القاضي العوفي تعدت كل قدر

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان، قال: أنشدني أبو عبد الله التميمي، لبعضهم:
لحمة العوفي أبدت ... ما اختفى من محسن شعري
هي لو كانت شراعاً ... لذوي متجر بحر
جعل السبر من الصي ... ن إلينا نصف شهر
هي في الطول وفي الع ... رض تعدت كل قدر

القاضي العوفي

يلقي مسائله في المناظرة من الدفتر

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: الحسين بن الحسن العوفي، رجل جليل من أصحاب أبي حنيفة، وكان سليماً مغفلاً، ولا ه الرشيد أياماً ثم صرفه.
وكان يجتمع في مجلسه قوم فيتناظرون، فيدعو بدفتر، فينظر فيه، ثم يلقي من المسائل، ويقول لمن يلقي عليه، أخطأت، أو أصبت، من الدفتر.
وتوفي سنة إحدى ومائتين.

الحسين بن الضحك الشاعر

حدثني علي بن أبي علي، عن أبي عبيد الله المرزباني، قال: أبو علي الحسين بن الضحك بن ياسر الخليع الباهلي البصري، مولى لولد سليمان بن ربيعة الباهلي، وهو شاعر ماجن مطبوع حسن الافتنان في ضروب الشعر وأنواعه، وبلغ سنّاً عالية.

يقال إنه ولد في سنة اثنتين وستين ومائة، ومات في سنة خمسين ومائتين. واتصل له من مجالسة الخلفاء ما لم يتصل لأحد، إلا لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، فإنه قاربه في ذلك، أو ساواه.

صحب الحسين الأمين في سنة ثمان وثمانين ومائة، ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين.

الراضي يستقضي أبا محمد الحسين بن عمر

أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استقضى الراضي، أبا محمد الحسين بن أبي الحسين عمر بن محمد ابن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم. وهو أصغر من أبي نصر بقليل، وهو فتى جميل الأمر، متوسط في مذهبه، وسداده، سليم الصدر، قريب من الناس، وكان محبوباً إلى الناس لأنه يشبه أباه في الصورة والخلق. ثم مات الراضي، واستخلف المتقي لله، فأقره على مدينة المنصور إلى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلثمائة، ثم صرفه.

أبو علي التنوخي ينيب عنه

أبا القاسم الكوفي في القضاء بالكوفة حدثني علي بن الحسن التنوخي، عن أبي القاسم الكوفي، وذكر لي أنه سمع منه ببغداد في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة.

قال: وسألته عن مولده، فقال: ولدت يوم السبت الثالث بقين من المحرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة. قال التنوخي: وكان ثقة، كثير الحديث، جيد المعرفة به، وولي القضاء بالكوفة من قبل أبي، وكان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، وكان يحفظ القرآن ويحس قطعة من الفرائض وعلم القضاء، قيماً بذلك، وكان زاهداً عفيفاً.

من مخاريق الحلاج

أنبأنا علي بن أبي علي المعدل، عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: حدثني غير واحد من الثقات من أصحابنا: أن الحسين بن منصور الحلاج، كان قد أنفذ أحد أصحابه، إلى بلد من بلدان الجبل، ووافقه على حيلة يعملها.

فخرج الرجل، فأقام عندهم سنين يظهر النسك والعبادة، ويقرأ القرآن ويصوم، فغلب على البلد. حتى إذا علم أنه قد تمكن، أظهر أنه قد عمي، فكان يقاد إلى مسجده، وتعمى على كل أحد شهوراً. ثم أظهر أنه قد زمن، فكان يجبو، ويحمل إلى المسجد، حتى مضت سنة على ذلك، وتقرر في النفوس زمانته وعماه.

فقال لهم بعد ذلك: إني رأيت في النوم، كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لي: إنه يطرق هذا البلد عبد لله صالح مجاب الدعوة، تكون عافيتك على يده، وبدعائه، فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء، أو من الصوفية فلعل الله أن يفرج عني على يد ذلك العبد، وبدعائه، كما وعدني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثت النفوس إلى ورود العبد الصالح، وتطلعت القلوب. ومضى الأجل الذي كان بينه وبين الحلاج، فقدم البلد، فليس الثياب الصوف الرقاق، وتفرد في الجامع بالدعاء والصلاة.

وتنهوا على خبره، فقالوا للأعمى.

فقال: احموني إليه، فلما حصل عنده، وعلم أنه الحلاج، قال له: يا عبد الله، إني رأيت في المنام، كيت وكيت، فتدعو الله لي.

فقال: ومن أنا؟ وما محلي؟ فما زال به، حتى دعي له، ثم مسح يده عليه، فقام المتزامن صحيحاً مبصراً.

فانقلب البلد، وكثر الناس على الحلاج، فتركهم، وخرج من البلد.

وأقام المتعمى المتزامن فيه شهوراً، ثم قال لهم: إن من حق نعمة الله عندي، ورده جوارحي علي، ان أنفرد بالعبادة انفراداً أكثر من هذا، وأن يكون مقامي في الثغر، وقد عملت على الخروج إلى طرسوس، من كانت له حاجة تحملتها، وإلا فأنا استودعكم الله.

قال: فأخرج هذا ألف درهم، وقال: اغر بها عني، وأعطاه هذا مائة دينار، وقال: أخرج بها غزاة من هناك، وأعطاه هذا مالاً، وهذا مالاً، حتى اجتمع ألوف دنانير ودراهم.

فلحق بالحلاج، فقاسمه عليها.

محاكمة الحلاج

وتنفيذ حكم الاعدام فيه حدثنا علي بن الحسن القاضي، عن أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن زنجي الكاتب عن أبيه - وهو المعروف بزنجي - بما أسوقه من أخبار الحلاج. إلى حين مقتله، وكان زنجي يلازم مجلس حامد بن العباس، ويرى الحلاج، ويسمع مناظرات أصحابه.

قال زنجي: أول ما انكشف من أمره في أيام وزارة حامد بن العباس، أن رجلاً شيخاً، حسن السمة، يعرف بالدباس، تنصح فيه، وذكر انتشار أصحابه، وتفرق دعااته في النواحي، وأنه كان ممن استجاب له، ثم تبين له مخرقته، ففارقته، وخرج عن جملته، وتقرب إلى الله بكشف أمره.

واجتمع معه على هذه الحال، أو علي هارون بن عبد العزيز الوارجي، الكاتب الأنباري، وكان قد عمل

كتاباً، ذر فيه مخاريق الحلاج، والحيلة فيها.

والحلاج يومئذ، مقيم عند نصر القشوري، من بعض حجره، موسع عليه، مأذن لمن يدخل إليه. وللحلاج إسمان، أحدهما الحسين بن منصور، والآخر محمد بن أحمد الفارسي. وكان قد استغوى نصراً، وجاز تمويهه عليه، حتى كان يسميه: العبد الصالح. وتحدث الناس، ان علة عرضت للمقتدر بالله في جوفه، وقف نصر على خبرها، فوصفه له، واستأذنه في إدخاله إليه، فأذن له، فوضع يده على الموضع الذي كانت فيه العلة، وقرأ عليه، فاتفق أن زالت العلة. ولحق والد العلة المقتدر بالله مثل تلك العلة، وفعل بها مثل ذلك، فزال ما وجدته. فقام للحلاج بذلك، سوق في الدار، وعند والد العلة المقتدر، والخدم، والhashية، وأسباب نصر خاصة. ولما انتشر كلام لباس، وأبي علي الأوراجي في الحلاج، بعث به المقتدر بالله، إلى أبي الحسن علي بن عيسى، لينظره، فأحضره مجلسه، وخاطبه خطاباً فيه غلظة. فحكى في ذلك الوقت، أنه تقدم عليه، وقال له - فيما بينه وبينه - : قف حيث انتهيت، ولا ترد عليه شيئاً، وإلا قلبت الأرض عليك. أو كلاماً في هذا المعنى.

فتهيب علي بن عيسى مناظرته، واستغفى منه، ونقل حينئذ، إلى حامد. وكانت بنت السمرى، صاحب الحلاج، قد أدخلت إليه، وأقامت عنده في دار السلطان مدة، وبعث بها إلى حامد ليسألها عما وقعت عليه، وشاهدته في أحواله. فدخلت إلى حامد، في يوم شاتٍ بارد، وهذه المرأة بحضرته، وكانت حسنة العبارة، عذبة الألفاظ، مقبولة الصورة.

فسألها عن أمره، فذكرت أن أباه السمرى، حملها إليه، وأنها لما دخلت عليه، وهب لها أشياء كثيرة، عدت أصنافها، منها ربطة خضراء وقال لها؛ قد زوجتك ابني سليمان، وهو أعز ولدي علي، وهو مقيم بنيسابور - في موضع قد ذكرته، وأنسيته - وليس يخلو أن يقع بين المرأة وزوجها خلاف، أو تنكر منه حالاً من الأحوال، وقد أوصيته بك، فمتى حرى شئ تنكرينه من جهته، فصومي يومك، واصعدي آخر النهار إلى السطح، وقومي على الرماد، واجعلي فطرك عليه، وعلى ملح جريش، واستقبليني بوجهك، واذكري لي ما أنكرته منه، فإني أسمع وأرى، قالت: وكنت ليلة نائمة في السطح، وابنة الحلاج معي، في دار السلطان وهو معنا، فلما كان في الليل، أحسست به وقد غشي، فأنتهت مذعورة منكراً لما كان منه، فقال: إنما جئت لأوقظك للصلاة.

ولما أصبحنا، نزلت إلى الدار، ومعى بنته، ونزل هو، فلما صار على الدرجة، بحيث يرانا ونراه، قالت بنته: اسجدي له.

فقلت لها: أو يسجد أحد لغير الله؟ وسمع كلامي لها، فقال: نعم، إله في السماء، وغله في الأرض، قال: ودعاني إليه، وأدخل يده في كمه، وأخرجها مملوءة مسكاً، فدفعه إلي، وفعل هذا مرات، ثم قال: اجعلي هذا في طيبك، فإن المرأة، إذا حصلت عند الرجل، احتاجت إلى الطيب.

قالت: ثم دعاني، وهو جالس في بيت البوراي، فقال: ارفعي جانب البارية، وخذي من تحته ما تريدين،

وأوماً إلى زاوية البيت، فجئت إليها، ورفعت البارية، فوجدت الدنانير تحتها مفروشة ملء البيت، فبهرتني ما رأيت من ذلك.

قال زنجي: وأقامت هذه المرأة، معتقلة في ار حامد، إلى أن قتل الحلاج. ولما حصل الحلاج في يد حامد، جد في طلب أصحابه، وأذكى العيون عليهم، وحصل في يده منهم، حيدرة، والسمري، ومحمد بن علي القنائي، والمعروف بأبي الهاشمي، واستتر المعروف بان حماد، وكبس منزله، وأخذت منه دفاتر كثيرة، وكذلك من منزل محمد بن علي القنائي، في ورق صيني، وبعضها مكتوب بماء الذهب، مبطنة بالديباج والحرير، مجلدة بالأديم الجيد.

وكان فيما خاطبه به حامد، أول ما حمل إليه: أأست تعلم أي قبضت عليك بدور الراسبي، وأحضرتك إلى واسط، فذكرت في دفعة أنك المهدي، وذكرت في دفعة أخرى أنك رجل صالح تدعو إلى عبادة الله، والأمر بالمعروف، فكيف ادعيت بعد الألوهية؟ وكان في الكتب الموجودة، عجائب من مكاتباته أصحابه النافذين إلى النواحي، وتوصيتهم بما يدعون الناس إليه، وما يأمرهم به من نقلهم من حال إلى أخرى، ومرتبة إلى مرتبة، حتى يبلغوا الغاية القصوى، وأن يخاطبوا كل قوم، على حسب عقولهم وأفهامهم، وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم، وجوابات لقوم كاتبوه بالفاظ مرموزة، لا يعرفها إلا من كتبها، ومن كتبت إليه، ومدارج فيها ما يجري هذا الجرى، وفي بعضها صورة فيها اسم الله تعالى مكتوب على تعويج، وفي داخل ذلك التعويج، مكتوب: علي عليه السلام، كتابة لا يقف عليها إلا من تأملها. وحضرت مجلس حامد، وقد أحضر السمري صاحب الحلاج، وسأله عن أشياء من أمر الحلاج، وقال له: حدثني بما شاهدته منه.

فقال له: إن رأى الوزير أن يعفني، فعل. فأعلمه أنه لا يعفيه، وعاود مسألته عما شاهدته، فعاود استعفاءه. وألح عليه في السؤال. فلما تردد القول بينهما، قال: أعلم أي إن حدثتك كذبتني، ولم آمن مكروهاً يلحقني، فوعده أن لا يلحقه مكروه.

فقال: كنت معه بفارس، فخرجنا نريد اصطخر في زمان شات، فلما صرنا في بعض الطريق، أعلمته بأي قد اشتبهت خياراً.

فقال لي: في هذا المكان؟ وفي مثل هذا الوقت من الزمان؟ فقلت: هو شيء عرض لي.

ولما كان بعد ساعات، قال لي: انت على تلك الشهوة؟ فقلت: نعم.

قال: وسرنا إلى سفح جبل ثلج، فأدخل يده فيه، وأخرج إلي منه خيارة خضراء، ودفعها إلي.

فقال له حامد: فأكلتها؟ قال: نعم.

فقال له: كذبت يا ابن مائة ألف زانية في مائة ألف زانية، أو جعوا فكه.

فأسرع الغلمان إليه، فامتلأوا ما أمرهم به، وهو يصيح: أليس من هذا خفنا؟ ثم أمر به، فأقيم من المجلس.

وأقبل حامد يتحدث عن قوم من أصحاب النيرنجيات، كانوا يعدون بإخراج التين، وما يجري مجراه من

الفواكه، فإذا حصل ذلك في يد الإنسان، وأراد أن يأكله، صار بعراً.

وحضرت مجلس حامد، وقد أحضر سبط خيازر لطيف، حمل من دار محمد بن علي القنائي - أكبر ظني - فتقدم بفتحه، فإذا فيه قدر جافة خضراء، وقوارير فيها شيء يشبه لون الرثيق، وكسر خبز جافة، وكان السمري حاضراً، جالساً بالقرب من أبي، فعجب من تلك القدر وتصيرها في سبط مخنوم، ومن تلك القوارير - وعندنا أنها أدهان - ومن كسر الخبز.

وسأل حامد السمري عن ذلك، فدافعه في الجواب، واستعفاه منه. وألح عليه في السؤال، فعرفه أن في ذلك القدر رجيع الحلاج، وأنه يستشفى به، وأن الذي في القوارير بوله.

فعرف حامد، ما قاله، فعجب منه من كان في المجلس، واتصل القول في الطعن على الحلاج.

وأقبل أبي يعيد ذكر تلك الكسر، ويتعجب منها، ومن احتفاظهم بها، حتى غاظ السمري ذلك، فقال له: هوذا أسمع ما تقول، وأرى تعجبك من هذه الكسر، وهي بين يديك فكل منها ما شئت، ثم انظر كيف يكون قلبك للحلاج بعد أكلك ما تأكله منها.

فتهيب أبي أن يأكلها، وتخوف أن يكون فيها سم.

وأحضر حامد الحلاج، وسأله عما كان في السبط، وعن احتفاظ أصحابه برجيعة وبوله؟ فذكر أنه شيء ما علم به، ولا عرفه.

وكان يتفق في كثير من الأيام، جلوس الحلاج في مجلس حامد، إلى جنبي، فأسمعه يقول دائماً: سبحانك، لا إله إلا أنت، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وكانت عليه مدرعة سوداء من صوف.

وكت يوماً، وأبي، بين يدي حامد، ثم نهض عن مجلسه، وخرجنا إلى دار العامة، وجلسنا في رواقها، وحضر هارون بن عمران الجهمي، فجلس بين يدي أبي، ولم يحادثه، فهو في ذاك، إذ جاء غلام حامد الذي كان موكلاً بالحلاج، وأومأ إلى هارون بن عمران أن يخرج إليه، فنهض عن المجلس مسرعاً، ونحن لا ندري ما السبب.

فغاب عنا قليلاً، ثم عاد وهو متغير اللون جداً. فأنكر أبي ما رآه منه، وسأله عنه.

فقال: دعاني الغلام الموكل بالحلاج، فخرجت إليه، فأعلمني أنه دخل إليه، ومعه الطبق الذي رسم أن يقدمه إليه في كل يوم، فوجده ملاً البيت من سقفه إلى أرضه، وملاً جوانبه، فهاله ما رأى من ذلك، ورمى الطبق من يده، وخرج من البيت مسرعاً، وأن الغلام ارتعد، وانتفض وحم وبقي هارون يتعجب من ذلك.

وبلغ حامداً عن بعض أصحاب الحلاج، إنه ذكر أنه دخل إليه، إلى الموضع الذي هو فيه، وخاطبه بما أراد، فأنكر ذلك كل الإنكار، وتقدم بمساءلة الحجاب والبوايين عنه، وقد كان رسم أن لا يدخل إليه أحد، وضرب بعض البوايين، فحلفوا بالإيمان المغلظة، أنهم ما أدخلوا أحداً من أصحاب الحلاج إليه، ولا اجتاز بهم، وتقدم بافتقاد السطوح، وجوانب الحيطان، فافتقدوا ذلك أجمع، ولم يوجد له أثر ولا خلل.

فستل الحلاج، عن دخول من دخل إليه، فقال: من القدرة نزل، ومن الموضع الذي وصل إلي منه خرج.

وكان يخرج إلى حامد، في كل يوم، دفاتر، مما حمل من دور أصحاب الحلاج، وتجعل بين يديه، فيدفعها إلى أبي، ويتقدم إليه، بأن يقرأها عليه، فكان يفعل ذلك دائماً.

فقرأ عليه في بعض الأيام، من كتب الحلاج، والقاضي أبو عمر حاضر، والقاضي أبو الحسين ابن الأشناني، كتاباً حكى فيه، أن الإنسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه، أفرد في داره بيتاً، لا يلحقه شيء من النجاسة، ولا يدخله أحد، ومنع من تطرقه، فإذا حضرت أيام الحج، طاف حوله، طوافه حول البيت الحرام، فإذا انقضى ذلك، وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله، جمع ثلاثين يتيماً وهمل لهم أمر أما يمكنه من الطعام، وأحضرهم إلى ذلك البيت، وقدم إليهم ذلك الطعام، وتولى خدمتهم بنفسه، فإذا فرغوا من أكلهم، وغسل أيديهم، كسا كل واحد منهم قميصاً، ودفع إليه سبعة دراهم، أو ثلاثة - الشك مني - فإذا فعل ذلك، قام له مقام الحج.

فلما قرأ أبي هذا الفصل، التفت أبو عمر القاضي إلى الحلاج، وقال له: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري.

فقال له أبو عمر: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن البصري بمكة، وليس فيه شيء مما ذكرته.

فلما قال أبو عمر: كذبت يا حلال الدم، قال له حامد: اكتب بهذا.

فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاج، فأقبل حامد، يطالبه بالكتاب بما قاله، وهو يدافع، ويتشاغل، إلى أن مد حامد الدواة من بين يديه إلى أبي عمر ودعا بدرج، فدفعه إليه.

وألح عليه حامد بالمطالبة بالكتاب، إلحاحاً لم يمكنه معه المخالفة، فكتب بإحلال دمه، وكتب بعده من حضر المجلس.

ولما تبين الحلاج الصورة، قال: ظهري حمى، ودمي حرام، وما يحل لكم أن تأولوا علي بما يبيحه، واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة موجوة في الوراقين، فالحمد لله من دمي.

ولم يزل يردد هذا القول، والقوم يكتبون خطوطهم، إلى أن استكموا ما احتاجوا إليه، ونهضوا عن المجلس، ورد الحلاج إلى موضعه الذي كان فيه.

ودفع حامد ذلك المحضر إلى والدي، وتقدم إليه أن يكتب إلى المقتدر بالله، بخبر المجلس، وما جرى فيه، وينفذ الجواب عنها.

فكتب الرقعتين، وأنفذ الفتوى درج الرقعة إلى المقتدر بالله.

وأبطأ الجواب يومين، فغلظ ذلك على حامد، ولحقه ندم على ما كتب به، وتخوف أن يكون قد وقع غير موقعه، ولم يجد بداً من نصره ما عمله.

فكتب بخط والدي، رقعة إلى المقتدر بالله، في اليوم الثالث، يقتضي فيها ما تضمنته الولي، ويقول: عن ما جرى في المجلس، قد شاع وانتشر، ومتى لم يتبعه قتل الحلاج، افتن الناس به، ولم يختلف عليه اثنان، ويستأذن في ذلك، وأنفذ الرقعة إلى مفلح، وسأله إيصالها، وتجهيز الجواب عنها، وإنفاذه إليه.

فعاد الجواب من المقتدر بالله في غد ذلك اليوم، من جهة مفلح، بأن القضاة، إذا كانوا قد أفنوا بقتله، وأباحوا دمه، فليحضر محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، ويتقدم إليه بتسلمه، وضربه ألف سوط، فإن تلف تحت الضرب، وإلا ضرب عنقه.

فسر حامد بهذا الجواب، وزال ما كان عليه من الاضراب، واحضر محمد بن عبد الصمد، وأقرأه إياه، وتقدم إليه بتسلم الحلاج، فامتنع من ذلك، وذكر أنه يتخوف أن ينتزع. فأعلمه حامد، أنه يبعث معه غلماناً، حتى يصيروا به إلى مجلس الشرطة في الجانب الغربي.

ووقع الاتفاق على أن يحضر بعد عشاء الآخرة، ومعه جماعة من أصحابه، وقوم على بغال مؤكفة، يجرون مجرى الساسه، ليجعل على واحد منها، ويدخل في غمار القوم.

وأوصاه بأن يضربه ألف سوط، فإن تلف، حز رأسه، واحتفظ به، وأحرق جثته. وقال له حامد: إن قال ذلك: أجري لك الفرات ذهباً وفضة، فلا تقبل منه، ولا ترفع الضرب عنه. فلما كان بعد عشاء الآخرة، وافى محمد بن عبد الصمد، إلى حامد، ومعه رجاله، والبغال المؤكفة، فتقدم إلى غلماناً، بالركوب معه، حتى يصل إلى مجلس الشرطة، وتقدم إلى الغلام الموكل به، بإخراجه من الموضع الذي هو فيه، وتسليمه إلى أصحاب محمد بن عبد الصمد.

فحكى الغلام: أنه لما فتح الباب عنه، وأمره بالخروج، وهو وقت لم يكن يفتح عنه في مثله، قال له: من عند الوزير؟ فقال: محمد بن عبد الصمد. فقال: ذهبنا واله.

وأخرج، وأركب بعض تلك البغال المؤكفة، واختلط بجملته الساسة، وركب غلمان حامد معه، حتى أوصلوه إلى الجسر، ثم انصرفوا. وبات هناك محمد بن عبد الصمد، ورجاله مجتمعون حول المجلس. فلما أصبح يوم الثلاثاء، لست بقين من ذي القعدة، أخرج الحلاج إلى رحبة المجلس، وأمر الجلاد بضربه بالسوط، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم، فضرب إلى تمام الألف سوط، وما استعفى، ولا تأوه.

بل لما بلغ إلى ستمائة سوط، قال لحمد بن عبد الصمد: ادع بي إليك، فإن عندي نصيحة، تعدل فتح القسطنطينية.

فقال له محمد: قد قيل لي إنك ستقول هذا، وما هو أكثر منه، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل. ولما بلغ ألف سوط، قطعت يده، ثم رجله، ثم يده، ثم رجله، وحز رأسه، وأحرق جثته. وحضرت في هذا الوقت، وكنت واقفاً على ظهر دابتي، خارج المجلس، والجنّة تقلب على الجمر، والنيان تتوقد، ولما صارت رماداً، ألقيت في دجلة.

ونصب الرأس يومين ببغداد، على الجسر، ثم حمل إلى خراسان، وطيف به في النواحي، وأقبل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة، زيادة فيها فضل، فادعى أصحابه، أن ذلك بسببه، ولأن الرماد خالط الماء.

وزعم بعض أصحاب الحلاج، أن المضروب، عدو الحلاج، ألقى شبهه عليه. وادعى بعضهم، أنهم رأوه في ذلك اليوم، بعد الذي عاينوه من أمره، والحال التي جرت عليه، وهو راكب حماراً، في طريق النهروان، ففرحوا به، وقال: لعلكم مثل هؤلاء البقر الذين ظنوا أنني أنا المضروب والمقتول. وزعم بعضهم: أن دابة حولت في صورته.

وكان نصر الحاجب بعد ذلك، يظهر الترتي له، ويقول: إنه مظلوم، وإنه رجل من العباد. وأحضر جماعة من الوراقين، وأحلفوا على أن لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلاج ولا يشتروها.

الخليفة يدعو القاضي حفص بن غياث

فيستمهله حتى يفرغ من أمر الخصوم أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني عمر بن الحسن، قال: حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور، عن أبي هشام الرفاعي: أن حفص بن غياث كان جالساً في الشرقية للقضاء، فأرسل إليه الخليفة يدعوه. فقال له: حتى أفرغ من أمر الخصوم، إذ كنت أجيراً لهم، وأصير إلى أمير المؤمنين. ولم يقم حتى تفرق الخصوم.

القاضي حفص بن غياث

تمر أحكامه وقضاياه كالقدح أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: أخبرني عبد الباقي بن قانع، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن رزق، قال: لما ولي حفص بن غياث القضاء بالكوفة، قال لهم أبو يوسف: اكسروا دفتراً لتكتبوا فيه نواذر قضاياه، فمرت قضاياه وأحكامه كالقدح. فقالوا لأبي يوسف: أنا ترى؟ قال: ما أصنع بقيام الليل. يريد أن الله وفقه - بصلاة الليل - في الحكم.

الحسن بن وهب يرثي أبا تمام الطائي

أنبأنا علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، قال: أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: قال الحسن بن وهب، يرثي أبا تمام الطائي. فجع القريض بخاتم الشعراء ... وغدير روضتها حبيب الطائي ماتاً معاً فتجاورا في حفرة ... وكذلك كانا قبل في الأحياء

مروا بالمعروف وانفوا عن المنكر

أنبأنا علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي، إملاء من حفظه، قال: حدثنا أبي، أبو بكر يوسف بن يعقوب، وعم أبي، القاضي أو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول، قال: سمعت جدي حسان بن سنان، يقول: قدمت إلى واسط متظلماً من عاملنا بالأنبار، فرأيت أنس بن مالك، في ديوان الحجاج بن يوسف، وسمعتة يقولك مروا بالمعروف، وأنهموا عن المنكر.

قال إسحاق بن البهلول: قد دخلت في الدعوة التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقوله: طوبى لمن رآني، ومن رأى من رآني، ومن رأى من رأى من رآني.

حسان بن سنان التنوخي

أدر كته بركة دعاء أنس بن مالك أنبأنا علي بن أبي علي، قال: حدثني أبو غانم محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا جدي إسحاق، قال: حدثني جدي حسان، قال: خرجت في وفد من أهل الأنبار، إلى الحجاج، إلى واسط، نتظلم إليه من عامله علينا ابن الرفيل. فدخلت ديوانه، فرأيت شيخاً، والناس يكتبون عنه، فسألت عنه، فقبل لي: أنس بن مالك، فوقف علي. فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من الأنبار، جئنا إلى الأمير نتظلم إليه. فقال: بارك الله فيك.

فقلت: حدثني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا خادم رسول الله. فقال سمعته صلى الله عليه وسلم، يقول: مر بالمعروف، وانه عن المنكر، ما استطعت. وأعجلني أصحابي، فلم أسمع منه غير هذا الحديث. قال أبو غانم: قال أبي: كان جدي إسحاق يقول: أرجو أن أكون ممن سبقت فيه، دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله (طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني). قال أبو غانم: وكان من بركة دعاء أنس لحسان، أنه عاش مائة وعشرين سنة، وخرج من أولاده جماعة فقهاء، وقضاة، ورؤساء، وصلحاء، وكتاب، وزهاد. ولد حسان سنة ستين للهجرة، ووفاته في سنة ثمانين ومائة.

حسان بن سنان التنوخي

كان نصرانياً، وأسلم حدثني علي بن الحسن القاضي، عن أحمد بن يوسف الأزرق، عن مشايخ أهله، قال: كان جدنا حسان بن سنان، يكنى أبا العلاء، وولد بالأنبار في سنة ستين من الهجرة على النصرانية، وكانت دينه، ودين آبائه، ثم أسلم، وحسن إسلامه. وكانت له حين أسلم ابنة بالغ، فأقامت على النصرانية، فلما حضرتها الوفاة، وصت بما لها لدية تنوخ بالأنبار.

وكان حسان، يتكلم ويقرأ ويكتب، بالعربية، والفارسية، والسريانية، ولحق الدولتين.
فلما قلد أبو العباس السفاح، ربيعة الرأي، القضاء بالأنبار، وهي إذ ذاك حضرته، أتى بكتب مكتوبة
بالفارسية، فلم يحسن أن يقرأها، فطلب رجلاً ديناً، ثقةً، يحسن قراءتها، فدل على حسان بن سنان، فجاء به،
فكان يقرأ له الكتب بالفارسية.
فلما اختبره، ورضي مذهبها، استكتبه على جميع أمره.
وكان حسان قبل ذلك، رأى أنس بن مالك، خادم النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، ولا يعلم هل
رأى غيره من الصحابة أم لا.
ومات جدنا حسان، وله مائة وعشرون سنة.

افتتح القضاء بأعورين

أنبأنا علي بن الحسن، قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: أخبرني محمد بن جرير الطبري إجازة
الطبري إجازة: أن المتوكل أشخص يحيى بن أكثم من بغداد إلى سر من رأى، بعد القبض على ابن أبي دؤاد
فولاه قضاء القضاة في سنة سبع وثلاثين ومائتين، وعزل عبد السلام - يعني الواصي - وولي مكانه سوار
بن عبد الله بن سوار العبدي، ويكنى أبا عبد الله، على الجانب الشرقي، وقلد حبان بن بشر، الأسدي،
الشرقية، وخلع عليها في يوم واحد، وكانا أعورين، فأنشدني عبيد الله بن محمد الكاتب، لدعبل:
رأيت من الكبائر قاضيين ... هما أحدثا في الخافقين
قد اقتسما العمى نصفين قدماً ... كما اقتسما قضاء الجانيين
وتحسب منهما من هز رأساً ... لينظر في مواريث ودين
كأنك قد جعلت عليه دناً ... فتحت بزاله من فرد عين
هما فال الزمان بهلك يحيى ... إذ افتتح القضاء بأعورين

من شعر خالد الكاتب

أنبأنا علي بن أبي علي، قال: أنشدنا محمد بن العباس الخزاز، وقال: أنشدنا محمد بن القاسم الأنباري، لخالد
الكاتب:

قد القضيبي حكي رشاقة قله ... والورد يحسد ورده في خده
والشمس جوهر نورها من نوره ... والبدر أسعد سعده من سعده
خشف أرق من البهاء بمأوه ... ومن الفرند الخض في إفرنده
لو مكنت عينك من وجناته ... لرأيت وجهك في صفيحة خده
قال: وله أيضاً:
الله جارك يا سمعي ويا بصري ... من العيون التي ترمك بالنظر

ومن نفاسة خديك للذين لك ال ... معنى وقد وسما بالشمس والقمر
فحاسنك، فما فازا بحسنتهما ... وخاطراك، فما فاتاك بالخطر
من كان فيك إلى العذال معتذراً ... من الأنام فيني غير معتذر

أبو سعد دواد بن الهيثم

ابن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري حدثني علي بن الحسن التنوخي، قال: قال لنا أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول: كان أبو سعد داود بن الهيثم أسن من القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق البهلول، ومن أبي.
ولد أبو سعد في سنة تسع وعشرين ومائتين، وولد القاضي أبو جعفر في الحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وولد أبي في سنة ثمان وثلاثين ومائتين.
وكان أبي، والقاضي أبو جعفر، يريان فضل أبي سعد، وضبطه، ويقدمانه عليهما.
وكان أبي يقول: أبو سعد، أدبني، وعلمني.
وكان أخذ بيد إسحاق بن البهلول، حين أدخله على المتوكل، لما استحضره للسمع، فلما أراد إسحاق أن يقرأ على المتوكل، فضائل العباس، تقدم إلى أبي سعد، فقرأها عليه، والمتوكل يسمع.
قال علي بن الحسن: وكان فصيحاً، نحويّاً، لغويّاً، حسن العلم بالعروض، واستخراج المعنى، وصنف كتباً في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين، وله كتاب كبير في خلق الإنسان، متداول.
وكان أخذ عن يعقوب بن السكيت، ولقي ثعلباً، فحمل عنه، وكان يقول الشعر الجيد، ولقي من الأخباريين جماعة، منهم حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي.
حدثني علي بن الحسن، عن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: كان أبو سعد داود بن الهيثم، كثير الحديث، كبير الحفظ للأخبار، والآداب، والنحو، واللغة، والأشعار، ولد بالأنبار، ومات بها في سنة ست عشرة وثلثمائة.
قال علي بن الحسن: وقال لنا أبو الحسن بن الأزرق: مات أبو سعد، دواد بن الهيثم وله ثمان وثمانون سنة.

لماذا عرف بالثلاج

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني التنوخي، قال: قال لنا ابن الثلاج: ما باع أحد من سلفنا ثلجاً قط، وإنما كانوا يحلوان، وكان جدي مترفاً، فكان يجمع له في كل سنة ثلج كثير لنفسه.
فاجتاز الموفق، أو غيره من الخلفاء، فطلب ثلجاً، فلم يوجد إلا عند جدي، وأهدى إليه منه، فوقع منه موقعاً لطيفاً، وطلبه منه أياماً كثيرة، طول مقامه، وكان يحمله إليه.
فقال: اطلبوا عبد الله الثلاج، واطلبوا ثلجاً من عند عبد الله الثلاج فعرف بالثلاج، وغلب عليه.

ترفق بأهل الجهل إن كنت ساقياً

حدثني علي بن الحسن، عن أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: زراع بن عروة الحنفي، شاعر
محدث من أهل اليمامة ورد بغداد، ومات بها، وهو القائل:
فقد قال زراع، فكن عند قوله ... ترفق بأهل الجهل إن كنت ساقيا
وجدت أقل الناس عقلاً إذا انتشى ... أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا
يزيد حسى الكأس السفية سفاهةً ... ويترك أحلام الرجال كما هيا

ضم يا ضمام، واحنر لا تنام

حدثنا التبوخي قال: سرق أصحاب الحديث نعل أبي زيد، فكان إذا جاء أصحاب الشعر والعريية والأخبار،
رمى بشيابه، ولم يتفقدوها، وإذا جاء أصحاب الحديث، جمعها كلها، وجعلها بين يديه، وقال: ضم يا ضمام،
واحنر لا تنام.

رأي أبي زيد الأنصاري

في أبي عبيدة والأصمعي أخبرنا التبوخي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا الحسين بن
القاسم الكوكبي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد، قال: سئل أبو زيد الأنصاري عن أبي عبيدة والأصمعي، فقال:
كذابان.
وسئلا عنه، فقالا: ما شئت من عفاف، وتقوى، وإسلام.

السري الرفاء يستهدي قدحا

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أنشدنا أحمد بن علي، المعروف بالهائم، قال: أنشدنا السري بن أحمد الرفاء -
لنفسه - وكتب بها إلى صديق له، كان أهدى إليه قدحاً حسناً، فسقط من يده فانكسر:
يا من لديه العفاف والورع ... وشيمته العلاء والرفع
كأسك قد فرقت مفاصله ... بين الندامى فليس تجتمع
كأنما الشمس بينهم سقطت ... فجسمها في أكفهم قطع
لو لم أكن واثقاً بمشبهه ... منك لكاد القواد ينصدع
فجد به بدعة فعندي من ... جودك أشياء كلها بدع
أعجمي يتقص الإمام علياً فيضرب ويطرده
حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التبوخي، عن أحمد بن يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن البهلول،
قال: أخبرني أبي وعمي، انه كان بالأنبار قوم لا يرتقون في الخلافة والفضل بعلي بن أبي طالب، منهم

الوضاح بن حسان - رجل من الأعاجم - وكان إسحاق بن البهلول، يحضر مجلسه، والناس متوافرون عليه، لعلو إسناده.

فصار إسحاق إليه يوماً، وهو يحدث في مسجده، وحو اليه زهاء ألف إنسان، فسأله عن علي بن أبي طالب، فلم يلحقه بأبي بكر وعمر وعثمان.

فخرق إسحاق دفتراً كان بيده، فيه سماع منه له، وضرب به رأسه.

فانفض الناس عن الوضاح، وأقعد إسحاق في مكانه رجلاً، كان أقام بالأنبار، ثم خرج إلى الثغر، يعرف بسمرة بن حجر الخراساني، صاحب سنة، فحدث بفضائل الأربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب عنه إسحاق، فكتب الناس عنه.

شبيب بن شيبه

يفزع إليه أهل البصرة في قضاء حوائجها أخبرنا علي بن علي المعدل، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الرحمن بن العباس، قالوا: حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، قال: حدثنا أبو يعلى زكريا بن يحيى المنقري، قال: حدثنا الأصمعي، قال: كان شبيب بن شيبه، رجلاً شريفاً، يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، فكان يغدو في كل يوم ويركب.

فإذا أراد أن يغدو، أكل من الطعام شيئاً قد عرفه، فنال منه، ثم ركب .

فقال له: إنك تباكر الغداء.

فقال: أجل، أظفي به فورة جوعي، وأقطع به خلوف فمي، وأبلغ به في قضاء حوائجي، فإني وجدت خللاء الجوف، وشهوة الطعام، يقطعان الحكيم عن بلوغه في حاجته، ويحمله ذلك على التقصير فيما به إليه الحاجة، وإني رأيت النهم لا مروءة له، ورأيت الجوع داء من الداء، فخذ من الطعام ما يذهب عنك النهم، وتداوي به داء الجوع.

من حكم شبيب بن شيبه

أخبرنا التبوخي، قال: حدثنا محمد بن العباس الخراز، قال: حدثنا أبو العباس بن محمد، قال: سمعت أبا العباس المبرد يقول: قال شبيب بن شيبه: من سمع كلمة يكرهها، فسكت، انقطع عنه ما يكرهه، وإن أجاب، سمع أكثر مما يكره.

علام يؤتي المرء

أخبرنا علي بن الحسن التبوخي، قال: أخبرنا علي بن الحسن الجراحي قال: حدثني سهل بن إسماعيل الجوهري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله ابن الضريس النحوي، قال: حدثنا عبد الله بن الحكم الحري، قال: حدثنا محمد بن شبيب النحوي، قال: حدثنا الشرقي بن القطامي، قال: دخلت على المنصور، فقال: يا

شرقي، علام يؤتي المرء؟ فقلت: أصلح الله الخليفة، على معروف قد سلف، ومثله يؤتف، أو قديم شرف، أو علم مطرف.

العباس الخياط لا يثمر فيه الإحسان

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أنشدنا محمد بن العباس الخزاز، قال: أنشد أبو القاسم التوزي، أبي، وأنا أسمع، للعباس الخياط في صالح بن أحمد بن حنبل:

جاد بدينارين لي صالح ... أصلحه الله وأخزاهما
فواحد تحمله ذرة ... زيلعب الريح بأقواهما
بل لو وزنا لك ظليهما ... ثم عمدنا فوزناهما
لكان لا كانا ولا افلحاعليهما يرجح ظلاهما

من شعر ابن الأعرابي

أخبرنا علي بن الحسن المعدل، حدثنا أحمد بن محمد بن يعقوب الكاغدي، قال: حدثنا محمد بن أحمد الحكمي، قال: حدثنا أبو توبة، صالح بن محمد بن دراج الكاتب، قال: أنشدنا ابن الأعرابي:

كانت سليمي إذا ما جت طارقها ... وأحمد الليل نار الموقد الصالي
قارورة من عير عند ذي لطف ... من الدنانير كالوه بمثقال

القاضي التنوخي بنيب عنه

صدقة بن علي الموصلي على قضاء نصيين وأعمالها أخبرنا التنوخي عن أبيه، قال: حدثنا صدقة بن علي الموصلي - وكان خليفة أبي، على قضاء نصيين وأعمالها - قرأ علينا من لفظه، في منزلنا ببغداد، في ذي القعدة من سنة سبعين وثلاثمائة، بعد أن كتبه لنا من حفظه: حدثنا إبراهيم بن ثمامة الحنفي، بمصر، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن. قال التنوخي: ذكر لنا صدقة، أنه ولد في سنة سبع وثلاثمائة.

لا عار في الصرف إذا بقيت الخاسن محروسة

حدثني علي بن الحسن التنوخي، قال: لما عزل صاعد بن محمد عن قضاء نيسابور بأستاذه أبي الهيثم عتبة بن خيثمة، كتب إليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي، هذين البيتين، وأنشدهما لنفسه:

وإذا لم يكن من الصرف بد ... فليكن بالكبار لا بالصغار
وإذا كانت الخاسن بعد ال ... صرف محروسة فليس بعار

المنصور العباسي

يضرب أسوأ المثل في القسوة أخبرنا علي بن الحسن التوخي، قال: وجدت في كتاب جدي علي ابن محمد بن أبي الفهم قال: حدثني أحمد بن أبي العلاء المعروف بحرمي، قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبان، قال: حدثني أبو معقل، وهو ابن إبراهيم بن داحة، قال: حدثني أبي، قال: أخذ أبو جعفر، أمير المؤمنين، عبد الله بن حسن بن حسن، فقيده، وحبسه في داره. فلما أراد أبو جعفر الخروج إلى الحج، جلست له لعبد الله بن حسن، يقال لها: فاطمة، فلما أن مر بها أنشأت تقول:

ارحم كبيراً سنه متهدماً ... في السجن بين سلاسل وقيود
وارحم صغار بني يزيد إهم ... يتموا لفقدك لا لفقد يزيد
أرجوك بالرحم القريبة بيننا ... ماجدنا من جدكم ببعيد
فقال أبو جعفر: اذكرتني، ثم أمر به فحدر إلى المطلق، وكان آخر العهد به.
قال ابن داحة: يزيد هذا أخ لعبد الله بن حسن.

قال إسحاق بن محمد: فسألت زيد بن علي بن حسين بن زبد بن علي، وهو عند الزينبي محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام، عن هذا الحديث، وأخبرته بقول إبراهيم بن داحة، في يزيد هذا. فقال: لم يقل شيئاً، ليس في ولد علي بن أبي طالب يزيد، وإنما هذا شيء تمثلت به، ويزيد هو ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر.

القاضي عبد الله بن أبي الشوارب

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: عبد الله بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، من سروات الرجال، وله قدر وجلالة. استقضاه المكتفي بالله على مدينة المنصور، في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وما زال على قضاء المدينة إلى سنة ست وتسعين ومائتين، فإن المقتدر نقله إلى القضاء بالجانب الشرقي.

المنصور يضرب قهرمانه سبع درر

قرأت على علي بن أبي علي البصري، عن إبراهيم بن محمد الطبري، قال: أخبرنا إبراهيم بن علي الهجيمي، قال: حدثنا أبو العيناء، قال: دخل المنصور من باب الذهب، فإذا بثلاثة قناديل مصطفة. فقال: ما هذا، أما واحد من هذا كان كافياً يقتصر من هذا على واحد. قال: فلما أصبح، أشرف على الملس وهم يتغدون، فرأى الطعام قد خف من بين أيديهم، قبل أن يشبعوا. فقال: يا غلام، علي بالقهرمان. قال: ما لي رأيت الطعام قد خف من بين أيدي الناس قبل أن يشبعوا؟ قال: يا أمير المؤمنين، رأيته، قد

قدرت الزيت، فقدرت الطعام.
فقال له: وأنت لا تفرق بين زيت يحترق في غير ذات الله، وهذا طعام إذا فضل وجدت له آكلاً؟ ابطحوه.
قال: فبطحوه، فضربه سبع درر.

قطن بن معاوية الغلابي يستلم للمنصور

أخبرنا السخوي قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا أيوب بن عمرو بن أبي عمرو - أبو سلمة الغفاري - قال: حدثني قطن ابن معاوية الغلابي، قال: كنت ممن سارع إلى إبراهيم، واجتهد معه. فلما قتل، طلبني أبو جعفر، واستخفيت، فقبض أهوالي ودوري. ولحقت بالبادية، فجاورت في بني نصر بن معاوية، ثم في بني كلاب، ثم في بني فزارة، ثم في بني سليم، ثم تنقلت في بلاد قيس أجاورهم.

حتى ضقت ذراعاً بالاستخفاء، فأزمت على القدوم على أبي جعفر، والاعتراض له.
فقدمت البصرة، فترلت في طرف منها، ثم أرسلت إلى أبي عمرو بن العلاء، وكان لي ودّاً، فشاورته في الذي أزمعت عليه.

فقبل رأيي، وقال: والله إذن لقتلنك، وإنك لتعين على نفسك.

فلم ألنفت إليه، وشخصت، حتى قدمت بغداد، وقد بنى أبو جعفر مدينته ونزلها، وليس من الناس أحد يركب فيها، ما خلا المهدي.

فنزلت الخان، ثم قلت لغلماني: أنا ذاهب إلى أمير المؤمنين، فأمهلو ثلاثاً، فإن جئتمكم، وإلا فانصرفوا. ومضيت حتى دخلت المدينة، فجئت دار الربيع، وهو يومئذ داخل المدينة، في الشارعة على قصر الذهب. فلم يلبث أن خرج بمشي، فقام إليه الناس، وقمت معهم، فسلمت عليه، فرد علي السلام.

وقال: من أنت؟ قلت: قطن بن معاوية.

قال: أنظر ما تقول؟ قلت: أنا هو.

فأقبل على مسودة معه، فقال: احتفظوا بهذا.

قال: فلما حرست، لحقتني ندامة، وتذكرت رأي أبي عمرو، فتأسفت عليه.

ودخل الربيع، فلم يطل، حتى خرج بخصي، فأخذ بيدي، فأدخلني قصر الذهب، ثم أتى بيتاً حصيناً، فأدخلني فيه، ثم أغلق بابه وانطلق.

فاشتدت ندامتي، وأيقنت بالبلاء، وخلوت بنفسي أومها.

فلما كانت الظهر، أتاني الخصي بماء، فتوضأت وصليت، واتاني بطعام، فاخبرته بأني صائم.

لما كانت المغرب، أتاني بماء، فتوضأت وصليت، وأرخصي علي الليل سدوله، فيئست من الحياة.

وسمعت أبواب المدينة تغلق، وأقفاها تشدد، فامتنع عني النوم.

فلما ذهب صدر الليل، أتاني الخصي، ففتح عني، ومضى بي، فأدخلني صحن دار، ثم أدناني من ستر مسدول، فخرج علينا خادم، فأدخلنا، فإذا أبو جعفر وحده، والربيع قائم في ناحية.

فأكب أبو جعفر هنيهة مطرقاً، ثم رفع رأسه، فقال: هيه.
قلت: يا أمير المؤمنين، قد والله جهدت عليك جهدي، فعصيت أمرك، وواليت عدوك، وحرصت على أن أسلبك ملكك، فإن عفوت فأنت أهل لذلك، وإن عاقبت فأصغر ذنوبي تقتلني.
قال: فسكت هنيهة، ثم قال: هيه.
فأعدت مقالتي.
فقال: فإن أمير المؤمنين قد عفا عنك.
فقلت: يا أمير المؤمنين، إني أصير من وراء بابك، فلا أصل إليك، وضياعي ودوري، فهي مقبوضة، فإن رأى أمير المؤمنين، ان يردّها، فعل.
فدعا بالدواة، ثم أمر خادماً، فكتب بإملائه، إلى عبد الملك بن أيوب النميري، وهو يومئذ على البصرة: ان أمير المؤمنين، قد رضي عن قطن ابن معاوية ورد عليه ضياعه ودوره، وجميع ما قبض له، فاعلم ذلك، وأنفذه له إن شاء الله.
قال: ثم ختم الكتاب، ودفعه إلي.
فخرجت من ساعتي، لا أدري أين أذهب، فإذا الحرس بالباب، فجلست بجانب أحدهم أحدثه.
فلم ألبث أن خرج علينا الربيع، فقال: أين الرجل الذي خرج آنفاً؟ فقامت إليه.
فقال: انطلق أيها الرجل، فقد والله سلمت.
فانطلق بي إلى منزله، فعشاني، وأفرشني.
فلما أصبحت، ودعته، واتي غلmani، فأرسلتهم يكترون لي، فوجدوا صديقاً لي من الدهاقين، من أهل ميسان، قد اكرى سفينة لنفسه، فحملني معه.
فقدمت على عبد الملك بن أيوب، بكتاب أبي جعفر، فأقعدني عنده، فلم أقم حتى رد علي جميع ما اصطفي لي.

القاضي عبد الله بن محمد

رافق الرشيد وهلك بطوس أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، وأحمد بن عبد الله الدوري، قالوا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: عبد الله بن محمد عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة، ولاة أمير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة، وكان معه حتى هلك بطوس، مخرج أمير المؤمنين الرشيد إلى خراسان، الذي هلك فيه الرشيد.

القاضي عبد الله بن محمد الخلنجي

وعفته وديانته حدثنا علي بن الحسن، أن طلحة بن محمد بن جعفر، قال: عزل الواثق، عبد الرحمن بن إسحاق واستقضى عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي يزيد الخلنجي، وكان من أصحاب أبي عبد الله بن أبي

دؤاد، حاذقاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، واسع العلم، ضابطاً، وكان يصحب ابن سماعة، وتقلد المظالم بالجليل.

فأخبرنا ابن أبي دؤاد أنه مستقل عالم بالقضاء ووجوهه، فسأل عنه ابن سماعة، فشهد له، فكلم ابن أبي دؤاد المعتصم، فولاه قضاء همذان، فأقام نحواً من عشرين سنة لا يشكى، وتلطف له محمد بن الجهم في مال عظيم فلم يقبله.

ولما ولي الشرقية، ظهرت عفته، وديانته، لأهل بغداد، وكان فيه كبر شديد. وكتب إليه المعتصم في أن يمتحن الناس، وكان يضبط نفسه، فتقدمت إليه امرأة فقالت: إن زوجي لا يقول بقول أمير المؤمنين في القرآن، ففرق بيني وبينه، فصاح عليها. فلما كان في سنة سبع وثلاثين، في جمادى، عزله المتوكل، وأمر أن يكشف، لفصحته، بسبب ما امتحن الناس في خلق القرآن.

فأخبرني الطبري محمد بن جرير، قال: أقيم الخلعجي للناس سنة سبع وثلاثين ومائتين. قال طلحة: وأخبرني عمر بن الحسن، قال: كشف الخلعجي، فما انكشف عليه أنه أخذ حبة واحدة. يانفس صبراً لعل الخير عقبك

أخبرنا علي بن الحسن المعدل، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا أبو بكر الصولي، قال: كان القاسم بن عبيد الله الوزير، قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله، إلى صاحب الشرطة، مؤنس الخادم، أن يوجه إلى عبد الله بن المعتز، وقصي ابن المؤيد، وعبد العزيز بن المعتمد، فيحسبهم في دار، ففعل ذلك. فكانوا محبين خائفين، إلى أن قدم المكتفي بالله بغداد، فعرف خبرهم، فأمر باطلاقهم، ووصل كل واحد منهم بألف دينار.

قال: فحدثنا ابن المعتز، قال: سهرت ليلة دخل في صيحتها المكتفي إلى بغداد، فلم أتم خوفاً على نفسي، وقلقاً بوروده.

فمرت بي في السحر طير فصاحت، فتمنيت أن أكون مخلى مثلها، لما يجري علي من النكبات. ثم فكرت في نعم الله علي، وما خارته لي من الإسلام، والقراءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أوامره من البقاء الدائم في الآخرة، فقلت في الحال:

يانفس صبراً لعل الخير عقبك ... خانتك من بعد طول المن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها ... طوباك ياليتني إياك طوباك
لكن هو الدهر فالتقيه على حذر ... فرب مثلك تنزو بين إشراك

أبو القاسم بن بنت منيع يفيد مائتي دينار

من نسخ مغازي ابن إسحاق حدثنا علي بن أبي علي المعدل، قال: حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن بن جعفر البزاز، قال: حدثني أبو القاسم بن بنت منيع، قال: كت أورك، فسألت جدي أحمد بن منيع أن

يمضي معي إلى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، يسأله أن يعطيني الجزء الأول من المغازي عن أبيه، عن ابن إسحاق، حتى أورقه عليه.

فجاء معي، وسأله، فأعطاني الجزء الأول، فأخذته وطففت به.

فأول ما بدأت بأبي عبد الله بن المغلس، وأريته الكتاب، وأعلمته أني أريد أن أقرأ المغازي على سعيد الأموي، فدفعت إلي عشرين ديناراً، قال: اكتب لي منه نسخة. ثم طفت بعده بقية يومي، فلم أزل آخذ من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير، وأكثر وأقل، إلى أن حصل معي في ذلك اليوم مائتا دينار.

فكتبت نسخاً لأصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأتها لهم، واستفضلت الباقي.

ثلاثة يسلمن إلى الأجل

أنشدني القاضي أبو القاسم التوحي، قال: أنشدني أبو محمد عبد الله ابن محمد الباقي، لنفسه:

ثلاثة ما اجتمعن في رجل ... إلا وأسلمنه إلى الأجل

ذل اغتراب، وفاقة، وهوى ... وكلها سائق على عجل

يا عاذل العاشقين إنك لو ... أنصفت رفهتهم عن العذل

فإنهم لو عرفت صورتهم عن عذل العاذلين في شغل

رأي ابن مهدي في سفيان

ومالك وشعبه وابن المبارك أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصفار، قال: حدثنا أبو علي أحمد بن علي بن شعيب المدائني بمصر، قال: حدثنا محمد بن عمر، وهو ابن نافع المعدل، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شبويه، قال: حدثنا الثقة عن ابن مهدي قال: ما رأيت رجلاً أعلم بالحديث من سفيان الثوري، ولا أحسن عقلاً من مالك، ولا أقشف من شعبه، ولا أنفع لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك.

عبد الله بن صعب

يتكلم في أمر المدينة في العطاء والقسم أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن العباس وأحمد بن عبد الله الدوري، قالوا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن مسلمة المخرومي قال: كان مالك بن أنس، إذا ذكر عبد الله بن مصعب، قال: المبارك. وكان يتكلم في أمر المدينة في العطاء والقسم، وكان في صحابة أمير المؤمنين المهدي، وولاه الإمامة.

فقال له: يا أمير المؤمنين، إني أقدم بلداً أنا جاهل بأهله، فأعني برجلين من أهل المدينة، لهما فضل وعلم، عبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد الله بن محمد بن عجلان، فأعانه بهما، وكتب في إشخاصهما إليه. قال الزبير: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: كان سبب اتصال عبد الله بن مصعب بأمر المؤمنين المهدي، أن أمير المؤمنين المهدي، قدم المدينة سنة ستين ومائة، فدى المقصورة وجلس للناس في المسجد، فجعلوا يدخلون عليه، ويأمرهم بالجوائز، ويحضرهم الشفعاء من وزرائه. وكان رجال قد أحسوا بجلوس أمير المؤمنين المهدي، وما يزيد في الناس، وطلبوا الشافعات. ودخل عليه عبد الله بن مصعب بغير شفيع، وكان وسيماً جميلاً، ومفوهاً فصيحاً، وقد عرفت له مروءته وقدره بالبلد، قبل ذلك. فتكلم بين يدي أمير المؤمنين المهدي، فأعجب به، وأحق جائزته بأفضل جوائزهم، وكساه كسوة خاصة، وأدخله في صحابته، وخرج به معه إلى بغداد.

فقال عبد الله بن مصعب:

ولما وجه الشفعاء قوماً ... علا خطبي فجعل عن الشفيع
وجاء يدافع الأركان عني ... أب لي في ذرى ركن منيع
أب يترنح الأنباء منه ... إذا انتسبوا إلى الشرف الرفيع
سعى فحوى المكارم ثم ألقى ... مساعيه إلى غير المضيع
فورثني على رغم العادي ... مساعي لا ألف ولا وضع
فقممت بلا تنحل خارجي ... إذا عد الفعال ولا بديع
فإن يك قد تقدمني صنيع ... يشرفني فما وفي صنيعي
وكانت له من أمير المؤمنين المهدي، ومن أمير المؤمنين موسى، ومن أمير المؤمنين هارون الرشيد، خاصة ومنزلة.

مد لك الله الحياة مدا

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا أبو الفضل الربيعي، قال: لما ولد جعفر بن المأمون، المعروف بابن بختة، دخل المهنتون على المأمون، فهناؤوه بصنوف من التهاني.

وكان فيمن دخل العباس بن الأحنف، فمثل بين يديه قائماً، ثم أنشأ يقول:

مد لك الله الحياة مدا ... حتى يريك ابنك هذا جدا

ثم يفدي مقلما تفدي ... كأنه أنت إذا تبدا

أشبه منك قاماً وقد ... موزراً بمجلده مردى

فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم.

القاضي عبد الرحمن بن إسحاق

يحل محل إسماعيل بن حماد وبشر بن الوليد أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: عزل إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، فاستقضي مكانه عبد الرحمن ابن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة، مولى بني ضبة، وجده من أصحاب الدولة، وكان من أصحاب أبي حنيفة، حسن الفقه، وتقلد الحكم في أيام المأمون، وما زال إلى آخر أيام المعتصم. ولما عزل المأمون بشر بن الوليد، ضم عمله إلى عبد الرحمن بن إسحاق، وكان على قضاء الشرقية، فصار على الحكم بالجانب الغربي بأسره.

أبو عبد الله الختلي

يحدث في البصرة بخمسين ألف حديث من حفظه أخبرني علي بن الحسن التوخي، قال: أخبرني أبي، قال: دخل إلينا أبو عبد الله الختلي إلى البصرة، وهو صاحب حديث جلد، وكان مشهوراً بالحفظ. فجاء وليس معه شيء من كتبه، فحدث شهوراً، إلى أن لحقته كتبه. فسمعتة يقول: حدثت بخمسين ألف حديث من حفظي، إلى أن لحقني كتي. كأن رقيباً منك يرعى خواطري أخبرنا التوخي، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أنبأنا عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر، قال: أنشدني البحري: كأن رقيباً منك يرعى خواطري ... وآخر يرعى ناظري ولساني فما أبصرت عيناى بعدك منظراً ... يسوءك إلا قلت قد رمقاني ولا بدرت من في بعدك مزحة ... لغيرك إلا قلت قد سمعاني إذ ما تسلى العاذرون عن الهوى ... بشرب مدام أو سماع قيان وجدت الذي يسلي سواي يشوقني ... إلى قربكم حتى أمل مكاني وفتيان صدق قد سئمت لقاءهم ... وعففت طرفي عنهم ولساني وما الدهر أسلى عنهم غير أنني ... أراك على كل الجهات تراني

عبيد الله بن أحمد بن غالب

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: كان عبيد الله بن أحمد بن غالب، فقيهاً، عالماً، على مذهب أهل العراق، وكان من أصحاب ابن أبي دؤاد، وهو خال عمر بن غالب. وكان مولده سنة ثمانين ومائة، ولم حدث بشيء فيما أعلمه.

لا تمجري فإني لست ذا جلد

أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا أبو طالب عبد العزيز بن أحمد الدنقشي، قال: قال لي أبو عبد الله الحسن بن علي بن سلمة: أنشدت أبا الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي: ما إن ذكرتك في قوم أحدثهم ... إلا وجدت فنوراً يت أحشائي فأنشدني لنفسه، يريد تضمين هذا البيت:

كم لوعة في الحشا أبقت به سقماً ... خوفاً لهجرك أو خوفاً من النائي
لا تمجني فإني لست ذا جلدٍ ... ولا اضطبار على هجر الأخلاء
الله يعلم ما حملت من سقمٍ ... وما تضمنته من شدة الداء
لو أن أعضاء صب خاطبت بشراً ... لخاطبتك بوجدني كل أعضائي
فارعي حقوق فتى لا ينبغي شططاً ... إلا السلام بإيجاء وإيماء
هذا على وزن بين كنت منشده ... عارٍ إذا كان من لحن وإقواء
ما إن ذكرتك في قوم أحدثهم ... إلا وجدت فنوراً بين أحشائي
ولا هممت بشرب الماء من عطش ... إلا رأيت خيالاً منك في الماء

من شعر أبي الحسن الكرخي

أخبرنا التنوخي، قال: حدثنا أبو طالب الدنقشي، قال: قال لي أبو عبد الله الحسن بن علي بن سلمة، قال: أنشدني أبو الحسن الكرخي لنفسه:

حسبي سمواً في الهوى أن تعلمنا ... أن ليس حق مودتي أن أظلما
ثم امض في ظلمي على علمٍ به ... لا مقصراً عنه ولا متلوماً
فوحق ما أخذ الهوى من مقلي ... وأذاب من جسمي عليك وأسقما
لجفاك عن علم بما ألقى به ... أحظى لدي من الرضا متجهما

العالم العاقل ابن نفسه

قال لي التنوخي: بلغني أن أبا محمد بن معروف، جلس يوماً للحكم في جامع الرصافة، فستدعي أصحاب القصص إليه، فتتبعها، ووقع على أكثرها.

ثم نظر في بعضها، فإذا فيها ذكر له بالقبيح، وموافقته على وضاعته، وسقوط أصله، ثم تنبيهه وتذكيره بأحوال غير جميلة، وتعيد ذلك عليه.

فقلب الرقعة، وكتب على ظهرها:

العالم العاقل ابن نفسه ... أغناه جنس علمه عن جنسه
كن ابن من شئت ولكن كيساً ... فإنما المرء بفضل كيسه

كم بين من تكرمه لغيره ... وبين من تكرمه لنفسه
من إنما حياته لغيره ... فيومه أولى به من أمسه

لا رد الله غربتك

أخبرنا السوخي، قال: حدثنا جماعة من أصدقائنا عن أبي عبد الله بن بطة العكبري، قال: انحدرت لأقرأ على أبي بكر بن مجاهد، فوافيت إلى مسجده، فجلست فيه بالقرب منه.
فلما قرأ الجماعة، نظرت فإذا سبقي بعيد، فدنوت منه، وقلت: يا أستاذ، خذ علي.
فقال: ليس السبق لك.
فقلت له: أنا غريب، وينبغي أن تقدمني.
فقال: إي لعمرى، من أي بلد أنت؟ فقلت: من بلد يقال له عكبرا.
فقال لأصحابه: بلد غريب، ما سمعنا به، ومسافة شاسعة.
ثم ضحك والفت إلي، وقال لي: لا رد الله غربتك، مع أمك تغديت، وجئت إلي.

أكني بغيرك

أخبرنا السوخي، قال: نقلت من خط أبي إسحاق الصابي:
أكني بغيرك في شعري وأعينك ... تقيّة وحذراً من أعاديك
فإن سمعت يأنسان شغفت به ... فإنما هو ستر دون حييك
غالطتهم دون شخص لا وجود له ... معناه أنت ولكن لا أسميك
أخاف من مسعدي في الحب زلته ... وكيف آمن فيه كيد واشيك
ولو كشفت لهم ما بي وبحت به ... لاستعبروا رحمة من محنتي فيك

وظريف زوال وجد بوجد

قال التنوخي: أنشدني أبو العباس الزراري لنفسه:
لي صديق قد صيغ من سوء عهد ... ورماني الزمان فيه بصد
كان وجدي به فصار عليه ... وظريف زوال وجد بوجد

القاضي عبد الملك بن حزم

توفي، فصلى عليه الرشيد أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استقضى
الرشيد عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أياماً، ومات، فصلى عليه هارون الرشيد، ودفن

في مقابر العباسية بنت المهدي، وذلك في سنة ثمان وسبعين ومائة.
وكان جليلاً من أهل بين العلم والسير والحديث.

المنصور بعفو عن أحد الثائرين عليه

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، وأحمد بن عبد الله الدوري، قالوا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني مصعب بن عثمان، ومحمد بن الضحاك الحزامي، ومحمد بن الحسن المخرمي، وغيرهم: أن عبد العزيز بن عبد الله، كان ممن أسر مع محمد بن عبد الله بن حسن، فلما قتل محمد، حمل عبد العزيز إلى أمير المؤمنين المنصور في حديد.
فلما أدخل عليه، قال له: ما رضى أن خرجت علي، حتى خرجت معك بثلاثة أسيافٍ من ولدك؟ فقال له عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، صل رحمي، واعف عني، واحفظ في عمر بن الخطاب.
فقال: افعل، فعفا عنه.

فقال له عبد الله بن الربيع المدائني: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه، لا يطمع فيك فتيان قريش.
فقال له أمير المؤمنين المنصور: إذا قتلت هذا فعلى من أحب أن أتأمر؟.

قرشية اختارت لنفسها

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا المخلص محمد بن عبد الرحمن، وأحمد بن عبد الله الدوري، قالوا: حدثنا أحمد بن سليمان، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري، عن أبي هريرة بن جعفر الخري، مولى أبي هريرة.
أن الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، خطبا امرأة من قريش، فاختلعا عليها في جهالها، فجعلت تسأل وتستبحث.
إلى أن خرجت تريد صلاة العتمة في المسجد، فرأتهما قائمين في القمر، يتعاتبان في أمرها، ووجه عبد العزيز إليها، وظهر محمد إليها.

فنظرت إلى بياض عبد العزيز، وطوله، فقالت: ما يسأل عن هذين، وتزوجت عبد العزيز.
فجمع الناس، وأولم لدخولها، فبعث إلى محمد بن عبد الله بن عمرو، فدعاه فيمن دعا، فأكرمه، وأجلسه في مجلس شريف.

فلما فرغ الناس، برك له محمد، وخرج وهو يقول:
وبينا أرحي أن أكون وليها ... رميت بعرقٍ من وليمتها سخن

عبد العزيز الأعرج

لا يمك شيئا لفرط سخائه أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، وأحمد بن عبد الله الدوري، قالوا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز الذي يقال له الأعرج، كان يحيى بن خالد بن برمك قد أصحبه، فقدم عليه، ووصله يحيى بأموال كثيرة، وكان رجلاً لا يمك شيئا، ينفق المال ويتوسع فيه، فلم يدع من ذلك المال كثير شيء، حتى هلك.

وأمه، أمة الرحمن بنت حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

ابن البقال أحد المتكلمين الشيعة الزيدية

قال لي أبو القاسم التنوخي: كان ابن البقال أحد المتكلمين من الشيعة، وله كتب مصنفة على مذهب الزيدية، تجمع حديثاً كثيراً. وله أخ شاعر مشهور.

عبد العزيز بن حماد الدنقشي

قاضي رامهرمز أخبرنا التنوخي، قال: حدثنا أبو طالب عبد العزيز بن أحمد بن محمد ابن افضل بن أحمد بن محمد بن حماد الدنقشي، قاضي رامهرمز ببغداد في سنة إحدى وسبعين وثلثمائة، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، قال: حدثنا أبو عبيد الله المخزومي قال: حدثنا سفيان بن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن عمران بن حصين، وأبي بكرة ومعقل بن يسار وأبي برزة الأسلمي وأنس بن مالك، قالوا جميعاً: ما سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قط قام فينا خطيباً إلا وهو ينهانا عن المثلة، ويأمرنا بالصدقة. قال لنا التنوخي: قال لنا أبو طالب الدنقشي، ولدت ببغداد، في مدينة المنصور سنة اثنتين وثلثمائة. قال: وكان حماد يلقب بدنقش، وهو مولى المنصور، وصاحب حرسه. وكان محمد بن حماد، أحد القواد بسر من رأى مع صالح بن وصيف ثم ولي الشرطة بها للمهتدي بالله. وكان أبو عيسى أحمد بن محمد أميناً من أماء القضاة.

وتأخذ من جوانبنا الليالي

أنشدنا التنوخي، قال: أنشدنا أبو نصر بن نباتة لنفسه:
وتأخذ من جوانبنا الليالي ... كما اخذ المساء من الصباح
أما في أهلها رجل لبيب ... يحس فيشتكي ألم الجراح
أرى التشمير فيها كالتواني ... وحرمان العطية كالنجاح
ومن تحت التراب كمن علاه ... يرى الأرزاق في ضرب القداح

كيف الظن بمن هو أرحم الراحمين

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله الشاهد، قال: كنت أمشي يوماً مع أبي طاهر بن أبي هاشم المقرئ، وكان أستاذي، فاجتزنا بمقابر الخيزران، فوقف عليها ساعة. ثم التفت إلي، فقال لي: يا أبا القاسم، ترى لو وقف هؤلاء هذه المدة الطويلة على باب ملك الروم، ما رحمهم؟ فكيف تظن بمن هو أرحم الراحمين؟ وبكى.

تشابهت الطباع

أنشدنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التتوخي، قال: أنشدنا أبو الفرج البغاء لنفسه:
أكل وميض بارقة كدوب ... أما في الدهر شيء لا يريب
تشابهت الطباع فلا دين ... يحين إلى الشاء ولا حسيب
وشاع البخل في الأشياء حتى ... يكاد يشح بالريح المهبوب
فكيف أخص باسم العيب شيئاً ... وأكثر ما نشاهده معيب

سقطت على الخير

أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن علي، قال: حدثنا أبو عمر بن حيوية، قراءة عليه، قال: حدثنا أبو بكر بن المرزبان، إجازة، قال: أنشدني منشد للحسن بن وهب:
جس عرقي، فقال: حب طيبي ... ما له في علاجه من نصيب
فغمزت الطيب سرّاً بعيني ... ثم حلفته بحق الصليب
لا تقل لوعة الهوى أسقمتهفينالوا بدعوة من حبيبي
أنشد:

دواعي السقم تخبر عن ضميري ... وتخبر عن مفارقتي سروري
ألا يا سائلي عن سوء حالي ... وعن شأني سقطت على الخير
شربت من الصبابة كأس سقم ... بعيني شادن ظبي غري

فمن ذا يداوي جوى باطنا

أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التتوخي، إجازة، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قراءة عليه، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف، قال: قال عمر بن أبي ربيعة:
طيبي دوايتما ظاهراً ... فمن يداوي جوى باطنا
فعوجا على منزل بالغميم ... فأني هويت به شادنا

المتوكل يخبر أهل بغداد

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: عزل المتوكل عبيد الله بن أحمد بن غالب، في سنة أربع وثلاثين ومائتين واستقضى عبد السلام بن عبد الرحمن بن صخر، يعرف بالوابصي، وكان قبل ذلك، على قضاء الرقة. وبعد أن صرف عن بغداد، ولي قضاء الرقة أيضاً، وكان رجلاً جميل الطريقة. وكان أهل بغداد قد ضجوا من أصحاب أحمد بن أبي دؤاد، وقالوا بعد أن عزل عبيد الله بن أحمد بن غالب: لا يلي علينا إلا من نرضى به. فكتب المتوكل العهد مطلقاً، ليس عليه اسم واحد، وأنفذه من سر من رأى مع يعقوب قوصرة، أحد الحجاب الكبار، وقال: أحضر عبد السلام والشيخ، واقرأ العهد، فإن رضوا به قاضياً، فوقع على العهد اسمه. فقدم قوصرة، ففعل ذلك، فصاح الناس: ما نريد غير الوابصي. فوقع في الكتاب اسمه وحكم من وقته في الرصافة.

الصاحي بموضع رجلي السكران

أعرف من السكران بموضع رجلي نفسه أخبرنا التوخي، قال: سمعت أبا الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، يقول: سمعت أبا هاشم الجبائي يقول: سألتني بعض أصحابنا عن مسألة، فأجبتة عنها، فقال لي: يا أبا هاشم لا تطني لم أكن أعرف هذا. فقلت له: الصاحي بموضع رجلي السكران، اعرف من السكران بموضع رجلي نفسه. يعني: أن العالم أعلم بمقدار ما يحسنه الجاهل، من الجاهل بقدر ما يحسن.

المعتضد يستقضي أبا خازم القاضي

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استقضى المعتضد بالله على الشرقية، سنة ثلاث وثمانين ومائتين، أبا خازم، عبد الحميد بن عبد العزيز، وكان رجلاً ديناً، ورعاً، عالماً بمذهب أهل العراق، والفرائض والحساب، والذرع والقسمة، حسن العلم بالجبر والمقابلة، وحساب الدور، وغامض الوصايا، والمناسخات، قدوة في العلم بصناعة الحكم، ومباشرة الخصوم، واحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات، والإقرارات. أخذ العلم عن هلال بن يحيى الرازي، وكان هذا أحد فقهاء الدنيا من أهل العراق، وأخذ عن بكر العمي، ومحمود الأنصاري، ثم صحب عبد الرحمن بن نائل بن نجيح، ومحمد بن شجاع، حتى كان جماعة يفضلونه على هؤلاء.

فأما علقه فلا نعلم أحداً رآه، فقال: إنه رأى أعقل منه.

ولقد حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن مانيداذ عن حامد بن العباس عن بيد الله بن سليمان بن وهب، أنه قال: ما رأيت رجلاً أعقل من الموفق، وأبي خازم القاضي.

وأما الحساب، فإن أبا الحسين عبد الواحد بن محمد الخصبني، أخبرني، قال: قال لي أبو برزة الحاسب: لا أعرف في الدنيا أحسب من أبي خازم.

قال: وقال ابن حبيب الذراع: كنا ونحن أحداث مع أبي خازم، فكنا نقعده قاضياً، ونتقدم إليه في الخصومات، فما مضت الأيام والليالي حتى صار قاضياً، وصرنا ذراعهم قال أبو الحسين: وبلغ من شدته في الحكم، أن المعتضد، وجه إليه بطريف المخلدي فقال له: إن لنا على الضبيعي - بيع كان للمعتضد ولغيره - مال، وقد بلغني أن غرماء أثبتوا عندك، وقد قسّطت لهم من ماله، فاجعلنا كأحدهم. فقال له أبو خازم: قل له: أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ذاكر لما قال لي وقت قلدي، إنه قد أخرج الأمر من عنقه، وجعله في عنقي، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل، لمدع إلا ببينة. فرجع إليه طريف، فأخبره.

فقال: قل له: فلان وفلان يشهدان، يعني لرجلين جليدين كانا في ذلك الوقت. فقال: يشهدان عندي، وأسأل عنهما، فإن زكيا قبلت شهادتهما، وإلا أمضيت ما قد ثبت عندي. فامتنع أولئك من الشهادة فزعاً، ولم يدفع إلى المعتضد شيئاً.

القاضي يحيى بن أكنم

يستخلف على الجانب الشرقي عيسى بن أبان أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما خرج المأمون إلى فم الصلح بسبب بوران، أخرج معه يحيى ابن أكنم، فاستخلف على الجانب الشرقي عيسى بن أبان، أحد الفقهاء في العراق، وله مسائل كثيرة، واحتجاج لمذهب أبي حنيفة، وكان خيراً فاضلاً.

بحق من أغراك بي زيدي

أنشدنا التوخي قال: أنشدنا عيسى بن علي بن عيسى الوزير، لنفسه:
قد فات ما ألقاه تحديدي ... وجل عن وصفي وتعديدي
وقلت للأيام هزءاً بها ... بحق من أغراك بي زيدي

القاضي عمر بن حبيب العدوي

لم ير قاض أهيّب منه أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: كان ل محمد بن عبد الله بن عائلة أخ يسمى زياد بن عبد الله، يخلف أخاه على القضاء بعسكر المهدي. فاستعان بعمر بن حبيب العدوي، ينظر في أمور الناس بالشرقية، فولاه المهدي، الشرقية رياسة، وقيل ولاه

من قبل أبي يوسف، ثم ولاه الرشيد قضاء البصرة، فقال ليحيى بن خالد: إنكم تبعثوني إلى ملك جبار، لا آمنه - يعني محمد بن سليمان - فبعث معه يحيى قائداً في مائة، فكان إذا جلس للقضاء، أقام الجند عن يمينه وعن يساره سمطين. فلم يكن قاض أهيب منه، وكان لا يكلم في طريق.

القاضي عمر بن حبيب العدوي

ينصبه المأمون قاضياً بالبصرة أخبرنا التوخي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا أبو العباس الكديمي، قال: حدثنا عمر بن حبيب العدوي القاضي، قال: وفدت مع وفد من أهل البصرة، حتى دخلنا على أمير المؤمنين المأمون فجلسنا، وكنت أصغرهم سناً. فطلب قاضياً يولى علينا بالبصرة، فبينما نحن كذلك، إذ جيء برجل مقيد بالحديد، مغلوله يده إلى عنقه، فحلت يده من عنقه، ثم جيء بنطح فوضع في وسطه، ومدت عنقه، وقام السيف شاهراً السيف، واستأذن أمير المؤمنين في ضرب عنقه، فأذن له، فرأيت أمراً فظيماً. فقلت في نفسي: والله لأتكلمن، فلعله أن ينجو. فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي. فقال لي: قل.

فقلت إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انه قال: إذا كان يوم القيامة، ينادي منادٍ من بطنان العرش: ليقم من عظم الله أجره، فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه فاعف عنه يا أمير المؤمنين عفا الله عنك. فقال لي: آله، إن أبي حدثك عن جدي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: آله، إن أباك حدثني عن جدك، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: صدقت، إن أبي حدثني عن جدي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، يا غلام، أطلق سبيله.

فأطلق سبيله، وأمر أن أولى القضاء.

ثم قال لي: عمن كتبت؟ قلت: أقدم من كتبت عنه داود بن أبي هند.

فقال: تحدث؟ قلت: لا.

قال: بلى، فحدث، فإن نفسي ما طلبت مني شيئاً إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديث، فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي، ويقال لي من حدثك؟ فأقول: حدثني فلان. قال: فقلت يا أمير المؤمنين، فلم لا تحدث؟ قال: لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث للناس.

القاضي أبو الحسين بن أبي عمر

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: استقضي المقتدر بالله، في يوم النصف من سنة عشر وثلثمائة، أبا الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد ابن زيد، وكان قبل هذا يخلف أباه على القضاء بالجانب الشرقي، والشرقية وسائر ما كان إلى قاضي القضاة أبي عمر، وذلك أنه استخلفه وله عشرون سنة.

ثم استقضي بعد استخلاف أبيه له على أعمال كثيرة من غير الحضرة، رياسة، ثم قلد مدينة السلام، في حياة أبيه أبي عمر.

وهذا رجل يستغني باشتهار فضله، عن الإطناب في وصفه، لأننا وجدنا البلغاء قد وصفوه فقصروا، والشعراء قد مدحوه فأكثروا، وكل يطلبون أمدده فيعجزون، إذ كان الله تعالى جعله نسج وحده، ومفرداً في عصره ووقته، في حفظ القرآن، والعلم بالحلال والحرام، والفائض، والكتاب، والحساب، والعلم واللغة، والنحو، والشعر، والحديث، والأخبار، ولنسب، وأكثر ما يتعاطاه الناس من العلوم، وأعطاه من شرف الأخلاق، وكرم الأعراق، والمجد المؤثل، والرأي المحصل، والفضل والنجابة، والفهم والإصابة، والقرينة الصافية، والمعرفة الثاقبة، والتفرد بكل فضل وفضيلة، والسمو إلى كل درجة رفيعة نبيلة، ومن محمود الخصال، والفضل والكلام، ما يطول شرحه.

وكان فقيهاً على مذهب مالك وأهل المدينة، مع معرفته بكثير من الاختلاف في الفقه، وكان صنف مسنداً، ورأيت بعضه، وكان في نهاية الحسن، وكان يذكر به، وكان يحفظ عن جده يوسف، أحاديث.

ولم يزل على قضاء إلى يوم توفي، رحمه الله.

ما مات من بقيت له بعد موته

أخبرني علي بن أبي علي، قال: حدثنا أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد، قال: دخلت على أبي الحسين بن أبي عمر القاضي معزياً له عن أبيه، فلما وقع طرفي عليه، قلت:

وما مات من تبقى له بعد موته ... ولا غاب من أمسى له منك شاهد
قال: فكتبته في الوقت، ولم يشغله الحال.

غلبتني على الفؤاد المموم

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، أخبرنا أبو عمر ابن حيويه، أنبأنا أبو بكر ابن الأنباري، أنشدنا إبراهيم بن عبد الله الوراق محمد بن أمية:

شغلتنني بها ولم ترع عهدي ... ثم منت وعهدا لا يدوم
ورأتني أبكي إليها فقالت: ... يتباكى كأنه مظلوم

علم الله أني مظلوم ... وحبيبي بما أقول عليم
ليس لي في الفؤاد حظ فأشكو ... غلبتني على الفؤاد الهموم

القاضي عثمان بن طلحة

كان لا يرتق على القضاء أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الذهبي، وأحمد بن عبد الله الوراق، قالوا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: عثمان بن طلحة كان من أهل الحياة والنعمة والقدر، ولاه أمير المؤمنين المهدي قضاء المدينة، فلم يكن يأخذ عليه رزقاً. فقليل له في ذلك، فقال: أكره أن أرتق، فيضربني ذلك بولاية القضاء، ثم استعفى أمير المؤمنين من القضاء فأعفاه.

قال الزبير: وحدثنا عثمان بن عبد الرحمن، قال:

جلس يوماً عثمان بن طلحة مع العباس بن محمد ببغداد، فقال له العباس: دلني على خفيف بنخله، أشتريه وأعتلمه.

قالك قد وقعت عليه.

قالك عند من؟ قال: عندي.

قال: بكم هو؟ قال: بخمسة آلاف دينار.

فاشتراه منه، وما سأله عنه غيره، وأعطاه الثمن على ما قال.

الفراء يقر للكسائي بالرياسة

أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، وعلي بن الحسن التنوخي، قالوا: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا الصولي، قال: أخبرنا الحزنبل، قال: حدثنا سلمة بن عاصم، قال: حدثني الفراء، قال: قال لي قوم: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم؟ فأعجبتني نفسي، فناظرته، وزدت، فكأنني كنت طائراً أشرب من بحر.

سبب تسمية صالح بصاحب المصلي

أخبرنا التنوخي، قال: سمعت أبا الفرج محمد بن جعفر بن الحسن بن سليمان بن علي بن صالح، صاحب المصلي، وسأله أبي، عن سبب تسمية جده بصاحب المصلي، فقال: إن صالحاً جدنا كان ممن جاء مع أبي مسلم إلى السفاح، وكان من أولاد ملوك خراسان، من أهل بلخ. فلما أراد المنصور إنفاذ أبي مسلم لحرب عبد الله بن علي، سأله أن يخلفه وجماعة من أولاد ملوك خراسان بحضرته، منهم الخرسي، وشبيب ابن واج، وغيرهم، فخلفهم، واستخدمهم المنصور.

فلما أنفذ أبو مسلم خزائن عبد الله بن علي يد يقطين بن موسى، عرضها المنصور على صالح، والخرسي، وشبيب، وغيرهم، ممن كان اجتذبهم من جنية أبي مسلم، واستخلصهم لنفسه. وقال: من أراد من هذه الخزائن شيئاً فليأخذه، فقد وهبته له، فاختار كل واحد منهم شيئاً جليلاً. فاختار صالح حصيراً للصلاة من عمل مصر، ذكر أنه كان في خزائن بني أمية، وأنهم ذكروا أنه كان النبي صلى الله عليه وسلم، صلى عليه.

فقال له المنصور: إن هذا لا يصلح أن يكون إلا من في خزائن الخلفاء. فقال: قلت إنك قد وهبت لكل إنسان ما اختاره، ولست أختار إلا هذا. فقال: خذه على شرط أن تحمله في الأعياد والجمع، ففترشه لي، حتى أصلي عليه. فقال: نعم.

فكان المنصور إذا أراد الركوب إلى المصلى أو الجمعة، اعلم صالحاً، فأنفذ صالح الحصير ففرشه له، فإذا صلى عليه، أمر به، فحمل إلى داره، فسمي لهذا: صاحب المصلى. فلم يزل الحصير عدنا إلى أن أنتهى إلى سليمان جدي، وكان يخرج به كما كان أبوه وجده يخرجانه للخلفاء. فلما مات سليمان في أيام المعتصم، ارتجع المعتصم الحصير، وأخذ به إلى خزائنه.

القاضي علي بن ظبيان

يجلس على بارية مثل البارية التي يجلس عليها الخصوم أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني علي بن محمد بن عبيد، عن أحمد بن زهير عن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني عبيد بن ثابت مولى بني عباس، كوفي، قال: كتبت إلى علي بن ظبيان، وهو قاضٍ ببغداد: بلغني أنك تجلس على بارية، وقد كان من قبلك من القضاة يجلسون على الوطاء، ويتكئون. فكتب إلي: إني لأستحي أن يجلس بين يدي رجلان حران مسلمان على بارية، وأنا على وطاء، لست أجلس إلا على ما يجلس عليه الخصوم.

من شعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي

أخبرنا التوخي، والجوهري، قالوا: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني قال: حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، قال: قال محمد بن حبيب، حدثنا أبو عكرمة وعامر بن عمران الضبي، قالوا: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين الرشيد يوماً، فقال: أنشدني من شعرك، فأنشدته: وآمرة بالخل قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... نجياً له في العالمين خليل
ومن خير حالات الفتى لو علمته ... إذا نال خيراً أن يكون ينيل
عطائي عطاء المكثرين تكروماً ومالي كما قد تعلمين قليل

وإني رأيت البخل يزري بأهله ... ويحقر يوماً أن يقال بخيل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأي أمير المؤمنين جميل
قال: لا تخف إن شاء الله، يا فضل أعطه مائة ألف درهم، لله در أبيات تأتيها بها، ما أحسن فصولها، وأثبت
أصولها.

فقلت: يا أمير المؤمنين، كلامك أجود من شعري.
قال: أحسنت، يا فضل، أعطه مائة ألف أخرى.

أنت لنا شمس، وفتح لنا قمر

أنبأني غير واحد من تقدم ذكرهم في أول الكتاب، عن أبي اليمن، زيد ابن الحسن الكندي، وأنبأني غير
واحد، من تقدم ذكرهم، وأبو الفضل ابن أبي الحسين الدمشقي، وغيره، عن المؤيد بن محمد الطوسي، وأبو
الفرج البغدادي، عن أبي أحمد بن علي الأمين، وأبو حفص بن القواس، وغيره، عن عبد الصمد الحدادني،
كلهم، عن أبي بكر بن أبي طاهر، عن أبي القاسم علي بن الحسن التوحي، عن أبيه، عن أبي الفرج
الأصبهاني، قال: حدثني أحمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن سهل الكاتب، وكان أحد الكتاب
لصاعد، قال: سمعت الحسن بن محمد يحدث: إن رجلاً من أهل اليمامة، قدم بجارتين، شاعرتين، من مولدات
اليمامة، على المتوكل، فعرضهما عليه، من جهة الفتح، فظفر إلى أجهلهما، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: سعاد.
قال: أنت شاعرة؟ قالت: كذا يزعم مالكي.

قال: فتولي في مجلسنا هذا، شعراً، ترتليته، وتذكريني فيه، وتذكرين الفتح.
فتوقفت هنيهة ثم أنشدت:

أقول وقد أبصرت صورة جعفر ... إمام الهدى والفتح ذي العز والفخر
أشمس الضحى، أم شبهها وجه جعفر ... وبدر السماء الفتح أم مشبه البدر
فقال للآخرى: أنشدني أنت، فقالت:

أقول وقد أبصرت صورة جعفر ... تعالى الذي أعلاك يا سيد البشر
وأكمل نعماه بفتح ونصحته ... فأنت لنا شمس وفتح لنا قمر
فأمر بشراء الأولى، ورد الأخرى.
فقالت الأخرى: لم رددتني؟ قال: لأن في وجهك غمماً.
فقالت:

لم يسلم الظبي على حسنه ... يوماً ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خمس بين ... والبدر فيه كلف يعرف
فأمر بشراء الثانية.

القاضي يحيى بن سعيد

قاضي السفاح على الهاشمية أخبرنا علي بن الحسن، قال: حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر المعدل، قال: كان أبو جعفر لما قدم بغداد، معه يحيى بن سعيد وهو قاضٍ لأبي العباس السفاح على المدينة الهاشمية بالأنبار، ولحسن بن عمارة على المظالم.

يحيى بن سعيد

يضطره ضيق حاله وكثرة ديونه لتقلد القضاء أخبرنا التنوخي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني علي بن محمد بن عبيد عن أحمد بن زهير، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، قال: حدثني سليمان بن بلال، قال: كان يحيى بن سعيد قد ساءت حاله، وأصابه ضيق شديد، وركبه الدين، فبينما هو على ذلك، إذ جاءه كتاب أبي العباس، يستقصيه.

قال سليمان: فوكلني بأهله، وقال لي: والله ما خرجت وأنا أجهل شيئاً. فلما قدم العراق، كتب إلي: إني كنت قلت لك حين خرجت، قد خرجت وما أجهل شيئاً، وإنه والله لأول خصيمين جلسا بين يدي، فاقتضيا والله بشيء ما سمعته قط، فإذا جاءك كتابي هذا، فسل ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واكتب إلي بما يقول، ولا يعلم أني كتبت إليك بذلك.

مطيع بن إياس

يرثي يحيى بن زياد الحارثي أخبرنا التنوخي، قال: حدثنا أبو عبيد الله المرزباني، قال: أنشدنا علي بن سليمان الخفش، عن ثعلب، قال: قال مطيع بن إياس يرثي يحيى لن زياد الحارثي:
أقول للموت حين باديه ... والموت مقدمه على البهم
لو قد تدبرت ما سعت به ... قرعت سنأ عليه من ندم
أذهب بم شئت، إذ ذهب به ... ما بعد يحيى للرزء من ألم
قال: وأنشدنا ثعلب لمطيع بن إياس يرثي ابن زياد الحارثي:
قد راح يحيى ولو تطاوعني ال ... أقدار لم يبتكر ولم يرح
يا خير من يحمل البكاء به ال ... يوم ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد ... أدبل مكروهه من الفرح

الفراء يملئ دروسه من حفظه

قرأت على علي بن أبي علي البصري، عن طلحة بن محمد بن جعفر المعدل، قال: حدثنا أبو بكر بن مجاهد، قال: قال لي محمد بن الجهم: كان الفراء يخرج إلينا، وقد لبس ثيابه، في المسجد الذي في خندق عبويه،

وعلى رأسه قلنسوة كبيرة.

فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عشراً من القرآن، ثم يقول له: امسك فيملي من حفظه المجلس.

ثم يجيء مسلمة بعد ان ننصرف نحن، فيأخذ كتاب بعضنا، فيقرأ عليه، وغير، ويزيد، وينقص، فمن ههنا، وقع الاختلاف بين النسخين، قال ابن مجاهد: ما رأيت مع الفراء كتاباً قط، إلا كتاب يافع ويفعة. قال ابن مجاهد: وقال لنا ثعلب: لما مات الفراء لم يوجد له إلا رؤوس أسفاط فيها مسائل تذكره، وأبيات شعر.

أبو الغوث بن البحري

يمدح ابن بسطام حدثني التنوخي، عن أبي عبيد الله المرزباني، قال: أبو الغوث يجيى بن البحري الشاعر، قدم بغداد قبل الثلثمائة، وسمع منه وجوه أهلها أشعار أبيه، ونفي بعد ذلك.

قال: وهو القائل يمدح أبا العباس بن بسطام:

ملك تقوم له الملوك إذا اختبى ... وتخز للأذقان عند قيامه

برقت مخايل جوده وتخرفت ... بالنيل للعافين غر غمامه

صلحت به الأيام بعد فسادها ... وأضاء وجه الدهر بعد ظلامه

أبو حنيفة يشهد لأبي يوسف

بأنه أعلم من على الأرض أخبرنا علي بن أبي علي البصري، قال: حدثنا أبو ذر أحمد بن علي ابن محمد الاسترابادي قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الدمغاني الفقيه، قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزردى الطحاوي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي ثور الرعي، المعروف بابن عبدون قاضي إفريقية، قال: حدثني سليمان بن عمران، قال: حدثني أسد بن الفرات قال: سمعت محمد بن الحسن يقول: مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضاً خفيف عليه منه، قال: فعاده أبو حنيفة ونحن معه. فلما خرج من عنده، وضع يديه على عتبة بابه، وقال: إن يميت هذا الفتى، فإنه أعلم من عليها، وأوماً إلى الأرض.

اللهم إني لم أجر في حكم حكمت به

أخبرنا الشوخي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني مكرم بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن عطية، قال: سمعت محمد بن سماعة يقول: سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه، يقول: اللهم إنك تعلم أني لم أجر في حكم حكمت به بين عبادك متعمداً، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك،

وكل ما أشكل علي جعلت أبا حنيفة بيني وبينك، وكان عندي - والله - ممن يعرف يعرف أمرك، ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه.

أبو يوسف القاضي

يصلي في كل يوم مائتي ركعة أخبرنا التنوخي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد، قال: حدثني مكرم ابن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن عطية، قال: سمعت محمد بن سماعة، يقول: كان أبو يوسف يصلي - بعدما ولي القضاء - في كل يوم مائتي ركعة.

ما برع أحد في علم

إلا دلة على غيره من العلوم أخبرنا التنوخي، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: حدثنا أبو بكر الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: سمعت إسماعيل بن إسحاق يقول: ما أحد برع في علم إلا دله على غيره من العلوم.

فقال بشر المريسي للفراء: يا أبا زكريا، أريد أن أسألك عن مسألة في الفقه. فقال: سل.

فقال: ما تقول في رجل سها في سجلتي السهو؟ قال: لا شيء عليه. قال: من أين قلت هذا؟ قال: قسته على مذاهبتنا في العربية، وذلك إن المصغر عندنا لا يصغر، فكذلك، لا يلتفت إلى السهو في السهو. فسكت بشر.

الشريف أبو جعفر، ابن الجصاص المصري

كان بمصر شريف من ولد العباس، يعرف بأبي جعفر الشق، شبيهه بابن الجصاص في الغفلة، والجلد، والنعمة. قال أبو القاسم بن محمد التنوخي: بعثني لأبي إليه، من قرية تعرف بتلا يستقرضه عشرة أراذب قمحاً، وثلاثين زوج بقر، وكتب معي بذلك رقعة، فأتيت إليه، وسلمت عليه، ودفعت إليه الرقعة، فقال: ذكرت أباك بخير، وحرسه، وأسعده، فهو صاحبي، وصديقي، وخليطي، وأين هو الآن؟ فقلت: بقرية تلا، أعز الله سيدي الشريف.

قال: نعم، حفظه الله، هو بالفسطاط معنا، وقد انقطع عنا كذا، ما كنت أظنه إلا غائباً. قلت: لا يا سيدي، هو بتلا.

قال: فما لك ما قلت لي؟ فما كان سييله أن يؤنسي برقعة من قبله.

قلت: يا سيدي، قد دفعت إليك رقعته.

قال: وأين هي؟ قلت: تحت البساط.

فأخذها، وقرأها، وقال: قل لي الآن، كان لك أخ أعرفه، حار الرأس، حاد الذهن، يحسن النحو والعروض والشعر، فما فعل الله به؟ قلت: أنا هو، أعزك الله.

قال: كبرت كذا، وعهدي بك تأتي معي، وأنت بركة، مخطئة، لعقه، قردلاش. قلت: نعم، أيد الله الشريف.

قال: وما الذي جئت فيه؟ قلت له: والدي بعثني إليك برقعة، يسألك فيها، قرض عشرة أراذب قمحاً، وثلاثين زوج بقر. قال: وهو الآن بالفسطاط؟ قلت: لا يا سيدي، هو بتلا.

قال: نعم، وإنما ذاك الفتى أخوك؟ قلت: لا، أنا هو.

فهو يراجعني الكلام، وقد ضجرت من شدة غفلته، وكثرة نسانه لما أقول له، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين. فقال له: سل هذا الفتى ما أراد؟ فسألني، فعرفته، فأخبره.

فقال: نفذ حاجته.

فوقع لي الكاتب بما أراد، وقال: تلقاني للقبض بالديوان.

فشكرت الشريف، ونهضت، فقال: اصبر يا بني، فقد حضر طعامنا وقدم الطعام، وفيه حصرمية غير محكمة، فرفع يده، وقال: مثل مطبخي، يكون فيه مثل هذه؟ علي بالطباخ، فأتى.

فقال له: ما هذا العمل؟ فقال: يا سيدي، إنما أنا صانع، وعلى قدر ما أعطى، أعمل، وقد سألت المنفق أن يشتري لي ما أحتاج إليه، فتأخر عني، فعملت على غير تمكن، فجاء التقصير كما ترى. فقال: علي بالمنفق.

فأحضر. فقال: ما لي قليل؟ قال: لا يا سيدي، بل عنك نعم واسعة.

قال: فما لك تضايقنا في النفقة؟ ولا توسع كما وسع الله علينا؟ قال: يا سيدي، إنما أنفق ما أعطى، وقد سألت الجهيد أن يدفع لي، فتأخر عني.

قال: علي بالجهيد.

فأتي به، فقال: ما لك لم تدفع للمنفق شيئاً؟ قال: لم يوقع لي الكاتب.

فقال الكاتب: لم لم تدفع إليه شيئاً؟ فعملتم في الكلام، ولم يكن عنده جواب.

فقال للكاتب: قف هنا، فوقف، ووقف خلفه الجهيد، ووقف خلف الجهيد المنفق، وخلف المنفق الطباخ.

وقال: نفيت من العباس، إن لم يصفع كل واحد منكم، من يليه بأكثر ما يقدر عليه. فتصافعوا.

قال: فخرجت، وأنا متعجب من غباوته، ورقاعته في هذا الحكم.

لقد ذهب الحمار بأم عمرو

ودخل عليه كاهه أبو الحسين، فوجده يبكي بكاء شديداً، ويقول: وانقصام ظهراه، واهلاكاه.

فقلت: ما للشريف، لا أبكى الله عينه؟ فقال: ماتت الكبيرة، يريد أمه، وكان باراً بها.

فقلت: ماتت؟ قال: نعم.

فشققت جيبي، وأظهرت من الجزع ما يجي للخلي، ثم إني أنكرت الحال، إذ لم أجد لذلك دليلاً. لا أحد يعزيه، ولا في الدار حركة، فبقيت حائراً حتى أتت الخادمة، فقالت: الكبيرة تقروك السلام، وتقول لك: أيش تأكل اليوم؟ قال: قول لها، ومتى أكلت قط بغير شهوتك؟ فقلت: يا سيدي، والكبيرة في الحياة؟ فقال: وأيش تظن أنها ماتت من حق؟ إنما رأيت البارحة في المنام، كأنها راكبة على حمار مصري، تسقيه من النيل، فذكرت قول للشاعر:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو

والله لقد أنسيت

وقال أبو الحسين، كاتبه: وأتيت إليه يوماً، وقد ماتت والدي، فعرفته، فبكى، وقال: ماتت كبيرتي ومريتي، وهو أكبر منها بأربعين سنة.

ثم قال لغلّامه: يا بشر، قم فجنني بعشرين ديناراً، فأثاه بها.

فقال: خذها، فاشتر بعشرة دنانير كفنّاً، وتصدق بخمسة دنانير على القبر. وأقبل يصرف الخمسة الباقية، فيما يحتاج إليه من تجهيزها.

ثم قال الغلام آخر: امض أنت يا لؤلؤ، إلى فلان صاحبنا، لا يفوتك، يغسلها.

فاستحييت منه، وقلت: يا سيدي، ابعت خلف فلانة، جارة لنا، تغسلها.

قال: يا أبا الحسين، ما تدع عقلك في فرح ولا حزن، كأن حرمك ما هي حرمي؟ كيف يدخل عليها من لا تعرفه؟ قلت: نعم، تأذن لي بذلك؟ قال: لا والله، وما يغسلها إلا فلان.

فقلت: وكيف يغسل رجل امرأة؟ قال: وإنما أملك امرأة؟ والله لقد أنسيت.

أبو جعفر في ضيافة أبي بكر المادرائي

وكان يوماً عند أبي بكر المادرائي، ثم خرج وهو طيب الحلق، فاجتاز بأبي زنبور، فسمع خفق أوتار، وغناء في داخل الدار، فوقف يتسمع، فرآه غلام لأبي زنبور، فدخل، فأعلم مولاه، فخرج حافياً، وقال: يا مولاي الشريف تشرفني بالدخول؟ قال: نعم.

فدخل، فقدم له طعاماً، فاكل، وشرب ثلاثة أقداح، وغني ثلاثة أصوات، وانصرف، فنام ليلته.

فلما أصبح، قال: يا بشرى، جنني الساعة، بأبي شامة العابر.

فأثاه به، فقال: رأيت البارحة، كأني خرجت من دار أحد إخواني، فاجتزت بدار حسنة، فسمعت خفق العيدان، وغناء القيان، فخرج إلي صاحب الدار، فأدخلني، فأفضيت إلى بستان في الساحة، وأمامه بهو جليل، في صدره شاذروان، وقد فرش المجلس بأنواع الديباج المثقل، وضربت ستارة فيها غرائب الصور، وعجائب الصنائع، وفيها قيان بأيديهن العيدان.

وهن يغنين أحسن الأغاني، فقدم لي خوان، عليه من كل الألوان، فأكلت، وشربت، وغنيت، وانصرفت.

ففسر له الرؤيا على ما يسره، فأمر له بخمسة دنانير.
ثم مر بعد أيام، بأبي زنبور، وهو جالس على باب داره، فقال له: يا سيدي الشريف، أما تشرفني بعودة؟
قال: إلى ماذا؟ قال: تنني لي عادة حضورك.
قال: ومتى تقدم لي ذلك؟ قال: ليلة كذا.
قال: وإنما خدعنا العابر، وأخذ متاعنا بالباطل، امضوا إليه وردوا الخمسة دنانير منه.
ثم فكر ساعة، وقال: دعوه، لعله أنفقها، وهو قعير.

بين الشريف أبي جعفر

وأبي زنبور الكاتب وشرب مرة أخرى عند أبي زنبور الكاتب، ومعه ابن المادرائي، وحضر القيان فغنين
أطيب غناء، فقام الشريف إلى قضاء الحاجة، فأتت دابة ابن المادرائي، فانصرف، والشريف في الخلاء،
فقضى حاجته، وعاد إلى موضعه.
وكان أبو زنبور، لما انصرف أبو بكر، جلس في دسسته، فالتفت إليه الشريف، وقال: يا أبا بكر، هذا الكلب،
أو زنبور، عنده مثل هذا السماع الطيب، ولا يمتعنا به كل وقت؟ إنما يدعوننا من مدة إلى مدة.
فقال له أبو زنبور: هو على قدر ما يتفق له من الفراغ، وهو مشغول مع سلطانه، في أكثر أيامه.
قال: لا والله، ما هو إلا كلب كلب، فاعل، صانع.
فقال له: أعز الله الشريف، أبو بكر انصرف، وأنا أو زنبور.
فقال له: اعذرنى، والله، ما ظننتك إلا ابن المادرائي.
فقال: أراك تشتمني غائباً وحاضراً.

يدعى للتبكير بالغداة

فيحضر العشيّة وقال له بعض أصحاب الإخشيد: أحب أن تبكر إلي بالغداة، في حاجة للأمير أيده الله،
وذكر الحاجة.
فقال: أنا آتيك أول الناس كلهم.
فمضى، وأكل، وشرب أقداحاً، ونام القاتلة، فاستيقظ بالعشي، فقام مدعوراً، فلبس ثيابه، وركب إلى
الرئيس، فاستأذن عليه، فدخل، وقال: اعذرنى أعزك الله، فقد حزبني النوم، والله ما صليت الصبح من
السرعة، ولقد آثرت الحجيء إليك عليها، وأنا أستغفر الله عنها.
فضحك حتى استلقى، وقال له: قد احتجنا إلى تأخير المر إلى الغد إن شاء الله.
قال: فأنا أبكر إليك على كل حال.
وانصرف.

نزلت في قلبي

أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي، إجازة، وحدثني أحمد ابن ثابت الحافظ عنه، قال: أنشدني أبو عبد الله بن الحجاج، لنفسه:

يا سيدي عبدك لم تقتله ... رأيت من بفعل ما تفعله
نزلت في قلبي فيا سيدي ... لم تخرب البيت الذي تنزله

كلبان يحميان صاحبهما من الثعبان

وحدثني بعض أصدقائي، قال: خرجت ليلة وأنا سكران، فقصدت بعض البساتين، لأمر من الأمور، ومعني كلبان كنت ربيتهما، ومعني عصا، فحملتني عيني، فإذا الكلبان ينبحان ويصيحان، فانتبهت لصياحهما، فلم أر شيئاً أنكره، فضربتتهما، وطردهما، وغمث. ثم عاودا الصياح والنباح، فانبهاني، فلم أر شيئاً أنكره أيضاً، فوثبت إليهما وطردهما. فما أحسست إلا وقد سقطا علي يحركاني بأيديهما وأرجلهما، كما يحرك اليقظان النائم، لأمر هائل. فوثبت، فإذا بأسود ساخ قد قرب مني، فوثبت إليه فقتلته وانصرفت إلى منزلي. فكان الكلبان - بعد الله عز وجل - سباً لخلاصي.

فجعت بمسمار

ويروى أنه كان لميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كلب يقال له مسمار، وكانت إذا حجت، خرجت به معها، فليس يطمع أحد بالقرب من رحلها مع مسمار، فإذا رجعت جعلته في بني جديلة، وأنفقت عليه.

فلما مات، قيل لها: مات مسمار.

فبكت، وقالت: فجعت بمسمار.

لم يبق لي طمع

قال أبو الفرج البغاء: كان القاضي أبو القاسم التنوخي، أنشدنا جميع شعره، أو أكثره، ولا أعلم هذه القطعة، فيما أنشدنا، هل هي له أم لا، وهي:

يا سادتي هذه روحي تودعكم ... إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع

قد كنت أطمع في رد الحياة لها ... فالآن مذ غيم لم يبق لي طمع

لا عذب الله روحي بالحياة فما ... أظنها بعدكم بالعيش تنتفع

كلب يهاجم خصم صاحبه

وحدثني إبراهيم بن بركان، قال: كان في جوارنا رجل من أهل أصبهان، يعرف بالخصيب، ومعه كلب له، جاء به إلى الجبل، فوقع بينه وبين جاره خصومة، إلى أن تواتبا. فلما رأى الكلب ذلك، وثب على الرجل الذي واثب صاحبه، فوضع مخالبه في إحدى عينيه، وعض قفاه، حتى رأيت الرجل قد غشي عليه، ودماؤه تجري على الأرض.

الكلب وعرفان الجميل

أخبرني أبو العلاء بن يوسف القاضي، قال: حدثني شيخ كان مسناً صدوقاً، أنه حج سنة من السنين، قال: وبرزنا أحمالنا إلى الياسرية، وجلسنا على قراح نتغدى وكلب رابض بجوارنا، فرمينا إليه من بعض ما نأكل. ثم ارتحلنا ونزلنا بنهر الملك، فلما قدمنا السفرة، إذا الكلب بعينه رابض بجوارنا، كالיום الأول. فقلت للغلمان: قد تبعنا هذا الكلب، وقد وجب حقه علينا، فتعهدوه، ونف الغلمان السفرة بين يديه، فأكل، ولم يزل تابعاً منا من منزل إلى منزل، على تلك الحال، لا يقدر أحد أن يقري جمالنا، ولا محاملنا، إلا صاح ونبح، فكنا قد أمنا من سلاس الطريق. ووصلنا إلى مكة، وقضينا حجتنا وعزمنا على الخروج في عمل إلى اليمن فكان معنا إلى أرض قبا، ورجعنا إلى مدينة السلام وهو معنا.

نسيم لورقد المخمور فيه أفاق

أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي إجازة، وحدثنا أحمد بن علي الحافظ عنه، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن العباس الأخباري، قال: أنشدني أبو نضلة، لنفسه:
ولما التقينا للوداع ولم يزل ... ينيل لثاماً وعناقاً
شممت نسيماً من يستجلب الكرى ... ولو رقد المخمور فيه أفاقاً

أموت وأحيا

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أنشدنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الأخباري، قا: أنشدنا ابن دريد، قال:
أنشدنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه، لآمرأة بدوية:
فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى ... بأوعر ركنه صفاً وحديد
تفطر من وجدٍ وذاب حديد ... وأمسى تراه العين وهو عميد
ثلاثون يوماً كل يوم وليلة ... أموت وأحيا إن ذا لشديد
مسافة أرض الشام ويحك قربي ... إلي ابن جواب وذاك يزيد
فليت ابن جواب من الناس حظنا ... وكان لنا في النار بعد خلود

البن صعب

وأخبرنا القاضي، قال: أنشدنا الثقة، بحضرة المرتضى
قالت وقد نالها للبن أوجه ... والبن صعب على الأحباب موقعه
أشد يدبك على قلبي فقد ضعفت ... قواه مما به لو كان ينفعه
أعطف علي المطايا ساعة فعسى ... من كان شئت شمل البن يجمعه
كأن يوم ولوا ساعة بمنى ... غريق بحر رأى شطاً ويمنعه

من شعر القاضي التنوخي

للقاضي التنوخي في المريخ والمشتري:
كأنما المريخ والمشتري ... قدامه في شامخ الرقعة
منصرف بالليل في ظلمة ... قد أسرجوا قدامه شمعه

مطر الربيع

أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي، قال: قرأت على أبي عمر بن حيويه، قال: أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم
بن محمد بن عرفة، لنفسه:
تواصلنا على الأيام باق ... ولكن هجرنا مطر الربيع
يروحك صوبه لكن تراه ... على علاته دائي التروع
كذا العشاق هجرهم دلال ... ويرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذا لله أن نلفى غضاباً ... سوى دل المطاع على المطيع

سقراط والعشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال: حدثنا أبو بكر بن
المرزبان، قال: قال سقراط الحكيم: العشق جنون، وهو ألوان، كما أن الجنون ألوان.

كلب يحمي طفل صاحبه

وحدثني صديق لي: أنه كان له صديق ماتت امرأته، وخلفت صبياً وكان له كلب قد رباه.
فترك يوماً ولده في الدار مع الكلب، وخرج لبعض الحوائج، وعاد بعد ساعة، فرأى الكلب في الدهليز،
وهو ملوث بالدم وجهه وبوزه كله.
فطن الرجل انه قد قتل ابنه وأكله، فعمد إلى الكلب فقتله، قبل أن يدخل الدار.

ثم دخل الدار، فوجد الصبي نائماً في مهده، وإلى جانبه بقية أفعى قد قتله الكلب، وأكل بعضه.
فندم الرجل على قتله أشد ندامة، ودفن الكلب.

كلب مالك بن الوليد يقتل زوجته وعشيقها

قال الأصمعي: كان لمالك بن الوليد أصدقاء لا يفارقهم، ولا يصبر عنهم.
فأرسل أحدهم إلى زوجته، فأجابته، وجاء ليلة، واستخفى في بعض دور مالك، عند امرأته، ومالك لا يعلم بشيء من ذلك.
فلما أخذوا في شأنهما، وثب كلب لمالك عليهما، فقتلهما، ومالك لا يعقل من السكر.
فلما أفاق، وقف عليهما، وأنشأ يقول:
كل كلب حفظته لك أرعى ... ما بقى لو بقي ليوم التناد
من خليل يخون في النفس والمال ... وفي العرس بعد صفو الوداد

من شعر أبي بكر النباري

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا التوخي قال: أنشدني أبو
العباس الكاتب، قال: أنشدنا أبو بكر الأنباري:
وكم من قائل قد قال دعه ... فلم يك وده لك بالسليم
فقلت إذا جزيت الغدر غدرًا ... فما فضل الكريم على اللئيم
وأيّن الإلف يعطفني عليه ... وأيّن رعاية الحق القديم

سكنت القلب

أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، رحمه الله، للشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الطاهر
أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي:
أذات الطوق لم أقرضك قلبي ... على ضني به ليضيع ديني
سكنت القلب حين خلقت منه ... فأنت من الحشا والناظرين
أحبك أن لونك مثل قلبي ... وإن ألبست لوناً غير لوني
عديني وامطلي أبداً فحسي ... وصلاً أن أراك وأن تريني
سقى الله أياماً خلّت
أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى
الرماني النحوي، قال: حدثنا أبو بكر بن دريد، قال: أنشدنا عبد الرحمن عن عمه:
رويدك يا قمري لست بمظهرٍ ... من الشوق إلا دون ما أنا مضمّر

ليكفك أن القلب منذ تنكرت ... أسيماء عن معروفها متنكر
سقى الله أياماً خلت وليالياً ... فلم يبق إلا عهدا المتذكر
لئن كانت الدنيا أجدت إساءة ... لما أحسنت في سالف الدهر أكثر

الفراق مر شديد

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، إن لم يكن سماعاً فإجازة، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه، قال: حدثنا ابن المرزبان، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن الفضل، قال: حدثني أحمد بن معاوية قال: رأيت مجنوناً واقفاً بصحراء أثير، وقد هاج، وهو يقول:
هد ركني الهوى وكنت جليدا ... ورأيت الفراق مرّاً شديداً

زيدي قلبي وسواسا

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز، قال: حدثنا محمد بن خلف إجازة، قال: أنشدت لما بي:
سلي عانداي كيف أبصرن كربتي ... فإن قلت قد حاينني فأسألي الناسا
فإن لم يقولوا مات أو هو ميت ... فزيدي إذن قلبي جوناً وسواسا
رفقاً بقلب
أنشدنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، رحمه الله، محمد ابن أبي عون الكاتب:
غنيت بمشيتها عن الأغصان ... حسناء يلعب حبها بجواني
وبدت تفض العتب عن خاتامه ... وتجول فيه بناظر ولسان
رفقاً بقلب قل ما قلبته ... إلا على شعل من النيران

فرايك في سح المموع موقفا

أنشدنا أبو القاسم علي بن الحسن التوخي، قال: أنشدني قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر بن مأكولا، لأبي بكر الخوارزمي الطبري، من طبرية الشام، من تشبيب قصيدة في الصاحب أبي القاسم بن عباد:

يفل غداً جيش النوى عسكر اللقا ... فرايك في سح المموع موقفا
ولما رأيت الإلف يعزم للنوى ... عزمتم على الأجفان أن تترقفا
وخذ حجتي في ترك جسمي سالماً ... وقلبي، ومن حقيهما أن يخرقا
يدي ضعفت عن أن تحرق جييها ... وما كان قلبي حاضراً فيمزقا

زائر متهالك

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن قال: أخبرنا علي بن عيسى الرماني، قال: أخبرني ابن دريد، قال: أنشدنا عبد الرحمن عن عمه، لأبي المطراب العنبري:
أيا بارقي مغنى بثينة أسعدا ... فتي مقصداً بالشوق فهو عميد
ليالي منا زائر متهالك ... وآخر مشهور كواه صدود
على أنه مهدي السلام وزائر ... إذا لم يكن ممن يخاف شهود
وقد كان في مغنى بثينة لورنت ... عيون مها تبدو لنا وحدود

أسائل عنها كل ركب

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي، وأبو القاسم علي بن الحسن التبوخي، قالوا: حدثنا أبو عمر بن حيويه الخزاز، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال حدثني أبو عبد الله التميمي، قال: حدثنا أبو الوضاح اباهلي، عن أبي محمد اليزيدي، قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن عتيق عن عامر بن عبد الله ابن الزبير قال: خرجت أنا ويعقوب بن حميد بن كاسب، قافلين من مكة، فلما كنا بؤدان، لقيتنا جارية من أهل ودان. فقال لها يعقوب: يا جارية، ما فعلت نعم؟ فقالت: سل نصيباً.
فقال: قاتلك الله، ما رأيت كاليوم قط، أحد ذهناً، ولا أحضر جواباً منك. وإنما أراد يعقوب قول نصيب في نعم، وكانت تنزل ودان:
أيا صاحب الخيمات من بطن أرثد ... إلى النخل من ودان ما فعلت نعم
أسائل عنها كل ركب لقيتهم ... وما لي بها من بعد مكنتا علم

أفقى عن بعض لومك

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوي، وأبو القاسم علي بن الحسن التبوخي، قالوا: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا أبو الفضل قاسم بن سليمان الإيادي، عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: أخبرني نخب، انه رأى أسود ببئر ميمون، وهو يمتح من بئر، ويهمس بشيء لم أدر ما هو، فدنوت منه، فإذا بعضه بالعربية، وبعضه بالزنجية، ثم تبينت ما قال، فإذا هو:
ألا يا لائمي في حب ريم ... أفقى عن بعض لومك لا أهتديت
أتأمرني بهجرة بعض نفسي ... معاذ الله أفعل ما اشتيت
أحب لحبها تثليم طراً ... وتكعة والمشك وعين زيتا
فقلت: ما هذه؟ فقال: رباع كانت لنا بالحبشة، كنا نألفها، قال: قلت: أحسبك عاشقاً. قال: نعم، قلت: لمن؟ قال: لمن إن وقعت رأيتنه.

فما لبثنا ساعة، إذ جاءت سوداء على كتفها جرة، فضرب بيده عليها، وقال: هذه هي، قال: قلت له: ما مقامك هاهنا؟ قال: اشتريت، فأوقفت على هذا القبر أرشه. فأنا أبرد من فوق، وربك يسخن من أسفل.

أين المفر

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي، وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، قالوا: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان، قال: حدثنا القحطي، قال: أخبرنا بعض الرواة، قال: بينا أنا يوماً على ركي قاعد، وذلك في أشد ما يكون من الحر، إذا أنا بجارية سوداء، تحمل جرة لها، فلما وصلت إلى الركي، وضعت جرتها ثم تنفست الصعداء، فقالت: حر هجر، وحر حب، وحر ... أين من ذا وذا يكون المفر وفي رواية أخرى: أي حر من بعد هذا أضر؟ وملأت الجرة، وانصرفت. فلم ألبث إلا يسيراً، حتى جاء أسود، ومعه جرة، فوضعها بحيث وضعت السوداء جرتها، فمر به كلب أسود، فرمى إليه رغيفاً كان معه، وقال: أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

كذلك العاشقون

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي، بقراعتي عليه، وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، قراءة عليه، قالوا: أخبرنا أبو عمر بن حيويه الخزاز، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: أخبرنا عبد الله بن شبيب، قال: أخبرني الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن الحسن، قال: حدثني هبيرة بن مرة القشيري، قال: كان لي غلام يسوق ناضحاً، ويرطن بالزنجبية، بشيء يشبه الشعر، فمر بنا رجل يعرف لسانه، فاستمع له، ثم قال: هو يقول:

فقلت لها إني اهتديت لفتية ... أنا خوا بجمع جاع قلائص سهما
فقالت: كذلك العاشقون ومن يخف ... عيون الأعادي يجعل الليل سلماً

لا تكن ملحاحاً

أنبأنا أبو القاسم علي بن أبي علي التنوخي، قال: أخبرنا أبو عمر محمد ابن العباس قال: حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي، إجازة، قال: حدثني سعيد بن عمر بن علي البيروذي، قال: حدثني علي بن المختار، قال: حدثني القحذمي، قال: هوي رجل من أهل البصرة، امرأة فضني من جيبها، حتى سقط على الفراش، وكان إذا جنه الليل، صاح بأعلى صوته: كم ترى بيننا وبين الصباح فإذا أكثر، هتف به هاتف من جانب البيت: ألف عام، وألف عام تبعاً ... غير شك، فلا تكن ملحاحاً
قال: فأقام الرجل على علته سنين، ثم أبل من علته.

في القلب صدوع

أخبرنا التوخي، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: أنشدني أبو علي البلدي الشاعر، بمجنون:

لئن نرحت دار بليلى لربما ... غنينا بخير والزمان جميع
وفي النفس من شوق إليك حزازة ... وفي القلب من وجد عليك صدوع

مساكين أهل العشق

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين، وأبو القاسم علي بن الحسن ابن علي، قالوا: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا محمد ابن خلف، قال: أخبرني جعفر بن علي اليشكري، قال: أخبرني الرياشي، قال: أخبرني العتيبي، قال: دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان، فقال له: هل عشقت يا نصيب؟ قال: نعم، جعلني الله فداك، ومن العشق أفلتني إليك البادية.
قال: ومن عشقت؟ قال: جارية لبني مدلج، فاحدق بنا الواشون، فكنت لا أقدر على كلامها إلا بعين أو إشارة، فأجلس على الطريق، حتى تمر بي، فأراها ففي ذلك أقول:
جلست لها كيما تمر لعلني ... أخالسها التسليم إن لم تسلم
لما رأيتي والوشاة تحدت ... مدامعها شوقاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت أشتري ... حياة العاشقين بلرهم

كلب يحمي عرض سيده

ومن أفسد الصديق بجرمته، فقام الكلب بنصرته، ما أخبرونا عن أبي الحسن المدائني يرفعه عن عمر بن شمر، قال: كان للحارث بن صعصعة، ندمان لا يفارقهم، شديد الحبة لهم، فعبث أحدهم بزوجته، فراسلها، وكان للحارث كلب رباه، فخرج الحارث في بعض متزهاته، ومعه ندماءه، وتحلف عنه ذلك الرجل، فلما بعد الحارث عن منزله، جاء نديمه إلى زوجته، فأقام عندها يأكل ويشرب، فلما سكر واضطجعا، ورأى الكلب أنه قد ثار على بطنها، وثب الكلب عليهما فقتلهما.
فلما رجع الحارث إلى منزله، ونظر إليهما عرف القصة، ووقف ندمانه على ذلك، وأنشأ يقول:
وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ... ويحفظ عرسي والخليل يخون
فواعجباً للخل يهتك حرمتي ... ويا عجباً للكلب كيف يصون
قال: وهجر من كان يعاشره، واتخذ كليه نديماً وصاحباً، فحدث به العرب، وأنشأ يقول:
فللكلب خير من خليل يخونني ... وينكح عرسي بعد وقت رحيلي
سأجعل كلبي ما حييت منادمي ... وامنحه ودي وصفو خليلي

الحبشاني وصفراء العلامية

أخبرنا التوزي، والتنوشي، قالاك حدثنا أبو عمر محمد بن العباس، حدثنا محمد بن خلف، قال: وذكر بعض الرواة عن العمري: كان أبو عبد الله الحبشاني، يعشق صفراء العلامية، وكانت سوداء، فاشتكى من حبها، وضي حتى صار إلى حد الموت، فقال بعض أهله، لمولاها: لو وجهت صفراء إلى أبي عبد الله الحبشاني، فلعله يعقل إذا رآها، ففعل، فلما دخلت إليه صفراء، قالت: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير، ما لم تبرحي.

قالت: ما تشتهي؟ قال: قريبك.

قالت: فما تشتهي؟ قال: حبك.

فقالت: أفوصي بشيء؟ قال: نعم، أوصي بك، إن قبلوا مني.

فقالت: إني أريد الانصراف.

قال: فتعجلي ثواب الصلاة علي. فقامت، فانصرفت.

فلما رآها مولية، تنفس الصعداء، ومات من ساعته.

كلب يقتل زوجة سده وخليها

وذكر ابن دأب، قال: كان للحسن بن مالك الغنوي، أخوان، وندمان، فأفسد بعضهم محرماً له، وكان له على باب داره كلب قدر باه، فجاء الرجل يوماً إلى منزل الحسن فدخل إلى امرأته.

فقالت له: قد بعد، فهل لك في جلسة يسر بعضنا ببعض فيها؟ فقال: نعم.

فأكلا وشربا، ووقع عليها.

فلما علاها وثب الكلب عليهما، فقتلهما.

فلما جاء الحسن، ورآهما على تلك الحال، تبين ما فعلا فأنشأ يقول:

قد أضحي خليلي بعد صفو مودتي ... صريعاً بدار الذل أسلمه الغدر

يطا حرمتي بعد الإخاء وخاني ... فغادره كلبى وقد ضمه القبر

دفع درهمين فأفاد أربعة آلاف دينار

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي، وأبو القاسم علي بن الحسن التنوشي، قالوا: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز، حدثنا محمد بن خلف المحولي، قال: أخبرني أبو الفضل الكاتب، عن أبي محمد العامري، قال: قال إسماعيل بن جامع: كان أبي يعظني في الغناء، ويضيق علي، فهربت إلى أخوالي باليمن، فأنزلني خالي غرفة له، مشرفة على نهر في بستان، فإني لمشرف منها، إذ طلعت سوداء معها قربة، فترلت إلى المشرعة، فجلست، فوضعت قريتها، وغنت:

إلى الله أشكو بخلها وسماحي ... لها غسل مني وتبذل علقما
فردى مصاب القلب أنت قلبه ... ولا تتركه هائم القلب مغرماً
وذرفت عينها، فاسفرتني ما لا قوام لي به، ورجوت أن ترده، فلم تفعل، وملأت القربة، ونهضت.
فنزلت أعدو وراءها، وقلت: يا جارية بأبي أنت وأمي، ردي الصوت.
قالت: ما أشغلي عنك.
قلت: بماذا؟ قالت: علي خراج، كل يوم درهمان.
فأعطيتها درهمين، فبغتت وجلست حتى أخذته، وانصرفت، ولهوت يومي ذلك، وكرهت أن أتغنى الصوت،
فأصبحت وما أذكر منه حرفاً واحداً. وإذا أنا بالسوداء قد طلعت، ففعلت كفعلها الأول، إلا أنها غنت غير
ذلك الصوت.
فنهضت وعدوت في إثرها، فقلت: الصوت قد ذهبت علي منه نعمة.
قالت: مثلك لا تذهب عليه نعمة، فتبين بعضه ببعض، وأبت أن تعيده إلا بدرهمين، فأعطيتها ذلك، فأعادته،
فتذكرته.
فقلت: حسبك.
قالت: كأنك تستكثر فيه أربعة دراهم، كأني والله بك، وقد أصبت به أربعة آلاف دينار.
قال ابن جامع: فيينا أنا أغني الرشيد يوماً، وبين يديه أكياس، في كل كيس ألف دينار، إذ قال: من أطربني
فله كيس، فغنيته الصوت، فرمى لي بكيس.
ثم قال: أعد، فأعدت، فرمى لي بكيس.
وقال: أعد، فأعدت فرمى لي بكيس، فتبسمت.
فقال: ما يضحكك؟ .
قلت: يا أمير المؤمنين لهذا الصوت حديث أعجب منه، وحدثه الحديث.
فضحك، ورمى إلي الكيس الرابع، وقال: لا نكذب قول السوداء.
فرجعت بأربعة آلاف دينار.

وقد جلبت عيني علي الدواهي

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس، قال: حدثنا أبو بكر بن المربان،
إجازة، قال: حدثني محمد بن علي عن أبيه علي، عن ابن دأب، قال: عشق فتى، جارية لأخته، وكان سبب
عشقه إياها، أنه رآها في منامه، فأصبح مستطاراً علقله، ساهياً قلبه.
فلم يزل كذلك حيناً، لا يزداد إلا حياً ووجداً، حتى أنكر ذلك أهله، وأعلموا عمه بما هو فيه، فسأله عن
حاله، فلم يقر بشيء، وقال: علة أجدها في جسمي، فدعا له أطباء الروم، فعالجوه بضروب من العلاج، فلم
يزده علاجهم إلا سوءاً، وامتنع عن الطعام والكلام.
فلما رأوا ذلك منه، أجمعوا على أن يوكلوا به امرأة، فتسقيه الخمر حتى يبلغ منه دون السكر، فإن ذلك

يدعوه إلى الكلام والبوح بما في نفسه، فعزم رأيهم على ذلك، وأعلموا عمه ما اتفقوا عليه، فبعث إليه بقينة ياقل لها حمامة، ووكل به حاضنة كانت له.

فلما شرب الفتى، غنت الجارية قدامه، فأنشأ يقول:

دعوني لما بي وانهمضوا في كلاءة ... من الله قد أيقنت أن لست باقيا
وأن قد دنا موتي وحانت منيتي ... وقد جلبت عيني علي الدواها
أموت بشوق في فؤادي مبرح ... فيا ويح نفسي من به مثل مايا
قال: فصارت الحاضنة والقينة إلى عمه، فأخبرتاه الخبر، فاشتدت له رحمته، فتلطف في دس جارية من جواريه إليه، وكانت ذات أدب وعقل، فلم تزل تستخرج ما في قلبه، حتى باح لها بالذي في نفسه، فصارت السفيرة فيما بينه وبين الجارية، وكثرت بينهما الكتب، وعلمت أخته بذلك، فانتشر الخبر، فوهبتها له، فبرأ من علته، وأقام على أحسن حال.

أبو علي التنوخي

يهنئ رئيساً بحلول رمضان كتب القاضي أبو علي التنوخي، إلى بعض الرؤساء، في شهر رمضان:
نلت في ذا الصيام ما تشتهي ... وكفاك الإله ما تنقيه

أنت في الناس مثل شهرك في الأش ... هر بل مثل ليلة القدر فيه

من شعر القاضي أبي علي التنوخي

ومن المنسوب للقاضي التنوخي:

قل للمليحة في الخمار المذهب ... أفسدت نسك أخي التقى المترهب
نور الخمار ونور خدك تحته ... عجباً لو جهك كيف لم يتلهب
وجمعت بين المذهبين فلم يكن ... للحسن عن ذهبيهما من مذهب
وإذا أنت عني لتسرق نظرة ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

من شعر أبي الفرج البغاء

وحكى القاضي أبو علي التنوخي قال: دخل أبو الفرج عبد الواحد البغاء، على الوزير أبي نصر سابور بن أردشير، وقد نشرت عليه دنانير وجواهر، فأنشد بديهاً:

نثروا الجواهر واللجين وليس لي ... شيء عليه سوى المدائح أنثر
بقصائد كالدر إن هي أنشدت ... وثناً إذا ما فاح فهو العنبر

مكشوف العلل وكنوم الأجل

أنشدني علي بن أبي علي، قال: أنشدني أبي، قال: أنشدني القاضي القضاة أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، لنفسه:

يا بؤس للإنسان في ال ... دنيا وإن نال المل
يعيش مكشوف العلل ... فيها وكتوم الجل
بينما يرى في صحة ... مغتبطاً قيل اعتل
وبينما يوجد في ... ها ثاوياً قيل انتقل
فأوفر الحظ لمن ... يتبعه حسن العمل

الأشتر وجيداء

أخبرنا أبو القاسم علي بن أبي علي، قراءة عليه، قال: حدثني أبي قال: أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، قال: حدثني جعفر ابن قدامة، قال حدثني أبو العيلاء، قال: كنت أجالس محمد بن صالح بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكان حمل إلى المتوكل أسيراً، فحبسه مدة، ثم أطلقه، وكان أعرابياً فصيحاً محرمًا، فحدثني قال: حدثني نمير بن قحيف الهلالي، وكان حسن الوجه، حياً، قال: كان منا فتى يقال له بشر بن عبد الله، ويعرف بالأشتر، وكان يهوى جارية من قومه، يقال لها: جيداء، وكانت ذات زوج. وشاع خبره في حبها، فمنع منها، وضيق عليه، ووقع الشر بينه وبين أهلها، حتى تلت بينهم القتلى، وكثرت الجراحات، ثم افترقوا على أن لا ينزل أحد منهم بقرب الآخر. فلما طال على الأشتر البلاء والهجر، جاعني ذات يوم، فقال: يا نمير هل فيك خير؟ قلت: عندي كل ما أحببت.

قال: أسعدني على زيارة جيداء، فقد ذهب الشوق إليها بروحي، وتنغصت علي حياتي. قلت: بالحب والكرامة، فأنهض إذا شئت. فركب، وركبت معه، وسرنا يومنا وليلتنا، حتى إذا كان قريباً من مغرب الشمس، نظرنا إلى منازلهم، ودخلنا شعباً خفياً، فأخذنا راحلتينا وجلين. فجلس هو عند الراحلتين، وقال: يا نمير، اذهب، بأبي أنت وأمي، فادخل الحي، واذكر لمن لقيك أنك طالب ضالة، ولا تعرض بذكري بشفة ولا لسان، فإن لقيت جاريته فلانة الراعية، فاقرئها من السلام وسلها عن الخبر، وأعلمها بمكاني. فخرجت، لا أعذر في أمري، حتى لقيت الجارية، فأبلغتها الرسالة، وأعلمتها بمكانه، وسألتها عن الخبر. فقالت: بلى والله، مشدد عليها، متحفظ منها، وعلى ذلك، فموعداً كما الليلة، عند تلك الشجرات اللواتي عند أعقاب البيوت.

فانصرفت إلى صاحبي، فأخبرته الخبر، ثم نهضنا نقود راحلتينا، حتى جاء الموعد. فلم نلبث إلا قليلاً، وإذا جيداء قد جاءت تمشي حتى دنت منا، فوثب إليها الأشتر، فصافحها، وسلم عليها، وقمت مولياً عنهما.

فقالا: إنا نقسم عليك إلا ما رجعت، فوالله ما بيننا ريبة، ولا قبيح نخلو به دونك.
فانصرفت راجعاً إليهما، حتى جلست معهما، فتحدثا ساعة، ثم أرادت الانصراف.
فقال الأشر: أما فيك حيلة يا جيداء، فتحت ليلتنا، ويشكو بعضنا إلى بعض.
قالت: والله ما إلى ذلك من سبيل، إلا أن نعود إلى الشر الذي تعلم.
فقال لها الأشر: لا بد من ذلك، ولو وقعت السماء على الأرض.
فقالت: هل في صديقك هذا من خير أو فيه مساعلة لنا؟ قال: الخير كله.
قالت: يا فتى، هل فيك من خير؟ قلت: سلي ما بدا لك، فإني منته إلى مرادك، ولو كان في ذلك ذهاب
روحي.

فقامت، فزعت ثيابها، فخلعتها علي، فلبستها، قم قالت: اذهب إلى بيتي، فادخل في خبائي، فإن زوجي
سيأتيك بعد ساعة أو ساعتين، فيطلب منك القدح، ليحلب فيه الإبل، فلا تعطه إياه حتى يطيل طلبه، ثم ارم
به رمياً، ولا تعطه إياه من يدك، فإني كذا كنت أفعل به، فيذهب فيحلب، ثم يأتيك عند فراغه من الحلب،
والقدح ملآن لبناً، فيقول: هاك غبوقك، فلا تأخذ منه حتى تطيل نكداً عليه، ثم خذه، أو دعه حتى يضعه،
ثم لست تراه، حتى تصبح إن شاء الله.
قال: فذهبت، ففعلت ما أمرتني به، حتى إذا جاء القدح الذي فيه اللبن، أمرني أن آخذه، فلم آخذه، حتى
طال نكدي، ثم أهويت لآخذه، وأهوى ليضعه، واختلف يدي ويده، فانكفأ القدح، واندفق ما فيه، فقال:
إن هذا طماح مفرط، وضرب بيده إلى مقدم البيت، فاستخرج سوطاً مفتولاً، كمتن الثعبان المطوق، ثم
دخل علي، فهتك الستر عني، وقبض على شعري، وأتبع ذلك السوط متني، فضربني تمام ثلاثين، ثم جاءت
أمه وإخوته، وأخت له، فانتزعوني من يده، ولا والله، ما ألقع، حتى زایلني روعي، وهممت أن أوجره
الكين، وإن كان فيه الموت.

فلما خرجوا عني، وهو معهم، شددت ستري، وقعدت كما كنت.
فلم ألبث إلا قليلاً، حتى دخلت أم جيداء علي تكلمني، وهي تحسبني ابنتها، فاتقيتها بالسكات والبكى،
وتغطيت بثوبي دونها.
فقالت: يا بنية، اتقي الله ربك، ولا تعرضي لمكروه زوجك، فذاك أولى بك، فأما الأشر، فلا أشر لك آخر
الدهر.

ثم خرجت من عندي، وقالت: سأرسل إليك أختك تونسك، وتبيت الليلة عندك.
فلبثت غير ما كثير، فإذا الجارية قد جاءت، فجعلت تبكي، وتدعو على من ضربني، وجعلت لا أكلمها، ثم
اضطجعت إلى جانبي.

فلما استمكنت منها، شددت بيدي على فيها، وقلت: يا هذه تلك أختك مع الأشر، وقد قطع ظهري
الليلة بسببها، وأنت أولى بالستر عليها، فاختاري لنفسك ولها، فوالله لئن تكلمت بكلمة، لأضجن بجهدى،
حتى تكون الفضيحة شاملة.

ثم رفعت يدي عنها، فاهتزت الجارية كما تهتز القصبه من الروع، ثم بات معي منها أملح رفيق رافقته، وأعفه، وأحسنه حديثاً، فلم تنزل تتحدث، وتضحك مني، ومما بليت به من الضرب، حتى برق النور، وإذا جيداء قد دخلت علينا من آخر البيت، فلما رأتنا ارتاعت، وفرعت.

وقالت: ويلك من هذا عندك؟ قلت: اختك.

قالت: وما السبب؟ قلت: هي تخبرك، ولعمر الله، إنها لعالة بما نزل بي، وأخذت ثيابي منها، ومضيت إلى صاحبي، فركبنا، ونحن خائفان.

فلما سري عنا روعنا، حدثته بما أصابني وكشفت عن ظهري، فإذا فيه ما غرس السوط من ضربة إلى جانب أخرى، كل ضربة تخرج الدم وحدها.

فلما رأي الأشر، قال: لقد عظمت صنيعك، ووجب شكرك، إذ خاطرت بنفسك، فبلغني الله مكافأتك.

كيف تعالج اللثغة عن الصبي

حدث أبو علي المحسن بن علي التنوخي، في نشوار المحاضرة، قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن المنجم، قال: حدثني أبي قال: كنت وأنا صبي لا أقيم الرء في كلامي، وأجعلها غيناً، وكانت سني إذ ذاك أربع سنين، أقل أو أكثر، فدخل أبو طالب الفضل بن سلمة، أو أبو بكر الدمشقي الشك من أبي الفتح إلى؟ أبي، وأنا بحضرته، فتكلمت بشيء فيه راء، فلثغت فيها.

فقال له الرج: يا سيدس، لم تدع أبا الحسن يتكلم هكذا؟ فقال له: ما أصنع، وهو ألثغ؟ فقال له: - وأنا أسمع وأحصل ما جرى، وأضبطه - إن اللثغة لا تصح مع سلامة الجارحة، وإنما هي عادة سوء تسبق إلى الصبي أول ما يتكلم، لجهله بتحقيق الألفاظ، وسماعه شيئاً يجتذيه، فإن ترك على ما يستصعبه من ذلك، مرن عليه، فصار له طبعاً لا يمكنه التحول عنه، وإن أخذ بتركه في أول نشوة، استقام لسانه، وزال عنه، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بترك له عليه.

ثم قال لي أخرج لسانك، فاخرجته.

فتأمله، وقال: الجارحة صحيحة، قل يا بني: را، واجعل لسانكفي سقف حلقك.

ففعلت ذلك، فلم يستولي .

فما زال يرفق بي مرة، ويخشن بي أخرى، ويقل لساني من موضع إلى موضع، من فمي، ويأمرني أن أقول الرء فيه، فإذا لم يستولي ، نقل لساني إلى موضع آخر، دفعات كثيرة، فر زمان طويل، حتى قلت راءً صحيحة في بعض تلك المواضع.

وطالبي، وأوصى معلمي بإلزامي ذلك، حتى مرن لساني عليه، وذهبت عنه اللثغة.

أيهما يصفع

حكى علي بن الحسن القاضي، قال:

حضرت مجلس قاض، فتقدم إليه رجلان، وادعى أحدهما على الآخر شيئاً.
فقال: للمدعي عليه: ما تقول؟ فصرط بفمه.
فقال المدعي: يسخر بك يا أيها القاضي.
فقال القاضي: اصفع يا غلام.
فقال الغلام: من أصفع، الذي سخر منك، أم الذي صرط عليك؟ فقال: بل دعهما، واصفع نفسك.

الجزء السابع

من شعر يعقوب بن الربيع

أخبرنا التوخي، قال: حدثنا محمد بن عمران المرزباني، قال: أنشدنا علي بن سليمان الأحمش، ليعقوب بن الربيع:

أضحوا يصيدون الطباء و إنني ... لأرى تصيدها عليّ حراماً
أشبهن منك سوالفاً و مدامعاً ... فأرى بذاك لها عليّ ذماماً
أعزز عليّ بأن أروع شيهها ... أو أن تذوق على يدي حمماً

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن البهلول التوخي حدثنا علي بن الحسن القاضي، عن أبي الحسن بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق عن أبيه، قال: يعقوب بن إسحاق البهلول التوخي، يكنى بأبي يوسف، و كان من حفاظ القرآن، العالمين بعدده، و قراءاته، و كان حجاجاً، متنسكاً، وحدث حديثاً كثيراً عن جماعة من مشايخ أبيه إسحاق و غيره، و لم ينتشر حديثه.

و ولد بالأندلس في سنة سبع و ثمانين و مائة، و مات ببغداد لتسع ليال بقين من شهر رمضان سنة إحدى و خمسين و مائتين .

و مات في حياة أبيه، فوجد عليه وجداً شديداً، و دفن في مقابر باب التبن .
و خلف ابن الأزرقي، و ابنه إبراهيم، يتيمن، و بنات، و زوجة حاملاً، ولدت بعد موته ابناً سمي إسماعيل ، فرباهم جدهم إسحاق ابن البهلول، و كان يؤثرهم جداً، و يحبهم لحنه أباهم، و لكونهم أيتاماً.
و قال أبو الحسن: حدثني عمي إسماعيل بن يعقوب، قال أخبرت عن جدي إسحاق بن البهلول، أنه كان يقول: على ودي أن لي ابناً آخر مثل يعقوب في مذهبه، و أني لم أرزق سواه.
و أنه لما توفي يعقوب أغمى على إسحاق، و فاتته صلوات، فأعادها بعد ذلك، لما لحقه من مضض المصيبة.
و انه كان يقول: ابني يعقوب أكمل مني.

بحث في المروسة

حدثني التوخي، عن أبي الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول، قال: حدثني أبي، قال: حدثني يعقوب بن شيبة، قال: أظن عيد من الأعياد رجلاً يومئ إلى أنه من أهل عصره و عنده مائة دينار،

لا يملك سواها.

فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له: قد أظننا هذا العيد، و لا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، و يستدعي منه ما ينفقه.

فجعل المائة دينار في صرة، و ختمها، و أنفذها إليه.

فلم تلبث الصرة عند الرجل إلا يسيراً حتى وردت عليه رقعة أخ من إخوانه، و ذكر إضافته في العيد، و يستدعي منه مثل ما استدعاه، فوجه بالصرة إليه بختمها.

و بقي الأول لا شيء عنده، فكتب إلى صديق له، و هو الثالث الذي صارت إليه الدنانير، يذكر حاله، و يستدعي منه ما ينفقه في العيد، فأنفذ إليه الصرة بخاتمها.

فلما عادت إليه صرته التي أنفذها بحالها، ركب إليه، و معه الصرة، و قال له: ما شأن هذه الصرة التي أنفذتها إلي.

فقال له: إنه أظننا العيد، و لا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، فكتبت إلى فلان أخينا، أستدعي منه، ما ننفقه، فأنفذ إليّ هذه الصرة، فلما وردت رقعتك عليّ، أنفذتها إليك.

فقال له: قم بنا إليه.

فركبا جميعاً إلى الثاني، و معهما الصرة، فتفاوضوا الحديث، ثم فتحوها، فاقسموها أثلاثاً.

قال أبو الحسن: قال لي أبي: و الثلاثة: يعقوب بن شيبه، و أبو حسان الزياتي القاضي، و أنسيت أنا الثالث

أبو يعقوب البويطي لسان الشافعي

أخبرنا العتيقي، و التوخي، قالوا: أخبرنا علي بن عبد العزيز البردغي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: في كتابي عن الربيع بن سليمان أنه قال: كان لأبي يعقوب البويطي من الشافعي منزلة، و كان الرجل ربما يسأله عن المسألة، فيقول: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه، أخبره، فيقول: هو كما قال.

قال: و ربما جاء إلى الشافعي، رسول صاحب الشرط، فيوجه الشافعي أبا يعقوب البويطي، و يقول: هذا لساني.

القاضي يوسف بن يعقوب

ابن إسماعيل بن حماد أخبرنا التوخي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال:

يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد، كان رجلاً صالحاً عفيفاً خيراً، حسن العلم بصناعة القضاء، شديداً في الحكم، لا يراقب فيه أحداً.

و كانت له هبة و رياسة.

و حمل الناس عنه حديثاً كثيراً، و كان ثقة أميناً.

أبو بكر يوسف الأزرق

لقب بالأزرق لزرقة عينيه أخبرنا التنوخي، عن أحمد بن يوسف الأزرق ، قال: قال لي أبي: ولدت بالأنبار في رجب سنة ثمان و ثلاثين و مائتين.

قال: و قال لي أبي: لو شئت أن أقول في جميع حديث جدي إني سمعته منه، لقلت، و اعلم أنني فرقت في سنة سبع و أربعين و مائتين، و لي تسع سنين، بين: كتبت في كتابي، و قلت في كتابي، و بين قرأ عليّ جدي، و قرأت عليّ جدي.

قال ابن الأزرق: و كان أي قد كتب لغةً، و نحواً، و أخباراً، عن أبي عكرمة الضبي صاحب المفضل ، و حمل عن عمر بن شبه من هذه العلوم فأكثر، و عن الزبير بن بكار ، و عن ثعلب ، و كان كتب عن أحمد بن بديل الياامي ، و علس بن يزيد البحراني ، فضاع كتابه عنهما، فلم يحدث عنهما بشيء.

قال ابن الأزرق: و سمعت أبي يقول: خرج عن يدي، إلى سنة خمس عشرة و ثلثمائة، نيف و خمسون ألف دينار في أبواب البر.

قال: و كان بعد ذلك يجري على رسمه في الصدقة.

قال لي التنوخي: كان يوسف بن يعقوب أزرق العين، و كان كاتباً جليلاً، قديم التصرف مع السلطان، عفيفاً فيما تصرف فيه، و كان عريض النعمة، متخشناً في دينه، كثير الصدقة، أماراً بالمعروف.

القاضي أبو نصر بن أبي الحسين

بن أبي عمر

أخبرنا التنوخي قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما كان في المحرم سنة سبع و عشرين و ثلثمائة ، خرج الراضي إلى الموصل ، و أخرج معه قاضي القضاة، أبا الحسين يعني عمر بن محمد بن يوسف و أمره أن يستخلف على مدينة السلام ، أبا نصر يوسف ابن عمر ، لما علم أنه لا أحد بعد أبيه يجاريه، و لا إنسان يساويه. فجلس في يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم، سنة سبع و عشرين و ثلثمائة في جامع الرصافة، و قرئ عهده بذلك، و حكم ، فتيين للناس من أمره ما بهر عقولهم، و مضى في الحكم على سبيل معروفه له و لسلفه .

و ما زار أبو نصر يخلف أباه على القضاء بالخرصة، من الوقت الذي ذكرناه إلى أن توفي قاضي القضاة، في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان و عشرين و ثلثمائة ، و صلى عليه ابنه أبو نصر، و دفن إلى جنب أبي عمر، محمد بن يوسف، في دار إلى جنب داره.

فلما كان في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان، خلع الراضي على أبي نصر، يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف، و قلده قضاء الخرصة بأسرها ، الجانب الشرقي و الغربي، المدينة و الكرخ، و قطعة من أعمال السواد، و خلع عليه، و على أخيه أبي محمد الحسين بن عمر لقضاء أكثر السواد و البصرة و واسط .

قال طلحة: و ما زال أبو نصر منذ نشأ فتى نبيلًا، فطنًا، جليلًا، عفيفًا، متوسطًا في علمه بالفقه، حاذقًا بصناعة القضاء، بارعًا في الأدب و الكتابة، حسن الفصاحة، واسع العلم باللغة و الشعر، تام الهيبة، اقتدر على أمره بالتزاهة و الصون و العفة، حتى وصفه الناس في ذلك بما لم يصفوا به أباه و جده، مع حداثة سنه، و قرب ميلاده من رياسته.

و لا نعلم قاضياً تقلد هذا البلد، أعرق في القضاء منه، و من أخيه الحسين، لأنه يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب، و كل هؤلاء تقلدوا الحضرة، غير يعقوب، فإنه كان قاضياً على مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم، ثم تقلد فارس، و مات بها.

و ما زال أبو نصر، والياً على بغداد، بأسرها إلى صفر من سنة تسع و عشرين و ثلثمائة، فإن الراضي صرفه عن مدينة المنصور، بأخيه الحسين، و أقره على الجانب الشرقي و الكرخ، و مات الراضي في هذه السنة .

لكسلم بن يزيد يرثي يزيد بن مزيد

أخبرنا الشوخي، قال: حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، قال: أنشدنا أبو الحسن الأxfش ، عن ثعلب، لمسلم يعني ابن الوليد يرثي يزيد بن مزيد ، و مات ببرذعة ، من أرض أران:

قبر برذعة استسر ضريحه ... خطراً تقاصر دونه الأخطار

ألقى الزمان على معد بعده ... حزناً لعمر الدهر ليس يعار

نقضت بك الآمال أحلاس الغنى ... و استرجعت نزاعها الأمصار

فاذهب كما ذهبت غواصي مزنة ... أثنى عليها السهل و الأوعار

لمسلم بن الوليد

أمدح بيت و أرثي بيت و أهجى بيت أخبرنا الشوخي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني ، قال: حدثنا أبو بكر بن محمد بن القاسم الأنباري ، قال: حدثنا أبو الحسن بن البراء، عن شيخ له، قال: قال مسلم بن الوليد ، ثلاثة أبيات، تنهى فيها، و زاد على كل الشعراء، أمدح بيت، و أرثي بيت، و أهجى بيت.

فأما المديح، فقولُه:

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها ... و الجود بالنفس أقصى غاية الجود

و أما المراثية فقولُه:

أرادوا ليخفوا قره عن عدوه ... فطيب تراب القر دل على القبر

و أما الهجاء فقولُه:

حسنت مناظره فحين خبرته ... قبحت مناظره لقبح المخبر

عبد الملك بن مروان

يشهد لخصمه مصعب بن الزبير بكمال مروءته أخبرنا الجوهري و التبوخي، قالاً: حدثنا محمد بن العباس الخزاز ، قال: حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان ، قال: حدثني أبو العباس محمد ابن إسحاق قال: حدثنا ابن عائشة ، قال: سمعت أبي يقول: قيل لعبد الملك بن مروان ، و هو يجارب مصعباً : إن مصعباً قد شرب الشراب.

فقال عبد الملك: مصعب يشرب الشراب؟ و الله، لو علم مصعب أن الماء ينقص من مروءته، ما روي منه.

أشجع العرب

أخبرنا عليّ بن أبي عليّ، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ، و أحمد بن عبد الدوري قالاً: حدثنا احمد بن سليمان الطوسي ، قال: حدثنا الزبير بن بكار ، قال: حدثني محمد بن الحسن، عن زافر بن قتيبة، عن الكلبي قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه: من أشجع العرب؟ فقالوا: شيب ، قطري ، فلان، فلان.

فقال عبد الملك: إن أشجع العرب، رجل جمع بين سكينه بنت الحسين و عائشة بنت طلحة، و أمة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز، و أمه الرباب بنت أنيف الكلبي سيد ضاحية العرب، ولي العراقيين خمس سنين، فأصاب ألف ألف، و ألف ألف، و ألف ألف، و أعطي الأمان فأبي، و مشى بسيفه حتى مات، ذاك المصعب بن الزبير، لا من قطع الجسور، مرة ههنا، و مرة ههنا.

الحمد لله شكراً

حدثني التبوخي، قال: أنشدنا أبو الحسن أحمد بن علي البقي ، قال: أنشدنا أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد القاضي، لنفسه :

يا محنة الله كفيّ ... إن لم تكفيّ فخفيّ
ما آن أن ترحمينا ... من طول هذا التشفي
ذهبت أطلب بخي ... فليل لي قد توفي
ثور ينال الشريا ... و عالم متخفي
الحمد لله شكراً ... على نقاوة حربي
حرّ انتصر

أخبرنا عليّ بن الحسن التبوخي، قال: أخبرنا عيسى بن علي بن عيسى الوزير ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد البغوي ، قال: حدثنا داود بن عمرو ، قال: حدثنا مكرم بن حكيم أبو عبد الله الخنعمي قال: حدثني مهران بن عبد الله ، قال: لقيت علي بن أبي طالب و هو مقبل من قصر المدائن ، و حوله المهاجرون حين

بلغ قنطرة دن ، متوزر على صدره من عظم بطنه، و قد وقع ثديه على إزاره، ضخم البطن، ذو عضلات ومناكب، أصلع، أجلع، قد خرج الشعر من أذنيه، و أنا أمشي بجنباته، و هو يريد أسبانبر .
فجاء غلام فلطم وجهي. فالتفت عليّ. فلما النفث، رفعت يدي، فلطمت وجه الغلام.
فقال: حرّ انتصر. فكأن صوت علي في أذني الساعة.

العلم عند أبي عبيدة

أخبرنا علي بن الحسن بن علي بن محمد التتوخي، قال: وجدت في كتاب جدي: حدثنا الحرمي بن أبي العلاء ، قال: أنشدنا أبو خالد يزيد ابن محمد المهلبى ، قال: أنشدني إسحاق الموصي لنفسه ، قوله لفضل ابن الربيع ، يهجو الأصمعي :

عليك أبا عبيدة فاصطنعه ... فإن العلم عند أبي عبيدة
و قدمه و أثره عليه ... و دع عنك القريد بن القريدة

تأويلات مروية

عن ابن عباس عن الكلمات الأجمدية

أخبرنا التتوخي، قال: حدثنا علي بن عمر السكري ، قال: حدثنا أبو سعيد مفتاح بن خلف بن الفتح ، و قد قدم علينا حاجاً في سنة تسع و ثلثمائة بباب الشماسية ، قال: حدثنا أحمد بن صالح الكرابيسي البلخي ، قال: حدثنا الحسن بن يزيد الجصاص ، قال: حدثنا عبد الرحيم بن واقد ، قال: حدثنا الفرات بن السائب ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، قال: إن لكل شيء سبباً، و ليس كل أحد يفطن له، و لا سمع به، و إن لأبي جاد حديثاً عجباً.

أما أبو جاد: فأبى آدم الطاعة، وجد في أكل الشجرة، و أما هواز فهوى من السماء إلى الأرض، و أما حطي فحطت عنه خطاياها، و أما كلمن فأكل من الشجرة، و من عليه بالتوبة، و أما سعفص، فعصى آدم ربه، فأخرج من النعيم إلى النكد، و أما قريشات، فأقر بالذنب، و سلم من العقوبة .

تحفة القوالة من وراء الستارة

أخبرنا التتوخي، قال: قال لنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العباس الأخباري حضرت في سنة ست و عشرين و ثلثمائة ، مجلس تحفة القوالة ، جارية أبي عبد الله بن عمر البازيار، و إلى جانبي عن يسري أبو نضلة مهلهل ابن يموت بن المزرع ، و عن يميني أبو القاسم بن أبي الحسن البغدادي، نديم ابن الحوارى قديماً، و البريديين بعد، فغنت تحفة من وراء الستارة:

بي شغل به عن الشغل عنه ... بهواه و إن تشاغل عني

سرّه أن أكون فيه حزينا ... فسروري إذا تضاعف حزني
ظن بي جفوة فأعرض عني ... و بدا منه ما تخوف مني
فقال لي أبو نضلة: هذا الشعر لي.
فسمعه أبو القاسم بن البغدادى، و كان ينحرف عن أبي نضلة، فقال: قل له إن كان الشعر له، أن يزيد فيه
بيتاً.
فقلت له ذلك على وجه جميل. فقال في الحال:
هو في الحسن فتنة قد أصارت ... فتنتي في هواه من كل فن

أحمد بن يحيى بن أبي يوسف القاضي

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر ، قال: استقضي أحمد بن يحيى بن أبي يوسف
القاضي في سنة أربع و خمسين و مائتين ، و كان متوسطاً في أمره، شديد المحبة لدنيا، و كان صالح الفقه
ثانية، و عزل، و ولي الأهواز، ثم وجه به إلى خراسان، فمات بالري.

كادت تزل به من حالق قدم

أخبرنا التوخي، قال: حدثنا أحمد بن عبد اللد الدوري ، قال: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري
بالبصرة، قال: أخبرنا أبو زيد عمر ابن شبة ، قال: حكم ابن أبي ليلى بحكم، ونوح بن دراج حاضر، فنبهه
نوح، فانتبه، و رجع عن حكمه ذاك.
فقال ابن شبرمة :

كادت تزل به من حالق قدم ... لولا تداركها نوح بن دراج
لما رأى هفوة القاضي أخرجها ... من معدن الحكم نوح أي إخراج
يقال: إن الحاكم كان ابن شبرمة، لا ابن أبي ليلى، و إن رجلاً ادعى قراحاً فيه نخل، فأتاه بشهود شهدوا له
بذلك.

فسألهم ابن شبرمة: كم في القراح نخلة؟ فقالوا: لا نعلم، فرد شهادتهم.
فقال له نوح: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، و لا تعلم كم فيه أسطوانة.
فقال للمدعي: أردد عليّ شهودك، و قضى له بالقراح، و قال هذا الشعر.

يزيد بن هبيرة

يريد أبا حنيفة على بيت المال، فيأبى، فيضربه أسواطاً أخبرنا التوخي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الدوري
، قال: أخبرنا أحمد بن القاسم بن نصر أخو أبي الليث الفرائضي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال:

حدثني الربيع بن عاصم مولى بني فزارة قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقدمت بأبي حنيفة ، فأرادته على بيت المال ، فأبى ، فضربه أسواطاً.

من محاسن أبي حنيفة

أخبرنا الشوخي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو بكر بن محمد بن حمدان بن الصباح النيسابوري، بالبصرة، قال: حدثنا أحمد بن الصلت بن المغلس الحماني ، قال: سمعت أبا نعيم يقول: ولد أبو حنيفة سنة ثمانين بلا مائة، و مات سنة خمسين و مائة، و عاش سبعين سنة. قال أبو نعيم: وكان أبو حنيفة حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه. و قال أبو يوسف: ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث، و مواضع النكت التي فيه من الفقه، من أبي حنيفة.

فقه أبي حنيفة

و روعه و صبره على تعليم العلم

أخبرني التنوخي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن حمدان بن الصباح، قال: حدثنا أحمد بن الصلت، قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: كان أبو حنيفة رجلاً فقهياً، معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع الحال، معروفاً بالأفضال على كل من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل و النهار، حسن الليل، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة في حلال أو حرام، فكان يحسن أن يدل على الحق، هارباً من مال السلطان. هذا حديث مكرم ، و زاد عليه ابن الصباح: و كان إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه، إن كان عن الصحابة أو التابعين، و إلا قاس، و أحسن القياس.

أبو حنيفة يخطئ حكم القاضي

في ستة مواضع

أخبرني عليّ بن أبي عليّ البصري ، قال: حدثنا القاضي أبو نصر محمد ابن محمد بن سهل النيسابوري قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، قال: حدثني أحمد بن يحيى أبو يحيى السمرقندي، قال: حدثنا نصر بن يحيى البلخي، قال: حدثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي قال: كانت ها هنا امرأة يقال لها أم عمران، مجنونة، و كانت جالسة في الكناسة، فمر بها رجل، فكلمها بشيء، فقالت له: يا ابن الزانيتين، و ابن أبي ليلي حاضر يسمع ذلك. فقال للرجل: أدخلها عليّ المسجد، و أقام عليها حدين، حداً لأبيه، و حداً لأمه.

فبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ فيها في ستة مواضع، أقام الحد في المسجد و لا تقام الحدود في المساجد، و ضربها قائمة، و النساء يضربن قعوداً، و ضرب لأبيه حداً، و لأمه حداً، و لو أن رجلاً قذف جماعة كان عليه حد واحد، و جمع بين حدين، و لا يجمع بين حدين حتى يجب أحدهما، و المجنونة ليس عليها حد، و حد لأبويه و هما غائبان لم يحضرا، فيدعيان. فبلغ ذلك ابن أبي ليلى، فدخل على الأمير، فشكا إليه، فحجز على أبي حنيفة، و قال: لا يفتي.

فلم يفت أياماً، حتى قدم رسول من ولي العهد، فأمر أن تعرض على أبي حنيفة مسائل حتى يفتي فيها. فأبى أبو حنيفة و قال: أنا محجوز عليّ.

فذهب الرسول إلى الأمير، فقال الأمير: قد أذنت له. ففقد فافتي.

أبو حنيفة من أعظم الناس أمانة

أخبرنا الشوخي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الوراق الدوري ، قال: أخبرنا أحمد بن القاسم بن نصر ، أخو أبي الليث الفرائضي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، قال: قال رجل بالشام، للحكم بن هشام الثقفي: أخبرني عن أبي حنيفة. قال: على الخبر سقطت، كان أبو حنيفة، لا يخرج أحداً من قبلة رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى يخرج من الباب الذي منه دخل.

و كان من أعظم الناس أمانة، و أراداه سلطاننا على أن يتولى مفاتيح خزائنه، أو يضرب ظهره، فاختار عذابهم على عذاب الله.

فقال له: ما رأيت أحداً وصف أبا حنيفة، بمثل ما وصفته به. قال: هو كما قلت لك.

ورع أبي حنيفة و صلاته و قراءته

أخبرنا علي بن الحسن المعدل، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد ابن يعقوب الكاغدي قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب ابن الحارث الحارثي البخاري ببخارى قال: حدثنا أحمد بن الحسين البلخي ، قال: حدثنا حماد بن قريش، قال: سمعت أسد بن عمرو ، يقول: صلى أبو حنيفة، فيما حفظ عليه، صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة.

فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، و كان يسمع بكأؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه. و حفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه، سبعة آلاف مرة.

أبو حنيفة يؤثر رضى ربه

على كل شيء

أخبرنا التوخي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن حمدان، قال: حدثنا أحمد بن الصلت الحماني، قال: سمعت ملبح بن وكيع يقول: سمعت أبي يقول: كان والله أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان الله في قلبه جليلاً كبيراً عظيماً، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل، رحمه الله، ورضي عنه رضى الأبرار، فلقد كان منهم.

فقه أبي حنيفة و تقواه

أخبرنا التوخي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن حمدان ابن الصباح النيسابوري، قال: حدثنا أحمد بن الصلت الحماني، قال: حدثنا علي بن المديني، قال: سمعت عبد الرزاق يقول: كنت عند معمر، فأتاه ابن المبارك، فسمعنا معمرًا يقول: ما أعرف رجلاً يحسن يتكلم في الفقه، أو يسعه أن يقيس، و يشرح لمخلوق النجاة في الفقه، أحسن من معرفة أبي حنيفة، ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله، شيئاً من الشك، من أبي حنيفة.

من شعر أبي الحسن ناجية

بن محمد الكاتب

أنشدنا التوخي، قال: أنشدني أبو الحسن ناجية بن محمد الكاتب لنفسه:
ولما رأيت الصبح قد سل سيفه ... وولى انهزاماً ليله و كواكه
ولاح احرار قلت قد ذبح الدجى ... وهذا دم قد ضمخ الأفق ساكه

من إخوانيات البحري

أخبرني علي بن أبي علي البصري، قال: أخبرنا محمد بن عمران الكاتب أ، أبا بكر الجرجاني، أخبره عن محمد بن يزيد النحوي، قال: كتبنا إلى البحري أن يحننا بعقب مطر، فكتب إلينا:
إن التزاور فيما بيننا خطر ... والأرض من وطأة البرذون تنخسف
إذا اجتمعنا على يوم الشتاء فلي ... هم بما أنا لاق حين أنصرف

القاضي أبو الحسن علي بن أبي طالب

محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول حدثني أبو القاسم التوخي، قال: ولد أبو الحسن علي بن أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول ببغداد في شوال سنة إحدى و ثلثمائة، و توفي بها في شهر ربيع الأول

ثمان وخمسين وثلثمائة ، و كان حافظاً للقرآن، قرأ على أبي بكر بن مقسم بحرف حمزة، و لقي أبا بكر بن مجاهد ، و قرأ عليه بعض القرآن، و سمع منه حديثاً، و تفقه على مذهب أب حنيفة ، و حمل من النحو، و اللغة، و الأخبار، و الأشعار، عن جده القاضي أبي جعفر بن البهلول ، و عن أبي بكر ابن الأنباري ، و نفطويه ، و الصولي ، و غيرهم، و قال الشعر، و تقلد القضاء بالأنبار ، و هيت ، من قبل أبيه في سنة عشرين و ثلثمائة ، أو قبلها، ثم ولي من قبل الراضي بالله سنة سبع و عشرين، القضاء بطريق خراسان، ثم صرف بعد مدة و لم يتقلد شيئاً إلى أن قلده أبو السائب عتبة بن عبيد الله في سنة إحدى و أربعين و هو يومئذ قاضي القضاة الأنبار، و هيت، و أضاف إليهما بعد مدة الكوفة، ثم أقره على ذلك، أبو العباس بن أبي الشوارب ، لما ولي قضاء القضاة ، مدة، و صرفه بعد، ثم لما ولي أبو بشر عمر بن أكثم قضاء القضاة ، قلده عسكر مكرم و ايندج ، و رامهرمز ، مدة، ثم صرفه.

لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهه الحسن

أخبرنا الشوخي، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن أبي صابر الدلال ، قال: وقفت على الشبلي في قبة الشعراء في جامع المنصور، و الناس مجتمعون عليه، فوقف عليه في الحلقة، غلام، لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجهاً منه، يعرف بابن مسلم.

فقال له: تنح، فلم يبرح.

فقال له الثانية: تنح يا شيطان عنا، فلم يبرح.

فقال له الثالثة: تنح، و إلا و الله خرقت كل ما عليك، و كانت عليه ثياب في غاية الحسن، تساوي جملة كثيرة، فانصرف الفتي.

فقال الشبلي، و نحن نسمع:

طرحوا اللحم للبزة ... على ذروني عدن

ثم لاموا لم ... خلعوا منهم الرسن

لو أرادوا صلاحنا ... ستروا وجهه الحسن

فقلت: إن رأيت.

فقال: أنشدني أبو علي بن مقلة:

أي رب تخلق أقمار ليل ... و أغصان بان و كثران رمل

و تبدع في كل طرف يسحر ... و في كل قد رشيق بشكل

وتنهي عبادك أن يعشقوا ... أيا حكم العدل ذا حكم عدل؟

صريع الغيلان لا صريع الغواني

أخبرني علي بن أبي علي ، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني ، قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال: حدثني محمد بن عجلان، قال: حدثنا يعقوب بن السكيت قال: أخبرني محمد بن المهني، قال: كان عباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب، فجرى ذكر مسلم ابن الوليد .

فقال بعضهم: صريع الغواني.

فقال عباس: و الله ما يصلح إلا أن يكون صريع الغيلان.

فاتصل ذلك بمسلم، فأنشأ مسلم يهجوهُ ويقول:

بنو حنيفة لا يرضى الدعي بهم ... فاترك حنيفة و اطلب غيرها نسباً

منيت مني و قد جد الجراء بنا ... بغاية منعتك الفتوت و الطلبا

فاذهب فأنت طليق الحلم مرثن ... بسورة الجهل ما لم أملك الغضبا

اذهب إلى عرب ترضى بدعوتهم ... إني أرى لك خلقاً يشبه العربا

برز من أصحاب الخليل أربعة

أخبرني التنوخي، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن البهلول التنوخي، قال:

حدثنا أبو سعد داود بن الهيثم بن إسحاق بن البهلول ، قال: حدثنا حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد

ابن زيد عن نصر بن علي ، قال: برز من أصحاب الخليل أربعة: عمرو بن عثمان أبو بشر المعروف بـسيويه

، و النصر بن شميل ، و علي بن نصر ، و مؤرج السدوسي .

مذهب الجاحظ في الصلاة تركها

أخبرنا علي بن أبي علي ، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم

الأنباري ، قال حدثنا أبو عمر أحمد بن أحمد السوسنجردى العسكري، قال: حدثني ابن أبي الذيال الحدث

بسر من رأى قال: حضرت وليمة حضرها الجاحظ ، و حضرت صلاة الظهر، فصلينا، و ما صلى الجاحظ،

و حضرت صلاة العصر، فصلينا، و ما صلى الجاحظ.

فلما عزمنا الانصراف، قال الجاحظ لرب المنزل: إني ما صليت لمذهب، أو لسبب، أخبرك به.

فقال له: أو فليل له: ما أظن أن لك مذهباً في الصلاة إلا تركها.

المهدي يستقضي قاضين

في عسكره

أخبرنا علي بن أبي علي ، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر ، قال: أخبرني محمد بن جرير الطبري في

الإجازة : أن المهدي استقضى ابن علاثة و عافية ، سنة إحدى و ستين و مائة، فكانا يقضيان في عسكر

المهدي.

و على الشرقية عمر بن حبيب العدوي .

المستكفي يقلد أبا السائب القضاء بمدينة أبي جعفر أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: لما قبض المستكفي على محمد بن الحسن بن أبي الشوارب و كان قاضياً على الجانب الغربي بأسره قلد مدينة أبي جعفر ، القاضي أبا السائب عتبة ابن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله ، و ذلك في صفر سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة .

ثم قتل أبا عبد الله محمد بن عيسى، اللصوص ، و كان قاضياً على الجانب الشرقي، و ذلك في يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الآخر من هذه السنة.

قال طلحة: و القاضي أبو السائب، رجل من أهل همدان، و كان أبوه عبيد الله، تاجر مستوراً ديناً، أخبرني جماعة ن الهمدانيين، أنه كان يؤمهم في مسجد لهم فوق الثلاثين سنة.

و نشأ أبو السائب يطلب العلم، و غلب عليه في ابتداء أمره علم التصوف، و الميل إلى أهل الزهد في الدنيا، ثم خرج عن بلده، و سافر.

و دخل الحضرة في أيام الجنيد ، و لقي العلماء، و عني بفهم القرآن، و كتب الحديث، و تفقه على مذهب الشافعي، و تقلد الحكم.

و اتصلت أسفاره، فدخل المراغة و بها عبد الرحمن الشيزي، و كان صديقه، و كان عبد الرحمن غالباً على أبي القاسم ابن أبي الساج ، و تقلد جميع أذربيجان مع المراغة، و عظمت حاله.

و قبض على ابن أبي الساج، و عاد إلى الجبل بعد الحادثة على ابن أبي الساج و تقلد همدان .

ثم عاد إلى بغداد، فحظن بها، و تقدم عند السلطان، و عرف الرؤساء فضله و عقله.

و تقلد أعمالاً جليلاً بالكوفة و ديار مضر و الأهواز ، و تقلد عامة الجبل ، و قطعة من السواد .

و تقدم عند قاضي القضاة أبي الحسين بن أبي عامر ، و سمع شهادته، و استشاره في كثير في أموره.

ثم ما زال على أمر جميل، و فعل حميد، إلى رجب سنة ثمان و ثلاثين و ثلثمائة، فإنه تقلد قضاء القضاة .

و له أخبار حسان، و علقت عنه أشياء كثيرة، و جوابات في مسائل القرآن عجيبة.

و ذكر لي أن عامة كتبه بemdان.

سبب علة أبي زرعة الرازي

أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: أخبرني قاضي القضاة أبو السائب ، قال حدثني عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي قال: اعتل أبو زرعة الرازي ، فمضيت مع أبي لعيادته، فسأله أبي عن سبب هذه العلة.

فقال: بت و أنا في عافية، فوقع في نفسي أني إذا أصبحت أخرجت من الحديث ما أخطأ فيه سفيان الثوري .

فلما أصبحت خرجت إلى الصلاة، و في دربنا كلب ما نبحنى قط، و لا رأيته عدا على أحد، فعدا علي، و

عقري، و هممت.

فوقع في نفسي أن هذا عقوبة لما وضعت في نفسي، فأضربت عن ذلك الرأي.

ابن السماك يعظ الرشيد

قال طلحة : و أخبرني قاضي القضاة، يعني أبا السائب أيضاً، أنه سمع ابن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن الحسين النخعي، قال: سمعت محمد ابن الحسين البرجلاني يقول: قال الرشيد لابن السماك : عظمي. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك تموت وحدك، و تغسل وحدك، و تكفن وحدك، و تقبر وحدك. يا أمير المؤمنين: إنما هو ديب من سقم ، فيؤخذ بالكظم ، و تزل القدم، و يقع القوت و الندم، فلا توبة تنال، و لا عشرة تقال، و لا يقبل فداء بمال.

من إخوانيات الفضل بن سهل

أخبرنا علي بن أبي علي البصري ، قال: حدثنا علي بن محمد بن العباس الخزاز ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي، قال: عتب الفضل بن سهل ، على بعض أصحابه، فأعتبه، و راجع محبته، فأنشأ الفضل يقول:

إنما محنة الكرام إذا ما ... أجرموا أو تجرموا الذنب تابوا
و استقلموا على الحجة للإخ ... وان فيما ينوبهم و أنابوا

قال: و وجه الفضل بن سهل إلى رجل بجائزة، و كتب إليه: قد وجهت إليك بجائزة، لا أعظمها مكثراً، و لا أقللها تجبراً، و لا أقطع لك بعدها رجاءً، و لا أستثيك عليها ثناءً، و السلام.

أبو نعيم يحدث

يرفس برجله يحيى بن معين فيرمي به من الدكان قرأت علي بن أبي علي البصري ، عن علي بن الحسن الجارحي ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الجراح أبو عبد الله ، قال: سمعت أحمد ابن منصور الرمادي يقول:

خرجت مع أحمد بن حنبل ، و يحيى بن معين إلى عبد الرزاق، خادماً لهما.

فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين، لأحمد بن حنبل: أريد أن أختبر أبا نعيم . فقال له أحمد بن حنبل: لا ترد، الرجل ثقة.

فقال يحيى بن معين: لا بد لي.

فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبي نعيم، و جعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه.

ثم جاء إلى أبي نعيم، فدقا عليه الباب.

فخرج فجلس على دكان طين حذاء بابه، و أخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، و أخذ يحيى بن معين

فأجلسه عن يساره، ثم جلست أسفل الدكان.
فأخرج يحيى بن معين الطبق، فقرأ عليه عشرة أحاديث، و أبو نعيم ساكت.
ثم قرأ الحادي عشر، فقال له أبو نعيم: ليس من حديثي فاضرب عليه.
ثم قرأ العشر الثاني، و أبو نعيم ساكت.
فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس من حديثي فاضرب عليه.
ثم قرأ العشر الثالث، و قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، و انقلبت عيناه.
ثم أقبل على يحيى بن معين، فقال له: أما هذا و ذراع أحمد في يده فأورع من أن يعمل مثل هذا، و أما هذا يريدني فأقل من أن يفعل مثل هذا، و لكن هذا من فعلك، يا فاعل.
ثم أخرج رجله، فرفس يحيى بن معين، فرمى به من الدكان، و قام فدخل داره.
فقال احمد ليحيى: ألم أمنعك من الرجل، و أقل لك إنه ثبت.
قال: و الله لرفسته لي، أحب إليّ من سفري.

فرج بن فضالة

يمتع عن القيام للمنصور أخبرنا علي بن الحسن التتوخي، قال: حدثنا صدقة بن علي الموصلي ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا أحمد بن عبيد ، عن المدائني ، قال: مر المنصور بفرج بن فضالة ، فلم يقم له، فقبل له في ذلك.
فقال: خشيت أن يسألني الله لم قمت؟ و يسأله لم رضيت؟.

أبو عبيد يقرأ كتابه

في غريب الحديث أخبرني علي بن الحسن التتوخي، قال: حدثنا العباس بن أحمد بن الفضل الهاشمي ، و أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي الدربندري، قال: حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أحمد التوزي بالبصرة قالاً: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الهجيمي قال: حدثني جعفر بن محمد بن علي بن المديني، قال: سمعت أبي يقول: خرج أبي إلى أحمد بن حنبل يعودده و أنا معه قال: فدخل إليه، و عنده يحيى بن معين ، و ذكر جماعة من المحدثين.

قال: فدخل أبو عبيد القاسم بن سلام ، فقال له يحيى بن معين: اقرأ علينا كتابك الذي عملته للمؤمن ، في غريب الحديث .

فقال: هاتوه.

فجاءوا بالكتاب، فأخذ أبو عبيد، فجعل يبدأ يقرأ الأسانيد، و يدع تفسير الغريب.

فقال له أبي: يا أبا عبيد، دعنا من الأسانيد، نحن أحذق بها منك.

فقال يحيى بن معين، لعلي بن المديني: دعه يقرأ على الوجه، فإن ابنك محمداً معك، ونحن، فنحتاج أن نسمعه على الوجه.

فقال أبو عبيد: ما قرأته إلا على المأمون، فإن أحببتم أن تقرأوه فاقرواوه.

قال: فقال له علي بن المديني: إن قرأته علينا، وإلا فلا حاجة لنا فيه.

و لم يعرف أبو عبيد، علي بن المديني، فقال ليحيى بن معين: من هذا؟ فقال: هذا علي بن المديني.

فالتزمه، و قرأه علينا، فمن حضر ذلك المجلس، جاز أن يقول حدثنا، و غير ذلك، فلا يقول.

القاضي قتيبة بن زياد يحاكم بشر المريسي أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر،

قال: قتيبة بن زياد الخراساني رجل من أهل الفقه، على مذهب أبي حنيفة، و له فهم و معرفة، كان قاضياً

على الجانب الشرقي في أيام منصور و إبراهيم ابني المهدي.

و في أيامه هاجت العامة على بشر المريسي، و سألوا إبراهيم بن المهدي أن يستتيبه، فأمر إبراهيم، قتيبة بن

زياد، أن يحضر مسجد الرصافة.

فحدثني محمد بن أحمد بن إسحاق، عن محمد بن خلف، قال: سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفي، يقول:

شهدت مسجد الجامع بالرصافة، و قد اجتمع الناس، و جلس قتيبة بن زياد للناس، و أقيم بشر على

صندوق من صناديق المصاحف، عند باب الخدم.

و قام المستمليان، أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس، مستملي ابن عيينة، و هارون بن موسى، مستملي يزيد

بن هارون، يذكران أن أمير المؤمنين إبراهيم بن المهدي أمر قاضيه قتيبة بن زياد أن يستتيب بشر بن غياث

المريسي، من أشياء عددها، فيها ذكر القرآن، و غيره، و أنه تائب.

قال: فرفع بشر صوته، يقول: معاذ الله، إني لست بتائب.

و كثر الناس عليه، حتى كادوا يقتلونه، فأدخل إلى باب الخدم، و تفرق الناس.

الخليفة المعتضد دقيق الملاحظة

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي عن أبي القاسم علي بن المحسن، عن أبيه، قال: بلغني أن المعتضد بالله كان

يوماً جالساً في بيت يني له، يشاهد الصناع، فرأى في جملتهم غلاماً أسود، منكر الخلقة، شديد المزاج،

يصعد على السلالم، مرقأتين، مرقأتين، و يحمل ضعف ما يحملونه.

فأنكر أمره، فأحضره، و سأله عن سبب ذلك، فدلجج.

فقال لابن حمدون و كان حاضراً أي شيء يقع لك في أمره؟ فقال: و من هذا، حتى صرفت فكرك إليه؟ و

لعله لا عيال له، فهو خالي القلب.

قال: وبحك، قد خمنت في أمره تخميناً ما أحسبه باطلاً، إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير

وجهها، أو يكون لصاً يتستر بالعمل في الطين.

فلاحاه ابن حمدون في ذلك.

فقال: عليّ بالأسود، فأحضر.

و قال: مقارع، فضربه نحو مائة مقرعة، و قرره، و حلف إن لم يصدقه، ضرب عنقه، و أحضر السيف و النطع.

فقال الأسود: لي الأمان؟ فقال: لك الأمان، إلا ما يجب عليك فيه حد، فلم يفهم ما قال له، و ظن أنه قد آمنه.

فقال: أنا كنت أعمل في أتاين الجر سنين ، و كنت منذ شهور هناك جالساً و هو لا يعلم مكاني، فحلل الهميان، و أخرج منه ديناراً، فتأملت، فإذا كله دنانير، فتاورته، و كتفته، و سددت فاه، و أخذت الهميان، و حملته على كفتي، و طرحته في نقرة الأتون، و طينته، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه، فطرحتها في دجلة، و الدنانير معي يقوى بها قلبي.

فأمر المعتضد من أحضر الدنانير من منزله، و إذا على الهميان مكتوب: لفلان بن فلان. فتودي في البلدة باسمه، فجاءت امرأة، و قالت: هذا زوجي، و لي منه هذا الطفل، خرج في وقت كذا، و معه هميان فيه ألف دينار، فغاب إلى الآن. فسلم الدنانير إليها، و أمرها أن تعتد، و ضرب عنق الأسود، فأمر أن تحمل جثته إلى الأتون .

الخليفة المعتضد يكتشف أحد المجرمين

قال الحسن: بلغني أن المعتضد بالله، قام في الليل لحاجته، فرأى بعض الغلمان المردان، قد نهض عن ظهر غلام أمرد، و دب على أربعته، حتى اندس بين الغلمان. فجاء المعتضد، فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد، إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل، فإذا به يخفق خفقاناً شديداً. فوكزه برجله، فقعد، و استدعى آلات العقوبة، فأقر، فقتله .

التحقيق الدقيق يؤدي إلى العثور على المجرم

قال الحسن:

بلغنا عن المعتضد بالله، أن خادماً من خدمه جاء يوماً، فأخبره أنه كان قائماً على شاطئ الدجلة، في دار الخليفة، فرأى صياداً، و قد طرح شبكته فثقلت بشيء، فاجذبها، فأخرجها، فإذا فيها جراب، و أنه قدره مالاً، فأخذه، و فتحه، و إذا فيه آجر، و بين الآجر، كف مخضوبة بخناء.

قال: فأحضر الجراب و الكف و الآجر.

فقال المعتضد ذلك، و قال: قل للصياد يعاود طرح الشبكة، فوق الموضع، و أسفله، و ما قاربه.

قال: ففعل، فخرج جراب آخر فيه رجل.

قال: فطلبوا، فلم يخرج شيء آخر.

فاغتم المعتضد، و قال: معي في البلد من يقتل إنساناً و يقطع أعضاؤه، و يغرقه، و لا أعرف به؟ ما هذا

ملك.

قال: و أقام يومه كله، ما طعم طعاماً.

فلما كان من الغد، أحضر يقول له، و أعطاه الجراب فارغاً، و قال له: طف على كل من يعمل الجرب ببغداد، فإن عرفه منهم رجل، فسله على من باعه؟ فإن ذلك عليه، فسئل المشتري، من اشتراه منه؟ و لا تفر على خبره أحد.

قال: فغاب الرجل، و جاءه بعد ثلاثة أيام، فزعم أنه لم يزل يتطلب في الدباغين و أصحاب الجرب، إلى أن عرف صانعه، و سأل عنه، فذكر أنه باعه على عطار بسوق يحيى ، و أنه مضى إلى العطار، و عرضه عليه، فقال: ويحك، كيف وقع هذا الجراب في يدك؟ فقلت: أو تعرفه؟ قال: نعم، اشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب، لا أدري لأي شيء أرادها، و هذا منها.

فقلت له: و من فلان الهاشمي؟ فقال: رجل من ولد علي بن ربيعة، من ولد المهدي ، يقال له: فلان، عظيم، إلا أنه شر الناس، و أظلمهم، و أفسدهم لحرم المسلمين، و أشدهم تشوقاً إلى مكابدهم، ليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد، خوفاً من شره، و لفرط تمكنه من الدولة و المال.

و لم يزل يحدثني و أنا أسمع أحاديث له قبيحة، إلى أن قال: فحسبك أنه كان يعيش منذ سنين، فلانة المغنية، جارية فلانة المغنية، و كانت كالدينار المقشوش، و كالقمر الطالع، في غاية حسن الغناء، فساوم مولاتها فيها، فلم تقاربه.

فلما كان منذ أيام، بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشتر قد حضر، و بذل فيها ألوف الدنانير، فوجه إليها: لا أقل من أن تنفذها إلي لتود عني.

فأنفذتها إليه، بعد أن أنفذ إليها جذرها لثلاثة أيام.

فلما انقضت الأيام الثلاثة، غصبها عليها، و غيبها عنها، فما يعرف لها خبر، و ادعى أنها هربت من داره. و قال الجيران: إنه قتلها، و قال قوم: لا بل هي عنده، و قد أقامت سيدتها عليها المأتم، و جاءت، و صاحت على بابه، و سودت وجهها، فلم ينفعها شيء.

فلما سمع المعتضد، سجد شكراً لله تعالى، على انكشاف الأمر له، و بعث في الحال من كبس على الهاشمي، و أحضر المغنية، و أخرج اليد، و الرجل، إلى الهاشمي، فلما رآهما امتنع لونه، و أيقن بالهلاك، و اعترف. فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها، من بيت المال، و صرفها. ثم حبس الهاشمي، فيقال: إنه قتله، و يقال: مات في الجنس .

مسرور السيف و الوزير جعفر البرمكي

أنبيت عن المؤيد بن محمد الطوسي، و غيره، عن أبي بكر أبي طاهر الأنصاري، عن أبي القاسم علي بن الحسن التنوخي، عن أبيه، عن أبي الفرج الأصبهاني ، قال: حدثني جعفر بن قدامة ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، قال: سمعت مسرور الأمير يحدث، قال: لما أمرني الرشيد بقتل جعفر ابن يحيى ، دخلت عليه، و عنده الأعمى المغني الطنبوري ، يغنيه:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي
فقلت له: في هذا و اله أتيتك، ثم أخذت بيده، فأقمته، و أمرت بضرب رقبته.
فقال الأعمى المغني: نشدتك الله، إلا ألحقتني به.
فقلت: و ما رغبتك في ذلك؟ فقال: إنه أغناني عن سواء بإحسانه، فما أحب أن أبقى بعده.
فقلت: استأمر أمير المؤمنين في ذلك.
فلما أتيت الرشيد، برأس جعفر، أخبرته بقصة الأعمى، فقال: هذا رجل فيخ مصطنع، فاضممه إليك، و
أنكر إلى ما كان جعفر يجريه عليه، فأقمه له.

أبو يوسف القاضي و فتواه الحاسمة

حدثنا علي بن الحسن التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبي قال: كان عند الرشيد جارية من جواريه، و
بمحضرته عقد جوهر، فأخذ يقلبه، ففقدته، فاقمها، فسألها عن ذلك، فأنكرت.
فحلف بالطلاق و العتاق، و الحج، لتصدقنه، فأقامت على الإنكار، و هو متهم لها.
و خاف أ، يكون قد حث في يمينه، فاستدعى أبا يوسف، و قص عليه القصة.
فقال أبو يوسف: تخليني مع الجارية، و خادماً معنا، حتى أخرجك من يمينك، ففعل ذلك.
فقال لها أبو يوسف: إذا سألك أمير المؤمنين، عن العقد، فأنكره، فإذا أعاد عليك السؤال، فقول: قد
أخذته، فإذا أعاد عليك الثالثة، فأنكري.
و خرج فقال للخادم: لا تقل لأمر المؤمنين ما جرى.
و قال للرشيد: سلها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات عن العقد، فإنها تصدقك.
فدخل الرشيد، فسألها، فأنكرت أول مرة.
و سألها الثانية، فقالت: نعم، قد أخذته.
فقال: أي شيء تقولين؟ فقالت: و الله، ما أخذته، و لكن هكذا قال لي أبو يوسف.
فخرج إليه، فقال له: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد خرجت من يمينك، لأنها أخبرتك، أنها قد أخذته، و
أخبرتكم أنها لم تأخذه، فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين، و قد خرجت أنت من يمينك.
فسر، و وصل أبا يوسف.
فلما كان بعده مدة، و جد العقد .

علي الزراد يتوصل إلى رد فضائل قريش عليها

قال الحسن بن علي التوخي، عن أبيه، قال: حججت في موسم اثنين و أربعين، فرأيت مالا عظيماً، و ثياباً
كثيرة، تفرق في المسجد الحرام.
فقلت: ما هذا؟ فقالوا: بخراسان رجل صالح، عظيم النعمة و المال، يقال له: علي الزراد، أنفذ عام أول مالا

و ثياباً إلى ههنا، مع ثقة له، و أمره أن يعتبر قريشاً، فمن وجده منها حافظاً للقرآن، دفع إليه كذا و كذا ثوباً.

قال: فحضر الرجل، عام أول، فلم يجد في قريش، البته، أحداً يحفظ القرآن، إلا رجلاً واحداً من بني هاشم، فأعطاه قسطه.

و تحدث الناس بالحديث، ورد باقي المال إلى صاحبه.

فلما كان في هذه السنة، عاد بالمال و الثياب، فوجد خلقاً عظيماً، من جميع بطون قريش، قد حفظوا القرآن، و تسابقوا إلى تلاوته بحضرته، و اخذوا الثياب و الدراهم، حتى نفذت، و بقي منهم من لم يأخذ، و هم يطالبونه.

قال: قهلت: لقد توصل هذا الرجل، إلى رد فضائل قريش عليها، بما يشكره الله سبحانه له.

ابن أبي الطيب القلانسي تنعكس حيلته عليه

عن علي بن الحسن، عن أبيه، قال: حدثنا جماعة من أهل جند يسابور، فيها، كتاب و تجار، و غير ذلك، أنه كان عندهم في سنة نيف و أربعين و ثلثمائة، شاب من كتاب النصارى، و هو ابن أبي الطيب القلانسي. فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق، فأخذته الأكراد، و عذبوه، و طالبوه بأن يشتري نفسه منهم، فلم يفعل.

و كتب إلى أهله، أنفذوا لي أربعة دراهم أفيون، و اعلّموا أي أشربها فتلحقني سكتة، فلا يشك الأكراد أي قد مت، فيحملوني إليكم، فإذا حصلت عنكم، فأدخلوني الحمام، و اضربوني، ليحمي بدني و سوكوني بالإيارج، فإني أفيق.

و كان الفتى متخلفاً، و قد سمع أنه من شرب أفيوناً أسكت، فإذا أدخل الحمام، و ضرب، و سوكت بالإيارج، برئ، فلم يعلم مقدار الشربة من ذلك، فشرب أربعة دراهم، فلم يشك الأكراد في موته، فلقوه في شيء و أنفذوه إلى أهله.

فلما حصل عندهم، أدخلوه الحمام، و ضربوه، و سوكوه، فما تحرك، و أقام في الحمام أياماً. و رآه أهل الطب، فقالوا: هذا قد تلف، كم شرب أفيوناً؟ قالوا: وزن أربعة دراهم. فقالوا لهم: هذا شوي في جهنم ما عاش، إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أفيوناً أو وزن درهم أو حواليه، فأما هذا، فقد مات.

فلم يقبل أهله ذلك، فتركوه في الحمام، حتى أراح، و تغير، فدفنوه، و انعكست الحيلة على نفسه.

بلال بن أبي بردة يبحث عن حنفه بكفه

قال الحسن: و قد روي قديماً مثل هذا: أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج، و كان يعذبه.

و كان كل من مات في الحبس، رفع خبره إلى الحجاج، فيأمر بإخراجه و تسليمه إلى أهله.
فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم، و أخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا آمرك بتسليمي
إلى أهلي، هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، و إن شئت أن تمرب معي، فافعل، و علي غناك
أبداً.

فأخذ السجان المال، و رفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج: مثل هذا، لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه،
هاته. فعاد إلى بلال، فقال: أعهد ، قال: و ما الخبر؟

قال: إن الحجاج قال: كيت و كيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً، قتلني، و علم أي أردت الحيلة عليه، و لا بد
أن أقتلك خنقاً.

فبكى بلال، و سأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق، فأوصى و صلى، فأخذه السجان، و خنقه، و
أخرجه إلى الحجاج ميتاً.

فلما رآه ميتاً، قال: سلمه إلى أهله.

فأخذوه، و قد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم، و رجعت الحيلة عليه .

دخلت باب الهوى

أنشدنا التوخي، قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن العباس الإخباري ، قال: أنشدنا نصر بن أحمد الحجاز
البصري لنفسه:

لما جفاني من كان لي أنساً ... أنست شوقاً بعض أسبابه

كمثل يعقوب بعد يوسف إذ ح ... ن إلى بعض أثوابه

دخلت باب الهوى و لي بصر ... و في خروجي عميت عن بابه

طفيلي لا ينشط إلا عند نهيأة الطعام

قال علي بن الحسن بن علي القاضي، عن أبيه، قال: صحب طفيلي، رجلاً في سفر، فقال له الرجل: امض
فاشتر لنا لحماً.

قال: لا و الله، ما اقدر، فمضى هو فاشترى.

ثم قال له: قم فاطبخ.

قال: لا أحسن، فطبخ الرجل.

ثم قال له: قم فاثرد.

قال: أنا و الله كسلان، فثرد الرجل.

ثم قال له: قم و اغرف.

قال: أخشى أن يقلب على ثيابي، فغرف الرجل.

ثم قال له: قم الآن، فكل.
قال الطفيلي: قد والله استحييت من كثرة خلافي لك.
و تقدم فأكل .

كيف استعاد التمار أمواله

أنبأنا محمد بن عبد الباقي ، قال: أخبرنا علي بن المحسن، عن أبيه، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد الصروي ، قال: حدثني ابن الدنانير التمار، قال: حدثني غلام لي قال: كنت ناقداً بالأبلة ، لرجل تاجر، فاقترضت له من البصرة نحو خمسمائة دينار، و ورقاً ، و لففتهم في فوطة، و أمسيت، و لم يمكني المسير إلى الأبلة. فما زلت أطلب ملاحاً فلا أجد، إلى أن رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطة خفيفة فارغة، فسألته أن يحملني. فخفف علي الأجرة، و قال: أنا راجع إلى منزلي بالأبلة، فانزل. فنزلت، و جعلت الفوطة بين يدي، و سرنا. فإذا رجل ضربه على الشط، يقرأ أحسن قراءة تكون، فلما رآه الملاح كبر، فصاح هو بالملاح، احملني، فقد جني الليل، و أخاف على نفسي، فشتمه الملاح. فقلت له: احمله.

فدخل إلى الشط فحمله، فرجع إلى قراءته، فخلب عقلي بطيها. فلما قربنا من الأبلة، قطع القراءة، و قام ليخرج في بعض المزارع بالأبلة، فلم أر الفوطة. فاضطربت، و صحت، و استغاث الملاح، و قال: الساعة تنقلب الخيطية، و خاطبني خطاب من لا يعلم حالي.

فقلت: يا هذا، كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار. فلما سمع الملاح ذلك، لطم، و بكى، و تعرى من ثيابه، و قال: لم أدخل الشط، و لا لي موضع أخبئ فيه شيئاً فشتهمني بسرقة، و لي أطفال، و أنا ضعيف، فالله، الله، في أمري، و فعل الضيرير مثل ذلك. و فتشت السميرية، فلم أجد فيها شيئاً، فرحمتهما، و قلت: هذه محنة لا أدري كيف التخلص منها. و خرجنا، فعملت على الهرب، و أخذ كل واحد منا طريقاً، و بت في بيتي، و لم أمض إلى صاحبي. فلما أصبحت، عملت على الرجوع إلى البصرة، لأستخفي بها أياماً ثم أخرج إلى بلد شاسع. فانخلرت، و خرجت في مشرعة بالبصرة، و أنا أمشي، و أتعثر، و أبكي، قلقاً على فراق أهلي و ولدي، و ذهاب معيشتي و جاهي.

فاعترضني رجل، فقال: ما لك؟ فأخبرته.

فقال: أنا أرد عليك مالك.

فقلت: يا هذا، أنا في شغل عن طنزك بي.

قال: ما أقول إلا حقاً، امض إلى السجن بيني نمر، و اشتر معك خبزاً كثيراً، و شواء جيداً، و حلوى، و سل السجن أن يوصلك إلى رجل محبوبس هناك، يقال له: أبو بكر النقاش، قل له: أنا زائر، فإنك لا تمنع،

و إن منعت، فهب للسجان شيئاً يسيراً، يدخلك إليه.
فإذا رأيته، فسلم عليه، و لا تخاطبه، حتى تجعل بين يديه ما معك، فإذا أكل، و غسل يديه، فإنه يسألك عن حاجتك، فأخبره خبرك، فإنه سيدلك على من أخذ مالك، و يرتجعه لك.
ففعلت ذلك، و وصلت إلى الرجل، فإذا شيخ مكبل بالحديد، فسلمت، و طرحت ما معي بين يديه، فدعا رفقاء له، فأكلوا.
فلما غسل يديه، قال: من أنت، و ما حاجتك؟ فشرحت له قصتي.

فقال: امض الساعة إلى بني هلال، فادخل الدرب الفلاني، حتى تنتهي إلى آخره، فإنك تشاهد باباً شعثاً، فافتحه و ادخله، بلا استئذان، فتجد دهليزاً طويلاً، يؤدي إلى بابين، فادخل الأيمن منهما، فسيدخلك إلى دار فيها أوتاد و بواري، و كل وتد عليه إزار و منتر، فانزع ثيابك، و ألقها على الوتد، و اترر بالمنتر، و اتشح بالإزار، و اجلس، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت، ثم يؤتون بطعام، فكل معهم، و تعمد موافقتهم، في سائر أفعالهم، فإذا أتى بالنبيذ، فاشرب، و خذ قدحاً كبيراً، و املاءه، و قم قائماً، و قل: هذا، ساري لخالي أبي بكر النقاش، فسيفرحون، و يقولون: أهو خالك؟ فقل: نعم، فسيقومون، و يشربون لي، فإذا جلسوا، فقل لهم: خالي يقرأ عليكم السلام، و يقول: يا فتیان، بحياقي، ردوا علي بن أخي المنزر الذي أخذتموه بالأمس من السفينة، بنهر الأبله، فإنهم يردونه عليك.
فخرجت من عنده، فعلت ما أمر، فردت القوطة بعينها، و ما حل شدها.
فلما حصلت لي، قلت: يا فتیان، هذا الذي فعلتموه معي، هو قضاء لحق خالي، و لي أنا حاجة تخصني.
قالوا: مقضية.

قلت: عرفوني، كيف أخذتم القوطة؟ فامتنعوا ساعة، فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقاش.
فقال لي واحد منهم: أتعرفني؟ فتأملته جيداً، فإذا هو الضير الذي كان يقرأ، و إنما كان متعامياً.
و أوماً إلى آخر، فقال: أتعرف هذا؟ فتأملته جيداً، فإذا هو الضير الذي كان يقرأ، و إنما كان متعامياً.
و أوماً إلى آخر، فقال: أتعرف هذا؟ فتأملته، فإذا هو الملاح.
فقلت: كيف فعلتما؟ فقال الملاح: أنا أدور في المشارع، في أول أوقات المساء، و قد سبقت بهذا المتعامي، فأجلسته حيث رأيت، فإذا رأيت من معه شيء له قدر، ناديته، و أرخصت له الأجرة، و حملته.
فإذا بلغت إلى القارئ، و صاح بي، شتمته، حتى لا يشك الراكب في براءة الساحة، فإن حمله الراكب، فذاك، و إلا رققته عليه حتى يحمله، فإذا حمله، و جلس يقرأ، ذهل الرجل، كما ذهلت.
فإذا بلغنا الموضع الفلاني، فإن فيه رجلاً متوقعاً لنا، يسبح، حتى يلاصق السفينة، و على رأسه قوصرة، فلا يفطن الراكب له.
فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفة فيسلمه إلى الرجل الذي عليه القوصرة، فيأخذه و يسبح إلى الشط.
و إذا أراد الراكب الصعود، و افتقد ما معه، عملنا كما رأيت، فلا يتهمنا، و نفرق، فإذا كان من غد اجتمعنا، و اقتسمناه.

فلما جئت برسالة أستاذنا، خالك، سلمنا إليك القوطة.
قال: فأخذتها، و رجعت.

و ما ظالم إلا سبيلي بأظلم

أخبرنا محمد بن ناصر ، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار ، قال: أنبأنا الجوهري.
و أخبرني ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد المحسن بن محمد، قال: أخبرنا أبو القاسم السخري، قال: أخبرنا ابن
حيويه ، قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثني لص تائب، قال: دخلت مدينة، فطلبت شيئاً أسرقه،
فوقعت عيني على صير في موسر، فما زلت أحتال، حتى سرقت كيساً له، و انسللت.
فما جرت غير بعيد، إذ أنا بعجوز معها كلب، قد وقعت في صدري، تبوسني، و تلزمني، و تقول: يا بني،
فديتك، و الكلب يبصص، و يلوذ بي، و وقف الناس ينظرون إلينا.
و جعلت المرأة تقول: يا لله، انظروا إلى الكلب، قد عرفه، فعجب الناس من ذلك، و تشككت أنا في نفسي،
و قلت: لعلها أرضعني، و أنا لا أعرفها؟ و قالت: معي إلى البيت، أقم عندي اليوم، فلم تفارقني حتى
مضيت معها إلى بيتها.

و إذا عندها أحداث يشربون، و بين أيديهم من جميع الفواكه و الرياحين، فرحوا بي، و قربوني، و أجلسوني
معهـم.

و رأيت لهم بزة حسنة، فوضعت عيني عليها، فجعلت أسقيهم و أرفق بنفسي، إلى أن ناموا، و نام كل من
الدار.

فقممت و كورت ما عندهم، و ذهبت أخرج.

فوئب علي الكلب وثبة الأسد، و صاح، و جعل يتراجع و ينبح، إلى أن انتبه كل نائم، فخرجت، و
استحييت.

فلما كان النهار، فعلوا مثل فعلهم بالأمس، و فعلت أنا بهم أيضاً مثل ذلك، و جعلت أوقع الليلة في أمر
الكلب إلى الليل، فما أمكنتني فيه حيلة.

فلما ناموا، رمت الذي رمته، فإذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني به.
فجعلت أحتال، ثلاث ليال، فلما أيست، طلبت الخلاص منهم بإذهم، فقلت: أتأذنون لي، فأني على وفري .
فقالوا: الأمر إلى العجوز.

فاستأذنتها، فقالت: هات الذي أخذته من الصيرفي، و امض حيث شئت، و لا تقم في هذه المدينة، فإنه لا
يتيحاً لأحد فيها معي عمل.

فأخذت الكيس و أخرجني، و وجدت مناي أن أسلم من يدها.

و كان قصاري أن أطلب منها نفقة، فدفعت إليّ، و خرجت معي، حتى أخرجتني عن المدينة، و الكلب
معهـا، حتى جرت حدود المدينة.

و وقت، و مضيت، و الكلب يتبعني، حتى بعدت، ثم تراجع ينظر إليّ، و يلفت، و أنا أنظر إليه، حتى غاب عن عيني.

صادف درء السيل درءاً يصدعه

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا علي بن الحسن، عن أبيه، قال: حدثني عبيد الله بن محمد الصروي، قال: حدثنا بعض إخواننا: أنه كان ببغداد، رجل يطلب التلصص في حدائته، ثم تاب، فصار بزازاً. قال: فأنصرف ليلة من دكانه، و قد غلقه، فجاء لص محتال، متزي بزي صاحب الدكان، في كفه شمعة صغيرة، و مفاتيح، فصاح بالحارس، فأعطاه الشمعة في الظلمة، و قال: أشعلها، و جني بها، فإن لي الليلة بدكاني شغلاً.

فمضى الحارس يشعل الشمعة، و ركب اللص على الأقفال، ففتحها و دخل الدكان. و جاء الحارس بالشمعة، فأخذها من يده، فجعلها بين يديه، و فتح سقط الحساب، و اخرج ما فيه، و جعل ينظر الدفاتر، و يري بيده، انه يحسب، و الحارس يتردد، و يطالعه، و لا يشك في أنه صاحب الدكان، إلى أن قارب السحر.

فاستدعى اللص الحارس، و كلمه من بعيد، و قال: اطلب لي حملاً. فجاء بحمال، فحمل عليه أربع رزم مثمرة، و قفل الدكان، و انصرف، و معه الحمال، و أعطى الحارس درهمين.

فلما أصبح الناس، جاء صاحب الدكان، ليفتح دكانه، فقام إليه الحارس يدعو له، و يقول: فعل الله بك و صنع، كما أعطيتني البارحة الدرهمين.

فأنكر الرجل ما سمعه، و فتح دكانه، فوجد سيلاً الشمعة، و حسابه مطروحاً، و فقد الأربع رزم. فاستدعى الحارس، و قال له: من كان حمل الرزم معي من دكاني؟ قال: أما استدعيت مني حملاً، فجئت بك به؟ قال: بلى، و لكنني كنت ناعساً، و أريد الحمال، فجئتني به.

فمضى الحارس، فجاء بالحمال، فأغلق الرجل الدكان، و اخذ معه الحمال و مضى. و قال له: إلى أين حملت الرزم معي البارحة، فإني كنت متنبذاً؟ قال: إلى المشرعة الفلانية، و استدعيت لك فلاناً الملاح، فركبت معه.

فقصد الرجل المشرعة، و سأل عن الملاح، فحضر، و ركب معه، و قال: أين رقيت أخي، الذي كان معه الأربع رزم؟ قال: إلى المشرعة الفلانية.

قال: اطرحني إليها، فطرحه.

قال: من حملها معه؟ قال: فلان الحمال.

فدعا به، فقال له: امش بين يدي، فأعطاه شيئاً، و استدله برفق، إلى الموضع الذي حمل إليه الرزم. فجاء به إلى باب غرفة، في موضع بعيد عن الشط، قريب من الصحراء فوجد الباب مقفلاً، فاستوقف الحمال، و فش القفل، و دخل، فوجد الرزم بحالها.

و إذا في البيت بركان معلق على حبل، فلف به الرزم، و دعا بالحمال، فحملها عليه، و قصد المشرعة.

فحين خرج من الغرفة، استقبله اللص، فرآه و ما معه، فأبلس، فاتبعه إلى الشط، فجاء إلى المشرعة، و دعا الملاح ليعبر، فطلب الملاح من يحط عنه، فجاء اللص، فحط الكساء، كأنه مجتاز متطوع. فأدخل الرزم إلى السفينة، مع صاحبها، و جعل البركان على كتفه، و قال له: يا أخي استودعك الله، قد استرجعت رزmk، فدع كسائي. فضحك، و قال: انزل فلا خوف عليك. فنزل معه، و استتابه، و وهب له شيئاً و صرفه، و لم يسئ إليه.

كلب يقوم مقام الفيح

حدثني أبو عبد الله، قال: حدثني أبو الحسين محمد بن الحسين بن شداد، قال: قصدت دير مخارق إلى عبد الله بن الطبري النصراني، الذي كان يأتي بالنزل للمعتضد بالله، فسألته إحضار وكيل له، يقال له إبراهيم بن داران، و طالبتة إحضار الأدلاء لمساحمة قرية تعرف بباصيري السفلى. فقال لي: يا سيدي قد وجهت في ذلك. فقلت له: أنا على الطريق جالس، و ما اجتاز بي أحد. فقال لي: أما رأيت الكلب الذي كان بين أيدينا؟ قد وجهت به. فغلظ علي ذلك من قوله، و نلت من عرضه، و أمرت بما أنا أستغفر الله عز وجل منه. فقال: إن لم يحضر القوم الساعة، فأنت من دمي في حل. فما مكث بعد هذا القول إلا ساعة، حتى وافى القوم مسرعين، و الكلب بين أيديهم. فسألته: كيف تحمله الرسالة؟

فقال: أشد في عنقه رقعة بما أحتاج إليه، و أطرحه على الحجة، فيقصد القوم، و قد عرفوا الخبر، فيقرأون الرقعة، فيمتثلون ما فيها.

من حيل اللصوص

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو القاسم التوخي، عن أبيه، أن رجلاً نام في مسجد، و تحت رأسه كيس فيه ألف و خمسمائة دينار. قال: فما شعرت إلا بإنسان قد جذبه من تحت رأسي، فانتبهت فرعاً، فإذا شاب قد اخذ الكيس و مر يعدو.

فقمتم لأعدو خلفه، فإذا رجلي مشدودة بخيط قنب، في وتد مضروب في آخر المسجد.

ابن الخياطة يسرق و هو في الحبس

أنبأنا محمد بن أبي طاهر ، قال: أنبأنا أبو القاسم التوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو الحسين عبد الله بن محمد البصري، قال: حدثني أبي، قال: كان بالبصرة رجل من اللصوص، يلص بالليل، فاره جداً، مقدم، يقال له: عباس بن الخياطة، قد غلب الأمراء، و أشجى أهل البلد.

فلم يزالوا يحتالون عليه، إلى أن وقع، و كبل بمائة رطل حديد، و حبس. فلما كان بعد سنة من حبسه و أكثر، دخل قوم بالأبلة على رجل تاجر كان عنده جوهر بعشرات ألوف دنانير، و كان متيقظاً جلدأً. فجاء إلى البصرة يتظلم، و أعانه خلق من التجار، و قال للأمير: أنت دسست على جوهرى، و ما خصمى سواك.

فورد عليه أمر عظيم، و خلا بالبوابين، و توعدهم، فاستنظروه، فأنظرهم، و طلبوا، و اجتهدوا، فما عرفوا فاعل ذلك، فعنفهم الرجل، فاستجابوا مدة أخرى.

فجاء أحد البوابين إلى الحبس، فتخادم لابن الخياطة، و لزمه نحو شهر، و تذلل له في الحبس. فقال له: قد وجب حقك عليّ فما حاجتك؟ قال: جوهر فلان، المأخوذ بالأبلة، لا بد أن يكون عندك منه خبر، فإن دماءنا مرهنة به، و حدثه بالحديث.

فرفع ذيله، و إذا سقط الجوهر تحته، فسلمه إليه، و قال: قد وهبته لك. فاستعظم ذلك، و جاء بالسفط إلى الأمير، فسأله عن القصة، فأخبره بها. فقال: علي بعباس، فجاءوا به.

فأمر بالإفراج عنه، و إزالة قيوده، و إدخاله الحمام، و خلع عليه، و أجلسه في مجلسه مكرماً، و استدعى الطعام، فواكله، و بيته عنده.

فلما كان في الغد، خلاه، و قال: أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط، ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر، و قد عاملتك بالجميل، ليجب حقي عليك، من طريق الفتوة، و أريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر.

قال: على أني و من عاوني عليه آمنون، و أنك لا تطالبنا بالذين أخذوه. قال: نعم. فاستخلفه، فخلف. فقال له: إن جماعة اللصوص، جاءوني إلى الحبس، و ذكروا حال هذا الجوهر، و أن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها قنب و لا تسلق، و عليها باب حديد، و الرجل متيقظ، و قد راعوا سنة، فما أمكنهم، و سألوني مساعدتهم.

فدفعت إلى السجن مائة دينار، و حلفت له الشطارة، و الأيمان الغليظة، أنه إن أطلقني عدت إليه في غد، و أنه إن لم يفعل ذلك، اغتلتته، فقتلته في الحبس.

فأطلقني، فنزعت الحديد، و تركت الحبس، و خرجت وقت المغرب فوصلنا إلى الأبلة، وقت العتمة، و خرجنا إلى دار الرجل، فإذا هو في المسجد و بابه مغلق. فقلت لأحدهم: تصدق من الباب، فتصدق.

فلما جاءوا ليفتحوا، قلت له: اختف، ففعل ذلك مرات، و الجارية تخرج، فإذا لم تر أحداً عادت. إلى أن خرجت من الباب، و مشت خطوات، تطلب السائل، فتشاغلت بدفع الصدقة إليه، فدخلت أنا إلى الدار.

فإذا في الدهليز بيت فيه حمار، فدخلته، و وقفت تحت الحمار، و طرحت الجل علي و عليه.
و جاء الرجل، فغلق الأبواب، و فتش ، و نام على سرير عال، و الجوهر تحته.
فلما انتصف الليل، قمت إلى شاة في الدار، فحركت أذنها، فصاحت.
فقال: ويلك، أقول لك افتقديها.

قالت: قد فعلت.

قال: كذبت، و قام بنفسه لي طرح لها علفاً.
فجلست مكانه على السرير، و فتحت الخزانة، و أخذت السقط، و عدت إلى موضعي، و عاد الرجل فنام.
فاجتهدت أن أجد حيلة، و أن أنقب إلى دار بعض الجيران، فأخرج، فما قدرت، لأن جميع الدار، مؤزرة
بالساج.

و رمت صعود السطح، فما قدرت، لأن الممارق مقفلة بثلاثة أقفال.
فعملت على ذبح الرجل، ثم استقبحت ذلك، و قلت هذا بين يدي، إن لم أجد حيلة غيره.
فلما كان السحر، عدت إلى موضعي تحت الحمار.

و انتبه الرجل يريد الخروج، فقال للجارية، افتحي الأقفال من الباب، و دعيه متربساً ، ففعلت، و قربت ن
الحمار، فرفس، فصاحت.

فخرجت أنا، ففتحت المترس ، و خرجت أعدو، حتى جئت إلى المشرعة، فنزلت في الحيطية.
و وقعت الصيحة في دار الرجل.

فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئاً منها، فقلت: لا، هذه قصة عظيمة و أخاف أن ينتبه عليها، و لكن دعوها
عندي، فإن مضى على الحدث ثلاثة أشهر ، و انكتم، فصيروا إليّ، أعطيكم النصف، و إن ظهر، خفت
عليكم و على نفسي، و جعلته حقناً لدمائكم، فرضوا بذلك.

فأرسل الله هذا البواب، بلية، فخلمني، فاستحييت منه، و خفت أن يقتل، هو و أصحابه، و قد كنت
وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب، فدخلتم علي من طريق أخرى، لم أستحسن في الفتوة، معها، إلا
الصدق. فقال له الأمير: جزاء هذا الفعل، أن أطلقك، و لكن تتوب.

فتاب، و جعله الأمير من بعض أصحابه، و أسنى له الرزق، فاستقامت طريقته.

ابن الخياطة يتسلل إلى الصيرفي من بين حراسه

قال أبو الحسين ، و حدثني أبي، عن طالوت بن عباد الصيرفي، قال: كنت ليلة نائماً بالبصرة، في فراشي، و
أحراسي يحرسونني، و أبواي مقفلة، فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي، فانتبهت فرعاً.
فقلت: من أنت؟ فقال: ابن الخياطة، فتلفت.

فقال: لا تجزع، قد قمرت الساعة خمسمائة دينار، أقرضني إياها، لأردها عليك.
فأخرجت خمسمائة دينار، فدفعتها إليه.

فقال: نم، و لا تتبعني، لأخرج من حيث جئت، و إلا قتلتك.
قال: و أنا و الله أسمع صوت حراسي، و لا أدري من أين دخل، و من أين خرج.
و كتمت الحديث، خوفاً منه، و زدت في الحرس.
و مضت ليل فإذا أنا به قد أنهني، على تلك الصورة، فقلت: مرحباً، ما تريد؟ قال: جئت بتلك الدنانير،
تأخذها مني.
قلت: أنت في حل منها، و إن أردت شيئاً آخر فخذ.
فقال: لا أريد، من نصح التجار شاركهم في أموالهم، و لو كنت أردت مالك باللصوصية، فعلت، و لكنك
رئيس بلدك، و لا أريد أذيتك، فإذا ذلك يخرج عن الفتوة، و لكن خذها، و إن احتجت إلى شيء بعد هذا،
أخذت منك.
فقلت: إن عودك يفرعني، و لكن، إذا أردت شيئاً، فتعال إليّ فهاراً، أو رسولك.
فقال: أفعل.
فأخذت الدنانير منه، و انصرف، و كان رسوله يجيني بعلامة، بعد ذلك، فيأخذ ما يريده.
فما انكسر لي عنده شيء، إلى أن قبض عليه.

البلاء موكل بالمنطق

أخبرنا أبو القاسم الأزهرى، و علي بن علي البصري، قالوا: أنشدنا أحمد بن منصور الوراق، قال: أنشدنا
نصر الخيز أرزي، لنفسه:

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهل ... و كل امرئ ما بين فكيه مقتل
إذا ما لسان المرء أكثر هذره ... فذاك لسان بالبلاء موكل
و كم فاتح أبواب شر لنفسه ... إذا لم يكن قفل على فيه مقفل
كذا من رمى يوماً شرارات لفظه ... تلقتة نيران الجوابات تشعل
و من لم يقيد لفظه متجماً ... سيطلق فيه كل ما ليس يجمل
و من لم يكن فيه ماء صيانة ... فمن وجهه غصن المهابة يذبل
فلا تحسبن الفضل في الحلم وحده ... بل الجهل في بعض الأحيان أفضل
و من ينتصر ممن بغى فهو ما بغى ... و شر المسيئين الذي هو أول
و قد أوجب الله القصاص بعدله ... و لله حكم في العقوبات منزل
فإن كان قول قد أصاب مقاتلاً ... فإن جواب القول أدهى و أقتل
و قد قيل في حفظ اللسان و خزنه ... مسائل من كل الفضائل أكمل
و من لم تقر به سلامة غيبه ... فقربانه في الوجه لا يتقبل
و من يتخذ سوء التخلف عادة ... فليس عليه في عتاب معول
و من كثرت منه الوقعة طالباً ... بها غرة فهو المهين المذل

و عدل مكافاة المسيء بفعله ... فماذا على من في القضية يعدل
و لا فضل في الحسى إلى من يحسها ... بلى عند من يزكو لديه الفضل
و من جعل التعريض محصول مزحه ... فذاك على المصريح يحصل

و من أمن الآفات عجباً برأيه ... أحاطت به الآفات من حيث يجهل
أعلمكم ما علمتني تجاري ... و قد قال قبلي قائل متمثل:
إذا قلت قولاً كنت رهن جوابه ... فحاذر جواب السوء إن كنت تعقل
إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلماً ... فدبر و ميز ما تقول و تفعل
بغدادية تقعد جنبينها فقاعياً على باب الجنة

قال المحسن: حدثني أبو محمد بن داسه ، أنه سمع امرأة تخاصمت مع زوجها.
فقال له: طلقني.

فقال لها: أنت حبلى، حتى إذا ولدت طلقتك.

قالت: ما عليك منه.

قال: فأيش تعملين به؟.

قالت: أقعده على باب الجنة فقاعي .

فقلت لعجوز كانت تتوسط بينهما: أيش معنى هذا؟ قالت: تريد أنها تشرب ماء السداب ، و تتحمل سداباً
عليه أدوية، لتسقط، فيلحق الصبي بالجنة، فيكون كالفقاعي.

لأبي علي القرمطي في وصف شمعة

أنبأني الشيخان: الأجل العلامة تاج الدين الكندي، و الفقيه جمال الدين ابن الخرساني، إجازة، قالوا: أخبرنا
الإمام الحافظ، أبو القاسم بن عساكر الدمشقي ، سماعاً عليه، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، عن
أبي القاسم التوخي، قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن عثمان الخرقى، الفارقي، الحنبلي، التميمي، قال:
كنت بالرملة، سنة ثلثمائة وخمس و ستين، و قد ورد إليها القرمطي، أبو علي ، القصير الثياب، فاستدناي
منه، و قربني إلى خدمته.

فكنت ليلة عنده، إذ حضر الفراشون بالشموع، فقال لأبي نصر بن كشاجم و كان كاتبه : يا با نصر، ما
يحضرك في صفة هذه الشموع؟ فقال: إنما نحضر مجلس السيد، لنسمع كلامه، و نستفيد من أدبه. فقال أبو
علي، في الحال، بديهاً:

و مجدولة مثل صدر الفتاة ... تعرت و باطنها مكتسي

لها مقلة هي روح لها ... و تاج على الرأس كالبرنس

إذا غازلتها الصبا حركت ... لساناً من الذهب الأملس

و إن رنقت لنعاس عرا ... و قطت من الرأس لم تنعس

و تتج في وقت تلقيحها ... ضياء يجلي دجى المجلس
فحن من النور في أسعد ... و تلك من النار في أنحس
تكيد الظلام و ما كادها ... ففنى و تفنيه في مجلس
فقام أبو نصر بن كشاجم، و قبل الأرض بين يديه، و سألَه أن يأذن له، في إجازة الأبيات، فأذن له، فقال:
و ليلتنا هذه ليلة ... تشاكل أشكال أفليلس
فيا ربة العود غني لنا ... و يا حامل الكأس لا تجلس
فتقدم بأن يخلع عليه، و حملت إليه صلة سنية، و إلى كل من الحاضرين.

فليت الأرض كانت مادرايا

ذكر أبو علي التنوخي، في كتاب نشوار محاضرة، قال: حدثني محمد بن الحسن البصري، قال: حدثني
الهمداني الشاعر، قال: قصدت ابن الشلمغاني في مادرايا ، فأنشدته قصيدة قد مدحته بها، و تأنقت فيها، و
جودتها، فلم يحفل بها.
فكنت أغاديه كل يوم، و أحضر مجلسه، حتى يقبوض الناس، فلا أرى للشواب طريقاً.
فحضرته يوماً، و قد احتشد مجلسه، فقام شاعر، فأنشد نونية، إلى أن بلغ فيها إلى بيت، و هو:
فليت الأرض كانت مادرايا ... و ليت الناس آل الشلمغاني
فعن لي في الوقت هذا البيت، فقمت، و قلت مسرعاً:
إذا كانت بطون الأرض كنفاً ... و كل الناس أولاد الزواني
فضحك، و أمرني بالجلوس، و قال: نحن أحوجنك إلى هذا، و أمر لي بجائزة سنية.
فأخذتها و انصرفت.

لأبي الفرج البغاء

في وصف قدح ياقوت أزرق و أخبرني الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي، قال: أخبرني الإمام
الحافظ السلفي الأصبهاني رحمه الله تعالى، قال: أخبرني الرئيس أبو سعد محمد بن عقيل بن عبد الواحد
الدسكري ، في سنة ست و تسعين و أربعمئة، قال: حدثني القاضي التنوخي، قال: أصعد أبو الفرج البغاء
، إلى سيف الدولة بن حمدان ، هو و جماعة من الشعراء الكبار، يمتدحونه، فأخرج يوماً خازنه قدحاً من
ياقوت أزرق، فملاه ماء، و تركه يتشعشع.
فقال له أبو الفرج: يا مولانا، ما رأيت أحسن من هذا.
فقال: قل فيه شيئاً، و هو لك.
فقال أبو الفرج في الحال:

كم منة للظلام في عنقي ... بجمع شمل و ضم معتق
و كم صباح للراح أسلمي ... من فلق ساطع إلى فلق
فعاطيتها بكراً مشعشة ... كأنها في صفائها خلقي
في أزرق كالهواء يخرقه الـ ... حظ و إن كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة ... حسناً و لطفاً في زرقة الخلق
ما زلت منه منادماً كعباً ... مذ أسكرتها المدام لم تفق
تحتال قبل المراج في أزرق الـ ... فجر و بعد المراج في شفق
أدهشها سكرنا فإن يكن الـ ... صمت حديثاً فذاك عن فرق
تغرق في أبحر المدام فيستن ... قذها شربنا من الغرق
و نحن باللهو بين مصطبح ... من لوها في معصفر شرق
لحلت أن الهواء لاطفني ... بالشمس في قطعة من الأفق
فاستحسنها سيف الدولة، و أعطاه إياه.

و من كان فوق الدهر لا يحمد الدهرا

ذكر القاضي أبو علي التنوخي، في كتاب النشوار، قال: أنشدني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي ،
لنفسه، بالأهواز ، يقول:

إذا حمد الناس الزمان ذمته ... و من كان فوق الدهر لا يحمد الهرا
و زعم أنه حاول أن يضيف إليه شيئاً، فتعذر عليه مدة طويلة، و ضجر منه، و تركه مفرداً.
و كان عندي أبو القاسم المصيصي المؤدب، فسمع القول، فعمل في الحال، إجازة له، و أنشدها لنفسه:
و إن أوسعتني النائبات مكارهاً ... ثبت و لم أجزع و أوسعتها صبراً
إذا ليل خطب سد طرق مذهبي ... لجأت إلى عزمي فأطلع لي فجراً

أبو الفرج البغاء يصف بركة ملئت وردا

قال : و كنت أنا و أبو الفرج البغاء ، نشاهد بركة ملئت، و جعل فوقها ورد، و بهار ، و شقائق ، حتى
غطى أكثر الماء.

و حضر أبو علي الهائم ، فسأل أبا الفرج أن يعمل في ذلك شيئاً، فعمل بحضرتنا، و أنشد:
خجل الورد من جوار البهار ... فمشى باحمراره في اصفرار
و حكي الماء فيهما أحر اليافو ... ت حسناً مرصعاً بنظار
جمعاً بالكمال في بركة تم ... تع حسناً نواظر الحضار

أضرم الماء بالشقيق بما النا ... ر و عهدي بالماء ضد النار
فوجدنا أخلاق سيدنا الزهر ... ذكاء تربى على الأزهار
ظلت منه و من نداماه للأن ... س نديم الشموس و الأقمار

القاضي التنوخي يهدي إلى جحظة

البرمكي طيلسانا

قال : أهدي إلي أبو القاسم التنوخي القاضي ، رضي الله عنه ، طيلساناً فكتبت إليه:
قد أتى الطيلسان مستوعباً شك ... ري في حسن منظر و رواء
مثقلاً عاتقي و إن كان في الخف ... ة و اللطف في قياس الهواء
تسرح العين منه و القلب في الآ ... ل، و في الماء، و السنا، و البهاء
يتلقى حر الصدود ببرد ال ... وصل و الصيف في طباع الشتاء
يخفق الدهر في النسيم كما يخ ... فق قلب الجبان في الهجاء
كل جزء منه يمج إلى الأر ... واح روح المنى و برد الوفاء
ليس فيه للنار و الأرض حظ ... هو من جوهرى هواء و ماء
زاد في همتي و نفسي و تأ ... ميلي علواً و زاد في كبريائي
فكأنى إذا تبخرت فيه ... قد تطيلست نصف بدر السماء

من شعر السري الرفاء

و ذكر : أن السري الرفاء ، دخل على أبي الحسن، باروخ بن عبد الله، صاحب ناصر الدولة بن حمدان ، و
بين يديه ستارة، تستر من يجلس برسم الغناء.
فأمره أن يصنع ما يكتب عليها، فصنع بديهاً:
تبين لي سبق الأمير إلى العلا ... و ما زال سباقاً إلى الفضل منعماً
فصيرني بين القيان إذا شدت ... و بين نداماه حجاباً مكرماً
لأظهر من حسن الغناء محلاً ... و أستر من حسن الوجوه محرماً

الوزير المهلبى يمتدح غناء الرقية

زوجة أبي علي الحسن بن هارون الكاتب قال : و حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم ، قال:
حدثني أبي : قال: كنا في دعوة أبي علي، الحسن بن هارون الكاتب ، و حضر فيها الوزير، أبو محمد،

الحسن بن محمد المهلي ، وهو إذ ذاك، يخلف أبا جعفر الصيمري على الأمر ببغداد.
فغنت الرقية، زوج أبي علي، صوتاً من وراء الستارة، أحسنت فيه، فأخذ المهلي الدواة، فكتب في الحال
على البديهة، و أنشدنا لنفسه:
ذات غنى في الغناء من نعم ... تنفق في الصوت منه إسرافاً
كأنها فارس على فرس ... ينظر في الجري منه أعطافاً

نصر الخبز أرزي و حريق المربد

و روي : ا، نصر بن أحمد الخبز أرزي ، دخل على أبي الحسين بن المثنى ، في أثر حريق المربد .
فقال له أبو الحسين: يا أبا القاسم، ما قلت في حريق المربد؟ قال: ما قلت شيئاً.
فقال له: هل يحسن بك، و أنت شاعر البصرة، و المربد من أجل شوارعها، و سوقه من أجل أسواقها، و لا
تقول فيه شيئاً؟ .

فقال: ما قلت، و لكني أنشدك ارتجالاً:
أتتكم شهود الهوى تشهد ... فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم ... على أنني منكم مجهد
جرى نفسي صعداً بينكم ... فأحرق من ذلك المربد
و هاجت رياح حنني لكم ... فظلت بها ناره توقد
و لولا جرت أدمعي لم يكن ... حريقكم أبداً يخمد

بين ابن لنكك، و أبي ريش القيسي

قال : و أخبرني من حضر مجلس أبي محمد المافروخي ، عامل البصرة، و قد تناظرا في شيء من اللغة اختلافاً
فيه، فقال أبو ريش ، كذا أخبرني عمي، أو جدي، في البادية، عن العرب، و وجدتها تتكلم به.
فقال له أبو الحسن محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك الشاعر ، و كان حاضراً: اللغة لا تؤخذ عن البغيات.
فأمسك خجلاً.

و كان أبو محمد المافروخي، قد ولاه الرسم على المراكب بعبادان بحار سابع ، و أحسن إليه، و اختاره
عصية منه للعلم و الأدب، فقال ابن لنكك:
أبو ريش ولي الرسما ... فكيف لا يصفع أو يعمي
يا رب جدي دف في خضرة ... ثم أأنا بقفا يدمي

من نظم القاضي

و أظرف ما يعرف في هذا المعنى، ما انشده القاضي التنوخي، لنفسه:

لم أنس شمس الضحى تطالعي ... و نحن في روضة على فرق
و جفن عيني بمائة شرق ... و قد بدت في معصفر شرق
كأنه دمعتي و وجنتها ... حين رمتنا العيون بالحدق
ثم تغطت بكمها خجلاً ... كالشمس غابت في حمرة الشفق

حسبنا الله و نعم الوكيل

و أنبئت عنه، و عن غيره، قالوا: أنبأنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب، عن شجاع بن فارس الذهلي، قال: أنبأنا أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي إذناً، قال: حدثني القاضي علي بن المحسن التنوخي، و أنبئت، عن أبي أحمد بن سكين، عن محمد بن عبد الباقي الزاز، عن علي ابن المحسن، قال: حدثني صفية بنت عبد الصمد، من خدم القادر، قالت: كنت في دار الأمير أبي العباس أحمد، يعني القادر بالله، يوم كبست، بمن أنفذ الطائع له، للقبض عليه، و قد جمع حريمه، في غداة هذا اليوم، و كنت معهم. فقال لنا: رأيت في منامي، كأن رجلاً يقرأ علي: الذين قال لهم الناس، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فرادهم إيماناً، و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل، و قد خفت أن يطلبني طالب، أو يحدث عليّ حادث. و هو في حديثه، إذ شاهد أبا الحسن بن حاجب النعمان، قد تقدم إلى درجة داره، فقال: إنا لله، هذا حضور مريب، يعقب هذا المنام.

و صعد، و معه أبو القاسم بن تمام، و العباسي الحاجب، و تبادرنا إلى وراء الأبواب، فلما رأينا أبا الحسن، قد علّق بكمه، خرجنا إليه، و أخذناه من يده، و منعناه منه. قال هلال: و انحدر متخفياً إلى البطيخة، فأقام بها، عند مهذب الدولة إلى أن عقدت له الخلافة، و أصدد. فجعل علامته: حسبنا الله و نعم الوكيل.

أبو دهبيل خرج للغزو فتزوج و أقام

أنبئت عن القاضي الأشرف، قال: أنبأنا أبو محمد الشهرستاني، و هو إسماعيل بن إبراهيم الصوفي، قال: أنبأنا أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار البقال، قال: أنبأنا والدي ثابت، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، رحمه الله.

و كتب إلي من بغداد، الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادي، عن أبي أحمد الأميني. و أجاز لي أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر، و غيره، عن المؤيد ابن محمد الطوسي. و أثبت عن جماعة غيره، عن أبي بكر بن أبي طاهر الأنصاري، عن أبي القاسم علي بن المحسن، قال: حدثنا أبو بكر محمد، قال: أنبأنا والدي عبد الرحيم بن أحمد بن إسحاق المازني، قال: أنبأنا مصعب بن عبد الله، قال: حدثنا أبو قثم بن أبي عبد الله، قال: خرج أبو دهبيل يريد الغزو، و كان رجلاً جميلاً، صالحاً، فلما كان

بحيرون جاءته امرأة، فأعطته كتاباً، فقالت: اقرأ لي هذا الكتاب.
فقرأه لها.

ثم ذهبت، فدخلت قصرًا، ثم خرجت إليه، فقالت: لو بلغت إلى هذا القصر، فقرأت هذا الكتاب على امرأة فيه، كان لك فيه أجر إن شاء الله فإنه من غائب لها يعينها أمره.
فبلغ معها القصر، فلما دخل، إذا فيه جوار كثيرة، فأغلقت عليه باب القصر، وإذا امرأة جميلة، فدعته إلى نفسها، فأبى، فأمرت به، فحبس في بيت من القصر، و أطعم، و سقي، مكبلاً، حتى ضعف، و كاد يموت.
ثم دعت إلى نفسها، فقال: أما حراماً فلا يكون ذلك أبداً، و لكن أتزوجك.
قالت: نعم.

فأمرت به، فاحسن إليه، حتى رجعت إليه نفسه، فأقام معها زمناً طويلاً، لا تدعه يخرج من القصر، حتى أيس منه أهله و ولده، و تزوج بنوه و بناته، و اقتسموا ماله، و أقامت زوجته تبكي عليه، و لم تقاسمهم ماله.

ثم إنه قال لامرأته: إنك قد أثمت في ، و ف ي أهلي و ولدي، فأذن لي، أن أطلعهم و أعود إليك.
فأخذت عليه إيماناً، لا يقيم إلا سنة، حتى يعود إليها، و أعطته مالا كثيراً.
فخرج من عندها بذلك المال، حتى قدم على أهله، فرأى زوجته، و ما صارت إليه من الحزن، و ما صار إليه ولده.

و جاءه ولده، فقال: ما بيني و بينكم عمل، أنتم ورثتموني، فهو حظكم، و الله، لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد.

و قال لزوجته: شأنك بهذا المال، فهو لك كله، و قال في الشامية:
صاح حياً الإله حياً و دوراً ... عند أصل القناة من جيرون
عن يساري إذا دخلت من البا ... ب و إن كنت خارجاً عن يميني
و ذكر أبياتاً منها:

ثم فارقته على خير ما كا ... ن قرين مفارقاً لقرين
فبكت خشية التفرق للب ... ين بكاء الحزين نحو الحزين
قال: فلما جاء الأجل، و أراد الخروج إليها، جاءه خبر موتها، فأقام .

ماندة الوزير حامد بن العباس

أنبت عن أبي أحمد بن منصور، و غيره، كلهم عن محمد بن أبي طاهر البزاز ، ا، علي بن المحسن التنوخي، أخبره، عن أبيه، قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن علي هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم : أن حامداً كان يقدم على مواعده، في كل يوم، بعدد من يحضر الموائد، لكل واحد، جدياً ، يوضع بين يديه، لا يشاركه فيه أحد، يأكل منه ما يأكل، فيرفع الباقي، فيفرق على الغلمان.
قال: فحضر المائدة، يوماً، رجل، لم يكن شاهد أمر الجدي، قبل ذلك، فهاله.

فقال له: أيها الوزير، قد أحدثت في الطعام، من الكرم، كل شيء حسن، و أحسنه، أمر هذا الجدي، و هو شيء لم تسبق إليه، فكيف وقع لك؟ فقال: نعم، كنت في دعوة مرة، قبل علو حالي، فقدم على المائدة جدي، و كان في فمي لقمة أنا مشغول باكلها.
فلمحت موضعاً من الجدي استطبتة، و عملت على أن أمد يدي إليه، فأخذه.
فإلى أن يفرغ فمي، سبقني بعض الحاضرين، فأخذ الموضع، فأكله، فورد علي من ذلك، مشقة شديدة، بحيث نغص علي طعامي.
فاعتقدت في الحال، إن الله وسع علي، و مكني، أن أجعل على مائدتي، جدياً، بعدد الحاضرين، لنلا يتفق عليهم، مثل هذا الفعل.
فلما تمكنت من اتساع الحال، فعلته .

نبت جارية مهران المخنث

و أنبت عن المؤيد الطوسي و غيره عن محمد بن عبد الباقي البراز ، عن علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، عن أبي الفرج الأصبهاني ، قال: أخبرني جعفر بن قدامة ، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر ، قال:

دخلت يوماً على نبت جارية مهران المخنث، و كانت حسنة الوجه و الغناء، فقللت لها مصراعاً، فأجيزه.
فقال: قل.

فقلت:

يا نبت حسنك يغشي بهجة القمر

فقال:

قد كاد حسنك أن يبتزني بصري

فتوقفت أفكر، فسبقتني، فقلت:

و طيب نشرك مثل المسك قد نسمت ... ريا الياض عليه في دجى السحر

فهل لنا فيك حظ من مواصلة ... أو لا، فإنني راض منك بالنظر

فقممت عنها خجلاً.

ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد ... فاشتراها بثلاثين ألف درهم.

بين الوليد بن يزيد و دحمان المغني

و عن ابن عساكر قال: قرأت في كتاب أبي الفرج علي بن الحسين.

و أنبت عن جماعة، منهم أبو اليمن، و عبد الوهاب بن علي، و ابن الحرساني، عن محمد بن عبد الباقي ،

عن أبي القاسم علي بن المحسن التوخي، عن أبيه، عن أبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني ، قال: أخبرني

محمد بن خلف و كيع ، قال: حدثني أبو أيوب المديني، عن أبي محمد العامري، قال: كان دحمان ، جمالاً،

يكرى إلى المواضع، و يتجر، فبينا هو ذات يوم، قد أكرى جهاله، و أحرز ماله، إذ سمع رنة ، فقام، و اتبع الصوت، فإذا جارية، قد خرجت تبكي.

فقال لها: أملوكة أنت؟ قالت: نعم.

قال: لمن؟ قالت: لامرأة من قريش، و نسبتها له.

فقال لها: أتبيعك؟ قالت: نعم.

و دخلت على مولاتها، فقالت: هذا إنسان يشتريني.

فقالت: انذني له.

فدخل، فساومها بها، حتى استقر الأمر بينهما على مائتي دينار، فاشتراها، و نقدها الثمن، و انصرف بالجارية.

قال دهمان: فأقمت عندي مدة، أطرح عليها، و يطارحها معبد، و نظراؤه من المغنين.

ثم خرجت بعد ذلك إلى الشام، و قد حدقت، فكنت لا أزال، أنزل ناحية و أعتزل بالجارية، و تنغني، حتى نرحل.

فلم نزل كذلك، حتى قربنا من الشام.

فبينا أنا ذات يوم، نازل، و أنا ألقى عليها لحنى:

وإني لأقي البيت ما أن أحبه ... و أكثر هجر البيت و هو حبيب

و أغضي على أشياء منكم تسوعي ... و أدعي إلى ما سرکم فأجيب

قال: فلم أزل أردده عليها، حتى أخذته، و اندفعت تغنيه. فإذا أنا براكب قد طلع علينا، فسلم علينا، فرددنا عليه السلام.

فقال لنا: أتأذنون لي أن أنزل، تحت ظلكم هذا ساعة؟ قلنا: نعم.

فنزل، و عرضت عليه الطعام، فأجاب، فقدمت إليه السفرة، فأكل، و استعاد الصوت مراراً.

ثم قال للجارية: أترون لدهمان، شيئاً من غناؤه؟ قالت: نعم.

قال: فغيني صوتاً.

فغنته أصواتاً من صنعتي، و غمزتها، أن لا تعرفيه أنني دهمان، فطرب، و امتلأ سروراً، و الجارية تغنيه، حتى قرب وقت الرحيل.

فأقبل علي، و قال: أتبيعي هذه الجارية؟ قلت: نعم.

قال: بكم؟ قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار.

قال: قد أخذتها، فهلم دواة و قرطاساً، فجثته بذلك، فكتب فيه: ادفع إلى حامل هذا الكتاب، ساعة تقرأه، عشرة آلاف دينار، وتسلم الجارية منه، و استعلم مكانه، و عرفنيه، و استوص به خيراً.

و ختم الكتاب ، و دفعه إلي، و قال: إذا دخلت المدينة، فسل عن فلان، و اقض منه المال، و سلم إليه الجارية، ثم ركب، و تركني.

فلما أصبحنا رحلنا، و دخلنا المدينة، فحططت رحلي، و قلت للجارية: البسي ثيابك و قومي معي، و أنا و

الله لا أطمع في ذلك، و لا أظن الرجل إلا عابثاً.
فقامت معي، فخرجت بها، و سألت عن الرجل، فدللت عليه، فإذا هو وكيل الوليد بن يزيد، فأتيته،
فأوصلت إليه الكتاب.
فلما قرأه، وثب قائماً، و قبله، و وضعه على عينيه، و قال: السمع و الطاعة لأمر المؤمنين، و دعى بعشرة
آلاف دينار، فسلمت إلي، و أنا لا أصدق أنها لي.
و قال لي: أقم، حتى أعلم أمير المؤمنين خبرك.
فقلت: حيث كنت، أنا ضيفك، و قد كان أمره لي بمنزل، و كان بخيلاً.
قال: و خرجت، فصادفت كراء، فقضيت حوائجي، في يومي و غدي، و رحلت رفقتي، و رحلت معهم.
و ذكرني صاحبي بعد أيام، فسأل عني، و أمر بطلي، فعرف أن الرفقة قد ارتحلوا، و أنني قد ارتحلت معهم،
فأمسك، فلم يذكرني إلا بعد شهر، قال لها و قد غنته صوتاً من صنعتي، لمن هذا؟ قالت: لدحان.
قال: وددت و الله، أني قد رأيته و سمعت غناه.
قالت: فقد و الله، رأيته، و سمعت غناه.
قال: لا و الله، ما رأيته و لا سمعته.

فقلت له: و الله، قد رأيته و سمعت غناه.
فغضب، و قال لها: أنا أحلف، و أنت تعارضيني، و تكذبيني؟ قالت: إن الرجل الذي اشتريته منه، دحان.
قال: ويحك، هلا أعلمتني.
قالت: إنه نهبني عن ذلك.
قال: و إنه هو، أما و الله، لأجشمه السفر.
ثم كتب إلى عامل المدينة، بحمله إليه، فحمله إليه، فلم يز أثراً عنده .

من شعر إسحق الموصلي

و أنبت عن أبي اليمن الكندي، و ابن طبرزد، و أبي أحمد بن سكينه، و غيرهم، عن أبي القاسم إسماعيل بن
أحمد بن عمر السمرقندي، قال: أنبأنا أبو الخطاب عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن حمدان، قال:
أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخالع ، قال: أنبأنا أبو الفرج علي بن
الحسين الأصبهاني .
و أنبأني أبو الفرج بن وريدة، عن أبي أحمد بن سكينه، و غيره، و أبو الفضل بن عساكر، و غيره، عن المؤيد
بن محمد الطوسي.
و أنبت عن أبي اليمن الكندي و غيره، كلهم عن محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، عن أبي القاسم علي بن
الحسن التنوخي، عن أبيه، عن أبي الفرج الأصبهاني، قال: أنبأنا محمد بن المرزبان ، قال: أنشدنا حماد بن
إسحاق ، قال: أنشدني أبي: يعني إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي:

يبقى الشئاء و تذهب الأموال ... و لكل دهر دولة و رجال
ما نال محمدا الرجال و شكرهم ... إلا الجواد بماله المفضل
لا ترض من رجل طلاقة قوله ... حتى يصدق ما يقول فعال
فإذا وزنت مقاله بفعاله ... فتوازننا فإخاء ذاك جمال

و إنك لتعلم ما نريد

حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، قال: حدثنا أبو المعالي الحسين بن حمزة بن الشعيري، قال:
حدثنا أبو بكر الخطيب .

و بالإسناد المتقدم إلى الخطيب، قال: حدثنا علي بن أبي علي ، قال: حدثنا إسماعيل بن سعيد المعدل ، قال:
أنبأنا أبو بكر بن الأنباري ، قال: قال مصعب الزبيري : خرج سالم بن عبد الله متنزهاً إلى ناحية من نواحي
المدينة، مع حرمه، و جواريه، و بلغ أشعب الخبر، فوافى الموضع الذي يلم به، يريد التطفيل ، فلما دق
الباب، وجده مغلقاً، فتسور الحائط.

فقال له سالم: ويلك يا أشعب، معي بناقي، و حرمي.

فقال: لقد علمت، مالنا في بناتك من حق، و إنك لتعلم ما نريد .

فوجه إليه سالم من الطعام، ما أكل، و حمل إلى منزله .

الوارش و الواغل

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني ، قال: حدثنا عبيد الله بن احمد بن
بكير التميمي ، قال: أخبرنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، قال: يقال للدخل على القوم، و هم يطعمون، و
لم يدع: الوارش .

و للدخل على القوم و هم يشربون: الواغل .

الضيف و الضيفن

أخبرنا علي بن أبي علي أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني ، قال: أخبرنا ابن بكير ، قال: أخبرنا ابن قتيبة ،
قال: الضيفن: الذي يجيء مع الضيف، و لم يدع .

لابن الزمكدم في أبي الفضائل

أنشدني علي بن الحسن القاضي، لأبي علي سليمان بن الفتح الموصل، المعروف بابن الزمكدم، يهجو أبا
إسحاق بن حجر الأنطاكي، الملقب أبا الفضائل، و يرميه بالتطفيل:

مطفل أطفل من ذباب ... على طعام و على شراب

لقب طنزًا أشرف الألقاب

أدور بالموصل من دولاب ... يمر مر الريح و السحاب
ينزل تطفيلًا بباب باب ... نزول شيب لاح في شباب
يدخل بالحيلة في الأنقاب ... مكابراً ينساب كالحباب
لا يفرق الرد من البواب ... و إن له أغلظ في الخطاب
له انقضاؤ سورة العقاب ... على القلايا و على الجواذب
يحمل حملات أبي تراب ... في يوم صفين و في الأحراب
بالجدي منه أثر الذئاب ... يبعثه مغثة ليث الغاب
بكفه و ظفره و الناب

فعامر الميلة في خراب ... و صاحب المنزل في عذاب
لسوء ما يأتي من الآداب قال علي بن الحسن: و قال فيه بهجوه:
طفيلي على فرس يدور ... يقلر عند من غلت القدور

بأوقات الموائد حين يؤتى ... بها للأكل علام خبير
له في الغيب اضطراب وحي ... بمائدة إذا وضعت نذير
فبطليموس في تحديد وقت ... إليه بغير ما غلط يشير
كأن على الموائد منه ليثاً ... على حيوانها حنقاً يزير
فرب الدار منه في حصار ... و من فيها بخدمته ضجور
يكنى بالفصائل و هو نقص ... على طنز بلحيته صبور

لأبي الحارث الموصلي في طاهر الهاشمي

أنشدني علي بن أبي علي البصري، عن أبيه، لأبي الحارث الموصلي، في طاهر الهاشمي، يهجوّه بالتطفيل:
عمرو العلا ساد الورى ... بالجود و الفعل الحميد
هشم الثريد لقومه ... و الناس في ضر شديد
و هشمت أنت وجوه أه ... ل الأرض في طلب الثريد
فلوان قوماً يشتو ... ن اللحم في جبلي زرود
لطرفتهم بضائهم ... في نارهم ذات الوقود
و إذا سمعت بشرده ... ألفت منها بالوصيد

وصف طفيلي

و أنشدني علي بن أبي علي ، أيضاً ، عن أبيه ، لغيره:
أطفال من ليل على نهار ... كأنه في الدار رب الدار

لشاعر بصري في طفيلي

أخبرنا علي بن الحسن التوخي، قال: وجدت في كتاب جدي القاضي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي
الفهم ، حدثنا حرمي بن أبي العلاء ، قال: أنشدني إسحاق بن محمد بن أبان النخعي لبعض البصريين، في
طفيلي:

يمشي إلى الدعوة مستذفراً ... مشي أبي الحارث ليث العرين
لم تر عيني آكلاً مثله ... يأكل باليسرى معاً و اليمين
تجول في القصعة أطرافه ... لعب أخي الشطرنج بالشاهيين

ليت الليل كان سرمدا

أخبرنا علي بن الحسن التوخي. قال: وجدت في كتاب جدي ، حدثنا حرمي بن أبي العلاء . قال: حدثنا
إسحاق بن محمد بن أبان النخعي ، قال: حدثني القحذمي ، قال: كان رقبة يقعد في المسجد، فإذا أمسى،
بعث جلساؤه من جيران المسجد، فيأتي كل رجل منهم، من منزله، بطرفه ، فيأكل، ثم يقول: ليت الليل
كان سرمداً ، إلى يوم القيامة .

لأبي الحسن الأسدي

أخبرنا علي بن أبي علي ، قال: أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن محمد المقرئ، قال: أخبرنا المظفر بن يحيى ، قال:
أنشدني أبو الحسن الأسدي لنفسه:

كنت يا سيدي على التطفيل ... أمس لولا مخافة الثقليل
و تذكرت دهشة القارع البا ... ب إذا ما أتى بغير رسول
و تخوفت أن أكون على القو ... م ثقيلاً فقدت كل ثقليل
لو تراني و قد وقفت أروي ... في دخول إليك أو في حلول
لرأيت العذراء حين تحابا ... و هي من شهوة على التعجيل

وصية طفيلي

حدثنا علي بن أبي علي البصري عن أبي عيد الله محمد بن عمران المرزباني ، قال: كان طفيل العرائس الذي
ينسب إليه الطفيليون، يوصي ابنه عبد الحميد ابن طفيل، في علقته، فيقول: إذا دخلت عرساً، فلا تتلفت

تلقت المريب، و تخير المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام، فمر، و انه، و لا تنظر في عيون أهل المرأة، و لا في عيون أهل الرجل، ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، و يظن هؤلاء أنك من هؤلاء. فإن كان البواب غليظاً وقاحاً، فابدأ به، و مره، و انه، من غير أن تعنفه، و عليك بكلام بين النصيحة و الإدلال:

لا تجزعن من القري ... ب و لا من الرجل البعيد
و ادخل كأنك طابخ ... بيديك مغرفة الثريد
متدلياً فوق الطعام ... تدلي البازي الصيود
لتلف ما فوق الموا ... تد كلها لفالفهود
و اطرح حياءك إنما ... وجه المطفل من حديد
لا تلقت نحو البقو ... ل و لا لى غرف الثريد
حتى إذا جاء الطعا ... م ضربت فيه بالشديد
و عليك بالفالودجا ... ت فإنها عين القصيد
هذا إذا حررتهم ... و دعوتهم هل من مزيد

و العرس لا يخلو من ال ... لموزيح الرطب العتيد
فإذا أتيت به محو ... ت محاسن الجام الجديد
ثم أغمي عليه ساعة، عند ذكر اللوزينج ، فلما أفاق رفع راسه، و قال:
و تقلن على الموائ ... د فعل شيطان مرید
و إذا انتقلت عبث بال ... كحك الخفف و القديد
يا رب أنت رزقتني ... هذا على رغم الحسود
و اعلم بأنك إن قبل ... ت نعمت يا عبد الحميد

طفيلي يصف نفسه

أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التتوخي، لطفيلي:
إن شكري لمنة التطفيل ... و أياديه منذ دهر طويل
كم تراني قد نلت من لذة العي ... ش بأسبابه و حظ جزيل
و تمتعت من طعام لذيذ ... و سماع فيه شفاء الغليل
فإذا ما عرفت مجتمع الإ ... وان في بيت صاحب أو خليل
كان إتيانه صواباً على الإن ... س و لم أجتنب كفعل النقييل
و جعلت السعي السبيل إلى ذا ... ك و لم أنتظر مجيء الرسول
فأبن لي أين اجتماعكم اليو ... م إلى ذي سماحة أو بخيل؟
فلعلي أكون لا أعرف الدا ... ر فأحتال في حضور الدليل

بنان الطفيلي يحفظ آية واحدة

و بيتاً واحداً من الشعر أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمداني، و أبو القاسم عبيد الله بن عبد العزيز البردغي و علي بن أبي علي البصري ، قالوا: أخبرنا محمد بن عبيد الله بن شخير الصيرفي ، قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن علي المقرئ ، قال: سأل أبي بنانا ، و أنا أسمع: أتُحفظ من كتاب الله شيئاً؟ قال: نعم، آية واحدة قال: ما هي؟ قال: قال موسى لفتهآ آتنا غداءنا . قال له: أتُحفظ من الشعر شيئاً؟ قال: نعم، بيتاً واحداً. قال: ما هو؟ قال:

نروركم لا نكافىكم بجفوتكم ... إن الحب إذا ما لم يزر زاراً

الأكل مع الإخوان لا يضر

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى، و عبيد الله بن عبد العزيز، و علي بن أبي علي، قالوا: حدثنا محمد بن عبيد الله بن الشخير، قال حدثنا حمد بن الحسن بن علي المقرئ، قال: سمعت بنانا يقول: حدثني عباس الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: الأكل مع الإخوان لا يضر .

نسخة عهد في التطفيل

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن بن علي التنوخي، قال: كان في نقباء الأمير بختيار، المعروف بعز الدولة ، رجل يسمى عليكا، و كان كثير التطفيل على جميع أهل العسكر من الحجاب، و القواد و الكتاب، و وجوه الخاصة، و الغلمان.

و شاع له ذلك عند بختيار، فرسم له أن يستخلف على التطفيل خليفة. و تقدم إلى أبي إسحاق، إبراهيم بن هلال الصابي، الكاتب ، أن يكتب بذلك عهداً، لابن عرس الموصلي، عن عليكا، و أن يجعله خليفته على التطفيل.

فكتب له على طريق الهزل، عهداً، قرأه أبو إسحاق علينا، فكانت نسخته: هذا ما عهد علي بن أحمد، المعروف بعليكا، إلى علي بن عرس الموصلي، حين استخلفه على إحياء سنته، و استنابه في حفظ رسومه من التطفيل، على أهل مدينة السلام، و ما يتصل بها من أكنافها، و يجري معها من سوادها و أطرافها، لما توسمه فيه، من قلة الحياء، و شدة اللقاء، و كثرة اللقم، و جودة الهضم، و رآه أهلاً له من سده مكانه في هذه الرفاهية المهمة التي فطن لها، و الرفاعية المطرحة التي اهتدى إليها، و النعم العائدة على لابسها، بملاذ الطعوم، و مناعم الجسوم، متورداً على من اتسعت مواد ماله، و تفرعت شعب حاله، و أقدره الله على غرائب المأكولات، و أظفره ببدائع الطيبات، آخذاً من كل ذلك بنصيب الشريك المناصف، و ضارباً فيهم بسهم الخليط المفاوض، و مستعملاً للمدخل اللطيف عليه، و المتولج العجيب إليه، و الأسباب التي ستشرح

في مواضعها من هذا الكتاب، و تستوفي الدلالة على ما فيها من رشاد و صواب، و بالله التوفيق، و عليه التعديل، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

أمره بتقوى الله التي هي الجانب العزيز، و الحرز الحريز، و الركن المنيع، و الطود الرفيع، و العصمة الكالنة، و الجنة الواقية، و الزاد النافع، يوم المعاد، حين لا ينفع إلا مثله من الأزواد، و أن يستشعر خيفته، في سره و جهره، و مراقبته في قوله و فعله، و يجعل رضاه مطلبه، و ثوابه ملبسه، و القرب نه أربه، و الزلفى لديه غرضه، و لا يخالفه في مسعاة قدم، و لا يتعرض عنده لعاقبة ندم.

و أمره بأن يأمل اسم التطفيل و معناه، و يعرف مغزاه و منحا، و يتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده، غير القائل فيه بتسليمه و تقليده، فإن كثيراً من الناس قد استقبحه ممن فعله، و كرهه لمن استعمله، و نسبته فيه إلى الشره و النهم، فمنهم من غلط في استدلاله، فأساء في مقاله، و منهم من شح على ماله، فدافع عنه باحتياله، و كلا الفريقين مذموم، لا بتعريان من لبس فاضح، و منهم الطائفة التي لا ترى شركة العنان، فهي تبذله إذا كان لها، و تتدلى عليه إذا كان لغيرها، و ترى أن المنة من المطعم، للهاجم الآكل، و في المشرب، للوارد الواغل، و هي أحق بالحرية، و أخلق بالخيرية، و أخرى بالمروءة، و أولى بالفتوة.

و قد عرفت بالتطفيل، و لا عار فيه، عند ذوي التحصيل، لأنه مشتق من الطفل، و هو وقت المساء، و أوان العشاء، و إن كثر استعماله في صدر النهار و عجزه، و أوله و آخره، كما قيل للشمس و القمر، القمران، و أحدهما القمر، و لأبي بكر و عمر، العمران، و أحدهما عمر.

و أمره أن يتعهد موائد الكبراء و العظماء بقراياه، و سمط الأمراء و الوزراء بسراياه، فإنه يظفر منها بالغنيمة الباردة، و يصل عليها إلى الغريبة النادرة، و إذا استقرأها، وجد فيها من طرائف الألوان، الملمدة للسان، بدائع الطعوم، السائغة في الحلقوم، ما لا يجد عند غيرهم، و لا يناله إلا لديهم.

و أمره أن يتتبع ما يعرض لوسري التجار، و مجهزي الأمصار، من وكيرة الدرا و العرس و الأعدار فإنهم يوسعون على أنفسهم في النوائب، بحسب تضيقهم عليها في الراتب.

و أمره أن يصادق قهارمة الدور و مدبريها، و يرافق و كلاء المطابخ و حماليها، فإنهم ملكون من أصحابهم، أزمة مطاعمهم، و مشاربهم، و يضعونها بحيث يجبون من أهل موداتهم، و معارفهم، و إذا عدت هذه الطائفة أحداً من الناس من خلافتها، و اتخذته أخاً من إخوانها، سعد بمرافقتها، و حظي بمصادقتها، و وصل إلى محابه من جهاتها، و مآربه في جنباتها.

و أمره أن يتعهد أسواق المتسوقين، و مواسم المتبايعين، فإذا رأى وظيفة قد زيد فيها، و أطعمة قد احتشد مشتريها، اتبعها إلى المقصد بها، و شيعها إلى المنازل الحاوية لها، و استعلم ميقات الدعوة، و من يحضرها من أهل اليسار و المروءة، فإنهم لا يخلو فيهم من عارف به يراعي وقت مصيره إليها ليتبعه، و يكمن له و يصحبه، و يدخل معه، و إن خلا من ذلك، اختلط بزم الداخلين، فما هو إلا أن يتجاوز عتب الأبواب، و يخرج من سلطان البوابين و الحجاب، حتى يحصل محصلاً، قلما حصله أحد قبله فانصرف عنه، إلا ضلعاً من

الطعام، نزيهاً من المدام.

و أمره أن ينصب الأرصاد على منازل المغنيات و المغنين، و مواطن الإبلات و المخشين ، فإذا أتاه خبر لجمع يضمهم، أو مأدبة تهمهم، ضرب إليها أعقاب إبله، و انضى حولها مطايا خيله، و حمل عليها حملة الخوت المتقم، و الثعبان الملتهم، و الليث الهاجر، و العقاب الكاسر.

و أمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين، و محافل الرعاع المقترين، و أن لا ينقل إليها قدماً، و لا يفرض لأكليها فماً، و لا يلقي في عتب دورها كيساناً، و لا يعد الرجل منها إنساناً، فإنها عصابة تجتمع لها ضيق النفوس و الأحوال، و قلة الأحلام و الأموال، و في التطفيل عليها إحجاف بها يؤثم، و إرزاء بمروعة المطفل، و التجنب لها أجدى، و الازورار عنها أرجى.

و أمره أن يجزر الخوان إذا وضع، و الطعام إذا نقل، حتى يعرف بالجلس و التقريب، و البحث و التقيب، عدد الألوان، في الكثرة و القلة، و افتنائها في الطيب و اللذة، فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها، و ينتهي عند انتهائها، و لا يفوته النصيب من كثيرها و قليلها، و لا يخطئه الحظ من دقيقها و جليلها. و متى أحس بقلة الطعام، و عجزه عن الإقدام، أمعن في أوله، إمعان لكيس في سعيه، الرشيد في أمره، المالى لبطنه، من كل حار و بارد.

فإذا فعل ذلك، سلم من عواقب الأغمار، الذين يكفون نظرفاً، و يقلون تأدباً، و يظنون أن المادة تبلغهم إلى آخر أمرهم، و تنتهي بهم إلى غاية شيعهم، فلا يلبثون أن يجحجحوا خجلة الوامق، و ينقلبوا بحسرة الخائب، أعاذنا الله من مثل مقامهم، و عصمنا من شقاء جدودهم.

و أمره أن يروض نفسه، و بغالط حسه، و يضرب عن كثير مما يلحقه صفحاً، و يطوي دونه كشحاً، و يستحسن الصمم عن الفحشاء، و يغمض عن اللفظة الخشنة، و إن أتته اللكزة في حلقة، صبر عليها في الوصول إلى حقه، و إن وقعت به الصفعة في رأسه، أغضى عنها لمراتع أضراسه، و إن لقيه ملاق بالجفاء، قابله باللطف و الصفاء، إذ كان إذا و لج الأبواب، و خالط الأسباب، و جلس مع الحضور، و امتزج بالجمهور، فلا بد أن يلقاه المنكر لأمره، و يمر به السمتغرب لوجهه، فإن كان حراً حياً، أمسك و تذمم، و إن كان فظاً غليظاً، همهم و تكلم، و أ، يجتنب عند ذلك المخاشنة، و يستعمل مع المخاطب له الملاينة، ليرد عليه فعرف، و أنست النفوس به فألف، و نال في الحال المجتمع عليها، منال من جشم و سيل العنا إليها. و لقد بلغنا أن رجلاً من هذه العصابة، كان ذا فهم و دراية، و عقل و حصافة، فل على وليمة رجل ذي حال عظيمة، فرمقته فيها من القوم العيون، و تصرفت بهم فيه الطنون، فقال له قائل منهم. من تكون أعزك الله؟ فقال: أنا أول من دعي إلى هذا الحق.

قيل: و كيف ذاك؟ و نحن لا نعرفك.

فقال: إذا رأيت صاحب الدار، عرفني، و عرفته بنفسي.

فجيء به، فلما رآه بدأه بالسلام، بأن قال له: هل قلت أيدك الله لطباخك، أن يصنع طعامك، زائداً على عدد الحاضرين، و مقدار حاجة المدعوين؟ فقال: نعم.

فقال: فإن تلك الزيادة لي، و لأمثالي، و بها تستظهر، لمن جرى مجراي، و هي رزق أنزله الله على يدك، و سببه من جهتك.

فقال: مرحباً بك، و أهلاً، و قريباً، و الله، لا جلست إلا مع عليّة الناس، و وجوه الجلساء، إذ قد ظرفت في قولك، و تفننت في فعلك.

فليكن ذلك الرجل، لنا إماماً نفتدي به، و حاذياً نحذو على مثاله، إن شاء الله. و أمره أن يكثّر من تعاهد الجوارشات المنفذة للسدة، المقوية للمعدة، المشهية للطعام، المسهلة لسييل الانهضام، فإنها عماد أمره و قوامه، و بها انتظامه و الثامه، لأنها تعين على عمل الدعوتين، و تنهض في اليوم الواحد بالأكلتين، و هو في تناولها، كالكاكب الذي يقط أقلامه، و الجندي الذي يصقل حسامه، و الصانع الذي يجدد آلاته، و الماهر الذي يصلح أدواته.

هذا عهد علي بن أحمد، المعروف بعليكا، إليك، و حجتك عليك، لم يالك في ذلك إرشاداً و توفيقاً، و تهدياً و تنقيفاً، و نعتاً و تبصيراً، و حثاً و تذكيراً، فكن بأوامره مؤتمراً، و بزواجه مزدجراً، و لرسومه متبعاً، و بحفظها مضطلعاً إن شاء الله .

و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.

لا تترك الدهر يظلمني

قال أبو علي : حضرت أبا محمد في وزارته، و قد دفع إليه شاعر، رقعة صغيرة، فقرأها و ضحك، و أمر له بألف درهم.

و طرح الرقعة، فقرأها، و إذا فيها:

يا من إليه النفع و الضر ... قد مس حال عبيدك الضر

لا تترك الدهر يظلمني ... ما دام يقبل قولك الدهر

مصادرة من أعظم المصادرات

قال التنوخي: من أعظم المصادرات، مصادرة معز الدولة لأبي علي الحسن بن محمد الطبري ، صادره على خمسمائة ألف دينار.

فلما مات الصيمري طمع في الوزارة، و بذل فيها مالاً عظيماً، قدم منه أول نوبة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ثبت عليه خروجها، أخذها منه، و قلده المهلي .

معز الدولة ينفذ وزيره المهلي إلى عمان

و روي أيضاً عن التنوخي، قال: قال المهلي : لما عزم معز الدولة ، على إنفاذي إلى عمان، طرقتني أمر عظيم، فبت ليلة، ما بت في عمري مثلها، لا في فقري، و لا في صغر حالي.

و ما زلت أطلب شيئاً أتسلى به عما ذهني، فلم أجده.
إلا أنني ذكرت، أنني حصلت أيام صباي بسيراف ، لما خرجت إليها هارباً، فعرفت هناك قوماً، أولويني جيلاً،
و حصلت لهم علي أباد، ففكرت، و قلت: لعلي إذا قصدت تلك البلدان، أجدهم، أو بعضهم، أو أعقابهم،
فأكافئهم على تلك الأيادي.
فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج، و سهل علي، و وطئت نفسي عليه .

أنتك بمائن رجلاه

حدث أبو علي، الحسن بن علي التنوخي، في نشوار الحاضرة، قال: حدثني أبو القاسم الجهنّي ، قال: حدثنا
أبو محمد بن حمدون ، قال: أمر المعتضد بالله ، في علته التي مات فيها، و قبل موته بأيام يسيرة ، بأن يصنع
له سم يقتل جماعة ممن كان في الحبس، لم يجب قتلهم قلة ظاهرة، لسياسة رآها.
و فعل ذلك، و جيء بالسم إلى حضرته، فأراد تجربته قبل أن يقتل به من أراد قاله، فطرح في كرنية ، و
أحضرت في طيفورية ، و هو مفكر فيمن يطعمه منها، و على من يجرب السم الذي فيها، إذ دخل محمد بن
أحمد، نفاطه، و ابن أبي عصمة، فقبل لهما: إن الخليفة يريد أن يأكل من ذلك اللون، و هو محجم عنه
للحمية.

فقالا: ما أحسن هذه الكرنية، فلو أكل منها مولانا لقمة، رجونا أنهما لا تضره، و تجاوزوا ذلك، إلى أن أكلا
منها لقماً، كأنهما قصدا استنهاض شهوته، و تحريكها بأكليها، فلم يمكنه أن ينهائهما لئلا يخرج السر، و
امسك عنهما، و مضيا إلى منازلهما فماتا من يومهما.
و بلغ الخليفة خبرهما ثم الغد، و قد اشتدت علته، فعلم صحة السم، و امسك لسانه أن يأمر في معنى من
أراد أن يأمر في معناه، بإطعامه من ذلك السم الذي عمل له.
و مات المعتضد بعد ذلك بثلاثة أيام، و مضى أولئك بالعرض، و سيء الاتفاق، و سوء المقدار، و كأنه
عمل لهما، لا لغيرهما، و سلم من عمل له، و قصد به، و نجا.

رب عيش أخف منه الحمام

و حدث القاضي أبو علي التنوخي، قال: حدثني علم، قهرمانة المستكفي بالله، الشيرازية ، حمّاة أبي أحمد
الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي ، قالت: كان المستكفي ، لما أفضي إليه الأمر، يوصيني بتفقد القاهر بالله ،
بنفسي و أن لا أعول على أحد في ذلك، و يكرمه، و يبره، و يحسن إليه.
و كان قد اختل عقله، لسوداء لحقته، و يخرق ما يلبسه من الثياب، و قلما يبقى عليه منها قميص أو جبة،
و يتنف شعر لحيته و بدنه، و ربما صاح و ضج ثم يثبت إليه عقله.
قالت: فراسلني في بعض أيام إفاقته المستكفي، يأمرني أن أستعرض شهواته، و حاجاته، فسألني تمكينه من
جواريه، فعرفته ذلك، فأمرني بحملهن إليه، و أدخلت إليه جماعة منهن.

ثم استدعي بعد ذلك مرة، أن تدخل إليه ابنته، ففعلت، فقبض عليها يوماً، و افتضها.
و بلغ المستكفي ذلك، فأعظمه و هاله، و أمر أن يفرق بينهما، و لا يمكن أن يدخل إليه غير جواريه.
يا حبيباً نأى عليك السلام
و حدث : قال: حدثني أبو أحمد الحارثي ، قال: كنت أعاشر بهمدان ، بعض كتاب الديلم ، و حسبك
وصفاً مجهل، أن أقول: من كتاب الديلم.
و كان يتحلى مغنية، فسمعها تغني يوماً:
يا حبيباً نأى عليك السلام ... فرقت بين وصلنا الأيام
فاستطابه، فلما أراد أن يستعيده، قال: يا ستي، غني ذك الصوت الذي أوله:
يا حبيب الله عليك السلام
فقالت: هذا صياح الحراس، أظنك أردت:
يا حبيباً نأى عليك السلام
قال: نعم، هو هو، شدي لي في ذنبه علامة، أي وقت أردته، أخرجته.
و الله الذي لا إله إلا هو

قال : و سمعته يحلف، فيقول: و الله الذي لا إله إلا هو، أعني به الطلاق و العتاق .

حديقة حيوان

قال : و كتب مرة بحضرتي، تذكرة بأصاحي يريد تفرقتها في دار صاحبه، و قد قرب عيد الأضحى: القائد
ثور، و امرأته بقرة، ابنه كبش، بنيه نعجة، الكاتب تيس.
قال: فقلت له: الروح الأمين ألقى هذا عليك؟ فلم يدر ما أردت .

كاتب ديلمي يستهدي نبينا

قال : و حدثني أبو أحمد الحارثي أيضاً، قال: حضرت هذا الكاتب، و هو يشرب، و قد قل نبينه، فكتب
إلى صديق له، رقعة، يطلب منه نبيناً، ما رأيت أطرف منها.
فقلت له: يا سيدي، قد رأيت كتاب بغداد، و طوفت الآفاق، ما رأيت أحسن من هذه الرقعة، فأحب أن
تأذن لي في نسخها.
فقال: يا با، و نحن اليوم أيش بقي مما نحسنه؟ قد نسيناه كله مع هذا القائد، اسنخها، و أعجبه ذاك، و
كانت:

كُتِبَت هذه الكلمات، يا سيدي، وزري، أعني به قميصي، و من هو فاضلي و مولاي، و أنا عبده، و متصنع له، أطل الله بقاءه، من منزلك الذي أنا ساكنه، و قد نفضت الدم، من قفاك المرسوم بي، و ليس و حق رأسك الذي أحبه عندي من نبيذك الذي تشربه شيء، فبحياتي العزيزة عليك، إن كان عندك من نبيذ أشربه، فوجه إلي منه، بما عسى ألا يسهل على يدي غير هذا الرسول فإنه ثقة، أوثق مني و منك، و إن أردت أن لا تختمه، فلا تفعل، فإن الصورة لا توجب إلا ذاك، فعلت، إن شاء الله.

كاتب لا يحسن القراءة و الكتابة

قال : و كنت يوماً عنده، فجاءه صديق له من كتاب الديلم مجروحاً، فقال له: ما لك؟ قال: جاء إلى الأمير اليوم، كتاب من وكيله في إقطاعه، فرمى به إليّ، و قال: اقرأه. و كنت قبل ذلك، إذا جاءه كتاب، أخرج إلى المعلم، حتى يقرأه عليّ و أحفظه، و أدخل، فاقرؤه عليه، فلم أقدر اليوم أن أخرج من بين يديه. فقلت له باكياً: أنا لو كنت أحسن أقرأ و أكتب، كنت أكون كاتب الأمير على بن بويه . فرماني بالزوبين ، فجرحني .

قائد ديلمي يمدح كاتبه

قال : و بلغني عن بعض قواد الديلم، أنه قال: كاتبني أحزن الناس بأمر الدواب، و الضياع، و شراء الأمتعة و الخوارج، و ما له عيب، إلا أنه لا يقرأ، و لا يكتب .

عامل الجامدة لا يعطي على المدح شيئاً

قال : حدثني محمد بن عبد الله التميمي، قال: حدثني الهمداني الشاعر، قال: انحدرت أريد الجامدة ، و كان في الوقت يليها الهيثم بن محمد العامل، فمدحته. فقال لي: لست ممن يعطي على المدح شيئاً، فلو هجوتني لكان أجدى عليك. قال: فأردت النهوض من مجلسه، فلما رأى ذلك، قال: اجلس، فجلست. و جيء بمائدة لم أر مثلها من كل شيء حسن، طيب، شهى، لذيذ، فأقعدي ناحية، و جعل يأكل، و يقول: لو هجوتني، لأكلت معي. و كلما مر لون، وصفه، و نعته، و شهانیه، و حسرنى عليه، و أرانيه، و منعه، و الروائح تقتلني، و المشاهدة تحسرنى. إلى أن فرغ من الطعام، و جيء بالحلوى، و كانت الصورة فيها مثلها في الطعام. ثم جيء بغسول ، من ذراري عجيبة طيبة، فغسل يده بها، و هو يقول: لو هجوتني لأكلت مما أكلت، و تحليت مما تحليت به، و غسلت يدك من هذا.

ثم أحضر الشراب، و عبيء بحضرته مجلس ما ظننت أن مثله يكون إلا في الجنة حسناً، بأصناف الفاكهة، وألوان الرياحين، والطيب، والكافور، والتمثيل، والشمامات، والمطبوخ القطربلي، والنبيد من الزبيب والعسل.

و هو يقول: لو هجوتني لشربت من هذا، و حبيت من هذا، و تنقلت من هذا، قم الآن و كل مما تستحقه بمدحي.

فقمت، و جاءوني بطبق وسخ، عليه أرغفة سود، و قطعة مالخ، و مرق سكباغ أحض من الفراق، و قليل تمر.

فأكلت لفرط الجوع، و جاءوني بأشنان أخضر، لم يبق يدي، و جئت فجلست عنده.

فقال: اجعلوا بين يديه من الشراب، مثل ما يستحق من مدحي.

فجاءوني بقنية زجاج أخضر غليظ وحش، و قدح مثلها، و سخين وحشين، و في القنية نبيد دوشاب طري، و باقلاً مملوح، و باقة ريحان.

فشربت أقداحاً، و هممت بهجائه، و أنا أمتنع، خوفاً من أن يكون ذلك يصعب عليه، و إنما يمازحني بما يقوله لي، و أنا أفكر في ذاك، إذ أخرج خمسين ديناراً.

فقلت: إن كان و لا بد، فاكذب، و قلت:

جاءت بهيم أمه ... من بغيها و زنائها

فرمى إليّ ديناراً، فقلت:

جاءت به من ننته ... لا شك يوم خرائها

يا هيثم بن محمد ... يا ابن التي لشقائها

فقال: ما صنعت شيئاً.

قلت: انتظر.

قال: هات.

فقلت:

أمتت تنك بكسرة ... و كذاك مهر نساها

فرمى إلي بقية الدنانير، و قال: حسبك، ما أريد أجود من هذا، و لا أكثر، هاتوا له مما أكلت.

فقدم لي من جميع ما كان على المائدة، فأكلت، و قدم لي من الشراب الذي بين يديه، و التحايا و الأنقال، فلما أراد القيام، أمر لي بجائزة و خلعة.

فأخذتها و انصرفت من عند أحق الناس و أجهلهم على الإطلاق.

كاتب بأنطاكية يعزله حمقه

حدث القاضي أبو علي التوخي، قال: حدثني أبو القاسم أبي، قال: حدثني أبي، عن الحسين بن السميدع الأنطاكي، قال: كان عندنا بأنطاكية، عامل من قبل أمير حلب، و كان له كاتب أحق.

فغرق في البحر شلنديان من مراكب المسلمين التي يقصدون فيها الروم، فكتب الكاتب عن صاحبه، إلى الأمير بحلب: بسم الله الرحمن الرحيم، أعلم الأمير أعزه الله، أن شلنديين، أعني مركبين، صفقاً، أي غرقاً، من خب البحر، أي من شدة موجه، فهلك من فيهما، أي تلفوا. فأجابه صاحب حلب: ورد كتابك، أي وصل، وفهمناه، أي قرأناه، فأدب كاتبك، أي اصفعه، واستبدل به، أي اصرفه، فإنه مائق، أي أحمق، والسلام، أي قد انقضى الكتاب.

حماقة متمكنة و رقاعة متبينة

كان أبو العباس سهل بن بشر، من ارتفعت في الدولة الديلمية رتبته، و علت درجته و منزلته، و ضمن واسط و الأهواز، على حماقة متمكنة، و رقاعة متبينة. و كان دأبه تغليط الكتاب، و الرد عليهم، و تغيير كتبهم التي ينشؤونها عنه، و عكس حساباتهم التي يرفعونها إليه، و يعرضونها عليه، بالمخال الفاسد، و المستحيل الباطل. و لقد قال يوماً لأحدهم: و بلك، لم يجب أن تفصل في هذا الموضع، هذا التفصيل الواسع، كان يجب أن يكون بقدر ما تسلكه نملة، و قد جعلته بحيث تسلكه حية، أيش حية بل شاة، أيش شاة بل دابة، أيش دابة، بل جمل، أيش جمل بل فيل، أيش فيل بل كركدن، ثم خرق الكتاب و رمى به. و حكى القاضي أبو علي التنوخي، قال: رأيته عدة دفعات، لا أحصيها كثرة، يلس في مجلس العمل، فإذا كثر عليه الشغل، و ضاق به صدره، و غلبت عليه سوداؤه، تركه مفكراً، ثم أخذ الدرج الذي بين يديه، و خرق منه، و فثله، و تخلل به، و أخرجه من فيه، و شمه، ثم رمى به حيث وقع من حجور الناس، أو وجوههم، أو لحاهم، أو عمامتهم. فاتفق في بعض الأيام، أن وقع من ذلك واحدة في لحية أحمد بن عمر الطالقاني الكاتب، فصوت من فيه، كصوت البوق.

فتنبه سهل بن بشر من غفلته، و قال: ما هذا؟ و شتمه أفحش شتم، و سبه أقبح سب. فقال له: نصب سيدنا الأستاذ في لحيتي هذا المطرد، فظننت أنه يريد الخروج إلى بعض الأسفار، فضربت بالبوق ليعلم ذلك، فيصحبه من يريد أن يصحبه، و يسير معه. فضحك منه الحاضرون.

حديد شفيه شتام

و قال القاضي : كان سهل حديداً، سفيهاً، شتاماً للغلمان، و لم يكن يصبر على خدمته أحد.
و شتم يوماً بعض الفراشين، فتدخلت الفراش حمية الإسلام، و دخل بقربته إلى حجرة خالية، بعيدة عن
الدار الكبيرة التي فيها الغلمان، ليرش خيشاً فيها، و قام سهل وراءه، يتبعه و يشتمه.
و رأى الفراش خلو الموضع من غيرهما، فصفعه بالقربة، إلى أن قطعها على قفاه جميعها.
و وقع سهل مغشياً عليه، فداس بطنه، و لكم جنوبه، فلما شفى نفسه منه، تركه يتخبط، و خرج، فأخذ ما
كان له في خزانة الفراشين و انصرف.
و بعد ساعة لما ظهر على سهل، و عرف ما جرى عليه، طلب الفراش بأصحاب الشرط، و المراكز، و
الجوازات، فلم يوقف له على خبر.

اشتغيت و الله

و شتم يوماً فراشاً آخر، فرد عليه، فنهض إليه، و عدا من بين يديه، فقال له: بحق محمد نيك، قف لي حتى
ألحقك.
فقال له: بحق عيسى ربك، ارجع عني و اتركني.
و ما زال يعدوان، حوالي البستان، و عثر الفراش، فوقعت عمامته، فأخذها سهل، و ما زال يعضاها و
يخرقها و يقول: اشتغيت و الله.
ثم رجع فجلس في مكانه .

سهل بن بشر يشتم ذوي الحاجات

قال القاضي : و اجتمع النصارى بجند يسابور إلى مطرانهم، و شكوا ما يجري من سهل عليهم من السب و
الشتم، و القذف و الصفع، و إنهم لا يأمنون نفرة من المسلمين عليهم لأجله، و فتكة بهم بسببه.
فقال لهم: أنا أكفيكم ذلك، في يوم الأحد عند حضوره في البيعة.
و فعل المطران ذلك، و استقصى الخطاب له فيه.
فقال له: أنت، يا أبونا، أحق، إنما أخاطب الناس، بما أخاطبهم به، عن القائد، لا عني، فإن لساني مستعار
منه، و مستأجر لهذا و غيره.
فلعنه المطران، و انصرف سهل.
و أراد أن يشتم رجلاً، فقال له: اسمع يا هذا، قد وعظني المطران، و أنا رجل مستأجر مع هذا القائد، و لا
بد لي من أن أمتثل أمره، و أؤدي عنه ما يقوله.
و قد قال لك: يا زوج كذا و كذا، و يا ابن كذا، و يا أخو كذا، و شتمه و سبه، لم فعلت كذا؟ و ذكر له
ما أراد موافقته عليه.
و بقي يقول ذلك مدة، ثم قال: هذا طويل، حر أم المطران، و رجع إلى ما كان أولاً عليه.

صدق، صدقت

و قال القاضي : كنت عنده يوماً ، ونحن خاليان ، فجاءه الدواقي بكتاب ، فقرأه و طواه ، و كتب عليه : لأبي فلان ، فلان بن فلان ، من ... ووقف ، ثم قال لي : ممن؟ فقلت : إما منك ، أو من الأمير . فقال : صدقت ، صدقت ، و كتب .

نعب الغراب ، فصفع البواب

قال القاضي : و حدثني عبيد الله بن محمد الصروي الشاعر ، و كان منقطعاً إلى سهل ، قال : رأيته يوماً ، و قد سقط غراب ، على حائط صحن داره ، فنعب ، فتطير من صياحه ، و أمر بصفع البواب ، لم مكن الغراب من دخول الدار ؟

هاشي متخلف يرأسل و كيله

و حدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي ، قال : رأيت عند القاضي أبي بكر بن قريعة ، في سنة إحدى و ستين و ثلثمائة شيخاً يعرف بابن سكران ، يتوكل له في ضياعه و ضماناته ببادوريا . فقلت له : من يكون منك ابن سكران الذي كان يتوكل للحسن بن عبد العزيز الهاشمي ، في ضيعته ، و يكتب إليه كتباً طريفة مضحكة؟ فقال : أنا هو . و سمناه أن يقرأ علينا شيئاً من ذلك ، و كان يقال عنه ، إنه يحفظه ، فامتنع . و لم أزل و القاضي أبو بكر به ، إلى أن أملي عليّ كتابين من لفظه ، على ما بهما من الخطأ و النقصان في الهجاء .

فكان أولهما ، و عنوانه : من الحسن بن عبد العزيز الهاشمي ، أبو لمة يريد أبو الأئمة ، لأن أولاده كانوا أئمة في الجوامع إلى وكيله و خادمه ، أبو القاسم سكران ، و لولا أنه يقول ، أنه خادمه ، قلنا أنه منهم ، و مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن سكران ، قد أعجبتك نفسك ، صبغوني في عينك ، أنت تعرفني إذا حردت ، فكيف إذا غضبت ، ها ها ، كدت أفعل ، كنت إذا أردت أن تعمل شيء ، تكتب إليّ ، و تستأذني ، و تشاورني ، و صرت تأمر و تنهي لنفسك ، و الله لأقطعن يد الآخر ، و رجليك ، و لأضعنك في أضيق الحبوس .

أنا مع أمير المؤمنين ، ابن عمي أعزه الله ، و قد خرج ، صلى بنا الجمعة ، في جوف عيني ، و عيني في جوف فمه ، لا ينظر إلى غيري ، ترى لا أقدر أنتصف منك ، و الذئبي يبقى لي ابني أبو بكر و عمر ، و عثمان ، هاه ، من هونا يجردون الروافض ، عليك و عليهم لعنة الله ، يا ماص بظر أمه ، إن كنت منهم ، و إن لم تكون منهم ، فلا شيء عليك .

و ليس أنت كما ذكرت طويتك ، ما دامت لك هذه العين تدور ، و هذه الشعرة تعيش ، و الذي يعطيني في الآخرة أضعاف ما أعطاني في الدنيا ، منه أسأل إن شاء الله .

الجزير الذي أوصل كتابك، قد أطعمته البارحة مما أكلت، خبز و شواء، و كل خير، و ما رزق الله، فسله حتى يقل لك.

البارحة، و حياتك يا أبا القاسم، ذكرتك و قد شربت ماءً بارداً بثلج كثير، فقريت عليك، و عودتك، و دعوت لك، و لوالدي، و لجميع المسلمين.

و قلت: ترى، ذاك و كيلى ابن سكران الميشوم، أيش خبره، في هذه الشمس الحارة و نصف النهار؟ و ما أبالي معك بولد و لا تلد و لا أحد، فاحمل إلي الخراج، صح ، و صنان الباذنجان ، و خيار، و بطيخ، و كل ما في القرية، و الحملين الذي طلبتهم منك، احملهم إلى في شعبان، قبل رمضان، سمان، سمان، واحد كبير نطبخه، و آخر صغير نشويه.

أسمعت يا أبا القاسم أعزك الله و فهمت؟ أعزك الله يا أبا القاسم، و أطل بقاءك، و أكرمك و أتم عليك، و صلى الله على محمد النبي و آله، و على أصحابه، قول آمين.

و عنوان الآخر: من الحسن بن عبد العزيز الهاشمي، الإمام في الرصافة، و ابنه أبو بكر الإمام في دار الخلافة، و ابنه الآخر عمر الإمام بمصر و الحرمين، و ابنه عثمان يكون الإمام في مدينة المنصور، و ابنه علي يكون الإمام في باقي الدنيا إن شاء الله.

إلى و كيله ابن سكران.

و باطنه: بسم الله الرحمن الرحيم، تحضر الجبابة بني دينار، و الأطروش خاطر، و ابن كيلوه، لعنهم الله، فإنهم كلاب أحاط الله أكره، بل زط، حتى ننظر أيش يعملون.

فقد و الله محمود أردت أن أضرب القريتين بالنار، و لكن الله سلمكم، فانظروا كيف تكونون. و قولوا: أمر سيدنا و سيدكم، أبو علي الحسن بن عبد العزيز الهاشمي، ابن عم النبي صلوات الله عليه و على أزواجه أمهات المؤمنين، بشرى من هم نحن منهم، و قد تقدم سيدنا أبو علي بإحضاركم، فتكون أعينكم بين أيديكم. و السلام.

عار على آدم

قال أبو القاسم التوخي:

جلس إبراهيم بن لنك في جامع البصرة، فجلس إليه قوم من العامة، فاعترضوا كلامه بما غاظه، فأخذ محبرة بعض الحاضرين، و كتب من شعره:

و عصبة لما توسطتهم ... ضاقت عليّ الأرض كالحاتم

كأنهم من بعد أفهامهم ... لم يخرجوا بعد إلى العالم

يضحك إيليس سروراً بهم ... لأنهم عار على آدم

كأنني بينهم جالس ... من سوء شاهدت في ماتم

فاعترضه ولده و قال: يا أبت، أبياتك متناقضة، و لكن اسمع ما عملت:

لا تصلح الدنيا و لا تستوي ... إلا بكم يا بقر العالم
من قال للحرث خلقتكم فلم ... يكذب عليكم لا و لم يأثم
ما أنتم عار على آدم ... لأنكم غير بني آدم

سيد العرب ابن أبي دؤاد

حدث القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التوحي عن أبيه بما جاء في كتابه، قال: حدثني الصولي ، قال:
حدثني محمد بن القاسم بن خلاد ، قال: رفع بعض العمال إلى المعتصم ، و كان قد تولى من الخراج و
الحرب، ما كان يتولاه خالد بن يزيد بن مزيد ، بأن خالداً اقتطع الأموال و احتجن بعضها، فغضب
المعتصم، و حلف ليأخذن أموال خالد، و ليعاقبنه و ينفينه.
فلجأ خالد إلى أحمد بن أبي داود القاضي ، فاحتال حتى جمع بينه و بين خصمه، فلم تقم على خالد حجة،
فعرف ابن أبي دؤاد القاضي، المعتصم بذلك، و شفع إليه في خالد، فلم يشفعه، و أحضر خالداً، و أحضر له
آلات العقوبة، و كان قبل ذلك قبض أمواله و ضياعه، و صرفه عن العمل.
و حضر ابن أبي دؤاد المجلس، فجلس دون مجلسه الذي كان يجلس فيه.
فقال له المعتصم: ارتفع إلى مكانك.
فقال له: يا أمير المؤمنين ما أستحق إلا دون هذا المجلس.
قال: و كيف؟ قال: لأن الناس يزعمون أنه ليس محلي محل من شفع في رجل قرف بما ليس فيه، و لم يصح
عليه شيء منه، فلم يشفع.
قال: فارتفع إلى موضعك.
قال: مشفعاً أو غير مشفع؟ قال: بل مشفعاً، قد وهبت لك خالداً، و رضيت عنه.
قال: إن الناس لا يعلمون بهذا.
قال: رددت عليه جميع ما قبض منه من ضياعه و أمواله.
قال: فمر بفك قيوده، و اخلع عليه.
ففعل ذلك.
قال: يا أمير المؤمنين، قد استحق هو و أصحابه رزق ستة أشهر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجعلها صلة له.
قال: لتحمل معه.
فخرج خالد، و عليه الخلع، و المال بين يديه، و الناس ينتظرون الإيقاع به.
فلما رأوه على تلك الحال سروا، و صاح به رجل: نحمد الله على خلاصك يا سيد العرب.
فقال: مه، بل سيد العرب و الله ابن أبي دؤاد الذي طوقني هذه المكreme التي لا تفك من عنقي أبداً.

بين الإسكندر و ملك الصين

قال القاضي أبو علي الحسن بن أبي القاسم علي بن محمد التنوخي، حدثني أبو الفرج الأصبهاني من حفظه، قال: قرأت في بعض أخبار الأوائل: أن الاسكندر لما انتهى إلى الصين، و نازل ملكها، أتاه حاجبه، و قد مضى من الليل شطره، فقال له: رسول ملك الصين بالباب يستأذن عليك. فقال: ائذن له.

فلما دخل، وقف بين يديه و سلم، و قال: إن رأى الملك أن يخليني فليفعل. فأمر الاسكندر من بحضرته بالانصراف، و بقي حاجبه. فقال له الرسول: إن الذي جئت له، لا يحتمل أن يسمعه غيرك. فأمر بتفتيشه، ففتش، فلم يوجد معه شيء من السلاح. فوضع الاسكندر بين يديه سيفاً مجرداً، و قال له: قف مكانك، و قل ما شئت، ثم أخرج كل من كان عنده.

فلما خلا المكان، قال له الرسول: إني أنا ملك الصين لا رسوله، و قد حضرت أسألك، عما تريده مني، فإن كان مما يمكن الانقياد إليه، و لو على أصعب الوجوه، أجيء إليه، و غنيت أنا و إياك عن الحرب. فقال له الاسكندر: و ما آمنك مني؟ قال: علمي بأنك رجل عاقل، و أنه ليس بيننا عداوة متقدمة، و لا مطالبة بذحل، و أنك تعلم أن الصين إن قتلتي، لا يسلمون ملكهم إليك، و لا يمنعهم عدمهم إياي، أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً غيري، ثم تنسب أنت إلى غير الجميل، و ضد الحزم. فأطرق الاسكندر مفكراً في مقالته، و علم أنه رجل عاقل، ثم قال له: الذي أريده منك، ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلاً، و نصف ارتفاعه في كل سنة.

قال: هل غير ذلك شيء؟ قال: لا.

قال: قد أحبيتك.

قال: فكيف تكون حالك حينئذ؟

قال: أكون قتيلاً أو محارباً، و أكلة أول مفترس.

قال: و إن قنعت منك بارتفاع سنتين، كيف يكون حالك؟ قال: أصلح مما يكون إذا ألزمت بما تقدم ذكره.

قال: فإن قنعت منك بارتفاع سنة واحدة.

قال: يكون ذلك مجحفاً بملكي، و مذهباً لجميع لذاتي.

قال: فإن اقتصرت منك على السدس؟ قال: يكون السدس موفراً، و الباقي لجيشي، و لأسباب الملك.

قال: قد اقتصرت منك على هذا.

فشكره، و انصرف.

فلما أصبح، و طلعت الشمس، أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض، و أحاط بجيش الاسكندر، حتى خافوا الهلكة، و توائب أصحابه، فركبوا و استعدوا للحرب.

فبينما هم كذلك، إذ ظهر ملك الصين و عليه التاج، فلما رأى الاسكندر تراج.

فقال له الاسكندر: أغدرت؟ قال: لا و الله.

قال: فما هذا الجيش؟ قال: أردت أن أعلمك، أي لم أطعك من قلة و ضعف، و الآن ترى هذا الجيش، و ما غاب عنك منه أكثر، لكنني رأيت العالم الأكبر مقبلاً عليك، ممكناً لك، فعلمت أنه من حارب العالم الأكبر. غلب، فأردت طاعته بطاعتك، و الذلة لأمره، بالذلة لك.

فقال الإسكندر: ليس مثلك من يؤخذ منه شيء، فما رأيت بيني و بينك، أحداً، يستحق التفضيل، و الوصف بالعقل، غيرك، و قد أعفيتك من جميع ما أردته منك، و أنا منصرف عنك.

فقال للملك الصين: إما إذا فعلت ذلك، فلست تخسر.

فلما انصرف الاسكندر، أتبعه ملك الصين، من الهدايا و الألفاف، بضعف ما كان قرره معه .

أبو هاشم الجبائي

يموت في السادسة و الأربعين ذكر المحسن بن علي التوخي، في كتاب نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة، في الجزء الحادي عشر منه، و قد ضمن في خطبة كتابه هذا، أنه تحقق ما يوجد فيه عنده. قال: حدثني أبو الحسن بن الأزرق ، قال: كان أبو هاشم بن أبي علي الجبائي، لما قدم بغداد، يخبرنا أ، أباه أبا علي، كان كثير الإصابة في علم النجوم، و يحدثنا من ذلك بأحاديث كثيرة، و أخبرنا أنه حكم له أن يعيش نيفاً و سبعين سنة شمسية، فكان لإصابة أبي علي في الأحكام، طياب النفوس بهذا الحكم.

فلما اعتل أبو هاشم علته التي مات فيها ببغداد، جئت إليه. عائداً، فوجدت أخته، ابنة أبي علي، قلقة عليه، فأخذت أطيب نفسها، حتى قلت: أليس قد حكم أبوه أنه يعيش نيفاً و سبعين سنة شمسية؟ قالت: بلى، و لكن على شرط.

قلت: ما هو؟ قالت: إنه قال: إن أفلت في السنة السادسة و الأربعين، و قد اعتل هذه العلة الصعبة فيها، فقلقي عليه لذلك، خوفاً من أن يصح الحكم الأول.

قال أبو الحسن: فمات في تلك العلة .

النجوم تكشف عن مولود أحنف

و من إصابات أبي علي الجبائي في أحكام النجوم، ما رواه أيضاً في نشوار المحاضرة، قال: حدثني القاسم بن بدر الرامهرمزي ، و كان يخلفني على العيار في دار الضرب، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن عباس ، قال: كنت مع أبي علي الجبائي في عسكر مكرم، فاجتاز بدار، فسمع فيها ضجة بولادة فقال: إن صح ما يقول المنجمون، فهذا المولود ذو عاهة.

فدققت الباب، فخرجت امرأة، فسألته عن الخبر، فجمجمت .

ثم خرج رجل كهل، فحين رآه أبو علي، قال: هذه دارك؟ قال: نعم.

قال: فكيف هو؟ يعني المولود.

قال: أحنف . فأخذ أبو علي يطيب نفسه.

فقال تفضل يا أبا علي، فندخل تحنكه، و تؤذن في أذنه، فلعل الله يجعله مباركاً.
فدخل و حنكه، و أذن في أذنه، و رأيناه و هو أحنف.

يتنبأ بموت مولود في يومه السادس عشر

و من إصابات أبي علي في النجوم، ما حكاه التنوخي، في كتاب نشوار المحاضرة أيضاً، قال: سمعت أبا أحمد بن مسلمة الشاهد العسكري المعتزلي الحنفي، و كان شيخ بلده، يحكي عن رجل من أهل عسكر مكرم، و وثقه و عظمه، قال: كت مع أبي علي الجبائي جالساً في داره في عسكر مكرم، فدخل إليه بعض غلمانته، فقال له: اجلس.

فقال: لي زوجة تطلق، و أريد الرجوع إليها لحاجة طلبتها.
فقال أبو علي، لبعض من حضر: امض معه، فإذا ولدت امرأته، فخذ الارتفاع، و جني به.
ففعّل.

فلما كان في غد، قال لنا أبو علي: إن صح حكم التّجيم، فإن هذا الولد يموت بعد خمسة عشر يوماً.
فلما كان اليوم السادس عشر، و كنا جلوساً ندرس على أبي علي، إذ دخل الرجل، فقال: إن فلاناً قد مات، يعني ولده. فقال أبو علي: قوموا فأحضروه، و وفوه حقه.

تنبأوا له بالوزارة و هو صبي

و من المعروفين بعلم النجوم، و الإصابة فيها، فتى من ولد يحيى بن يعقوب.
فمن حكايته في ذلك، ما ذكره التنوخي في كتابه، قال: حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي، قال: كت أؤدب القاسم بن عبيد الله، و كان أبوه إذ ذاك، يحضره الديوان.

فلما أخرجه من المكتب، كت معه في الديوان ببادوريا، و هو معه فيه، و له من العمر ست عشرة سنة، و أبوه متعطل، و ذلك في وزارة إسماعيل ابن بلبل، للموفق و المعتمد.

و كان معه في ذلك الديوان جماعة من أولاد الكتاب، و فيهم فتى نحيب من ولد يعقوب بن فرازون النصراني، و كان يفهم النجوم.

فقال له ذلك الفتى: يا سيدي أرى فيك نجابة و صناعة، و لك حظ من الرياسة، و قد رأيت مولد، و هو يدل على أنك تقلد الوزارة، و تطول أيامك فيها، فاكب لي حظاً، يكون معي تذكر فيه اجتماعنا، و تضمن لي أن يكون لي حظ منك إذ ذاك، حق بشارتي لك.

قال: فأخذ القرطاس، و كتب فيه، بحسن خطه: ليلقني فلان، إذا بلغني الله ما احب، لأبلغه ما يحب إن شاء الله.

فحدثت أباه في ذلك، ففرح، و قال: قد و الله سررتني بذلك. و احضر المنجمين، و اخرج مولده، فحكموا

له بالوزارة، و أنه يتقلدها سنة ثمان و سبعين .
فخلف أباه على وزارة المعتضد في إمارته ، و دامت له إلى أن مات .

وزير لا يغيره الوزارة

قال لي الزجاج : لما ولي القاسم الوزارة بعد موت أبيه، و دخل داره، و قفت في صحن الدار، لينصرف الناس، و دخل هو ليستريح، فيخرج للناس، فلا أنسى هيبتي عند غلمانه، حيث دخلت عليه، فلم أمتنع، فوجدته قد صلى و سلم، و هو يدعو الله في خلوته، و ليس بحضرته أحد، فلما رأي، قام إلي، فانكببت على رجله.

فقال لي: يا سيدي، يا أبا إسحاق، أنت أستاذي، و هذا الذي أعتقده في إكرامك، و كان في نفسي أن أعاملك به قبل أن تشرفني عند حضور الناس، و توقير مجلس الخلافة، و إذا فعلت ذلك، فهو حقك علي، و إذا لم أفعله، فهو نقص حق العلم و العمل.
قال: ثم ما أنكرت منه شيئاً في عشرة، و لا مخاطبة، عما كان يعاملني به، إلى أن مات .

القاضي التنوخي والد المحسن

و قوة حافظته قال القاضي التنوخي، في الجزء السادس من نشوار المحاضرة: كان أبي يحفظ للطائين سبعمئة قصيدة و مقطوعة ، سوى ما لغيرهم من المحدثين، و المخضرمين، و الجاهليين.
و لقد رأيت له دفترًا بخط يده يحتوي على رؤوس ما حفظه، و هو الآن عندي في نيف و ثلاثين ورقة، أثمان منصورى لطاف.

و كان يحفظ من اللغة و النحو شيئاً عظيماً.
و مع ذلك كان علم الفقه و الفرائض و الشروط و المحاضرة و السجلات رأس ماله، و كان يحفظ منه ما قد اشتهر به.

و كان يحفظ من الكلام و المنطق و الهندسة الكثير، و كان في علم النجوم، و الأحكام، و الهيئة، قدوة، و كذلك في علم العروض، و له فيها، و في الفقه و غيره، عدة كتب مصنفة.
و كان مع ذلك يحفظ و يحدث فوق عشرين ألف حديث، و ما رأيت أحداً أحفظ منه، و لولا أن حفظه متفرق في هذه العلوم، لكان أمراً هائلاً.

أبو يوسف البريدي يخالف منجمه فيقتل

ومن الموصوفين بعلم النجوم من السلمين، أبو القاسم غلام زحل ، و قد حكى الشيخ الفاضل المحسن بن علي التنوخي، في الجزء السادس من نشوار المحاضرة عنه جملاً، و ذكر طرفاً من فضله، و إصابته في الأحكام بالنجوم، فقال: و من العجيب، حكمه في قتل أبي يوسف ، فإنه قد كان يخدمه في النجوم أبو القاسم غلام

زحل المنجم، و هو الآن شيخ من شيوخ المنجمين في الأحكام، و كان أبي يقدمه في هذه الصناعة، و يستخدمه فيها، و يسلم إليه سني تحويل مولده، و مولدي، إذا قطعه قاطع عن عملها بيده، لأنه كان قلما يأخذ تحاويلنا بيده، بل يولي ذلك غيره .

و أبو القاسم الآن مقيم بخدمة الأمير عضد الدولة بشيراز .
فقال أبو القاسم هذا، لأبي يوسف البريدي، في اليوم الذي عزم فيه على الركون إلى الأبله ، ليسلم فيه على أخيه أبي عبد الله : أيها الأستاذ لا تترك، فإن هذا اليوم يوجب تحويلك فيه عليك، قطعاً بالحديد.
فقال: يا فاعل، إنما أركب إلى أخي فممن أخاف؟ و خرج بالطيار.
فعاد غلام زحل، فأخرج جميع ما كان له في الدار من أثاث، و ذهب لينصرف.
فقال له الحجاب: إلى أين؟

فقال: أهرب، لأن الدار بعد ساعة تنهب.
و مضى أبو يوسف، إلى أبي عبد الله، فقتله في ذلك اليوم .
و كان هذا الخبر مشهوراً، عن أبي القاسم غلام زحل، نقله أبي، و شهد بصحته.
و كان يحكي ذلك في تلك الأيام، و أنا صبي، فأسمع ذلك، و كان يعده من إصابات، غلام زحل.

سهلون و يزدجرد ابنا مهمندار الكسروي

و ممن وصف بعلم النجوم، سهلون، و يزدجرد، ن علماء الإسلام فيما ذكره التنوخي في رابع أجزاء النشوار، فقال ما هذا لفظه: حدثني أبو عبد الله محمد الحارثي ، قال: كان ببغداد، في أيام المقتدر، أخوان، كهلان، فاضلان، و عندهما من كل فن مليح، و هما من أحرار فارس، قد نشأ ببغداد، و تأدبا بها، و تعلما علوماً كثيرة، يقال لأحدهما: سهلون، و للآخر يزدجرد، ابنا مهمندار الكسروي، و يعرفان بذلك، لانسابهما إلى الأكاسرة، و كانا ذوي نعمة قديمة، و حالة ضخمة، و كت الزمهما، على طريق الأدب.
و كان ليزدجرد منهما، كتاب حسن ألفه في صفة بغداد ، و عدد سككها، و حماماتها، و شوارعها، و ما تحتاج إليها في كل يوم من الأقوات و الأموال، و ما تحتوي عليه من الناس، و عدة كتب أدبية و فلسفية، قرت أكثرها عليه.
و كان هو و أخوه ينشدان الشعر الجيد لأنفسهما، و سهلون بن مهمندار كان لزم بعض الرؤساء، و عمل له رسائل و قصائد.

ثم ذكر التنوخي، ن شعر سهلون، ما يقتضي علمه بالنحو، فقال: أنشد من شعره:

تعففت عن أخذ الدراهم و البر ... ليمسك من سري فبالغت بالستر
و لم ير ميلي للحين و للتر ... و لكن لإكرامي و أن يعرفوا قلدي
و لست أسوم الناس صعباً من الأمر ... و لا عابني حال من العسر و اليسر
و لا أنا ممن يمدح الناس بالشعر ... و لا أنا من يهجو بشعر و لا نثر

و لكنني رب العلوم و ذو الأمر ... بنظم تغليه الجواري على الدر
و لي دربة طالت على كل عالم ... إذا أعوز الإنسان علم بما يدري
من الطب و التجيم من بعد منطق ... و لا علم إلا ما أحاط به صلري
و ها أنا سيف الله علماً بدينه ... أذب عن التوحيد في أمم الكفر
ثم ذكر تمام الأبيات، و المراد منها ما ذكره عن نفسه في عالم النجوم.

أبو العباس بن المنجم

يعرض بأبي عبد الله البصري المتكلم و ن المعروفين بعلم النجوم من أهل الإسلام، و إن لم يعرف له شيء من
الأحكام، ممن ذكرهم التوخي، في كتابه النشوار، جماعة، منهم: أبو بكر ابن عمر ، و قد صنف كتباً كثيرة
في النجوم.

و منهم أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم .

و فمهم يحيى بن أبي منصور المنجم ، و كان يحيى مجوسياً، أسلم على يد المؤمن، فصار مولاه بذلك، و كان
خصيصاً به، و منجمه، و نديمه.

و أبو منصور، والده، منجم المنصور .

و منهم أبو الحسن محمد بن سليمان، صاحب الجيش، و كان منقطعاً إلى أبي علي بن مقله، قبل الوزارة، و
بعدها، مختصاً به من اجل النجوم و الأدب.

و منهم الحسن بن علي بن زيد المنجم ، غلام أبي نافع، عامل معز الدولة على الأهواز و قطعة من كورها،
و محله عنده محل أحد وزرائه.

و منهم والد أبي العباس هبة الله بن المنجم، الذي ذكر التوخي، أن ولده أبا العباس جرت له حكاية، فقال:
أنشد أبو العباس لنفسه، يعرض بأبي عبد الله البصري المتكلم ، لما صير له عضد الدولة رسماً، أن يحمل من
مائدته كل يوم جونة كبيرة، طعاماً، تشريقاً له بذلك.

و أنا أقول: كان سبب ذلك، أنه أقطعه إقطاعاً بمال جليل في كل سنة، فلم يقبل، فبذل له شراء ضباع
يوقفها عليه، بدل هذا الإقطاع، و تستطاب غلتها، و يصخ إنفاقها، فلم يقبل، و أبي.

قال عضد الدولة : فلا أقل من أن ينفذ إليك في كل يوم، نم حضرتي، بما تأكله، و في كل فصل بكسوة، و
طيب تستعمله.

فأجاب في ذلك.

فأنفذ إليه ثياباً جلييلة، من صنوف القطن، و الكتان، و العود الهندي، و نواعاً من العطر، و صار ينفذ إليه
جونة في كل يوم، مع غلام من أصحاب مائدته، من الطعام الذي يقدم إليه، ثم يشال من بين يديه.

فقال هبة الله أبو العباس المنجم، لكنني سمعت هذا الشعر، و أبو العباس ليس بحي، و لا أبو إسحاق النصيبي
، فأعرف صحته، إلا أني أثق بخبر أبي علي ، و الشعر هو:

أظهر هذا الشيخ مكنونه ... و جن لما أبصر الجونه
شح عليها إذ رأى حسنها ... و هي بلحم الطير مشحونه
أسلم للعائور إسلامه ... و باع في أكلتها دينه

منجم يأخذ طالع المعتصم

ذكر التنوخي في الجزء السابع من نشوار الخاضرة، قال: حدثني علي ابن العباس النوبختي ، قال: جدثني محمد بن داود بن الجراح ، قال: حدثني أبو علي الحسن بن وهب ، قال: رأيت يوماً محمد بن عبد الملك الزيات ، قد عاد من موكب المعتصم ، قبل خروجه إلى سامراء، وهو على غاية من الضجر، و كنت جوراً عليه.

فقلت: ما لي أرى الوزير أيله الله مهموماً؟ قال: أفما عرفت خبري؟ قلت: لا.
قال: ركب أمير المؤمنين، و أنا أسايره من جانب، و ابن أبي دؤاد يسايره من الجانب الآخر، حتى بلغنا رحبة الجسر، فأطال الوقوف، حتى ظننا أنه ينتظر شيئاً.
ثم أسرع خادم يركض، حتى أسر إليه سرّاً، فقال: غممتني، و كر راجعاً إلى الجانب الشرقي، فلما توسط الطريق جعل يضحك، و لا شيء يضحكه.
فجسر عليه ابن أبي دؤاد، فقال: إن رأى أمير المؤمنين، أن يشركنا بالسرور فيما يسره.
قال: ليست لكما حاجة في ذلك.
فقال ابن أبي دؤاد: بلى.

قال: أما إذا سألتني لم ركب اليوم، فإني اعتمدت أن أبعده، و صرت إلى رحبة الجسر، فذكرت منجماً كان يجلس فيها أيام فتنة الأمين ، و بعدها، و كان موصوفاً بالحدق قديماً، و كنت أسمع به.
فلما غلب إبراهيم بن شكلة ، على الامور، اعتمد علي في الرزق، و أجرى لي خمسمائة دينار في الشهر، و لم يكن أحد داخله أكثر رزقاً مني، لأن جيشه إنما كان كل واحد له تسعة دراهم و عشرة، و القواد مثلها دنانير و نحو ذلك، لضيق الأحوال، و خراب البلاد، و الناس إنما كانوا يقاتلون معه عصبية، لا لجائزة.
فركبت يوماً حماراً، متكرراً لبعض شأني، فرأيت ذلك المنجم، فتطلعت إليه نفسي أن أسأله عن أمر إبراهيم و أمري، و هل يتم لنا شيء، أم يغلبنا المأمون ، فعدلت إلى المنجم، و كنت متتكرراً.
و قلت للغلام: أعطه ما معك، فأعطاه درهمين.
و قلت له: خذ الطالع، و اعمل لي مسألة، ففعل.

ثم قال لي: سألتك بالله هل أنت هاشمي؟ قلت: ما سؤالك عن هذا؟ فقال: كذا يوجب الطالع، فإن لم تصدقي لم أنظر لك.
فقلت: نعم.

قال: فهذا الطالع أسد، و هو الطالع في الدنيا، و إنه يوجب لك الخلافة، و أنت تفتح الآفاق، و تربل الممالك، و يعظم جيشك، و تبني لك بلاداً عظيمة، و يكون من شأنك كذا، و من أمرك كذا، و قص علي

جميع ما أنا فيه الآن.

قلت: فهذا السعود، فهل علي من النحوس؟ قال: لا، ولكنك إذا ملكت، فارقت وطنك، وكثرت أسفارك.

قلت: فهل غير هذا؟ قال: نعم، ما شيء أنحس عليك من شيء واحد.

قلت: ما هو؟ قال: يكون المتولون عليك في أيام ملكك، أصولهم دنية، سفلة، فيغلبون عليك، ويكونون أكابر أهل مملكتك.

قال: فعرضت عليه دراهم كانت في خريطة معي في خفي، فحلف أن لا يقبل غير ما أخذه.

و قال: إذا وليت هذا الأمر فاذكروني، و أحسن في ذلك الوقت إلي. فقلت: أفعل.

و لكني ما ذكرته إلى الآن، و لما بلغت الرحبة، وقعت عيني على موضعه فذكرته، و ذكرت كلمته، و تأملتكما حوالي، و أنتما أكبر أهل مملكتي، و أنت ابن زيات ، و هذا ابن قيار و أوماً إلى ابن أبي دؤاد فإذا قد صح جميع ما قال.

فأنفذت هذا الخادم في طلبه و البحث عنه، لأفي له بسالف الوعد، فعاد إلي، و ذكر أنه قد مات قريباً، فكسلت، و غمتني أن فاتني الإحسان إليه، فرجعت عن الأبعاد، و أخذني الضحك، إذ ترأس في دولتي أولاد السفلى.

قال: فانكسرنا، و وددنا أنا ما سألناه.

كيف اتصل نوبخت المنجم

بأبي جعفر المنصور أخبرنا القاضي أبو القاسم التوخي، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المازني ، قال: أنبأنا الحسين بن القاسم الكسروي ، قال: حدثني أبو سهل بن علي بن نوبخت ، قال: كان جدنا نوبخت على دين الجوسية، و كان في علم النجوم نهاية، و كان محبوباً في سجن الأهواز.

قال: رأيت أبا جعفر المنصور قد دخل السجن ، فرأيت من هيئته، و جلالته، و سيماه، و حسن وجهه، و شأنه، ما لم أره لأحد قط، فصرت من موضعي إليه، فقلت: يا سيدي، ليس وجهك من وجوه أهل هذه البلاد.

فقال: أجل يا مجوسي.

قلت: من أي بلاد أنت؟ قال: من المدينة.

قلت: أي مدينة؟ قال: مدينة الرسول صلوات الله عليه.

فقلت: و حق الشمس و القمر، من أولاد صاحب المدينة؟ قال: لا، و لكن من عرب المدينة. فلم أزل أتقرب إليه و أحدثه، حتى سألته عن كنيته. فقال: أبو جعفر.

فقلت: أبشر، وجدتك في الأحكام النجومية، تملكني، و جميع ما في هذا البلد، حتى تملك فارس، و خراسان، و الجبال.

فقال لي: و ما يدريك يا مجوسي؟ قلت: هو كما أقول، و اذكر لي هذا.

قال: إن قضى الله، فسوف يكون.

قلت: قد قضى الله من السماء، فطب نفساً.

و طلبت دواة، فوجدتها، فقلت: اكتب، فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم. إذا فتح الله على المسلمين، و كفاهم معرة الظالمين، و رد الحق إلى أهله، فلا نغفلك.

فقلت: اكتب لي في خدمتك خطأ، و أماناً. فكتب لي.

قال نوبخت: و لما ولي الخلافة، صرت إليه، فأخرجت الكتاب، فقال: أنا له ذاكر مع الأمان، و الحمد لله الذي صدق وعده، و رد الحق إلى أهله.

قال: فأسلم نوبخت، و كان منجماً لأبي جعفر، و مولى له.

كلب يموت على قبر صاحبه

و ذكر بعض الرواة ، قال: كان للربيع بن بدر، كلب قد رباه، فلما مات الربيع، و دفن، جعل الكلب

يتضرب على قبره حتى مات.

و كان لعامر بن عترة كلاب صيد و ماشية، و كان يحسن صحبتها، فلما مات عامر، لزم الكلاب قبره، حتى ماتت عنده، و تفرق عنه الأهل و الأقارب.

وفاء الكلب، و غدر أبي سماعة

كان للأعمش كلب يتبعه في الطريق إذا مشى، حتى يرجع، فليل له في ذلك، فقال: رأيت صبيانياً يضربونه، ففرقت بينهم و بينه، فعرف لي ذلك فشكره، فإذا رأي يصبص لي، و يتبعني.

و لو عاش أيدك الله الأعمش إلى عصرنا، و وقتنا هذا، حتى يرى أهل زماننا هذا، و يسمع خبر أبي سماعة المعيطي و نظائره، لازداد في كلبه رغبة، و له محبة.

قال: هجا أبو سماعة المعيطي، خالد بن برمك ، و كان إليه محسناً، فلما ولي يحيى الوزارة، دخل إليه أبو

سماعة، فيمن دخل من المهنتين.

فقال: أنشدني الأبيات التي قلتها.

فقال: ما هب؟ قال: قولك:

زرت يحيى و خالداً مخلصاً لل ... ه ديني فاستصغرا بعض شأني

و لو أني ألدت في الله يوماً ... أو لو أني عبدت ما يعبان

ما استخفا فيما أظن بشأني ... و لأصيحتهما بمكان

إن شكلي و شكل من جحد الال ... ه و آياته لمختلفان

قال أبو سماعة: لا أعرف هذا الشعر، و لا من قاله.
فقال له يحيى: ما تملك صدقة إن كنت تعرف من قالها؟ فحلف.
فقال يحيى: و امرأتك طالق، فحلف.
فأقبل يحيى على الغساني، و منصور بن زياد، و الأشعثي، و محمد بن محمد العبدى و كانوا حضوراً في المجلس و قال: ما أحسبنا إلا و قد احتجنا أن نجد لأبي سماعة منزلاً، و آله، و حرماً، و متاعاً، يا غلام: ادفع له عشرة آلاف درهم، و تختاً فيه عشرة أثواب، فدفع إليه.
فلما خرج تلقاه أصحابه، يهنئونه، و يسألونه عن أمره، فقال: ما عسيت أن أقول إلا أنه ابن زانية أبي إلا كرمًا.
فبلغت يحيى كلمته من ساعته، فأمر به، فحضر، فقال له يا أبا سماعة، لم تعرق في هجائنا، و تغرق في شتمنا؟ فقال له أبو سماعة: ما عرفته أيها الوزير، افتراء و كذب علي. فنظر إليه يحيى ملياً، ثم أنشأ يقول:
إذا ما المرء لم يخلش يظفر ... و لم يوجد له أن عض ناب
رمى فيه الغميمة من بغاها و ذلت من قرائنه الصعاب فقال أبو سماعة: كلا أيها الوزير، و لكنه كما قال:
لم يبلغ المجد أقوام و إن شرفوا ... حتى يذلوا، و إن عزوا، لأقوام
و يشتموا فترى الألوان مسفرة ... لا صفح ذل و لكن صفح أحلام
ثم تمثل قائلاً:
متى لم تتسع أخلاق قوم ... تضيق بهم فسيحات البلاد
إذا ما المرء لم يخلق لبيباً فليس اللب عن قدم الولاد ثم قال: هو و الله، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المؤمن لا يشفي غيظه.
ثم إن أبا سماعة، هجا بعد ذلك سليمان بن أبي جعفر ، و كان إليه محسناً، فأمر به الرشيد ، فحلق رأسه و لحيته .

كلب يرج صاحبه من حفرة دفن فيها حيا

أبنا الفقيه أبو موسى عيسى بن أبي عيسى القاسمي ، قال: أبنا أبو القاسم علي بن الحسن بن علي التنوخي قراءة عليه، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن حيويه الخزاز ، أن أبا بكر محمد بن خلف بن المرزبان ، أخبرهم، قال: أنشدني أبو عبيدة ، لبعض الشعراء:
يعرج عنه جاره و شقيقه ... و يرغب فيه كلبه و هو ضاربه
قال أبو عبيدة: قيل هذا الشعر، في رجل من أهل البصرة خرج إلى الجبانة ينتظر ركابه، فاتبعه كلب له فطرده، و ضربه، و كره أن يتبعه، و رماه بحجر فأدماه، فأبى الكلب إلا أن يتبعه.
فلما صار إلى الموقع، وثب به قوم، كانت لهم عنده طائفة ، و كان معه جار له، و أخ، فهربا عنه، و تركاه

و أسلماه، فجرح جراحات كثيرة، و رمي به في بئر، و حنوا عليه التراب، حتى واروه، و لم يشكوا في موته، و الكلب مه هذا يهر عليهم ، و هم يرمونه.

فلما انصرفوا، أتى الكلب إلى رأس البئر، فلم يزل يعوي، و يبحث في التراب بمخالبه، حتى ظهر رأس صاحبه و فيه نفس يتردد، و قد كان أشرف على التلف، و لم يبق فيه، إلا حشاشة نفسه، و وصل إليه الروح.

فبينما هو كذلك، إذ مر أناس، فأنكروا مكان الكلب، و رأوه كأنه يحفر قبراً، فجاءوا، فإذا هم بالرجل على تلك الحال، فاستخرجوه حياً و حملوه إلى أهله.

فرغم أبو عبيدة، أن ذلك الموضع، يدعى: بئر الكلب.

كلب خلص صاحبه من موت محقق

حدثني عبد الله بن محمد الكاتب، قال: حدثني أبي، عن محمد بن خلاد ، قال: قدم رجل على بعض السلاطين، و كان معه حاكم أرمينية، منصراً إلى منزله، فمر في طريقه بمقبرة، فإذا قبر عليه قبة مبنية، مكتوب عليها: هذا قبر الكلب، فمن أحب أن يعلم خبره، فليمض إلى قرية كذا و كذا، فإن فيها من يخبره. فسأل الرجل عن القرية، فدلوه عليها، فقصدها، و سأل أهلها، فدلوه على شيخ، فبعث إليه، و أحضره، و إذا شيخ قد جاوز المائة سنة، فسأله، فقال: نعم، كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن، و كان مستهتراً بالنزهة و الصيد و السفر، و كان له كلب قد رباه، و سماه باسم، و كان لا يفارقه حيث كان، فإذا كان وقت غدائه و عشائه، أطعمه مما يأكل.

فخرج يوماً إلى بعض متنزهاته، و قال لبعض غلمانه: قل للطباخ، يصلح لنا ثريدة لبن، فقد اشتيتها، فأصلحوها، و مضى إلى متنزهاته.

فوجه الطباخ، فجاء بلبن، و صنع له ثريدة عظيمة، و نسي أن يغطيها بشيء، و اشتغل بطبخ شيء آخر. فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى، فكرع من ذلك اللبن، و مج في الثريدة من سمه، و الكلب رابض، يرى ذلك كله، و لو كان له في الأفعى حيلة لمنعها، و لكن لا حيلة للكلب في الأفعى و الحية، و كان عند الملك جارية خرساء، زمنة، قد رأت ما صنع الأفعى.

ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: يا غلمان، أول ما تقدموان إلي الثريدة.

فلما قلموها بين يديه، أومأت الخرساء إليهم، فلم يفهموا ما تقول، و نبح الكلب و صاح، فلم يلتفتوا إليه، و ألح في الصياح ليعلمهم مراده فيه.

ثم رمى إليه بما كان يرمي إليه في كل يوم، فلم يقربه، و لج في الصياح.

فقال لغلمانه: نحوه عنا، فإن له قصة، و مد يده إلى اللبن.

فلما رآه الكلب، يريد أ، يأكل، وثب إلى وسط المائدة، و أدخل فمه في اللبن و كرع منه، فسقط ميتاً، و تناثر لحمه.

و بقي الملك متعجباً منه و من فعله، فأومأت الخرساء إليهم، فعرفوا مرادها، و ما صنع الكلب.

فقال الملك لندمائنه و حاشيته: إن كلباً قد فداي بنفسه، لحقيق بالمكافأة، و ما يحمله و يدفنه غيري، و دفنه بين أبيه و أمه، و بنى عليه قبة، و كتب عليها ما قرأت، و هذا ما كان من خبره .

أبو الحسن القمي يقترح أصواتا

كان أبو الحسن القمي، يكتب لروزبهان بن ونداد خورشيد ، على إقطاعه في السواد، و خليفة عنه بحضرة معز الدولة ، ببغداد، و كان يهوى مندادة جارية قهرمانة ابن مقله ، و هي صبية مليحة الوجه، طيبة الغناء، و كان من أصواته عليها:

أيا راهبينجران ما فعلت هند ... أقامت على عهدي و أي لها عهد

فأراد يوماً أن تغنيه له، فقال له: يا ستي، غني لي ذاك سوت :

أيا راهبي نجران ما فعلت هندي ... أقامت بلا عهد و إني بلا عهد
فضحكت، و قالت له: أعلم أنك سفلة، بلا عهد.

و قال لها مرة: يا ستي، غني ذاك سوت: يا فاطمة بعط ذلول فضحكت و ضحك الحاضرون، يريد: أفاطم مهلاً بعض هذا التدل و حدثت عنه، بين يديه، و هو يسمع، قالت: غنيت له ليلة:

أمن سمية دمع العين منروف ... لو أن ذا منك قبل اليوم معروف
و فيه لحن حسن، فأعجبه، و أطربه، و لم يزل يتلقنه، و يتحفظه، إلى أن ظن أنه قد أتقنه.

و صبر ساعة، و قال لي: يا ستي، بالله غني لي، ذاك سوت: أمن سميت دموعك عينك ذرذف فضحكت منه، فقال: ما لك؟ فأعدت البيت عليه، على صحته.

فقال: يا باردة، كله واحد.

قالت: و غنيت له مرة، صوتاً استحسنه، و قال لي: يا ستي، اكتبه لي.

فقلت له: يا هذا أنت كاتب أو أنا؟ فقال: أنا ما أحسن أكتبه بلحنه، أريد تكتبينه أنت بلحنه، كما تحسنينه .

أبو الحسن القمي يتحدث عن يقطين قم

و كان يوماً في دار أبي الحسن الأهوازي ، فحدث بحديث يقطين يكون بقم ، عظيماً، حتى إن قشر الواحدة إذا فرغ و جفف وسع من الحنطة شيئاً كثيراً.

و قال: و هو مقبل على أبي الحسن بن محمود البادراني، نديم أبي الحسن الأهوازي، و كان طيباً، نادراً، فقال له: إقطعون رأسك، أخرجون صوف.

فقال له ابن محمود: يكون يا سيدي في قرع قم، صوف؟ قال: هاي، كيف يكون صوف في قرع؟ إنما أخرجون قماش بطنك.

فقال ابن محمود: كانت حالي مع الصوف أصلح، مر يا سيدي في حديثك، فلك نيتك، و قد علمنا ما أردت.

فضحكت الجماعة.

فقال: ذا قرع مبارك، جاب الضحك و الفرح.

و ضحك معهم .

رقعة أبي الحسن القمي

إلى الأمير عبد الواحد بن المقتدر و كتب يوماً رقعة إلى عبد الواحد بن المقتدر بالله ، يسأله مبايعته سقف ساج مذهب، كان في بيت ماء في داره على دجلة، باب خراسان : بسم الله الرحمن الرحيم، قد علم سيدي الأمير، حال السقف الذهب، الذي حاشا وجه سيدي في الخلاء، و هو هدية من ماله، و الشكر عليه كثير، و ليس أجعله و حياة راس سيدي الأمير في الخلاء، أريده لصفة ، و يوعز سيدي الأمير، إذا منحنى من ثمنه، مزحت مع سيدي، و ليس أخرج له من رأي قضاء حقي، حتى أبو محمد القرافي يعرفه ما في الأمر، و يزن الثمن، و عرفته ذلك، حتى يعمل معي ما يشبهه، إن شاء الله .

ابن الجصاص يتحدث

عما سلم من أمواله من المصادرة حكى ابن الجصاص ، قال: كنت يوم قبض علي المقتدر ، جالسا في داري، و أنا ضيق الصدر، و كانت عادي، إذا حصل مثل ذلك، أن أخرج جواهر كانت عندي في درج، معدة لمثل هذا، من ياقوت أحمر، و أصفر، و أزرق، و حبا كبيرا، و درأ فاخرا، ما قيمته خمسين ألف دينار، و أضعه في صينية، و ألعب به حتى يزول قبضي.

فاستدعيت بذلك الدرج، فأتي به بلا صينية، فأفرغته من حجر، و جلست في صحن داري، في بستان، في يوم بارد، طيب الشمس، و هو مزهر بصنوف الشقائق و المشور .

و أنا ألعب بذلك، إذا دخل الناس بالزعقات و المكروه، فلما رأيتهم دهشت، و نفضت جميع ما كان في حجري من الجواهر، بين ذلك الزهر في البستان، فلم يروه.

و أخذت، و حملت، و بقيت مدة في المصادرة و الحبس، و تقلبت الفصول على البستان، و جف ما فيه، و لم يفكر أحد فيه.

فلما فرج الله عني، و جئت إلى داري، و رأيت المكان الذي كنت فيه، ذكرت الجواهر، فقلت: ترى بقي منه شيء؟.

ثم قلت: هيهات، و أمسكت.

ثم قمت، و معي غلام ينثر البستان بين يدي، و أنا أفتش ما ينثره، و أخذ الواحدة بعد الواحدة، إلى أن وجدت الجميع، و لم أفقد منه شيئا .

ابن الجصاص يتحدث

عما سلم من أمواله من المصادرة قال ابن الجصاص: لما نكبي المقتدر، وأخذ مني تلك الأموال العظيمة، و أصبحت يوماً في الحبس، آيس ما كنت فيه من الفرج، فجاءني خادم، فقال: البشري! قلت: و ما الخبر؟ قال: قم، فقد أطلقت. فقممت معه، فاجتاز بي في بعض دور الخليفة، يريد إخراجي من دار السيدة، لتكون هي التي تطلقني، لأنها هي شفعت في. فوقع عيني على أعدل خيش لأعرفها، و ما مبلغها مائة عدل، فقلت: أليس هذا من الخيش الذي حمل من داري؟

قال: بلى.

فتأملته، فإذا هو مائة عدل، و كانت هذه الأعدال، قد حملت إلي من مصر، في كل عدل منها ألف دينار، و كانت هناك، فخافوا عليها، فجعلوها في أعدل الخيش، فوصلت سالمة، و لاستغنائي عن المال، لم أخرجه من الأعدال، و تركته في بيت من داري، و قفلت عليه، و نقل كل ما في داري، فكان آخر ما نقل منها، الخيش، و لم يعرف أحد ما فيه، فلما رأيته بشده، طمعت في خلاصه. فلما كان بعد أيام من خروجي، راسلت السيدة، و شكوت حالي إليها، و سألتها أن تدفع إلي ذلك الخيش لا نتفع بضمنه، إذ كان لا قدر له عندهم، و لا حاجة بهم إليه، فوعدتني بكتاب مقتدر في ذلك. فلما كان بعد أيام، أذكرتها، فقالت: قد أمر بتسليمه إليك. فسلم إلي بأسره، ففتحتة، فأخذت منه المائة ألف دينار ما أضع منها شيء، و بعث من الخيش و ما أرادت، بعد أن أخذت منه قدر الحاجة .

الوزير ابن الفرات يحسن إلى عطار

حكى أن ابن الفرات اجتاز يوماً ببعض الطرق، فاتفق أن سار تحت ميزاب، فوقع عليه منه ما لوث ثيابه، و سرجه، و دابته، فوقف في الطريق، و أنفذ إلى داره من يحضره خلعة ثياب أخرى، فرآه رجل عطار كان في الموضع، فقام إليه، و سأله أن يدخل إلى منزله، و يقيم فيه، إلى أن يعود الرسول بالثياب، ففعل، و أقام عنده، و خلع ما كان عليه، و تنظف بالماء مما كان أصابه، و أحضره الغلام الثياب، فلبسها، ثم سأله العطار، أن يأذن له في إحضار بخور يتبخر به، فأذن له، و ركب أبو الحسن. و مضت الأيام، فلما ولي الوزارة، كانت حال العطار قد اختلت، و رزحت . فقالت له زوجته: لو مضيت إلى الوزير، و تعرفت عليه بخدمتك كانت له، لرجوت أن ينظر في أمرك نظراً يغير به حالك. فأعرض عن قولها، و استبعد الأمل مما ذكرته.

ثم ألحت عليه في القول، فمضى، و دخل دار أبي الحسن، و تعرض له، إلى أن رآه، فأمسك، و انصرف.
فعرف زوجته ما جرى، فأشارت عليه بالعود.

فعاد و معه رقعة يستميحه فيها، و لم يزل حتى وجد فرصة، فعرضها عليه، فلما وقف عليها، قال: سل
حاجة، تقض لك.

و اتفق أن صار إليه من خاطبه في أمر كاتب للعيال، كان محبوساً، و سأله مسألة الوزير إطلاقه، و ضمن له
خمسة آلاف دينار له خاصة، و للوزير عشرين ألف دينار، على يده، و للحواشي خمسة آلاف دينار، و
واقفه على تعديل المال، عند بعض التجار بالكرخ.

فلما توثق منه، قصد الوزير، و معه رقعة بالصورة، فأمره بحمل المال، ليطلق له الرجل.
فحمل المال، فلما حصل في الدار، منع بعض الخدم من إدخاله في الخزانة، إلى أن يؤذن في قبضه.
و عرف الوزير أمره، فتقدم إلى العطار، أن يفرق ما للحاشية عليهم، و يأخذ جميع الباقي لنفسه، و أمر
بإطلاق كاتب العيال.

فاستعظم العطار ذلك، و ملاً قلبه، و رأى قدره يصغر عن مثله، فقال للوزير: يقنعني من هذا كله، ألف
دينار، أغبر بها حالي، و أجعلها رأس مالي.

فقال له: خذ الجميع، عافاك الله، و لا تكثر علي في الخطاب.
فخرج من حضرته، و صار إلى أبي أحمد الحسن، و عرفه الحال، و أنه يقنعه اليسير مما أعطيه، و أوماً إلى حمل
الباقي إليه.

فقال له أبو أحمد: يأمر لك الوزير بشيء و أصانعك عليه؟ خذ المال، و انصرف .

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

و انبثت عن عمر ابن أحمد بن هبة الله، قال: أنبأنا أبو عبد الله الحنبلي، بأصبهان، عن أبي طاهر التاجر،
قال: أنبأنا أبو القاسم بن منده، إذنًا، عن أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، قال: حدثني أبو
الحسن البصري، قال: قال لي رجل: كنت أخدم علي بن محمد بن الفرات، وزيراً، فقال: فغضب عليه
السلطان، و تقدم بحبسه.

قال: و كان عندي خمسمائة دينار، فقلت لامرأتي، و كانت ذات عقل و رزانة: إني أريد أن أحل هذه
الدنانير إلى الوزير، لعله يحتاج إليها في حبسه.

قالت: ويحك، إن ابن الفرات، لا يحمل إليه خمسمائة دينار، فإنه يستخفها، و حاملها.

قال: فعصيتها، و حملت الدنانير.

فلما رأيته، تعجب، و قال: فلان؟ قلت: نعم، أيد الله سيدنا.

قال: حاجتك؟ فأخرجت الصرة، و قلت: هذه خمسمائة دينار، و لعلها تصلح أن تبر بها بواباً، أو موكلاً.
فقال: قبلتها، ثم قال: خذها، تكون وديعة عندك.

قال: فخجلت، و رجعت إلى امرأتي، و حدثتها، فقالت: قد كنت أشرت عليك، أن لا تفعل، فأيت.

قال ثم إن السلطان، رضي عن الوزير، و عاد إلى أفضل مما كان عليه، فدخلت عليه؛ فلما أبصرني، طأطأ رأسه، و لم يملأ عينه مني فقلت: هذا ما قالت لي امرأتي.

و كنت أغدو إليه بعد، و أروح، فلا يزداد إلا إعراضاً عني، حتى أنفقت تلك الدنانير، و بقيت متعطلاً، أبيع ما في بيتي.

و بكرت إلى ابن الفرات يوماً، على ما بي من انكسار، و ضعف حال و منة، فدعاني، و قال: وردت البصرة سفن من بلاد الهند، فأنحدر، و فسرهما، و أقبض حق بيت المال، و ما كان من رسمنا من المستثنى، و لا تتأخر.

فعدت إلى أهلي، فقلت لها: من تمام الحنة، إنه كلفني سفراً، و أنا لا أقدر ما أنفقه.

قال: فناولني خماراً لها، و قرطين، فبعث ذلك، و جعلت ثمنه نفقتي، و أنحدرت، و فسرت السفن، و قبضت حق بيت المال، و رسم الوزير، فحملته إلى بغداد، و عرفت الوزير فقال: سلم الحق بيت المال، و أقبض الرسم المستثنى لنا، و كم هو؟ قلت له: خمسة و عشون ألف دينار. قال: احملها إلى منزلك.

فأخذتها إلى منزلي، و سهرت ليلي لحفظتها، على اهتمامي طول ثماني بها، و مضى لهذا الحديث زمان ليس بالطويل، و بان الضر في وجهي.

فدخلت إليه يوماً، فقال لي: ادن مني، ما لي أراك متغير اللون، سيء الحال؟ فحدثته بإقلالي و إضاقتي.

فقال: ويحك، و أنت ممن ينفق في مدة يسيرة، خمسة و عشرين ألف دينار؟ قلت: أيد الله سيدنا الوزير، و من أين لي خمسة و عشرون ألف دينار؟ قال: يا جاهل، أما قلت لك احملها إلى منزلك؟ أتراني لم أجد من أودعه مالي غيرك؟ ويحك أما رأيت إعراض عني، أول دخولك إلي. قلت: بلى أيها الوزير، و ذاك الذي لأذاب قلبي.

قال: ويحك، إنما عرضت عنك، حياء منك، و تذكرت جهيل صنيعة، و أنا محبوس، فقلت: متى أقضي حق هذا فيما فعله؟ فجعل إلى منزلك، و اتسع في النفقة، و أنا أنظر لك، بما يغنيك، و يغني عبقك، إن شاء الله تعالى.

فعدت إلى منزلي، عودة عبد من عند مولى كريم، و كان ذلك سبب غناي.

خشكناجانات حشوها دنانير

حكى ابن الهمداني، أن ابن سمعون، ذكر على كرسيه في ليلة النصف من رمضان، الخلوى، و كانت مزنة، جارية أبي سعيد الصائغ، حاضرة، و هو تاجر مشهور بكثرة المال، و منزله بدمرب رباح، فلما أمسى، أتاه غلام و معه خشكنا نكه، فكسر واحة، فوجد فيها ديناراً فكسر الجميع، و أخرج الدنانير، و حملها بنفسه، إلى أبي سعيد الصائغ، و قال: قد جئت في سبب، و أريد أن يكون جوابك قبول قولي، و أن لا تنكر على أهل الدار، و أخبره بالدنانير.

فقال له أبو سعيد: أعيدك بالله، أن يحضر مجلسك من فيه ريبة، والله ما تركت المرأة الدنانير إلا بحضرتي، و تساعدنا جميعاً على هذا العمل.

يكتب هذا في مكارم الأخلاق

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: حدثنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن موسى القاضي، يقول: حضرت مجلس موسى بن إسحاق، القاضي بالري، سنة ست و ثمانين و مائتين، فتقدمت امرأة، فادعى عليها على زوجها خمسمائة دينار مهراً، فأنكر.

فقال القاضي: شهودك؟ قال: قد أحضرهم.

فاستدعى بعض الشهود، أن ينظر إلى المرأة، ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد، و قال للمرأة: قومي. فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك، و هي مسفرة، لتصح عندهم معرفتها. فقال الزوج: أنا أشهد القاضي، أن لها عليّ هذا المهر الذي تدعيه، و لا تسفر عن وجهها. فأخبرت المرأة بما كان زوجها، فقالت: و أنا أشهد القاضي، أني قد وهبته هذا المهر، و أبرأته منه في الدنيا و الآخرة.

فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق.

من النقط ما تحت مائدته أمن من الفقر

و حكي عن هدية بن خالد، رحمه الله، قال: حضرت مائدة المأمون، فلما رفعت المائدة، جعلت ألنقط ما في الأرض، فظفر إليّ المأمون، فقال: أما شبعت يا شيخ؟ قلت: بلى، يا أمير المؤمنين، و لكن حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت ابن أنس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول: من النقط ما تحت مائدته، أمن من الفقر.

فنظر المأمون إلى خادم واقف بين يديه، فأشار إليه، فما شعرت أن جاءني، و معه منديل فيه ألف دينار، فناولني إياه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، و هذا من ذاك.

من محاسن القاضي أحمد بن أبي دؤاد

و من ملح أخبار القاضي أحمد بن أبي دؤاد، ما حكي: أن المعتصم كان بالجوسق، مع ندمائه، و قد عزم على الاصطباح، فأمر كلاً منهم أن يطبخ قدرًا، و نظر سلامة، غلام أحمد بن أبي دؤاد، فقال: هذا غلام ابن أبي دؤاد جاء ليعرف خبرنا، و الساعة يأتي، فيقول: فلان الهاشمي، و فلان القرشي، و فلان الأنصاري، و

فلان العربي، فيقطعنا بجوائجه عما كنا عزمنا عليه، و أنا أشهدكم أني لا أقضي له اليوم حاجة.
فلم يكن بأسرع من أن دخل إيتاخ ، يستأذن لأحمد بن أبي دؤاد. فقال لجلسائه: كيف ترون؟ قالوا: لا
تأذن له يا أمير المؤمنين.

قال: سواة لهذا الرأي، و الله، لحمي سنة، أسهل عليّ من ذلك.
فأذن له، فدخل، فما هو إلا أن سلم، و جلس، و تكلم، حتى أسفر وجه المعتصم، و ضحكت إليه
جوارحه.

ثم قال: يا أبا عبد الله، قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدراً، و قد جعلناك حكماً في أطيبها.
قال: فلنحضر لآكل، و أحكم بعلم.
فأمر المعتصم بإحضارها، فأحضرت القدور بين يديه، و تقدم القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فجعل يأكل من
أول قدر أكلاً تاماً.
فقال له المعتصم: هذا ظلم.

قال: و كيف ذاك؟ قال: أراك قد أمعنت في هذا اللون، و ستحكم لصاحبه.
قال: يا أمير المؤمنين، ليس بلقمة، و لا باثنتين، تدرك المعرفة بأخلاق الطعام، و عليّ أ، أوفي كلاً حقه من
الدوق، ثم يقع الحكم بعد ذلك.
فتبسم المعتصم، و قال: شأنك إذاً.

فأكل من جميعها، كما ذكر، ثم قال: أما هذه فقد أجاد صاحبها، إذ كثر خلها و قلل فلفلها، ليشتهي
حمضها، و أما هذه فقد أحكمها طبّاخها، بتقليل مائها، و كثرة ربها، و أقبل يصفها واحدة واحدة، حتى أتى
على جميعها، بصفات سر بها أصحابها.

و أمر المعتصم بإحضار المائدة، فأكل مع القوم بأكملهم، أنظف أكل و أحسنه، فمرة يحدّثهم بأخبار الأكلة
في صدر الإسلام، مثل معاوية بن أبي سفيان، و سليمان بن عبد الملك، و عبيد الله بن زياد، و الحجاج، و
مرة يحدّثهم عن أكلة دهره، مثل ميسرة الرواس، و حاتم الكيال، و إسحاق الحمامي، فلما رفعت الموائد قال
له المعتصم: ألك حاجة يا أبا عبد الله؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فاذكرها، فإن أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا ببقية يومهم.
فقال: رجل من أهلك يا أمير المؤمنين، قد وطئه الدهر، فغير من حاله، خشن معيشته.
قال: و من هو؟ قال: سليمان بن عبد الملك النوفلي.

قال: قدر له ما يصحّه.

قال: خمسين ألف درهم.

قال: قد أمرت له بها.

قال: و حاجة أخرى. قال: و ما هي؟ قال: ضياع هارون بن المعمر توغر بها له . قال: قد فعلت.

قال: فوالله ما برح حتى سأل في ثلاث عشرة حاجة، لا يرده المعتصم عن شيء منها.

ثم قام خطيباً، فقال: يا أمير المؤمنين، عمرك الله طويلاً، فبعمرك يخضب جناب رعيتك، و يلين عيشهم، و

تنمو أموالهم، و لا زلت ممتعاً بالسلامة، منعماً بالكرامة، مدفوعاً عنك حوادث الأيام، و غيرها، ثم انصرف.
فقال المعتصم: هذا و الله الذي يتزين بمثله، و يبتهج بقربه، أما رأيتم كيف دخل؟ و كيف أكل، و كيف
وصف القدور، و كيف انبسط في الحديث، و كيف طاب به أكلنا؟ و الله لا يرد هذا عن حاجة إلا لئيم
الأصل، حيث الفرع، و الله، لو سألتني في مجلسي هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم، ما رددته عنها،
فإني أعلم أنه يكسبني في الدنيا جهالاً و حمداً و في الآخرة ثواباً و أجراً .

قاضي القضاة ابن أبي دؤاد

ينجي أبا دلف من القتل قيل: كان الأفشين مبغضاً لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، و حاسداً له على
فضله، و يبغضه للفروسية و الشجاعة ، فحمل نفسه يوماً على قتله، و استدعاه باستحثاث و إزعاج.
و كان أبو دلف، صديقاً لقاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد، فبعث إليه: أدركني، فمن أمري كذا و كذا،
فركب مسرعاً، و استحضر من حضره من الشهود.
فلما ورد باب الأفشين، قال له الغلمان: نستأذن لك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك، و نزل، و دخل، فألقى
الأفشين جالساً في موضعه، و قد أقيم أبو دلف بين يديه في الصحن.
فلما رأى الأفشين قاضي القضاة، دخل بلا أذن، بهت.
فقال له أحمد بن أبي دؤاد: أيها الأمير، أنا رسول أمير المؤمنين إليك، يأمرك أن لا تحدث في أمر القاسم حدثاً
إلا بإذنه.

ثم التفت إلى الشهود، فقال: اشهدوا أني قد بلغت رسالة أمير المؤمنين و القاسم حي معافى.
ثم خرج فأتى باب المعتصم مسرعاً، و استأذن عليه، فأذن له، فلما دخل عليه، قال: يا أمير المؤمنين، قد
كذبت عليك واحدة، أرجو بها الجنة، و لك بها الفخر.
قال: و ما هي؟ قال: كان من الأمر كيت و كيت.
قال: فضحك المعتصم، و قال: أحسنت، أحسن الله إليك.
ثم لم يلبث أن جاء الأفشين مستأذناً، فأذن له، فلما استقر مجلسه قال: يا أمير المؤمنين، جاءتني رسالة منك
مع قاضي القضاة في معنى أبي دلف، فما تأمر في شأنه؟ قال: نعم، أرسلت إليك فيه، فاحذر أن تتعرض له
إلا بخير. فأقلت بذلك من يده .

سنان بن ثابت الحراي

يعالج أمير الأمراء بجكم بعث بجكم التركي، أمير الأمراء ، إلى الطبيب سنان بن ثابت ، بعد موت الراضي ،
و سألته أن ينحدر إليه، إلى واسط ، فانحدر إليه، فأكرمه و قال له: إني أريد أن أعتمد عليك في تدبير بدني،
و في أمر آخر، هو أهم إلي من أمر بدني، و هو أمر أخلاقي، لثقتي بعقلك، و دينك، فقد غمتني غلبة
الغضب، و الغيظ، و إفراطهما فيّ، حتى أخرج إلى ما أندم عليه، عند سكونهما، من ضرب، و قتل، و أنا

أسألك أن تتفقد ما أعمله، فإذا وقفت لي على عيب، لم تحتشم أن تصدقني عنه، و تنبهي عليه، ثم ترشدني إلى علاجه.

فقال له: السمع و الطاعة، أنا أفعل ذلك، و لكن يسمع الأمير مني بالعاجل، جملة علاج ما أنكره من نفسه، إلى أ، آتي بالتفصيل في أوقاته: اعلم أيها الأمير، أنك قد أصبحت، و لي سفوف يدك يد لأحد من المخلوقين، و أنك مالك لكل ما تريده، قادر على أن تفعله، ي وقت أردته، لا يتهياً لأحد من المخلوقين معك منه، و لا أن يحول بينك و بين ما تهواه، أي وقت أردت، و اعلم أ، الغيظ و الغضب يحدثان في الإنسان سكرًا، أشد من سكر النبيذ بكثير، فكما أن الإنسان يعمل في وقت السكر من النبيذ، ما لا يليق به، و لا يذكره إذا صحا، و يندم عليه إذا حدث به، و يستحي منه، كذلك يحدث له في وقت السكر من الغيظ، بل أشد، فإذا ابتداء بك الغضب، فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة إلى غد، واثقاً بأن ما تريد أن تعمله في الوقت، لا يفوتك عمله، فإنك إذا بت ليلتك، سكنت فورة غضبك، و قد قيل: أصح ما يكون الإنسان رأياً، إذا استدبر ليله، و استقبل نهاره، فإذا صحوت من سكرك، فتأمل الأمر الذي أغضبك، و قدم أمر الله عز وجل، أولاً، و الخوف منه، و ترك التعرض لسخطه، و اشف غيظك، بما لا يؤثمك، فقد قيل: ما سفى غيظه من أثم، و اذكر قدرة الله عليك، فإنك تحتاج إلى رحمته، و إلى أخذه بيدك، في أوقات شدائدك، فكما تحب أن يغفر لك، كذلك غيرك، يؤمل عفوكم، و فكر بأية بات المذنب قلقاً خوفاً منك، و ما يتوقعه من عقوبتك و اعرف مقدار ما يصل إليه من السرور، بزوال الرعب عنه، و مقدار الثواب الذي يحصل لكم، بذلك، و اذكر قوله تعالى: ألا تحبون أن يغفر الله لكم، و إنما يشتد ذلك عليكم مرتين، أو ثلاثاً، ثم تصير عادة لك، و خلقاً، فيسهل.

فابتدأ بحكمهم، فعمل بما قال له .

مسافر لا يفكر في قطع الطريق

قال عبد الواحد بن نصر المخزومي : أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام، مسافراً يمشي و عليه مرقعة، و هو في جماعة نحو الثلاثين رجلاً، كلهم على هذه الصفة، قال: فصحنا في بعض الطريق رجل شيخ، حسن الهيئة، معه حمار فاره يركبه، و معه بغلان عليهما رحل، و قماش، و متاع فاخر.

فقلنا له: يا هذا، إنا لا نفكر في خروج الأعراب علينا، فإنه لا شيء معنا يؤخذ، و أنت لا تصلح لك صحبتنا، مع ما معك.

فقال: يكفيننا الله.

ثم سار، و لم يقبل منا، و كان إذا نزل يأكل، استدعى أكثرنا، فأطعمه و سقاه، و إذا أعىي الواحد منا، أركبه على أحد بغليه، و كانت الجماعة تخدمه و تكرمه، و تتدبر برأيه.

إلى أن بلغنا موضعاً، فخرج علينا نحو ثلاثين فارساً من الأعراب، فنفرقنا عليهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا، فتركناهم، و نزل، فجلس، و بين يديه سفرته، ففرشها، و جلس يأكل.

و أظللنا الخيل، فلما رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا يأكلون، ثم حل حله، و أخرج منه حلوى كثيرة، و تركها بين يدي الأعراب، فلما أكلوا، و شبعوا، جمدت أيديهم، و خدرت أرجلهم، و لم يتحركوا.

فقال لنا: إن الحلو مبنج، أعدته لمثل هذا، و قد تمكن منهم، و تمت الحيلة عليهم، و لكن لا يفك البنج ، إلا أن تصفعوهم، فافعلوا، فإنهم لا يقدرّون على الامتناع. فعلمنا صدق قوله، و أخذنا أسلحتهم، و ركبنا دوابهم، و سرنا حواليه في موكب، و رماحهم على أكتافنا، و سلاحهم علينا، فما نجتاز بقوم، إلا ظنونا من أهل البادية، فيطلبون النجاء منا، حتى بلغنا مأمنا.

فهل عند رسم دارس من معول

قال أبو بكر الصولي، حضرت باب علي بن عيسى الوزير، معنا جماعة من أجلاء الكتاب، فقدمت دواة، و كتبت:

وقفت على باب ابن عيسى كأني ... قفا نيك من ذكرى حبيب و منزل
إذا جئت أشكو طول فقري و خلتي ... يقولون لا تملك أسي و تجمل
ففاضت دموع العين من قبح ردهم ... على النحر حتى بل دمعي محملي
لقد طال تردادي و قصدي إليهم ... فهل عند رسم دارس من معول
فم الخبر إليه، فاستدعاني، و قال: يا صولي، فهل عند رسم دارس من معول؟ فاستحييت، و قلت: أيد الله
الوزير، ما بقي شيء، و أنا كما ترى فأمر لي بخمسة آلاف درهم فأخذتها، و انصرفت .

ألا موت يباع فأشتريه

و من لطائف المقول: أن أبا محمد الوزير المهلبی، كان في غاية من الأدب، و الحجة لأهله، و كان قبل اتصاله
بمعز الدولة بن بويه، في شدة عظيمة ن الضرورة و المضايقة، و سافر و هو على تلك الحالة، و لقي في سفره
شدة عظيمة، فاشتبهى اللحم، فلم يقدر عليه، فقال ارتجالاً:

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه
غلا موت لذيد الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت لو أنني فيما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه
و كان له رفيق، يقال له: أبو عبد الله الصوفي، و قيل: أبو الحسن العسقلاني، فلما سمع هذه الأبيات،
اشترى له لحماً بدرهم، و طبخه، و أطعمه، و تفارقا.

و تقلت الأحوال، و ولي الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور ، و ضاق الحال برفيقه الذي اشترى له اللحم
في السفر، و بلغه وزارة المهلبی، فقصده، و كتب إليه:
ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقال مذكر ما قد نسيه

أذكر إذ تقول لضيق عيش ... إلا موت يباع فأشتريه
فلما وقف عليها، تذكر الحال، و هزته أريجية الكرم، فأمر له بسبعمئة درهم، و وقع له في رقعته: مثل
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبله مائة حبة.
ثم دعا به، فخلع عليه، وقلده عملاً، يرتفق منه .

سبحة المقتدر بالله

تقوم بما يزيد على مائة ألف دينار و أنبت عنه ابن النجار، قال: أنبأنا أبو الفرج الحارثي، عن أبي علي بن
المهدي، قال: سمعت الأمير أبا محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله، قال: أخبرني والدي عمرة، جارية
المقتدر، قالت: استدعى المقتدر، بجواهر، فاختار منها مائة حبة، و نظمها سبحة يسبح بها، فعرض على
الجوهريين، فقوموا كل حبة منها بألف دينار، و أكثر، فكان إذا أراد أن يسبح، استدعى بها، ثم ردها إليّ،
فأعلقها في الخزانة، في خريطة.
فلما قتل المقتدر، وقع النهب، فأخذت في جملة ما أخذ، فلعل الذي أخذها، لا يدري ما هي .

ما أغنى عني ماله

لما احتضر عضد الدولة ، في السنة اثنتين وسبعين و ثلثمائة، جعل يتمثل بقول القاسم بن عبيد الله :
قتلت صناديد الرجال فلم أدع ... عدواً و لم أمهل على ظنة خلقاً
و أخليت دور الملك من كل نازل ... فشردتهم غرباً و شردتهم شرقاً
فلما بلغت النجم عزاً و رفعة ... و صارت رقاب الخلق أجمع لي رقاً
رمانى الردي سهماً فأحمد جهرتي ... فها أنا ذا في حفرتي عاطلاً ملقى
فأذهيت دنياي و ديني سفاهة ... فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى
ثم جعل يقول: ما أغنى عني ماله، هلك عني سلطانيه، فرددها إلى أن توفي في آخر يوم الاثنين من شوال
هذه السنة، عن سبع و أربعين سنة، و أحد عشر شهراً و ثلاثة أيام ، و أخفى خبره، و دفن بدار المملكة، ثم
حصل إلى مشهد علي عليه السلام.

أقوال الحكماء في الاسكندر

و في عضد الدولة لما توفي عضد الدولة سنة ٣٧٢، بلغ خبره إلى مجلس بعض العلماء، و فيه جماعة من أكابر
أهل العلم، فذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء، عند موت الاسكندر ، و قد رويت لنا من طرق مختلفة
الألفاظ، و نحن نذكر أحسنها: و ذاك، أن الاسكندر، لما مات، قام عند تابوته، جماعة من الحكماء، فقال
أحدهم: سلك الاسكندر، طريق من فني، و في موته عبره لمن بقي.
و قال الثاني: خلف الاسكندر، ماله لغيره، و سيحكم فيه بغير حكمه.

و قال الثالث: أصبح الاسكندر مشغولاً بما عانى، و هو بالأعمال يوم الجراء أشغل.
و قال الرابع: كنت مثلي حديثاً، و أنا مثلك و شيكاً.
و قال الخامس: إن هذا الشخص كان لكم واعظاً، و لم يعظكم قط بأفضل من مصرعه.
و قال السادس: كان الاسكندر كحلّم نائم انقضى، أو كظل غمام انجلى.
و قال السابع: لئن كنت بالأمس لا يأمنك أحد، لقد أصبحت اليوم، و ما يخافك أحد.
و قال الثامن: هذه الدنيا الطويلة العريضة، طويت في ذراعين.
و قال التاسع: أجاهل كنت بالموت فتعذر، أم عالم به فلومك؟ و قال العاشر: كفى للعامة أسوة بموت الملوك، و كفى للملوك عظة بموت العامة.
و قال بعض من حضر المجلس، الذي أشيع فيه، بموت عضد الدولة، و ذكرت فيه هذه الكلمات، لو قلت أنتم مثلها، لكان ذلك يؤثر عنكم.
فقال أحدهم : لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها، و أعطاهما فوق قيمتها، و حسبك أنه طلب الربح منها، فخسر روحه فيها.
و قال الثاني : من استيقظ لدنيا فهذا نومه، و من حلم فيها فهذا انتباهه.
و قال الثالث : ما رأيت غافلاً في غفلته، و لا عاقلاً في عقله، مثله فقد كان ينقض جانباً، و هو يظن أنه مبرم، و يغرم، و هو يظن أنه غانم.
و قال الرابع : من جد للدنيا هزلت به، و من هزل راغباً عنها جدت له.
و قال الخامس: ترك هذا الدنيا شاغرة، و رحل عنها بلا زاد و لا راحلة.
و قال السادس : إن ماءً أطفأ هذه النار لعظيم، و إن ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف.
و قال السابع : إنما سلبك من قدر عليك.
و قال الثامن : لو كان معتبراً في حياته، لما صار عبرة في مماته.
و قال التاسع: الصاعد في درجاتها إلى سفال، و النازل في دركاتهما إلى معال.
و قال العاشر : كيف غفلت عن كيد هذا الأمر، حتى نفذ فيك، و هلا اتخذت دونه جنة تقيك، إن فيك لعبرة للمعتبرين، و إنك لآية للمستصرين .

الوزير بن الفرات

ينصب مطبخاً لأصحاب الحوائج و أنبت عنه عمر ابن أحمد بن هبة الله، و عن غيره، قالوا: حدثنا ذار بن كامل، قال: كتب إليّ أبو بكر الشيراوي، قال: حدثنا باقى الشيراوي، قال: أخبرنا أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي الساري ، أن محمد بن عمر الكاتب قال: حدثنا جماعة من مشايخنا: أن صاحب الخبر، رفع إلى أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات، و هو وزير، أن رجلاً من أرباب الحوائج، اشترى خبزاً و جنأً، فأكله في الدهليز، فأقلقه ذلك، و أمر بنصب مطبخ، لمن يحضر من أرباب الحوائج . فلم يزل ذلك طول أيامه.

هذا جزاء من استودع فجحد

و من ذلك، ما حكى أنه: قدم رجل إلى بغداد، و معه عقد يساوي ألف دينار، فأراد بيعه، فلم يتفق، فجاء إلى عطار موصوف بالخير و الديانة، فأودع العقد عنده.

و حج: و أتى بهدية للعطار، و سلم عليه، فقال: من أنت؟ و من يعرفك؟ فقال: أنا صاحب العقد، فلما كلمه، رفضه، و ألقاه عن دكانه.

فاجتمع الناس، و قالوا: ويلك، هذا رجل صالح، فما وجدت من تكذب عليه، إلا هذا؟ فتحير الحاج، و تردد إليه، فما زاده إلا شتماً و ضرباً.

ف قيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة، لحصل لك من فراسته خير.

فكتب قصته، و جعلها على قصبة، و عرضها عليه.

فقال له: ما شأنك؟ فقص عليه القصة.

فقال: اذهب غداً، و اجلس في دكان العطار، ثلاثة أيام، حتى أمر عليك في اليوم الرابع، فأقف، و أسلم عليك، فلا ترد عليّ إلا السلام، فإذا انصرفت، أعد عليه ذكر العقد، ثم أعلمني بما يقول لك.

ففعل الحاج ذلك.

فلما كان في اليوم الرابع، جاء عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الحاج، وقف، و قال: السلام عليكم.

فقال الحاج: و عليكم السلام، و لم يترك.

فقال: يا أخي، تقدم إلى العراق، و لا تأتينا، و لا تعرض علينا حوائجك.

فقال له: ما اتفق هذا.

و لم يزده على ذلك شيئاً، هذا و العسكر واقف بأكمله، فاهل العطار و أيقن بالموت.

فلما انصرف عضد الدولة، لفت العطار إلى الحاج، و قال له: يا أخي، متى أودعني هذا العقد؟ و في أي شيء و هو ملفوف؟ فذكرني لعلّي أتذكر.

فقال: من صفته كذا و كذا.

فقام، و فتش، ثم فتح جراباً، و أخرج منه العقد، و قال: الله يعلم أي كنت ناسياً، و لو تذكرني به، ما تذكرت.

فأخذ الحاج العقد، و مضى إلى عضد الدولة، فأعلمه، فعلقه في عنق العطار، و صلبه على باب دكانه، و نودي عليه: هذا جزاء من استودع فجحد.

ثم أخذ الحاج العقد، و مضى إلى بلاده.

ابني ابني

و أنبت عن المؤيد الطوسي، و أبي أحمد بن سكينه، و غيرهما، عن محمد بن عبد الباقي ، قال: كتب إلي أبو غالب، محمد بن أحمد بن شبران الواسطي، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن نصر الكاتب، قال: كنت عند قاضي القضاة أبي عبد الله الحسين بن مأكولا ، يوماً فحدثه أبو بكر محمد بن عمر القاضي المعروف بابن الأخضر، و هو جالس إلى جنبي، قال: حدثني الشيخ أبو الحسن علي بن نصر الفقيه المالكي، و كان ناهيك به عدالة و ثقة و ضرب بيده على فخذي قال: زوجت أيام عضد الدولة بعض غلمانه الأتراك، من صبية في جوارنا، و كان لها، و لوالدتها، أنس بدارنا، و كانت من الموصوفات بالستر و العفاف، و مضى على ذلك سنتان.

و حضرنى الغلام التركي ، و قال: يا سيدي، هذه المرأة التي زوجتني بها، قد ولدت لي ابناً، و ما أشكو شيئاً من أمرها، و لا أنكره، غير أنها ما أرتين ولدي منذ ولدته، و كلما طالبتها به، دافعتني عنه، و أريد أن أراه. فبعثت عليها، و على والدتها، و خاطبتهما، فأشارت إليّ، و قالت: يا سيدي، صدق فيما حكاها، و إنما دافعاها عن هذا لأننا قد بلينا بلية قبيحة، و ذلك أن زوجته، ولدت منه، و لداً أبلق ، من رأسه إلى سرتة أبيض، و بقيته إلى قدمه أسود، في لون الحبش. قال: و سمع التركي قولها: أبلق، فصاح: داست كفت ، ثم قال بالعربية: ابني، ابني، و هكذا كان جدي، بالتركي ، و قد رضيت. ففرحت المرأة بقوله، و انصرفت، فأظهرت له الولد .

النار ما اشتملت عليه ضلوعه

و الماء ما سحت به أجفانه أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد ابن أبي نصر الحميدي ، قال: حدثني أبو محمد علي بن أبي عمر الزبيدي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الواحد الزبيري، قال: حدثني أبو علي الحسن بن الأشكري المصري، قال: كنت من جلاس الأمير تميم بن المعز ، و ممن غلب عليه جداً، فبعث بي إلى بغداد، فاشتريت له جارية رائعة، من أفضل ما وجد في الحسن و الغناء، فلما وصلت إليه، أقام دعوة جلسائه، و أنا منهم ثم وضعت الستارة، و أمرها بالغناء، فغنت:

و بدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء و دونه ... صعب النرى متمنع أركانه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يظ ... نظراً إليه و صله سبحانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... و الماء ما سحت به أجفانه
قال: أحسنت، و طرب تميم، و كل من حضر، ثم غنت:
سيسليك عما فات دولة مفضل ... أوائله محمودة و أواخره
ثنى الله عطفه و ألف شخصه ... على البر مذ شدت عليه مآزره
فطرب الأمير تميم، و من حضر، طرباً شديداً. ثم غنت:
أستودع الله في بغداد لي قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعاه

فاشتمد طرب تميم، و أفرط جداً، ثم قال لها: تمني ما شئت، فلك منك.

فقالت: أتمني عافية الأمير و بقاءه.

فقال: و الله، لا بد لك أن تتمني.

فقالت: على الوفاء، أيها الأمير، بما أتمني؟ فقال: نعم.

فقالت: أتمني أن أغني هذه النوبة ببغداد.

فانتقع لون الأمير، و تغير لونه، و تكدر المجلس، و قام، و قمنا كلنا.

قال ابن الأشكري: فلحقني بعض خدمه، و قال لي: ارجع، فالأمير يدعوك.

فرجعت، فوجدته جالساً ينتظرني، فسلمت، و جلست بين يديه.

فقال: ويحك، أرايت ما امتحنا به؟ فقلت: نعم، أيها الأمير.

قال: لا بد من الوفاء لها، و ما أثق في هذا بغيرك، فتأهب لتحملها إلى بغداد، فإذا غبت هناك، فاصرفها.

فقلت: سمعاً و طاعة.

قال: ثم قمت، و تأهب، و أمرها بالتأهب، و أصبحها جارية له سوداء، تعادها و تخدمها، و أمر بناقة و

محمل، فأدخلت فيه، و حملها معي، ثم سرت إلى مكة، مع القافلة، فقضينا حجنا، ثم دخلنا في قافلة العراق،

و سرنا .

فلما وردنا القادسية ، أتتني السوداء عنها، فقالت: تقول لك سيدي، أين نحن؟ فقلت لها: نحن نزول

بالقادسية.

فانصرفت إليها، فأخبرتها، فلم أنشب أن سمعت صوتها يرتفع بالغناء:

لما وردنا القادسي ... ة حيث مجتمع الرفاق

و شمت من أرض الحجا ... ز نسيم أنفاس العراق

أيقنت لي و لمن أح ... ب بجمع شمل و اتفاق

و ضحكت من فرح اللقاء ... ء كما بكيت من الفراق

فتصايح الناس من أقطار القافلة: أعيدي بالله، أعيدي بالله.

قال: فما سمع لها كلمة.

قال: ثم نزلنا بالياسرية ، و بينها و بين بغداد قرب، في بساتين متصلة، ينزلها الناس، فيبيتون ليلتهم، ثم

يكررون لدخول بغداد.

فلما كان قريب الصباح، إذا بالسوداء أتتني مدعورة.

فقلت: ما لك؟ فقالت: إن سيدي ليست حاضرة.

فقلت: و أين هي؟ قالت: و الله ما أدري.

قال: فلم أحس لها أثراً بعد، و دخلت بغداد، و قضيت حوائجي منها، و انصرفت إليه، فأخبرته الخبر.

فعظم ذلك عليه، و اغتم له، ثم ما زال بعد ذلك، ذاكرةً لها، واجماً عليها.

ابن أبي حامد صاحب بيت المال

يحسن إلى رجل من المتفكهة أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد ، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي ، قال: حدثني عبيد الله بن أبي الفتح، قال: حدثنا أبو الحسن الدراقطي ، قال: كان أبو حامد المروزي ، قليل الدخول على ابن أبي حامد، صاحب بيت المال ، و كان في مجلسه رجل من المتفكهة، فغاب عنه أياماً، فسأل عنه، فأخبر أنه متشاغل بأمر قد قطعه عن حضور المجلس، فأحضره، فسأله عن حاله، فذكر أنه اشترى جارية لنفسه، و أنه انقطعت به النفقة، و ضاقت يده في تلك السنة، لانقطاع المادة عنه من بلده، و كان عليه دين لجماعة من السوق، فلم يجد قضاء لذلك، دون أن باع الجارية، فلما قبض الثمن، تذكرها، و تشوق إليها، و استوحش من بعدها عنه، حتى لم يمكنه التشاغل بفقته، و لا بغيره، من شدة قلقه، و تعلق قلبه بها، و ذكر أن ابن أبي حامد قد اشتراها، فأوجبت الحال مضي أبي حامد الفقيه، إلى ابن أبي حامد، يسأله الإقامة، و أخذ المال من البائع.

فمضى، و معه الرجل، فحين استأذن على ابن أبي حامد، أذن له في الحال، فلما دخل إليه، قام إليه، و استقبله و أكرمه غاية الإكرام، و سأله عن حاله، و عما جاء له، فأخبره أبو حامد، بخبر الفقيه، و بيع الجارية، و سأله قبض المال، و رد الجارية على صاحبها.

فلم يعرف ابن أبي حامد، للجارية خبراً، و لا كان عنده علم من أمرها، و ذلك أن امرأته كانت قد اشترتها، و لم يعلم بذلك، فورد عليه من ذلك مورد، تين في وجهه.

ثم قام و دخل على امرأته، يسألها عن جارية اشتريت في سوق النخاسين على الصفة و العت.

فصادف ذلك، أن امرأته، كانت جالسة، و الجارية حاضرة، و هم يصلحون وجهها، و قد زينت بالثياب الحسان و الحلبي.

فقلت: يا سيدي، هذه الجارية التي التمس.

فسر بذلك سروراً تاماً، إذ كانت عنده رغبة في قضاء حاجة أبي حامد، فعاد إلى أبي حامد، و قال له: خفت أن لا تكون الجارية في داري، و لا أن فهي بحمد الله عندنا، و الأمر للشيخ أعزه الله في بابها.

ثم أمر بإخراج الجارية، فحين أخرجت، تغير وجه الفتى، تغيراً شديداً، فعلم بذلك، أن الأمر كما ذكره الفقيه، من حبة لها، و صابته بها.

فقال له ابن أبي حامد: هذه جاريته؟ فقال: نعم، هذه جاريته، و اضطرب كلامه من شدة ما نزل به عند رؤيتها.

فقال له: خذها، بارك الله لك فيها.

فجزاه أبو حامد خيراً، و شكره، و سأله قبض المال، و أخبره أنه على حاله، و قدره ثلاثة آلاف درهم، فأبى أن يأخذه، و طال الكلام في ذلك.

فقال أبو حامد، إنما قصدناك نسأل الإقالة، و لم نقصد أخذها على هذا الوجه.

فقال له ابن أبي حامد: هذا رجل فقير، و قد باعها لأجل فقره و حاجته، و متى أخذت المال، خيف عليه أن يبيعها ثانية، ممن لا يردها عليه، و المال في ذمته، فإذا جاءت نفقة من بلده، جاز أن يرد ذلك. فرد المال له، و سلمه الجارية و كان عليها من الحلبي و الثياب، شيء له قدر كبير. فقال له أبو حامد: إن رأى أيده الله أن يتفضل، و ينفذ مع الجارية، من يقبض هذه الثياب، و الحلبي الذي عليها، فما لهذا الفقيه أحد ينفذه به على يده. فقال: سبحان الله، هذا شيء أسعفناها به، و وهبناه لها، سواء كانت في ملكنا، أو خرجت عن قبضتنا، و لسنا نرجع فيما وهبناه من ذلك. فعرف أبو حامد، أو الوجه ما قاله، فلم يلح عليه، بل حسن موقعه من قلبه. فلما أراد لينهض، و يودعه، قال ابن أبي حامد: أريد أن أسألك، قبل انصرافها، عن شيء. فقال: يا جارية، أيما أحب إليك، نحن، أو مولاي هذا الذي باعك و أنت له الآن؟ فقالت: يا سيدي، أما أنتم، فأحسن الله عونكم، و فعل بكم، و فعل، فقد أحسنتم إلي و أغنيتوني، و أما مولاي هذا، فلو ملكت منه ما ملك نفسي، ما بعته بالمرغائب العظيمة. فاستحسن الجماعة ذلك منها، و ما هي عليه من العقل مع الصبا. و ودعته، و انصرفوا.

طبيب يعالج جارية الرشيد

يادخال الفزع إليها حدثنا أبو القاسم الجهمي ، قال: إن حظية لبعض الخلفاء أظنه الرشيد قامت لستمطي، فلما تمطت، جاءت لترد يديها فلم تقدر، و بقيتا جافتين، فصاحت، و آلمها ذلك، و بلغ الخليفة، فدخل، و شاهد من أمرها ما أقلقه، و شاور الأطباء، فكل قال شيئاً، و استعمله، فلم ينجح. و بقيت الجارية، على تلك الصورة أياماً، و الخليفة قلق بها. فجاءه أحد الأطباء، فقال: يا أمير المؤمنين، لا دواء لها، إلا أن يدخل إليها رجل غريب، فيخلو بها، و يمرخها مروحاً يعرفه، فأجابه الخليفة إلى ذلك، طلباً لعافيتها. فأحضر الطبيب رجلاً، و أخرج من كفه دهنًا، و قال: أريد أن تأمر يا أمير المؤمنين بتعريضها، حتى أمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن، فشق ذلك عليه، ثم أمر أن يفعل ذلك، بعد أن تعريضها، فعريت الجارية، و أقيمت. فلما دخل الرجل، و قرب منها، سعى إليها، و أومأ إلى فرجها ليمسه، فغطت الجارية فرجها بيدها، و لشدة ما داخلها من الحياء و الجزع، حمي بدنها، بانتشار الحرارة الغريزية، فعاونتها على ما أرادت من تغطية فرجها، و استعمال يدها في ذلك، فلما غطت فرجها، قال لها الرجل: قد برئت، فلا تحركي يديك. فأخذه الخادم، و جاء به إلى الرشيد، و أخبره الخبر. فقال له الرشيد: كيف نعمل بمن شاهد فرج حرمتنا؟ فجذب الطبيب بيده لحية الرجل، فإذا هي ملتصقة، فانفصلت، فإذا الشخص جارية، و قال: يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبدي حرمتك للرجال، و لكن خشيت أن أكشف لك الخبر، فيتصل بالجارية، فيتطل الحيلة، لأنني أردت أن أدخل إلى قلبها فرعاً شديداً، يحمي

طبعها، و يقودها إلى الحمل على يديها، و تحريكها، و إعانة الحرارة الغريزية على ذلك، فلم يقع غير هذا، فأخبرتك به، فأجزل الخليفة جائزته، و صرفه .

قال أبو القاسم: و لهذا استعملت الأطباء، في علاج اللقوة الضعيفة، الصفعة الشديدة، على غفلة، من ضد الجانب الملقو، ليدخل قلب المصفوع ما يحميه، فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع، فترجع لقوته .

المكتفي يفتقد وزيره المريض

مرض القاسم بن عبيد الله بن سليمان، الوزير، في رمضان سنة إحدى و تسعين و مائتين ، فأمر أن يطلق العمال من الحبوس، و يكفل من عليه مال، و يطلق من في الحبس من العلويين الذين أخذوا ظلماً بسبب القرمطي الناجم بالشام .

و زادت علته، فاستخلف ابن أخيه، أبا أحمد عبد الوهاب بن الحسن ابن عبيد الله ، فجاء يعرض على المكتفي، فلما خرج من بين يديه، تمثل المكتفي:

و لما أبي إلا جماعاً فؤاده ... و لم يسئل عن ليلي بجال و لا أهل
تسلي. بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلي بها تغري بليلى و لا تسلي

ذكاء المنصور العباسي

و من ذلك، ما روي عن منصور بني العباس ، و هو أنه جلس يوماً في إحدى قباب المدينة ، فرأى رجلاً ملهوفاً، يجول في الطرقات، فأرسل إليه من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره أنه خرج في تجارة، فأفاد فيها مالاً كثيراً، و أنه رجع بها إلى زوجته، و دفع المال إليها، فذكرت المرأة أن المال سرق من المنزل، و لم ير نقباً و لا تسلفاً.

فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة.

قال: تزوجتها بكرة أم ثيباً؟ قال: ثيباً.

قال: شابة أم مسنة؟ قال: شابة.

فدعا المنصور بقارورة طيب، و قال: تطيب بهذا، فإنه يذهب همك.

فأخذها، و اقلب إلى أهله.

فقال المنصور لجماعة من نقبائه: اقعّدوا على أبواب المدينة، فمن مر بكم، و شمتم منه روائح هذا الطيب، فأتوني به.

و مضى الرجل بالطيب، إلى بيته، فدفعه إلى المرأة، و قال: هذا من طيب أمير المؤمنين.

فلما شمته، أعجبها إلى الغاية، فبعثت به إلى رجل، كانت تحبه، و هو الذي دفع المال إليه، فقالت له:

تطيب بهذا الطيب.

فتطيب به، و مر مجتازاً بعض الأبواب، ففاحت منه روائح الطيب، فأخذ، و أتى به إلى المنصور.

فقال له: من أين استغدت هذا الطيب؟ فتلجلج في كلامه، فسلمه إلى صاحب شرطته، و قال له: إن أحضر كذا و كذا من الدنانير، فخذ منه، و إلا فاضربه ألف سوط.
فما هو إلا أن جرد ، و هدد، حتى أذعن برد الدنانير، و أحضرها، كهيئتها، ثم أعلم المنصور بذلك، فدعى صاحب الدنانير، و قال له: أرايت إن رددت إليك الدنانير، أتحكمني في امرأتك؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين.
قال: ها هي دنانيرك، و قد طلقت امرأتك.
و قص عليه الخبر.

يباع بالخلافة و هو لاجئ في البطائح

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا محمد بن أبي نصر الحميدي ، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن هلال بن الحسن ، قال: أخبرني أبي ، قال: حدثني أبو الحسين محمد بن الحسن بن محفوظ قال: حدثني الوزير أبو العباس عيسى بن ما سرجس ، قال: حدثني أبو القاسم هبة الله بن عيسى، كاتب مذهب الدولة ، قال: لما ورد القادر بالله ، البطيحة، و أقام عندنا، كنت أغشاه يومين في كل أسبوع، كالنوبة في خدمته، فإذا حضرت، تناهى في الإذناء لي، و الإحفاء بي، و الرفع من مجلسي، و الزيادة في بسطي، و أجتهد في تقبيل ، و لا يمكنني منها.

فاتفق أن دخلت يوماً على رسمي، فوجدته متأهباً، تأهباً لم أعرف سببه، و لا جرت له به عادة، و لم أر منه، ما عودنيه، من الإكرام، و الرفع من مجلسي، و الإقبال عليّ، و البسط لي، و جلست دون موضعي، فما أنكر ذلك مني، و رمت تقبيل يده، فمدها إليّ و شاهدت، من أمره، و فعله، ما اشتد وجومي له، و اختلفت مني الظنون فيه، و قلت له عند رؤيتي ما رأيته، و إنكاري ما أنكرته: أيؤذن لي بالكلام.
قال: قل.

قلت: أرى اليوم من الانقباض عني، ما قد أوحشني، و خفت أن يكون لزلّة كانت مني، فإن يكن ذلك، فمن حكم الفضل إشعاري به، لأطلب بالعدر مخرجاً منه، و أستعين بالأخلاق الشريفة في العفو عنه.
فأجابني بوقار: اسمع خبرك، رأيت البارحة في منامي، كأن هركم هذان و أوماً إلى همر الصليق ، قد اتسع، حتى صار في عرض دجلة دفعات، و كأنني متعجب من ذلك، و سرت على ضعفته، متأملاً لأمره، و مستطرفاً لعظمه ، فرأيت دستاهيج قنطرة ، قهلت: ترى ن قد حدث نفسه، بعمل قطرة في هذا الموضع، و على هذا البحر الكبير، و صعدهته، و كان وثيقاً محكماً، و مددت عيني، فإذا بإزائه مثله، فزال عني الشك، في أنهما دستاهيج قطرة، و أقبلت أصعد، و أصوب نظري، و أتعجب.

و بينما أنا واقف عليه، رأيت شخصاً قد قابلني من ذلك الجانب الآخر، و ناداني: يا أحمد، تريد أن تعبر؟
قلت: نعم.

فمد يده، حتى وصلت إليّ، و أخذني، و عبرني، فهالني أمره و فعله، و قلت له، و قد تعاطمني فعله: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، و هذا الأمر صائر إليك، و يطول عمرك فيه، فأحسن إلى ولدي و شيعتي.

فما انتهى الخليفة إلى هذا الكلام، حتى سمعنا صياح الملاحين، و ضجيج ناس، فسألنا عن ذلك، فقبل: ورد أبو علي الحسن بن محمد بن نصر، و معه جماعة، و إذا هم الواردون للإصعاد به، و مد تقررت الخالفة له، و أنفذ إليه معهم قطعة من أذن الطائع لله .

فعاودت تقبيل يده، و رجله، و خاطبته بامرة المؤمنين، و بايعته و كان من إصعاده، و إصعادي معه، ما كان .

/الجزء الثامن

فرجة بين الصدر والقبر

حدثني أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله، الكاتب البغدادي، المعروف أبوه، بأبي قيراط، كاتب ابن الفرات، قال: سمعت أن أبا القاسم، كان إذا خلا، وتذكر أمر الآخرة، وما هو منقطع به عنها من أمر السلطان، يقول: اللهم، لا تخرجني من الصدر إلى القبر، لا فرجة لي بينهما. قال أبو الحسين: فأجيت دعوته، وجلس في منزله، قبل موته، نحو من سنة، تائباً من التصرف، تاركا لطلبه. فلما اعتل علة موته، جاءته رسالة الراضي، يستدعيه، ليقرر معه أمر الوزارة، ويوليها. فقال: الآن؟ أين كان قبل مدة، لعله لو جاءني هذا الأمر، وأنا تائب، لما رددته، ولعلي كنت أنقض التوبة، فالحمد لله الذي لم يتم علي ذلك.

الوزير علي بن عيسى

يستحث عاملا على حمل الخراج

حدثني أبو الحسين، قال: أقرأني أبو عبد الله أحمد بن محمد الحكيمي كتاباً بخط علي بن عيسى، وأخبرني أنه كتبه إليه في وزارته الأخيرة، وهو يتقلد له طساسيج طريق خراسان، يحثه على حمل المال، ونسخته، قال: قد كنت - أكرمك الله - عندي، بعيداً عن التقصير، غنياً عن التنبيه والتبصير، راغباً فيما خصك بالجمال، وقلمك على نظرائك من العمال، واتصلت بك تهتي، وانصرفت نحوك عنايتي، ورددت الجليل من العمال إليك، واعتمدت في المهم عليك.

ثم وضع لي من أثرك، وصح عندي من خبرك، ما اقتضى استزادتك، وردفه ما استدعى استبطاءك ولائمتك، وأنت تعرف صورة الحال، وتطلعي مع شدة الضرورة إلى ورود المال. وكان يجب أن تبعثك العناية، على الجد في الجباية، حتى تدر حملتك وتتوفر، ويتصل ما يتوقع وروده من جهتك ولا يتأخر.

فشدتك الله، لما " ٢ " تجنبت مذاهب الإغفال والإهمال، وقرنت الجواب على كتابي هذا، بما لم تبتره من

سائر جهاته وتحصله، وتبادر به وتحمله، فإن العين إليه ممدودة، والساعات لوروده معدودة، والعنر في تأخير ضيق، وأنا عليك من سوء العاقبة مشفق، والسلام.

كيف تمكن عبيد الله بن يحيى بن خاقان من التوكل

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو عبد الله بن علي البقراطي، قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسرائيل، قال: كان سبب رفعة عبيد الله بن يحيى، طلب المتوكل لحدث من أولاد الكتاب، يوقع بحضرته في الأبنية والمهمات، لأنه كان قد أسقط الوزارة، بعد صرف محمد بن الفضل الجرجاني، واقتصر على أصحاب الدواوين، وأمرهم أن يعرضوا الأعمال بأنفسهم، وجعل التاريخ في الكتب، باسم وصيف التركي، وانصب منصب الوزارة، وإن كان لم يسم بها.

فأسمي له جماعة، فاختر عبيد الله من بينهم.

فحضر أول يوم، فصلى في الدار ركعات، وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية، على رسم الكتاب. قال أبو الحسين: لأنه لم يكن أحد يصل إلى الخليفة، إلا بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم، إلا القضاة، لا في موكب، ولا غيره، فإذا كان يوم موكب، كانت الأقبية كلها سوداء، وإذا كان غير يوم موكب، فرما كانت من بياض، وفي الأكثر سوداء.

فلما صلى عبيد الله، وجلس، لم يجتز به أحد من الحاشية، كبير ولا صغير، إلا قام إليه قائماً، وسلم عيه، حتى قام إلى رئيس الفراشين.

فرآه بعض الحاشية، فقال: من هذا الشقي الذي قد قام لسائر الناس، حتى قام إلى الكلاب؟ ف قيل له: فلان. ثم أذن له المتوكل، لما خلا، فدخل إليه، وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاشية، وكان طويل العنق، فظهرت عنقه.

فلما رآه المتوكل، أوماً بيده إلى قفاه، ومسحه شبه صفقة، فأخذ عبيد الله يده فقبلها.

فنفق عليه، وخف على قلبه، وسر بذلك، واستخف روحه.

وقال له: اكتب فكتب وهو قائم: " إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً "، إلى قوله عز وجل " ٣ " " وينصرك الله نصراً عزيزاً " فكتب: وينصرك الله - يا أمير المؤمنين - نصراً عزيزاً، فراد ذلك في تقبل المتوكل له، وتفاعل بذلك.

وقال له: الزم الدار، فكان يلزمها منذ السحر، إلى وقت نوم المتوكل في الليل.

وقوي أمره مع الأيام، حتى صار يعرض الأعمال، كما كان الوزراء يعرضونها، وليس هو بعد وزير، والتاريخ لوصيف.

فأمره المتوكل في بعض الأيام، أن يكتب نسخة في أمر الأبنية، فقال: نعم.

فلما كان بعد ساعة، سأله، هل كتبت؟

فقال: لم يكن معي دواة.

فقال: اكتب الساعة، فاستحضر دواة.

وكان إيتاخ الحاجب قائماً، يسمع ذلك، فلما خرج عبيد الله، قال له: إنما طلبك أمير المؤمنين، لتكتب بين يديه، فإذا حضرت بلا دواة فلأي شيء تحيى؟ فقال له عبيد الله: وأي مدخل لك أنت في هذا؟ أنت حاجب أو وزير؟ فاغتاظ من ذلك، فأمر به فبطح، وضربه على رجليه عشرين مفرقة، وقال له: الآن علمت أن لي فيه مدخلاً؟ فلم يتأخر عبيد الله عن الخدمة، وعاد، فجعل يمشي ويعرج، فسأل المتوكل عن خبره، فعرف الصورة، فغلظ عليه ذلك، وقال: إنما قصده إيتاخ لحبتي له. وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من إيتاخ العظام، مما كان يعمل به في أيام الواثق، ولا يقدر له على نكبة، لتمكنه من الأتراك.

فأمر بأن يخلع على عبيد الله من الغد، وأن لا يعرض أحد من أصحاب الدواوين عليه شيئاً، وأن يدفعوا أعمالهم إليه ليعرضها، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم.

فندم إيتاخ على ما فعله، وجعل يداري عبيد الله، ويثاقفه.

وقوي أمر عبيد الله، حتى حذف نفسه، من غير أمر، اسم وصيف من التاريخ، وأثبت اسمه.

ثم أمر له المتوكل برزق الوزارة، ثم خوطب بالوزارة، بعد مديدة، وخلع عليه لها خلعةً أخرى.

ثم قلده كتابة المعتز، وخلع عليه.

ثم قلده كتابة المؤيد، وخلع عليه.

وضم المتوكل إلى ابنه، بضعة عشر ألف رجلاً، وجعل تديرهم إلى عبيد الله، فكان وزيراً أميراً.

فلما تمكن هذا التمكن بالجيش، والخل، عارض إيتاخ، وبطاً حوائجه، وقصده، ووضع من كتابه، ولم يزل

ذلك يقوى من فعله، إلى أن دبر على إيتاخ، فقتله على يد إسحاق بن إبراهيم الطاهري ببغداد، بعد عود

إيتاخ من الحج.

الواثق ومحمد بن عبد الملك الزيات

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا الحسن علي بن الحسن، الكاتب المعروف بابن الماشطة، وكان يتقلد قديماً

العمالات، ثم صار من شيوخ الكتاب، وتقلد في أيام حامد بن العباس، ديوان بيت المال، قال: سمعت أبا

الفضل، وهو يحكي عن أبيه، وهو ابن الفضل بن مروان، قال: كان في نفس الواثق، على محمد بن عبد

الملك الزيات، العظام، مما كان يعامله به في أيام أبيه.

فمن ذلك: أن المعلم شكاً إلى المعتصم، أن الواثق لا يتعلم، فإذا طالبه بذلك، شتمه، ووثب عليه، فأمر

المعتصم محمداً، بأن يضرب الواثق أربعة مقارع.

فخرج محمد، واستدعى الواثق، وضربه ثلاث عشرة مفرقة، حتى مرض.

فلما عرف أبوه الخبر، أنكر ذلك، وحلف للواثق، أنه ما أمر محمداً، إلا أن يضربه أربع مقارع، فأخفاها في

نفسه، فكان يبغضه.

وعلم محمد بذلك، فكان يقصده في ضياعه وأملاكه، لما ترعرع وصار أميراً. فوقع المعتصم يوماً، أن يقطع الوثائق، ما ارتفاعة ألف ألف درهم، فمحاها محمد، وكتب: ما قيمته ألف ألف درهم.

فلما دخل إليه الخادم، وعرفه ما عمله محمد، وثب إلى أبيه، وعرفه ذلك، وعرض التوقيع عليه. فقال له المعتصم: ما أغير ما وقعت به، وما أرى في التوقيع إصلاحاً، وكان محمد قد أجاد محوه. وعلم المعتصم، أن رأي محمد في الاقتصاد، أصلح، فبطل ما كان يريده الوثائق، وانصرف. فقال للخادم: قد تم علي من هذا الكلب، كل مكروه، فإن أفضت الخلافة إلي، فقتلني الله إن لم أقتله. ثم قال له: أنت خادمي، وثقتي، فإن أفضى هذا الأمر إلي فاقته ساعة أحاطب بالخلافة، ولا تشاورني، وجني برأسه.

قال: فمضت الأيام، وتقلد الوثائق، فحضر الدار في أول يوم، محمد ابن عبد الملك " هـ "، مع الكتاب. فتقدم الوثائق إلى الكتاب دونه، بأن يكتب كل منهم نسخة، بخبر وفاة المعتصم، وتقلده الخلافة، فكتبوا بأسرهم، وعرضوا ذلك عليه، فلم يرضه. فقال لحمد: اكتب أنت.

فكتب في الحال، بلا نسخة، كتاباً حسناً، وعرضه، فاستحسنه، وأمر بتحرير الكتب عليه. ولم يبرح من حضرته، حتى أقره على الوزارة، وخرج من بين يديه، والنس كلهم خلفه. قال الخادم: فعجبت من ذلك، وقلت: تراه أنسي ما كان أمرني به؟ لم لا أستأذنه في ذلك، وأذكره به؟ فتقدمت إليه لما خلا، وأذكرته الحديث، واستأذنته، فقال: ويحك، السلطان إلى محمد بن عبد الملك، أحوج من محمد إلى سلطان، دعه.

قال: فرفاه الوثائق إلى ما لم يرقه إليه المعتصم. قال الفضل بن مروان: ولا نعلم وزيراً، وزر وزارة واحدة، بلا صرف لثلاثة خلفاء متسقين، غير محمد بن عبد الملك.

أبو خازم القاضي

يطالب الخليفة المعتضد بما في ذمته للوقف

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبي، قال: حدثني وكيع القاضي. قال أبو الحسين: وقد رأيت محمد بن خلف، وكيع، وكتب عنه أشياء كثيرة، ليس هذا منها. قال: كنت أتقلد لأبي خازم، وقوفاً في أيام المعتضد، منها وقوف الحسن بن سهل. فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسني، أدخل إليه، بعض وقوف للحسن بن سهل، كانت في يدي، ومجاورة للقصر. وبلغت السنة آخرها، وقد جيئت ماله، إلا ما أخذه المعتضد.

فجئت إلى أبي خازم، فعرفته اجتماع مال السنة، واستأذنته في قسمته في سبله، وعلى أهل الوقف. فقال لي: فهل جبيت ما على أمير المؤمنين؟ فقلت: ومن يجسر على مطالبة الخليفة؟ فقال: والله، لا قسمت الارتفاع، أو تأخذ ما عليه، والله، لئن لم يرح العلة، لا وليت له عملاً. ثم قال: امض إليه الساعة، وطالبه. فقلت: من يوصلني؟ فقال: امض إلى صافي الحرمي، وقل: إنك رسولي، أنفذتك في مهم، فإذا وصلت، فعرفه ما قلته لك. فجئت، وقلت لصافي ذلك، فأوصلني، وكان آخر النهار. فلما مثلت بين يدي الخليفة، ظن أمراً عظيماً قد حدث، فقال لي: هي، قل، كأنه متشوق. فقلت: أنا ألي لعبد الحميد، قاضي أمير المؤمنين، وقوف الحسن بن سهل، ومنها " ٦ " ، ما قد أدخله أمير المؤمنين إلى قصره، ولما جبيت مال هذه السنة، امتنع من تفرقته، إلى أن أجبي ما على أمير المؤمنين، وأنفذني الساعة قاصداً لهذا السبب، فأمرني أن أقول: إني حضرت في مهم، لأصل. قال: فسكت ساعة متفكراً، ثم قال: أصاب عبد الحميد، يا صافي، هات الصندوق. قال: فأحضر صندوقاً لطيفاً. فقال: كم يجب لك؟ فقلت: الذي جبيت عام أول من ارتفاع هذه العقارات، أربعمئة دينار. قال: كيف حذقت بالنقد والوزن؟ فقلت: أعرفهما. قال: هاتوا ميزاناً، فجاءوا بميزان حراي حسن، عليه حلية ذهب، فأخرج من الصندوق دنانير عينا، فوزن منها أربعمئة دينار، وقبضتها، وانصرفت إلى أبي خازم بالخبر. فقال: أضفها إلى ما اجتمع للوقف عندك، وفرقه في غد، في سبله، ولا تؤخر ذلك، ففعلت. فكثر شكر الناس لأبي خازم، لهذا السبب، وإقدامه على الخليفة، بمثل ذلك، وشكرهم للمعتضد رضي الله عنه، في إنصافه.

لوزير ابن الفرات يحاسب عاملاً

حدثني أبو الحسين علي بن هشام أبي قيراط، الكاتب البغدادي، قال: سمعت أبا الحسن، علي بن محمد بن الفرات، يحدث. قال: كان النهيكي العامل، قد لازم أبا القاسم عبيد الله بن سليمان في أيام نكبته، فلم يكن له - لما ولي الوزارة - هم، إلا الإحسان إليه. فقلده بادوريا، وكان لا يتقلدها إلا جلة الناس. ولقد سمعت أخي أبا العباس يقول: إن من صلح لنقلد بادوريا، صلح أن يتقلد ديوان الخراج، ومن صلح لديوان الخراج، صلح للوزارة. قال: والسبب في هذا أن المعاملات ببادوريا، كثيرة مختلفة، وأنها عرصة المملكة، وعاملها يعامل أولاد

الخلافة، والوزراء، والقواد، والكتاب، والأشراف، ووجوه الرعية، فإذا ضبط اختلاف تلك العادات، وقام بإرضاء هذه الطبقات، صلح للأمور الكبار.

قال أبو الحسن: فأقام النهيكي، يتولى بادوريا نحو سنتين، مدة تقلد عبد الرحمن بن محمد بن يزداد لديوان الخراج، في أيام عبيد الله، ثم مدة أيام أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبغ. " ٧ " إلى أن أطلقت أنا وأخي، وتقلد أخي ديوان زمام الخراج، وزمام ديوان الضياع، وخلفته عليهما. فكنا إذا كاتبنا النهيكي في رفع الحساب، لم يجبنا، إدلالاً لخله من الوزارة، وتعففه، فإنه كان مشهوراً بالعفة، وإذا كاتبناه في شيء من أمور العمل، أقل الحفل بكتبتنا.

فلما طالت المدة علينا، ألحنا عليه بالمطالبة برفع الحساب، وشكوناه إلى الوزير فوكل به من داره، مستحثاً له في رفع الحساب لعدة سنين.

فتشاغلنا أنا لعمل مؤامرة له، فلم أجد عليه كثير تأول، وحضرنا بين يدي عبيد الله لمناظرته. وقد كتبت، صدرت أول باب من المؤامرة، بأنه فصل تفصيلاً، ثمن الغلة المبيعة، جهلته على حسب ما يوجبه التفصيل، أكثر من الجملة التي أوردتها بألف دينار.

فقال: أتتبع، فما زال يتتبع، إلى أن صح الباب عليه، وقال: وما هذا؟ غلط الكاتب في الجملة.

فبدأت أكلمه، فأسكتني أخي، وأقبل على عبيد الله، فقال: أيها الوزير، صدق، هذا غلط في الحساب، فالدنانير في كيس من حصلت؟ فقال: له عبيد الله: صدق أبو العباس، والله، لا وليت لي عملاً يا لص. ثم أتبعته هذا الباب، باب آخر، وهو ما رفعه ناقصاً عما كان قدم به كتابه في كيل غلة عند قسمتها. فلما لاحت عليه الحجة، قال: أريد كتابي بعينه.

فبدأت أكلمه، فأسكتني أخي، ثم قال: أيها الوزير، يطعن في ديوانك، ونسخ الكتب الواردة، والنافذة، شاهداً عدل.

فقال: صدق، يا عدو الله، وأمر بسحبه، فسحب.

وما برحنا، حتى أخذ خطه بثلاثة عشر ألف دينار، وأهلكناه بهذا، وما عمل بعد هذا كثير عمل.

أبو العباس ابن الفرات

يهدد عاملاً قد ألت بالمال

حدثني أبو الحسن، قال: حدثني أبي، وأبو منصور عبد الله بن جبير النصراني، قالوا: حضرنا مجلس ابن الفرات، وقد عملت مؤامرة لابن حبش العماني، وكان يتقلد الزاب ونهر سابس، في أيام وزارة عبيد الله بن سليمان.

فأخذ أبو العباس وأبو الحسن يناظرانه عليها، إلى أن أئزم خمسة وعشرين ألف درهم، من أبواب صحيحة، وطولب بأدائها، وأخذ خطه بتصحيحها.

فصح خمسمائة وأربعين، طول المدقة، وألت بالمال " ٨ " ، فقيد فلم ينفع، وضرب سيع مقارع، فلم يؤد.

وكان إذا خرج يأنسان من العمال، إلى هذا القدر من المكروه، فعندهم أنه النهاية.
فأخرجه أبو العباس إلى حضرته، وطالبه بالمال، فأقام على أنه لا شيء معه، وأن ضيعته وقف.
فقال له: ويلك، لا أعرف أجهل منك، إذا كان هذا صبرك على المكروه، وإسلامك لنفسك، وبذلك لها،
فلم لم تأخذ أصل الارتفاع؟ فإننا ما كنا نعمل بك أكثر من هذا.
ولكن إن شئت، فأنا أدع عليك هذا المال، وأصرفك إلى منزلك، ولكن بعد أن كشف للوزير صبرك على
المكاره، فلا تتصرف - والله - في أيامه أبداً، ويذهب خبرك.
قال: قتل من ذلك، وسأل أن يخفف عنه شيء من المال، ليؤدي الباقي.
فما برحنا حتى تقرر أمره على بعض المال، وأداه، وانصرف.

الوزير عبيد الله بن سليمان

يحرم عاملاً من التصرف
حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا الحسن بن الفرات، يقول: ناظرت الجهظ، أحد العمال، على مؤامرة قد
عملناها له، وكنت أنا وأخي، وجعلنا نأخذ خطه باب باب.
فلما كثر ذلك، قال لي سرّاً: ليس الشأن في الخط، الشأن في الأداء ستعلمون أنكم لا تحصلون على شيء.
فسمعه عبيد الله، لأننا كنا في مجلسه، فقال له: أعد علي ما قلت، فاضطرب.
فقال: لا بد أن تعيده، فأعاد ذلك.
فقال: إذن، لا تلي لي - والله - بعدها عملاً أبداً، قم عافاك الله إلى منزلك، خرق يا غلام، المؤامرة.
قال: فخرقت في الحال، وانصرف الجهظ إلى منزله، فما صرفه عبيد الله بعد ذلك.
وشاع خبره، فتحامى الناس كلهم استخدامه، فهلك جوعاً في منزله، حتى بلغ أنه احتاج إلى الصدقة.

وزير ينفى لأنه طرب لغناء صوت

حدثنا أبو الحسين، قال: حدثنا أبو عبد الله زنجي الكاتب، قال: حدثنا أبو العباس بن الفرات، قال: كتب
صاحب الخبر، بمدينة السلام، إلى إسماعيل بن بلبل، في وزارته الأولى للمعتمد، بأن مغنية من جواري بدعة
الكبرى، غنت عند الحسن بن مخلد، وهو إذ ذاك معطل، بهذا الصوت، فاستعاده، وطرب عليه " ٩ " .
عادات طيء في بني أسد ... ري القنا وخضاب كل حسام
لهفي على قتلى النجاج فإنهم ... كانوا النرى ورواسي الأعلام
كانوا على الأعداء سيف محرق ... ولجارهم حرماً من الأحرار
لا تهللكي جزعاً فإني واثق ... برماحنا وعواقب الأيام
فأنهى إسماعيل ذلك إلى المعتمد، وقال: هذا يسعى عليك، ويتربص بك الدوائر، فأمر بنفيه إلى مصر، فكان
مضيه إليها سبب تلفه.

أحمد بن طولون

يقتل الحسن بن مخلد بالسم

حدثنا أبو الحسين، قال: سمعت أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد، قبل الوزارة، يتحدث، قال: حدثني أبو عبد الله حمد بن محمد القنائي الكاتب.

قال أبو الحسين: وكان ابن أخت الحسن بن مخلد، وكان قد خلفه دفعات، على ديوان الخراج، ومرة على ديوان الضياع، ثم ولي أعمالاً جليلاً، من العمالات، والدواوين، منها ديوان المغرب، ومات وهو يتقلد ديوان الخراج، والضياع العامة بالسواد، وما يجري فيه وقد رأيته، وتعلمت بين يديه، وسمعت يتحدث بأشياء، ولم أسمع هذا منه.

قال سليمان: قال لي حمد: سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد، إلى ابن طولون، لما نفي إليه، عن السبب الذي دعا ابن طولون، إلى قتله، فقال: لما ورد عليه، تنهى في إكرامه، وبره وإعظامه، ثم أنس به، حتى ناداه وصار يشاركه في مهم أموره.

فشاوره مرات في خلع طاعة المعتمد، فعظم عليه أمر السلطان، وخوفه من العصيان، فقبل رأيه. ثم طوب ابن طولون، بمال الوظيفة التي كانت عليه، فقال لابن مخلد: ما رأيت أعجب من جهل هذا المخدول - يعني الموفق - يطالبني بالوظيفة، وهو عاص على الخليفة، إلى من أحل؟ فقال له: لا تفعل، فإن الأمور إليه، والجيش معه، وإن منعه المال، قصدك وحاربك.

فقام في نفس ابن طولون أنه دسيس للقوم عليه، وقال: لو كان هذا عدواً للقوم، ما أشار علي بهذه المشورة، وإنما هو دسيس على ملكي، ليأخذ البلدان مني لهم، ويرهيني، ويستخرج البلدان مني باللفظ. فتنكر له، ثم أمر بالقبض عليه، وحبسه، وكان جباناً، فلم يحب - مع إجماعه له - أن يفلت، في وقت من الأوقات، ففس إليه في شربة، فقتله بها.

وجد الموفق، وأنفذ إليه المعتضد في الجيش " ١٠ " ، وأخرج أحمد بن طولون، خمارويه، ابنه، لمحاربة المعتضد، فتحاربوا، فانهزم كل واحد منهما من صاحبه، وهو لا يعلم أن صاحبه قد انهزم. فضرب الناس بهما المثل، وقالوا: صبي لقي صبياً، وهكذا تكون محاربة الصبيان. قال: فلما جرت هذه الحال، تدم أحمد بن طولون، على قتل الحسن بن مخلد، وقال: صدقني، فلم أقبل منه واقتلته.

جراً وزير على أخذ أموال السلطان

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد، قال: قال لي نافذ، خادم أبي وثقته، وكان يتولى نفقته: إني ما رأيته أجسر من مولاي، على أخذ مال السلطان. ومن ذلك، أنني باكرته يوماً، وقد لبس سواده، ليمضي إلى دار المعتمد، وهو إذ ذاك يتولى دواوين الأمانة

والتوقيع، وبيت المال.

فقلت له: قد صككت علي البارحة للمعاملين، بألف وستمائة دينار، وما عندي من ذلك حبة واحدة.
فقال لي: يا بغيض، تخاطبني في هذه الساعة؟ أين كنت عن خطابي البارحة لأوجه لها وجهاً؟ ولكن اتبعني إلى دار السلطان.
فتبعته.

ودخل إلى المعتمد، مع عبيد الله بن يحيى الوزير، ودخل معهما أحمد بن صالح بن شيرزاد، صاحب ديوان الخراج، فلما خرج، قال لي: امض إلى صاحب بيت المال، فخذ منه ما يسلمه إليك.
فظننت أنه قد استسلف على رزقه شيئاً، فمضيت إلى صاحب المال، فسلم إلي ثلاثين ألف دينار.
فاستعظمت ذلك، وعلمت أنه ليس من الرزق، وحملتها إلى الدار، وعرفته خبرها.
فقال لي: أنفق منها ما وقعت به إليك، واحفظ الباقي، فليس في كل وقت يتفق لنا مثل هذا.
ومضى على الحديث أيام، ودعا دعوة، فيها صاعد بن مخلد، وإليه - إذ ذاك - عدة دواوين، وجماعة من الكتاب، وأكلوا، وناموا، وانتبهوا.
فإذا كاتب من كتاب أحمد بن صالح بن شيرزاد، يستأذن علي، فاستأذنت لدخوله على مولاي، وكانوا قد بدأوا بالشرب.

فترك مولاي المجلس، وخرج إلى بيت خلوة، واستدعى الرجل، فأدخله إليه.
فسمعتة يقول: أخوك أبو بكر، يقرأ عليك السلام - يعني أحمد بن صالح - ويقول لك: أنت تعرف رسمي مع صاحب بيت المال، وأن محاسبته " ١١ " في سائر الأموال إلي، وأنا إذا تمت ثلاثون يوماً، وجهت صاحبي إلى حساب بيت المال، فحمله مع صاحب بيت المال، لينظم دستور الختمة بحضرتي، وأصحح حكايتها.

ونحن منذ عشرة أيام في هذا، حتى انتظمت الحسبة، ولم يبقى إلا ثلاثون ألف دينار، ذكر صاحب بيت المال، أنك خرجت إليه، من حضرة أمير المؤمنين، فأمرته بحملها إلى خادمك نافذ، ولست أدري في أية جهة صرفت؟ ولا في أي باب أثبتها؟ ولا ما الحجة فيها؟

قال: فأجابه مولاي بلا توقف، وقال: أخي أبو بكر - والله - رقيع، أسأل أنا الخليفة، في أي شيء صرف ما أمر أن يحمل إلى حضرته؟ يجب أن يكتب في الختمة: وما حمل إلى حضرة أمير المؤمنين في يوم كذا وكذا، ثلاثون ألف دينار.

قال: فقام الكاتب خجلاً، ومر ذلك في الحساب على هذا، فما تنبه أحد عليه، وحصل له المال.

الوزير ابن الفرات

يستولي على أموال المصادرات

قال أبو الحسين، فقال لي سليمان، بعقب هذه الحكاية: ما رأيت لهذه الفعلة شبيهاً، إلا ما عمله ابن الفرات، في وزارته الأولى، فإنه نصب يوسف بن فنحاس، وهارون بن عمران، الجهبذين، فلم يدع مالا لابن المعتز، ولا للعباس بن الحسن، ومن نكب، وبل في الفتنة، وما صح من مال المصادرين، وغيرهم ممن يجري مجراهم، إلا أجراه على أيديهما، دون يدي صاحب بيت مال العامة والخاصة.

وأفرد لذلك ابن فرجويه، كاتبه، يحاسبهما، ولا يرفع لهما حساب إلى ديوان من الدواوين. فلما كان في السنة التي قبض عليه فيها، كتب كتاباً عن نفسه إلى مؤنس الخادم صاحب بيت المال، ذكر فيه: أنه حوسب يوسف بن فنحاس، وهارون بن عمران، على ما حصل عندهما من كيت وكيت - حتى استغرق تلك الوجوه - فكان الباقي قبلهما - بعد الذي حمل إلى حضرة أمير المؤمنين أطل الله بقاءه، وصرف في مهمات أمر بها هو، والسادة أيدهم الله - من الورق، ألف ألف، وأربعمائة وسبعين ألف درهم، وخمسمائة وستة وأربعين درهماً، وأمر بقبض ذلك منهما، وإيراده بيت مال الخاصة. فقبض مؤنس منهما تلك البقية، ومضى الأصل " ١٢ " كله، لا يعرف في أي شيء صرف، وكان مبلغه، فيما ظنه الكتاب، وكانوا يتعاودونه، نحو ألف ألف دينار، فإن ابن الفرات فاز بجميعها، ولم تقم بها حجة عليه.

قال أبو الحسين: فحدثني أبي بعد ذلك، قال: لما قلدني علي بن عيسى، في وزارته الأولى، ديوان الدار، الجامع للدواوين، أمرني بإحضار هذين الجهبذين، ومطالبتهما بمخاتمتهما، لما كان حصل في أيديهما، في وزارة ابن الفرات الأولى، من الجهات التي تقدم ذكرها.

فاستدعيتهما، وطالبتهما، فأحالا على أن ابن الفرات، أخذ حسابهما ولم يدع عندهما نسخة منه. فأمرني بحسبهما، وتهديدهما، ففعلت ذلك.

فأحضرتني حساباً مبتوراً، ذكروا أنهما وجداه، فرأيته غير منتظم.

فلم أزل أرفق بهما، إلى أن أقرأ أنه قد وصل إليهما من فضل الصرف، فيما بين ما ورد عليهما، وبين ما أنفقاه، مائة ألف درهم، فجعلتها عشرة آلاف دينار، وقررت أمرهما عليها، وأخذت بها خطوطهما.

فلم يقنع علي بن عيسى بذلك، وأخذهما من يدي، وسلمهما إلى حمد ابن محمد وكان إليه ديوان المغرب، وأمره أن يتتبع أمرهما بنفسه، وكان حسن الكتابة، ولم يعرفه أبي أخذت خطهما بشيء.

فتتبع حمد ذلك، فلم يجد في الحساب، إلا إحالات على " حمل إلى الخليفة، والسادة " وأشياء صرفت إلى خاص ابن الفرات.

فقال له حمد: هذا كله مزوق، والقوم معهم حجج بالإبراء، وما عليهم طريق، وابن الفرات كان أجلد من أن يدع هؤلاء يفوزون بحبة من المال.

فردهما إلي، وقال: اجتهد في أن تأخذ منهما مائتي ألف دينار. فقلت: لا يمكن ذلك.

فقال: اعمل على أنك طالبتهم بمرفق لنفسك بتمام مائتي ألف درهم.

فقلت له: فإذا فعلت هذا، فأني شيء أعمل أنا لنفسي؟ فقال: خذ منها عشرين ألف درهم، وألزمهما مائة

وثمانين.

قال: فخرجت، وجددت بهما، إلى أن ألزمتهما ذلك. وأخذت لنفسها منه ما قال.
فلما فرغنا من ذلك، أخذنا بما خطوطهما، وأخذنا لهما خطه بالبراعة من ذلك.
فقال لي علي بن عيسى: سأريك موضعي أنا من العمل " ١٣ " ، وأن للرئيس في كل أمر موضعاً لا يقوم فيه أحد مقامه .

فاستحضرهما إلى حضرته، وأنا في مجلسه، فقال لهما: تريدان مني أن أزيل عنكما تبعة، إن لم أرها بقيت عليكم، وعلى ورثتكما، أبد الدهر؟ لست أفعل هذا إلا بشيء يقرب، لا ضرر عليكم فيه، وهو: أني أحتاج في كل هلال، إلى مال أدفعه في ستة أيام من ذلك الشهر، إلى الرجالة، ومبلغه ثلاثون ألف دينار، وربما لم يتجه في أول يوم من الشهر، ولا الثاني، وأريد أن تسلفاني في أول كل شهر، مائة وخمسين ألف درهم، ترتجعانها من مال الأهواز في مدة الشهر، فإن جبهة الأهواز إليكما، فيكون هذا المال سلفاً لكما أبداً، واقفاً، وهي عشرون ألف دينار، فيكون ذلك يزاء مال القسط الأول من النوبة، فيخف عني ثقل ثقيل.

فتأبى ساعة، فلم يفارقهما حتى استجابا لذلك.

فقال لي علي بن عيسى: كيف رأيت؟ فقلت: ومن يفي بهذا إلا الوزير، أيده الله تعالى.
قال: وكان علي بن عيسى، إذا حل المال، وليس له وجه، استسلفه من التجار على سفاتج قد وردت من الأطراف، فلم تحل، عشرة آلاف دينار، بربح دائق ونصف فضة في كل دينار، وكان يلزمه في كل شهر ألفان وخمسمائة درهم أرباحاً.

فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس، وهارون بن عمران، ومن قام مقامهما، مدة ست عشرة سنة، وبعد وفاتهما، لأنهما ما صرفا إلى أن ماتا، وكانا قد تقلدا في أيام عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان السلطان لا يرى صرفهما، ليبقى جاه الجبهة مع التجار، فيقرض التجار بالجبهة، إذا وقعت الضرورة، ومتى صرف الجبهه، وقلد غيره، ولم يعامله التجار، وقف أمر الخليفة.

الصناعة نسب

حدثنا أبو الحسين، قال: حدثني أبو بكر محمد بن جني الكاتب، وكان أبوه مغنياً، وهو من أعيان الكتاب، قال: حدثني ابن ثوابة الكاتب، قال: حدثني أبو الفرج عن نجاح بن سلمة، عن أبيه عن الفضل بن مروان، قال: كنت أتولى مجلس الحساب، من قبل صاحب ديوان الرشيد، وكان يجيئنا إلى الديوان، شيخ من بقايا كتاب " ١٤ " بني أمية، وكان صاحب الديوان يقول لنا: هذا أكذب أهل زمانه، وكان يلبس دراعة وقلنسوة كأكسية النصارى، وخفاً أحمر، وكان هذا زي المتعطلين من الكتاب إذ ذاك، وكان صاحب الديوان يكرمه جداً.

فصار إلي في يوم من الأيام حاجة عرضت له، وأنا متشاغل بعمل مهم قد طلبه الرشيد، وأنا جالس حيال

صاحب الديوان أعمله، فقصرت في حق الشيخ.
ولامني صاحب الديوان على تقصيري به، ووبخني، فاعتذرت إليه بشغل القلب.
فلما كان بعد أيام جاءني، فردت في إكرامه، وقمت إليه، وجلست بين يديه.
فأقبل علي صاحب الديوان، فقال: أحسبك عاتبت فتانا على تقصيره أولاً.
ثم أقبل علي، وقال: يا فتى، كنا نعد الصناعة نسباً، والنعمة نسباً، واللغة نسباً، والنحلة نسباً.

كيف اتصل الفضل بن مروان

بالمأمون ووزر له

حدثنا أبو الحسن قال: حدثنا أبو عبد الله الباقطاني، قال: حدثني أبو الفضل عون بن هارون بن محمد بن أبان، وكان كاتب المأمون، على ديوان الضياع، قال: قال ميمون: سمعت الفضل بن مروان يقول: لا ينبغي لأحد أن يحقر أحداً، ولا يأيس علوه، فإني كنت في حديثي أتوكل لهرثمة بن أعين في مطبخه، أيام الرشيد، وكان بخيلاً، وكان له خادم يشرف على مطبخه، وأجرى علي خمسة عشر درهماً في الشهر ووظيفة خبز. فلما كثر توفيري عليه، صيرها عشرين درهماً.
وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً، فسأل الخادم عن أكلي، فعرفه أنني لا آكل، فأمره أن يطعمني من المطبخ كل يوم، ويوفر الوظيفة على منزلي.
فدعا يوماً دعوة عظيمة، فوفرت عليه في الأسعار ألف درهم، وعرضت عليه بذلك عملاً، فسر، وحسن موقعه منه، وكان بخيلاً جداً.
فقال لي يوماً: قد استحققت الزيادة، فكم تحب أن أزيدك؟ فقلت: لا أقل من عشرة دراهم أخرى.
فقال: هذا كثير، ولكن أربعة دراهم.
فأيسر من خيره، واتفق له بعد ذلك، خروج عن مدينة السلام، فبعثت عليه، ولم أتبعه، ولزمت الديوان، وتعلمت، فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد، وكان ذلك أول إقبالي " ١٥ "، وتخرجت، وزادت حالي مع الأيام.
فلما ولي المأمون، وعظم من أمر المعتصم، كان المعتصم شديد الخبة للصيد، وكنت في فتنة محمد المخلوع، قد صرفت ما كنت جمعته في ضياع وبساتين بالبردان وصاهرت بعض تنائها، واجتمعت لي حال، فلما انحلت الفتنة، كنت من وجوه البردان.

فاجتاز بما المعتصم، منصرفاً من صيده، متسرعاً، وليس معه من أصحابه كبير أحد.
فاجتاز في الطريق، وأنا واقف على بابي، فتوسمت فيه الجلالة، وقدرته أحد وجوه القواد.
كان لي وعد على عامل البلد، أن يكون ذلك اليوم في دعوتي، وقد أعدت له طعاماً، وفيه جداء، وحلوى، وفاكهة كثيرة، وثلج استدعيته من بغداد، وكان قبل ذلك بساعة، قد جاءني خبر العامل، أنه عرض له مهم

في السواد، فخرج لوقتته.

فلما رأيت المعتصم، وتوسمت فيه الجلالة، قلت: لم لا أحلف على هذا القائد، وأضيفه عندي على هذا الطعام المعد؟ قال: فكلمته، وسألته الزول عندي. فأجاب، ونزل، وأكل، وشرب، وأنفذت في الحال، فاستدعيت له قياناً، وجلس يشرب، وقد انبسطت بين يديه، وخدمته.

فحن نشر، انبث الجيش في طلبه، وعرفوا خبره، وأحاطوا بالدار، فعرفت حينئذ، أنه أخو الخليفة، فهبته. فبسطني، وسألني عن شرح حالي، فعرفته، فقال: لا بد أن تجيء معي إلى بغداد. وقلدني بعض أموره، ثم ترايدت حالي عنده، إلى أن جمع لي جميع أمره، ورياسة كتابه. ثم خلطني بخدمة المأمون، وقلدني ديوان الخراج مضافاً إلى كتبة أخيه. ثم رقيت إلى الوزارة، من تلك الحال التي كنت عليها مع هرثمة. قال أبو الحسين: ما رؤي في الدولة العباسية، من الكتاب، من اتصل تصرفه منذ نشأ، إلى أن مات، وترددت ولايته الوزارة، وديوان الخراج، وديوان الضياع، من غير أن يعطل، أحد، غير الفضل بن مروان. وصادره المعتصم على أربعين ألف درهم " ١٦ " ، فأداها بغير مكروه.

الخليفة المعتصم يصادر وزيره

وسمعت حامد بن العباس، يحكي: أنه سمع صاعداً، يقول: حدثني أحمد بن إسرائيل، قال: حدثني الفضل بن مروان، قال: ما في الأرض أجهل من وزير يطلب الخليفة منه مالاً، وهو في ولايته، فيعطيه إياه، فإنه يطعمه في نعمته، وإنما يدفع النكبة مدة، ثم تحدث، وقد ذهب المال. فمن ذلك: أن المعتصم، لما خرج لغزو الروم، وأنا وزيره، استخلفني على سر من رأى، واستخلف لي بحضرته، محمد بن الفضل الجرجرائي. فلما عاد، طمع في، فقال لي: قد وردت، والمال نزر، والجيش مستحق، فاحتل لي مائة ألف دينار، من مالك وجاهك، ففعلت.

فلما مضى شهر، طلب مني على هذا السبيل، خمسين ألف دينار، ففعلت. فطلب مني في الدفعة الثالثة، بمثل هذا الوجه، ثلاثين ألف دينار، فوعدته بها، ودافعته أياماً، ثم جهلتها إليه. فبلغني عنه، أنه قال لابنه الوائق: هذا النبطي، ابن النبطية، أخذ مالي جملة، وهو ذا يتصدق به علي تفاريق. ثم قبض عليه، بعد أيام، وأخذ منه أربعين ألف ألف درهم.

العمارة والتوفير

أولى واجبات الوزير

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الملك التوارخي، وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ، فلقب بها، وكان يجلس في الجامع إلى جانب الزجاج، ويعظمه، قال: سمعت المبرد يقول: كنت أصحب الفضل بن مروان، فذكر بحضرته - في أيام الواثق - عظم بناء أحمد بن الحصب بسر من رأى، وأنه استعمل في سقف دهليز داره سبعين قارية ساج، والقارية: ساجة عظيمة، تستعمل صحيحة، فقال الفضل: ما كانت لي في حياتي، لذة في بناء، ولا فرش، ولا غلمان، ولا جوار، ولا مفاخرة بمروءة، وإنما كانت لنتي في العمارة والتوفير، ولهذا اتصلت مدتي في صحبتهم. ولعهدي، وقد وليت للمأمون ديوان الخراج، فوجدت الأهواز. قد اختلت ببتق سد أبطل العمارة، فأنفقت عليه، مائة ألف دينار، وجددت في عمارة النواحي، وكانت كور الأهواز " ١٧ "، إذ ذاك، قد ارتفعت بأربعة وعشرين ألف درهم للسلطان، فضمنتها له بثمانية وأربعين ألف درهم، صالحة للحمل.

السبب في علو حال

عبيد الله بن يحيى بن خاقان مع المتوكل

حدثنا أبو الحسين، قال: حدثنا أبو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال: حدثنا أبي، قال: سمعت نجاح بن سلمة، يقول: إن السبب في علو حال عبيد الله بن يحيى بن خاقان، مع المتوكل، أن أباه يحيى بن خاقان بن موسى، تقلد ديوان الخراج في أيام المتوكل، فقلد ابنه أبا محمد عبد الله، مجلساً من مجالس الديوان، ولم ير عبيد الله، أهلاً لمثل ذلك. فغضب على أبيه، وصار إلى الفضل بن مروان، وهو يتقلد ديوان الضياع، فلزمه، وخط بين يديه.

وكانت أرمينية تجري في ديوان الضياع، وكان على أهلها مقاطعة فضلها مال جليل، فامتنع الفضل من إمضاها لهم، وعرض عليه مرفق مائة ألف درهم، فأبى قبولها، وطرحوا نفوسهم على أكثر الوجوه بسر من رأى، فلم يجب أحداً إلى ذلك، فلجأوا إلى عبيد الله بن يحيى، وسألوه مسألته، لما ظهر من اختصاصه به، ونفاقه عليه.

فخاطبه في أمرهم، فتذمم من رده، لأنه ما كان يعمل معه بالرزق، ولا له نفع، وكانت حاله قوية، وإنما أراد التصرف مراغمة لأبيه، وجعل ذلك كالمرفق له، والصللة، فأجابه، وأمضى المقاطعة. فحمل إليه القوم خمسة آلاف دينار، فردها، وقال: ما كنت لأخذ على معروف ثناً. فلما خرجوا إلى أرمينية، أحبوا مهاداته، ومكافأته، فاستعملوا له فرش بيت أرمني ببساط عظيم، ومصليات، وأنخاب، ومساور، ومحاد، ودست، وستور، وأذهبوا الجميع، وكتبوا عليه كنيته واسمه، ولم يكن رؤي قط مثله حسناً وجلالة، وحملوه إليه.

واتفق أنه وكل المتوكل، تلك السنة، بالطرق، وأمر أن لا يدخل شيء من الأمتعة، أو يعرض عليه، فعرض عليه البيت، في جملة ما جيء به من أرمينية، فاستهوله، وقال: من هذا " ١٨ " الرجل؟ فقالوا: هو عبيد الله

بن خاقان.

قال: وأي شيء إليه، حتى يستعمل له هذا العمل؟ لعل هذا مرفق لأبيه؟ فقيل له: إن أرمينية تجري في ديوان الضياع، ولا معاملة بينه وبين أبيه.

فاستشرح الصورة، ونقر عليها، إلى أن حدث الحديث على صحته.

فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله، وأمر بتسليم فرشه إليه، وقال: هذا فتى يدل فعله، على كبر همته. فلما صرف محمد بن الفضل الجرجرائي، عن وزارته، قال: قد استغيت عن وزير، لأن أصحاب الدواوين، يعرضون أعمالهم علي، والتاريخ يجعل باسم وصيف التركي، فأجرى الأمر على ذلك مدة.

ثم إنه احتاج إلى كاتب يكون بين يديه، في أبنيته، والتوقيعات في المهم الذي يأمر به من حضرته فيها، وفي غيرها، إلى أصحاب الدواوين، وغيرهم، فأمر أن يطلب له حدث من أولاد الكتاب، ينصبه لذلك. فسمي له جماعة، منهم: عيسى بن داود بن الجراح، وأبو الفضل بن مروان، وجماعة، وكان فيهم عبد الله وعبيد الله، ابنا يحيى بن خاقان.

فحين مر على سمعه ذكر عبيد الله، ذكر حديث الفرش، فاختره، ولم يزل حاله يرقى معه، إلى أن استوزره.

ابن شيرزاد يتحدث

عن عمله في ديوان الضياع الخاصة

حدثني أبو الحسن، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن زكريا بن شيرزاد الكاتب، قال: لما تقلد أبي ديوان الضياع المعروفة بغريب الخال، استخلف أخي أبا الحسين، زكريا بن يحيى على الديوان، وأجرى له عشرين ديناراً في الشهر، وأجرى علي عشرة دنائير برسم التحرير في هذا الديوان، فأنفقت من ذلك. ولم أقبل الرزق، ولا العمل.

ومضيت إلى ديوان الضياع الخاصة، وكان يليه، إذ ذاك، أبو حامد محمد ابن الحسن، الملقب بسودانية، فلم ألقه، ولا توسلت إليه، بما كان بين أبي وبينه.

ولزمت الديوان بمحضرة أبي يوسف عبد الرحمن بن محمد بن سهل المعروف بالمرمد، وإليه كان مجلس الحساب في هذا الديوان، مدة " ١٩ " شهر، وكنت أعلم.

فبلغ أبا حامد خبري، ولم أكن - إذ ذاك - بلغت عشرين سنة، ولا قاربتها، فاستحضرني، فدخلت إليه، فعاتبني على تركي الدخول إليه، والتعرف إليه، وأمرني بملازمة حضرته، وأجرى لي درجين وثبتاً وقرطاساً في كل يوم، وقال: سود فيها، وتعلم الخط.

فلما كان بعد أيام، فرقت أرزاق الكتاب لشهر واحد، فوقع إلى خازنه، المتولي للتفرقة، أن يحمل إلي، بقيمة عشرين ديناراً، ثلثمائة درهم، وقال: قد أجري لك هذه في كل شهر. فصرت إلى أبي، فأريته إياها، وقلت: قد فعل الله بي خيراً مما فعلت.

فقال: خذ الآن العشرة، والزم موضعك، ليصير لك ثلاثين ديناراً في الشهر.
فأخذتها، وكان هذا أول إقبالي.

البحثري وأبو معشر

يؤصالان عند المعتز أصلاً

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد، قال: لما أنفذ أبي إلى مصر، اجتذبت
البحثري وأبا معشر، فكنت آنس بهما، لوحدي، وملازمي البيت، وكانا في أكثر الأوقات، يحدثاني
ويعاشراني.

فحدثاني يوماً: أنهما أضاعا في وقت من الأوقات، إضافة شديدة، وكانا مصطحبين، فعرض لهما أن يلقيا
المعتز، وهو محبوس، ويتوددان إليه، ويؤصالان عنده أصلاً، فتوصلا إليه، حتى لقيه في حبسه.

قال: فقال لي البحثري: فأنشدته أبياتاً، كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري، لما حبس، وجعلتها إليه،
وهي:

جعلت فاك الدهر ليس بمنفك ... من الحوادث المشكو والحدث المشكي

وقد هذبتك النائبات وإنما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

أما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوساً على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في الحبس برهة ... قال به الصبر الجميل إلى الملك

على أنه قد ضيم في حبسك العلى ... وأصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الأبيات، ودفعها إلى خادم كان معه، وقال: غيبها واحتفظ بها، فإن فرج الله عني،

فأذكرني بها، لأقضي حق هذا الرجل.

قال أبو معشر: وكنت قد أخذت مولده، وعرفت وقت عقد البيعة للمستعين، ووقت " ٢٠ " البيعة بالعهد

من المتوكل للمعتز، ونظرت فيه وقد صححت النظر، وحكمت له بالخلافة، بعد فتنة وحروب، وحكمت

على المستعين بالخلع والقتل، فسلمت ذلك إليه، وانصرفنا.

قال وضربت الأيام ضربها، وصح الحكم بأسره، فدخلنا جميعاً، إلى المعتز، وهو خليفة، وقد خلع المستعين،

وكان المجلس حافلاً.

قال أبو معشر: فقال لي المعتز: لم أنسك، وقد صح حكمك، وقد أجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقاً،

وثلاثين ديناراً نزلاً، وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة، وأمرت لك عاجلاً بألف دينار صلة.

قال: فقبضت ذلك عاجلاً كله في يومي.

قال البحثري: وأنشدته أنا في ذلك اليوم، قصيدتي التي مدحته بها، وهنأته، وهجوت المستعين، وأولها:

يجافينا في الحب من لا نجانبه ... ويبعد عنا في الهوى من نقاربه
حتى انتهيت إلى قولي:

وكيف رأيت الحق قر قراره ... وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المغتر بالله إذ شرى ... ليعجز والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر ... وعري من برد النبي مناكبه
وقد سرتني أن قيل وجه مسرعاً ... إلى الشرق تحدى سفنه وركائبه
إلى واسطٍ نحو الدجاج ولم تكن ... لتتشب إلا في الدجاج مخالبه
فضحك، واستعاد هذه الأبيات مراراً، فأعدتها.

فدعى بالخدام، وطلب الرقعة التي فيها أبياتي التي أنشدته إياها في حبسه، فأحضره إياها، بعينها.
فقال: قد أمرت لك لكل بيت في الرقعة بألف دينار، وكانت ستة، فأعطيت ستة آلاف دينار.
وقال لي: كأني بك، وقد بادرت، فاشتريت غلاماً، وجارية، وفرساً، وفرشاً، وأتلفت المال، لا تفعل، فإن
لك، فيما تستأنفه من أيلمك معنا، ومع وزرائنا وأسبابنا، إذا علموا موقعك منا، غناء عن ذلك، فاشتري بهذا
المال ضيعة ببلدك، تقوم في أدناها فترى أقصاها، ويبقى لك أصلها، وتنفع بغلتها، كما فعل ابن قيس
الرقيات، بالمال الذي وصله به عبد الله بن جعفر.
فقلت: السمع والطاعة، وخرجت، فعملت " ٢١ " بما قاله، واعتقدت بالمال ضيعة جلييلة بمنج، ثم تأملت
حالي معه، وأعطاني، وزاد وما قصر.

ضيعة البحري

في حيازة حفيد ولده

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو الفتح بن جعفر بن محمد بن الفرات، بعد عوده من مصر والشام، في
أيام الراضي، وتقلد الوزارة، قال: اجترت في رجوعي هذا، إلى مدينة السلام، بمنج، فرأيت ضياعاً في نهاية
العمارة والحسن.

فسألت عنها، فقيل: هي أقطاع البحري الشاعر وأملاكه.
فقلت: لمن هي اليوم.

فقيل لي: هي اليوم في يد ابن ابنة ابنه أبي الغوث.

فقلت: هذا نسب طويل، وأمرت الحسن بن ثوابة بقبضها.

فلما كان من الغد، جاءني رجل متكهل، في زي الجندي، وذكر أنه صاحب الضياع، وقال: يا سيدي، هذه
الضياع التي قال جدي البحري بسببها:

وما أنا والتقيسيط إذ تكتبونه ... ويكتب قبلي جلة القوم أو بعدي

وأنشدني هذه الأبيات كلها، وقال: ذاك بكاء لأجل تقسيط يسير، فكيف يكون حالي، إذا قبضت هذه الضياع؟ قال: فتدملت أن أكون سبب ذهاب معيشتي، فأطلقت له عنها.

عامل يصفع عند المطالبة

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو الفتح، قبل تقلده الوزارة الأولى بمدة طويلة، قال: حدثني أبي، قال: صرفت محمد بن يوسف العامل، عن بادوريا، وتقلدتها، فاستدركت عليه أشياء كثيرة، وطالبته بها، فلم يرد فيها شيئاً. فأخرجته يوماً إلي، وناظرته، فأقام على أمر واحد، فاغضبت عليه وأمرت بصفعه، فلم يتأوه، ولم يزل يصيح: واحدة، فإذا صفع أخرى قال: ثانية. وعلى هذا، إلى أن صفع ثلاث عشرة صفقة. فتعجبت من عده، وقلت: يا هذا، ويحك أي فائدة لك في العد؟ وأن لا تستعفي. قال: أنا أعدد ذلك - أعزك الله - لأصفعك بعدده، بعد أيام، إذا صرفتك، وتقلدت مكانك، فلا أظلمك بالزيادة، ولا تفوز بالنقصان. قال: فأخجلني، فقلت: قم، في غير حفظ الله إلى منزلك. فأطلقته، وذهب المال.

حمال مستور

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا نبطويه، قال: حدثنا ثعلب، قال: كان عندنا في الحربية، حمال مستور " ٢٢ "، يوصف بالزهد وكان لا يحمل لأصحاب السلطان شيئاً، وكان إذا حمل على قدر قوته - على ضيق - لم يزد عليه شيئاً، وأراح نفسه، ولا يحمل إلا كارة خفيفة، مثل لحم وفاكهة، وما يكون قدره خمسين رطلاً أو نحوه.

قال: فاتبعته يوماً، وهو لا يعلم أبي خلفه، فرأيت يضع رجلاً، ويول: الحمد لله، ويرفعها، ويقول: أستغفر الله.

فقلت له: لم تفعل هذا؟ فقال: أنا بين نعم لله، وذنوب، فأنا أحمد - عز وجل - على نعمه، وأستغفره من ذنوبي.

فأردت امتحانه، فقلت: ما تقول في علي وأبي بكر؟ فقال: إذا نشرت الدواوين، ووضعت الموازين، أسأل عن ذنوبي، أم عن تفضيل أبي بكر وعلي؟ فقلت: بل عن ذنوبك. فقال: فلي في نفسي شغل عن معرفة الأفضل منهما.

حامد بن العباس

وبواب الوزير إسماعيل بن بلبل

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبي، قال: سمعت حامد بن العباس يقول: ما في الدنيا أضر على الإنسان من مداجاة العدو، وينبغي أن تشهر ما بينك وبين عدوك، حتى لا يقبل قوله فيك. قال، وسمعته يقول: ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير، أكثر من منفعته بالكبير. فمن ذلك: أن إسماعيل بن بلبل، لما حبسني، جعلني في يد بواب، كان يخدمه قديماً، قال: وكان رجلاً حراً، فأحسنت إليه، وبررته، وكنت أعتد على عناية أبي العباس بن الفرات. وكان البواب قديم الخدمة لإسماعيل، يدخل إلى مجلس الخاصة، ويقف بين يديه، فلا ينكر ذلك خدمه عليه، لسالف الصحبة.

فصار إلي في بعض الليالي، فقال: قد حرد الوزير على ابن الفرات، وقال له: ما يكسر المال على حامد غيرك، ولا بد من الحد في مطالبته بباقي مصادرتة، وسيدعو بك الوزير في غدٍ إلى حضرته، ويهددك. فشغل ذلك قلبي، فقلت له: فهل عندك من رأي؟ فقال: اكتب رقعة إلى رجل من معامليك، تعرف شحه، وضيق نفسه والتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها، واسأله أن يجيئك على ظهر رقعتك، لترجع إليك، فتخرجها، فإنه لشحه وسقوطه، يردك بعذر، واحتفظ بالرقعة، فإذا طالبك الوزير، أخرجتها " ٢٣ " إليه، وقلت: قد أفضت حالي إلى هذا، وأخرجتها على غير مواطاة، فلعل ذلك ينفحك. ففعلت ما قاله، وجاءني جوابه بالرد، كما حسبنا، فشددت الرقعة معي. فلما كان من غدٍ، أخرجني الوزير، وطالبني، فأخرجت الرقعة، وأقرأته إياها، ورقعته، وتكلمت، فلان واستحيا، وكان ذلك سبب خفة أمري، وزوال محنتي. فلما تقلدت في أيام عبيد الله بن سليمان، سألت عن البواب، واجتذبتته إلى خدمتي، فكنت أجري عليه خمسين ديناراً كل سنة. وهو باق معي إلى الآن.

عامل مصروف يختبئ في قدر هريسة

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبي، عن جدي عبد الله بن هشام، قال: حدثني يحيى بن عبد الله الكسكري، قال: كنت أكتب لابن البختری الأصغر على مصر، فصرف بسليمان بن وهب، وخرج معه ابنه عبيد الله - وكان يخلفه عليها - .

فجلس العامل ابن البختری لرفع حسابه، وتخلوا لنظم الحساب، وكنت أغدو وأروح إلى سليمان، أعرض عليه ما أعمل.

وكان قد وكل بابن البختری، قائداً من قواد مصر، معه علة من الفرسان، والرجالة، والغلمان، وكان ابن البختری يقيم لهم الطعام الواسع.

وحضر المهرجان، فتقدم بأن تحضر قدر النبيذ، وتعمل فيها الهريسة، في الدار التي كان فيها معتقلاً.

وكان قصيراً ضئيلاً، فجاءوا له بالقدر، وطبخ فيها الهريسة، في جملة الطعام، وأكل الموكلون، وشربوا، وسكروا.

وأعمل هو الحيلة، فجلس في القدر، وغطيت عليه، وأخرجت، ولم يعرفوا خبره، حتى طلبوه لما أفاقوا، فلم يجدوه.

قال يحيى بن عبد الله: ولم أكن أنا عرفت الخبر، فبكرت إلى سليمان، على رسمي، فوجدت عبيد الله جالساً، متشاعلاً بطلبه، وقد ضج، وهو يقول: أي شيء أقبح من أن يتصل بالخليفة، أنا عجزنا عن حفظ العامل المصروف، فيقال فينا: كيف يحفظ هؤلاء الأموال، والأعمال، مع عجزهم عن حفظ محبوس؟ وجعل يضرب الناس في التقرير عليه.

وأمر بالقبض عليّ، لما رأي، فقلت له: أعزك الله، لو كان عندي علم بالخبر ما جئتك، قال: فصدق قولي، وكان حضوري سبب " ٢٤ " خلاصي.

قال: ووقع في يده وكيل نصراني لابن البخري، يتوكل في مطبخه، وكان نبطياً، وقيل له: إنه لا يجوز أن يخفي عليه خبره، فجعل يضربه.

وكان في المجلس سليمان بن وهب، وأصحاب البرد والأخبار، والناس بأجمعهم.

وكنتم أحسن النبطية، ولم يكن عبيد الله يحسنها.

فلما حيي الضرب على الوكيل، كاد أن يقر على موضع ابن البخري، ففهم ذلك سليمان، ولم يجب أن يأمره بالإنكار، فيكتب بالخبر، وأراد أن يسلم المكتوب، سلوكاً لمذهب الناس قديماً، في طلب السلامة، بالإبقاء على أعدائهم.

قال: فقال للمضروب كلاماً بالنبطية، تفسيره: لا تقر، فإن الإقرار مثل القبر لا ينقلع.

قال: فتصبر الرجل على الضرب، ثم قال سليمان لعبيد الله: إلى كم تضرب هذا البائس؟ لو كان يعرف شيئاً لقاله، اقطع عنه الضرب، لا يتلف، فدخل في دمه.

قال: فرفع الضرب عنه، وأطلق من يومه، وأفلت المستتر.

من مكارم أخلاق المؤمن

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخي، قال: حدثنا المبرد، قال: حدثني الحسن بن سهل، لما أسن، وجلس في بيته، قال: دخلت يوماً إلى المؤمن، وهو جالس، وبحضرته جماعة من خواصه، منهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وكان في يده كتاب يقرأه، فلم ينظر إلي، فوقفت قائماً.

فقال له إسحاق: يا أمير المؤمنين، أبو محمد، الحسن بن سهل.

فقال لي: اقعد، فقعدت.

فقال: أحضر دواتك، فأحضرت.

فقال: وقع بتقليد إسحاق بن إبراهيم، جميع أعمال المعاون بالسواد، جزاء له على ما نبه عليه من تكرمك

يا أبا محمد.

فشكرته، ودعوت له، ووقعت بذلك.

الشاعر الكوفي أبو الحسن البصير

أنشدني أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن أحمد الداري، الصيدلاني، البصري، قال: أنشدني أبو الحسن عبد الله بن سليمان الكوفي، الضرير، المعروف بالبصير، لنفسه:
واحربا ما الذي لقيت أنا ... أحمل في كل بلدة شجنا
أدخلها وادعاً فتجلب لي ... رقة قلبي من أهلها سكنا " ٢٥ "

الخارجي وصلاة الجمعة

حدثني أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار، قال: رأيت بعمان شيخاً من الخوارج، قد دخل في يوم الجمعة، من ناحية بلد الشراة، إلى السوق بعمان، وكانت طريق الناس إلى الجامع، والناس يتعادون إلى حضور الجمعة، خوفاً من فوقها، والخارجي ماشٍ الهوينا في حاجته، لا يراعي أمر الجمعة، فإذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع، فالتقيا.

فقال الشيخ للخارجي، وهو لا يعرفه، وقد ر أنه يريد الجامع: إلى أين تمضي يا شيخ؟ وقد صلى الناس وفاتت الصلاة؟ فقال الخارجي: يا أبله، إنما فاتت من أدركها.
يريد أن التجميع معهم، لا يسقط الفرض الذي هو الظهر، وهو إذا جمع معهم ترك الظهر، ففوته الصلاة الواجبة، وهي الظهر، ويصلي ما لا يجزي عنه في مذهبه من تفكيرهم.
قال: ولم يفهم الشيخ ما سمعه.

وقلت أنا للخارجي: أظنك - أعزك الله - شارباً؟ قال: فقال: نعم، والحمد لله.
قال: وهم يستحبون أن يقال لهم شراة، ويأبون أن يقال لهم: خوارج، ويذهبون إلى قوله تعالى " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله " .

أحد القائلين بالتناسخ

يدعي أن الهرة أمه

حدثني أبو الحسن علي بن نظيف البغدادي، المعروف بابن سراج، المتكلم، المعروف بالبهبشي، قال:

كان يجتمع معنا في المجالس ببغداد، شيخ للإمامية يعرف بأبي بكر بن الفلاس، وكان طيباً، فحدثنا يوماً: أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع، ثم صار يقول بمذهب أهل التناسخ، قال: فوجدته، وبين يديه سنور سوداء، وهو يمسخها، ويحك بين عينيها، ورأسها، وعينها تدمع، كما جرت العادة في السنانير بذلك، وهو

يبكي بكاء شديداً.

فقلت له: لم تبكي؟ فقال: ويحك، ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها؟ هذه أُمي لا شك، وإنما تبكي من رؤيتها لي حسرة.

قال: وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم عنه، وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً.

قال: فقلت له، وأنا معتقد الطنزيه: فهي تفهم ما تخاطبها به؟ فقال: نعم.

فقلت له: أفنهم أنت عنها صياحها؟ فقال: لا.

فقلت له: " ٢٦ " فأنت إذن المسوخ، وهي الإنسان.

كتاب تعزية

كتب محمد بن عيسى، أحد كتاب زماننا، بتعزية إلى صديق له، قرأته بخطه، فاستحسنت منه صدره، ونسخته: من سره امتداد عمره، ساءته فجائع دهره، بفقد حيمين أو طارق هموم، عادة للزمان معروفة، وسنة للحدثان مألوفة، وأحق من سلم للأقضية والأقدار، من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار، فإن أصابته مصيبة، تلقاها مسلماً، أو نابته نائبة، وجدته محتسباً.

شاعر يقتضي ثواب مديح

كتب إلي عمرو بن محمد بن الأشعث، شاب ورد من عمان، مجتازاً بواسط - ذكر أنه كان من الجند فيها، فرالت نعمته، وهرب حين ملك الديلم عُمان - أبياتاً في آخر رقعة له، اقتضاني فيها، ثواب مديح، كان أسلفنيه، وهي:

مات الرجاء بغیظه فلك البقا ... ولربما أفضى النعيم إلى الشقا
فإن احترقت فمن تلهب حادث ... لأقل منه تلهباً أن يحرقا
إن كان عود الجود جف فإنه ... لم يسق ماء نذاك حتى أورقا
وأريد منك إذا حرمت مطالبي ... تسعى معي فلعلني أن أرزقا

الانتقال في ليلة واحدة

من الحر إلى البرد

حدثني أبو علي المنتاب، قال: حدثني أبي، قال: كنا مع حامد بن العباس في ولايته، يوماً، جلوساً في الخيش، بواسط، في النصف الأخير من تشرين الثاني، لشدة الحر، فجاء البرد في ليلة، فأصبحنا من غد، وقد لبسنا الخروز والخشو، وعجبنا من التفاوت بين الحالين في شدة الحر، وفي شدة البرد، في ليلة واحدة.

في العافية طعم كل شيء

حدثني أبو علي محمد بن محمد بن إسماعيل بن شاذان الواسطي، قال: سمعت بعض شيوخنا، يحكي عن إبراهيم الحربي، أنه قال: في العافية طعم كل شيء، وفي الرزق نصر كل شيء.

القاضي أبو خازم والخليفة المعتضد

حدثني أبو الحسين علي بن هشام، قال: سمعت القاضي أبا جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التوخي، الأنباري، يحدث أبي، وقد جئت إليه معه هنيهة بعيد أضحى، فحدث أحاديث، فقال: حدثني أبو خازم القاضي، قال: كان في حجري أيتام، ذكور وإناث، خلفهم بعض العمال، فرددت أمانتهم، إلى بعض الشهود، فصار إلي " ٢٧ " الأيمن يوماً، وعرفني أن عامل المستغلات، ببغداد، الذي يتولى مستغلات السلطان، وعامل بادوريا، قد أدخل أيديهما، في أملاك الأيتام، وذكر أن الوزير عبيد الله ابن سليمان، أمرهما بذلك، عن أمير المؤمنين المعتضد.

فصرت إلى المعتضد في يوم موكب، فلما انقضى الموكب، دنوت منه وشرحت له الصورة. فقال لي: يا عبد الحميد، هذا عامل خانني في مالي، واقطعه، ولي عليه مال جليل، من نواحي كان يتولاها من ضيعتي خاصة، وما لي عليه بضعف هذه الأملاك التي خلفها. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما تدعيه عليه يحتاج إلى بينة، وقد صح عندي أن هذه الأملاك أملاكه يوم مات، ولا طريق إلى انتزاعها من يد وارثه إلا بينة بالمال، هذا حكم الله في البالغين، فكيف في الأطفال؟ قال: فسكت ساعة مطرقاً، ثم دعا بدواة، ووقع بخطه إلى عبيد الله ابن سليمان، بالإفراج عن الضياع.

دهاء عبدون أخي صاعد بن مخلد

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات، وكان يخلف أبا نوح بن إبراهيم، على ديوان الضياع، حدث أنه: كانت في يد صاعد بن مخلد، ضمانات كثيرة، وكانت إليه معاملة مع أبي نوح، وكان صاعد - إذ ذاك - من وجوه الناس، ولم يكن بلغ المبالغ الكبار.

فحضر عنده صاعد، أول خلافة المعتز، ونحن حضور، فطالبه أبو نوح بأموال وجبت عليه، وجرت بينهما مناظرات، أدت إلى أن تقطع في الجواب.

فاغتاظ أبو نوح، فأعضه، فرد عليه صاعد، مثل ما قاله له.

فاستعظم الناس ذلك، فاستخفوا به، وقالوا: يا مجنون، يا جاهل، قتلت نفسك، قم، قم.

وخلصوه من أن يفتك به أبو نوح في الحال، وقالوا: هذا مجنون، ولم يدر ما خرج من فيه.

وانصرف صاعداً إلى منزله متحيراً، لا يدري ما يعمل فيما قد نزل به.

فحدث أخاه عبدوناً بما جرى، فقال له: إن لم تطعني، فأنت غداً مقبوض عليك، مطالب من المصادرة بما لا يفي به حالك، ولا حال من عرفك من أهلك، ومقتول بلا شك، تشفياً منك.

قال: وما الرأي؟ قال: كم عندك " ٢٨ " من المال الصامت العتيد؟ وأصدقني عن جميعه.

قال: خمسون ألف دينار.

قال: تسمح نفسك أن تتعري منها، وترمي بها كأنها لم تكن، وتنقذ نفسك وتحرس بدنك، وما بقي من حالك، وضياحك، وعقارك، فتصير من أجلاء الناس؟ أو لا تسمح بذلك، فتؤخذ الدنانير منك تحت المقارع، وتذهب الضيعة والنعمة كلها، وتذهب النفس؟ قال: ففكر طويلاً، ثم قال: قد تعريت عنها في عز نفس.

قال: أعطني منها الساعة ثلاثين ألف درهم.

قال: خذ.

فأخذها، وجاء إلى حاجب موسى بن بغا، وقت عتمة، وقال له: هذه عشرة آلاف درهم، وأوصلني إلى فلان الخادم.

قال: وكان هذا الخادم، يتعشقه موسى جداً، ويطيعه في كل أمره، وموسى إذ ذاك هو الخليفة، وكتبته كالوزارة، والأمور في يديه، والخليفة في حجره.

قال: فأخذ الحاجب المال، وأوصله إلى الخادم، فأحضره العشرين ألف درهم الباقية، وقال: هذه هدية لك، وتوصلني الساعة إلى الأمير، وتعاونني في حاجة أريد أن أسأله إياها، ومشورة أريد أن أشير عليه بها. فأوصله الخادم.

فلما مثل بين يديه، سعى إليه بكتابه، وقال: قد نهبوك، واقتطعوا مالك، وأخرجوا ضياحك، وأخي يجعل كتبك أجل من الوزارة، ويتغلب لك على الأمور، ويوفر عليك كذا، ويفعل كذا، ويحمل إليك الليلة، من قبل أن ينتصف الليل، خمسين ألف دينار عيناً، هدية منه لك، لا يريد عليها مكافأة، ولا يرتجعها من مالك، وتستكتبه، وتخلع عليه غداً سحراً.

قال: فقال له موسى: أفكر.

فقال: ليس هذا موضع فكر، وألح عليه.

قال: وقال له الخادم: في الدنيا أحد جاءه هذا المال العظيم دفعة واحدة، فردّه؟ وكتب بكتاب، والمال ربح. قال: فأجابته، وصافحه.

فقال له: فنفذ الساعة بمن يحضرك أخي، وتشافهه بذلك.

وأنفذ من أحضره، وبات عبدون في الدار، وقلد موسى كتبه لصاعد، في الحال، وأمره بالكور إليه ليخلع عليه، وتقدم إلى النقباء بأن يباكروا الرجل ليركبوا معه.

قال: وبكر صاعد، وليس عند أحد له خبر، فخلع عليه موسى بن " ٢٩ " بغا لكتبته، وركب الجيش على بكرة أبيهم، وانقلبت سر من رأى، بظهور الخبر.

فبكر بعض المتصرفين، إلى الحسن بن مخلد، وكان صديقاً لأبي نوح، فقال له: قد خلع على صاعد.

فقال: لأي شيء؟ فقال: تقلد كتبة موسى بن بغا.

فاستعظم ذلك، وقال: ثيابي.

فأحضرت، فلبس، وركب إلى أبي نوح، فقال له: عرفت خبر صاعد؟ فقال: نعم، الكلب، وقد بلغك ما

عاملني به؟ والله لأفعلن به ولأصنعن.

قال: أنت نائم؟ ليس هذا أردت، قد ولي الرجل كتبة الأمير موسى ابن بغا، وخلع عليه الساعة، وركب الجيش معه بأسرهم، إلى داره.

فقال له أبو نوح: هذا ما لم نظنه، بات خائفاً، وأصبحنا خائفين منه، فما الذي عندك؟ فقال: أنا أصلح بينكما الساعة.

قال: فركب الحسن بن مخلد، إلى صاعد، وهنأه، وأشار عليه أن يصلح أبا نوح، وقال له: وأنت بلا زوجة، وأنا أجعلك صهره، وتعتضد به، فإنك وإن كنت قد نصرت عليه، فهو من يعلم موضعه، ومحله، ويتجمل بمصاهرته، ومودته، وأنت حبيب على الرجل.

قال: ولم يدعه، حتى أجاب إلى الصلح والصهر.

فقال له: فتركب معي إليه، فإنه هو أبو الابنة، والزوج يقصد المرأة، ولولا ذاك لجاءك.

قال: فحمله من يومه إلى أبي نوح، واصطالحا، ووقع العقد في الحال بينهما.

وزوج أبو نوح، في مجلسه ذلك، ابنته الأخرى، بالعباس بن الحسن بن مخلد، فولدت له أبا عيسى المعروف بابن بنت أبي نوح، صاحب بيت مال الإقطاع، ثم تقلد ديوان زمام الجيش لعمه سليمان بن الحسن، وكان أصغر سنّاً من أبيه.

فكانت كتبة صاعد لموسى، ومصاهرته لأبي نوح، أول رتبة العظيمة التي بلغها، ثم تقلبت به الحال، حتى ولي الوزارة.

حدة طبع أبي العباس بن الفرات

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو القاسم سليمان بن الحسن، قال: كنت أخط بين يدي أبي العباس بن الفرات، في أول وزارة عبيد الله ابن سليمان، وأتحمق به، لأن أبي اصطنع أباه، وكنت أشرب معه. فكنا ليلة على شراب، وقد جرت الأحاديث، فحدثنا بأخبار عدة من الكتاب والوزراء، كانت فيهم حدة. وقال: كان أحمد بن الخصيب، يركل المتظلمين.

وكان أبو عباد ثابت بن يحيى، يضربهم بالقرعة، إذا كان راكباً.

وكان أحمد بن أبي خالد، يشتمهم.

وعد جماعة " ٣٠ " ، قال: وكان في أبي العباس، حدة، وسفه لسان، فسمعنا ذلك منه، ولم نقدم على موافقته.

فلما كان من غدٍ، ركب وأنا معه، في السحر، فلقيه في الطريق، أهل سمطيا، يتظلمون من عاملهم، في شيء ذكروه، فصاح عليهم، وشتهم.

فتقدم إليه أحدهم، فألح عليه في الكلام، فرفسه برجله في الركاب، ووقعه بالقرعة، وبصق عليه.

فذكرت الحديث الذي حدثنا به من ليلته، فضحك.

فسمع قهقهتي، فالتفت مبتسماً، وقال: من أي شيء ضحكت يا عيار؟ فقلت: زدتنا نشفة يا سيدي في ذلك الحديث الذي جرى البارحة.

فقال: أو قد حفظته؟ قلت: نعم.

قال: فقال لي سليمان بن الحسن: سمعت دفعات لا أحصيها، أبا العباس ابن الفرات، وقد احتد طبعه على قوم غضب عليهم، وكان يقول للواحد منهم: يا ابن مائة ألف كر خردل مضروبة في مائة ألف مثلها زواني، تشاغل بحساب هذا فهو أنفع لك.

سفه لسان حامد بن العباس

قال أبو الحسين: وما رأينا ولا سمعنا، برئيس أسفه لساناً، من حامد ابن العباس، فإنه كان لا يرد لسانه على أحد البتة، وكان إذا غضب شتم.

فمن ذلك: أن أبي حدثني، أنه كان بحضرته في مجلس حافل، فجاءت أم موسى القهرمانة، فقالت له: إن أمير المؤمنين أمرني أن أقول لك، في مجلس حفلك، أن ابن الفرات، كان يحمل إلي خريطة في كل يوم فيها ألف دينار، وإلى السيلة عشرة آلاف دينار في الشهر، وإلى الأمراء والقهارمة، خمسة آلاف دينار في الشهر، وأنت قد أدخلت منذ أربعين يوماً.

فقال لها في جواب ذلك: الساعة قد جئت حادة محتدة، تطالبيني بهذا؟ اضربي والتقطي، واحذري لا تغلطي.

قال: فقامت خجلة، وكان ذلك أحد أسباب سقوطه عندهم، وغلبة علي بن عيسى على الأمور. ومن ذلك: أنه استحضر ابن عبد السلام العدل، يطالبه بوديعة، سعي بأنها عنده لابن الفرات، وأن يحيى بن عبد الله الدقيقي، أبا زكريا، قرابة أم كلثوم، قهرمانة ابن الفرات، أودعه ذلك " ٣١ ". فجرى الخطاب بينهما في ذلك، وعلي بن عيسى حاضر، والخلق من القضاة والأشراف والأولياء، وكت فيهم، وأنا حدث مع أبي. فقال له: هذا الدقيقي ابن البطراء، قرابة أم كلثوم العفلاء، تعرفه؟ فقال العدل: الوزير أعزه الله، أعرف به مني.

ومن ذلك: أنه قال لابن الحواري، في دار الخليفة، وأم موسى حاضرة، ليلة قدم من واسط ليتقلد الوزارة، في حديث جرى بينهما: قد نكت أمه مرتين.

فقالت أم موسى: ويلي، أي شيء هذا؟ فاستحيا، وقال لابن الحواري: نحن في السواد، إذا غلبنا خصومنا، قلنا قد نكنا أمهاتهم.

ومنها: أنه استحضر الوليد بن أحمد، ابن أخت الراسبي، ليصادره بمصادرة قد وقف عليها، عشية عيد أتي عليه في وزارته، ولم يشغله حضور الناس عنده للتهنئة بالعيد.

فأتي بالرجل بحبة صوف، فلما رآه علي بن عيسى، وكان حاضراً، قال: إن رأى الوزير أن يخليني وإياه لأخاطبه، وأقوده إلى امتثال أمره.

فقال: افعل.

واستدعاه إليه، وجعل يساره، وكان علي بن عيسى، قريب المجلس من حامد، يسمع عليه ما يخاطبه به. فسمع الوليد يحلف قليلاً، قليلاً، ما بقيت لي حيلة.

فقال لعلي بن عيسى: يا أبا الحسن، تلومني الساعة، أن أنيك أم هذا؟ فقال علي بن عيسى: اللهم غفر، أي والله، أي لوم.

قال: وكان ابن عبدوس الجهشياري، الذي ألف كتاب الوزراء، قائماً على رأس علي بن عيسى، لأنه كان يحجب أبا الحسن، وكان أبوه من قبله مضموماً إليه رئاسة الرجال، يرسم علي بن عيسى الوزير، وكان يحجبه أيضاً.

قال: فتنحى ابن عبدوس من مكانه، وقال: لعن الله زماناً صرت أنت فيه وزيراً.

ومنها: أنني سمعته، وقد اجتاز على باب دار كنا ننزلها بشارع الكوفة، إذ ذاك، وأنا قائم على الباب، وقد اتفق أن كلمه في الموضع، قوم من أهالي بادوريا، في خراج النخل الشهريز، وأكثروا، وأنهم يبيعون المائة رطل منه - وهي حمل نخلة - بدرهمين، وخارجها ثلاثة دراهم، وأنهم يمعون من قلعه، فيما أذن لهم في ذلك، وإما خفف عنهم من الخراج.

قال: فصاح عليهم، وقال: ليس لي في هذا نظر، قد صار النظر في هذا وشبهه، إلى علي بن عيسى، فامضوا إليه.

قال: فانصرف القوم؛ وسار خمس خطى أو نحوها، ثم وقف، وقال: ردوهم، فردهم " ٣٢ " الرجالة. فقال لهم: كأني بكم، تمضون إلى علي بن عيسى، وتقولون: قد أحالنا الوزير عليك، وأجابنا، وأمي إن كنت أحببتكم إلى هذا زانية، وأمكم إن قلتم هذا زانية، وأم علي بن عيسى إن أجابكم إلى هذا زانية. ثم سار متوجهاً إلى بستانه المعروف بالناعورة ليتنزه.

ومن ذلك: أنه كان يجتمع مع علي بن عيسى، في دار الخليفة، لما ضمن حامد في وزارته السواد، وصار علي بن عيسى مستوفياً عليه، ومطالباً له، فيتناظران في أمر المال، فيحتفيه علي بن عيسى، بالحجة، فيعدل هو به إلى السبب والسفه، فيقول له علي بن عيسى: سلاماً، سلاماً.

يريد بذلك، قول الله تعالى: " وإذا خاطبهم الجاهلون، قالوا سلاماً " .

فلما كثر ذلك على حامد، قال له يوماً عقيب سفه جرى عليه منه: كم تذكر سلامه الذي ينيك أختك

أسماء؟ فقام علي بن عيسى، وقال: ما بعد هذا شيء، وتجنب مخاطبته بعد ذلك.

وقال لعلي بن عيسى مرة بحضرة المقتدر: أنا والله، نكت هذا مرتين، وهو أمرد.

من عجائب صنع الله

حدثني أبو الحسين، قال: رأيت ببغداد، في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة، وأبي، وأنا، مستتران في الكرخ، طوافاً، يصيح ويقول: انظروا إلى قدرة الله، في رأس بقرة، برأسين وأربعة أعين، فرأيت ذلك كما وصف. ورأيت معه فروجاً له ثلاثة أرجل، يمشي بهم، ولا يعرج.

الرياسة دين لا يقضى

وحدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبي يقول: لما ولي أبو الحسن بن الفرات، الوزارة الأولى، لم يبدأ بتقليد أحد، قبل أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام، وكان مقيماً في مصر، على عطلة، فكاتبه بأجل مكاتبة، وقلده أعمال مصر، وزاده في الدعاء. وقال: هذا رجل، قد جرت له علي رياسة، والرياسة دين لا يقضى.

ابن الفرات يتعصب لآل نوبخت

قال أبو الحسين: وسمعت أنا - في الوزارة الثالثة - أبا الحسن بن الفرات، يقول: - وقد دفع إليه صاحب الخبر، خبراً فقراً، وخرقه - ثم قال: يتمعني الناس، بتعطيلي مشايخ الكتاب، وتفرقي الأعمال على آل بسطام، وآل نوبخت، والله، لولا أنه لا يحسن تعطيل نفرٍ من العمال، وقد قلدتهم، لما استعملت في الدنيا، إلا آل " ٣٣ " نوبخت، دون غيرهم. قال أبو الحسين: وإنما كان يتعصب لآل بسطام لرياسة أبي العباس عليه وللمذهب، ويتعصب لآل نوبخت، للمذهب.

المعتضد والعمال المنكوبون

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت جماعة من مشايخ الكتاب، يقولون: كان المعتضد، إذا نكب رجلاً من جلة العمال ورؤسائهم، وكل به من يحفظه من قبله، ولم يكن عبيد الله من نفسه. وربما أمر بصيانتهم، وشدد الوصية في أمره، من غير توكيل به من جهته، ولا أطماع في المال. وكان إذا وكل به، يظهر أن التوكيل للمطالبة، وزيادتها، والتشدد فيها، لا لحفظ نفسه، فيطمع العامل. قال: وكان يقول: هؤلاء من أكابر العمال الذين قد قامت هيبتهم في نفوس الرعية، وعرفوا أقطار البلاد، هم أركان الدولة، وأنداد الوزارة، والمرشحون لها، فإن لم تحفظ نفوسهم وضع ذلك من الأمر، وأثر فيه.

لون من ألوان التعذيب

حدثني أبو الحسين، علي بن هشام، قال: حدثني أبو منصور عبد الله ابن جبير النصراني، كاتب ابن الفرات، قال: لما نكبت، بنكبة أبي الحسن بن الفرات، بعد الوزارة الأولى، سلمت إلى أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل، فحبسني عنده، وكان يطالبني بالمال، فأدفع عن نفسي.

إلى أن أحضرني يوماً، فخاطبني في المال، فلم أذعن بشيء، فدعا بمزين، وأمره أن ينتف بالمنقاش ربع شعر رأسي.

فلما نتف منه طاقات يسيرة، كدت أتلّف، وقام هو، وقال: إذا نتفتم ربع رأسه، فعرفوني.

فلما قام، رشوت الموكلين، فحلّقوا باقي الربع من رأسي، ولم ينتف، وأعلموه أنه قد نتف، فأمر أن يقيّر الموضع النظيف من رأسي، يقيّر حار.

فجاءوا بالقيّر، فوضّعوه على رأسي، ولم يكن مفرط الحرارة، لأنه لا كان مفرطاً، لأتلفني لا محالة. فحين أحسست بحمي القيّر، قامت قيمتي، وكدت أن أتلّف، فأذعنت بالأداء، وأقررت بسبعين ألف دينار، ودائع لي " ٣٤ " ، وكتبت ألّتزم تسليمها إليهم، فأخذت في اليوم الثالث. فلما كتبت خطي بتسليمها، أمر بالزيت فطلي به رأسي، وقلع به القيّر من رأسي، ففرّغ شعري إلى الآن.

من شعر نفطويه

حدثني أبو الحسين قال: انصرفت من عند أبي عبد الله، نفطويه، وقد كتبت عنه أشياء، فجئت إلى أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، فقال لي: ما هذا الدفتر. فأريتته إياه، وكان على ظهره مقطوعتان، قد أنشدنيهما نفطويه لنفسه.

فلما قرأهما الزجاج استحسّنها جداً، وكتبهما بخطه على ظهر كتاب (غريب الحديث)، وكان بحضرته. والمقطوعتان:

تواصلنا على الأيام باقٍ ... ولكن هجرنا مطر الربيع
يروعك صوته لكن تراه ... على روعاته ذاتي التروع
كذا العشاق هجرهم دلال ... ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله أن نلّفى غضاباً ... سوى دل المطاع على المطيع
والأخرى:

وقالوا شأنه الجذري فانظر ... إلى وجهه به أثر الكلوم
فقلت ملاحه نثرت عليه ... وما حسن السماء بلا نجوم

رعونة عبيد الله بن سليمان

جرت النكبة عليه وعلى أبيه

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا جماعة من شيوخ الكتاب، منهم علي بن عيسى، والباقرائي، وغيرهما، قالوا: حدثنا عبيد الله بن سليمان، قال: لما أضاق المعتمد بسر من رأى، وأمره - إذ ذاك - نافذ، ومعه قطعة من الجيش، وكان سليمان بن وهب وزيره، والموفق بواسط، وعبيد الله ابن سليمان كاتبه، طلب المعتمد من

سليمان، مالاً يَحْتالُه، لداره، وحرمة، وخاص نفقته، لا يعلم به الجند، فدافعه بذلك، فقبض عليه، وقال له: قد تقلدت منذ أيام المعتز، إلى الآن، أعمالاً متوالية، منها الوزارة للمهتدي، ومرة الجبل، وغير ذلك، وما نكبت، ولا صودرت، وأريد منك خمسمائة ألف دينار.

قال: وورد عليّ الخبر، فلشدة محبتي لخلاص أبي، ما جنيت عليه جناية عظيمة، بأن صرت إلى الموفق، فقلت له: لم يقدم المعتمد على أبي إلا لبغضه لك، وليس يحقد علينا إلا تمشية أمرك، واجتذاب الجيش " ٣٥ " إليك.

فوعدي بتخليص أبي، على مهل.

فقلت: إن أخرت الأمر، أسرع إلى مكروهه، وإزالة نعمته.

فقال: ما تريد؟ فقلت: تخرج بمن معك، فتنتزعه من يده قسراً.

فقال: هذا يحتاج إلى مال ورجال، وهو خليفة على كل حال، ولا أحسب الرجال يطاوعوني على حربه.

فقلت له: علي المال والرجال.

فقال: دعني، حتى أفكر.

قال: ودافعي، واعتقد في أقبح اعتقاد، ورآني بصورة من يملك طاعة الرجال، في قتال الخليفة، ويمكنه من المال، من عنده، ومن حيلته، ما يرضي به الجيش.

فلما عاودته، قال: يجب أن نقدم المراسلة بيننا وبينه، فإن أنجعت، وإلا كانت الحرب.

فاخترنا للرسال، صاعد بن مخلد، وهو إذ ذاك، من جلة أصحاب الدواوين.

فاستدعاه الموفق إلى حضرته من سر من رأى، فصار إليه، وحمله رسالة إلى المعتمد.

فمضى، وأداها، وأصلح الأمر مع المعتمد لنفسه، وأشار على المعتمد بإطلاق أبي عاجلاً، وضمن له إفساد رأي الموفق فيه، وفيّ، حتى يقبض علينا.

فأقام أبي عند الموفق، والوزارة إليه، فدبر أمر الموفق، ثم عاد صاعد فشرع مع الموفق في الأمر، وأنفذ المعتمد ثقاته سراً إلى الموفق، بما لقنه صاعد، ولم يزل ينسج الأمر، حتى تمت النكبة علينا.

ما في الأرض أشد جناية

على الوزراء والرؤساء من أصاغر أسابهم

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو عيسى، أخو أبي صخرة، واسمه أحمد بن محمد بن خالد، قال: سمعت إسماعيل بن بلبل يقول: ما في الأرض أشد جناية على الوزراء والرؤساء، من أصاغر أسابهم، ولقد قال لي راشد، صاحب جيش الموفق: كنت قد بليت بالنظر في أمر إنزال الرجالة، ومن يجري مجراهم، وكنا نحتاج في كل يوم لذلك إلى ستة آلاف دينار، فما زالت تنقص بالإضافة، إلى أن اقتصر على ما لا بد منه، وكان ثلاثة آلاف دينار.

واعتمد الموفق عليّ في ذلك، لشدة اهتمامه به، لأقوم به - إذا لم يطلق المال - بمالي وجاهي، وحيلتي، فأفقرني ذلك.

وكان عبيد الله بن سليمان، وأبوه، وهما مقيمان " ٣٦ " بالخرصة، يقصداني، ويريثان المال عليّ، فأحفظني ذلك عليهما، واقتصر لي، على ألفي دينار في كل يوم، عاجلة، وألف بحوالا لا تروج، فكنت أحتاج أن أرهن سيوفي، وسروجي، وأدخل كل كدخل، حتى أقيم الأنزال.

ووقعنا لي في بعض الأيام، إلى جهدهما ليث، بمال من مال الأنزال، جعلاه من مال ضياعهما، فتوارى ليث، فبثت الرسل في طلبه، فوجده بعض رجالي، فأوصل إليه التوقيع.

فقال: ما عندي للوزير، ولا لابنه مال.

فقال له: فاحتل، ولو من مالك، فهذا مهم للأمير أبي أحمد.

فقال: وأيش لأبي أحمق عندي؟ فجاءني الرجل بالخبر، فحملني الغيظ عليهما، أن شكوت إلى الموفق هذه الحال، وقلت: قد قال كلاماً لا يجوز إعادة مثله - قبحاً - عليك.

فطالبني بإحضار الرسول، فأحضرتة، فأمره أن يحكي الكلام، فخاف الرسول، فأرهبه، فأعاده عليه بعينه، من غير كناية.

فقال: صدق ليث، لو لم أكن أبو أحمق لما تركت عليه، وعلى أصحابه الأموال، حتى ننظر.

فكان ذلك سبب تعجيل النكبة لهما.

فقال لي الموفق: أريد أن تلزم أصحابك، طلب ليث، وتظهر أنه بسبب هذا التوقيع، وتبث الرجالة، حتى إذا حصل، قبضنا على أصحابه.

فأنفذت عدة، ولم أزل أجتهد حتى حصل.

وجاء سليمان وعبيد الله، من غدٍ، للخدمة على الرسم، فشوغلا في الدار، إلى أن حصل ليث، فلما حصل، قبض عليهما، وأنفذ إلى صاعد، من أحضره، فتقلد الأمر، وسلم إليه ليث.

قال راشد: صرت إلى صاعد مهنئاً له بالوزارة، فقال: قم بنا، لأريك العجب.

فقمنا، واخلونا، ودعا ليث، ورفق به، فلم ينفع الرفق، فقال: عليّ يحيش غلامه، فجيء به، فضربه مقارع يسيرة.

فقال: أنا أدلك على بئر المال.

فقال لليث: هذه البئر مالك، أو مال أصحابك؟ فقال: بل مالي، أنا رجل تاجر.

فأخرجوا من البئر ثمانين ألف دينار، واستخرج بعدها من ليث جملة أخرى كثيرة.

فكانت تلك أحد ما قوى طمع الموفق في آل وهب، واستنصاهم " ٣٧ " .

الأمير الموفق يأمر وزيره الجديد

بتعذيب الوزير المصروف

حدثني أبو الحسين، قال: كنا في مجلس حامد بن العباس، وهو وزير، وكان يتحدث في مجلس العمل كثيراً، فسمعتة يحكي، قال: قال لي صاعد ابن مخلد: لما قلدني الموفق وزارته، شرطت عليه، أن لا أدخل في مكاره سليمان ابن وهب، وعبيد الله ابنه، ولا أطالبهما، ولا أنظر إليهما في مال، ولا ودبة. وقلت للموفق: سليمان اصطنعني، ورفع حالي، وصرفني، وما دخل قط لي في مكروه، ولا دخلت لهما في مثله.

ولم أجب إلى التقليد، حتى صافحني أن لا يلزمني ذلك. فلما تقلدت، وخلع علي، خاطبني في أمرهم بعد أيام، وذكر ضيق المال إلا من جهتهم، فقلت: الشرط أملك، وأنت قادر أن تنصب لهذا كاتباً، وتدبره بنفسك، وبمن ترى من حاشيتك. فعاودني دفعات، وأنا ممتنع، حتى مضى شهر من تقلدي. فلما رأي علي هذه الحال، راسل سليمان، وقال له: إن صاعداً غربي من نفسه، وضمن لي القيام بالأمر، وقد بلح، وليس يذهب ولا يحيى، وهو عدوك وعدو ابنك، وهو سعى بكما، فاضمنه مني، واذكر لي ما عليه من الأموال، وما في جيبه، ومعاييه، والحجج، والتطرق عليه وعلى أملاكه. وكان سليمان محكماً، مجرباً، فأعاد الجواب على الرسالة، بأي إن كنت موثقاً بي، فلا تحتاج إلى ضماني، لأنني أنصح وأستقضي على كل من يجب عليه حق الأمير، إن أعادني إلى خدمته. ودافع عن كتابة الرقعة، وعلم أنها حيلة عليه، لامتناعي عن مكروهه، حتى يجعل الرقعة حجة عليه عندي. فأنفذ الموفق، إلى عبيد الله، مثل هذه الرسالة، واستكتبه ذلك عن أبيه، فكتب عبيد الله، رقعة طويلة، يسعى عليّ فيها، أقبح سعاية، ويضمنني بمال جليل، ويثلبني، وينكل بي. فلما وصلت إلى الموفق، احفظ بها، وغدوت عليه، فخاطبني في تسلمهم، ومطالبتهم، فاستعفيت، وأقمت على الامتناع.

فقال: اقرأ هذه الرقعة، فلما قرأتها، ولم يكن عندي - إذ ذاك - علم كيف جرت الصورة، وإنما " ٣٨ " انكشفت لي بعد ذلك المجلس، قامت قيامتي، وخفت على نفسي، من معاجلة الموفق، متى لم أعجلهم، ولم أشك أن ذلك القول صحيح من عبيد الله، وأن الموفق قد أنعم عليّ بإطلاعي عليه.

فاستجبت إلى تسلمهم، وناظرهم، وألزمهم الأموال العظيمة، واستمرت النكبة عليهم.

سبيل الإنسان في الخن

أن يطأطي لها

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا الحسن علي بن عيسى، يقول: سمعت عبيد الله بن سليمان، يقول: لما دخل صاعد بن مخلد، علي وعلى أبي، لينظرنا، ونحن في حبس الموفق، قمنا، وتلقيناه. فخاطب أبي بجميل، وأكرمه، وتجهمني بقبيح، وجعل لا يخاطبني إلا باسمي، ويقول: يا عبيد الله.

فلما أكثر عليّ، آلمني ذلك، قُلت له: أنا عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد، نتصرف في خدمة السلطان، منذ خمسين ومائة سنة، ونتقلب في جلائل الأعمال، أنت صاعد بن مخلد، مخلد من أبوه؟ فكان هذا من أكبر ما أحفظه علي، حتى تناهى في مكارهي. وكان أبي يلومني على ذلك، ويقول: سبيل الإنسان في الخن أن يتطأطأ لها، ويذل لوقوعها، ولا يغالبها. ولم تكن نفسي، أنا، تطاوعني على ذلك، وكان من أضر الأمور عليّ، وكان الحزم مع أبي دوني.

حفلة تعذيب بمحضر الوزير

قال أبو الحسين: حدثني أبو الحسن محمد بن محمد بن حمدون الواسطي، صاحب حامد بن العباس، وخليفته، قال: قال لي حامد: كان صاعد بن مخلد، أول من قلدي العمالة، رياسة، فقال لي في بعض الأيام: احضر دار الأمير الموفق، فحضرتهما معه.

فجلس في مجلسه منها، واستدعى على خلوة، سليمان بن وهب، وابنه عبيد الله، وهما منكوبان. فرأيت سليمان، وقد خرج بطيلسان، وخف، ومبطنة، وابنه حافٍ مكشوف الرأس، على أذل صورة. فأكرم الأب، وأسمع الابن المكروه، إلى أن دعا له بالمقارع، فأخذ سليمان يستعطفه كل الاستعطاف، وهو لا يثنى، ويقول له: إذا صنتك يا أبا أيوب عن مثل " ٣٩ " هذه الحال، فلا أقل من أن تدعني أنتقم من هذا الجاهل، الفاعل، الصانع.

قال: وأقبلت المقارع تأخذ عبيد الله، وسليمان يستعطفه. فلما زاد الأمر، قال له سليمان: يا كافر، يا فاجر، أما تستحي؟ إنا اصطنعناك، وأقعدناك هذا المقعد، تضربه بين يدي، سبة عليك.

قال: فاستحيا، وأمر بقطع الضرب، فما ضرب بعدها عبيد الله بحضرته، وواضع الموفق بعد ذلك، على أن يكون الضرب بحضرته، بأيدي غلمان، في داره. فحرض الموفق عليهما، حتى فكهما عقوبة وضرباً.

وحفلة تعذيب بمحضر الأمير

فحدثني أبو علي بن مقله، في نكبته بعد الوزارة الثالثة، وهو في دار أبي بكر بن قرابة، لما يؤديه، ضمنه عنه ابن قرابة، وشكا ما عامله به الخصمي من المكروه، ثم قال: سمعت أبا الحسن بن الفرات، يقول: سمعت أبا القاسم عبيد الله بن سليمان، يقول: أخرجت وأخرج أبي في نكبتنا، في بعض الأيام، بواسط، إلى حضرة الموفق، وقد نصبت له سبينة، فجلس وراءها، ونحن نعلم بذلك.

ودعا براغب، فأمره بضربنا، ف ضرب أبي نيفاً وعشرين مقرعة، ثم دعي بي، فوظرت، ثم أمر بضربي. فإلى أن استدعى لي من يضربني، قال أبي لراغب: الذي نحن فيه يستطاب معه الموت، وما أقول ما أقوله دفعاً عن نفسي، ولا عن ولدي، وإنما أقوله شفقة على الأمير، فأعلمه: أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل، ذبح

سخله، بحضرة أمها فخط من ساعته.
قال: فوالله، ما مضى راغب ليؤدي الكلام، حتى جاءت الرسل من عند الموفق، بأن يرفع الضرب عنا، وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبينة.
فما عاد بعدها علينا مروه.

أبو زكريا السوسي يرى مناما

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسي، المعروف بخلف، ومحلّه، في اليسار، والجلالة، والمكنة من السلطان، والاشتهار بالدين، والثقة، والصدق، والأمانة، وصحة الرأي، مشهور، وكان نصرانياً في حديثه، فأسلم، وحسن إسلامه، قال: رأيت في منامي - يعني بعد إسلامه - علياً عليه السلام، وكأنه جالس ومعه جماعة " ٤٠ " من أصحابه، والقرب منه، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ومعهما جماعة.

قال: فسألته، قلت: يا أمير المؤمنين، ما عنك في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيراً كثيراً.
قلت: فلم لم تجلس معهما؟ فقال: حياءً منهما لما يعمل بهما الرفضة.

حفيد يزيد بن هارون

يرى جده في المنام

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي المعروف بنفطويه، في مسجد الرصافة، إملاء في سنة ثمان وثلاثمائة، قال: حدثنا ابن بنت يزيد بن هارون، ولم يسمه، وكذا أُملي علينا، قال: رأيت جدي يزيد في النوم، فقلت، ما فعل الله بك؟ ومنكر ونكير ما قال لك؟ قال: قال لي: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فقلت: ألي يقال هذا؟ وأنا أعمله الناس منذ ثمانين سنة؟ فقالا لي: ثم نومة العروس، فلا يؤسى عليك.

وعاتبني ربي، على كتابي عن عثمان بن جرير، فقلت: يا رب، عبدك وما أعلم إلا خيراً.
قال: إنه كان يبغض علياً عليه السلام.

ابن الفرات وأحد طلاب الوزارة

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو الحسن بن الفرات، قال: دخل عليّ المقتدر يوماً، وأنا في حبسه، في وزارة حامد، فقال لي: يا أبا الحسن، أتعرف الحسن بن محمد الكرخي الكاتب؟ فقلت: نعم.
قال: أي شيء هو من الناس؟ قلت: عامل، له محل، ويفهم في الحساب شيئاً، وهو من صنائعي، ووجوه

عمالي، وقد كان قبل، تقلد عمالات لعبيد الله بن سليمان، وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي، وهو من أهل بيت.

قال: فقال لي: إنه قد كتب إلي يخطب الوزارة، ويتضمن بحامد، وبعلي بن عيسى. قال: فقلت له: ولا كل هذا يا أمير المؤمنين، إن هذا، إنما طمع في الأمر لما رأى حامداً قد تقلد الوزارة، ولعمري إنما قد اتضعت بتقلده، وطمع فيها كل أحد، ولعمري أنه فوق حامد، أولاً في العفافة، وحفظ اللسان، والحساب والخط، ولكن ليس لأنه فوق حامد، يجب أن يقلد الوزارة، ولا لأن الغلط جرى في أمر حامد، يجب أن يقلد هذا، على أنه غلط في ظنه أنه يصلح لصرف حامد، لأن حامداً رجل قديم في الرياسة في العمال، وله مروءة عظيمة، وضياح كثيرة، وغلمان كثيرون العدد، وله هيبة " ٤١ "، وسطوة، وسن، ونشأ بعيداً عن الحضرة، فلم تستشف أخلاقه، وأفعاله، فانستر أمره عن أهلها، وله كرم يغطي كثيراً من معاييه، وترك الأمر في يده، ويد علي بن عيسى، وهو لا يلحق بعض كتابه، فضلاً عنه أولى، وإني لأقول الحق فيهما، على عداوتهما لي.

قال: فأضرب المقتدر عن تقليده.

قال هشام: ثم تم التدبير لأبي الحسن، في الوزارة، وصرف حامد، فحين جاءه الحسن بن محمد الكرخي، أبو أحمد، ذكر تلك الحال التي حدثت بها المقتدر، فهاب الحسن بن محمد، على الأمر، ورآه بعين رجل بعيد المهمة، وعرف تقلب رأي المقتدر، فرأى أن يحسن إلى الحسن بن محمد، ويبيعه عن الأعمال، فقلده الموصل، وأخرجه إليها صارفاً لابن حماد. فانفتح الكرخي بذلك الشروع.

الحسن بن محمد الكرخي

وكمال مروءته

قال أبو الحسين: فكنّا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات، وهو يعمل، وأنا مع أبي، والجلس حافل، حتى قرأ كتاباً من صاحب بريد الموصل، يذكر فيه، أن أبا أحمد، قد تبسط في الأعمال، وأظهر من المروءة أمراً عظيماً، وركب باللبود الطاهرية، وبعلة حجاب وغلمان، حتى أنه يسير معهم في موكب، وأنه ورد معه من الزواريق والجمال التي تحمل أثقاله، شيء كثير، وأن هذا ما لا يحتمله رزقه، وإنما هو من الأصل. فرمى بالكتاب إلى أبي القاسم زنخي، الباقي إلى الآن - وكان إذ ذاك حدثاً يخط بحضرته - وقال له: وقع عليه، ليكتب إليه، ويعرف، أنه نفع الرجل من حيث تعمد ضره، لأنه إذا كان في مثل هذا الصقع، عامل وجيه، جليل، كثير التجميل، والهيبة، والمروءة، صلح أن يبادر به السلطان، إلى مصر، وأجناد الشام، متى أنكر على عمالها أمراً، لأن هذه النواحي، لا تصلح إلا لمن كان حسن التجميل، والمروءة، كثير النعمة.

راتب عامل فارس

ثلاثة آلاف دينار في الشهر

ثم أقبل على من في مجلسه، فقال: حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان: أن المعتضد، رفع إليه خبر، رفعه النوشجاني، صاحب يريده، يذكر فيه: أن الأخبار ذاعت ببغداد، بأن حامد بن العباس، لما دخل فارس، متقلداً لعمالتها، دخل ومعه عدد " ٤٢ " كثير عظيم، من الغلمان والحاشية. قال: فتحيرت، لما دفع الكتاب إلي، وخفت أن يكون قد أنكر ذلك، ويقع له، أن هذا اصطلام للمال، ودخلي فرع منه، فلم أدر بأي شيء أجيب.

فقال لي: يا أبا القاسم، وقد كان كناه أول ما استوزره، وكان يتكنى على الناس إلا على بدر، وصاحب خراسان، وكان هو وبدر يتكاتبان بالكاف، والدعاء بينهما سواء. قال المعتضد: يا أبا القاسم، قرأت الكتاب؟ فقلت: نعم. فقال: قد سرتني ما ذاع من مروءة حامد، وهيبته بذلك في نفوس الرعية، فكم رزقه؟ فقلت: ألفان وخمسمائة دينار في الشهر. فقال: اجعلها ثلاثة آلاف، ليستعين بها على مروءته. المعتضد يعني عاملاً من المطالبة

لما ظهر من مروءته

قال: ثم قال أبو الحسن بن الفرات، عقيب هذا: وقد فعل المعتضد، قريباً من هذا، مع أبي العباس أحمد بن بسطام، فإن المعتضد، طالبه، بعجز ضمانه واسط، وحبسه في دار ابن طاهر، وألزم سبعين ألف دينار يؤديها، فكان يصحبها على جميل، وهو موكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر، وأصحاب عبيد الله يطالبونه، ويقتضون المال.

فكتب النوشجاني، صاحب الخبر، فيه: أنه كان يفرق في أيام ولايته، في كل شهر، عشرين كراً، حنطة ودقيقاً، على حاشيته، وعلى المستورين والفقراء، وأنه فرق في هذا الشهر الأكرار على رسمه، ولم يقطعها، وهو مع ذلك يماطل بأداء ما عليه.

فلما دخل عبيد الله على المعتضد، أراه الرقعة، فسكت عبيد الله، فقال له المعتضد: قد سرتني هذا، لأن ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروءة، وكثرة المعروف، وقد جملنا بما قد فعله، حين لم يظهر أن ما قد ألزمناه أحوجه إلى الزوال عن عادته في المعروف، فكم بقي عليه؟ قال: بضعة عشر ألف دينار. فقال: أسقطها عنه، وردة إلى عمله، وعرفه إجمادي ما قد فعله. فامتثل عبيد الله ذلك.

علو نفس الحسن بن مخلد

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا عبيد الله أحمد بن محمد بن بدر ابن أبي الأصبع، يحدث أبي، قال: كنت أتصرف مع سليمان بن وهب، لقراءة كانت بيننا من جهة النساء، وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة، حتى أنه كان يطحن الزعفران في داري، كما يطحن الناس الدقيق " ٤٣ " ، لكثرة ما كان يجيئنا من الجبل، ونستعمله، ونهديه.

فولي سليمان ديوان الخراج، فكنت أحد عماله فيه، فوقعت بيني وبين ابنه عبيد الله، نفرة، فلزمت منزلي أياماً.

فما شعرت إلا برقعة الحسن بن مخلد، يستدعيني وهو يتولى ديوان الضياع، وكانت بينهما مماطة، فمضيت إليه، فقال لي: أنت معطل ولا تصير إلي؟ وقد انفصل ما بينك وبين أبي أيوب؟ فقلت: يا سيدي، كيف ينفصل ما بيننا، مع القراءة؟ ولكن بيننا عتب.

فقال: دع ذا، أنت معطل، وما تبرح حتى أقفلك عملاً.

قال: وأراد اجتذابي لناحيته، وكان الناس - إذ ذاك - يتغايرون على الكفاة.

فقلدني أعمال السيب الأسفل، وقسين، وجنبلا، وكانت تجري في ديوانه، فقبلتها.

وخرجت إليها، وكان الأرز قد قارب الإدراك، فقدرته، وعدت إلى سر من رأى، لأشرح له حال التقدير، وأستأمره في العمل.

فلما بصر بي قال: قد قدمت على فاقة مني إليك، قد تأذيت بالفلاحين، وأريد لهم عشرة آلاف دينار سلفاً لما يقيمونه في جبل بأسورين من الثلج.

فقلت له: الأرز خافور، وما بلغ إلى أن يحرز.

فقال: لا بد من أن تستفرغ جهدك، وحيلتك، في هذا، حتى تخفف عني.

وكان، أول خدمة، فاحتجت أن أضطرب، لأصنع نفسي عنده، فخرجت مفكراً فيما أعمله.

فالقبلي، لقيني رجل من وجوه التجار في الطريق، وكانت بيننا مودة، وكان موسراً، وكان جميع متجره غلات السلطان، فبدأني بالعتاب على تركي مبايعته شيئاً بالسلف من غلات عملي.

فاجتذبتني إلى منزلي، وقلت: البيت لك، فاحتفل، ولو رأيتك ما عدلت عنك.

قال: فأقام عندي يومه، ولم أزل حتى بعته بحساب الكر الأرز المعدل، بسبعة دنانير، وكنت قد قفرت

الحاصل فيه للسلطان، ثلاثة آلاف كر معدل، وسثيت عليه في كل كر ديناراً، وأخذت خطه بضمانة

تعجيل عشرة آلاف دينار، لمن يؤمر بأدائها إليه.

ورحت إلى دار الحسن بن مخلد، فوجدته نائماً، والناس " ٤٤ " مطرحون في داره، ثم دخلت إليه، وشرحت

له الصورة، فسر بها، وأمر بإحضار صاحب مجلس النفقات في الديوان، وسلم الرقعة إليه، وقال: أحل

الفلاحين على هذا التاجر.

فلما خلا مجلسه، تقدمت إليه، وعرفته خبر الاستثناء، وأريته الخط، وقلت: إلى من أسلم المال، إذا قبض؟

فلم يجيني، فألححت عليه.

فقال لي: يا هذا، إنك صحبت قوماً، لا مروءة لهم، فتعودت منهم، أن تعطوا نفوسهم إلى مضايقة خدمهم في هذا القدر، وما هو أنفه منه، وإذا أخذت أنا هذا المرفق، فأنت لم تخلمني، وتتبعني؟ خذ هذا، وأصلح به حالك، ليبين عليك أثر خدمتك لي.

فقبلت يده، ورجله، وعدت إلى عملي، واستخرجت المال، ودبرت العمل. وحضر بعد مديدة، النوروز، وقد كنت مذخرت من حضرته، سألت ثقات إخواني من التجار في الأسواق، أن يجمعوا لي كل علق، حسن، غريب، طريف، مثنى، من فرش ديباج مثقل، وأبي قلمون مذهب، ووشي، وديقي مرتفع، وقصب.

قال: فجمع لي من ذلك، ما كان شراه خمسة آلاف دينار، وهو يساوي أكثر منها بكثير. ثم كتبت إليه رقعة في معنى الهدية، وتضرعت في قبولها، وتشبثت بذلك، وكتبت ثبت الهدية، في أسفل الرقعة.

فكتب إلي فيها: لك أكرمك الله، بنات، وهن إلى هذا أحوج مني، وقد قبلت ما يصلح قبوله أنساً بك، وإسقاطاً للحشمة معك، ورددت إليك الباقي، ليكون لهن. وكان الذي قبله، ثوب قصب، ومنديل ديبقي، وشستجة قصب.

الوزير علي بن عيسى يرفع التكملة

ويضع الخراج على الشجر

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا عبد الله الباقي، يقول: وحكى لي أبي ذلك، قالوا: إن السجزية لما غلبوا على فارس، أجلي قوم من أهل الخراج عنها، لسوء المعاملة، ففرضوا خراجهم على الكوجودين، وسما ذلك: التكملة، حتى يكمل به مال قانون فارس - كان - متقدماً. ولم تزل الحال في ذلك، تزيد تارة، وتنقص أخرى، إلى افتتاح أبو الحسن بن الفرات، في وزارته الأولى، فارس، على يد وصيف " ٤٥ " .

ومحمد بن جعفر العبرتائي، ومن ضمه إليهما من القواد في سنة ثمان وتسعين ومائتين. فأمر ابن الفرات، بإجراء الأمر في التكملة، على ما كان جارياً عليه. وجرى الأمر على ذلك، في أيام محمد بن عبيد الله الخاقاني، وفعله علي بن عيسى، في صدر وزارته الأولى. فلما مضت منها مديدة، صار إلى مدينة السلام، عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي، وطعن على محمد بن أحمد بن أبي البغل، وكان - إذ ذاك - يتقلد فارس، وذكر أنه إن ضمن العمل مكانه، وفر جملة من المال، فضمنه علي بن عيسى، وانصرف ابن أبي البغل عما كان يتقلده أمانة، وقلده أصبهان.

ثم أخرج عبد الرحمن بن جعفر المال، واحتج بأن أهل فارس يتظلمون من التكملة، ولا يلتزمونها. وكان أبو المنذر النعمان بن عبد الله، يتقلد ديوان كور الأهواز، مجموعة، فكتب إليه علي بن عيسى، أن يستخلف على أعماله، وينفذ إلى فارس، فيطالب عبد الرحمن بما حل عليه من المال، وينظر في هذه التكملة،

ويشرح أمرها.

وكتب إلى أحمد بن محمد بن رستم بأن يصير من أصبهان إلى فارس ليضمنها.

وكتب إلى النعمان، بحل ضمان عبد الرحمن، وعقد البلد على ابن رستم.

فاستخرج النعمان التكملة، ووجد قطعة منها على عبد الرحمن، قد قذر أن يكسرها، فعسفه، وباع قطعة من أملاكه، حتى استوفى ذلك.

وكتب إليه علي بن عيسى يسأله عن التكملة، وأن يشرح له أمرها، وأنه قد صار يستضعف قوم فيلزمون منها أكثر مما يجب عليهم، ويرهب قوم، فيساحون بها، أو بأكثرها.

فكتب إليه النعمان وابن رستم: إن من طرائف ما يجري بفارس، أن الناس يطالبون بالتكملة، وهي ظلم صراح، سنة الخوارج، ويترك عليهم ما قد أوجبه الفقهاء، وهو خراج الشجر، لأن فارس افتتحت عنوة، وليس على الشجر بها خراج، وأرباب الشجر يذكرون، أن المهدي أسقط عنهم خراج الشجر، وليس لهم حجة بذلك، إلا طول مدة الرسم، والأصل وجوب الخراج على الشجر.

فتسامع أهل البلد بالخبر، فتبادر أجلاؤهم إلى حضرة علي بن عيسى من فارس، فدخلوا مجلسه للمظالم " ٤٦ " ، وفي أكمامهم حنطة محرقة.

فلما تظلموا، قالوا له: نمنع من إطلاق غلاتنا، وتعتقل علينا في الكناديج، إلى أن تعفن وتصير هكذا - ورموا بالحنطة المحرقة من أكمامهم - حتى نبيع شعورنا، ونؤدي التكملة الباطلة، حتى تطلق غلاتنا وقد احترقت هكذا.

ورمى قوم من أكمامهم بتين يابس، وخوخ مقدد، ولوز، وفستق، وبندق، وغبيراء، ونبق، وبلوط، وقالوا: هذا كله بغير خراج، لقوم آخرين، والبلد عنوة، فأما تساويننا في الإحسان أو الاستيفاء.

فخاطب علي بن عيسى، في ذلك، الخليفة، واستأذنه في جمع الفقهاء، والقضاة، ومشايخ الكتاب، ووجوه العمال، وجلة القواد، ومناظرة القوم بحضرته، وتقرير الأمر على ما يوجب الحق - عند الجماعة - والعدل، فأذن له في ذلك.

فجمع الناس في دار المخرم، التي كانت برسم الوزارة، وصيرها علي بن عيسى ديواناً، وطالت المناظرات، واحتج من حضر من أرباب الشجر، بفعل المهدي، وقالوا: قد استهلك أموالنا، في أثمان هذه الأملاك التي لا خراج عليها، وإن ألزمت الخراج، بطلت القيم، وافترقنا: فافتي الفقهاء بوجوب الخراج، وبطلان التكملة.

وقال الكتاب: إن كان المهدي، شرط شرطاً، لمصلحة في الحال، أو عناء اعتناء أهل البلاد، في جذب أو غيره، ثم زالت المصلحة، زال الشرط.

فقال علي بن عيسى للقوم: أليس عندكم أنا ما فعله المهدي واجب؟ قالوا: بلى.

قال: لم؟ أليس لأنه إمام رأى رأياً ليس فيه مضرة؟ قالوا: بلى.

قال: فإن أمير المؤمنين، وهو الإمام الآن، قد رأى أن الأحوال للمسلمين، والأحفظ للكافة، إلزام الخراج

الشجر، وإزالة التكملة.

فقام إليه الزجاج، ووكيع القاضي، فوصفاه، وقرضاه.

وقال الزجاج: لقد حكمت بحكم، لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حاضراً، ما تجاوزته.

وقال وكيع: لقد فعل الوزير في هذا، كفعل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، في مطالبة أهل الردة بالزكاة.

وأخى علي بن عيسى، والقضاة، ما جرى، إلى المقتدر، في يوم الموكب، واستأذنه في كتب كتاب بإسقاط التكملة عاجلاً، إلى أن يتقرر أمر الشجر.

فأمر بكتب ذلك " ٤٧ " في الحال بمحضته، وأحضر قائداً من قواد الحضرة، كان يخلف بداراً الكبير، المعروف بالحمامي، عامل المعاون، بفارس وكرمان، ليسلم إليه الكتاب، ويطلب النعمان، وابن رستم بامتثاله.

وأمر الخليفة بإحضار دواة يكتب بها علي بن عيسى، وكان رسم الوزراء، إذا أمروا بكتب كتاب بمحضرة الخليفة، أن تحضر لهم دواة لطيفة، بسلسلة، فيمسكها الوزير بيده اليسرى، ويكتب منها باليمنى.

فأحضرت تلك الدواة، لعلي بن عيسى، وبدأ يكتب منها الكتاب بغير نسخة.

فلما رآه المقتدر، وقد شق عليه ذلك، أمر بإحضار دواته، وأن يقف بعض الخدم، فيمسكها إلى أن يكتب فكان أول وزير أكرم بهذا، ثم صار ذلك رسماً جارياً للوزراء، بمحضته.

فكتب علي بن عيسى، في ذلك كتاباً إلى النعمان، وخرجت نسخته، إلى الديوان، وأثبت فيه.

قال أبو الحسين: فحفظناه ونحن أحداث، ونسخته: بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله جعفر، الإمام المقتدر بالله، أمير المؤمنين، إلى النعمان ابن عبد الله.

سلام عليك، فإن أمير المؤمنين، يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن أفضل الأعمال قدراً، وأجملها ذكراً، وأكملها أجراً، ما كان للنفق جامعاً، وللهدى تابعاً، وللورى نافعاً، وللورى رافعاً.

قود جعل الله - عز وجل - أمير المؤمنين، فيما استرعاه من أمور المسلمين، مؤثراً لما يرضيه، صابراً على ما يزلفه عنده ويحطيه، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه يتوكل، وبه يستعين.

وقد عرفت حال السجزية والخرمية، الذين تغلبوا على كور فارس وكرمان، وأحدثوا الجور والعدوان،

وأظهروا العتو والطغيان، وانتهكوا الحرام، وارتكبوا المظالم، حتى أنفذ أمير المؤمنين جيوشه إليهم، وتورد بها عليهم، فأزالهم وبددهم، وشتتهم وأبادهم، بعد حروب تواصلت، ووقائع تتابعت، أحل الله بهم فيها سطوته

" ٤٨ "، وعجل لهم نعمته، وجهلهم عبرة للمعتبرين، وعظة للمستمعين، " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد " .

ولما بحق الله أمر هؤلاء الكفار، وفرق عدد أوباشهم الفجار، وجد أمير المؤمنين، أقطع ما اخترعوه، وأشنع

ما ابتدعوه، في مدقمهم التي طال أمدها، وعظم ضررها، تكملة اجتنبوها بكور فارس، في سني غايتهم، لما

طالبوا أهلها بالخراج على أوفر عبرتهم، من غير اقتصار به على الموجودين، حتى فضوا عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين.

فأنكر أمير المؤمنين، ما استقر من هذا الرسم الذميم، وأكبر ما استمر به من الظلم العظيم، ورأى صيانة دولته، عن قبيح معرفته، وحراسة رعيته، من عظيم مضرتة، مع كثرته، ووفور جملته.

فرفع عن الرعية هذه التكملة رفعاً مشهوراً، وقد جعل الله تعالى من سننها مدحوراً، ونادى في المساجد الجامعة يازاتها، وإبطال جبايتها، ليرتفع ذلك في الجمهور، ويتمكن السكون إليه في الصدور، وتحمد الله الكافة على ما أتاحتها من تعطف أمير المؤمنين ورعايته، وجميل حياطته لهم وعنايته. وكتب ما يكون منك في ذلك، فإن أمير المؤمنين يتوكفه، ويراعيه ويتشوفه، إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب علي بن عيسى يوم النصف من رجب سنة ثلاث وثلثمائة.

الوزير علي بن عيسى

يأمر بالرفق في الجباية

وقد كان علي بن عيسى، قبل ذلك بسنة، نظر لأهل التكملة من جملتها في شيراز، بعشرة آلاف درهم، قبل أن يخرج في السنة المقبلة، خراج الشجر، ثم تقرر أمر الشجر على أن يؤخذ منه الخراج، ويقارب أهله فيه، على طسوق توضع لهم مخففة، وكان النعمان رقيقاً يقاربهم، حتى عاد يازاء ما أسقط من مال الضمان في التكملة، أكثره على التدريج.

فكتب علي بن عيسى، في أمر الشجر، كتاباً كنا نتحفظه في الحداثة من الدار، نسخته إلى ابن رستم، لأن النعمان عاد إلى بغداد، واستخلف بفارس أبا مسلم، محمد بن بحر، وضمن البلد من ابن رستم، وجعل أبا مسلم، مستوفياً عليه للمال: بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى أحمد بن محمد بن رستم " ٤٩ " ، من عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله، أمير المؤمنين.

سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن الله تعالى بعظيم آلائه، وقديم نعمائه، وجميل بلائه، وجريل عطائه، جعل أموال الفيء للدين قواماً، وللحق نظاماً، وللعز تماماً، فأوجب للأئمة حمايتها، وحرم عليهم إضاعتها، إذ كان ما يجتنب منها، عائداً بصلاح العباد، وحراسة البلاد، وحماية البرية، وحياطة الحوزة والرعية، ولذلك، يعمل أمير المؤمنين، فكره ورويته، ويستفرغ وسعه وطاقته، في حراستها وحياطتها، وقبض كل يد عن تحيفها وتنقصها، والله ولي معونته، على جميل نيته، وحسن طويته، بمنه ورحمته.

ولما فتح الله عز وجل، كور فارس على المسلمين، وأزال عنها أيدي المتغلبين، وجد أمير المؤمنين أهلها، قد

احتالوا في إسقاط خراج الشجر بأسره، مع كثرته وجلالة قدره، فأمر بإشخاص وجوهم إلى حضرته، واتصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته وخاصته، إلى أن اعترفوا به مذعنين، والتزموه طائعين، وضمنوا أداء ما أوجبه الله تعالى فيه من حقوقه، على ما تقرر معهم من وضائعه وطسوقه، فطالب بخراج الشجر، في سائر الكور، على استقبال سنة ثلاث وثلاثمائة، فاستخرجه، واستوف جميعه واستظفه، واكتب بما يرتفع من مساحته، ويتحصل من مبلغ جبايته، متحرراً للحق، متوخياً للرفق، إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب علي بن عيسى، يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة.

إذا تم أمر بدا نقصه

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصبي، وهو ابن بنت إبراهيم بن المدبر، قال: حدثني أبو الفضل صاعد ابن هارون بن مخلد بن أبان، قال: حدثني عدة من جلة الكتاب، عن كاتب كان يخلط بين يدي المورياني، وهو وزير المنصور، قال: كنت يوماً بحضرته على خلوة، فدخل عليه حاجبه، وقال: بالباب رجل يذكر أنه يريد أن يلقي إليك شيئاً مهماً.

قال: اسمع منه ما يقوله، وأده إلي.

قال: قد سمته ذلك فأبى، وبذلت أن أخرج إليه كاتباً فامتنع من ذلك، وقال إما أن أصل إليه، أو أنصرف " ٥٠ .

قال: فما زيه؟ قال: زي التناء.

قال: هاته.

فأدخله، فلما وصل، استأذنه في السرار، فأذن له، فدنا إليه، فأطال سراره، ثم دعا بخازنه، فقال: خذ ما يدفعه إليك.

ثم قال لي: قم، فاكتب بكل ما يريد، على إملانه، وإن التمس توقيعني في شيء منه، فأنفذه إلي مع غلامك.

قال: قهمت، فكبت له بما أملاه، وعدت، فعرفته إزاحتي علته فيما طلبه، فجعل يبكي بكاء شديداً.

فسألت غلمانه: هل ورد بعدي شيء يكرهه.

فقالوا: لا.

فقلت: يا سيدي، ما هذا البكاء؟ وكنت آنساً به.

فقال: إن هذا الرجل لقيني منذ أكثر من سنة، وذكر أنه من بني البختكاني وذكر كبر نعمته - وأنا بهم عارف -، ووصف أن العمال يتحيفون، ويستضعفونه، وسألني أن أوقع اسمي على ضيعته، وأظهر أنني قد استأجرتها منه، وأكاتب العمال، ووكلائي بذلك، وأن تقر يده فيها، إذ كنت قد وثقت به على ذلك، وبذل لي النصف من ارتفاعه، بعد المؤونة، حالاً.

فوافقته على ذلك، وكتبته له بما أراد، ومضى.

ولم تبغ نفسي الاستقصاء عليه، ولا الاستظهار، ولا مضايقته، وقلت لعله أراد الانتفاع بجاهي، فلا أحرمه إياه، فإن وفي، وإلا كان ذلك من زكاة الجاه.

ثم أنسيت أمره، فما ذكرته حتى رأيت الساعة، فأعلمني أنه يتردد منذ مدة إلى الباب، فلا يصل، وأعلمني أنه قد حصل لي من ذلك، مائتا ألف درهم، وأوقفني على حساب رفعه، واستأذني في تسليم المال. وسألني تجديد الكتب، بمثل ما كنت كتبت به إليهم في السنة الماضية، في أمر هذه الضياع. فتقدمت إلى خازني، بقبض المال، وتقدمت إليك، فكتبت عني بذلك، فأنا أبكي لهذه الحال. فقلت له: يا سيدي، فأني شيء في هذا مما يبكيك؟ فقال: ويحك، ويذهب هذا عليك، مع طول ملازمتي وخدمتي؟ قد كنت عندي، أنك تحنكت بخدمتي، أمر يكون هذا من إقباله، فكيف يكون إدباره؟ قال: فما بعد أن قبض عليه المنصور، ونكبه، واستصفى ماله، وأموال أهله، وقتله. قال أبو الحسين عبد الواحد بن محمد: فحدثت بهذا الحديث، أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات، وأبا الحسن علي بن " ٥١ " عيسى، كل واحد على الانفراد، في وقت مفرد، فكل واحد منهما أفرط في استحسانه، حتى سأل أن أمليه عليه، فكتبه عني بخطه.

الجزء من جنس العمل

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب، المعروف بابن أبي عمر، كاتب الحسن بن الفرات، وكان ممن تقلد بعد آل الفرات، عدة أعمال جليلة، ودواوين عظيمة، حتى تقلد الأزمة، صاراً للخصيي، في أيام ابن رائق، وقتل بديار مضر، قتله عمار القرمطي. وقد كان أبو الحسن، متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق، فأغار عليها عمار، ليتملكها عاصياً، فطالبه بالمال لأصحابه.

فقال: ما معي شيء، ولو قتلني، وصلبني.

فقال: عليّ أن أفعل بك ذلك.

فقتله، وصلبه، في يوم عيد الفطر من سنة تسع وعشرين.

قلم يزل ابن رائق، يحتال على عمار، حتى حضر مجلسه، وتركه أياماً مع جيشه، ثم قبض عليه، وبحضرته وجوه الأتراك المستأمنة إلى ابن رائق بالشام، ومن أصحاب بحكم، فأمرهم بدقه بالأعمدة.

فلما كاد أن يموت، قال: أذيقوه حد السيف، فأخذ رأسه، وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن أبي عمر.

الخليفة المهدي ووزيره أبو عبيد الله

قال أبو الحسين: فحدثني أبو الحسن بن أبي عمر هذا، قال: حدثنا أبو عبد الله حمد بن محمد القنائي، ابن أخت الحسن بن مخلد، قال: حدثني أبو محمد خالي، قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن العباس الصولي،

يقول: حدثت عن المأمون، عن الرشيد، أنه سمع المهدي يقول: بعد زوال أمر أبي عبيد الله عن الوزارة، واقتصاره على ديوان الرسائل، وعلى الجلوس في منزله، وتفويض الأمر إلى يعقوب بن داود : ما رأيت أحزم، ولا أفهم، ولا أكفأ، ولا أعف، من أبي عبيد الله، ولقد كنت أحبه، مع إجرائي إياه مجرى الوالد، وكنت أجتهد به أن يدعوني إلى داره، فيمتنع، ويزعم أنه لا تتسع همته، ولا نعمته، لذلك. إلى أن اعتل علة عظيمة، فتمادت الأيام به، ولم أعد، إلى أن كتب إلي باستقلاله، وأنه قد عمل على الركوب إليّ، بعد يوم أو يومين، فسابقته، وركبت إليه في خوف من غلماني وخاصتي. فلما دخلت إليه، قلت له: قد كنت أجتهد بك أن تدعوني " ٥٢ " ، فتأي، والآن، قد جئتك جامعاً للعبادة، والتهنئة بالعافية، والدعوة.

فقال: والله، يا أمير المؤمنين، ما لي طعام، ولا غلمان، ولا زي يصلح لدعوتك. فقلت: قد فرغت لك من ذلك، وتقدمت إلى غلماني، بحمل الآلات، والطعام، والأشربة، وجميع ما يحتاج إليه، وإنما أردت تشريفك، والأنس بك. قال: وجاء الغلمان، بآلات، وفرش لي، وجلست، وهو معي، فأكلنا، وجعل يتحفني من منزله، بالفاخر من الفرش، والآنية، والآلات هدية لي، كما يفعل الناس، فأخذت كلما يحمله من أحسن شيء، وأجمله، وأرشفه، فازداد ابتهاجاً به.

ثم دعوت بالشراب، فلما شربت ثلاثة فقط، عملت على الانصراف. فلما أحس بذلك، قال لي: أريد أن أبكي، وأنا أتطير أن أبكي بعد انصراف أمير المؤمنين، وأنا استأذنه في البكاء بحضرته. قال: وتحذرت دموعه عقيب الكلام، فبكى بكاء شديداً. فقلت له: يا هذا، أنا أعلم أن فيك شحاً، تسميه حسن التدبير، وما يحسن منك أن تبكي، فإن كان ندماً على ما أهديته، فهو مردود بلا شك.

قال: فحلف بأيمانٍ عظيمةٍ، وانزعج انزعاجاً شديداً، أنه ما بكى لذلك. وقال: كيف أبكي على ما سبيلي أسره، حيث جعلتني أهلاً لقبوله؟ قال: فقلت: فلم تبكي؟ قال: لم تبق مرتبة تنال، إلا وقد نلتها، وبلغتها، بفضل أمير المؤمنين، وتطوله، حتى انتهت بي الحال، إلى أن وصلت، من مال أمير المؤمنين، بأمره، وعن أمره، في ليلة واحدة، وهي ليلة ورد الخبر بوفاة أمير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه، وأخذت بيعة ثانية لأمر المؤمنين على الناس، بعشرة آلاف ألف درهم، وفي هذه العلة، تصدقت بجميع ما في خزانتي من المال، وكان أربعة آلاف ألف، بعد أن استأذنت أمير المؤمنين، فأذن لي، ولم يكن بقي، إلا أن يعودني أمير المؤمنين في علة، أو يهنئي بحال متجددة، أو يصير إلى دعوتي، فلما كان اليوم، جمع أمير المؤمنين لي ذلك، فعلمت أني قد بلغت النهاية، وأنه ليس بعدها إلا الانحطاط، فبكيت لذلك " ٥٣ " . قال: ففرقت له، وعلمت فضله، وقلت له: أما في أيامي، فأنت آمن ذلك، وإن أصابك شيء بعدي، فالحياة - على كل حال - خير من الموت، ولك بي أسوة.

واعتقدت أن لا أنكبه.

فلما رأى الربيع عظم منزلته، حسده، فجدد في السعاية إليّ به، والفساد بيننا، والحيلة عليه عندي، إلى أن جرى في أمر ابنه، وإقراره بالزندقة، ما لم يسع معه، أن لا يقتل، فقتلته، وخفت أن يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي، فاحتجت إلى صرفه، وحرست نفسه، وبقيت نعمته، واستحال الأمر عما عقدته له.

وكان الأمر على ما ظنه، من النقصان بعد التناهي.

معنى النهروان بالفارسية

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت علي بن عيسى، يحدث، دفعات، عن أبيه، أنه سمع أباه، يحدث عن جده، عن مشايخ أهل العلم بأخبار الفرس، وأيامهم، قالوا: معنى النهروان بالفارسية: ثواب العمل. قالوا: وإنما سمي نهر النهروان بذلك، لأن بعض ملوك الأكاسرة، كان قد غلب عليه بعض حاشيته، حتى دبر أكثر أمره، وترقت منزلته عنده، وكان قبل ذلك، من قبل صاحب المائدة، مرسوماً بإصلاح الألبان والكوامخ، ثم علت حاله، فكان صاحب المائدة يتحسر، كيف علت حال هذا، وقد كان تابعاً له، وغلب على الملك؟ وكان مع ذلك الرجل، يهوديٌّ ساحرٌ ممخرق، فقال له ما لي أراك مهموماً؟ فحدثني بأمرك، لعل فرجك على يدي.

قال: فحدثه.

فقال له اليهودي: إن رددتك إلى منزلتك، ما لي عنك؟ قال: أشاطرك حالي ونعمتي، وجميع مالي. فتعاهدا على ذلك، فقال: أظهر وحشة تجري بيننا، وأنت قد صرفتني ظاهراً. ففعل ذلك به.

فصار إلى الرجل الغالب على الملك، فحدثه، وتقرب إليه بما جرى عليه من الرجل الأول، ولم يزل يحدثه مدة طويلة، حتى أنس به ذلك الرجل.

فلقيه في بعض الأيام، ومع غلامه غضارة ذهب، فيها شيراز في نهاية الطيبة، يريد أن يقدمه إلى الملك. فقال: أرني هذا الشيراز.

فقال الرجل لغلامه: أره إياه، فأراه، فخاتل الرجل والغلام، وأخذ بأعينهما بسحره، وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه، فيه سم ساعة.

وغطى الغلام الغضارة " ٥٤ " الكبيرة، ومضى ليقدمها، إذا قدمت المائدة.

فبادر اليهودي إلى صاحب المائدة الأول، وقال له: قد فرغت من القصة، وعرفه ما عمله، ووصف له الغضارة، وقال له: امض الساعة إلى الملك، فقل له: هذا أراد أن يسمك في هذه الغضارة، فلا تأكلها، وجربها، فإنه سيجرها على كلب، أو غيره، فيموت في الحال، فيقتل عدوك، ويشكر لك، فيردك إلى مرتبتك.

قال: فبادر الرجل، فوجد المائدة، تريد أن تقدم إلى الملك، فحين قدمت، تقدم إليه، وقال: أيها الملك، إن

هذا يريد أن يسمك في هذه الغضارة، وهي مسمومة بسم ساعة، فلا تأكلها.
فراع الملك، وأمر بتجريب الشيراز على حيوان.
فقال الرجل: قد كذب هذا، وليس يحتاج إلى حيوان، أنا آكل من هذه الغضارة، ليعلم الملك كذبه.

قال: والرجل لا يعلم ما في الغضارة، فبادر فأكل منها لقمة، فتلّف في الحال.
فقال صاحب المائدة الأول: إنما أكل أيها الملك من ذلك، ليتلف لما علم أنك تجرب ذلك، فتجده قاتلاً،
فخاف أن تعذبه، فاستروح إلى هذا.
فلم يشك الملك، في صحة الأمر، ورد إلى صاحب المائدة الأول، ما كان إليه، وأكرمه وعظمه.

زمضت السنون على ذلك.
قال: وعرض للملك، علة، كان يسهر من أجلها في أكثر الليالي، فكان يخرج، وحاشيته غافلون، فيطوف في
صحون داره، وحجرها، وبساتينها، ويقف على أبواب حجر نساءه، وغلمانها، فيتسمع عليهم، ويعلم ما
يتحدثون به.

فانتهى في ليلة، في طوفه، لأجل السهر، إلى حجرة فيها ذلك اليهودي، وقد خلطه صاحب المطبخ بنفسه،
وغلمانها، وهو جالس يحدث بعض أصحاب صاحب المطبخ، ويتشكى إليه، ويقول: إنه يقصر في حقي،
ويعدد تقصيره في حقه.

ثم قال: أنا أصل نعمته وما هو فيه.
فقال له الذي يحدثه: وكيف صرت أصل نعمته؟ قال: وتكنم ذلك؟ قال: نعم.
فحدثه بحديث الشيراز والسم.

فلما سمع الملك ذلك، قامت قيامته، وأحضر الموبذ من غدٍ، وحدثه بالحديث، وشاوره فيما يعمل، مما يزيل
عنه إثم ذلك الفعل في معاده، فأمر بقتل اليهودي وصاحب المائدة والإحسان إلى عقب - إن كان - لذي
قتل نفسه.

وقال: ولا يزيل عنك إثم هذا، إلا أن تطوف في عملك، حتى تنتهي إلى بقعة " ٥٥ " خراب، فتستحدث لها
عمارة، ونهراً، وشرباً، فيعيش الناس بذلك، في باقي الدهر، بدلاً من موت ذلك الرجل، فيمحص عنك
الإثم.

ففعل الملك ذلك، وطاف أعماله، حتى بلغ موضع النهروان، وهو خراب، فأجمع رأيه، على حفر النهر فيه،
فحفروا، وسماه: ثواب العمل، لأجل هذه القصة.

رقعة نفعت صاحبها وخلفه

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبو الحسن الأنباري الكاتب، صديق الكرخيين قال: دفع إلي أبو أحمد عبد
الوهاب بن الحسن بن عبيد الله بن سليمان، رقعة أبي الحسين جعفر بن محمد بن ثوبة بن خالد، الكاتب، إلى
جده عبيد الله.

وقال لي: كان إلى أبي - الحسن بن عبيد الله - ديوان الرسائل، وديوان المعاون، في جملة الدواوين التي كانت إليه في أيام أبيه.

فأمر الوزير عبيد الله، أبي، أن يستخلف أبا الحسين بن ثوبة، على ديوان الرسائل، والمعاون، وصار كالمتقلد له من قبل الوزير، لكثرة استخدامه له فيه، وكانت هذه الرقعة سبب ذلك.

ثم مات أبي، فأقره جدي على الديوان رياسة، وبقي عليهم، يتوارثونه، مرة رياسة، ومرة خلافة. فما سمع برقعة أولى منها، وهي في غاية الحسن، ونسختها: قد فتحت للمظلوم بابك، ورفعت عنه حجابك، فأنا أحاكم الأيام إلى عدلك، وأشكو صرفها إلى عطفك، وأستجير من لؤم غلبتها، بكرم قدرتك، فإنها تؤخرني إذا قلمت، وتحرمني إذا قسمت، فإن أعطت، أعطت يسيراً، وإن ارتجعت، ارتجعت كثيراً، ولم أشكها إلى أحد قبلك، ولا أعددت للإنصاف منها إلا فضلك، ودفع ذمام المسألة، وحق الظلامة، وحق التأميل، وقدم صدق الموالة والمحبة، والذي يملأ يدي من النصفة، ويسبغ العدل عليّ، حتى تكون محسناً إليّ، وأكون بك للأيام معدياً، أن تخلطني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل، ومن الخمول إلى النباهة والذكر، فإن رأيت أن تعديني، فقد استعديت، وتجبرني فقد عدت بك، وتوسع عليّ كنفك، فقد أويت إليه، وتعمني بإحسانك، فقد عولت عليه، وتستعمل يدي ولساني، فيما يصلحان لخدمتك فيه، فقد درست كتب أسلافك، وهم الأئمة في البيان، واستصأت بآرائهم، واقتفيت آثارهم، اقتفاء حصلي بين وحشي الكلام وأنيسه " ٥٦ " ، ووقفني منه على جادة متوسطة، يرجع إليها الغالي، ويسمو نحوها المقصر، فعلت، إن شاء الله.

أبو قوصرة المستخرج

والوزير المصروف الحسن بن مخلد

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن يحيى ابن أبي البغل، وهو إذ ذاك، عدل في جوارنا ببغداد، ويعاشري.

قال: حدثني أبو قوصرة المستخرج.

قال أبو الحسين: وقد رأيت أنا أبا قوصرة، وأنا حدث، وهو شيخ مسن، من بقية القواد المتقدمين، وقد لزم منزله، وكان الرسم قديماً، إن يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة، الاستخراج.

قال ابن أبي البغل: قال لي أبو قوصرة: تقدم إلي سليمان بن وهب، في وزارته للمعتمد، لما قبض على الحسن بن مخلد، أن أدخل إليه، إلى الحبس، فأطالبه بما صودر عليه، فكنت أحشن عليه ظاهراً، وألين له باطناً، وأتخير له على سليمان، وأشير عليه.

فوقفت على أن عبيد الله بن سليمان، قد عمل على أن يجتمع هو، وأبوه، وصاعد بن مخلد، وأبو صالح بن المدبر، وجماعة من الكتاب، في مجلس، ويخرجوا الحسن، فيباهتوه بكل محال لا أصل له، ويكابروه على

الحالات، حتى يضطروه بذلك، إلى الأداء، ويرهبوه بأخذ خطه بزيادة على ما عليه، لأنه كان قد بلح، وقال: لم يبق لي ما أؤديه.

قال: فجنّته إلى الحبس، فحدثته بأنهم في غدٍ سيخرجونه لذلك.

قال: ففكر ساعة، فظننته يفكر فيما يدبر به أمره.

ثم أنشدني لنفسه:

من صادر الناس صادروه ... وكابر الناس كابروه

وباهتوه الحقوق بهتاً ... وبالأباطيل ناظروه

بمثل ما راح من قبيح ... أو حسن منه باكروه

من تواضع ارتفع

حدثني أبو الحسين، قال: كان أبو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن الحارث الكاتب، من وجوه العمال، ثم خلف أبا القاسم سليمان بن الحسن، في وزارته الأولى، على كثير من أمر الوزارة، فتكبر على الناس، ولم يوفهم الحق، فبحثوا عن معاييه، وأطلقوا الألسن بمثاليه.

وكان قد اشتهر أن أمه، تزوجت أزواجاً، بعد أبيه وقبله، وقيل إن عدهم بضعة عشر رجلاً، ومنهم رجل يعرف بسوشيخ، يبيع الأرز باللبن.

فقال فيه العصفري الشاعر يهجو، وأنشدنيها لنفسه:

قالوا: أبو الفضل شمخ ... وازداد كبراً وبذخ " ٥٧ "

فقلت أمه، قولوا له ... يا هرل سوشيخ الوسخ

ما كنت، لا كنت بذى ... سوشيخ يقرط لأمخ

وإنما أراد أن يتطايب بهذا الشعر، مع ذكر أمه، لأن أصله كان من قرية من أعمال واسط بالأسافل، يقال لها قلمايا.

وقد كان أبو الحسين بن عيش القاضي، أنشدني هذه الأبيات قديماً، وحكى مثل هذه القصة، فأنسيت

الأبيات حتى أذكرنيها أبو الحسين بن هشام، وفي رواية ابن عياش:

ويلك ما كنت بذى

قال: ومعنى يقرط لأمخ: ينيك أمك.

الخليل بن أحمد والراهب

حدثني أبو الحسين بن هشام، قال: حدثني أبو الحسن زكريا بن يحيى ابن محمد بن شاذان الجوهري، قال:

حدثنا أبو العباس المبرد، قال: حدثت عن الخليل بن أحمد قال: اجتزت في بعض أسفاري، وأنا متوجه،

براهب في صومعة، فدققت عليه، والمساء قد أظف جداً، وقد خفت من الصحراء، وسألته أن يدخلني.

قال: فقال: من أنت؟ فقلت: أنا الخليل بن أحمد.

فقال: أنت الذي يزعم الناس أنك وجه، وواحد في العلم بأمر العرب؟ فقلت: كذا يقولون، ولست كذلك.

قال: إن أجبتني عن ثلاث مسائل، جواباً مقنعاً، فبحث لك، وأحسنت ضيافتك، وإلا لم أفتح لك.

فقلت: وما هي؟ قال: ألسنا نستدل على الشاهد بالغائب؟ قلت: بلى.

قال: فأنت تقول: إن الله ليس بجسم ولا عرض، ولم نر له مثلاً، فبأي شيء أثبتته؟ وأنت ترعّم: إن الناس في الجنة يأكلون، ويشربون، ولا يتغوطون، وانت لم تر آكلاً، شارباً، إلا مغوطاً.

وأنت تقول: أن نعيم أهل الجنة لا ينقضي، وأنت لم تر شيئاً إلا منقضياً.

قال: فقلت له: بالشاهد الحاضر، استدلت على ذلك كله.

أما الله تعالى، فإني استدلت عليه، بأفعال الدالة عليه، أنه لا مثل له، وفي الشاهد مثل ذلك، الروح التي فيك، وفي كل حيوان، نعلم أنه يحس بما تحت كل شعرة منا، ونحن لا ندري أين هي، ولا كيف هي؟ ولا ما صفتها، ولا جوهرها، ثم نرى الإنسان من الناس، يموت إذا خرجت، ولا يحس بشيء، وإنما استدلت عليها بأفعالها، وبحركاتها، وتصرفنا، بكونها فينا.

وأما قولك: إن أهل الجنة لا يتغوطون، مع الأكل، فالشاهد لا يمنع ذلك، ألا تعلم أن الجبن يغتذي في بطن أمه، ولا يتغوط.

وأما " ٥٨ " قولك: إن نعيم أهل الجنة، لا ينقضي مع أن أوله موجود، فإننا نجد أنفسنا نبتدئ الحساب بالواحد، ثم لو أردنا أن لا ينقضي إلى ما لا نهاية له، لم نزل نكره، وأعداده، وتضعيفه، إلى ما لا انقضاء له. قال: ففتح لي الباب، وأحسن ضيافتي.

عافية القاضي يستقيل من القضاء

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن سعد، مولى بني هاشم، وكان يكتب ليوسف القاضي

قديماً، قال: حدثنا إسماعيل ابن إسحاق القاضي، عن أشياخه، قال: كان عافية القاضي، يتقلد للمهدي،

القضاء، بأحد جانبي مدينة السلام، مكان ابن علانة، وكان عافية عالماً زاهداً.

فصار إلى المهدي، في وقت الظهر، في يوم من الأيام، وهو خال، فاستأذن عليه، فأدخله، وإذا معه قمطره،

فاستغاه من القضاء، واستأذنه في تسليم القمطر، إلى من يأمره بذلك.

فظن أن بعض الأولياء قد غرض منه، أو ضعف يده في الحكم، فقال له في ذلك.

فقال: ما جرى من هذا شيء.

فقال: ما سبب استعفائك؟ فقال: كان تقدم إلي خصمان من شيراز وأصبهان، في قصة معضلة مشكلة،

وكل يدعي بينة وشهوداً، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم، رجاء أن يصطلحا، أو

يتعين لي وجه فصل ما بينهما.

قال: فوقف أحدهما، من خبري، على أي أحب الرطب السكر، فعمد، في وقتنا، وهو أول أوقات الرطب،

إلى أن جمع رطباً سكرًا، لا يتهياً في وقتنا جمع مثله إلا لأُمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بواي جملة دراهم، على أن يدخل الطبق إلي، ولا يبالي أن يرد، فلما أدخل إلي، أنكرت ذلك، وطردت بواي، وأمرت برد الطبق، فرد.

فلما كان اليوم، تقدم إلي مع خصمه، فما تساويا في قلبي، ولا في عيني، وهذا يا أُمير المؤمنين، ولم أقبل، فكيف لو قبلت، ولا آمن أن تقع علي حيلة في ديني، فأهلك، وقد فسد الناس، فأقلني، أقالك الله، واعفني. فأعفاه.

لا تصلح الدنيا إلا بالعدل

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت حامد بن العباس، في وزارته، يتحدث، قال: كان صاعد بن مخلد، وصفني للناصر لدين الله، وعظم عنده من أمري، حتى اختصصت بخدمته.

فاستدعاني يوماً على خلوة، وقال: قد علمت ما لحقنا من هذا العدو، يعني " ٥٩ " صاحب الزنج، حتى عدنا إلى هاهنا.

قال: وكان ذلك بعد انهزامه من بين يدي صاحب الزنج، وعوده من مقامه بواسط، ليستريح، ويتأهب للرجوع، ويستعد لقتاله.

قال: وقال لي الناصر: وأمرني كما ترى مختل، وجميع ما في خزانتي ثلاثون ألف دينار عينا، وهذا لا يقع مني، وأريد أن تصرف همتك إلى ما يثمر معه، ويضعف قدره.

قال: فقلت له: هاهنا وجه فيه مرفق عظيم.

فقال: ما هو؟ فقلت: هذه أسناية الخيزران، ومنها يشرب المبارك بأسره، وبعض الصلح، وكانت إقطاعاً لأم الرشيد، الخيزران، فحفرت لها هذه الاسناية، وكانت تغلها غلة عظيمة، وقد تعطلت الآن، وخرب الصلح، والمبارك، كله، فإن صرفت هذه الثلاثين الألف الدينار، في حفر الاسناية، وإطلاق البذر والبقر، لأهل هاتين الناحيتين، توليت لك تفرقة ذلك، ومشاهدة الحفر بنفسي، حتى لا يضيع منه دائق واحد، ولا يرتفق أحد بحبة منه، وتغل في سنة، ضعف هذا وأكثر.

قال: قد فعلت.

قال: فأنفقت على حفر الاسناية عشرين ألف دينار، بأتم احتياط، وأطلقت العشرة الآلاف الدينار، الباقية، للضعفاء من الأكر، والتناء، والمزارعين، في أثمان بقر وبدور، واحتطت في جميع ذلك، وطالبت الأقوياء بالزراعة من أموالهم، وحرصوا هم أيضاً الحرص كله، لما رأوا الماء، وأن الضياع معطلة منذ سنين كثيرة، وطمعوا في كثرة الربيع، ووفور الأسعار في النواحي.

فزرع الناس بالرغبة والرغبة، حتى استنفذوا جهدهم.

فلما أدركت، حصلت في بيدر واحد، من بيادر الصلح، وقد كان ارتفع أصل الكيل منه، ثلاثة آلاف كر وستمئة كر حنطة، بالنصف، فحصلت منه الثلث، والعشر، على المقاسمة مع الأجور، وفضل الكيل، ألف كر وستمئة كر للسلطان، وبعثها بحساب الكر بنيف وعشرين ديناراً، فحصل الثمن ستة وثلاثون ألف

دينار عيناً من بيدٍ واحد، وبقي البلد كله بأسره ربحاً.
فحصل له منه في أول سنة، أضعاف ما أنفق مضاعفاً.
فتقوى بذلك على الرجوع إلى الخائن " ٦٠ " ، وكان ذلك من أكبر أسباب تقدمي عنده ورفعتي.
قال: وكان حامد يحدث بهذا، عقيب شيء جرى، قال حامد معه: لا تصلح الدنيا إلا بالعمارة، وقمع
العمال عن السرقات.
ثم تحدث بهذا الحديث.

تنح عن القبيح ولا ترده

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا الحسن بن الفرات، يقول: كان أبو الحسن محمد بن فراس الكاتب،
سبب الوصلة بين القاسم بن عبيد الله، والعباس بن الحسن، حتى استكتبه له.
فلما علت حال عباس، حسده ابن فراس، وعاد يسعى عليه، ويثلبه عند القاسم.
إلى أن اعتل القاسم علة موته، فقال ابن فراس: إن العباس بن الحسن، يسعى في طلب الوزارة، مع الداية،
وصافي الحرمي، وإنه قد قطع السواد.
فلم يتقبل ذلك القاسم، وكتب الرقعة المشهورة إلى المكثفي.
قال: فدخلنا عليه في الليلة التي ولي فيها الوزارة، إثر موت القاسم، ولم يكن خلع عليه، ودخل ابن فراس
مهنئاً له، فجلس في أخريات الناس.
وتشاغل العباس، بتقليب ثياب السواد، وقد جاءوه بما، ليختار منها ما يقطع له، فيلبسه من غد، في دخوله
إلى الخليفة، قبل الخلع، حتى يبركه هناك، ويلبس الخلع فوقه.
وكان الرسم إذ ذاك، أن لا يصل أحد إلى الخليفة، في يوم موكب إلا بسواد.
قال: فلما اختار العباس ما يريده من الثياب، أقبل علينا، وقال معرضاً بابن فراس: لعن الله أهل الحسد
والشر، سعى قوم على دمي، عند ولي الدولة، وقالوا له إني قد سميت في الوزارة، وإني قد قطعت السواد
منذ أيام كثيرة، وهذا بحضرتكم، على غير تواطؤ، هو ذا أقبل ثياباً، ليقطع منها سواد لي.
فقام ابن فراس قائماً، وقال: قد حضرتي، أطال الله بقاء الوزير، بيتان في هذا المعنى، فإن أذن الوزير - أيده
الله - أنشدكما.

فاستحيا العباس، وقال: بحياتي، اجلس، وأنشد.

فجلس، وقال:

تنح عن القبيح ولا ترده ... ومن أوليته حسناً فزده
ستكفي من عدوك كل كيد ... إذا كاد العدو ولم تكنه " ٦١ "

جور أبي عبد الله الكوفي

حدثنا أبو الحسن، محمد بن محمد بن عثمان الأهوازي الكاتب، المعروف بابن المهندس، قال: حدثني ابن مروان الجاهلي، قال: لما ظلم الناس بواسط، أبو عبد الله، أحمد بن علي بن سعيد الكوفي، وهو إذ ذاك يتقلدها لناصر الدولة، وقد تقلد الوزارة، وإمرة الأمراء ببغداد، كنت أحد من تظلم، فظلمني وأخذ من ضيعتي بالجامدة، نيفاً وأربعين كراً أرزاً بالنصف من حق رقبتي - سوى ما أخذه من حق بيت المال - بغير تأويل ولا شبهة، فتظلمت إليه، وكلمته، فلم ينصفني. وكان الكر الأرز بالنصف، إذ ذاك، بثلاثين ديناراً. فقلت له: قد أخذ سيدنا مني، ما أخذ، ووالله، ما أهتدي، أنا وعيالي، إلى شيء سواه، وما لي ما أقوم به، باقي سنتي، ولا ما أعمر به ضيعتي، وقد طابت نفسي أن تطلق لي من جملته عشرة أكرار، وأجعل الباقي لك حالاً.

فقال: هذا ما لا سبيل إليه.

فقلت: فخمسة أكرار.

فقال: لا أفعل.

قال: فبكيت، وقبلت يده، ورققته، وقلت: فهب لي منه، وتصدق علي، بثلاثة أكرار، وأنت من الجميع في حل وسعة، بطيب من قلبي.

فقال: لا والله، ولا أرزة واحدة.

قال: فتحيرت، وقلت له: فإني أتظلم إلى الله عز وجل منك.

فقال لي: كن على الظلامة - يكررها دفعات - وبكسر الميم، بلغة الكوفيين.

قال: فانصرفت محترق القلب، فجمعت عيالي، وما زلت أدعو الله عليه، ليالي كثيرة.

فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من أخذه الأرز، وجئت إلى البيدر، فأخذت أرزي، وحملته إلى منزلي.

وما عاد الكوفي بعدها إلى واسط، ولا أفلح.

أبو عبد الله الكوفي

يعاقب ملاحاً على سوء أدبه

حدثني أبو الحسن محمد بن محمد الأهوازي بن عثمان المعروف بابن المهندس، قال: كنت أتقلد الضريبة وغيرها، في أعمال واسط، في هذا الوقت، للكوفي.

فقدم ملاح، يقال له ابن شبيب، من بغداد، في زورق عظيم، وكان فيه حديد، وخواب، فطالبته على ضربيهما بشمانية آلاف درهم وكسر.

فالتجأ إلى ثمل وهو غلام سيف الدولة، لأن سيف الدولة كان مقيماً بواسط حينئذ، أميراً عظيماً.

فكتب إلي ثمل، رقعة يلزمني تخفيف " ٦٢ " الضريبة عن الملاح، ومقاربتة، وأنفذ غلماناً من غلمانة.

فوضعت في نفسي المقاربة لأجله، فقلت للملاح، عليك ثمانية آلاف درهم، وكذا وكذا، فبكم تحب أن

أسامحك، لجل كلام فلان أيده الله؟ قال: وكان مجلساً حافلاً بأهل الأسواق، والتجار، والمعاملين في الضريبة.
قال: فقال لي الملاح مستفهماً: كم علي؟ فقلت: ثمانية آلاف درهم وكسر.
قال: فصرط من فمه، لي، وقال: تأخذ مني بميزان قرع، وصنج بعمر.

قال: فورد عليّ أمر عظيم، من استخفافه بي في مجلس العمل، وكرهت أن أوقع به، فتشرق الحال بيني وبين
ثمل، مع تمكنه من سيف الدولة، وتصير مناينة بينه وبين صاحبي، ولا أدري كيف يكون حالي في ذلك.
فقلت له: أما أنت فأقل من أن تجاب عن هذا الكلام، ولكن سأريك أمرك، كونوا معه.
قال: فوكلت به جماعة من الرجال، وعبرت في زبري، إلى الكوفي، فحدثته بالقصة.
فحين استتم حديثي، قال: وأي شيء عملت بالملاح؟ فقلت: لم أقدم أن أعمل به شيئاً، لأجل ثمل، وخشيت
أن تنكر أنت ذلك.

فقال: نفاطين، نفاطين، وصاح، وتغيظ. فأحضروا.

وقال: ثلاثين راجلاً، الساعة، فأحضروا.

فقال: عبروا إلى الزورق، فأحرقوه، بجميع ما فيه من الأمتعة، الساعة.

قال: فورد عليّ أمر عظيم، وندمت على الشكاية، فقلت: يكفي من هذا - أطل الله بقاء سيدنا - ضرب
الملاح بالمقارع في السوق، وأن تضعف عليه الضريبة، وتستخرجها منه.
فقال: لا والله، إلا الإحراق.

قال: فاجتهدت به، فلم يكن في يدي منه شيء.

وتوجه النفاطون، والرجالة، إلى الزورق، فضربوه بالنار، وأقبل الملاح يلطم، ويصيح، ويقول: يا قوم، فيه
أموال الناس، قد افتقروا، وافتقرت، ويستغيث بالمسلمين، ولا يقدم أحد على إغاثة.
وأحرق قلوب الزورق، التي كانت تربطه، وتمسكه، وخرج منه الملاحون، وطرحوا أنفسهم إلى الماء.
فانحدر مع الماء لنفسه، والنار تشتعل فيه، فوقع على الجسر، فقطعه، وانحدر، حتى انتهى إلى موضع معسكر
سيف الدولة، وكان نازلاً في المأصر بواسطة.

والملاح " ٦٣ " في بكائه وراءه، لا يجسر أن يطفئ النار، ولا يقدر على أكثر من أن يلطم ويصيح.

فلما رأى سيف الدولة الصورة، استهولها، مع صياح الملاح، وقوله فيه أموال، فاستدعاه، وقال: أيش فيه؟
فقال: فيه مال صاحب البريديين، أصدره إليهم صاحبهم من بغداد سراً، وجعله تحت الحديد.

قال: فأمر سيف الدولة بالزورق، فقدم إلى الشط، وأطفئت النار، وقد احترق جوانب الزورق، وظلاله،
وأكثر آله، إلا الأمتعة التي في أسفله، فإنها كالمسألة.

فرقي بها إلى الشط، فأخرج المال، فإذا هو ثمانية آلاف دينار عينا، ونيف وستون سيفاً ومنطقةً، من فضة،
وبعضها من ذهب، فأخذ ذلك.

وسلم الزورق إلى الملاح، وشد على يده، وعصمه من الكوفي، حتى نقض الملاح الزورق، وانتفع ببقية
خشبه وحديدته، ووصل التجار إلى ما سلم من المتاع.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

حدثني أبو الحسين، قال: سمعت أبا عيسى، أحمد بن محمد بن خالد، المعروف بأخي أبي صخرة، يحدث أبي، قال: ما رأيت أحسن رعاية من أبي القاسم، عبيد الله بن سليمان.

فمن ذلك: أن إسماعيل بن ثابت، المعروف بالرغل، كان يتقلد لأبي الصقر، إسماعيل بن بلبل، في وزارته، طساسيج بادوريا، وقطربل، ومسكن، ونهر بوق، والذنب، وكلواذى، ونهرين.

فلفق على عبيد الله بن سليمان - وهو إذ ذاك متعطل في منزله، يعقب تقضي النكبة عنه، ولزومه لبيته - ثلاثة آلاف درهم، وذكر أنها تجب عليه ببادوريا، في سنين، من مظالم باطلة، وبقايا غير لازمة، وأحضر وكيله، وطالبه بها.

فقال له: أمضي، وألتقي بصاحبي، وأوقفه على الأداء.

فوكل به علة من رجالته، وانصرف، فصار إلى عبيد الله، فقال له: أغرم للرجالة جعلاً، ودافع بلقائه يومين، إلى أن أ طرح عليه، من يسأله ترك المطالبة، بأن يقررها معه.

فخرج الوكيل، وبذل للرجالة أوفر الأجعال، فذكروا أنهم لا يقدمون على الإفراج عنه خوفاً من الرغل.

وتكرر الكلام بينهم، إلى أن وثب حاجب عبيد الله بهم، وحال بينهم وبين الوكيل، وأدخله الدار.

وانصرفوا، فشكوا " ٦٤ " ذلك إلى الرغل، وأسرفوا، خوفاً منه، ليقوم عندهم.

فجاء الرغل، فأسرف إسرائفهم، وأضاف كل قبيح إلى عبيد الله، وشكاه إلى الوزير إسماعيل، وقال له: إنه لا يقدر على استخراج مال عليه، إلا بالمبالغة في مكروه عبيد الله، والإنكار عليه، وحبسه بنفسه في الديوان، حتى يؤدي، ولا يقتدي به المتعذر.

وكان إسماعيل، من العداوة لعبيد الله، والبغض له، والخوف منه على محله، بمنزلة عظيمة، وفيه - مع ذلك - تشدد في نصرة العمل، وجبرية في نفسه، فاغتاظ جداً.

فأحضرني، وأنا - إذ ذاك - أتولى له ديوان ضياعه، وتقدمته، وتدبير الجيش برسمه، ومنزلي في الاختصاص به قوية.

فقال: أحضر هذا الجاهل عبيد الله بن سليمان، وعرفه ما شكاه منه إسماعيل بن ثابت، وأن جزاءه عليه الإبعاد إلى طنجة، وقبض نعمته، وضياعه، وأني أعرفه بالعجب والجهل، ولولا أن الزمان، قد كفاني، بإسقاط أبيه، وأنه صار إلى منزلة، إن عاقبه بما يستحقه، جعلت له سوقاً، لما أخرت عقوبته، ولكن قل له: والله لولا تذمي، لأمرت بالآخر أن يصفع من داره إلى ديوان إسماعيل بن ثابت، ويقام على رجله، حتى يؤدي ما عليه، ولا تدعه من الديوان، أو يحضر وكيله وحاجبه، فيسلمهما إلى إسماعيل بن ثابت، وتصرفه حينئذ، ليطلبهما إسماعيل، بما عليه.

قال: فخرجت، وكتبت إليه رقعة، أستدعيه فيها إلى الديوان، دعوت له فيها، كما يدعى من الديوان لمثله، وهي سطران دعاء، وترجمتها في ظاهرها: " لأبي فلان، من فلان " .

وكان الكاتب كتبها عني، فلما عرضها عليّ، زدت فوق الدعاء، بخطي، يا سيدي، وكتبت في داخل

الرقعة، عبدك، وإنما أردت توفيته الحق بذلك، وستر الأمر عن كاتي، لنلا يسمع أي خاطبته بتعظيم، فأقع في مكروه، مع إسماعيل.

وزدت في آخر الرقعة بخطي: أنه لا يجب أن يستوحش من شيء أتوسطه، فإني أحوطه بجهدي، وأن سييله أن يحضر عشياً، ليكون مجلسي خالياً، فأوفيه الحق، ولا يجيء " ٦٥ " غدوة، فإن وفيته الحق لحقي من الوزير إنكار، وإن قصرت تدمت إليه، وراعت العواقب فيه. فجاءني في جواب الرقعة، عشياً، فقممت إليه، وكان هذا عظيماً، محظوراً على مثلي، وخاصة في الديوان، وصدرته، وجلست بين يديه وعرفته ما جرى من الزغل، وأعدت من كلام الوزير، من الإنكار، والإيعاد، ما جهل لفظه.

وقلت: قال أشياء أخرى كثيرة، قبيحة، هائلة، لا أستحسن تلقيك بها، وأجل سمعك عن إيرادها عليك، هذا أقلها وأحسنها، ومع ذلك فإنه أمرني، أن لا تبرح، أو تحضر الوكيل والحاجب، ثم أستأذنه في انصرافك، فأجاب، إن فعلت هذا، وأن يصير لك اعتقال إن خالفت، ثم لا أدري أي شيء ينجر عليك، وأكون سببه، ولكن اجعلني على ثقة من إنفاذك الرجلين إليه، وانصرف، لأعرفه ما جرى، فإن أنكر علي انصرافك بغير إذن، جحدته أي سمعت ذلك منه، وكن على تحرز، من غير أن يشيع ذلك، إلى أن يجيئك ثقتي بجلية الصورة، فتعمل بها، وبحسبها، إما في الأمن، أو الهرب.

فشكرني، وقال: ما أطمع أن أكافيك على هذا.

وقام، وقمت بقيامه، وودعته، وقلت: يا غلمان، بأسركم، بين يديه، فخرج، وأنفذ الرجلين، وتوقى توقياً ضعيفاً، ودخلت، فعرقت الوزير الصورة، وجملت القصة، وأمرني بترك التعرض له، وتسليم الرجلين إلى الزغل.

فأحضرت الزغل، وسلمت الرجلين إليه، وقلت له: تقبل رأيي؟ فقال: قل.

فقلت: قد بلغت ما تريد، فأحسن في الأمر ما قدرت.

فقال: يا سيدي، هذا إبطال للعمل، ولا بد من تقويمهما.

فجهدت به في الإحسان، فلم يفعل، وأنفذ الرجلين، إلى باب عبيد الله، فضرهما عليه، كل واحد منهما، عشرين مفرعة، وصفع الوكيل، بعد الضرب، خمسين صفة، واستخرج الدراهم.

ومضت السنون على هذا، وفرج الله عن عبيد الله " ٦٦ " ، وتقلد الوزارة، فاستترت، لأجل اختصاصي بإسماعيل الوزير، وما ألتزم من جهته.

وقبض عبيد الله، على الزغل، وكان أول من صودر، من أسباب إسماعيل، وعومل من المكاره، بما لم يسمع بأعظم منه، ولم يتصرف في أيام عبيد الله، إلى أن مات وهو يتصدق.

واستترت أنا، أياماً، فلم يعرض عبيد الله لطلبي، ولا لشيء من داري، وضيعتي، ولا لأهلي، ولا معاملي، فأنست بذلك، وكتبت إليه بعد ذلك، أسأل الأمان، فأمني.

فحضرت مجلسه، وهو حافل بالناس، وبين يديه الخلق، من أصحاب الدواوين والقواد.

فحين رأي، قام إلي قياماً تاماً.

فقبلت رجله، وقلت: يقلني الوزير أطال بقاءه، وليس هذا محلي.
فقال: ولم؟ ما يفني قيامي لك، بقيامك لي، لأنك قمت لي في وقت عرضت - بقيامك لي - نفسك، ودمك،
ونعمتك، وحالك، لذلك العدو لله، وعاملتي، بما لا يفني به شكري، ولك عندي كلما تحبه، ولن يلحقك
سوء في مالك ولا غيره.

قال: ولج به المعتضد، في مصادرتي، وهو يدفعه عني، ويقول له أشياء يدفع بها عني، لا أصل لها، منها: أنه
قال له: هذا قد صادره إسماعيل، في أيام تصرفه معه، دفعات، وأفقر على سبيل القرض، وكانت له نفقات
عظيمة، ومروءة، وهو مع هذا عفيف، لا يرتفق بشيء، ولا يجاوز رزقه، ولا حال له، فيصادر، ولا طريق
عليه.

قال: والمعتضد يلح.

فقال لي عبيد الله: ليس لك، إلا أن تبعد عن المعتضد حتى ينساك.

فقلت: المر للوزير.

فقلدني الخراج والضياح بقم، وكتب إلى صاحب المعونة، بخدمتي، وأخرجني على أمر يعظم.
وطالبه المعتضد، بالتزام مصادرتي، فأعاد عليه القول، وقال: احتجت إلى الاستعانة بكفايته، فأنفذته إلى قم.
فقال: لا بد من إلزامه شيئاً هناك.

فكتب بالصورة إليّ، وألزمني عشرين ألف دينار، وعدني بإخلاصها عليّ، فالتزمتها، ولم يكن القول بها مؤثراً
في حالي.

فلما أدبت منها عشرة آلاف، أسقط الباقي، وسأل المعتضد فيه، فحطه " ٦٧ " عني، وما عطلني، إلى أن
مات.

فسلمت ونعمتي عليه، وكسبت معه نعمة ثانية، أنا فيها إلى الآن، بثمرة ذلك الإحسان.
وهلك الزغل، وبلغ إلى الصدقة، ومات في الفقر، بثمرة ذلك الشر.

آثار قديمة في سواد واسط

ومن عجائب الدنيا، وآياتها، أشياء في سواد واسط.

حدثني جماعة، منهم رجل يعرف بابن السراج، وغيره، ومنهم محمد ابن عبد الله بن محمد بن سهل بن حامد
الواسطي، وجده أبو بكر محمد بن سهل، كان وجهاً من وجوه اليهود بواسط، ثم تقلد القضاء بها سنين،
دفعات، فأثبت ذلك بخط محمد بن عبد الله، عقيب هذا الكلام: شاهدت على نحو من فرسخ وكسر من
رصافة الميمون، قرية من قرى النبط، أو الأكاسرة، وتعرف بجبيذا، وقالوا فيها آثار قديمة، من بناء آجر
وجص، وفيها قبة قائمة، كالهيكل كانت قديماً، ومثال رجل من حجر أسود أملس، عظيم الخلق، يعرف عند
أهل ذلك الصقع بأبي إسحاق، لأنه يتعاطى قوم من أهل القوة شيله فيسحقهم، ويكسر عظامهم، وقد قتل
وأزمن خلقاً، فيذكر أهل الموضع، أنهم سمعوا أشياخهم، يدعونه بذلك، على قدم الأيام.

وهذه القرية خراب، لا يذكر فيها عمارة.

وقد كان احتمال هذا الحجر، رجلٌ يعرف بالجلندي، كان على حماية المأمون، فعمد إليه، وشد فيه الحبال، وجره بالبقر، إلى أن بلغ موضعاً من الصحراء، فأمسى، فتركه في موضعه، فلما أصبح عاد فوجده ناحية عن الموضع الذي تركه فيه، وأن ذلك الحجر صار بالقرب من موضعه الأول، فتركه وانصرف.

ثم احتمله بعد ذلك، رجلٌ آخر، من أهل الرصافة، على خلق من الحماليين، يتناوبون عليه، حتى أدخله الرصافة، فحضر أهل ذلك الصقع الذي كان فيه، يضجون، ويقولون: إن هذا نأنس به في ذلك المكان، وإنا نأوي إليه في الليل، فنأنس به، ويمنع عنا الوحش، إذ كنا بقربه، فلا يقربون ما يأوي إليه، فحملوه ثانية، حتى ردوه إلى موضعه الأول، بعد أن بذل لهم الرجال، حمله من الرصافة.

وكان على صدره، وعلى ظهره، وكفيه، كتابة محفورة، قديمة لا يدري بأي قلم هي " ٦٨ " .

وفي هذه البلاد، قرية، تعرف بقصبة نهر الفضل، وهي تلهوار، وعلى نحو فرسخين منها تل يعرف بتل ريجا، من البلاد القديمة، فيها آثار، وفيه حجر عظيم مربع، له سمك كثير، وهو كالسيرير، طول تسعة أذرع، في أذرع، قد غاب في الأرض أكثره، وعليه تماثيل، ونقش.

وكان صاحب تلهوار، أحمد بن خاقان، أراد إقلاب هذا الحجر، لينظر ما تحته، فاحتفر حوله، واجتهد أن يقدر على قلبه، فلم يقدر على ذلك، لأنهم كانوا كلما احتفروا تحته، ليتمكنوا من قلبه، هوى إلى الحفرة، فاستغرق فيها، فلما أعياه ذلك، تركه على حاله.

وفي موضع من ... الذي في ظهر البطائح، بين واسط والبصرة، مما يلي الطخوف، من القبة العتيقة، فيه خزانة يقال لها: القارة، يقال إنها من خزائن قارون، طولها أربعون ذراعاً، والعرض مثله، وارتفاعها أكثر من ذلك، مبنية بالقار، والحصى، والنوى، وهي مجموعة ليس لها باب ولا نقف لها على مدخل.

وكان رجل من ساكني تلهوار، يعرف بعمر النجار، أضاف رجلاً من المجتازين، وأكرمه، فأحب أن يكافيه، فأعلمه كيفية الوصول إلى هذه القارة، وكتب له بذلك كتاباً، أوقفه عليه.

وقال له: نريد أن نستعين برجل كبير، وأوماً إلى خاقان، وأبي القاسم بن حوط العبدسي، وكانا رئيسي البلد، فأعلمهما ذلك.

فأعدوا له آلة لما يحتاج إليه من الفتح، من مرور، وآلات حديد، وخشب وزبل، وسلاليم، وأجرة سفن، وحبال، وغير ذلك، ولومهما عليها - مع مؤن الرجال - ألوف دراهم كثيرة، وأثبتا رجالاً كثيرة للحماية، لأن الموضع تطرقه القرامطة والبوادي، ثم أخرجاه، ومن معه من الرجال، في سفن في البطيحة، لأن الماء إذا زاد في البطيحة يصير فيما بينه وبين هذه القارة دون الفرسخين، فمضوا إليها.

فحدثنا ابن هذا الرجل، المعروف بعمر النجار، أنه كان مع أبيه، في الموضع، فوافى، فمسح مما يلي مطلع الشمس، من هذه القبة، أربعين ذراعاً، ثم احتفر الموضع، فظهر له حجر عظيم " ٦٩ " لا يقله إلا الجماعة الكثيرة، فلم يزل يحلحله حوله، حتى أخرجه، وإذا أزج عظيم، كان ذلك الحجر عليه على بابه، ولحقه المساء، فعمل على المباشرة لدخول الأراج، والوصول إلى باب القبة، فبات ليلته، ومن معه، فلما كان في

وجه الصباح، حين يبدو الفجر، سمعت الجماعة، تكبيراً وضجة، ونظروا إلى السيوف والخيل تبين من خلال الظلمة، فناذروها، ولم يشكوا أنها خيل القرامطة، وتوجهوا نحو البطيحة، والسفن التي لهم هناك، فلم يرالوا كذلك يتعاودون إلى أن أصبحوا، وبان ما في الصحراء، مما يحتاجون أن يروه، فلم يروا خيلاً، فظنوا أنها قد انصرفت عنهم، فعادوا راجعين إلى مواضعهم، فوجدوا عمر النجار مذبوحاً في بعض الطريق، ووافوا إلى مواضعهم، فوجدوا أمتعتهم كما هي، ما فقدوا منها شيئاً، فاحتملوا عمر النجار، وانصرفوا. وقيل لي: إنه لم يوجد الحجر، ولا أثر الموضع الذي احتفروا. وقد يجد الناس، ممن يجتازون بذلك الموضع، أو يقصده، دراهم، وجواهر، حول تلك الخربات، والقبعة. وقد يأوي إلى تلك الخربات، النعام، وتبيض فيها، لخلوها، وانقطاع الناس، عن الاجتياز بها، إلا في الحين بعد الحين.

سيدوك الشاعر

رأيت بواسط شيخاً، ذكر لي، في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين وثلثمائة، أنه قد تجاوز الستين سنة، وأن مولده ومنشأه بالدحب، قرية من سواد واسط، وأن أباه كان رجلاً من أهل البصرة، من بني تميم، وفد قديماً إلة واسط، ثم استوطن " ٧٠ " السواد، فولد هو فيه، ونشأ إلى أن بلغ، فأحب العلم، فرجع إلى البصرة، وأقام بها، وتأدب، ثم دخل البادية، فأقام بها نحو عشر سنين، ولقي الناس، ووجدته يفهم من اللغة والنحو طرماً، وهو شاعر من شعراء واسط المشهورين، ويلقب بسيدوك. وأخبرني هو، قال: قال لي أبو محمد المهلي، وقد امتدحته لما وزر، لم تسميت بسيدوك؟ فقلت: لأنه اسم رئيس الجن، وأنا رئيس الشعراء. فقال: أفتدري لم سمي سيدوك رئيس الجن بهذا الاسم؟ قلت: لا. قال: بلغني أنه إنما سمي بذلك، لأن في الجن قبيلة يقال لها، هلوك، وهو سيدها، فاستثقلوا أن يقولوا: سيد هلوك، فخففوها، فقالوا: سيدوك. والرجل كان يكنى أبا طاهر، واسمه عبد العزيز بن حامد بن الخضر، على ما أخبرني.

من شعر سيدوك

وحدثني، قال: كنت يوماً بحضرة بعض الرؤساء في مجلس شراب، فرماني بنارنجة نصفها أصفر، ونصفها أخضر.

وقال لي: قل في هذه شيئاً.

فقلت في الحال:

وطيبة النشر مسكية ... مرصعة بالتحايا العذاب

فأصفر في لون شمس المساء ... وأخضر في لون قوس السحاب

فلون لوجنة مرعوبة ... ولون لأثر نصول الخضاب
فهذا كمصة نحر الحبيب ... وذاك كما عل صرف الشراب
وأنشدني لنفسه أيضاً:

شربت حلاوة عيش الصبا ... وذقت مرارة فقد الشباب
فلا طعم أمره مما اعتدى ... خضابك مستهتراً من خضابي
ولا شيء أعجب مما التقى ... نصول الخضابين يوم العتاب
أشارت إلى أصص محذقات ... بألوان نيلوفرات طياب
وأنشدني لنفسه " ٧١ " :

أرى قسمة الأرزاق أعجب قسمة ... فذو دعةٍ مثر مكد به الكد
فأحق ذو مال، وأحق معدوم ... وعقل بلا حظ وعقل له جد
يعم الغنى والفقر ذا الجهل والحجى ... والله من قبل الأمور ومن بعد
وأنشدني لنفسه:

أظن بلية دهمت فؤادي ... وأحسبها غزال بني سليم
وإلا لم يغيب فيعتريني ... تدله ضائم من غير ضيم

ولم عيني إذا فقدته كانت ... كعين الشمس إذ غطت بغيـم

محنة القرامطة

حدثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله، قال: كنت مع إبراهيم بن نافع العقيلي، المعروف بابن
البارد الطوق، وبعض العرب تسميه بباري الطوق، وكانت العامة تسميه: ابن البارد الطوق، وخبروني أنه
سمي بذلك أبوه، لأنه ضرب رجلاً في عنقه طوق، فبراها بالضربة.
قال: وكان أبو إسحاق بن البارد هذا، إذ ذاك، أمير نهر الأيسر الذي بين رستاق البصرة والأهواز، وهو إذ
ذاك يليها من قبل معز الدولة. فورد عليه رجل، قد هرب من القرامطة، من بني عقيل، يعرف بمختار بن
فرناس، وكان من حي إبراهيم، من بني معاوية بن حزن.
وكان في عنق المختار هذا، طوق فضة.
وكان سبب هربه، على ما سمعت خلقاً من بني عقيل، يخبرون بذلك، إذ ذاك، أنه قتل أخاه، وابن عمه،
لأجل ضيف أضافه.

وذلك، أنه كان مع الضيف، مالاً صامت، فأعمل أخوه، على الغدر بالضيف، وأخذ المال منه، وعلم المختار
بذلك فمنعه، واقتلا بالسيوف، فقتل أخاه، فجاء ابن عمه يلومه، وتخطباً، إلى أن تجاذبا السيوف، وتخابطاً
بها، فقتل ابن عمه أيضاً، وسكن من نفس الضيف، حتى لا يدعر، ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة، فعرقب
فرسه، وذبحه، واشتوى من لحمه، وأوقد حتى اصطلى به الضيف.

فلما أصبح، وارتحل الضيف، خاف أن يبلغ القرامطة خبره، فيأمر العريف بأخذه وإسلامه إلى الخنة، فهرب إلى إبراهيم.

فرايت رسول القرامطة، قد جاء إلى إبراهيم، فأخذه على صلح وأمان، ورجع إلى حيه، ثم بلغنا أنهم منحوه بعد ذلك، تأدياً له، فما سمع برجل في زماننا من أهل البادية، أشجع، ولا أكرم، ولا آدب منه. والحنة عند القرامطة، أنهم إذا نقموا على رجل، استدعوه من حيه، إلى الأحساء بلدهم، فطرحوه، إما مقيداً يكدى في البلد، أو سائساً للخيول، أو راعياً للغنم والإبل أو ضربوه، وجلدوا عليه في كل يوم لونا من العقاب، ولا يزال عندهم حولاً، وأكثر.

وبما عاقبوه " ٧٢ " بألوان آخر.

فجميع ما يعملونه من التأديب، يسمونه محنة.

من شعر أبي القاسم الصروي

أنشدني أبو القاسم لنفسه:

أصدع صدر الرمح في صدر فارس ... وأوقد ما يبقى من الرمح للضيف
وأقطع سيفي في الطلى ثم أثني ... فأذبح عيري بالبقية من سيفي
وإني لصيف في الشتاء إذا أتى ... وإني شتاء بارد الظل في الصيف
وما زلت صدر العلم صدر كتابه ... وقلب الوغى ناب عن الضيم والحيف

عدة جند الخلافة في أيام المقتدر

حدثني أبو الحسين علي بن هشام، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن شيراز، قال: لما أخرج المقتدر هارون بن غريب الخال، مع مؤنس، ونصر، والقواد، لخاربة القرمطي، حين وافى من زبارا، عرضنا الجيش، لأنه كان ديوان العرض إلى صاحبي ابن الخال، وكنت أكتب عليه، وعلى أمره كله، فأمره المقتدر، بعرض الجيش بزبارا، لئلا يكون قد أخل من جرد إلى الحرب أحد، فتقدم إلي ابن الخال بذلك، فعرضتهم، فكانت العدة من سائر الفرسان، والرجالة، مع من جرد من الحجرية، وخدم الدار، اثنين وخمسين ألف رجل مرتزق، أو واحداً وخمسين - الشك من ابن شيراز - وهذا سوى من يتبعهم، ممن لا رزق له على السلطان، وإنما رزقه على صاحبه.

قال أبو جعفر: وكان قد تخلف ببغداد، نازوك وعسكر برسمه، ورسم الشرطة، سبعة آلاف فارس، وراجل، وبقي في دار الخليفة، ممن لم يخرج، ألف غلام من الحجرية، وألف خادم - أقل أو أكثر - ممن ترك لحراسة الدار، وهذه العدة، سوى من كان في النواحي من الشحن، إلا من استدعي، ممن كان في السواد، لمعاون بغداد، مثل طريق خراسان، وطريق دجلة، وسقي الفرات، وهذه النواحي القريبة.

الشاعر البدوي عساف النميري

حدثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي، قال: كنت قد ركبت مع نفر من بني قشير، بالموصل، فحملوني إلى حي لهم بالبادية، على أيام منها، فأقمت في الحي شهوراً.
فكنت يوماً جالساً، فرأيت فتى بدوياً يسمى بعساف، حدث السن، " ٧٣ " حسن الوجه، راكباً.
فقال لي صاحب البيت: هذا رجل من بني نمير، وهو جار لنا، وهو شاعر، فنحب أن نسمع من شعره.
فقلت: نعم.

فسأله النزول، فنزل، وذاكرته بالشعر، فوجدته كثير الرواية لأشعار البادية، في زمانه، فما أنشدني بيتاً
أعرفه، ولا نسب شيئاً مما أنشدنيهِ إلى شاعرٍ أعرفه، متأخر أو متقدم، ووجدته لا يلحن البتة.
وأنشدني شيئاً كثيراً، فعلق بحفظي من ذلك، قصيدة، استعدته إياها دفعات، حتى حفظتها، وقد شذ عني منها
أبيات.

قال: وكان هذا، في سنة ست وثلاثين وثلثمائة، واسم الشاعر عساف النميري، قال: ولا أعرف اسم أبيه،
ولا نسبه.

والقصيدة:

نظرت وأعلام السرية دوننا ... بعيني فتى صب يرى الهجر مغرماً
وأشرف ركب يهلك الطرف دونه ... تظن به الحبشية الحوجثماً
وأكرهت طرف العين حتى كأنما ... أرى بفضاء الأرض سترًا منمنماً
إذا القوم قالوا صح شيئاً حسبته ... أصم وعن رد المشورة أعجماً
دعاهن من نجد لخوران بعدما ... رمين بسهم الحب قلباً متيماً
تعرضن لي يوم اللوى عن مشورة ... وأودعن في ذات الوشاحين مرثماً
وقلنا اقتليه يا مليح فإنه ... متى ما رمى كانت مراميه حذماً
دماء الغواني عند ذا مستحلة ... فإن يرم رشقاً نلق سهماً مسمماً
فأبدت على اللبات وحفاً كأنه ... عناقيد عناب تفرعن سلماً
وجيداً كجمار الفسيلة بزه ... من الليف جانيه وكان مكرماً
وعيني غضيض الطرف من جلد المها ... محيل المآقي، قرنه حين كمماً
وأبيض براق الغروب كأنما ... حصى بردٍ ضمت به إن تبسماً
وقالت: أبا سعدى تبدلت بيننا ... صدوداً ومحمود العشيرة ضيغماً
فقلت: هنياً ذاك شيء يسرني ... غناها وأن تلقى من العيش أنعماً
ولكني سأليني عن حراجيج ضميرٍ ... سواهم يحذين السريح المخدماً
وحرف كأن البق يلدغ دفها ... إذا المعجب الساري عليها ترنماً
وعين فتية شعث اللمام رمى بهم ... هوى المطايا مخزماً ثم مخزماً
سروا لسنا نار هويًا وكلهم ... من البرد ما يبدي البنان المكمماً " ٧٤ "

فلما أتونا جانب الحي عرسوا ... غراثي وما ذاقوا من الأمس مطعما
فحييتهم قبل القرى وقريتهم ... قرى لم يكن نزراً ولم يأت مغنما
وماء قديم قد مضى دون عهده ... لوارده عشرون حولاً متمما
وعن شرب شعث النواصي كأنها ... سراحين يحملن الوشيح المقوما
عليهن منا كل أروع ماجد ... كريم إذا ما عارض الموت أو سما
أخو حمالات يعلم القوم أنه ... ضروب بنصل السيف ضرباً غشمشما
لحقت بهم جميع القطامي بعدما ... دنا من بشير الصبح أن يتكلما
غداة الثقينا لا سفيرة بيننا ... سوى مخلصات تترك الهام أقعما
تكر عليهم مخطفات كأنها ... صقور المضري كان للصيد مطعما
كأن على المشوي منها ومنهم ... عمائم تسقى حالك اللون عندما
سلوا قرن مدفوع فقد كان شاهداً ... غداة الثقينا أينما كان أكرما

مناظرة بين عالين

في مجلس القاضي أبو عمر

حدثني أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن البخترى، القاضي الداودي، وهو شيخ من خلفاء
قضاة القضاة، مشهور بمدينة السلام بالعمل، والتصرف في الحكم، قال: حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد
ابن محمد بن المغلس الداودي، قال: كان أبو بكر محمد بن داود، وأبو العباس بن سريج، إذا حضرا مجلس
القاضي أبي عمر، لم يجز بين اثنين، فيما يتفاوضانه، أحسن مما يجري بينهما.

وكان ابن سريج - رضي الله عنه - كثيراً ما يتقدم أبا بكر في الحضور إلى المجلس، فتقدمه في الحضور، أبو
بكر، يوماً، فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب للكفارة ما هو؟ قال: إنه إعادة القول ثانياً، وهو
مذهبه.

وحضر ابن سريج، فاستشرحهم ما جرى، فشرحوه.

فقال ابن سريج، لابن داود: يا أبا بكر، أعزك الله، هذا قول من المسلمين تقدمكم؟ فاستشاط أبو بكر من
ذلك، وقال: أتقدر أن من اعتقدت أن قولهم إجماع في هذه المسألة، إجماع عندي؟ أحسن أحوالهم أن أعده
خلافاً، وهيهات أن يكون كذلك.

فغضب ابن سريج، وقال له: أنت يا أبا بكر، بكتاب الزهرة أمهر منك في هذه الطريقة.

فقال أبو بكر " ٧٥ " : بكتاب الزهرة تعيرني؟ والله ما تحسن تستتم قراءته، قراءة من يفهم، وإنه لمن إحدى
المناقب، إذ كنت أقول فيه:

أكرر في روض الحاسن مقلتي ... وأمنع نفسي أن تنال محرما

وينطق سري عن مترجم خاطري ... فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فما إن أرى حباً صحيحاً مسلماً
فقال القاضي أبو العباس بن سريج: أعلي تفتخر بهذا القول، وأنا الذي أقول:
ومسامر بالغنج من لحظاته ... قد بت أمنعه لذيذ سناته
حباً بحسن حديثه وعتابه ... وأكرر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ... ولى بخاتم ربه وبراته
فقال ابن داود، لأبي عمر: أيد الله القاضي، قد أقر بالمبيت على الحال التي ذكرها، وادعى البراءة مما يوجهه،
فعليه إقامة البينة.
فقال ابن سريج: من مذهبي، أن المقر، إذا أقر إقراراً، وناطه بصفة، كان إقراره موكولاً إلى صفته.
فقال ابن داود: للشافعي في هذه المسألة قولان.
قال ابن سريج: فهذا القول، اختياري الساعة.

إخوانيات

حدثني مبشر - مولى أبي - قال: قدمنا سوق الأهواز، من غيبة كان مولاي غابها، فكتب من المشرعة، إلى
أبي أيوب داود بن علي بن أبي الجعد الكاتب، وكان بينهما أنسة ومودة، وعرفه قدومه، فالتمس منه، أن
ينفذ إليه مركوباً ليركبه من المشرعة إلى داره.
فأنفذ إليه أيوب المركب، وكتب إليه:
عبدك داود به علة ... تمنعه أن يتلقاكا
والبغلة الشهباء قد أسرجت ... فاركب فدينك فدينكا
عيني إلى الباب وأذني إلى ... مبشري قد جاء مولاكا

إن كان قد أخذ طالعي

فقد أخذت غاربه

حدثني أبو علي محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي حامد، صاحب بيت المال، وكان أبوه المكنى بأبي حامد،
قد تقلد القضاء، وأبو علي هذا قد خلف علة قضاة على غير بلد، قال: حدثنا ابن جحا الأصبهاني، قال:
قيل لأبي مسلم، محمد بن بحر، لما دخل أصبهان، واليهما، وصارفاً لابن رستم: إن ابن رستم، قد أخذ طالعاً
في دخولك، وهو يذكر " ٧٦ " ، أنه غير جيد، فقال: إن كان قد أخذ طالعي، فقد أخذت غاربه.

الحق يوفي على الجرم

حدثني أبو الحسين، علي بن هشام، قال: كان أبو الحسن بن الفرات، لما ولي الوزارة الأولى، وجد سليمان بن الحسن، يتقلد مجلس المقابلة، في ديوان الخاصة، من قبل علي بن عيسى، وإليه - إذ ذاك - الديوان، فقلد أبو الحسن، سليمان، الديوان بأسره، فأقام يتقلده نحو سنتين.

فقام يصلي المغرب، فسقطت من كفه رقعة، بخطه، نسخة سعاية بابن الفرات، وأسبابه، وسعي لابن عبد الحميد، كاتب السيدة، بالوزارة، وأخذها بعض أسبابه، وتقرب بها إلى ابن الفرات، فقبض عليه للوقت، فأنفذه إلى واسط، في زورق مطبق، وصور، وعذب بواسط.

ثم رجع له ابن الفرات، لما وقف من كتاب صاحب الخبر، على أن أم سليمان، ماتت ببغداد، ولم يحضرها، ولا رآته قبل موتهما، فاعتم لذلك، وبدأ، فكتب إليه، بخطه، كتاباً أقرأنيه سليمان، بعد ذلك، فحفظته، ونسخته: ميزت - أكرمك الله - بين حقك وجرمك، فوجدت الحق، يوفي على الجرم. وتفكرت في سالف خدمتك في المنازل التي فيها ربيت، وبين أهلها غديت، فثناني إليك، وعطفني عليك، وأعادني إلى أفضل ما عهدت، وأجل ما ألفت. فثق - أكرمك الله - بذلك، وأسكن إليه، وعول في صلاح ما اختل من أمرك عليه.

واعلم أنني أراعي فيك، حقوق أهلك، التي تقوم بتوكيد السبب، مقام اللحمة والنسب، وتسهل ما عظم من جنايتك، وتقلل ما كثر من إساءتك، ولن أدع مراعاتها، والحافضة عليها، إن شاء الله. وقد قللتك أعمال دستميسان لسنة ثمان وتسعين ومائتين، وبقايا ما قبلها، وكتبت إلى أحمد بن حبش، بحمل عشرة آلاف درهم، إليك. فتقلد هذه الأعمال، وأظهر فيها أثراً حميداً، ينسب عن كفايتك، ويؤدي إلى ما أحبه من زيادتك، إن شاء الله.

يحيى بن خالد البرمكي

والفضل بن الربيع

حدثني أبو الحسين علي بن هشام، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس البيهقي، قال: حدثنا عمي عن البيهقي الأكبر، مؤدب المأمون، قال: دخل أبو العباس، الفضل بن الربيع، على أبي علي، يحيى بن خالد البرمكي، وهو جالس للحوائج، وابنه جعفر، يوقع بين يديه.

فعرض عليه رقعة، فقال: هذا لا يمكن " ٧٧ " .

وأخرى، فقال: هذا مما قد حضره أمير المؤمنين.

وأخرى، فقال: هذا يفسد به الأولياء.

وأخرى، فقال: هذا ينلن الارتفاع.

إلى أن عرض عليه عشر رقايع، واعتل فيها لعل مختلفة، ولم يوقع له بشيء.

فجمعها الفضل، وقال: ارجعن خائبات، ونهض وهو يقول: عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حال

والزمان عنور فتقضي لبانات وتشفى حسائك وتحدث من بعد الأمور أمور.
فسمعهما يحيى، فقال: عزمت عليك يا أبا العباس، لما رجعت.
فرجع، فوقع له في الرقاع كلها.

ثمن هديتين

وثن نفط وحب قطن

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو الحسن، علي بن عيسى، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبي، داود بن الجراح، قال: قال لي الفضل ابن مروان : كنت أعمل، في ديوان ضياع الرشيد، مجلس الحساب، فنظرت في حساب السنة التي نكب فيها البرامكة، ووجدت، قد أثبت فيه، ثمن هدية، دفعين من مال ضياع الرشيد، أهداهما إلى جعفر بن يحيى، بضعة عشر ألف دينار.
وفيه بعد شهور من هذه الهدية، قد أثبت في الحساب لثمن نفط، وحب قطن، ابتيع، وحرق بها جثة جعفر بن يحيى، بضعة عشر قيراطاً ذهباً.

من يشنك كان وزيراً

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا أبو عبد الله نفطويه، قال: حدثنا أبو العباس بن الفرات، قال: قال لي أبو القاسم عبيد الله بن سليمان، قال: قال لي أبي : سمعت أبا الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، قال: سمعت أبا جعفر أحمد بن يوسف يقول، وهو إذ ذاك، وزير المأمون، لما قال الشاعر، بعد قتل أبي سلمة، وزير السفاح :

إن الوزير وزير آل محمدٍ ... أودى فمن يشنك كان وزيراً
كذبت، كل الوزراء من يشنك، فلا يدخل في هذا الأمر إلا منحوس.

المتني يعارض القرآن

حدثني أبو علي بن أبي حامد، قال: سمعت خلقاً بحلب، يحكون: أن أبا الطيب، أحمد بن الحسين، المتني بما إذ ذاك، كان في بادية السماوة، ونواحيها.
إلى أن أخرج إليه لؤلؤ من حصص، من قبل الإخشيدية، فقاتله، وأسره، وشرده من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب، وغيرهما من قبائل العرب.
وحبسه في السجن دهرًا طويلاً، فاعتل، وكاد أن يتلف، حتى سئل في " ٨٧ " أمره، فاستتابه، وكتب عليه وثيقة، أشهد عليه فيها، ببطلان ما ادعاه، ورجوعه إلى الإسلام، وأنه تائب منه، ولا يعاود مثله، وأطلقه.

قال: وكان قد تلا على البوادي، كلاماً، ذكر أنه قرآن نزل عليه، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة، نسخت منها سورة، فضاعت، وبقي أولها في حفظي، وهو: " والنجم السيار، والقلمك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفي أخطار " امض على سبيلك، وأقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه، وضل عن سبيله " .

قال: وهي طويلة، ولم يبق في حفظي منها غير هذا.

قال: وكان المتنبي إذا استوعب في مجلس سيف الدولة، ونحن إذ ذاك، بحلب، يذكر له هذا القرآن، وأمثاله، مما كان يحكى عنه، فينكره، ويحجده.

قال: وقال له ابن خالويه النحوي، يوماً، في مجلس سيف الدولة، لولا أن الآخر جاهل، لما رضي أن يدعى بالمتنبي، لأن المتنبي، معناه كاذب، ومن رضي لنفسه أن يدعى بالكذب، فهو جاهل. فقال: لست أرضى أن أدعى بذلك، وإنما يدعوني به، من يريد الغض مني، ولست أقدر على الامتناع.

فأما أنا، فإنني سألته بالأهواز، في سنة أربع وخمسين وثلثمائة، عند اجتيازه بها، إلى فارس، في حديث طويل، حدث بيننا، عن معنى المتنبي، لأني أردت أن أسمع منه، هل تنبأ أم لا؟ فأجابني بجواب مغالط لي، وهو أن قال: هذا شيء، كان في الحداثة، أوجبه الصبوة، فاستحيت أن أستقصي عليه، وأمسكت.

وقال لي أبو علي بن أبي حامد: قال لي أبي، ونحن بحلب، وقد سمع قوماً يحكون عن أبي الطيب المتنبي، هذه السورة التي قدمنا ذكرها: لولا جهله، أين قوله: امض على سبيلك، إلى آخر الكلام، من قول الله عز وجل " فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين، إنا كفيناك المستهزئين " إلى آخر السورة، وهل تتقارب الفصاحة بينهما، أو يشبهه الكلامان.

معقود العسل ودهن اللوز

حدثنا أبو الحسن محمد بن شجاع المتكلم البغدادي، قال " ٧٩ " : حدثنا أبو سلمة العسكري، أحد غلمان أبي علي الجبائي، قال: كنت بحضرته يوماً، وهو يصلي، ونحن جلوس نتحدث، فقال رجل منا: اليوم كنت عند صديق لي، فأطعمني معقود العسل ودهن اللوز.

فقالوا: إن جبي ليس بها من يكون هذا عنده، إلا العامل، ولست ممن يأكل طعام العمال.

فمر الرجل يشوش الكلام.

وسلم أبو علي من صلاته، فقال: لا يهوسكم الرجل، لعله كان اليوم عند الصيدلاني وتناول لطيفك ؟ فقال الرجل: هكذا كان.

أندلسي تتلمذ للجاحظ

وحدثنا أبو الحسين أيضاً، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن عمرو، قال: كنت بالأندلس، فقبل لي: إن بها تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ، يعرف بسلام بن زيد، ويكنى أبا خلف.

فأتيته، فرأيت شيخاً هماً، فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس؟ فقال: كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان، فوقع إلينا كتاب التبريع والتدوير، فأشاروا إليه، ثم أردفه عندنا كتاب البيان والتبيين، فبلغ الرجل الصكاك بكتابة هذين الكتابين. قال: فخرجت، لا أعرج على شيء، حتى قصدت بغداد، فسألت عنه، فقبل لي: هو بسر من رأى. فأصعدت إليها، فقبل: قد انحدر إلى البصرة. فانحدرت إليه، وسألت عن منزله، فأرشدت، فدخلت إليه، وإذا هو جالس وحواليه عشرون صبيّاً ليس فيهم ذو حية غيره. قال: فدهشت، فقلت: أيكم أبو عثمان؟ فرفع يده، وحركها في وجهي، وقال: من أين؟ فقلت: من الأندلس.

قال: طينة حمقاء، فما الاسم؟ قلت: سلام. قال: اسم كلب القرد، ابن من؟ قلت: ابن زيد. قال: بحق ما صرف، أبو من؟ قلت: أبو خلف. قال: كنية قرد زبيدة، ما جئت تطلب. قلت: العلم. قال: ارجع بوقت، فإنك لا تفلح. قلت له: ما أنصفتني، فقد اشتملت على خصال أربع، جفاء البلدية، وبعد الشقة، وغرة الحداثة، ودهشة الداخل. قال: فترى حولي عشرين صبيّاً، ليس فيهم ذو حية غيري، ما كان يجب أن تعرفني بها؟ قال: فأقمت عليه عشرين " ٨٠ " سنة. قال: وكان سلام هذا يحسن العلم.

الناس أربعة

قال : وبلغني عن أبي بكر بن مجاهد، أنه قال: الناس أربعة: مليح يتبغض لملاحته فيحمل، وبغيض يتملح، فذاك الحمى، والداء الذي لا دواء له، وبغيض يتبغض، فيعذر لأنه طبيعة، ومليح يتملح، فذلك الحياة الطيبة.

كيفية صيد الفيل واستناسه

حدثنا أبو الحسين، قال: كنت بتانة من بلاد الهند، فسمعتهم يتحدثون: أن ملوك الهند، يغالون في الأفيلة الحربية، على قدر عظم بطشها، فرما بلغ الفيل الفاره، المقطع النظر، مائة ألف دينار، ودائماً يبلغ الفيل الواحد منها عشرة آلاف دينار.

قال: فإذا بلغ الملك، أن فيلاً قد تغرب، وله بطش عظيم، وأنه يصلح للحرب، أمر بصيده.
قالوا: وليس له حيلة في صيده، إلا بأن يخرج قوم من الفيالين، ومعهم فيلة أنثى، أهلية معلمة، فيها فضل
خنثٍ وتأنيث، والأفيال، فيها من القطنة أمر عظيم.

قال: فيخرج الفيالون، وهي معهم، إلى حيث قد بلغهم موضعاً يتغرب الفيل فيه، فيقاربون الموضع،
ويلجأون إلى موضع يختبئون فيه، في شجرة عظيمة، لا تمكن الفيل فيها حيلة، أو شيء يحفرونه ويغطونه،
ويدعون الفيلة الأنثى ترعى.
فحين يشم الفيل رائحتها، يقصدها، وتقصده، فتلاعبه، وتطاعمه بخراطومها، وتؤانسها، ولا تبرح من حيث
هي، ويرعيان في موضع فيالها، والفيالون يختبئون شهراً، لا يفرقون بينهما.

فإذا كان بعد شهر - أقل أو أكثر - على حسب علمهم باستحكام الألفة، استدعوا الفيلة، في وقت
تشاغل الفيل عنهم فيه، فتجئهم فيركبونها..
فحين يراهم الفيل، ويراه، يتبعهم، فيروم أن يؤذي الفيالين، فتضع هي خرطومها عليه وتلاعبه، وتسرع،
ويسرع خلفها.

فإذا رآوه قد ولى، ردوها إليه، فتلاعبه، فيرجع معها.
فلا يزالون يمشون خلفها، يومين أو ثلاثة، إلى أن يروا منه ضجراً، أو شدة في أذيتهم، فيقفون ليلة في
موضع، ويتهاربون عن ظهرها إلى موضع يختبئون فيه.
فلا يقصدهم الفيل لتشاغله بها، ويجرزون أنفسهم في المختبأ، ويدعونه معها دون تلك المدة.
ثم يسرون بها " ٨١ " على ذلك الوجه، فيتبعها الفيل.

فيسرون بها يومين أو ثلاثة، أو حسب ما يمكن، إلى أن يبدو ضجره، فينزلون على رسمهم.
فلا يزالون كذلك، حتى يقربونه من البلد، في مدة على حسب بعد المسافة أو قربها.
فإذا بلغوا المدينة، أخرج ملكها جميع أهل البلد، أو أكثرهم، وجمعهم، وصعد عامتهم على السطوح،
النساء، والصبيان، مزينين.

فحين يرى الفيل اجتماعهم، يستوحش، وينفر، ويولي، ويطلب الصحراء، فترجع الفيلة إليه فترده.
فإذا رأى الناس، نفر، فترجع إليه فترده، فلا تزال كذلك معه، حتى تدخله بين الناس، وتقربه منهم.
ويقيمونه الفيالون أياماً، كذلك، حتى يألف الناس، فإذا ألفتهم أمر الملك بجمع أصحاب الدبادب، والطبول
والصنوج.

فحين يسمع، ينفر نفوراً شديداً، أشد من ذلك، ويهرب، فتمضي الفيلة خلفه، فحين يراها، وقد بعد عن
الصوت قليلاً، يقف لها، فتداعبه، وترده، وتداريه.
فحين يقرب من الصوت يهرب، ثم يرجع معها، هذا دأبه معها، تفعل به ذلك أياماً متتابعات، إلى أن يألف
الصوت.

فإذا ألفت المناظر والأصوات، أدخل الفيالون الفيلة إلى البلد، ويتبعهم الفيل.

فيجيتون إلى ساحة كبيرة، معدة له، فيها أربعة أوتاد ساج، أثقل ما يكون، وأعظمه، متقاربة، منصوبة على أساسات شديدة.

فتدخل القبيلة ما بين تلك الأوتاد، وتقف، ويدخل وراءها، ويقف معها، فينزل الفيالون، وفي أوصل تلك الأوتاد حلقاً عظاماً وثيقة، في كل دقل حلقة، وفيه قيد عظيم ثقيل، فيضعون القيد في قائمة من قوائم الفيل، فيحصل مقيداً مضبوطاً بين تلك الأوتاد، لا يمكنه قلعها، ولا أن يطرح ثقله على شيء، لتساوي أجزائه في التقييد إليها.

فلا يزال على ذلك أياماً، والقبيلة إلى جانبه، فإذا مسه الجوع، جاءه الفيالون بالأرز والسمن المطبوخ، فأطعموه إياه، بأن يرمون إليه من بعد، فللجوع يأكله.

ولا يزالون يدارونه، ويتقربون منه " ٨٢ " ، على تدريج، حتى يأكله من أيديهم بعد مدة، فإذا أكل من أيديهم، فهي العلامة في استئناسه.

فحين يأكل من أيديهم مراراً كثيرةً، ويستمر على هذا، يركبونه، ويضعون الحديد في رأسه، أياماً، ويمرونها عليه، حتى يألفها، ويعلمونه، ويكلمونه.

فإذا مضت أيام على هذا، حلوا قيوده، وهم فوقه، فيمشي، ويصرفونه بحسب ما يصرفونه عليه، ويصير في حكم الأهلي.

ملك الصنف يملك ألفي فيل

قال: وسمعت أن ملك الصنف، وهو البلد الذي يجيء منه العود الصنفي، له ألفا فيل، إذا خرجت تمتد نحو فرسخ.

الفيل يقوم بعمل الجلال

قال: وسمعت أن الملك، إذا أراد قتل إنسان، سلمه إلى الفيل، فيكلمه الفيال في أن يقتله.

قال: فيقتله بألوان من القتل، منها: أنه ربما لف خرطومه على رجل الرجل، ويضع إحدى يديه على ساق الرجل الأخرى، ثم يعتمد عليه، فإذا هو قد خرق الرجل بنصفين، من أوله إلى آخره.

وربما ترك الرجل، واستعرضه بالعرض، ثم وضع يده على بطنه، فيسحقه.

صاحب عمان يهدي فيلاً لمعز الدولة

قلت: أنا رأيت بالبصرة، في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، فيلاً، لطيفاً، حملة صاحب عمان، إلى معز الدولة، فاجتاز بالبصرة، وحمل إلى دارنا، فأدخل إلى صحنها، فرأيناها.

وسمعت عدداً كبيراً من أهل البصرة، يخبرون - غذاك - أن هذا الفيل اجتاز في سوق الجامع، فقرب منه صبي دون البالغ، فصاح فيه الفيالون ليتنحى عن طريق الفيل، فدهش الصبي، وأدركه الفيل، فلف خرطومه عليه، وشاله، فرفعه إلى الفيالين، فأخذوه منه، فصاح الصبي، وطار عقله، فما أنزلوه إلا بدراهم.

وأثم اجتازوا، بعد ذلك بأيام، فأدركت الفيل ضجرة، فقبض على صبي، فشاله بخرطومه، ورقاه في الهواء، ثم استقبله بنابه، فأدخله في جسمه، فقتله.

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

حدثني أبو الحسين، قال: حدثنا الفضل بن باهماد السيرافي، بها، وكان مشهوراً بسلوك أقاصي بلدان البحر، قال: قال لي رجل من بعض بياسة بلاد الهند، والبيسر: هو المولود على ملة الإسلام في بلاد الهند، أنه كان في بلد من بلاد " ٨٣ " الهند، وكان فيه الملك حسن السيرة، وكان لا يأخذ مواجهة، ولا يعطي مواجهة، وإنما يقلب يده إلى وراء ظهره، فيأخذ ويعطي بها، إعظاماً للملك، وسنة لهم هناك، وأنه توفي، فوثب رجل على ملكه، فاحتوى عليه، وهرب ابن كان له، يصلح للملك، خوفاً على نفسه من المتغلب. ورسوم ملوك الهند، أن الرجل إذا قام من مجلسه، لأي حاجة عرضت له، كانت عليه صدره، قد جمع فيها كل نفيس فاخر، من اليواقيت والجواهر، مضرباً بالإبريسم، في الصدر، ويكون قيمة ذلك ما إن لو أراد أن يقيم به ملكاً أقامه.

قال: ويقولون، ليس بملك، من قام من مجلسه، وليس معه ما إن حدثت عليه حادثة فهرب به، أمكنه إقامة ملك عظيم منه.

فلما حدثت على الملك، تلك الحادثة، أخذ ابنه صدرته، وهرب بها.

فحكى عن نفسه، أنه مشى ثلاثة أيام، قال: ولم أأطعم طعاماً، ولم يكن معي فضة ولا ذهب، فأبتاع به مأكولاً، وأنفت أن استطعم، ولم أقدر على إظهار ما معي.

قال: فجلست على قارعة الطريق، وإذا برجل هندي، مقبل، على كتفه كارة، فحطها، وجلس حذائي. فقلت: أين تريد؟ فقال: الجدام الفلاني.

ومعنى الجدام: الرستاق.

فقلت له: هذا الجدام الفلاني أريد، فنصطحب.

قال: نعم.

فطمعت أن يعرض علي شيئاً من مأكوله، قال: فحل الكارة، وأكل، وأنا أراه، ولم يعرض علي، وأنفت أن أبتدئه بالسؤال.

وقام يمشي وقد شدها، فمشيت معه، وتبعته، طمعاً في أن تحمله الإنسانية والمؤانسة على العرض، فعمل بالليل، كما عمل معي بالنهار.

قال: وأصبحنا من غدٍ، ومشينا، فعاملني بمثل ذلك، وظل على هذا سبعة أيام، لم أذق شيئاً.

فأصبحت في اليوم الثامن، ضعيفاً، لا قدرة لي على الحركة، فرأيت جداماً في حاشية الطريق، وقوماً يبنون،

وقيماً عليهم، يأمرهم.

قال: ففارقت الرجل، وعدلت إلى الوكيل، فقلت: استعملني بأجرة تعطينها عشيأً، مثل هؤلاء.

فقال: نعم، ناولهم الطين.

قال: فكنت آخذ الطين، فلعادة الملك، أقلب يدي إلى ظهري " ٨٤ " ، وأعطيتهم الطين، فكما أذكر أن

ذلك خطأ علي يسبب سفك دمي، أبادر بتلافي ذلك، فأرد يدي بسرعة، قبل أن يفتنوا بي.

قال: فلمحتني امرأة قائمة، فأخبرت سيدها بخبري، وقالت: لا بد أن يكون هذا من أولاد الملوك.

قال: فتقدم إليها، بحبسي عن المضي مع الصناع، فاحتبستني، وانصرف الصناع.

فجاءني بالدهن العروق، لأغتسل بهما، وهذه مقدمة إكرامهم، وسنة لإعظامهم، فتغسلت بذلك.

فجاءوني بالأرز والسّمك، فطعمت.

فعرضت المرأة نفسها علي للتزويج، فعقدت عليها، ودخلت بها من ليلتي، وأقمت معها أربع سنين، أرب

حالتها، وكانت لها نعمة.

فأنا يوماً، جالس على باب دارها، فإذا أنا برجل من بلدي، فاستدعيته، فجاءني.

فقلت له: من أين أنت؟ قال: أنا من يلد كذا وكذا، وذكر بلدي.

فقلت: ما تصنع هاهنا؟ فقال: كان فينا ملكٌ حسن السيرة، فمات، ووثب على ملكه رجل ليس من أهل

بيت الملك، وكان للملك الأول ابن يصلح للملك، فخاف على نفسه، فهرب، وإن المتغلب أساء عشرة

رعيت، فوثبوا عليه، فقتلوه، وانبثنا في البلدان نطلب ابن ذلك المتوفي، لنجلسه مكان أبيه، فما نعرف له

خبراً.

قال: فقلت له: تعرفني؟ قال: لا.

فقلت: أنا طلبتكم.

قال: وأعطيتهم العلامات، فعلم صحة ما قلت له، فكفرو لي.

قلت: اكتم أمرنا، إلى أن ندخل إلى الناحية.

فقال: أفعل.

قال: فدخلت إلى الامرأة، وأخبرتُها الخبر، وحدثتها بالصورة، وبأمرَي كله.

وأعطيتها الصدرة، وقلت: فيها كذا، ومن حالها كذا، وأنا ماضٍ مع الرجل، فإن كان ما ذكره صحيحاً،

فالعلامة أن يجيئك رسولي، ويذكر لك الصدرة، فأنهضي معه، وإن كانت مكيدة، كانت الصدرة لك.

قال: ومضى مع الرجل، وكان الأمر صحيحاً، فلما قرب من البلد، استقبلوه بالتكبير، وأجلسوه في الملك،

وأنفذ إلى الزوجة من حملها، وجاءت إليه.

فحين اجتمع شمله، واستقام ملكه، أمر فبنيت له دار " ٨٥ " عظيمة، وأمر أن لا يجتاز في عمله مجتاز، إلا

حمل إليها، ويضاف ثلاثة أيام، ويزود لثلاثة أيام آخر.

وكان يفعل ذلك، وهو يراعي الرجل الذي استصحبه في سفره، ويقدر أن يقع في يده.

وأراد أن يبني الدار شكراً لله تعالى، على الخلاص مما كان فيه، وأن يكفي الناس المؤونة التي كانت لحقته. فلما كان بعد حول، استعرض الناس، قال: وقد كان يستعرضهم في كل شهر، فلا يرى الرجل، فيصرفهم. فلما كان ذلك اليوم، رأى الرجل بينهم، فحين وقعت عليه عينه، أعطاه ورقة تنبول، وهذه علامة غاية الإكرام، ونهاية رتبة الإعظام، إذا فعله الملك بإنسان من رعيته. قال: فحين فعل الملك بالرجل ذلك، كفر له، وقبل الأرض، فأمره الملك بالنهوض، ونظر إليه، فإذا هو ليس يعرف الملك، فأمر بتغيير حاله، وإحسان ضيافته، ففعل، ثم استدعاه. فقال له: أتعرفني؟ قال: وكيف لا أعرف الملك، وهو من حاله، وعظم شأنه، وعلو سلطانه. قال: لم أرد هذا، أتعرفني، من قبل هذه الحال؟ قال: لا. قال: فأذكره الملك الحديث والقصة، في منعه الطعام سبعة أيام في السفر. قال: فهت الرجل. وقال: ردوه إلى الدار، وونسوه، وزاد في إكرامه، وحضر الطعام، فأطعم الرجل، فلما أراد النوم، قال الملك، لامراته: امضي فغمزيه، حتى ينام. قال: فجاءت المرأة، ولم تزل تغمزه، إلى أن نام، فجاءت إلى الملك، وقالت: قد نام. فقال: ليس هذا نوماً، حركوه، فحركوه فإذا هو ميت. قال: فقالت له المرأة: أيش هذا؟ قال: فساق إليها حديثه معه، وقال: وقع في يدي، فتناهيت في إكرامه، واهند لهم كبود عظام، وتوهمهم هو المعروف المتعالم عنهم، فدخلت عليه حسرة عظيمة، إذ لم يحسن إلي ذلك الوقت، فقتلته الحسرة. وقد كنت أتوقع موته قبل هذا، مما توهمه واستشعره من العلة في نفسه، والحسرة والأسف، فقتلته.

الجبارية في الهند

حدثنا أبو الحسين، قال: حدثني أبي، قال: رأيت بالهند قوماً، يقال لهم: الجبارية، يأكلون الميتة، ويقنرهم جميع أهل الهند، عندهم أنهم إذا ماسوهم نجسوا. قال: فهم يمشون، وفي أعناقهم طبول يطبلون بها، لتسمع أصواتها، فيتحنون عن طريقهم، فإذا لم يتنح الرجل عند سماع الطبل، فلا شيء على الجباري " ٨٦ " ، وإن لم يضرب الجباري الطبل، حتى يلاصق جسده، جسد غيره، قتله الذي يلتصق جسده به، ولا يعدى عليه، لأن هذا من شرطهم، وسنتهم. قال: ولا يشرب أحد من ماء هؤلاء الجبارية، ولا يأكل من طعامهم، ولا يخالطهم، فهم ينزلون في ظاهر البلد ناحية. قال: وهم أرمى الناس، ومعاشهم من الصيد.

البابوانية في الهند

قال: وهناك قوم يقال لهم البابوانية، يجرون مجرى المستقنين هاهنا، والسلطان يطلبهم، فإذا وقعوا في يده، وظفر بهم، فعل بهم، كما يفعل بالصوص والعيارين.

قال: وهم يصطادون الناس، ولا يعرضون لغير ذلك.

قال: والواحد منهم، يتبع التجار الذين يطأون إليهم من المسلمين والذمة، فإذا رأى الواحد من التجار، في طريق خال، قبض عليه، فحين يقبض عليه، وقد علم التاجر بأمره، فيسكت، لأنه إن استغاث، أو نطق قتله الهندي، وقتل نفسه في الحال، لا يتألم لذلك، لاعتقادهم المشهور في القتل.

قال: ويراهم الناس، وقد اصطادوا الرجل، فلا يعرضون خلاصه، لئلا يقتله، ويقول لهم الرجل: الله، الله، إن عارضتموه، فلا يمكن لسلطان ولا غيره، انتزاعه من يده، في تلك الحال، لئلا يعجل بقتله.

قال: فأخبرني رجل من الهند، أن رجلاً من البابوانية، قبض في طريق سفر على رجل لقيه منفرداً من التجار. فقال له: اشتر نفسك.

فتوافقا على أن يشتري نفسه منه بألف درهم.

فقال له التاجر: تعلم أي خرجت ولا شيء معي، ومالي في البلد، فتصير معي إلى داري في البلد، لأؤدي ذلك إليك.

قال: فأجابه، وقبض على يده، ولم يزل يمشي معه، حتى اجتازا في طريقهما، بقرية الجبارية وكان طريقهما في سكة منها، فسلكاها.

فحين حصلا فيها، فطن التاجر للحيلة في الخلاص، وقد كان عرف مذهب الهندي في الجبارية، فلم يزل يمشي معه، حتى رأى باباً مفتوحاً، من دور الجبارية، ف جذب يده بحمىة شديدة، من يد البابواني، وسعى فدخل دار الجباري.

فقال له: ما لك؟ قال: أنا مستجير بك، من يد بابواني اصطادني، وتعريت منه.

قال: لا بأس عليك " ٨٧ " ، فاجلس.

فصاح البابواني: يا جباري، يا جباري، اخرج إلي.

قال: وهم لا يدخلون دور الجبارية، لاستقذارهم إياهم.

قال: فخرج، ووقف، بينهما عرض الطريق، لأنه لا يجوز لأحدهما أن يدنو من صاحبه.

فقال له البابواني: أعطني صاحبي.

قال: قد استجار بي، فهبه لي.

قال: لا أفعل، هذا رزقي، فإن لم تعطينه، لم ندع جبارياً إلا قتلناه.

قال: فطال الكلام بينهما، إلى أن قال الجباري، أسلمه إليك في الصحراء فامض برأ، تسبقه إلى الموضع الفلاني.

قال: فمضى.

ودخل الرجل على التاجر، وقال له: اخرج لا بأس عليك.

فخرج معه، وأخذ الجباري قوسه، وخمسين نشابة، قال: ونشأ بهم من القصب.

قال: فعلق المسلم بكم الجباري، ولصق به، علماً منه بأن البابواني لا يدنو منه.

فلما صاروا إلى الصحراء، قال له الجباري: تهبه لي؟ واجتهد به، فلم يفعل.

قال: فإني لا أسلمه، أو لا يبقى معي سلاح.

قال: شأنك.

قال: وهم لا يخطئون البتة في الرمي، ففوق سهمه نحوه، فحين أطلقه تلقاه البابواني بشيء كان معه،

فاعترض السهم بالشيء، فقطعه باثنين، وسلم منه.

فتحير الجباري.

قال: فلم يزل يرميه بنشابة نشابة، ويفعل بها البابواني، مثل ذلك، إلى أن ذهب النشاب، ولم يبق منه إلا

نشابتان.

فضعفت نفس التاجر، وأيقن بالهلاك، وقال للجباري: الله، الله، في دمي.

قال: فقال له البابواني: لا يقع لك أنك قد أفلت، ثم أخذ سهماً.

فقال له الجباري: لا تقدر على ذلك، وسأريك من رميتي، ما تتحدث به أبداً، انظر إلى هذا الطائر الذي

يطير في السماء، فإني أرميه، فأصرعه على رأسك، ثم أرميك فلا أخطيك.

قال: فشال البابواني رأسه، ينظر إلى الطير، فرماه الجباري، فأصاب فؤاده، فخر صريعاً يضطرب، ومات.

وقال للتاجر: ارجع الآن آمناً.

فرجع إلى داره، وأقام عندهم، إلى أن اجتازت بهم صحبة، رحل معها التاجر، إلى مأمنه.

سرق ماله بالبصرة، واستعاده بواسط

حدثنا أبو الحسين، قال: حدثني رجل من أهل دار الزبير بالبصرة، دقاق، قال: أورد علي رجل غريب،

سفتجة بأجل، فكان يتردد إلى أن حلت، ثم قال: دعها عندك، وأخذها متفرقة.

فكان يجيء في كل يوم، فيأخذ بقدر نفقته، إلى أن نفذت.

وصارت بيننا معرفة، وألف الجلوس عندي، وأنست به، وكان يراني أخرج كيسي من صندوق لي، فأعطي

منه النقودات التي تحل علي.

فقال لي يوماً: إن قفل الرجل، صاحبه في سفره، وأمينه في حضره، وخليفته على حفظ ماله، والذي ينفي

الظنة عنده عن عياله، فإن لم يكن وثيقاً، تطرقت الحيلة عليه، وأرى قفلك هذا وثيقاً، فقل لي ممن ابتعته،

لأبتاع مثله.

فقلت: من فلان القفال، في جوبات الصفارين.

قال: فما شعرت، إلا وقد جئت " ٨٨ " ، وطلبت صندوقي، لأخرج منه شيئاً من الدراهم، فحمل إلي،

ففتحت، فإذا ليس فيه شيء من الدراهم.

فقلت لغلامي - وكان غير متهم عندي - : هل أنكرت من الدراهمات شيئاً؟ فقال: لا.

فقلت: ففتش، هل ترى في الدكان نقباً؟ ففتش، فقال: لا.
فقلت: فمن السقف حيلة؟ فقال: لا.
فقلت: اعلم أن دراھمي قد ذهبت؟ فخلق الغلام، فسكنته، وأقمت في دكاني، لا أدري ما أعمل، فتأخر عني الرجل، فلما تأخر، أهملته، وتذكرت مسأله لي عن القفل.
فقلت للغلام: أخبرني كيف تفتح الدكان وتغلقه؟ فقال: رسمي، إذا أغلقت الدكان، أغلقه درابتين، درابتين، والدرايات في المسجد، أحملها دفعات، اثنتين وثلاثاً، في كل دفعة، فأشرحها، ثم أقفل، وكذا أفتحها.
فقلت: البارحة، واليوم كذا فعلت؟ فقال: نعم.
فقلت: فإذا مضيت لترد الدرايات، أو تحضرها، على من تدع الدكان؟ قال: خالياً.
فقلت: فمن هاهنا وقع الشر.
وذهبت ومضيت إلى الصانع الذي ابعت منه القفل، فقلت له: جاءك إنسان منذ أيام، اشترى منك مثل هذا القفل؟ قال: نعم، وحكى من صفته كيت وكيت، فأعطاني صفة صاحبي.
فعلت أنه جاء، واختبأ للغلام وقت المساء، حتى إذا انصرفت أنا، ومضى وهو يحمل الدرايات، دخل الدكان فاختبأ فيه، ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه، الذي يقع على قفلي، وأنه أخذ الدراهم، وجلس طول ليلته، خلف الدرايات، فلما جاء الغلام، وفتح درابتين أو ثلاثاً، وحملها ليرفعها، خرج هو، وأنه ما فعل ذلك، إلا وقد خرج إلى بغداد.

قال: فسلمت الدكان إلى الغلام، وقلت له، من سأل عني، فعرفه أي خرجت إلى ضيعتي.
قال: وخرجت، ومعني قفلي ومفتاحه.
فقلت: أبتدئ بطلب الرجل بواسط، فلما صعدت من السميرية، طلبت خاناً في الجسر، أنزله، فأرشدت إليه، فصعدت، وإذا بقفل مقل قفلي، سواء، على بيت.
فقلت لقيم الخان: هذا البيت من ينزله؟ فقال: رجل قدم من البصرة، أول أمس.
فقلت: أي شيء صفته؟ فوصف صفة صاحبي " ٨٩ "، فلم أشك أنه هو، وأن الدراهم في بيته.
فاكتربت بيتاً إلى جنبه، ورصدت البيت حتى انصرف القيم، وقمت، ففتحت القفل بمفتاحي.
فحين دخلت البيت، وجدت كيسي بعينه، ملقى فيه، فأخذته، وخرجت وقفلت البيت، وتركته.
ونزلت إلى السفينة التي جئت فيها، وأرغبت الملاح في زيادة أجره، حتى حملني، وانحدرت في الحال، وما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار.
ورجعت إلى البصرة بمالي.

صيرفي بغدادي متحصن من اللصوص

حدثنا أبو الحسين، قال: حدثني رجل من أهل بغداد، أن بعض من تاب من اللصوصية، حدثه، قال: كان في الناحية الفلانية، صيرفي، كثير المال، يطلبه اللصوص، فلا تتم عليه حيلة، ولا يقدر على.

قال: فتواطأ عليه جماعة لصوص، كنت أحدهم، فقالوا: كيف نعمل في دخول داره؟ فقلت: أما الدخول، فعلي لكم، وأما ما بعد ذلك فلا أضمنه.

قالوا: فما نريد إلا الدخول.

قال: فجئت، وهم معي، عشاءً، فقلت لواحدٍ منهم: تصدق، فإذا خرجت الجارية إليك بشيء، فنباعد، وتعام عليها، لتجيء إليك تعطيك الصدقة، وكن على خطي من الباب، لأدخل أنا، وهي متشغلة معك، قد بعدت عن الباب، فلا تراني إلى أن أدخل، فأختبئ.

قال: ففعل ذلك، وحصلت مختبئاً في مستراح الدهليز.

فلما عادت الجارية، قال لها مولاهما: قد احتبست.

قالت: حتى أعطيت السائل الصدقة.

قال: ليس هذا قدر دفعك إليه.

قالت: لم يكن على الباب، فلحقته في الطريق، وأعطيته.

فقال: وكم خطوة مشيت من الباب.

قالت: خطي كثيرة.

قال: لعنك الله، أخطأت عليّ، قد حصل معي في الدار لص، لا أشك فيه.

قال: فحين سمعت هذا، قامت قيامتي، وتحيرت.

فقال لها: هات القفل.

فجاءته به، فجاء إلى باب دهليز الدار، والصحن بعد باب الدار، فقفله من عنده، ثم قال لها: دعي اللص الآن يعمل ما يشاء.

قال: فلما انصف الليل، جاء أصحابي، فصفروا على الباب، ففتحت لهم باب الدار، فدخلوا الدهليز " ٩٠ ، وأخبرتهم بالخبر.

فقالوا: نقب العتبة، ونخرج إلى الصحن.

ونقبوا، فلما فرغوا، قالوا: ادخل معنا.

فقلت: إن نفسي قد نبت عن هذا الرجل، وأحسست بشر، وما أدخل البتة.

فاجتهدوا بي، وقالوا: لا نعطيك شيئاً.

فقلت: قد رضيت.

فدخلوا، فحين حصلوا في الصحن، وأنا في الدهليز، أسمع عليهم، مشوا فيه، فإذا للمولى زبية، في أكثر الصحن، محيطه به، يعرفها هو وعياله، فيتقون المشي عليها ليلاً ونهاراً، وهي منصوبة للحفظ من هذا وشبهه، وعليها بارية، من فوق خشب رقيق جداً.

فحين حصلوا عليها، سقطوا إليها، فإذا هي عميقة جداً، لا يمكن الصعود منها.

فسمع المولى صوت سقوطهم، فصاح: وقع هؤلاء، وقام هو وجاريتته يصفقون ويرقصون.

وتناولوا حجارة معدة لهم، فما زالوا يشدخون رؤوسهم وأبدانهم بها، وأصحابي يصيحون، وأنا أحمد الله

على السلامة، إلى أن أتلفهم.
وهربت أنا من الدهليز، ولم أعرف لأصحابي خبراً، كيف دفنوا، أو كيف أخرجوا.
فكان ذلك سبب تويتي من اللصوصية.

البراءة المرورة

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني رجل من البغداديين، قال: كنت وأنا حدثٌ، حسن الوجه، فلما اتصلت
لحيتي، وهي طرية بعد، طلبت التصرف، فكتب لي إلى أبي أحمد النعمان بن عبيد الله، فلقيته في عمله،
فأكرمني، وبالغ في بري، وأمرني بالجلوس، فجلست، وكلما أردت القيام احتبسني إلى أن لم يبق عنده أحد
إلا خواصه.

ثم أحضر المائدة فأكلنا، فلما فرغنا، قمت لأغسل يدي، فحلف، أن لا أغسلها إلا بحضرته، فغسلتها،
وقمت.

فقال: إلى أين؟ فقلت: إلى منزلي.

فقال: أنت هاهنا غريب، ولعلك في خان.

فقلت: هو كذلك.

فقال: وموضعنا أطيب، وهو خير، وخيشنا بارد، فأقم عندنا.

فقلت: السمع والطاعة.

ولم أعرف ما في نفسه، فدخلت الخيش، فلما حصلت عنده فيه، جعل يستدني، ولا أعلم غرضه، إلى أن
صرت بقربه، فضرب بيده، يولع " ٩١ " بي، فعلمت أن شرطه في اللواط، أصحاب اللحى الطرية.

فصعب علي ما تم من ذلك، وقلت: كيف أصنع؟ ليس إلا التطايب.

قال: قتلته، يا سيدي أي شيء تريد؟ قال: أريد أن أفعل كذا وكذا.

فقلت: يا سيدي، براءتي معي، وقبضت على لحيتي.

قال: لا تفعل، هذه براءة مزورة.

قلت: كيف؟ قال: لأني ما وقعت فيها بقلم.

من شعر سيدوك الواسطي

أنشدني أبو طاهر المعروف بسيدوك الواسطي لنفسه:

هات اسقبيها كلمح البرق ما مزجت ... إلا لتسير سقلاطونها فينا

إذا لواعب آذريونها عبثت ... بجلنار سناها هز نسرينا

أدير في الكأس ذر الشمس إذ رقصت ... والماء نغرف من نار كماشينا

وأنشدني لنفسه من أبيات:

ما أكثر الشعراء مذ قتل الندى ... والشعر أعوز من دموع الأرقم
وأنشدني لنفسه قصيدة يمدح بها أبا الحسن عمران بن شاهين، أمير البطيحة وفيها ذكر الهجري الذي يقاتل
به، هو وأصحابه، وهو شبيه الحراب، يقول:
تسي النفوس حراب ما أدت بها ... كئس المنية إلا رحت ذا طرب
تظل من فضة حتى إذا وردت ... أصدرتها من دم الأبطال من ذهب
من كل مقلية الجبين ماضية ... قدت من الشمس أو قدت من اللهب

من شعر أبي إسحاق الصابي

أنشدني أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار، قال: أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن هليل الصابي الكاتب
لنفسه:
تورد دمعي فاستوى ومدمني ... فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما أدري أبا لخم أسليت ... جفوني أم من دمع عيني أشرب
وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه:
ما زلت في سكري ألمع كفها ... وذراعها بالقرص والآثار
حتى تركت أديمها وكأنا ... غرس البنفسج منه في الجمار
قال: وأنشدني لنفسه:
فديت من سارقني لحظها ... من خيفة الناس بتسليمته
لما رأت بدر الدجى زاهياً ... وغازها ذلك من شيمته
سلت له البرقع عن وجهها ... فردت البدر إلى قيمته " ٩٢ "
وأنشدني، قال: قرأت على ظهر دفتر:
كنا نرورك والدار دانية ... في كل وقت فلما شطت الدار
صرنا نقدر وقتاً في زيارتكم ... وليس للشوق في الأحشاء مقدار

الحسن بن عون الموسوس

حدثني أبو الحسن محمد بن غسان الطيب، قال: كان عندنا بالبصرة في اليمارستان، رجلٌ موسوس، يعرف
بالحسن ابن عون، من أولاد الكتاب، حبس في اليمارستان للعلاج، في سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة.
وطال حبسه سنين، ثم صلح، فاستخدم في اليمارستان، إلى أن تكامل صلاحه.
وكنى أختلف إلى اليمارستان، لتعلم الطب، فكنت أشاهده كثيراً، فأول يوم علمت أنه يقول الشعر،
سمعته وهو يقول:
أدافع همي بالتعلل والصبر ... وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر

وأرجو غداً حتى إذا ما غدّ أتى ... ترايد بي همي فأسلمني صبري
فلا اهتم يغنيني ولا العمر ينقضي ... ولا فرج يأتي سوى أدمع تجري
إلى الله أشكو ما أقاسي فإنه ... عليم بأني قد تحيرت في أمري
وعرفت حاله في أدبه، يأنشاده إياي كل يوم قطعة من شعره، يعملها بحضرتي.
وشاهد عمل الجلنجين بالورد في اليمارستان، فقال: وأنشدني لنفسه:
أنظر إلى الورد في أكفهم ... يطبع للقاطفين من ورقه
كالقلب نار الهوى تحرقه ... والقلب يهوى الهوى على حرقة
وحملت إليه شيئاً من المأكول، اشتهاه عليّ، فكتب إلى جانب حائط:
حصرت من ظرف ما بعثت به ... وقلت: يا سيدي ومولاي
لو أن أعضاء شاكِرٍ نطقت ... بالشكر أثنت عليك أعضاي
ما نفت للكرام كلهم ... ويا صباحي كمثل ممساي
لو أن ما بي ببعض أعداي ... بكيت مما أرى بأعداي

حكاية ديوث

حدثنا القاضي أبو القاسم عمر بن حسان بن الحسين:

أنه بلغه عن رجل قليل الغيرة، رديء الدين، كان يجمع بين زوجته، وبين أهل الفساد في منزله.
قال: عشق امرأته، رجلاً، وكان ينفق عليها في منزله، وأحلفها بحضرتة " ٩٣ " ، أنها لا تطاوع زوجها على
الجماع.

قال: وكان ليلة على شأنهما، في أسفل الدار التي للزوج، فصعدت المرأة إلى السطح هناك، واحتبست، فلما
جاءت، خاصمها العشيق، وقال: لعله فعل بك زوجك كذا.

فقالت: وحلفت، أنه ما جرى من ذلك شيء.

وسمع الزوج الكلام، فقام يصلي في السطح، ويصيح: الله أكبر، ليسمع العشيق، ويعلمه، أنه لم يكن ليصلي،
وهو جنب، حتى يصلح بينه وبين المرأة، بذلك.

حجاب شديد

وهذا ضد ما حدثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن البهلول التوخي : أن امرأة من أهلهم بالأنبار، كانت
قد جاوزت الأربعين سنة، وخرجت من بيتها إلى بغداد، في محنة عرضت لها، فلما حصلت في الطريق رأت
جمالاً يدير دولاباً.

فقالت: ما هذا؟ فقبل لها: دولاب الجمل.

فحلفت بالله، أنها ما رأت جمالاً قط.

كتاب المافروخي عامل البصرة

حدثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن طريف، المعروف بأحمد الطويل، قال: كتب إليّ أبو محمد عبد العزيز المافروخي، وأنا أتقلد حصن مهدي، والفرض، والأعمال التي كنت أتقلدها مع ذلك، وهو يتقلد البصرة، يسألني إطلاق تمر له، اجتاز عليّ ويعرض بأن مكافأة ذلك، لا تذهب عليه. فأطلقت له التمر، بلا ضريبة، ولا مؤونة، وكتبت إليه أعاتبه على هذه اللفظة. فكتب إليّ كتاباً، يعتذر، حفظت منه قوله: وصل كتابك الذي أبان الله به فضلك، وسهل إلى سبل المكارم سبقك، وفهمته فهم معجب به، ومتعجب منه، وسرني صدوره، لا لقدّر الحاجة في نفسي، ولا في نفسك، ولكن لما أنفذه من بصيرتي فيك، وقواه من معرفتي بك. ووجدتك، وقد اضطربت من لفظة ذكرت أني ضميتها كتابي، وهي الإلماح والتلويح، بالمكافأة والتعويض. ومعاذ الله أن ينطلق بذلك لساني، أو تجري به يدي، لأن مثله لا يجري إلا عن ذي عطن ضيق، إلى ذي باع في الخامد قصير، ولا هذه صورتك، ولا صورتي. وإذا كانت " ٩٤ " الأنفس واحدة، والأموال مشتركة، فأني فائدة لي في أن أتناولك ببعض مالك، أو أرد إليك ما هو لك. فإن تكن الصورة كما يجيل لي، فأنت أيلك الله، المليم دوني، وإن كنت - بحمد الله ومنه - من كل ما يقع عليه اللوم بعيداً. وإن تكن الأخرى، وهبت زلتي لمعدرتي، فإني بشر غير معصوم، والخطأ والنسيان جاريان عليّ.

للوزير المهلي

في كلة قصب حركتها الريح

أنشدني أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي، قال: أنشدنا أبو محمد المهلي في وزارته، وعمله بين أيدينا، وقد نصبت له في داره بالأهواز كلة قصب، وحركتها الريح. فاستحسن ذلك، وقال:

رأيت مر الهوا عليها

فشمت منها اختلاس لحظ ... وخلت فيها وجيب قلب

زور مناماً فجاء مطابقاً للحقيقة

وحدثني أبو الفضل، قال: حدثني رجل من شيوخ المتصرفين ببلدنا، يقال له: عباد بن الحريش، قال: لما كتب علي بن المرزبان، عم أيلك، لعمر بن الليث، ورقت حاله عنده، حتى قلده عمالة شيراز، صادر المتصرفين على أموال ألزمهم إياها، وكنت ممن أخذ خطه عن العمل الذي كان يليه بثمانين ألف درهم. قال: فأديت منها أربعين ألف درهم، ونفدت حيلتي وحالي، ولم يبق لي في الدنيا إلا داري التي أسكنها، ولا

قدر لثمنها، فيما بقي عليّ، فلم أدر ما أعمل.
وفكرت فوجدت علي بن المرزبان، رجلاً سليم الصدر، فعملت رؤيا، وأجمعت رأيي على أن ألقاه بها،
وأجعلها سبباً لشكوى حالي، والتوصل إلى الخلاص.
قال: فجلست، وعملت الرؤيا، وحفظتها، واختلت خمسين درهماً، وبكرت من الغد، قبل طلوع الفجر،
فدققت بابه.

فصاح بي خادم كان له يجري مجرى حاجب، من خلف الباب: من أنت؟ قلت: عباد بن الحرّيش.
قال: في هذا الوقت؟ قلت: نعم.
ففتح لي، فدخلت، وشكوت حالي، وقلت: هذه خمسون درهماً، لا أملك غيرها، فخذها، وأدخلني إليه قبل
تكاثر الناس عليه، فإن فرج الله عني، فعلت بك وصنعت.
قال: فدخل، واستأذن لي، وتلطف حتى أدخلني إليه، وهو يستاك.
فقال: ما جاء بك في هذا الوقت؟ فدعوت له " ٩٥ "، وقلت: بشارة رأيتها في النوم البارحة.
فقال: وما هي؟

فقلت: رأيتك كأنك تجيء إلى شيراز، من حضرة الأمير، وتحك فرس أشهب عظيم، لم يرقط أحسن منه،
وعليك السواد، وقلنسوة الأمير على رأسك، وفي يدك خاتمه، وحوالك مائة ألف إنسان من فارسٍ وراجلٍ،
وقد تلقاك أمير البلد، فترجل لك، وأنت تجتاز، وطريقك كله أخضر منور مزهر، والناس يقولون: إن الأمير
قد استخلفه على جميع أمره.
قال: وقصصت الرؤيا، وهذا معناها.

فقال: خيراً رأيته، وخيراً يكون إن شاء الله، فما تريد؟ قال: فشكوت حالي، وذكرت أمري.
فقال: أنظر لك بعشرين ألف درهم، وتؤدي عشرين ألف درهم.
قال: فحلفت بالطلاق، أنه لم يبق لي إلا مسكني، وبكيت، وقبلت يده، واضطربت بحضرته، فرحمي، وكتب
لي إلى الديوان، بإسقاط ذلك عني، وانصرفت.

ولم تمض، إلا شهر، حتى كتب عمرو بن الليث، إلى علي بن المرزبان، يستدعيه، وبأمره يحمل ما اجتمع له
من الأموال، وكان قد جمع له، ما لم يسمع قط باجتماع مثله في وقت واحد، من أموال فارس، فإنه جمع له
ستين ألف ألف درهم.

قال: فحملها إلى سابور، وخرج، وتلقاه عمرو بن الليث، بجميع قواده، وأهل عسكره.
وهاله عظم ذلك المال، فاستخلفه على فارس، وأعمالها، حرباً وخراجاً، وفوض إليه الأمور كلها، وأذن إليه
في الحل والعقد بغير استثمار، وخلع عليه سواداً له، وحمله على فرس أشهب عظيم الخلقة، كان يعظمه
عمرو، ويكثر ركوبه، ودفع إليه خاتمه، وردّه إلى فارس.
قال: فوافاه في زمن الربيع، ولم يحل الحول على قصتي معه.

فخرج أمير البلد - وقد صار من قبله - ليستقبله، وخرج الناس، فلقوه على ثلاثين فرسخاً، وأكثر،

وخرجت فتلقته على العطفة التي في طريق خراسان، وبينها وبين البلد، نصف فرسخ.
قال: فوافي وهو على الصفة التي ذكرتها له في المنام الموضوع، والدنيا على الحقيقة خضراء بآثار الربيع وزهره، وحوله أكثر من مائة ألف إنسان " ٩٦ " ، وعليه قلنسوة عمرو بن الليث، وفي يده خاتمه، وعليه السواد، وتحت الفرس الأشهب، وقد تلقاه أمير البلد، فترجل له.
قال: فحين رأيته، ترجلت، ودعوت له، فلما رأيته تبسم، وأخذ بيدي، وأحفى السؤال بي، ثم تفرق الجيش بين يديه، فلحقته إلى البلد، فلم أستطع القرب منه، لازدحام الدواب، فانصرفت.
وباكرته من غدٍ، في مثل ذلك الوقت، الذي جنته ليلة الرؤيا.
فقال لي الحاجب: من أنت؟ فقلت: عباد.
فقال: ادخل، واستأذن.
فدخلت وهو يستاك، فضحك إلي، وقال: قد صحت رؤياك يا عباد.
فقلت: الحمد لله.
فقال: لا تبرح من الدار، حتى أنظر في أمرك.
قال: وكان بأهله باراً، ورسمه إذا ولي عملاً، أن لا ينظر في شيء من أمر نفسه، حتى ينظر في أمر أهله، فيصرف من يصلح منهم للتصرف، أو يبره، وإذا فرغ منهم، عدل إلى الأخص، فالأخص، من حاشيته، فإذا فرغ من ذلك، نظر في أمر نفسه.
قال: فجلست في الدار إلى قرب العصر، وهو ينظر في أمر أهله، والتوقيعات تخرج، بالصلات، والأرزاق، وكتب التقليدات، إلى أن صاح الحاجب: عباد بن الحريش، فقامت إليه.
فقال: إني ما نظرت في أمر أحد، غير أمر أهلي، فلما فرغت منهم، بدأت بك قبل الناس كلهم، فاحتكم، ما تريد؟ فقلت: ترد علي المال الذي أديته، وتقلدني العمل الذي صرفتني عنه.
قال: فوق لي برد المال، وتقليد العمل، وقال: امض، فقد أوغرت لك العمل، فخذ ارتفاعه كله.
قال: وكان يستدعيني في كل مديدة، ويحاسبني، ولا يأخذ مني شيئاً، وإنما يكتب لي روزات من مال العمل، ويصلح حسابات، ويقبلها، ويخلدها الديوان، وأرجع إلى العمل.
وكتبت كذلك إلى أن زالت أيامه، فرجعت إلى شيراز، وقد اجتمع لي مال عظيم، صودرت منه على شيء يسير، وجلست في بيتي " ٩٧ " ، وعقدت نعمة بالمال، ولم أطلب تصرفاً إلى الآن.

من مكارم البرامكة

حدثني أبو الفضل، قال: حدثني أبو الحسن، ثابت بن سنان الحراني الطيب: أنه رأى رقعة يتواردونها، بخط جبريل بن بختيشوع المططب، فيها ثبت ما وصل إليه، من يحيى بن خالد البرمكي، وبنيه، وجواريه، وأولاده، من ضيعة، وعقار، ومال، وغير ذلك، يحتوي على سبعين ألف ألف درهم، وتفصيل ذلك، شيئاً شيئاً، وأنهم يحفظونها للعجب والاعتبار.

قال: فاستهولت ذلك، وانصرفت، فحدثت بذلك، بعض الرؤساء ببغداد، وكان بحضرته أبو الحسن علي بن هارون المجسم، فقال: وأي شيء تتعجب من هذا؟

حدثني أبي، عن أبيه، قال: كنت بحضرة المتوكل، في يوم مهرجان، أو نيروز، وهو جالس، والهدايا تحمل إليه، من كل شيء عظيم، ظريف مليح، إلى أن ضربت دبابدب الظهر، وهم بالقيام، فدخل بختيشوع الطيب، وهو ابن جبريل بن بختيشوع الأكبر، فحين رآه المتوكل استدناه جيداً، حتى صار مع سريره، وأخذ يمازحه، ويلاعبه، ويقول: أين هدية اليوم؟ فقال له بختيشوع: يا أمير المؤمنين، أنا رجل نصراني، لا أعرف هذا اليوم، فأهدي فيه.

فقال: دع هذا عنك، ما تأخرت إلى الآن، إلا أنك أردت أن تكون هديتك خير الهدايا، فيرى فضلها على الهدايا.

فقال: ما فكرت في هذا، ولا حملت شيئاً.

فقال له: بحياتي عليك.

فضرب بيده إلى كفه، فأخرج منه، مثل الدواة، معمولاً من عود هندي، لم ير قط مثله، كالأبنوس سواداً، وعليه حلية ذهب محرق، لم ير قط أحسن منها عملاً، ولا من الدواة.

قال: فقدر المتوكل، أن الهدية هي الدواة، فاستحسنها.

فقال: لا تعجل يا مولاي، حتى ترى ما فيها.

ففتحها، وأخرج من داخلها، ملعقة كبيرة محرقة، من ياقوت أحمر.

قال: فخبطت أبصارنا، ودهشنا، وتحيرنا.

فبهت المتوكل، وأبلس، وسكت ساعة متعجباً، مفكراً، ثم قال: يا بختيشوع، والله، ما رأيت لنفسي، ولا في خزانتي، ولا في خزائن آبائي، ولا سمعت، ولا بلغني أنه كان للملوك من بني أمية، ولا للملوك العجم مثلها، فمن أين لك هذه؟ " ٩٨ " .

فقال: الناس لا يطالبون بمثل هذا، وقد أهديت إليك، ما قد اعترفت بأنك لم تر، ولم تسمع، بمثله حسناً، فليس لمسألي عن غيره.

قال: بحياتي أخبرني.

فامتنع، إلى أن كرر عليه إحلافه بحياته، دفعات، وهو يمتنع.

فقال: ويحك، أحلفك بحياتي، دفعات، أن تحدثني حديثاً، فممتنع، وقد بذلت لي ما هو أجل من كل شيء.

قال: فقال له: نعم يا مولاي، كنت حدثاً، أصحب أبي جبريل ابن بختيشوع إلى دور البرامكة، وهو إذا ذاك طبيهم، لا يعرفون خدمة طبيب غيره، ولا يثقون برأي غيره، ويدخل إلى حرهم، ولا يستتر أكثرهم عنه.

قال: فصحبته يوماً، وقد دخل إلى يحيى بن خالد، فلما خرج من عنده، عدل به الخادم، إلى حجرة دنانير جاريته، فدخلت معه، وأفضينا إلى ستارة منصوبة، في صدر مجلس عظيم، وخلفها الجارية، فشكت إليه شيئاً وجدته، فأشار عليها بالفصد، وكان لا يفصد بيده، وإنما يحمل معه من يفصد من تلامذته، ورسم الفصد

عليهم خمسمائة دينار.

قال: فندبني ذلك اليوم للفصد، وأخرجت يدها من وراء الستارة، ففصدتها، وحملت إليّ في الحال خمسمائة دينار عينا، وأخذتها، وجلس أبي إلى أن يحمل إليها شراب تشربه بحضرته، ورماني أشار عليها باستعماله. قال: فحمل ذلك في صينية عظيمة مغطاة، وتناولت منه ما أرادت، وخرج الظرف مكشوفاً، فرآه أبي، فقال للخادم: قدمه إليّ، فقدمه إليه، فكان في جملته جامدة فيها رمان، وفيها هذه الملعقة، فحين رآها أبي قال: والله ما رأيت مثل هذه الملعقة، ولا الجامدة.

قال: فقالت له دنانير: بحياتي عليك، يا جبريل، خذها.

قال: ففعل، وقام ينصرف. فقالت له: تمضي، ففي أي شيء تدع هذه الملعقة؟ قال: لا أدري. قالت: أهدي إليك غلافها.

فقال: إن تفضلت.

فقالت: هاتم تلك الدواة.

فجاءوا بهذه الدواة، فوضع أبي فيها الملعقة، وحملها، والجامدة في كفه، وانصرفنا.

فقال له المتوكل: جامدة تكون هذه ملعقتها، يجب أن تكون عظيمة القدر، فبحياتي، ما كان من أمر الجامدة؟ فاضطرب " ٩٩ "، وامتنع امتناعاً عظيماً، إلى أن أحلفه مراراً بحياته.

فقال: أعلم، إذا قلت أي شيء كانت، طالبتني بها، فدعني أمضي، وأجيء بها، وأخلص منك دفعة واحدة. فقال: افعل.

قال: ومضي، فلم يهن المتوكل الجلوس، ولم يأخذ القرار، حتى جاء بختيشوع، وأخرج من كفه جامدة، على قدر الزبدية، أو الجامدة اللطيفة، من ياقوت أصفر، فوضعها بين يديه.

يوسف بن وجيه صاحب عمان

وحدثني أبو الفضل، قال: كنت مقيماً بسيراف، أتصرف، واجتاز بها يوسف بن وجيه، يريد البصرة، ومحاربة البريدي، وضامنهما - إذ ذاك - ابن مكتوم الشرازي، وهو مدبرها حرباً وخراجاً من قبل الأمير علي بن بويه، فلقاه، وخدمه خدمة ارتضاها، ونزل بظاهر البلد، فحمل إليه ابن مكتوم، كل شيء من الألفاظ والهدايا.

قال: فقال له يوماً: والله، ما وردت هذا البلد، إلا وفي نفسي الاجترأ عليه، وتخليف جيش به، ثم الخروج إلى البصرة، ولقد كاتبني جميع وجوه البلد في ذلك، وأشاروا علي بهذا، ولكني قد استحييت منك أن أفعل، فإنك بدأتني بالخدمة، وأنا في أطراف عملي، وليس بكثير أن أهب لك هذا البلد.

قال: وقد كان بلغنا أن أهل البلد كاتبوه بذلك، ولم نتحقق هذا، ولما قرب، أشار أهل البلد، على ابن مكتوم، بالانصراف، وأن لا يحضر، وخوفوه أن يقبض عليه، وأرادوا بذلك أن يتم التدبير لهم، في تملك يوسف ابن وجيه البلد.

فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك، وقال: لأن يقبض عليّ، وليس لي إليه ذنب يقتلني به، أحب إليّ من أن أصير لنفسى ذنباً عند علي بن بويه، فيقتلني به، فإنه يظنّ أني واطأت على خروج البلد من يده لأكسر مال الضمان، ويقول لي: كان يجب الصبر، إلى أن يدخل، فيقبض عليك، أو تحييئي بعد واقعة يخلش فيها رجلاً، ولم يبرح، وأخلد إلى خدمته الخدمة العظيمة، فنفعه ذلك، وتخلص.

قال: فلما كشف له يوسف، ما كان في نفسه، دعا له، وشكره، وتذلل. فقال له يوسف: وقد كنت عملت أن لا أشرب، إلى أن أفتح هذا البلد الذي أقصده، ولكن قد اشتقت إلى الشرب، شهوة لأن أشرب " ١٠٠ " معك، لما رأيته من ظرفك وفتوتك، فتعود العشية إلى الشراب، ومعك من تأنس به من أصحابك.

قال: فانصرف، واختار جماعة من وجوه البلد، ووجوه المتصرفين، كنت واحداً منهم. وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر، فركب، ونحن معه، حتى أوصلنا إلى حضرته، فأجلسنا في فارة بهنسي لم أر قبلها مثلها حسناً، في صدرها سدة أنبوس مضببة بالذهب، ومساميرها ذهب، وعليها دست ديباج فاخر جداً، وبين يديها بساط جهرمي فوقه حصير واسع، كبير، عظيم، طبراني، ومخاد، وصدور منه. وخرج يوسف، فجلس، وجلسنا معه، وأحضرت مائدة فضة بزرافين، تسع عشرين نفساً، فجلسنا عليها، ونقل علينا من الطعام، ما لم أر مثله حسناً، في أواني كلها صيني. قال: وتأمّلت، فإذا خلف كل واحد منا، غلام صغير، مليح، قائم بشراي ذهب، وكوز بلور فيه ماء، فأكلنا.

فلما تم أكلنا، نهض يوسف، فخرج من وراء الفارة، إلى موضع، وجاءنا فراشون بعددنا، بطساس وأباريق فضة، ومجامع فضة، فغسلنا أيدينا دفعة واحدة.

ومضى أولئك الغلمان الأصاغر، وجاء غيرهم بعددنا، ومعهم المرايا الخلاة الثقيلة، والمضارب البلور، والمداخن الخلاة الحسنة، فتبخرنا دفعة واحدة.

وتركنا ساعة في موضعنا، ثم استدعينا، فأدخلنا إلى فارة ألطف من تلك، ديباج، وفيها سدة صندل محلاة بفضة، فيها دست ديباج، وحصر طبرية، مثل تلك الحصر، وفيها نحو ثلاثين مطاولة، مسبكة، ذهب كلها، عليها تماثيل العنبر، على هيئة الأتراج والبطيخ، والدستنبو، وغير ذلك.

قال: فدهشنا، وتخيرنا، وإذا في أربع جوانب تلك المطاولات، أربع أجاجين بيض، كبار، عظام، كل واحدة كالقدس الكبير، والجميع مملوءة ماء ورد، وفيه أمر عظيم من تماثيل الكافور، وغلمان قيام بعددنا، يروحون، وغلمان آخر بعددنا، بأيديهم مناديل الشراب، وبين يدي كل واحد، صينية ذهب، ومغسل، ومركن ذهب " ١٠١ "، وخرداذي بلور، وقدر بلور، وكوز بلور، والجميع فارغ.

قال: فأمر يوسف، بإخراج الأنبذة، في مدافات بلور، تسمى بالفارسية: جاشنكير، فأخرجت عدة أنبذة من العنب، مما يعمل في جبل عمان، لم نطن أنه يكون في تلك النواحي بحسنها وطيبها.

فاختار ابن مكتوم، نبيذاً منها، فملئت الظروف منه، وقام على رأس كل واحد منا، غلام يسقيه، ويفقد نقله، ويتفرد بخدمته، إلى أن شربنا أقداً واحداً.

ثم أجرى يوسف، حديث علي بن بويه، فقال لابن مكتوم، وقد خرج من حديث إلى حديث: أحب أن تخبرني عن أخي أبي الحسن علي بن بويه، أي شيء اعتقد في إمارته هذه؟ قال: إن له ألفي غلام أترك، وأربعة آلاف بغل، وألفي جمل.

قال: وأخذ يكثر عليه من هذا.

فقال له: ويحك، هؤلاء عيال، وسبب خرج، لم أسأل عن هذا، إنما سألت أي شيء أدخر، مما يتنافس فيه الملوك.

قال: فقال له: وصل من الكنوز العتيقة، والأموال التي استخرجها إلى تسعين ألف ألف درهم.

قال: فقال: ولا هذا أردت، إنما أردت الذخائر والجواهر، وما يخف، وما يحمله الملوك معهم، محملاً لطيفاً، إذا حاربهم أمر.

قال: فقال ابن مكتوم: لا أعلم، إلا أني سمعت، أن الجبل الذي كان للمقتدر، قد وصل إليه.

فقال: وما الجبل؟ قال: فص ياقوت أحمر، فيه خمسة مثاقيل، إلا أني ابتعت له جوهرتين، بمائة وعشرين ألف درهم.

فقال: قد أنست بك، واقتضى أن أريك، ما صحتني في هذه السفرة، من هذا الجنس، إن نشطت لذلك.

قال: فشكره، ودعا له، وقال: إي والله، أنشط لذلك، وأتشرف به.

قال: فدعا بغلام، وقال: امض، فهات الربعة الفلانية.

قال: فجاءه بربعة كبيرة.

قال: وكانت بين يديه خرائط خراسانية، مطروحة في المجلس، فاستخرج من واحدة منهن، مفتاح ذهب،

وتأمل أولاً، ختم الربعة، ثم فتحها بالمفتاح، وأخرج إلينا قضيباً عليه خواتيم، نحو خمسمائة خاتم، يواقيت،

وفيروزج، وعقيق، لم نر مثله، فأرانا إياه، وقال: " ١٠٢ " ليس هذا بشيء، فدعوه.

قال: فتركناه، ثم أخرج إلينا عقداً، فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر، كل واحد منها، على قدر بيض الحية

والعصفور، فدهشنا من عظمها.

فقال: إن هذا العقد، في خزنة خالي أحمد بن هلال وخزائني من بعده، منذ كذا وكذا سنة، والجوهر إلينا

يصل أولاً، ثم يتفرق من عندنا إلى البلاد، ونحن مجتهدون، في أن نجد سبع حبات تشابه هذا، فيحصل في

العقد مائة حبة، فما نقدر على ذلك، منذ كذا وكذا سنة.

قال: ثم أخرج إلينا فصاً من الماس، فلبسه في الحال، وأدناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم، فجذبه

كما يجذب المغناطيس الحديد، حتى تكسر فص ابن مكتوم.

قال: ثم استخرج منديلاً لطيفاً، فحله، وأخرج قطناً، ففرقه بيده، واستخرج منه شيئاً خطف أبصارنا،

وأضاء المجلس له، حتى دهشنا، وسلمه إلى ابن مكتوم، وقال: تأمله.

قال: فتأملناه، فإذا هو ياقوت أحمر، على كبر الكف، وقدها من الطول والعرض.

قال: فدهشنا.

فقال يوسف بن وجيه: أي هذا، يا ابن مكتوم، من الذي وصفته؟ قال: فانكسر ابن مكتوم.
وما زلنا نقلب تلك الكف، ونشرب عليها ساعة.
قال: ثم أخرج إلينا من الربعة، حشائش، ذكر أنها سموم قاتلة في الحال، وحشائش، ذكر أنها تبرئ من تلك السموم في الحال.
قال: وأخرج أشياء، هائلة، طريفة، لم يعلق بحفظي منها، إلا ما ذكرته، لدهشتي بما رأيت.
قال: فلما جاء المساء، جاءنا بشموع عبر، فوضعت تنقذ.
قال: وشربنا إلى نصف الليل، وانصرفنا.
وشخص يوسف إلى البصرة، وحاربه البريدي، فهزمه، وأفلت مركب، وأحرقت باقي مراكبه، فلم يجب الاجتياز بسيراف، فتوه في البحر، وسلك وسطه، يريد عمان.
قال: وبلغنا الخبر، وأنفذ ابن مكتوم، صاحباً له، إلى عمان، يتوجع له، ويتعرف خبره، وكاتبه على يده.
قال: فدخل صاحبنا إلى عمان، قبله بأيام، ثم وردها يوسف، فلما وقف على الكتب تذكر عهد ابن مكتوم، وذكره بالجميل، ووهب لصاحبه خمسة آلاف درهم، وأنفذ إلى ابن مكتوم هدية قيمتها مائة ألف درهم " ١٠٣
" تجتمع على طرائف البحار، وأنفذ إلى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوراً دعوته مع ابن مكتوم، عدة أثواب من صنوف الثياب، وأفخرها، وأحسنها، وكنت ممن وصل إليه ذلك.

وصيف كامه يحسن إلى أهل قم

حدثني أبو الفضل، قال: حدثنا شيخ كان لنا بفارس، من أهل قم، قال: ورد إلينا وصيف كامه، أمير على بلدنا، فتلقيناه، فرأيناه من فضله، وعقله، وجلالة قدره، كل عظيم.
قال: فأقبل علينا بخطاب جميل، ووعدنا، ومنانا، وعرفنا رأي السلطان في العدل والإحسان، ثم أقبل يسأل عن أمور بلدنا، مسألة عالم به، ويسأل عن شيوخه، إلى أن انتهى في السؤال، إلى رجل، لم يكن جليلاً، ولا مشهوراً، ولا عرفه منا إلا واحد كان في المجلس.
قال: فأقبل يعظم من أمره، ويسأل عن معيشته، وأولاده.
قال: فاسترقعناه.
قال: ثم قال لنا: أحضروني إياه إحضاراً جميلاً، فإني أكره أن أنفذ إليه من يستدعيه، فأروعه.
قال: فأحضرناه، فحين وقعت عينه عليه، قام إليه قياماً تاماً، وأجلسه في الدست معه.
قال: فسقط من أعيننا، وقلنا جاهل لا محالة.
قال: ثم أقبل عليه، يسأله، عن زوجته، وبناته، وبنيه، والشيخ يجيب جواب ضجر، باهت، معظم لما عمله.
فقال له: أحسبك قد نسيتني؟ وأنكرت معرفتي.
فقال: كيف أنكر الأمير - أيده الله - مع عظمه وجلالته؟ فقال له: دع هذا، أتعرفني جيداً؟ قال: لا.
قال: أنا مملوك وصيف.

ثم أقبل علينا فقال: يا مشايخ قم، أنا رجل من الديلم، كنت سبيت في وقت كذا وكذا، في الغزاة التي غزاهم فيها فلان الأمير، وكان سني إذ ذاك عشر سنين أو نحوها.

فحملت إلى قروين، فاتفق أن هذا الشيخ كان بها، فاشتراني، وحملني إلى قم، وأسلمني مع ابنه في الكتاب، وأجرائي مجراه، في حسن التربية، وفعل بي وصنع، وجعل يعدد له ما يذكره، وأنه أحسن ملكته، حتى إنه ما تأذى منه قط، ولا ضربوه، ولا شتموه، وإهم كانوا يكسونه، كما يكسون ابنهم، ويطعمونه كما يطعمونه. ولم أزل معهم في أحسن عشرة، إلى أن بلغت، وكانوا يهبون لي الدراهم لشهواتي " ١٠٤ "، ويعطوني أكثر مما أحتاج إليه.

وكت - مذ كت صبياً - كلما وقع بيدي شيء، جمعته عند بقال في الخلة، يعرف بفلان. قال: ثم سأل عنه، فقليل: هو باق.

فلما بلغت واشتدلت، طلبت السلاح، وعملت به، ومولاي - مع هذا - يشتري لي كل ما أريده، ويمكنني من شهواتي، ويحسن إلي، ولا يعترض في شيء أريده علي. قال: واتفق، أن بعض الجند رأني، فقال: هل لك في أن تخرج معي إلى خراسان، فأركبك الدواب، وأفعل بك، وأصنع.

فقلت: أصحبك، على شرط أن لا أكون مملوك، ولا تملكني، ولكن أشتري لنفسي دابة، وسلاحاً، وأتبعك غلاماً لك، مالكاً لنفسي، فمتى رأيت منك ما أكره، فارقك، ولم يكن لك الاعتراض علي. فقال: افعل.

قال: فجئت إلى البقال، فحاسبته، وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير، فأخذته، واشترت منه دابة وسلاحاً، وأخذت اليك، ومعني دراهم، وصحبت الجندي، وأبقت من مولاي هذا. ومضيت إلى خراسان بأسرها، وتقلب بي الأمور، وترقت حالي مع الأيام، حتى بلغت هذا المبلغ، وأنا في رق هذا الشيخ، وأنا أسألكم الآن، مسأله أن يبيعي نفسي. قال: فأكبر الرجل ذلك، وقال: أنا عبد الأمير، والأمير حر لوجه الله، وأتجمل بولائه، وأفخر أنا وعقبى بذلك.

قال: فقال: يا غلام، هات ثلاث بدر.

وأحضرت، وصب المال، وسلمه إلى الشيخ، ثم استدعى له من الثياب، والدواب، والبغال، والطيب، والآلات، ما تزيد قيمته على قدر المال.

ثم استدعى ابنه، فأحضر، وأكرمه، وتناول له، ووهب له عشرة آلاف درهم، وثياباً كثيرة، ودواب، وبغالاً.

واستدعى البقال، ووهب له خمسمائة دينار، وثياباً كثيرة.

قال: ثم أنفذ هدايا، إلى بنات الشيخ، وزوجته، وعيال البقال.

قال: ثم قال للشيخ: يا فلان، انبسط في هذا السلطان الذي قد رزقك الله إياه، انبسط من يعلم أن الأمير مولاه، واعلم بأنك لا تحل شيئاً فأعقده، ولا تعقد شيئاً فأحله.

قال: ثم التفت إلينا، وقال: يا مشايخ قم، أنتم سادتي، وشيوخي، وما على الأرض، أهل بلد، أحب إلي منكم، ولا أوجب حقاً " ١٠٥ " منكم، فانبسطوا في حوائجكم، انبساط الشريك الذي لا فرق بيني وبينه، إلا فيما حضرته الديانة، وليس بيني وبينكم فرق، إلا في ثلاث: طاعة السلطان، وصيانة الحرم، ومخالفتكم في الرفض، فإني قد طوفت الآفاق، وسلكت الجبال والبحار، وبلغت أقاصي المشرق والمغرب، فما رأيت على دينكم أحد غيركم، ومحال أن يجمع الناس كلهم على ضلالة، وتكونوا أنتم من بين أهل الآفاق على حق. قال: ثم سأل كل واحد منا، عن حوائجه، ونظر إليه فيها بطرف، ونظر للشيخ بضعف ما نظر به لأجلنا. قال: فخرجنا من عنده، وقد نبل في عيوننا نبلاً شديداً، وانقلبت المواكب إلى باب الشيخ، فأقبل الناس إليه في الحوائج، وإلى ابنه، فصارا رئيسي البلد، ولم يكن وصيف يردهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير، إلى أن خرج عن قم.

وصيف كامه يعين عاملاً على فارس
قال: وحدثني أبو الهذيل، أن وصيفاً لما ولي فارس، أقام بشيراز، وكان يتواضع للناس، تواضعاً شديداً، ويحسن السيرة، ويتجنب إلى العامة جداً، حتى كان يعود مرضاهم، ويشهد جنازتهم. قالوا: وما رأينا أميراً أعقل منه، ولقد رأيت يوماً، قد حضر جنازة رجل من السوق، راكباً دابة، وعليه دراعة بيضاء وعمامة، وليس بين يديه، إلا ثلاثة من الشاكزية، فوقف في جملة الناس، يصلي على الرجل. قال: وكان عندنا حائك، يعرف بفلان، يظهر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال: فرأيت، وقصد أن جاء فوقف إلى جنبه في الصلاة، وزاحمه، حتى وضع مرفقه في صدر وصيف، وزاحمه به.

فجاء بعض من كان معه، ينكر ذلك، وينحي الرجل، فظفر إليه نظراً شزراً، جزع معه الغلام، وتنحى، وتركه والحائك.

قال: فرأيت، وقد تجمع في مكانه، ووسع للحائك، حتى أتموا الصلاة.

الوزير يتيم في حجر كل كاف

بلغني مكن جهة وثقت بها، عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، قال: حضرت مجلس أبي القاسم عبيد الله بن سليمان، وأبو زنبور الكاتب، يعذله في إفضائه إلى أبي العباس بن الفرات، وتفويضه الأمور إليه، ويخاطبه بكل عظيم في ذلك.

إلى أن قال له: الناس يقولون، أيها الوزير: إنك يتيم في حجر ابن الفرات.

فقال عبيد الله: أنا يتيم في حجر كل كافٍ.

أبو أحمد الشيرازي والصفراء

حدثني بعض إخواني الثقات عندي " ١٠٦ " ، قال: حدثني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب، قال: لما صحبت أبا علي بن مقلدة إلى بغداد، واستكتبني، كان يتعمد نفعي بكل شيء،

ويوصل إلي أموالاً جلييلة، فلم أكن أحفظها، وكانت كلها تخرج عن يدي، في القيان، والشراب، وأتلفها. قال: فهويت جارية من القيان صفراء، واشتهر أمري معها، وأتلفت كل كسبي عليها، حتى بلغ أبا علي، وكان يعذلي، ويوبخني، ويمعني من مفارقة حضرته، وأن أخل بما.

قال: فأقلت يوماً من حضرته، ومضيت إلى بيتي، وقد حصلها غلامي، وأعد لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة، والتحايا الظراف، والشراب الفاخر.

قال: فشربت ليلتي معها، وخفت أن أخل بالوزير، فحملتني الشهوة للجلوس مع المغنية، على أن كُتبت إلى الوزير رقعة، أعذر فيها من التأخر، وأقول: إن الصفراء تحركت علي، واضطرب جسمي، فلم أقدر على الحجيء، وأباكر الخدمة في غد، وأسأل قبول عذري.

قال: فعاد إليّ الجواب، بخط أبي علي بن مقلّة، في أضعاف السطور، بأجل خطاب، وألطف مداعبة. وقال فيه: يا هذا، ظلمت الصفراء، أنت تحركت على الصفراء، ليس هي تحركت عليك، وقد علمت مغزاك في التأخر، وبحسب ذلك أجبتك، وقد بعثت إليك منديلاً محتوماً فاستعن بما فيه.

قال: ففتحت المنديل، وإذا فيه، رطل ند، وشيء كثير من الكافور، والمسك، ومائتا دينار عيناً. وأنشدني أبو الحسن علي بن هارون بن المنجم، لنفسه في معنى الصفراء، بيتين ما سمعت أظرف منهما في معناهما، وهما يقاربان قول ابن مقلّة، وهما:

قال الطيب وقد تأمل سحتي ... هذا الفتى أودت به الصفراء
فعجبت منه إذ أصاب وما درى ... قولاً ومعنى ما أراد خطأ

لا يمكن التجلد على عذاب الله

حدثني بعض البغداديين، قال: ضرب عندنا رجل من أهل العصبية، خمسمائة سوط، في وقت واحد، فلم يتأوه، ولم ينطق.

فلما كان بعد أيام، حمى صعبة، وضرب عليه معها رأسه، فأقبل يصيح، كما يصيح البعير، ويقول: العفو، العفو، يكررها.

فلما كان من غد، اجتمع إليه قوم من أهل الحبس، فقالوا: فضحتنا، أنت تضرب بالأمس خمسمائة سوط، فلا تصيح، تحم ساعة من ليلة، فتصيح؟ فقال: عذاب الله عز وجل، أشد العذاب، وما كنت لأتجلد عليه.

الغلط الذي لا يتلافى

قال: وأتي " ١٠٧ " بعض الولاة، برجلين، أحدهما قد ثبت عليه الزندقة، والآخر قد وجب عليه الحد. فسلم الوالي الرجلين، إلى بعض أصحابه، وقال: اضرب عنق هذا، - وأوماً إلى الزنديق - واجلد هذا، كذا وكذا. قال: فتسلمهما وخرج.

فوقف المحدود: وقال: أيها الأمير، سلمني إلى غيره، فإن هذا الأمر، لا آمن فيه الغلط، والغلط فيه لا يتلافى.
قال: فضحك منه الأمير، واستطابه، وأمر بإطلاقه، فأطلق، وضربت عنق الزنديق.

المهدي والمنتهم بالزندقة

قال: وأبي المهدي بن المنصور، برجل قد رمي بالزندقة، فسأله عن ذلك.
فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم، رسوله، وأن الإسلام ديني، عليه أحياء، وعليه أموات، وعليه أبعث.
فقال له المهدي: يا عدو الله، إنما تقول هذا مدافعة عن نفسك، هاتم الشياطين، فأحضرت، وأمر بضربه، فضرب، وهو يقرره.

فلما أوجعه الضرب، قال له: يا أمير المؤمنين، اتق الله، فقد حكمت عليّ بخلاف حكم الله تعالى، وخلاف حكم رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا دماءهم وأموالهم، إلا بحقهما، وحسابهم على الله، وأنت قد جلست تطالبني، وتضربني، حتى أكفر، فتقتلني.

قال: فخجل المهدي، وعلم أنه قد أخطأ.

فأمر بإطلاقه.

شر السلطان يدفع بالساعات

حدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي علان الأهوازي، قال: حدثني جدي أبو القاسم بن أبي علان، وقد جرى حديث السلطان، وأن شره يدفع بالساعات، قال: ورد علينا أبو يوسف البريدي، كاتب السيدة، يطالبي، وأبا يحيى الرامهرمزي، أن نضمن منه ضياع السيدة، وتشدد علينا ونحن ممتنعون.
إلى أن أدخلنا مجلسه، في يوم خميس، وناظرنا مناظرة طويلة، وشدد علينا أمراً عظيماً، فكدنا معه أن نجيبه، وكان علينا في ذلك ضرر عظيم.

فقلت لأبي يحيى: يجب أن نجتهد في رفع المجلس اليوم، لنفكر إذا انصرفنا، كيف نعمل.

قال: وكان أبو يوسف محدثاً طيباً.

قال: فجره أبو يحيى، إلى الحادثة، واستلب هو الحديث، وسكت أبو يحيى.

قال: وكانت عادة أبي يوسف، في كلامه، أن يقول كل قطعة من حديثه: أفهمت؟ قال: وكان كلما قال أبو يوسف، لأبي يحيى، أفهمت؟ يقول أبو يحيى: لا، فيعيد الحديث، ويخرج منه إلى حديث آخر.

قال: فلم يزل " ١٠٨ " كذلك، حتى حي النهار، وقربت الشمس من موضعنا.

فرجع أبو يوسف إلى حديث الضمان، ومطالبتنا بالعقد.

فقلت له: إنه قد حي النهار، وهذا لا يتقرر في ساعة، ولكن نعود غداً، ورفقنا به، فقال: انصرفوا،

فانصرفنا، واستدعانا من غد، فكتبنا إليه رقعة، إنه يوم الجمعة، وهو يوم ضيق، ونحتاج إلى الحمام والصلاة،
وقل أمر يتبدأ به يوم الجمعة، قبل الصلاة، فيتم، ولكننا نبارك يوم السبت، فاندفع.
واستدعانا يوم السبت، فصرنا إليه، وقد وضعنا في نفوسنا، الإجابة، لما أيسنا من الفرج.
فحين دخولنا إليه، ورد إليه كتاب، فقرأه، وشغل قلبه، وقال: انصرفوا اليوم، فانصرفنا، ورحل بعد ساعة،
لأن الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه.
فبادر قبل ورود الصارف، وكفينا أمره.

كيفية إغراء العمال بأخذ المرافق

قال : وورد إلينا، في وقت من الأوقات، بعض العمال، متقلداً للأهواز، من قبل السلطان، وقد أسماه،
ونسبه الذي حدثني.
قال: ففتبع رسومنا، ورام قرض شيء منها، وكنت أنا وجماعة من التناء في تلك المطالبة، وكان فيها ذهاب
غلاتنا في تلك السنة، لو تم علينا، وذهب أكثر قيم ضياعنا.
قال: فقالت لي الجماعة: ليس لنا غيرك، تخلو بهذا الرجل، وتبذل له مرفقاً، وتكفينا إياه.
قال: فجئته، وخلوت به، وبذلت له مرفقاً جليلاً، فلم يقبله، ودخلت عليه بالكلام في غير وجه، فما لان،
ولا أجاب.
قال: فأبست منه، وكدت أن أقوم خائباً.
قال: قهلت له في عرض الكلام: يا هذا الرجل، أنت مصمم في هذا الأمر على خطأ شديد، لأنك تظلمنا،
وتزِيل رسومنا، من حيث لا يحمدك السلطان، ولا تنفع أنت بذلك.
ومع هذا، فأخبرني، هل تأمن أن تكون قد صرفت، وكتاب صرفك، في الطريق، يرد عليك بعد يومين أو
ثلاثة، فنكون قد أهلكتنا، وأثمت في أمرنا، وفاتك هذا المرفق الجليل.
ولعلنا نحن نكفي، وبجيء غيرك فلا يطالبنا، أو يطالبنا فنبذل له هذا المرفق، فيقبله، ويكون الضرر، إنما
يدخل عليك وحدك.
قال: فحين سمع هذا، اعتقد أن لي ببغداد، من يكاثني بالأخبار، وأنني قد أحسست باختلال أمره، وأخذ
يخاطبني من أين وقع لي أنه قد وقع هذا.
قال: فقويته، وثبته في نفسه، فأجاب إلى أخذ المرفق، وإزالة المطالبة.
فسلمت " ١٠٩ " إليه رقاع الصيارف بالمال، وأخذت منه حجة بإزالة المطالبة، وانصرفت، وقد بلغت ما
أردت.
قال: فسلمت، فلما كان بعد خمسة أيام، لا تزيد يوماً، ورد عليه الكتاب بالصرف.
قال: فدخلت عليه، فأخذ يشكرني، ويخبرني بما جرى، وبما ورد عليه، فأوهمته أنني كنت قد قلت له ذلك،
على أصل.
وكفيت تلك المطالبة.

يحتال على القواد الأتراك

بسر من رأى

حدثني أبو الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن، الوكيل على أبواب القضاة بالأهواز، قال: قال لي بعض المدين ببغداد، عن شيخ لهم أيسر، وعظمت حالته، حتى استغنى عن الشحث، فكان يعلمهم ما يعملون، فسألناه عن سبب نعمته، فقال: كنت تعلمت السريانية، حتى كنت أقرأ كتبهم التي يصلون بها. ثم لبست زي راهب، وخرجت إلى سر من رأى، وبها قواد الأتراك، فاستأذنت على أحدهم، فأدخلت. فقلت له: أنا فلان الراهب، صاحب العمر الفلاني، وذكرت عمراً بعيداً بالشام، وأنا راهب فيه منذ ثلاثين سنة.

وكنت نائماً، فرأيت النبي صلى الله وسلم، وكأنه قد دخل إلى عمري، فدعاني إلى الإسلام، فأجبتة، فقال لي: امض إلى فلان القائد، حتى يأخذ عليك الإسلام، فإنه من أهل الجنة، فجئت لأسلم على يديك. قال: ففرح التركي فرحاً عظيماً شديداً، ولم يحسن أن يأخذ عليّ الإسلام، فتعنع في كلامه، وقطعت الزنار وأسلمت بحضرته.

قال: فوصلني ما قيمته خمسة آلاف درهم، من الدراهم، والثياب، وغيرها وعدت إلى منزلي. فلما كان من غد، بكرت إلى قائد منهم، يزي الرهبان، وقلت له، كما قلت للأول، وأعطاني أكثر من ذلك، حتى طفت على جماعة منهم، فحصل لي من جهتهم أكثر من خمسين ألف درهم. فلما كان في بعض تلك الأيام، صرت إلى أحدهم، واتفق أنه كانت عنده دعوة، فيها وجوههم، فلما دخلت، وقصصت الرؤيا، وتأملتهم، وإذا في الجماعة واحد ممن كنت لقيته بالرؤيا. قال: فقامت عليّ القيامة، فلما فرغت من حديث الرؤيا، وأظهرت الإسلام على يد التركي، وأمر لي بالجائزة، وخرجت، أتبعني ذلك القائد بغلامه.

فلما بعدت عن الدار، قبض عليّ " ١١٠ " ، وحملي إلى منزل التركي الأول، فقامت قيامتي، وأحسست بالمكره، وبذلت للغلام جميع ما كان معي، ليدعني أنصرف، فلم يفعل. وجاء التركي، وهو منتش، فقال: " يا با، حصلت تسخر بالأتراك واحد واحد، وتأخذ دراهمهم " ؟ قال: فقلقت فرعاً، وقلت: يا سيدي، أنا رجل صفعان، فقير، مكد، وأنا فعلت هذا لآخذ شيئاً. قال: فقال لي: أظننت أنني أفضحك في بلدك؟ ما كنت بالذي أفعل، وقد جازت السخرية عليّ، حتى تجوز على الجماعة، كما جازت عليّ، ولكن أليس أنت؟ قال: فطاييته، وتصفت له، فضحك مني، واستدعى بالنبيذ، وشرب، ولاعبته، فاستخف روعي، وحسني عنده، وخلع علي، وأعطاني دراهم، ودعا جماعة من قواد الأتراك وخرجت عليهم في زي الصفاعنة، فعططوا عليّ، وضحكوا.

فحدثهم التركي، بالحديث، فضحكوا. قال: فأخذت منهم، على تلك الحال، مالا ثانياً جليلاً، وانصرفت إلى بغداد وابتعت به عقاراً، منه أعيش إلى الآن.

تم الجزء الثامن ويتلوه التاسع والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين "

١١١"